المكتبة التاريخية

مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس

عبد الرحمن الجبرتي

دراسة وتحقيق وتعليق

عبد الرازق عبد الرازق عيسى / عماد أحمد هلال

<1>



العربي للنشر والتوزيع

مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس

عبد الرحمن الجبرتى

تحقيق ودراسة وتعليق

عبد الرازق عيسى

باحث فى التاريخ الحديث

آداب عين شمس

عماد أحمد هلال

باحث فى التاريخ الحديث

آداب بنها

الجزء الأول

العربى للنشر والتوزيع

٦٠ شارع القصر العينى - أمام

روزاليوسف (١١٤٥١) القاهرة

ت: ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦

العربى للنشر والتوزيع
٦٠ شارع القصر العينى (١١٤٥١) – القاهرة
ت : ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦

الطبعة الأولى
١٩٩٨

مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس
للعلامة عبد الرحمن الجبرتى
المحققين : عبد الرازق عبد إلرازق عيسى – عماد أحمد هلال
عدد الصفحات : ٥٩١
الغلاف للفنان : مصطفى رمزى
مطبعة النيل : ٢١ ش المدارس ـ العمرانية الغربية جيزة ـ ت : ٥٦١٥٧٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى كل باحث عن الحقيقة فى غياهب الظلمات .

إلى كل من يرفع الأتربة عن صفحات التاريخ المنسية إلى كل فدائى يعمل فى البحث العلمى فى مصر فى ظل الظروف الراهنة .

إلى كل هؤلاء وإلى روح الباحث الشاب "علم الدين الجندى "

نهدى هذا الكتاب

المحققان

مقدمة المحققين

تمثل الحملة الفرنسية مرحلة فاصلة فى تاريخ مصر الحديث ، ومن حولها انقسم المؤرخون والمثقفون ، فمنهم المؤيدون لكل ما جاءت به الحملة ، ويعتبرونها بداية التحديث فى مصر الحديثة ، لاغين بذلك الفترة السابقة على هذا التاريخ ، ومعتبرين إياها كماً مهملاً . فالفترة العثمانية فى نظرهم فترة ركود واضمحلال وتأخر تعود للعصور الوسطى ، وهم لذلك يتفقون مع توجههم الأيدلوجى وميولهم الغربية . أما الفريق الآخر فهم على النقيض تماماً ، حيث يرون أن الحملة الفرنسية لم تكن بداية الحداثة بل كان هناك داخل المجتمع المصرى بذور وجذور لنهضة داخلية ذاتية ، وقد جاءت الحملة لتقضى عليها . وتبنى هذا الرأى منذ البداية المرحوم د. جمال الدين الشيال ، ونادى به فى الفترة الأخيرة المؤرخ المصرى د. عبد الله عزباوى فى دراسته عن الحياة الفكرية فى مصر فى العصر العثمانى ، وكذلك المؤرخ الأمريكى بيتر جران، وكذلك الدكتورة نيللى حنا ، وغيرهم من الباحثين المتعمقين فى دراسة تلك الفترة . وهناك صراع فكرى حاد بين أصحاب هذين الاتجاهين ,وكل له أسانيده الخاصة به .

وفى الفترة الحالية ثار نزاع بين المؤرخين بسبب هذا الموضوع وبمناسبة مرور مئتى عام على مجئ الحملة الفرنسية إلى مصر . وكان ردنا كجماعة من شباب الباحثين فى التاريخ المصرى الحديث ؛ أن نبرز إلى الوجود كتاب يعد وثيقة تاريخية بارزة . وليس الهدف من ذلك تأييد أحد الاتجاهين ، أو الاشتراك فى هذا النزاع الفكرى ، وإنما الهدف هو الإسهام فى توضيح الصورة ، وإزالة الالتباس من خلال نشر كتاب " **مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس** " الذى يعد خير شاهد على تلك الفترة الهامة فى تاريخ مصرنا الحبيبة .

وعلى الرغم من أن الكتاب قد طبع من قبل ثلاث مرات ؛ إلا أننا نقدمه بتحقيق علمى منهجى لأول مرة ، حيث ننشر النص الكامل للكتاب معتمدين على أربع نسخ مخطوطة ، كما أضفنا التعليقات العلمية والشروح الوافية على الكتاب . وهذا الكتاب- بكل واقعية وصدق - يعتبر أبلغ رد على دعاة الاحتفال بالحملة الفرنسية الاستعمارية،

التى جاءت لا لخير مصر ومصلحتها والنهوض بها من كبوتها ؛ وإنما لاستغلال خيراتها وموقعها . ونحن نقدم هذا الكتاب إلى هذا الجيل والأجيال اللاحقة ليروا بأعينهم ويلمسوا بأيديهم ما فعله الآباء والأجداد دفاعاً عن هذا الوطن ، وكيف عانوا من قسوة المحتل وفداحة العقوبات التى أنزلها بهم من قتل وسجن وغرامات ومصادرات وغير ذلك . وكذلك نقدمه للناس ربما يساهم فى تشكيل جزء من وعيهم التاريخى ليكون لهم موقف وكلمة ودور. وينبغى أن نقول أننا كمجموعة من شباب الباحثين نعمل ونؤمن بأننا أشد ما نكون احتياجاً فى هذه الأيام ، لإخراج تراث العصر العثمانى ودراسته وتقييمه والحكم عليه ، خاصة وأن هناك آلاف المخطوطات التى تزخر بها المكتبات فى مصر والعالم ، تحتاج إلى من ينفض عنها غبار السنين وستار النسيان والتجاهل ، خاصة وأن الشاب - وإن كان لديهم الحماس فى العمل - إلا أنهم يفتقرون إلى الدعم الكافى ، ويتكبدون عظم العناء فى النشر وغيره ، فهل نجد من معين من هيئاتنا البحثية والأكاديمية .

ولا ننسى أن نقدم عميق شكرنا إلى كل من ساندنا أو ساعدنا فى إخراج هذا الكتاب ، وفى مقدمتهم أساتذتنا الأجلاء فى سيمنار التاريخ الحديث بآداب عين شمس، والتاريخ العثمانى بآداب القاهرة ، حيث كان لهم الفضل فى توجيهنا لهذا المجال ، كما نتقدم بخالص الشكر وعميق التقدير لزملائنا الأعزاء : الأستاذ : رمضان الخولى ، والأستاذ أشرف أنس ، والأستاذ : عبد العظيم سعودى ، والسيدة : عبير أحمد سليمان ، والآنسة : نهلة أحمد سليمان ، ولا نستطيع أن ننسى الفضل الذى غمرنا به الصديق والأخ الكريم د. عماد أبو غازى الذى لولاه ما خرج هذا العمل للنور ، وفى النهاية ، لقد حاولنا قدر الاستطاعة أن نصل بهذا العمل لذروة الكمال ، ولكن الكمال محال على البشر ، وحسبنا أننا حاولنا . وباسم العلم نطلب من كل من يقع نظره على خطأ أن يوافينا به لنتداركه فى الطبعات التالية إن شاء الله تعالى .

القاهرة فى ٢٧ رمضان ١٤١٨هـ الموافق ٢٥ يناير ١٩٩٨م

المحققان

الدراسة

أولاً: المؤرخ والعصر
ثانياً: هذا الكتاب

أولاً المؤرخ والعصر الذى عاش فيه

١- ضعف الدولة العثمانية وأثره على مصر :

مع التغيرات التى شهدتها الدول الأوربية منذ القرن السادس عشر ، والتى أبرزها التحول من دول إقطاعية إلى دول رأسمالية تجارية ثم رأسمالية صناعية عقب الانقلاب الصناعى ، أصبح ميزان القوى بين أوربا والدولة العثمانية يميل لصالح الدول الأوبية بشكل نهائى وحاسم ،وأصبحت الدولة العثمانية مع بداية القرن التاسع عشر فى حالة من الضعف باتت معها عاجزة عن مواجهة التحدى الأوربى الذى كان فى بعض جوانبه تحدياً حضارياً ، ويرجع ذلك إلى ما شهدته من اضطرابات سياسية وصراع على السلطة بين قواد الجيش وكبار الموظفين .والى جانب ذلك فإنها كانت تجتاز أزمة اقتصادية طاحنة بعد أن فقدت أغنى ولاياتها فى شرق أوربا، وكذلك بعد أن تقلصت تجارة الدولة فى الشرق بفضل التوسع الأوربى هناك ، فارتفعت الأسعار ، وتضاعفت الضرائب ، وضعفت الزراعة، وهجر السكان الريف.

ولقد أصيبت نظم الحكم فى الشرق العربى بالانهيار السريع خلال القرن الثامن عشر ، حيث اختل التوازن الذى كانت ترمى إليه قوانين السلطان سليمان ، بين السلطة المركزية وبين العصبيات المحلية . وكان الباب العالى يعتريه الخوف من جراء هذا الاختلال ، فكان متردداً فى انتهاج سياسته التقليدية فى تغيير الباشوات بانتظام ، أو تثبيت الباشوات ، خصوصاً الذين أثبتوا مقدرة على إخضاع حركات التمرد.

وكان هذا الاضطراب السياسى والتدهور الاقتصادى أكثر وضوحاً فى

مصر ، فبعد أن فشلت حركة على بك الكبير، انفتح المجال لتخلفه عصبيات مملوكية متعددة ، تعاقبت على السلطة مستغلة اختلال أمر الجند العثمانيين .وبذلك فقد النظام مقوماً أساسياً من مقومات توازنه ، فشهدت مصر منذ انتهاء حكم على بيك الكبير ، وحتى مجئ الحملة الفرنسية فترة من أشد الفترات التى مرت بمصر اضطراباً وفساداً وقد زاد من هذا الاضطراب اضطراد ضغط القبائل البدوية على الريف وأطراف المدن ، وعلى خطوط المواصلات ، كما كانت مركزاً للمؤامرات المملوكية ضد السلطة العثمانية فى القاهرة.

وقد انعكس هذا الوضع السياسى المتدهور على الأوضاع الاقتصادية ، فالالتزام الذى نشأ تعبيراً عن ضعف السلطة المركزية ، أصبح يمنح مدى العمر، ثم أصبح يورث ويمكن التنازل عنه للغير ، كما أصبح الفائض فى المجال الزراعى يذهب إلى الملتزمين ، وأكثرهم من المماليك، فيستخدم فى مظاهر الترف أو فى أغراض مضادة لأهداف الدولة . أما الصناعة فقد ضعفت ، واندثرت كثير من الصناعات التى كانت موجودة فى عصر سلاطين المماليك ، وتغيرت قواعد التنظيم الطائفى عن الغاية الفنية إلى الناحية الإدارية ، فأصبحت أهدافه جمع الضرائب والأموال بأقصى قدر ممكن ، دون النظر لمصالح الصناعة . أما التجارة فقد كانت تواجه تحدياً عظيماً بسبب القلق والفوضى ، ولقد وجد التجار أن استثمار أموالهم فى حيازة الأرض هو المجال الأكثر أمناً، وهذا يفسر لنا سبب وجود أعداد من التجار فى دفاتر الالتزام . زد على ذلك فوضى النقد الناتجة عن التغيير المستمر ، وغش العملة ، ودخول العديد من العملات الأجنبية مجال التداول .

٢- أزمة الفكر والحضارة:

وصلت الحضارة الاسلامية فى القرن الثامن عشر إلى مرحلة من التدنى

والانحطاط لم يسبق لها مثيل ، والحقيقة أن هذا التدهور الفكرى والحضارى ليس مسئولية العثمانيين وحدهم لأنه يرجع إلى عوامل تسبق زمنياً وصول العثمانيين إلى المنطقة . فالهجمات الشرسة للصليبيين والمغول ومسيحيى أسبانيا قد دمرت الجانب الأكبر من التراث الفكرى الإسلامى، كما أصابت تلك الحروب الطويلة العالم الإسلامى بالتعب والإنهاك ، فى الوقت الذى كان يقف فيه على أعتاب العصر الحديث.

وفى نفس الوقت كان العرب قد تنازلوا عن دور القيادة لعناصر غير عربية ، نعم كان لهم الفضل فى حماية الإسلام، ولكنهم كانوا نكسة للفكر والحضارة العربية والإسلامية ، فهذا السلطان محمود الغزنوى يأمر بإحراق مكتبة الصاحب بن عباد فى مدينة الرى، وهذا صلاح الدين الأيوبى يتسبب فى إحراق مكتبة القصر الفاطمى ، وهى واحدة من أكبر المكتبات الإسلامية فى العصر الوسيط . وقد استمر التدهور فى العصر العثمانى لأن العثمانيين لم يكونوا أحسن حالاً فى موقفهم من التراث العربى من العناصر السابقة ، فهم قد احتفظوا بتركيتهم ، ومن ثم كانوا أكثر سلبية وبعداً عن التراث العربى من العناصر التركية السابقة ، لأن العناصر السابقة قد تعربت ، فظلت اللغة العربية هى لغة الدولة والمعاملات ، أما فى العصر العثمانى فقد أصبحت اللغة التركية هى اللغة الرسمية للدولة.

أضف إلى ذلك فرض العثمانيين العزلة على الشرق العربى ، خوفاً من خطر الاستعمار الغربى الماثل على الحدود الجنوبية ، بعد أن دار حول أفريقيا منذ القرن السادس عشر، وهى لم تكن عزلة سياسية فحسب ، بل كانت حضارية أيضاً، فلم يصل للشرق عنصر واحد من العناصر المكونة للحضارة الغربية . وكان مما يساعد على هذه العزلة ، شعورٌ بالشك والريبة فى البلاد الإسلامية تجاه الفرنجة

"الصليبيين". وعندما اقتحم الفرنسيون سياج هذه العزلة فى أواخر القرن الثامن عشر، وجدوا أن مصر لا تزال كما كانت أيام لويس التاسع، إن لم تكن قد ازدادت تدهوراً. وقد اعتقد المصريون - والمماليك بصفة خاصة - أن الفرنسيين لم يتغيروا، وأنهم أنفسهم فرنجة العصور الوسطى، ولذلك فسوف يسحقون بسنابك خيول الأمراء المماليك كما حدث لجدهم لويس التاسع، ولكنها كانت صدمة حضارية عنيفة أصابت المصريين بالحيرة والاندهاش.

٢- تدهور علم التاريخ :

انعكس تدهور الحياة الفكرية على حركة التدوين التاريخى، فنال علم التاريخ من التدهور ما نال باقى العلوم، حيث انقطعت الصلة بين الماضى والحاضر، واندثرت المدرسة التاريخية الإسلامية، والتى بلغت قمة نضجها وأوج عظمتها أيام المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون، ثم المقريزى الذى تنوعت كتاباته التاريخية خارج المجال السياسى، فكتب فى التاريخ الاجتماعى والاقتصادى والخطط وغير ذلك.

ولقد استقام التاريخ فى يد ابن خلدون علماً ثابت الدعائم وطيد الأركان، ومن بعده مضى تلاميذه فى مصر يؤسسون فى كتابة التاريخ مدرسةً كانت من أرقى ما عرف العرب فى تاريخهم. ثم جاءت فى تاريخ الثقافة العربية فترة انقطاع وتدهور، تبدت ملامحها واضحة فى مصر فى العصر العثمانى، وترجع أسبابها إلى تسرب الكتب التاريخية من مصر إلى خارجها، وكثرة الفتن والاضطرابات، وانشغال الناس عن التاريخ بأمور معاشهم، ونظروا إليه نظرة هابطة فنبذوه وعدوه من شغل البطالين.

وفى القرن الثامن عشر، بدأت تلوح فى مناطق مختلفة من العالم الإسلامى-

فى الجزيرة العربية والهند ومصر- بعض ظواهر من اليقظة الفكرية ، منها ما شهدته مصر من معاودة التأليف التاريخى على أسلوب حاول أصحابه - وعلى رأسهم الجبرتى - أن يحاكوا أسلوب مدرسة القرن الخامس عشر الإسلامية ، ومن هنا جاءت خطة الجبرتى فى كتابة التاريخ المصرى بعد طول انقطاع ليصله بما كتب ابن إياس فى بدائع الزهور ، ومع ذلك فهو لم يرتفع إلى مستوى مدرسة القرن الخامس عشر بالرغم من تأثره بمقوماتها وأسلوبها ومنهجها. ولذلك فان بعض الدارسين للجبرتى قد وقفوا فى حيرة من أمرهم ، هل يعدونه من تلامذة مدرسة القرن الخامس عشر الإسلامية ، أم من مؤرخى المدرسة العثمانية الضعيفة ، ام من مؤرخى القرن التاسع عشر . وإذا كان الجبرتى يتميز بكثير من الميزات على مؤرخى العصر العثمانى ، فانه لم يصل إلى مستوى مؤرخى المدرسة الإسلامية ، كما أن مصر القرن التاسع شئ آخر لم يعرفه الجبرتى ، ولم يستطع أن يفهمه حتى وإن عاش فيه ، وسيتضح ذلك أكثر من دراستنا لنشأة الجبرتى وأسلوبه فى التدوين التاريخى .

٤- المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى:

يبدو الجبرتى وسط مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى عملاقاً بين أقزام، وتواجه الباحثين مشكلة عويصة فى محاولتهم تفسير ظهور مثل هذا المؤرخ العظيم ، فالبعض يرى أن المعقول هو ألا يظهر مؤرخ مثل الجبرتى فى هذه الفترة ، فى حين يرى آخرون أن الأمر غير المعقول حقاً هو ألا يظهر عبد الرحمن الجبرتى فى هذه الفترة ، ويكتب ما كتب على مثل هذا المستوى العالى من الدقة . ويبرر أصحاب هذا الرأى ذلك بقولهم أن نبض الحياة فى تلك الفترة قد زاد إيقاعها، بحيث ما كانت لتمر تلك الأحداث الجسام المتوالية دون أن يظهر من يتصدى لها

ويسجلها ويخرج منها كتباً مثل "مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس" ومثل رائعة الجبرتي "عجائب الآثار في التراجم والأخبار"

ولكننا نرى أننا بذلك نتجنى على مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى ، والتى أنتجت لنا العديد من المؤرخين الذين أخرجوا لنا عشرات الكتب فى تاريخ مصر فى تلك الفترة وهى وإن كانت لا ترقى إلى ما كتبه الجبرتى فلذلك أسباب عديدة . فهناك من العوامل ما سهل للجبرتى أن يصل إلى هذه المرحلة من الجودة فى الكتابة كذلك علينا ألا نغفل أمراً آخر وهو أنه لا يوجد مؤرخ بدأ من فراغ فقد استفاد الجبرتى من كتابات من سبقوه من المؤرخين وأخذ عنهم.

مولده :

كما يحدثنا الجبرتى عن نفسه فى "عجائب الآثار" وعند حديثه عن والده الشيخ حسن الجبرتى ، اتضح أنه من إقليم "جبرت" ببلاد الحبشة ، واستقرت عائلته فى مصر،وتولى الشيخ حسن الجبرتى رئاسة " رواق جبرت" فى الأزهر الشريف ، وكان عالماً يشار إليه بالبنان وخاصة فى العلوم الرياضية والفلكية وترك لنا العديد من المؤلفات ، وللأسف ما زالت مخطوطة فى بطون المكتبات ولم تطبع بعد رغم أهميتها الفكرية العظيمة التى توضح لنا بجلاء مدى التقدم الفكرى الذى بدأ فى الظهور فى تلك الآونة .

تزوج الشيخ حسن الجبرتى – والد مؤرخنا – فى صدر شبابه من ابنة الأمير على أغاباشى "متفرقة " المعروف بالطورى ، نسبة لقلعة الطور التى كان يحكمها مضافاً إليها قلعتى السويس " والمويلح" . كما تزوج أيضاً من "ابنة رمضان جلبى" المعروف بالخشاب وكانت هذه الأسرة تمتلك العقارات الواسعة ، ولم يقتصر الشيخ حسن على الأوقاف التى آلت إليه بالوراثة ؛ فقد استغل أيضاً

هذه الأموال فى التجارة ، وبعد وفاة صهره الأمير على الطورى ؛ آل إلى الشيخ حكم القلاع المشار إليها .وبذلك ولد مؤرخنا عبد الرحمن الجبرتى فى بيئة ثرية مادياً وعلمياً ، وكان لهذه البيئة أكبر الأثر فى تنشئة مؤرخنا ، فهى من ناحية غرست فيه حب العلم ومعاشرة ومصاحبة العلماء وطلاب العلم الذين كان يكتظ بهم بيت والده الذى كان يتكفل بنفقات وإقامة عدد كبير منهم ، وهى من ناحية أخرى وفرت له الوقت الكافى للاطلاع والدراسة ، دون أن يلجأ للعمل ليكسب قوت يومه ، وهى فوق ذلك كله سهلت له الاتصالات بأولى الأمر من الحكام والمسئولين فى الإدارة ، مما يسر له الحصول على العديد من المعلومات السهلة الميسرة التى أفادتنا نحن بعد ذلك.

فمما ذُكر عن علاقة الشيخ حسن الجبرتى - والد مؤرخنا - برجال السلطة ؛ تلك الحكاية ذات المغزى العميق ، وهى أن الشيخ كان مرة راكباً على بغلته عائداً إلى بيته فإذا الأمير أحمد البارودى ماراً بموكبه فتحاير الشيخ عن الطريق ، ولكن سرعان ما نزل الأمير عن فرسه وخف إلى الشيخ يقبل يده ، فاستحيا الشيخ منه وأراد أن يقابل عطفه هذا بمأثرة يقدمها إليه ، فالتمس منه أن يقيد به أحد الطلبة ليقرئه الفقه فقيد به الشيخ عبد الرحمن العريشى شيخ رواق الشوام وشيخ الأزهر فيما بعد"

فى هذه البيئة ولد مؤرخنا عبد الرحمن الجبرتى فى عام ١١٦٧هـ /١٧٥٤م ، وكان الشيوخ من أصدقاء وتلاميذ أبوه يعلموه القراءة والكتابة ويحفظونه القرآن الكريم .وقرأ الشيخ حسن فى وجه ابنه مخايل النجابة ، فلم يجد بأساً من اختلاف الطفل الصغير إلى أحد الكتاتيب فى حى الأزهر حتى إذا يَفُع ؛ صار يختلف إلى مدرسة السنانية الواقعة فى رأس خطة الصنادقية ، وكلما انصرف من

المدرسة إلى المنزل ؛ وجب عليه أن يعيد على أبيه أو على أحد الأشياخ ما تعلمه فى يومه ذاك . وحسّن إليه أبوه - فيما بعد - أن يذهب إلى الأزهر ليتلقى العلم عن أساتذته ، وكان يذاكره الدروس منفردين فى غير ساعات الدروس ، ومن والده تعلم مؤرخنا كيف يستنبط الأمور ، ويربط بين الأحداث ومسبباتها مما زرع فيه بذرة المؤرخ الواعى الذى لا يكتفى بذكر الحدث ؛ بل يعلق عليه ويناقشه مما يكشف عن قدرات عقلية هائلة.

وتوفى والد مورخنا فى ١٨محرم ١١٨٨هـ/٣١مارس ١٧٧٤م بالغاً من العمر ٧٧عاماً وتاركاً لابنه عبد الرحمن أموالاً طائلة وكتباً كثيرة، كما ترك له من الصداقات المؤثلة فى صدور أقرانه من الأشياخ ومريديه من الطلبة وأصدقائه من الأمراء والكبراء ما هو أغلى من الثابت والمنقول . وانتقل مؤرخنا للعيش فى بولاق ، ولكن هذا لم يمنعه من المثابرة على الحضور إلى الأزهر والاختلاف إلى الحلقات ، ذلك إلى جانب ضبط العقارات والأملاك التى خلفها أبوه فى القاهرة وبولاق ومصر القديمة . كما قام فى العام الأول لوفاة أبيه بزيارة الوجه البحرى ، وقابل العديد من علمائه وزار الكثير من بلاده ؛ مما أعطاه علاقات أوسع وفتح عينيه على أمور أخرى لم يكن ليراها لو عاش فى القاهرة ولم يخرج منها ، وهذا ما نسميه " تركيبة المؤرخ عن تجربته الذاتية التى عاشها " .

كتابة الجبرتى للتاريخ :

كان الجبرتى تلميذاً للشيخ "مرتضى الزبيدى" وهو من كبار علماء عصره ، وفى يوم من أيام شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٠٣هـ / مارس ١٧٨٩م بعد أن ألقى الشيخ الزبيدى درسه ؛ انتحى بعبد الرحمن الجبرتى ودار بينهما الحوار التالى :

"يا حبيبنا أنت تعلم أن همنا لا يعدو خدمة العلم والعلماء ، ولما كان المرء قليلاً بنفسه كثيراً بإخوانه ، رأيت أنه ليس أوكد صلة بى منك لتكون لى عوناً على تحقيق أمر ذى بال" وأخبره أنه يحتاج إليه لمساعدته فى الترجمة لأعلام المائة المنصرمة من مصريين وحجازيين فوافق مؤرخنا مستجيباً لأمر أستاذه ، وكانت هذه هى البداية الحقيقية للجبرتى المؤرخ حيث أنه بعد وفاة الزبيدى علم بما لم يخبره به أستاذه ، وهى أن هذه التراجم كانت جزءاً من خطة لعمل كتاب للشيخ المرادى مفتى دمشق ، الذى أرسل إليه خطاباً وهدية ، طالباً منه أن يزوده بما كتبه هو والمرحوم "الزبيدى" ، ولكنه ما إن بدأ فى ترتيب الأوراق التى حصل عليها بالشراء من تركة أستاذه الزبيدى ؛ حتى وصله نعى الشيخ المرادى فى آخر عام ١٢٠٦هـ ، وبعد ذلك فترت همته وطرح تلك االأوراق فى زوايا النسيان حتى كادت تتناثر وتضيع.

ولم يرجع الجبرتى لكتابة التاريخ إلا فى فترة الحملة الفرنسية على مصر ، حيث كان يكتب يوميات الحملة فى كراريس و يسجل منشورات قادة الحملة الفرنسية ، ولكن عند مقدم العثمانيين بقيادة الصدر الأعظم " يوسف ضيا باشا" كتب الجبرتى "مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس" وأهداه إلى الوزير يوسف باشا ، واستهله بقوله "حمداً لمن جعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا ،وجعل الدولة العثمانية والمملكة الخاقانية بهجة الدين والدنيا " . وبعد ذلك اتخذ من مظهر التقديس نواة لكتابه العمدة والذى يصح أن نطلق عليه عمدة الكتب فى تاريخ مصر الحديث "عجائب الآثار فى التراجم والأخبار" .

ونحن لا نريد أن نزيد فى حديثنا عن مؤرخنا ؛ لأن هناك العديد من الكتابات عنه والتى وفته حقه وبالغت فى دوره والثناء عليه مما لم يعد معه مزيد ، .ولكن

أمامنا بعض القضايا التى نشير إليها ونطرحها للنقاش دون أن نعطى فيها قرار فمثل هذه القضايا تحتاج لطرح الآراء لأن بعضها يرتبط بما نحياه حتى الآن..

القضية الأولى وهى حياد المؤرخ :

وإلى أى حد يجب على المؤرخ أن يحتفظ بحياده ، ففى "مظهر التقديس" كان الجبرتى قلباً وقالباً مع العثمانيين ضد الفرنسيين ، ثم غير موقفه فى "عجائب الآثار" الذى أصبح على النقيض وحذف فيه الجبرتى الأشعار والمدح الذى قاله فى العثمانيين وقلبه هجاءً لهم ، فى نفس الوقت الذى زاد فى مدح إيجابيات الفرنسيين وحذف ما كان ينعتهم به من أقذع الصفات وأقسى السباب . فأين حياد المؤرخ ؟ كذلك تجرنا هذه القضية لأخرى فرعية وهى مدى علاقة المؤرخ بالسلطة وأثرها على كتابته للتاريخ ؟ فالجبرتى المؤرخ من خلال علاقته بالسلطة العثمانية ممثلة فى يوسف باشا مال إليهم ثم انقلب عليهم . فهنا نعتقد أننا بحاجة جادة إلى وضع أسس لهذه القضايا لإعادة التفكير العقلانى فيها ، وربما ننجح وبذلك ننقذ دارسينا مما هم فى من ازدواجية مخله .

القضية الثانية :

وهى التى يثيرها البعض عن الانبهار بالغرب وخاصة فى تلك الفترة ، نقصد فترة الجبرتى والحملة الفرنسية . فالبعض يتخذ من خلال موقف الجبرتى" المؤرخ والعالم" مع الفرنسيين من خلال ما كتبه فى عجائب الآثار دليلاً على الانبهار بالغرب وبمدى ما قدمه هذا الغرب من تحديث للفكر المصرى وغير ذلك من المصطلحات التى لا تتناسب مع الواقع . ولقد ناقش د/ مصطفى عبد الغنى هذه القضية قائلا . انها قضية يمكن فهمها إذا عرفنا أنه كتب "العجائب "تحت عدة

مؤثرات :

أولاً: أنه كُتب بعد خروج الفرنسيين من مصر بعدة سنوات (١٨٠١-١٨٠٥) وهى الفترة التى شهد فيها المصريون أعتى صنوف الإهانة والفساد على يد العثمانيين وأوباشهم من العائدين باسم المسلمين بعد خروج الفرنسيين .

ثانياً: أن الدعاية الفرنسية فى مصر استطاعت خداع عالم كبير مثل الجبرتى جعلته لا يرى فى قاتل كليبر إلا (آفاقى) وجعلته يرى مظاهر المحاكمة من مظاهر العدل ، وهى كلها أشياء انطلت على الكثيرين ، وخاصة ، أن الجبرتى كان أحد أفراد الديوان الذى ألف فى هذه الفترة، وقد كان يخصص لهم مخصصات مالية ضخمة، كما جاء فى "العجائب "إذ لا يمكن أن نتجاهل تأثير اختيار عدد من العلماء يوهمون أن الحكم فى البلاد لهم ثم يحصلون على مبالغ كبيرة . ولا نستطيع أن نتهم الجبرتى بالرشوة – بالطبع – غير أننا لا نستطيع أن نفسر موقفه الملاين أو المهادن دون أن نضع فى اعتبارنا عدة وسائل اتخذها الفرنسيون ، وقصد بها خداع العلماء ونجحوا فى ذلك لحد كبير .

ولكن كيف لم ينتبه الجبرتى لقضايا أهمها:

– كيف انطلت عليه المحاكمة ؟

– كيف لم يستطع أن يفهم دوافع الفرنسيين ؟

– كيف لم يشر ولو من طرف خفى ، إلى وحشية القتل وهو التعذيب الذى تعامل به الغرب مع سليمان الحلبى وشركائه ؟

ثالثاً:– بقى السبب المباشر الذى جعل الجبرتى يبدى الكثير من الانبهار الذى بدا أقرب من الإعجاب بالفرنسيين وهى حالة يمكن أن نلاحظها ببساطة عقب

خروج الفرنسيين من مصر ، ويمكن تفهمها من السبب الذى جعله يعارض ممارسات محمد على فى الحكم . فبينما أهم ما يميز الفرنسيين "الكفرة" رغم عقيدتهم الحرص على "العدالة " حتى ولو بمظهريه لم يراع الوالى الجديد ذلك . ولنا فى هذه القضية تساؤل هو هل نعتبر الجبرتى سلفى الفكر أم بداية للحداثة فى الفكر المصرى الحديث ؟ من هنا فقط يجب أن نبدأ لأن الإجابة على السؤال سوف تحل لنا هذه القضية بعمق .

- القضية الأخيرة :

نطرحها هنا فى سؤال - هل كان الجبرتى مؤرخاً طبقياً ؟ وإلا بماذا نفسر موقفه من الطبقات الدنيا بل والوسطى أيضاً فى المجتمع المصرى انذاك ؟ وهو موقف حاولنا قدر جهدنا الإجابة عليه بقليل من التفصيل فى الفصل الثانى.

غير أن هذه القضايا وغيرها كثير لا تقلل من قيمة مؤرخنا كأحد عمالقة التاريخ لمصرنا الحبيبة - فهى مجرد دعوى للتفكير المجرد من العواطف مع مؤرخنا والذى نعتقد أننا بالغنا كثيراً فى رفعة شأنه والحط من بقية المؤرخين السابقين له ، وهذا لا يحسب له فهو ليس نبتاً شيطانياً بل هو نتاج لسلسلة من المؤرخين المصريين . وكما تعلمنا فلابد للأتى أن يكون أفضل من اللاحق له لو نجح فى الاستفادة ممن سبقه ومن الظروف المحيطة به ، .وهذا هو ما نجح فيه مؤرخنا " عبد الرحمن الجبرتى".

أما عن وفاة الجبرتى فأصدق الروايات هى ما أورده المستشرق الانجليزى "إدورد وليم لين" فى قوله " أن الجبرتى مات سنة ١٨٢٥م أو سنة ١٨٢٦ بعد وصولى إلى القاهرة بفترة وجيزة ". وبذلك فلم يكن الجبرتى هو الذى قتل كما تقول بعض الروايات بل ابنه "خليل" والذى حزن عليه الجبرتى حزناً شديداً أذهب عنه بصره ، وتركه منزوياً غير قابل للكتابة ولا للاجتماع بالناس حتى توفى .

ثانيا- هذا الكتاب

هناك الكثير من الكتب التى دونت عن الحملة الفرنسية ، وبعضها لمؤرخين معاصرين وشهود عيان ، ولكن أى منها لا يقف على قدم المساواة مع مظهر التقديس ، فمثلا كتاب "ذكر تملك الجمهور الفرنساوية للأقطار "المصرية و الشامية " ومؤلفه نقولا الترك ، وكذلك كتاب آخر مخطوط عن الحملة ألفه ميخائيل صباغ ، وكلاهما خدم الفرنسيين وانحاز لهم ، ولذلك فكتاباتهم تنقصها الدقة والحيدة والإنصاف .

أما مظهر التقديس ، فهو وثيقة تاريخية نادرة يجب الحفاظ عليها بنصها وروحها ، كما أنه يحتوى على عدد من المنشورات والنصوص الرسمية التى نشرها الفرنسيون إبان فترة وجودهم فى مصر ، وهذه المنشورات ما كان لأحد أن يحصل عليها لولا الجبرتى ، ولا حتى فى محفوظات الحربية الفرنسية ، فالجبرتى احتفظ بتلك المنشورات بنسختها العربية ، وهى تختلف كثيراً عن النصوص الفرنسية لتلك المنشورات ، حيث أن النصوص العربية تحتوى على عبارات لم تدون فى الأصل الفرنسى ، كالتوحيد والإعلان عن حب الإسلام والمسلمين والرسول ولعن النصارى وإهانة البابا وغير ذلك.

أ- نسخ الكتاب :

والموجود من مظهر التقديس - على قدر علمنا وبحثنا - أربع نسخ ، منها ثلاث بدار الكتب المصرية ، والرابعة بسوهاج ، وقد أشرنا إليهم بالرموز أ، ب ، جـ، د وهاك تعريف بكل نسخة منها:

النسخة (أ):

وهى موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٣٠ تاريخ ومصورة على ميكروفيلم برقم ٢٩١٦٧ وهى تتكون من ٣٨٣ صفحة بما فيها صفحة العنوان ، وفى كل صفحة ٢٧ سطر ، ومتوسط الكلمات فى كل سطر ٧ كلمات ، ومتوسط عدد كلمات الصفحة ١٨٩ كلمة . وقد تم نسخ هذه المخطوطة فى يوم الأربعاء ١٧ رجب ١٢٩٣هـ / ٨ أغسطس ١٨٧٦م . ومقاسات هذه النسخة ٢٣,٥سم طولاً و١٥,٥عرضًا . وقد كتب على غلاف هذه النسخة "ملك الفقير إلى ربه الكريم يحيى حكيم" ، وعلى نفس الصفحة أيضا كتب "من مملوكات فقير رحمة ربه ، وأسير وصمة ذنبه ، أسير الهفوات ، كثير الخبوات ، رهين الذنوب والمساوئ ، رضوان ابن حسن بن على الحفناوى ، عفى عنه"

النسخة (ب):

وهى موجودة أيضاً بدار الكتب المصرية ، برقم ١٠١م تاريخ ، فى مجموعة مصطفى فاضل باشا ، كما أنها مصورة على ميكروفيلم برقم ٢٩٣٦٢ ونظام ترقيمها بالورقة وليس بالصفحة ، وتتكون من ١٤٦ورقة بما فيها ورقة العنوان ، وفى كل صفحة ٢٣ سطراً ، ومتوسط عدد كلمات السطر ١١كلمة ، ومتوسط عدد الكلمات فى كل صفحة ٢٥٣ أى ٥٠٦ كلمة فى كل ورقة وقد تم نسخ هذه المخطوطة فى غرة المحرم سنة ١٢٢٤هـ الموافق ليوم الخميس ١٦ فبراير ١٨٠٩م ، ومقاساتها ٢٤ سم طولاً و١٦سم عرضاً ، وعليها تمليكات وعبارات بصفحة العنوان هذا نصها :

"٨٥ قرش من تركة خليل رفعت باشا معتق خسرو باشا داماد حضرت

سلطان محمود خان رحمه الله". وكتب محل العنوان هذه العبارة : " استكتب هذا الكتاب الموسوم بمظهر التقديس بخروج دولة الفرنسيس وأنا الفقير مصطفى بهجت القاضى فى الماضى بحمد الله"، وعبارة أخرى فى النصف السفلى من الصفحة نصها: "من كتب الفقير عبد الحق رئيس الأطبا السلطانية محرم ١٢٥٠" وأسفلها عبارة أخرى نصها:" من ودايع الزمن لدى الفقير محمد عارف حلمى المشرّف برتبة القاضى بدار الخلافة العلية عفى عنه ٢٨ شوال ١٢٧٢".

النسخة (ج):

وهى موجودة أيضاً بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٢٨ تاريخ تيمور ، وهى مصورة على ميكروفليم برقم ٢٧٧١٢ . ونظام ترقيمها بالصفحة ، وعدد صفحاتها ٤٠٦ صفحة ، فى كل صفحة ٢١ سطر ، ومتوسط عدد الكلمات فى كل سطر ٩ كلمات ، بمتوسط ١٨٩ كلمة فى كل صفحة . والحقيقة أن أحداً من المحققين السابقين لم ينتبه إلى هذه النسخة ولم يستعن بها أحد من قبل ، مع أنها نسخة كاملة وواضحة ، ويرجع سبب ذلك إلى أن صفحة العنوان مكتوب عليها " الجزء الرابع من تاريخ الجبرتى" مما جعل الكثيرين يعتقدون أنها أحد أجزاء عجائب الآثار" وعلى هذه النسخة تمليك فى صفحة العنوان باسم "حسن بن محمد على بن أمين بن محمد أمين الجردلى الرومى المصرى" . أما ناسخها فهو محمد بن عيد البهيدى الأتميدى ، الذى انتهى من كتابتها فى سلخ جمادى الأولى سنة ١٢٤٠ هـ./٢٠يناير ١٨٢٥م .

النسخة (د) :

وهى موجودة بمكتبة رفاعة رافع الطهطاوى بسوهاج برقم ٢٠١ تاريخ ومصورة على ميكروفيلم بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية بالقاهرة تحت رقم

٤٨٣ تاريخ . وهى مكتوبة بخط حديث ، ومقاساتها ٢٣ سم طولاً و١٥ سم عرضاً . والمخطوطة بها نقص من الآخر بمقدار نصف الكتاب تقريباً ، حيث أن آخر يومية بها بتاريخ ٩ ربيع الأول ١٢١٤هـ وهذه اليومية خاصة بأسرى العثمانيين فى موقعة أبى قير البرية وحزن المصريين عليهم فيقول الجبرتى " فكفكف الناس دموعهم ، وكظموا غيظهم وطووا قلوبهم على حرقة الأسى ومرارة الأسف ، وأظهروا التجلد للعدو وقد طار من ..." وهذا آخر ما كتب فى هذه النسخة جدير بالذكر أن الناسخ - واسمه أحمد محمد رافع الطهطاوى الحنفى - قد ترك بعض الكلمات بدون كتابة وترك مكانها خالياً خاصة فى بداية اليوميات ومستهل الشهور ، ويبدو أنه كان ينوى كتابتها بالحبر الأحمر بعد الانتهاء من المخطوطة ، ولكن حدث ما منعه من استكمال العمل ربما توفى ، أو حدث له عارض ما . وبالإضافة إلى هذه النسخ المخطوطة ، فقد استعنا بكتاب " عجائب الآثار فى التراجم والأخبار" لنفس المؤلف ، لمقارنة المنشورات والنصوص التى يؤكد الجبرتى أنه نقلها بنصها فى الكتابين وقد فضلنا الاستعانه بأقدم طبعة موجودة لعجائب الآثار وهى طبعة بولاق عام ١٢٩٧ هـ ، جـ ٣ الموجود فى دار الكتب تحت رقم ١٠٦٢ تاريخ . كما حاولنا قدر الاستطاعة الاستفادة من النسخة التى ترجمت إلى التركية والموجودة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٣ تاريخ تركى خليل أغا . وهى مصورة على ميكروفيلم برقم ٣٠٩٣٨ فى ١٠٣ ورقة بمقاسات ٢٥,٥سم ×١٥ سم وبمعدل ٢١ سطر فى الصفحة ولكن على أية حال لم يمكن الاستفادة منها فى مقارنة النصوص والمنشورات لأنها مختصرة إلى حد ما ، وإن كنا قد استفدنا منها فى مقارنة بعض التواريخ والمعلومات العامة ، رغم وجود بعض الاختلافات فى المقدمة والخاتمة وبعض فقرات أخرى . وعلى غلاف هذه النسخة وقف من

خليل أغا لهذه النسخة على مكتبة مدرسته بجوار المشهد الحسينى.

ب- عنوان الكتاب:

ولو تناولنا مظهر التقديس بدراسة موجزة ، فإن أول ما نبدأ به هو العنوان ، فقد سُجل الكتاب فى فهارس دار الكتب تحت اسم "مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس "أما عنوان المخطوطة (أ) فهو "كتاب مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس" وأما النسخة (ب) فعنوانها "مظهر التقديس بخروج دولة الفرنسيس" وأما النسخة (جـ) فلا عنوان لها وقد ظن ناسخها أنها جزء من "عجائب الآثار"، فدوّن على صفحة العنوان أنها " الجزء الرابع من تاريخ الجبرتى" ، وأما النسخة (د) فلا عنوان لها أيضاً ، وقد حاول موظفى المكتبة وضع عنوان لها فكتبوا" تاريخ دخول الفرنسيس مصر وما حصل فى زمنهم" والواضح أن هذه العناوين من وضع النساخ وموظفى دار الكتب ، وهى ليست العنوان الذى قصده المؤلف والذى صرح به فى داخل الكتاب ، وفى جميع النسخ عند قوله عن كتابات الشيخ حسن العطار :" فضممت ما نمقه مع بعض من منظومه ومنثوره بحسب المناسبة إلى هذا السّفر ، لينتظم معنا فى سلك حَسن الذكر ، وسميناه "**مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس** ". فلا شك ان هذا هو العنوان الذى قصده المؤلف ، وهو الذى اعتمدناه عنوانا لهذه الطبعة ، دون اعتبار لما كتب على الغلاف أو فى فهارس المكتبات .

جـ- الأسلوب واللغة :

تتفاوت لغة الجبرتى قوة وضعفاً بشكل غريب ، فتارة يكتب بلغة عربية سليمة ، ويستخدم ألفاظاً عربية فصيحة ، لا تجدها فى أفواه العامة أو المثقفين فى يومنا هذا، ولا وجود لها إلا فى بطون المعاجم والكتب القديمة - وتارة يكتب

بلغة ركيكة مليئة بالأخطاء النحوية الممزوجة بالألفاظ الأعجمية والتراكيب الدخيلة على اللغة العربية ، ولا نزعم أنه قد وقع فى الخطأ ، بل هى فى الغالب أخطاء مقصودة ، وعامية عناها المؤلف وأرادها . فالجبرتى الأديب وعالم اللغة ، يسمو فوق كثير من شعراء عصره ، ويبدو شعره قوياً متماسكاً ، وتظهر دربته وخبرته بالعروض وبحور الشعر وموسيقاها كأنه الخليل فى زمانه ، ويتحدى بشعره أدباء عصره وفصحاء أهل زمانه ، ولكنه العصر ، هذا طابعه ، وتلك سماته ، وما كان الجبرتى لينسلخ عنه ، فيبدو عندئذ غريباً على العصر والناس وربما غريباً علينا أيضاً ..

ولقد حرص الجبرتى على أن يدون التاريخ كما هو من أفواه أصحابه، فى صورة شعبية صادقة ، فهو يستخدم لغة العصر ومصطلحاته ، وأسماء الحرف والصناعات والوظائف ، وكذلك أسماء الأماكن والمبانى والمنشآت ، فجاء كتابه بذلك مرضياً ومفيد للخاصة والعامة.

د- منهج الكتابة:

بدأ الجبرتى كتابة بديباجة فى فضل الدولة العثمانية ومآثرها وجهادها ، ثم فى كرامات اسم يوسف ، وكيف أنه اختص بمنقبة استخلاص مصر من أسر كل غاز ومستعمر . ثم عرض فى مقدمة موجزة لتاريخ مصر منذ الفتح العربى مروراً بعصر الطولونيين والإخشيديين والفاطميين ، ثم الأيوبيين والمماليك ، ثم الفتح العثمانى لمصر وكيف أن العثمانيين تركوا أمر مصر إلى المماليك الذين ركنوا إلى الراحة واللهو والترف حتى فاجأهم الفرنسيون وهم غير مستعدين.

ثم يبدأ المؤلف بعد ذلك فى استعراض الأحداث التى مرت بمصر من بداية الغزو الفرنسى إلى نهايته بأسلوب جديد مبتكر ، لم يسبقه إليه أحد ، فالسابقون

من مؤرخى العصر العثمانى ، وحتى مؤرخى المدرسة الإسلامية ، كانوا فى الغالب يكتبون بنظام الحوليات ، فيعرضون للأحداث حولاً بعد آخر ، وعلى أكثر تفصيل شهراً بعد آخر ، أما الجبرتى فإنه - إمعاناً فى الدقة واستقصاء الحوادث جليلها وحقيرها - قد كتب بنظام اليوميات ، بل إنه أحياناً يقسم اليوم على فترات ؛ فيكتب ما حدث فى صبحه فى يومية ، وضحاه فى يومية أخرى ، وكذلك فى مسائه وليلته . والحقيقة أن الذى شجعه وساعده على ذلك هو تراكم الأحداث وترادفها ، وأيضا ترابطها بما لا يدع مجالاً للحذف أو الاختصار ، حتى أنه يكتب بمعدل يوميتين لكل ثلاثة أيام تقريبا ، فقد كتب اكثر من ٧٠٠يومية لحوالى ١٠٠٠يوم.

وفى كتابته لليوميات ، لا يسير للجبرتى على نسق واحد فى التأريخ ، فتارة يذكر تاريخ اليوم من الشهر قائلا : وفى خامسه ، او عاشره ، أو تاسع عشره ، أو سابع عشرينه ، وتارة يذكر اسم اليوم فى الأسبوع قائلاً : وفى يوم السبت ، أو الاثنين ، أو الجمعة ، وتارة أخرى يذكر اسم اليوم ورقمه فيقول فى بداية اليومية مثلا : وفى يوم الأحد ثالثه ، أو الخميس ثالث عشرينه...، وقد يصعب على القارئ المتعجل أو المبتدئ تحقيق أى يوم اثنين أو أربعاء فى الشهر هو المقصود ، ولذلك فإن الجبرتى قد التزم بترتيب يومياته بحسب التسلسل التاريخى ، واتبع ذلك بدقة شديدة ، بحيث يسهل على القارئ استنتاج اسم اليوم إذا كتب رقمه . وفى حالات نادرة ، وجدت يوميات فى غير مكانها الصحيح من حيث الترتيب التاريخى الذى درج عليه المؤلف ، ولكن بتحقيق ذلك ، ودراسة الحدث ، ومقارنته بعجائب الاثار ، وجد أن اليومية فى مكانها الصحيح ولكن الناسخ أو المؤلف كتب التاريخ خطأ وبدون قصد. وعند تراكم يوميات اليوم الواحد ، اعتاد الجبرتى أن يذكر التاريخ فى اليومية الأولى ، ثم يستخدم فى اليوميات التالية عبارة "فى ذلك اليوم" أو عبارة "وفيه" ، وهذه الأخيرة هى الأكثر شيوعاً فى الكتاب ، وقد فهم البعض أن كلمة

"وفيه" تعنى "وفى الشهر" ولكنها فى الحقيقة تعنى "وفى اليوم السابق"أو "اليوم المذكور سابقاً " ولدينا على ذلك بعض أدلة :

أولاً: إن الجبرتى يدون تاريخ كل يومية فى أولها ، أما اليوميات التى لم يستطع إرجاعها إلى تاريخ يوم محدد ، فإنه يجمعها فى آخر كل شهر ، ويدونها بشكل مجمل ، حيث يقول فى آخر الشهر "وانقضى هذا الشهر وما تجدد به من الحوادث الكلية والجزئية التى لا يمكن ضبطها لكثرتها فمنها..." ويذكر الحوادث بشكل مجمل كما ذكرنا .

ثانياً: إن بعض اليوميات التى تبدأ – فى مظهر التقديس – بكلمة "وفيه" نجدها فى عجائب الآثار تبدأ بذكر اسم اليوم، وهو نفس اليوم الذى ذكر فى اليومية السابقة لتلك اليومية فى مظهر التقديس . فإحدى اليوميات على سبيل المثال فى مظهر التقديس ، تبدأ مؤرخة كالآتى:

"وفى يوم الأحد سافر هجان الى جهة الحجاز..." واليومية التالية لها مباشرة تبدأ بقوله:"وفيه نودى بعدم التعرض بالإيذاء لنصرانى أو يهودى..." ولأن الجبرتى قد حذف اليومية الأولى من عجائب الآثار ، فإنه كتب اليومية الثانية هكذا "وفى يوم الأحد نودى بعدم التعرض...."وهذا يؤكد ماذهبنا اليه من أن كلمة "وفيه" المقصود بها "اليوم المشار اليه سابقاً"

ثالثاً: إن الجبرتى – كما سبق أن ذكرنا– يتبع الترتيب التاريخى بدقة شديدة ، ولذلك فهو عندما يبدأ بقوله "وفي سادسه ..." ثم اليومية التى تليها بقوله "وفيه ..." ثم يومية أخرى بعدها مباشرة بقوله "وفى سابعه..." فلا شك إذن أن تاريخ اليومية الوسطى هو "سادسه " وهذا ما اتبعه المؤلف فى كتابيه مظهر التقديس وعجائب الآثار وحرصاً منا على عدم تكرار هذا الخلط ، فقد أرجعنا كل يومية إلى تاريخها فى اليوم والأسبوع والشهر والسنة، وذكرنا مقابلها فى التاريخ الميلادى باليوم

والشهر والسنة أيضاً ، ولم يأخذنا فى ذلك ملل ولا سأم ، ونرجو من القارئ أن يغفر لنا ذلك التكرار ، فإن هدفنا هو الدقة المتناهية ، وخدمة الباحثين الذين يطلبون يومية بعينها ، فلا يضطر للرجوع الى ما سبق من اليوميات ليعرف تاريخها كما أننا بذلك نحقق خدمة للباحثين فى " عجائب الآثار" أيضا ، حيث يمكنهم ضبط تواريخ اليوميات المتشابهة بين الكتابين من خلال هذا الجهد المتواضع الذى قمنا به.

هـ- الإملاء :

يمثل الإملاء وقواعده بالنسبة للقارئ فى نسخ المخطوطات الأربع لغزاً كبيراً، وبصفة خاصة كتابة الهمزات ، فالنسخة (أ) لا تضع الهمزات من أى نوع على الإطلاق ، اللهم إلا ثمانى همزات ، منها خمس فى كلمة "سوء"، ومرة واحدة فى كلمات "رئيس " و"برء" و"يبوء". أما النسخة (ب) فقد اهتم ناسخها بوضع الهمزات على كلمات بعينها ، وأغفل وضعها أو قلبها ياءاً فى كلمات أخرى ، وكذلك النسخة (جـ) ، والنسخة (د).

ومثلما أراح ناسخ المخطوطة (أ) نفسه ولم يضع الهمزات ، قام المحققون السابقون بعكس منهجه ووضعوا كل الهمزات ، ولو فعلوا مثل النسخة (أ) لكان أصوب ، إذا أرادوا ألا يجهدوا أنفسهم . فإن وضع الهمزات بدون قيد أو شرط يؤدى إلى تغيير الكثير من روح النص وأسلوب المؤلف ونطق الكلمات التى اهتم المؤلف بكتابتها باللهجة العامية . ومن أمثلة ذلك كلمة "الشراء" تكتب فى بعض النسخ "الشرا" وفى نسخ أخرى "الشرى" إذاً فالمقصود هو النطق العامى للكلمة بدون همزة وكذلك كلمة "إمضاء" ، تكتب "إمضا" أو "إمضى" وأيضاً كلمة الهدوء تكتب هكذا "الهدوّ" وتوضع الشدة فوق الواو لتاكيد النطق العامى ، وقس على ذلك

أمثلة كثيرة .

كما أن الجبرتى يكتب بأسلوب الجناس ، فى شكل جمل قصيرة آخرها مقفى وموزون ، فكلمة "القضاء " عندما تأتى قافية لكلمة "الرضى " فلا يجوز إذن أن نضع فى آخرها همزة وإنما تكتب هكذا "القضا" والأمثلة على ذلك كثيرة .

وبناء على ذلك ، فقد حرصنا على وضع ما كتب فى المخطوطات من الهمزات ، ولم نكتب غير ذلك إلا همزة القطع فى أول الكلمة ، لأنها تسهل القراءة ولا تؤثر على النطق عامياً كان أو فصيحاً . وقد لاحظنا أن أهم الكلمات التى تكتب بدون همزات فى جميع النسخ هى :الأمرا - العلما - الرؤسا - العقلا - الفقرا - البلا - ضعفا - قضا - استدعا [وأحيانا " استدعى" وهى اسم وليست فعلاً] - الافترا [وأحيانا الافترى] - سُودا- بيضا - حَمرا - إخفا[إخفى] - المجى - إغرا - الأربعا - الثلاثا - لقا - وكلا - لا يملك عشاه - ....الخ

وكذلك توجد الكثير من الكلمات التى تقلب فيها الهمزة إلى ياء حسب النطق العامى مثل: الرهاين - الجزاير - افتيات - قايقام - بوايك - مشايخ - طوايف - صنايع - فتايل - وكايل - ودايع - حقايق - ضرايب - عوايد - بضايع - فضايل - قراين - لوايح - جناين ....الخ . ولأن المخطوطات حرصت على كتابتها بهذا الشكل فقد نقلناها كما هى دون تغيير.أما الكلمات التى كتبت بالهمزة فى معظم نسخ الكتاب المختلفة فمنها : " جاء - الماء - مأسورات - إيذاء - وراء - ابناء - اطمئنان - الجائتى - اسماء - شؤون - يؤذن - سؤ - برء - يبوء . وهى كلمات يتغير شكلها إذا حذفت منها الهمزة ، وكذلك يلاحظ أنها تنطق بالهمزة فى اللهجة العامية أيضاً .

وما دمنا نتحدث عن الإملاء لابد أن نشير إلى هذه الملاحظات.

- النسخة (ب) أحياناً تضع الهمزات فى غير موضعها فمثلاً كلمة "أنشأ "

تكتب هكذا "انشاء" وكلمة " امرأة " تكتب "امراءة " وكلمة "مبدأ " تكتب "مبداء" .

– تعود المؤلف على دمج بعض الكلمات مثل " قايم مقام "تكتب "قايمقام" وهذا هو مصطلح العصر ، وكذلك كلمة "كل ما "تكتب "كلما" وإن كانت ليست قاعدة فى كل النسخ.

– تعود المؤلف على وضع فاعلين للفعل كقوله "وذهبت الناس" "وجاءوا المسلمون" ، "وقالوا الفرنسيس" فحرصنا على أن تبقى كما هى .

– النسخة (ب) تكتب أحياناً التاء المربوطة مفتوحة ، وتكتب التاء المفتوحة مربوطة مثل "حضْرِت الصدر الأعظم" والصواب "حضْرِة" أومثل "حَضَرَة الفرنسيس" والصواب "حَضَرتِ"... وهكذا فى أمثلة كثيرة.

– أيضاً النسخة (ب) تكتب الهاء فى كلمات "عاشره – تاسع عشره – خامس عشرينه – ...تكتبها تاءً مربوطة هكذا عاشرة – تاسع عشرة – خامس عشرينة . وفيما عدا ذلك فان جميع النسخ تفرق بدقة بين الهاء والتاء المربوطة.

و- الطبعات السابقة :

بعد أن انتهى الجبرتى من إعداد "مظهر التقديس"قدمه للوزير يوسف باشا ، الذى حمله معه إلى السلطان ، فأمر السلطان بترجمته الى التركية ، وانتشر الكتاب بين الأتراك أكثر من انتشاره بين المصريين ، والنسخة (ب) كما رأينا معظم من تملكها من الأتراك ، ولقد ظل الكتاب محظوراً في مصر ، ولم ينشر هو أو "عجائب الآثار " طوال عهد محمد على وعباس، وبذلت محاولات لنشر "عجائب الآثار" فى عهد سعيد وإسماعيل ولكنها فشلت ، ثم طبع عجائب الآثار للمرة الاولى فى عام ١٢٩٧هـ /١٨٨٠م فى المطبعة الأميرية ، ثم توالت الطبعات . أما

"مظهر التقديس" ، فلم يتم نشره فى مصر إلا فى أواخر الخمسينيات ، ثم طبع مرتين بعد ذلك ، وهذا بيان تلك الطبعات :

١- طبعة دار المعارف :

قامت دار المعارف بنشر "مظهر التقديس "فى طبعة شعبية غير محققة ، ونشرته على جزأين فى سلسلة "اخترنا لك " فى العددين ٥٩، ٦٠، وذلك فى عام ١٩٥٨م.

٢- طبعة وزارة التربية والتعليم :

ثم قامت وزارة التربية والتعليم بنشر الكتاب للمرة الثانية فى جزأين أيضاً ، وذلك فى عام ١٩٦١، ولكن هذه الطبعة محققة ،وقام بتحقيقها أربعة من موظفى الوزارة هم: أحمد زكى عطية ، عبد المنعم عامر ، محمد فهمى عبد اللطيف ، حنفى عامر . وهذه الطبعة هى أكمل الطبعات الثلاث ، ولكنها مع ذلك لا ترقى إلى درجة التحقيق العلمى الدقيق . ونحن لا ندعى ذلك ولا نزعمه، فذلك هو الواقع فعلاً ، ولانهدف بذلك إثبات أهمية ما قمنا به من جهد ، فما قمنا به سنتركه يتحدث عن نفسه ، أما تلك الطبعة ، فمليئة بالأخطاء المنهجية والتاريخية. وهذه دراسة موجزة لطبعة وزارة التربية والتعليم ، لكى يقف من يقرأها أو يقتنيها على ما فيها من أخطاء فلا يكررها ، ونرجوه أن يصححها فى نسخته خدمة للعلم وللبحث العلمى.

أولاً: توجد بعض فقرات ناقصة فى هذه الطبعة ، منها على سبيل المثال ، ثمانية عشر بيتاً من الشعر من قصيدة السيد على الصيرفى التى ألقاها فى مدح أحمد باشا الجزار، وقد أشرنا إليها فى هامش كتابنا هذا فى موضع النقصان،

والنقص فى طبعة التربية والتعليم بالجزء الأول صـ٢٠٠ كما توجد عبارات أخرى ناقصة منها فى الجزء الثانى ص٩١ عبارة كتبت هكذا "وخرج على باشا المذكور صحبة مولانا حضرة الصدر الأعظم" والصواب أن نص هذه العبارة هكذا "وخرج على باشا المذكور مع من خرج من الشام ، ووردت العساكر الاسلامية صحبة مولانا حضرة الصدر الأعظم"وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

ثانياً: توجد فقرات زائدة ، وهذا هو الغريب فى الأمر، فمن السهل نسيان فقرة ولكن كيف تضاف يومية كاملة إلى المتن ؟ ذلك هو اللغز، ففى الجزء الأول ص ٢١٤، كتبت يومية نصها"وفى يوم الأربعاء سادسه، عمل الشيخ المهدى وليمة عرس لزواج أحد أولاده، ودعا صارى عسكر وأعيان الفرنساوية فتعشوا عنده وذهبوا"وهذه اليومية غير موجودة أصلا فى جميع نسخ مظهر التقديس، ولكنها موجودة فى عجائب الآثار، وحل هذا اللغز، أن المحققين – والعلم لله – بدأوا فى التحقيق ناقلين من عجائب الآثار، ثم قارنوا ما نقلوه بنسخ مظهر التقديس ، وحذفوا اليوميات غير الموجودة فيه، ولكنهم سهوا عن تلك اليومية فلم يحذفونها، وإلا فما هو تفسير وجود هذه اليومية فى مظهر التقديس ؟! ويؤكد ذلك انهم ذكروا بعض المعلومات الخاطئة عن نسخ المخطوطات وكأنهم لم يروها إلا مرات معدودة، أو بما لم يروا بعضها البتة، فذكروا أن النسخة (أ) عدد كلمات كل سطر فيها ٦ كلمات، والحقيقة ان متوسط عدد الكلمات فى كل سطر هو ٧ على الأقل، ومن النادر أن تجد سطراً به ٦كلمات ، وكذلك ذكروا عن النسخة (ب) أن عدد سطورها يتراوح بين ٢٢-٢٤سطر، والحقيقة أن عدد السطور فى كل صفحة هو ٢٣سطراً لا يزيد ولا ينقص . أما النسخة (جـ) فلم يطلعوا عليها ولم يسمعوا عنها ، وأما

النسخة (د) فيبدو أنهم لم يروها ولم يستعينوا بها، ولو رأوها واستعانوا بها لذكروا رقمها فى مكتبة رفاعة ، أوفى معهد المخطوطات ، أوذكروا عدد صفحاتها أو سطورها كما فعلوا مع النسخ الأخرى ، التى وصفوها وصفاً دقيقاً، بل إن الأكثر غرابة أنهم ذكروا أنها ناقصة من الآخر بمقدار١٢ورقة مع أن النقص فيهالا يقل عن ١٥٠ ورقة بأى حال

ثالثاً: توجد بعض كلمات ناقصة فى هذه الطبعة، وهذا بيان ببعضها وليس كلها :

فى جـ١ ص٣٢ " فأنزل عليه " والصواب " فأنزل الله عليه " وفى نفس الصفحة " معاوية " والصواب " معاوية عليه السلام " ، وفى جـ ١ ، ص ٦٠ " العثملى دام بقاه "والصواب "العثملى محبنا دام بقاه " ، وفى نفس الصفحة أيضاً " كل قرية تطيع " والصواب " كل قرية التى تطيع " ، وفى جـ ١ ص ٦٤ " غرة صفر " والصواب " غرة شهر صفر " ، وفى ص ٧٨ "فغابا وعادا" والصواب " فغابا وغابا وعادا " وفى ص ١٢٢ " مائة " والصواب " ماية ألف" ، وفى ص ١٤٣" ما فعلتم نادمين " والصواب " ما فعلتم فى أنفسكم نادمين " وفى ص ١٥٧ " جماعة من الفرنساوية من قطاع الطريق " والصواب " جماعة من الفرنساوية، خوفاً من قطاع الطريق "وفى ص ١٥٨ "يجتمعوا عليه من أمثاله " والصواب " يجتمعوا عليه ما هو من أمثاله . وفى جـ٢ ص ٥٤ " النصرة لله يريد " والصواب " النصرة لله الذى يريد " وفى ص ١٠٠ "قبضوا عليه وكرتنوه " والصواب " قبضوا عليه وأدخلوه الدار وكرتنوه " .

رابعاً : توجد بعض الكلمات التى قرأها المحققون لطبعة التربية والتعليم خطأ ، ومن ثم دونوها خطأ ، فذهبت بالمعنى بعيداً وفى هذا الجدول بيان بعضها.

طبعة التربية والتعليم

جـ	صـ	الكلمة الخطأ	فى هذا الكتاب طبقاً للأصل
١	٤٠	"الفرنساوى الذى يكون فى أذنه قرط أمه اصلها من المأسورات"	"الفرنساوية التى يكون فى أذنها قرط أصلها من المأسورات"
"	٦٧	"فان التوحيد لا تقوله اليهود بالتثليث"	"فان اليهود لا تقول بالتثليث"
"	٦٣	"الخيالات"	"الخبالات"
"	٦٨	"بيع رطل البارود"	"يباع الرطل البارود"
"	١٠٤	"الأحمال"	"الأعمال"
"	١٠٩	"يسخرون"	يسرخون [أى يصرخون]
"	١١٨	"وغير وا فيمن غير"	"وغبروا فيمن غبر"
"	١٢٤	"الضبط والاحصاء"	"الضبط والحصر"
"	١٢٤	"الحمامات"	"الحماميم"
"	١٣٨	"مسجد المقس"	"مسجد المنسى"
"	١٥١	"حسين بيك"	حسنين بيك
"	١٥٧	"ومدراسة"	"ومدارسة"
"	١٦٦	"فى مصرنا بين"	"فى مصر مابين"
"	١٧٢	"موافع"	"مدافع"
جـ٢	٤٣	"مراتع الظباء الترك"	مراتع لظبا الترك
"	٦٢	"النيل قصر مدة"	"النيل قصر مدّه"
"	٨٨	"بأسرها حسن تام"	"بأمر حسن تام"
"	٩٣	"استوفر الخازندار"	"استوف الخازندار"
	١١١	"بمعية قايد ألف"	"بمعية ماية ألف"
	١٦٣	المحدودة	"الممدودة"

خامساً: عدم التزام المحققين بكثير من الخطوات والاجراءات المنجهية ، ومنها عدم تدوين أرقام صفحات المخطوطة ، والتغاضى عن شرح كثير من المصطلحات والتراكيب اللغوية التى استعملها الجبرتى ، وحتى المصطلحات التى شرحوها جاء معظمها خطأ أو غير مطابق لمفهوم العصر فمثلا : كلمة "المنسر" شرحوها على أنها تعنى فرقة من الجيش ، وهذا هو المغنى فى المعاجم ، ولكن عند عامة الشعب وعند الجبرتى فهى تعنى عصابة منظمة من اللصوص ، وكذلك عدم إرجاع كثير من الآيات القرآنية إلى سورها ورقمها كما هو معتاد ، وبعض الآيات يذكرون اسم السورة دون ذكر رقم الآية ، وكذلك عدم تصحيح الآيات القرآنية التى كتبها الناسخ خطأ ، راجع مثلا جـ ٢، صـ ١٦٣

سادساً: شرح الكثير من الكلمات التى لا تحتاج الى شرح حتى أن أكثر من نصف هوامش الكتاب من هذا النوع ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: كلمة التحيل بمعنى الاحتيال ، الرزية بمعنى المصيبة ، البكور بمعنى التكبير ، الهجن بمعنى الجمل، الالحاد بمعنى الكفر، الخزلان بمعنى الهزيمة ، العيال بمعنى الأسرة ، المسالك بمعنى الطرق ، العقود بمعنى أنها جمع عقد وهو ما تحلى به المرأة جيدها ، والأجناد بمعنى الجند، وغير ذلك من المعانى التى يفهمها طالب الإعدادى والابتدائى بدون شرح أو تفسير .

سابعاً: عدم الحفاظ على أسلوب المخطوطة ، فمع أن المحققين ذكروا فى مقدمتهم أنهم حرصوا على أن "يخرج الكتاب بأسلوب الجبرتى نفسه ، حتى يكون صورة لعصره فى الأسلوب كما هو صورة تاريخية للوقائع ، وألا تُمس عبارته التى تحوى بعض الاخطاء النحوية " [جـ١صـ١٦] إلا أنهم لم يلتزموا بذلك على الإطلاق ، وشوهوا أُسلوب الجبرتى، فكتبوا مظهر التقديس بأسلوبهم، وصححوا أخطاءه النحوية والإملائية، وخدعوا القارئ والباحث الذى يرغب فى دراسة لغة

الجبرتى وأسلوبه . فهذه النسخة لا يصح الاعتماد عليها لدراسة لغة الجبرتى أو عصره ، وهذه بعض الامثلة التى تؤكد ذلك : فمنها تغيير نطق أسماء البلدان مثل "طندتا" يكتبونها " طنطا "، و "دجرجا " يكتبونها "جرجا "، وكذلك تغيير نطق وكتابة الشخصيات والأعلام مثل كلمة " بونابارتة " يكتبونها "بونابرت" أو "بونابرته " ، وكلمة " كلهبر" يكتبونها "كليبر" ، "منوا " يكتبونها "مينو" ، "دبوى "يكتبونها "ديبوى" ، لقب "بيك "يكتبونه "بك"

أما تصحيحهم للأخطاء الإملائية، فقد زاد عن الحد وانقلب إلى الضد، ومن أمثلة ذلك قول الجبرتى "فلا تصدقوه" يحولونها إلى"فلا تصدقونه " وقوله "المفتربين "تحول الى"المفترين" وقوله "فليورونا" تكتب "فليرونا"وقوله "ثلاثة ساعات" تصحح إلى"ثلاث ساعات"وقوله "بتاع المماليك" تصحح الى"الخاصة بالمماليك"وقوله "الساعة اثنين"تحول الى"الساعة الثانية"وقوله "الاماكن المحازين"تصحح إلى"الأماكن المحاذية" وقوله "مهندسين الحروب" تصحح"مهندسى الحروب" وهم يفعلون ذلك دون دون أدنى إشارة إلى ما قاموا به من تغيير، بل انهم يؤكدون فى المقدمة أنهم حافظوا على النص بأخطائه وأسلوبه .

ثامناً: إنهم اعتمدوا فى تحقيق مادة الكتاب ووقائعه على كتاب واحد، هو تاريخ الحركة القومية للرافعى ، بل انهم ينقلون صفحات مطولة منه ببنط المتن، تكاد تختلط على القارئ فيحسبها من متن مظهر التقديس.

تاسعاً: إنهم ذكروا فى المقدمة أنهم اعتمدوا على النسخ الثلاث للكتاب، ولكنهم مع ذلك لم يقارنوا بين نسخ الكتاب، ولا توجد ادنى اشارة فى هوامشهم إلى تلك المقارنة، والحقيقة أنه لم تتم هذه المقارنة بدليل كثرة الكلمات الناقصة والفقرات المفقودة، وقراءة الكلمات خطأ لأن الكلمة قد لا تكون واضحة فى إحدى النسخ، ولكنها واضحة فى نسخة أخرى.

عاشراً: أما أكبر عيوب هذه الطبعة فهو عدم الدقة فى ضبط التواريخ الميلادية وحساب أيام الأسبوع، فتواريخ الجبرتى لا تتفق فى بدايات كثير من الشهور العربية مع ما ذكره محمد مختار باشا فى كتابه "التوفيقات الإلهامية" ومع ذلك فهم يعتمدون على مختار باشا فى التحويل إلى التواريخ الميلادية، ولذلك جاءت تواريخهم غير دقيقة خصوصاً فى شهرى ذى القعدة وذى الحجة ١٢١٣هـ ، فشهر ذو القعدة عند الجبرتى يبدأ بيوم الأحد ٧أبريل ١٧٩٩م وعند مختار باشا يبدأ بيوم السبت ٦أبريل ١٧٩٩م، أما عندهم فشهر ذو القعدة يبدأ بيوم الأحد ٦ أبريل "هكذا" وكذلك بقية تواريخ الشهرين لا تتفق فيها أيام الاسبوع مع تواريخ الشهر. إلى جانب ذلك، فإنهم حسبوا بعض التواريخ خطأ حتى تلك التى اتفق فيها الجبرتى مع مختار باشا صاحب "التوفيقات الإلهامية" بل إن اليومية الأولى من يوميات الجبرتى عن الحملة بها خطأ فى التاريخ لم يلحظوه.

٣- طبعة لجان البيان العربى:

وقبيل نهاية الستينيات تم نشر الكتاب فى طبعة محققة، نشرتها لجنة البيان العربى، وحققها حسن محمد جوهر وعمر الدسوقى ونشرت عام ١٩٦٩م فى جزء واحد، وهذه الطبعة لا ترقى من حيث المنهج العلمى ودقة التحقيق إلى مستوى طبعة وزارة التربية والتعليم، فقد ذكر المحققان أنهما اعتمدا على نسخة خطية بدار الكتب، وقد استنتجنا أنها النسخة (ب) لتكرار أخطاء تلك النسخة فى طبعتهم، والتى من أهمها فقدان ١٨ بيتاً من الشعر من قصيدة السيد على الصيرفى السابق الإشارة إليها، كما أن جميع الهوامش التى دوناها هنا فى هذا الكتاب خاصة بالأخطاء الموجودة فى النسخة (ب) هى نفسها الأخطاء الموجودة فى طبعة لجنة البيان العربى . ومن الأخطاء المنهجية فى هذه الطبعة أيضا، أنه لا توجد

عناوين أو بدايات للشهور حتى تلك العناوين التى وضعها الجبرتى ، وهذا مما يصعب مهمة الباحث عن يومية بعينها كما أنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء ضبط التواريخ أو تحويلها إلى مقابلها من التواريخ الميلادية . ومن عيوب هذه الطبعة أيضاً أنه لا توجد دراسة لمؤلف المخطوطة، ولا لعصره ولا الكتاب وظروف تأليفه، ولا نسخ المخطوطات أو مكانها أو رقمها فى فهارس المكتبات أو الطبعات السابقة للكتاب . وجدير بالذكر أنهم تجاهلوا الإشارة إلى طبعة التربية والتعليم ، واكتفوا بالقول أن الكتاب نشر فقط فى طبعة شعبية [طبعة دار المعارف] .

ونتيجة لكثرة الفقرات الناقصة فى النسخة(ب) التى اعتمدوا عليها ، فقد حاول المحققان وضع تكملة الفقرة من عندهم بما يتفق مع السياق، وفى الغالب كانت التكملة غير مطابقة للمعنى الذى أراده المؤلف، وهاك أحد الأمثلة:فى النسخة (ب) يقول الجبرتى "وفيه كتبوا أوراقا ولصقوها بالأسواق تتضمن العفو، والتحذير من إثارة الفتنة، وأن من قتل من المسلمين فى .." وتنتهى اليومية عند هذا الحد، ولما حاول المحققون تكملة اليومية قالوا : "وأن من قتل من المسلمين فى هذه الأيام فلما ارتكبوه من معصية أو ماشابه ذلك"(ص٨٨) ولكن التكملة الصحيحة طبقاً لباقى النسخ هى "وأن من قتل من المسلمين فى نظير من قتل من الفرنسيس".

أضف إلى ذلك كثرة الأخطاء المطبعية، وتفسير بعض الكلمات خطأ، أو قراءتها من الاصل خطأ، فالجبرتى يصف الفرنسيين عند دخولهم الأزهر "بالوعول" ورغم وضوح الكلمة فى النسخة (ب) ؛ إلا أنهم قرأوها "الدعور "واكدوا فى الهامش على أنها هكذا فى الاصل وأن "دعور" جمع داعر، والداعر هو الفاسق، وذهبوا بالكلمة مذهبا أخر. وكذلك كلمة "زعر"يقرأونها "دّعر" (ص٧٨) ويؤكدون هذا النطق بتشديد الدال وكذلك عبارة "البغال الفارهة" يحولونها إلى "بغال القاهرة" والخلاصة أن طبعة لجنة البيان العربى ليست إلا نشراً للمخطوطة (ب)

مع شـرح بعض كلماتـهـا ، وتعديل أسلوب الجـبرتى وتصـحـيح الأخطاء النحـوية والإملائية فى متن الكتاب وإغفال الإشارة إلى التصحيح ، ولقد بالغوا فى تصحيح لغة الجبرتى وأسلوبه حتى بعدوا به عن روح العصر وأغفاله أحياناً.

ز- دراسة مقارنة بين مظهر التقديس وعجائب الآثار:

أولاً: مقارنة إحصائية :

من خلال القراءة المتأنية لمظهر التقديس والجزء الثالث من عجائب الآثار، تكشفت لنا عدة حقائق نوجزها فيما يلى:-

١- يتكون مظهر التقديس من ٦٨٣يومية تؤرخ للفترة من بداية الاحتلال فى المحرم ١٢١٣هـ، وحتى نهاية شعبان ١٢١٦هـ وفى نفس هذه الفترة الزمنية دون الجبرتى ٧٧٨يومية فى عجائب الآثار بفارق ٩٥يومية بين الكتابين.

٢- توجد ١٠١يومية وردت فى عجائب الآثار ولم ترد فى مظهر التقديس ، منها ٥٥ يومية خاصة بمشاغبات الجنود الاتراك ونبهم الاسواق والمحلات، وكذلك تتناول الغرامات والضرائب التى فرضت بعد عودة العثمانيين ومنها ٤ يوميات خاصة بإنشاءات الفرنسيين وأعمالهم العلمية .ومنها ٦يوميات ذات صلة بموقف الجبرتى من الفرنسيين أو العثمانيين.ويومية واحدة خاصة بتجنيد الأقباط فى الجُيش الفرنسى وباقى اليوميات وعددها ١٦ يومية متنوعة فى موضوعات لا علاقة بالفرنسيين أو العثمانيين ويبدو أن بعضها سقط سهواً من مظهر التقديس فتداركه الجبرتى فى عجائب الآثار. ومنها ١٩ يومية تراجم لأشخاص مختلفين .

٣- يوجد بمظهر التقديس ٧ يوميات، غير موجودة فى عجائب الآثار، ومعظمها خاص بمدح الجبرتى للوزير العثمانى يوسف باشا وبعض كتابات

الشيخ حسن العطار.

٤- يوجد بمظهر التقديس ٥٩ يومية، وردت فى عجائب الآثار مختصرة أو محذوف منها فقرات، وهى الفقرات الخاصة بمدح الوزير ورجال دولته، أو المبالغة فى الهجوم على الفرنسيين دون مبرر.

٥- يوجد بمظهر التقديس ٦٧ يومية، وردت فى عجائب الآثار مفصلة ومضاف إليها فقرات، وهى الفقرات الخاصة بإنشاءات الفرنسيين وعلومهم وقوانينهم ومسرحهم ومكتبتهم، وبعضها خاص بأفاعيل الجند العثمانى وقبيح خصالهم وأخلاقهم.

٦- يوجد بمظهر التقديس ٩٢يومية، أعيد صياغتها فى عجائب الآثار، لكى تبدو أكثر حيدة وموضوعية، فحذفت منها كلمات الشتائم والسباب التى وجهها المؤلف للفرنسيين مثل "الكافر واللعين والخبيث"، ومنها تبديل عبارة "حضرة الصدر الأعظم" بكلمة "الوزير" و"الدولة العلية" بكلمة "العثمنلية" وغير ذلك .

٧- يوجد بمظهر التقديس ١٨٤يومية متطابقة تماماً مع عجائب الآثار، حيث نقلت إليه بالنص، كما توجد ٢٧٦يومية متشابهه بين الكتابين مع اختلاف بسيط فى كتابة بعض الكلمات التى لا تؤثر على المعنى العام لليومية.

٨- والخلاصة، فإن الجبرتى كتب ٧٨٥ يومية للتأريخ للفترة المشار إليها وبيانها كالتالى ١٠١ يومية موجودة فى عجائب الآثار وغير موجودة فى مظهر التقديس و٦ يوميات موجودة فى مظهر التقديس وغير موجودة فى عجائب الآثار ومجموعها ١٠٧ يوميات بنسبة ٦٣ر١٣٪ و٢١٨ يومية تناولها الجبرتى بالاختصار والإضافة وتعديل الصياغة بنسبة ٧٧ر٢٧٪ مجموع المعدل والمحذوف تماماً ٣٢٥ يومية بنسبة ٤٠ر٤١٪ وهناك ١٨٤ يومية متطابقة فى الكتابين و٢٧٦ يومية متشابهة بمجموع ٤٦٠يومية وبنسبة ٦٠ر٥٨٪ . وعلى ذلك فإن المتشابه فى

الكتابين يزيد عن النصف قليلاً والمختلف والمعدل والمحذوف يقل عن النصف قليلاً ولذلك فالكتابين معاً يكمل أحدهما الآخر، ولا يغنى أحدهما عن الآخر، وقد وضعنا هذه الحقيقة نصب أعيينا، فأشرنا فى هوامش هذا الكتاب إلى معظم المحذوف والمعدل، لكى تبدو هذه النسخة التى بين يدى القارئ وكأنها الكتابين معاً فى كتاب واحد.

ثانياً:موقف الجبرتى من الفرنسيين بين مظهر التقديس وعجائب الآثار:

أشار الجبرتى إلى الفرنسيين كجماعة ٣٨٢مرة فى مظهر التقديس، واختلف المسمى الذى أطلقه عليهم حسب المناسبة والزمن، فمن حيث المناسبة فإنه يذكرهم بألفاظ الكفرة والملاعين وغير ذلك فى حالة قيامهم بعمل لا يرضى عنه، أو يذكرهم باسم الفرنسيس أو الفرنساوية فى الأحداث العادية . أما من حيث الزمن ، فهو يستخدم كلمة"الإفرنج"كثيراً فى الشهور الأولى من الحملة، وكأنه لم يستطع أن يفرق بين الفرنجة الصليبيين والفرنسيين الجدد، ولكنه بعد ذلك يكثر من استعمال كلمة الفرنسيس، وفى آخر الكتاب تظهر كلمة الفرنساوية.

وبصفة عامة فإنه أشار إليهم ٣٨٢مرة ، منها ٢٦٩مرة باسم الفرنسيس، و٦٤مرة باسم الفرنساوية و٣٤مرة باسم الفرنجة أو الإفرنج ، و١٥مرة باسم الكفار أو الملاعين أو اللئام أو جند إبليس، وهذه الخمسة عشر الأخيرة هى الفارق بين مظهر التقديس وعجائب الآثار، فقد حذف الجبرتى أربعة عشر سبة منها، وأبقى واحدة هى"جند إبليس"التى وصفهم بها عند دخولهم الأزهر. وعلى ذلك فان

الجبرتى قد غير موقفه من الفرنسيين فى عجائب الاثار حيث حذف ألفاظ السباب الموجهة اليهم كجماعة ، كما حذف أيضاً ألفاظ السباب الموجهة إلى أشخاص قادتهم [لعن نابليون مرتين وكليبر مرتين ومجلون مرتين]، وكذلك غير كلمة " الفرنجة " إلى "الفرنسيس" فى حالات كثيرة كما أضاف يوميات خاصة بأعمالهم وإنجازاتهم وكتبهم وعلومهم ولم يغير الجبرتى موقفه من الفرنسيين فى موقفين هما : عند دخولهم الجامع الأزهر، وفى مسأله الانحلال الخلقى التىنشروه بين المصريين، فهذا الموضوع بالذات أصر عليه، وازداد تمسكاً به، فهو يأخذ على الفرنسيين خلاعتهم ومجونهم ، كما يهاجم الأقباط وبعض العامة الذين سايروهم فى ذلك .

ثالثاً: موقف الجبرتى من العثمانيين :

هناك تباين شديد بين موقف الجبرتى من العثمانيين فى عجائب الآثار ومظهر التقديس، فبينما هو يمدحهم ويثنى عليهم فى مظهر التقديس، إذا هو يهاجمهم ويصفهم بأقبح الصفات فى عجائب الآثار.فالعثمانيين فى مظهر التقديس هم الدولة العلية المدافعة عن الدين لطرد المشركين من مصر، وسلطانها هو الخاقان الأعظم، ووزيرها هو الصدر الأعظم ، ورجالها خير الرجال وبواسل الأبطال أما فى عجائب الآثار فهم الترك المتخلفين وسلطانهم الضعيف المتخاذل ، ووزيرهم الجبان الذى يفر دون قتال ، والظالم الذى عسف بالقرى الشامية والمصرية، ورجاله وجنودة مجموعة من اللصوص والمرتشين، لا أخلاق لهم ولا دين

رابعاً: موقف الجبرتى من المصريين :

يتحامل الجبرتى فى معظم كتاباته على عامة المصريين، ويصف مشاركتهم فى ثورتى القاهرة بأنها كانت أعمالاً همجية غير منظمة، كما يتحامل على الأقباط ، وخاصة من خرج منهم من الصف وانضم إلى العدو مثل يعقوب ورجاله، كما يهاجم العربان ويصفهم بأنهم مجموعة من اللصوص الذين لا مبدأ لهم ولا عهد ولا أمان لهم وكذلك يتحامل على المماليك ويحملهم السبب فى دخول الفرنسيين، وإن كان تحامله عليهم فى مظهر التقديس أخف حدة من عجائب الآثار . أما الزعماء من العلماء والمشايخ والأعيان، فقد انصفهم الجبرتى، وإن كان سبب ذلك أنه واحد منهم، ومع ذلك فانه قد تحامل على بعضهم مثل السيد محمد كريم على سبيل المثال. والخلاصة أن تغيير المواقف كان بالدرجة الأولى مقتصراً على الفرنسيين والعثمانيين.

ح- خطة التحقيق:

ولقد اتبعنا فى تحقيق هذا الكتاب الخطوات التالية:-

١- مقارنة النسخ ببعضها من أجل الخروج بنص كامل.

٢- مقارنة "مظهر التقديس" "بعجائب الآثار".لضبط النصوص والمنشورات وتوضيح الاختلافات بين الكتابين .

٣- ضبط البلدان والأعلام والمصطلحات التاريخية واللغوية.

٤- ضبط التواريخ ومقابلتها بالتواريخ الميلادية.

٥- تقديم دراسة موجزة عن المؤرخ والعصر والمخطوط.

تـــمـــهـــيـــد (١)

بسم الله الرحمن الرحيم، [وبه ثقتى ورجائى](٢) حمداً لمن جعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، وجعل الدولة العثمانية (٣) والمملكة الخاقانية ،(٤) بهجة الدين والدنيا . وصلاة وسلاماً على من نصر بالرعب

١- العنوان من وضع المحققين ويبدأ متن الكتاب فى جميع النسخ من الصفحة رقم (٢) ولكننا سوف نلتزم بالإشارة إلى صفحات النسخة (أ) فقط. .

٢-الفقرة بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من بقية النسخ .

٣-قامت الدولة العثمانية كأحدى إمارات الغز فى أواسط آسيا الصغرى وكانت لهذه الإمارة أهمية استراتيجية مكنتها من التوسع على حساب جيرانها، وأخذت فى التوسع فى الأناضول والاتجاه بعد ذلك ناحية الشطر الأوربى الذى نظر إلى توسعاته على أنها توسعات إسلامية ، ومنها كانت الدعوة إلى التحالف لصد خطرها وبدأت الدولة العثمانية فى التفكير للاتجاه إلى الشرق منذ بداية القرن السادس عشر وهناك العديد من النظريات التى قيلت فى أسباب هذا الاتجاه لعل أهمها نظرية المؤرخ"أرنولد توبينى" الذى يرجعها أساساً إلى ظهور الصفويين وانبعاث حركات ثورية خطيرة فى العالم الإيرانى (الصفويين) ولذلك فهو يقرر صراحة أن الاتجاه العثمانى على عهد السلطان سليم الأول وصلت فى توسعاتها إلى مدى يمكن اعتباره نهاية مرحلة حيث كان العثمانيون منذ عهد محمد الثانى قد أتموا سيطرتهم على الأناضول والبلقان، فعمل على الاتجاه نحو الشرق لأنه وجد دولته وقد أصبحت بمثابة رأس إسلامى صغير على جسم مسيحى كبير فاتجه للسيطرة على العالم الإسلامى وتبوء الزعامة فيه.

د/ محمد أنيس:الدولة العثمانية والمشرق العربى ١٥١٤-١٩١٤، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٤.

٤- الخاقانية:لقب خاص بحكام الترك، وله صيغة أخرى هى دقا آن ، ودقاغان ، وهى فى الأصل لقب حكام الصين ثم اطلقت من بعد على حكام المغول والتتار والاتراك ، وأصلها فى الصين (HO.HONG)

د/ حسين مجيب المصرى :معجم الدولة العثمانية ، الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٨٩م

والصبا(١) وأشاد هذا الدين القويم بشبا(٢) السمهرية (٣) والظبا(٤) ، وعلى آله وأصحابه الداحضين لشوكة كل قامع متمرد، الـفايزين ببذل (٥) نفيس نفوسهم بكل نصر بديع متجدد.

أما بعد ، فإن وقوع وقايع (٦) الأيام وخطوبها، وحوادث الحادثات وكروبها، لم تزل من حين خلق الله العالم متتالية، وفى ضمن الليالى والأيام متوالية(٧) وهى بحسب اقتضا التجليات ومظاهر الأسما والصفات متنوعة إلى أنواع، داخلة فى حيز الابتداع(٨) والاختراع، بما أودعه الله من الخصايص فى الآثار العلوية [ص٣] عند اقتران بعضها ببعض، وارتباط المناسبات الخفية بينها وبين ما على

١- الصبا: هى ريح ومهبها المستوى أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار ومقابلتها الدبور : وهو الريح التى تقابل الصبا[مختار الصحاح]، وفى الحديث الشريف عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور" وفى حديث آخر عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت الارض مسجداً وطهوراً .." راجع فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، تحقيق محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، جـ١، ص ٥١٩ ، ٦٠٤.

٢- فى النسخة (ب) كتب"بشب"، وما كتبناه فى المتن من باقى النسخ وهو الأصح ، والشبا هو حد كل شئ والمقصود هنا حد السيف والرمح .

٣-السمهرية :السمهرى وهو الرمح الصلب العود يقال هو منسوب إلى "سمهر" وهو رجل كان يقوم الرماح وامرأته رزينة التى ينسب إليها الرماح أيضاً فيقال رمح رزينى [المعجم الوجيز] وكذلك [لسان العرب جـ٣]

٤- الظبا :حد السيف والسنان والنصل والخنجر وأشبهها[لسان العرب جـ٤] ولا شك أن المؤلف مخطئ فيما زعم فالإسلام لم ينتشر بحد السيف وإلا فما هو تفسير وصوله إلى إندونيسيا والشرق الأقصى وغرب أفريقيا وهى مناطق لم تصل إليها الجيوش الإسلامية .

٥- فى النسخة (أ) كتبت"لبذل"والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٦-هكذا فى النسخة (ب) أما باقى النسخ فكتبت "فإن وقايع الأيام "

٧- فى النسخة (جـ) "متوارية".

٨- فى النسخة (جـ) "غير الابتداع".

وجه الأرض، وذلك بحسب جرى العادة الإلهية له مسببات، وحوادث يستدل عليها بتلك القـرانات (١) والمناظرات. وقـد أودع الله فى بعض خـالصى (٢) النفوس البشرية، والأرواح المجردة عن العلايق الجسيمة، والشهوات النفسية، معرفة بعض تلك الحـوادث، إمـا بإلهـام، أو باكتسـاب ونظر فى علم الأحكام، "فبـالنجـم هـم يهتدون "(٣) وبالنظر فى ملكوت السموات والأرض يستدلون فيعرفون، من غير أن ينسب لتلك الآثار تأثيرات، وإنما هى أسباب عادية وعلامات.

وإن من أعظم الدلايل على مـا رميت به مـصـر، وحل به لأهلهـا تنوع البـؤس والإصر، بحلول كفرة الفرنسيس، ووقـوع هذا العذاب البئيس ، حصـول الخسوف (٤) الكلى فى شهـر ذى الحجة بطالع مشرق الجوزاء (٥)المنسوب إليه إقليم مصر. وقد كان هـؤلاء الأقوام وأمثالهم ممن لهم فى الخروج مشارك ، ولروم الإفسـاد متربص متدارك.كلّ يريد الحلول بأرضـهـا، والتـفى (٦) بظلال خصبها وروضـها ، فيرجع بخفى حنين، وتنقلب أمنيته منية وحين.

١- القرانات:القرن خصلة من الشعر ، والقرن جانب الرأس ، وقرن الشمس أعلاها ، وأول ما يبدو منها فى الطلوع . [المعجم الوجيز] .

٢- فى النسخة (أ) كتبت " خالص" وما أثبتناه فى المتن هو الأصح.

٣-القرآن الكريم:سورة النحل . آية ١٦.

٤- الخسوف: هو وقوع الأرض بين الشمس والقمر على خط واحد فيقع ظل الأرض على القمر فلا يظهر نوره، وعكسه الكسوف وهو وقوع القمر بين الأرض والشمس على خط واحد فيحجب ضوء الشمس عن الأرض وقد يكون كسوفاً كلياً أو جزئياً أو حلقياً ، وفى الأخيرة يبدو القمر فى وسط الشمس وحوله هالة من الضوء .

٥- الجوزاء: أحد أبراج السماء الاثنى عشر ، وسميت الجوزاء لاعتراضها فى السماء.

٦- الأصح والتفيؤ .

ولم تزل منذ وضع أساسها، وأضا(١) فى ديجور الأقطار نبراسها ، محمية عن تطرق أيدى المفسدين ، مصانة عن أن يطرق حماها عصابة المعتدين . لا يطمع خارجى فى الحلول بساحتها، ولا تحدثه نفسه بالتغلب على رياستها ، رهبة من سطوة حماتها ، وأسود غيضاتها، الذين كانوا من قديم الزمان كالشجا فى حلق العدو، والحسام المجرد فى وجوههم بحيث سلبهم الراحة[ص٤] والهدوّ (٢) لا يتوجهون لجيش إلا هزموه ، ولا يحاربهم متغلب إلا غلبوه،هؤلاء التتار(٣) قد استولوا على كل أرض، وأنزلوا دولة كل ملك من شامخ عال إلى خفض، كثيراً ما قهرتهم جند القاهرة ، وباؤا عند توجههم إليها بصفقة خاسرة ، بحيث لم تقم لهم بعد تلك الهزيمة دولة ، ولا تحقق منهم بعد تلك الغلبة صولة، وذلك وقت أن كان الناس ناس، والزمان زمان، وجند أهل هذا القطر مستيقظين لسداد

١- "وأضاء" وقد أشرنا فى المقدمة إلى أن المؤلف قد درج على حذف همزة المد وأننا حرصنا على الإبقاء على لغة المؤلف كما هى .

٢- المقصود " الهدوء" ولكن المؤلف أراد النطق العامى للكلمة لتكون على وزن كلمة "العدو" فى العبارة السابقة حيث أنه درج على اتباع أسلوب السجع .

٣- التتار كتبت فى النسخة (ب) "التاتار" والمؤرخ هنا يشير إلى موقعة عين جالوت وهى أنه بعد أن ملك هولاكو بغداد عزم على الوصول إلى مصر وأرسل إلى قطز يطلب إليه التسليم وأنه لا قبل له بجيوشه ، وهنا جهز قطز الجيوش وخرج إلى الشام والتقى بعسكر التتار فى"عين جالوت" فى ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م وكانت النصرة للمسلمين وقتل أمير التتار "كتبغا توين" وجماعة من بيته واتبعتهم قوات قطز حتى وصلوا إلى حلب وهرب من دمشق منهم وكانت هذه المعركة هى بداية النهاية بالنسبة لامبراطورية المغول لمزيد من التفاصيل راجع :ابن كثير:البداية والنهاية، تحقيق عبد الرحمن اللازقى – ومحمد غازى بيضون ، دار المعرفة ، بيروت ، جـ١٣ ١٩٩٦، جـ١٢، ص٢٥٨

الثغـور(١) بأبطال الرجال وعقبان الفرسان.

وأن الدولة العثمانية أبقاها الله وأشادها، ووضع على أساس العظمة والعز عمـادها، كـانــت وسـدت أمــور مـصـر لمن بهـا من الحـكـام، اعتـمـاداً على شـهرة شـجاعـتـهـم وحمـايتـهم السـائرة بين الخـاص والـعـام ، وهؤلاء (٢) الحـكام أيضاً اعتمدوا على سالف الشـهرة وركنوا إلى الدهر ولم يأمنوا غدره، فــخـربوا الثغور، وأشادوا القصور، واستـبدلوا أبـطال الرجـال، بربات الخدور والحجال ، وشـجـعان الــفـرسان، بحسان الغلمان ، وتسابقوا فى حلبة الكميت مع الخيلا والزهو، إلى مـيدان كل خـلاعة ولهـو ، لا يردون إلـى مـورد مـسرة، ولا يبالون بما أغـفلوه من أسـباب المضـرة ، غفل الـدهر عنـهـم فـنامـوا، وظفروا بأمـانـيـهم فتردوا فى جهالتهم وهاموا، حتى قلقت مصر منهم واستقالت ، وللدولة العـثمانية أبقاها الله شكت وقالت:

فليت لى بهم قوماً إذا ركبوا   شنوا الإغارة فرساناً وركباناً

١- الثغور : يقصد بها الموانئ المصرية حيث حظيت مصر بموقع جغرافى فريد ، كان له عظيم الأثرفى مكانتها ومركزها الدوليين وعلاقاتها بالعالم ، وترتبط من خلال موقعها على البحر المتوسط مع دول أوروبا وبلاد شرقى البحر المتوسط وآسيا الصغرى وشمال أفريقيا ، كما يربطها موقعها على البحر الأحمر بالجزيرة العربية والسودان وشرقى أفريقيا وبلاد الهند وجنوب فارس وجزر المحيط الهندى وكان لمصر على هذين البحرين من الموانئ المصرية على البحر المتوسط دمياط ورشيد والأسكندرية والبرلس وهى الموانئ التى تؤدى وظيفتها التجارية والاقتصادية كمنافذ تجارية واستراتيجية لمصر فى العصر العثمانى .

راجع . د/ عبد الحميد حامد سليمان : تاريخ الموانئ المصرية فى العصر العثمانى هـ.م.ع القاهرة ١٩٩٥، صـ١٧ وما بعدها .

٢- هؤلاء . كتبت فى النسخة (أ) "وتلك"وفى النسخة (ب) "هؤلاء" وهى الأصح لذا أثبتناها هنا.

وما دروا أن العدو لهم بالمرصاد، وأنه لابد للدهر من يقظة يسترد بها ما وهب ويزداد،

وماهكذا[ص٥] تحفظ البلاد ، وتساس الرعايا والأجناد(١) ، قال صاحبنا الآتى ذكره(٢)

من قصيدة:

إنما هذه البلاد لأقوام حموها بالصارم المسلول
وأرى دولة المماليك مالت لضروب اللذات بالتحصيل
واغتنوا عن تجريد سيف ورمح بقوام لدن وطرف كحيل

ولما لم يقتفوا آثار من مضى من الدول،وأضاعوا ما تعب فى تأسيس قواعده الأول، تطرق الخلل لهذا القطر العظيم من كل جهة، وأضحت وجوه محاسنه بما ابتدعوه مشوهة، فأصبح الغني بالمصادرات فقير، وعز بالتقرب إليهم من سفلة السعاة كل حقير، ورغبوا عن الفضايل فدرست ، ومالوا إلى سفاسف الأمور فراج سوقها وربحت، فقلت الفضلا وكثرة (٣) الجهال ، وارتفع مقدار كل غبى فى كل حال .

١- يلاحظ أن الجبرتى هنا اتخذ من المماليك نفس وجهة النظر العثمانية التى جعلت من المماليك السبب الأصلى فى البلاء والانهيار الذى أدى إلى وقوع مصر فريسة فى أيدى الفرنسيين وذلك بسبب تقاعسهم عن القيام بواجبهم فى حماية البلاد وهى نظرة تهدف إلى تبرئة الدولة العثمانية من التقصير والتى ادعى سلطانها أنه لم يعلم باستيلاء الحملة الفرنسية على مصر إلا بعد شهر من نزولها.

٢- يقصد به الشيخ حسن العطار ، انظر فيما يلى .

٣- هكذا بالتاء المربوطة فى جميع النسخ ، والصواب "وكثرت" بالتاء المفتوحة.

ولقد كانت مصر مجمع الفضلا، ومركز النبلا، وقطب دايرة الفصحا، ومنشأ لبلغا الكتاب والشعرا، جمعت ما تفرق في غيرها من المحاسن، وورد أهلها من موارد اللذات شراباً غير آسن. بها تخترع الصنايع البديعة، ويستنبط فيها كل نادرة رفيعة (١) فلما دهمت الفرنسيس ثغرها الخالي، ووقفت منه على طلل بالي، سهل عليهم الحال فاقتحموه .

ودخلوا من باب الإقليم بدون أن يفتحوه، وتقاعدت العساكر المصرية عن التسارع لاستنفاذ الثغر فعظم البلا، وأخذ العدو يطوى بساط الأرض حتى إذا التقى الجمعان لم يسع القوم إلا الفرار في الفلا ، فكم تركوا من جنات وعيون وزروع (٢) وأصبحوا مشتتين في أقطار الأرض لا يقر لهم لب ولا روع .

وأناخت [ص ٦] دولة الكفار بكلكلها(٣) على هذا القطر العظيم، وانتشروا في أرجايه انتشار السم في جسد السليم ، فياله (٤) من خطب فظيع، وحادث جلل شنيع ، انمحقت به محاسن مصر الفريدة ، وتخلخلت قواعد مملكتها العتيدة، فأصبحت مقهورة بعد أن كانت هي القاهرة ، ومطموسة بعد أن كانت محاسنها لكل قطر باهر .

شعر

بلدة أوقاتها سحر	وصبا في ذيله بلل
ونسيم عرفه أرج	ورياض غصنها ثمل ١

١- في النسخة (أ) "فيشبط"، وفي النسخة (ب) كلمة "كل" غير موجودة ، وفي (ج) - "ويشبط"
٢- "كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم" سورة الدخان آية ٤٤.
٣- ككل . الكلكل والكلكال: الصدر [مختار الصحاح] وفي المعجم الوجيز "الكلكل " الصدر أو ما بين الترقوتين.
٤- في النسخة (جـ) "فلله من خطب" وبها لا يستقيم المعنى .

ووجـوه كلـــها غـرر   وكلام كلـــه(١) مثــــل

ومـاذا يبلغ إطرائى ، أو يستوعب عقد ثنائى، بعد ذكر الله لها فى آيات عديدة من كتابه(٢) وتوصـيـة النبى على أهلها لمعظم أصحـابه(٣) ولم تزل أحـاديث فضـايلها على ألسنة المتقدمين والمتأخرين تتلى، وغرر محـاسنها(٤) تتجدد فى كل وقت فلا تبيد ولا تبلى، قد ملأت تلك الأحاديث أسفاراً، وعمرت.تلك المحاسن بلاداً وأقطاراً، سـحبت تلك المحـاسن ذيل النسيـان، على غوطة (٥) دمشق وسغد سمرقند وشـعب بُوّان، وجرى حديث نيلها المكرر على كل لسان ، حتى كأن لم يكن ثم ذكر لسيحان وجيحان (٦) .

١- كلمة"كله" كتبت فى النسخة (ب) "كلها" وما اثبتناه من باقى النسخ هو الأصح.

٢- ورد ذكر مصر صريحاً فى القرآن خمس مرات في الآيات ٨٧ من سورة يونس ، ٢١ ، ٩٩ من سورة يوسف ، ٥١ من سورة الزخرف ، ٦١ من سورة البقرة.

٣- هناك العديد من الأحاديث التى وردت فى كتب السنن عن مصر ولكن علماء الحديث ذكروا أن معظم هذه الاحاديث ضعيفة وبعضها موضوع من الأصل.

٤-لمزيد من التفاصيل عن فضائل مصر راجع -عمر بن محمد بن الكندى: فضائل مصر والقاهرة - تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، القاهرة، ١٩٦٩م.محمد بن ابى السرور البكرى: الروضة المأنوسة فى أخبار مصر المحروسة ، تحقيق عبد الرازق عيسى - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ١٩٩٧م.

٥- غوطة دمشق: ويقصد بالغوطة مجتمع النبات والماء ويصف القزويينى غوطة دمشق بقوله" كورة قصبتها فم دمشق وهى كثيرة المياة نضرة الأشجار متجاوبة الاطيار مونقه الازهار، ملتفة الاغصان، مخضرة الجنان، استدارتها ثمانية عشر ميلاً، كلها بساتين وقصور، يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها، ومياهها خارجة من تلك الجبال، ويمتد فى الغوطة عدة أنهر.راجع محمد بن عيسى بن كنان الصالحى الدمشقى: المواكب الاسلامية فى الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق د/ حكمت اسماعيل وزارة الثقافة السورية ١٩٩٣م ،ص ٣٩٣.

٦- سيحان وجيحان: نهر "سيحون" هو نهر (سيرداريا) ينبع من جبال "تيان شان" "وهضبة البامير" ويصب فى بحر آرال ، أما نهر "جيحون""أموداريا" فينبع من جبال هندكوش ويصب فى بحر آرال أيضا، والمنطقة الواقعة بينهما تسمى أوزبكستان حالياً وتعتبر من أخصب الأراضى وبها مدن بخارى وسمرقند وطشقند .

هذا وكم للناس فى وصف متنزهاتها، وساحات مسراتها ، ما يجرى فى النفوس مجرى السلاف (١) ويكون لرياض الأدب أبهى قطاف كقول موسى بن عيسى الهاشمى أمير مصر(٢) يصف جزيرة الحبش(٣) وقد خرج إلى الميدان الذى بطرف المقابر، فقال لمن معه"أتتأملون ما أرى ؟" ، فقالوا "وما الذى يرى الأمير ؟"، فقال "أرى ميدان [ص٧] رهان ، وجنان نخل، وبستان شجر، ومنازل سكن ، وذروة جبل، وجبانة أموات، ونهراً عجاجاً، وأرض زرع، ومراعى ماشية، ومرتع خيل، وساحل بحر، وصايد نهر، وقانص وحش ، وملاح سفينة ، وحادى إبل ، ومفازة رمل ، وسهلاً ، وجبلاً " فهذه ثمانية عشر منتزهاً فى أقل من ميل. وأنى هذه الأوصاف من وصف بعضهم قصر أنس بالبصرة فى قوله

"شعر" (٤)

زر وادى القصر نعم القصر والوادى ... لابد من زورة فى غير ميعاد
زره فليس له شيئ يشاكله ... من منزل حاضر إن شيت أو بادى

١- السلاف هو ما سال من عصير العنب قبل أن يعصروتسمى الخمر سلافاً "مختار الصحاح" وفى "المعجم الوجيز" السلاف افضل الخمر واخلصها ، والسلاف من كل شئ خلاصته وفى" لسان العرب" سلاف كل شئ مقدمته ، وسلاف العسكر طليعتهم ، وسلاف الخمر أول ما يعصر منها [جـ ٣] .

٢- موسى بن عيسى الهاشمى: ولى مصر ثلاث مرات من قبل هارون الرشيد وكان ولى للعهد ولكن الرشيد خلعه منها وولى ابنيه "الأمين"و"المأمون" وكانت ولايته الأولى عام١٧١هـ

٣-جزيرة الحبش أرض زراعية خصبة تنسب إلى قتادة بن قيس بن حبش من جند عمرو بن العاص الذين شهدوا فتح مصر ، وتسمى الآن قرية دير الطين ، وفى النسخة (جـ) "جزيرة الجش" وهو خطأ من الناسخ .

٤- كلمة " شعر" غير موجودة فى النسخة (أ)

تلقى به السفن والأفراح حاضرة والنون والضب والملاح والحادى (١)

ولقد كادت تعم الرزية، وتصير القضية أندلسية(٢) لولا عناية من أيده الله بالنصر والتمكين ، وتلى عسكره المنصور مهما توجه لمعقلٍ آية الفتح المبين ،(٣) وهو الملك الأعظم، والسلطان الأفخم غياث المسلمين، ملاذ المؤمنين، مالك رقاب الأمم، ملجأ العرب والعجم، حافظ ناموس الشريعة الغرا بقوة سطوته، باسط بساط العدل والإحسان على كامل رعيته، قامع الطغاة المعتدين، مبيد الفجرة المتمردين، سيف الله المسلول على كل طاغي ، قاطع أصل شجرة كل مفسد وباغي ، غيث الندا(٤) مجيب الندا، قمر الهدى، ليث العدا، المحتف بعناية الكريم، مولانا السلطان المغازى(٥) سليم(٦) اللهم أدم ملكه، واجعل الدنيا بأسرها

١- النون هو الحوت ، والضب حيوان صحراوى فى حجم القط ، والحادى هو المنشد في القافلة ينظم سير الابل وخطواتها على أنغامه.

٢- يقصد الجبرتى بقوله"وتصير القضية أندلسية" أى ضياع مصر كما ضاعت الأندلس وهى الفردوس المفقود والتى سقطت آخر معاقل المسلمين فيها عام ١٤٩٢م وهى مدينة غرناطة.

٣- فى جميع النسخ "تلى" بالياء ، ولعلها "تلا" من التلاوة أى أن جنوده يتلون آية الفتح المبين [إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً] فى كل مكان يتوجهون إليه إشارة إلى النصر الدائم .

٤ - كذا فى الأصل والصواب"الندى".

٥- المغازى:نتيجة لأن الدولة العثمانية قامت فى الأساس كأحدى إمارات الغزاة المجاهدين ضد الدولة البيزنطية لذا فقد اتخذ حكامها ومنذ عهد عثمان الأول مؤسس الدولة العثمانية لقب "الغازى"وذلك تشريفاً لهم كمجاهدين غزاة فى سبيل الله.

٦- السلطان سليم الثالث : ابن السلطان مصطفى الثالث جلس على العرش عام ١٧٨٩م فى فترة كانت أوضاع السياسة تموج وتضطرب ، والحروب مشتعلة فرأى نفسه فى ضرورة بذل الجهد فى العناية بتعزيز وتحديث الجيش العثمانى لذا أمر بترجمة الكتب العسكرية لمن يدرسون فنون الحرب ، وأمر بتدريب الجنود العثمانيين على النظم الأوربية تحت قيادة قائد إنجليزى أسلم وسمى مصطفى ، ولكن وقف الانكشارية وكذلك العلماء الجامدون من هذه الإصلاحات موقف معادى وكانت النتيجة هى عزله بفتوى مؤداها "أن كل سلطان يدخل على البلاد نظام الفرنجة، ويجبر رعيته على الأخذ بها لا يصلح للملك على أى حال من الأحوال" ومات السلطان سليم الثالث وله من العمر ثمانية وأربعون عاما ، عام١٨٠٧م. راجع د/ حسين مجيب المصرى:مرجع سابق :ص ٢٧٨ وما بعدها

ملكه، ولا تدع له عدواً إلا قصمته، ولا مخالفاً إلا أهلكته، واجعل اللهم روس الكفار حصيداً لسيوف عساكره، وبلادهم داخلة تحت نواهيه وأوامره ، مخدومة عساكره بالعز والنصر أينما توجهت، مقترنة بالظفر [ص ٨] والفوز أينما سلكت فتوجهت انتصاراً للإسلام عزيمته، وتسامت لاستنفاذ مصر من أيدى أوليك الأشرار همته، فوجه إليها بوجوه دولته، وعساكر حمايته، من كل رئيس بصير بأمور العواقب، مدبر الأمور على أوفق رأى صايب، فطن بقوانين السياسة، خبير بمراسم الرياسة، حازوا لكل فضيلة تعد غرة فى جبهة الدهر، وأضا مصباح أذهانهم فى إيراد القضايا وإصدارها إذا أشكل الأمر

"شعر"

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا وإن أعطوا أصابوا(١) وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعالهم وإن أحسنوا فيما أتوه وأجملوا

عصابة بذلوا نفوسهم فى تشييد الدين وتأييده، واقتنا الذكر الحسن وتخليده، وتشددوا فى إجرا الشريعة وإنفاذها، وبددوا أرواح من خالفها لاستنفاذها.

"شعر" (٢)

قوم إذا لم يقبل الحق(٣) منهم ويمضوه عاذوا بالسيوف القواضب

أوليك النجوم الطوالع، والغيوث الهوامع(٤) تزينت بهم سما الممالك ، وأنارت بهم

١- كذا فى الأصل وربما الصواب "أطابوا".
٢-كلمة شعر غير موجودة فى النسخة (ب)
٣- كلمة "الحق" كتبت فى النسخة (ب) "الخسف" والصواب هو ما اثبتناه هنا فى النسخة (أ) ، (جـ) .
٤- الغيوث الهوامع ، الهموع ، السائل والهموع السَّيلان وقد همعت عينه أى دمعت وسحاب همع أى ماطر والغيث المطر وربما سمى السحاب غيثاً "مختار الصحاح"

للرشاد مسالك ومولانا الوزير أيده الله، شمس تلك السما، وأساس افتخار أوليك الرؤسا، صاحب السيف والقلم معدن العلم والحكم، رافع علم الإسلام، مشيد الشريعة والأحكام، حايز أشتات الفضايل، تاج الرؤسا والأماثل، بهى (١) الدين والدنيا، مرتقى ذروة الشرف العليا، سيف السلطنة المجرد لقمع الأعدا، نبراسها المضى فى ساير الأقطار والأرجا، مدبر بصايب رأيه قوانين المملكة، منقذ الأمة المحمدية من التردى فى كل مهلكة:

"شعر"

إنْ عُـد أيام اللـقا فإنمـا	يوماه يوم ندا ويوم طعان
يكسو الأسرة والمنابر بهجة	ويزينها بفصاحة وبيان
تمضى أسنته(٢) ويسفر وجهه	فى الحرب عند تغير الألوان

ألقت صعاب الحصون مقاليدها إليه، وأصبح الدهر فى عداد(٣) عدته وعدده، فيمينه الغرا ملثم شفاة الجبابرة، وغمامة الكرم المغيثة الماطرة:

فباطنها للندى	وظاهرها للقبل (٤)
ونايلهاللغنى	وسطوتها للأجل (٥)

وماذا عسى أن أصف من محاسنه الكريمة، وأعدد من غرر فضايله الجسيمة،

١-كلمة "بهى" كتبت فى النسخة (ب) "بهجة" والاقرب إلى الصواب ما أثبتناه من باقى النسخ .

٢- كلمة "اسنته" وكتبت فى النسخة (أ) "أسنة" .

٣- كلمة "عداد"من النسخ (أ)، (جـ) ،(د) ولكنها كتبت"عدايد"فى النسخة(ب)

٤-هذه الأبيات كتبت كتبت نثراً فى النسخة(أ) فى سطر واحد

٥- كلمة للأجل كتبت فى النسخة (ب) " للأصل" وما أثبتناه هنا من باقى النسخ وهو أقرب للصواب و لاستقامة المعنى.

وهو تاج المجاهدين الذين عليهم الحق قد أثنى ، ووعدهم فى مقابلة بيع نفوسهم فى مرضاته بالحسنى، له المنة العظمى على المسلمين ، باستنقاذهم من أسر الكفرة المعتدين، ورد النوم إلى أجفانهم، والأمن إلى أوطانهم ، بعد أن سلبوا نوماً وأمناً، واستبدلوا بالعز(١) والسرور ذلاً وحزناً .

" شعر"

إذا الوزير لنا جادت يداه ندا(٢)	لم يحمد الأجودان البحر والمطر
وإن أضاءت لنا أنوار غرته	تضاءل النيران الشمس والقمر
من لم يمت حذراً من خوف سطوته	لم يدر ما المزعجان السيف والحذر
ينال بالظن ما يعيى العيان به	والشاهدان عليه العين والأثر
كأنه وزمام الملك فى يده	يرى عواقب ما يأتى وما يذر

اللهم اجعل أيامه كلها سعيدة ، ومفاخره مشيدة عنيدة، والنصر حيث سار يقدمه، والعز أينما توجه يخدمه، بالغاً بمزيد الإجلال أمانيه، مشكوراً على ألسنة العالم مساعيه، محموداً فى إيراده وإصداره، ممدوحاً فى علانيته وإسراره، منقادة إليه من الأمور أسبابها، مذللة لديه صعابها تنشده[ص١٠] كل يوم ألسن(٣) المعالى ، على مر (٤) الأيام والليالى:

"شعر" (٥)

بقيت بقا الدهر يا كهف أهله	وهذا دعاء للبرية شامل

١- كلمة "بالعز" غير موجود فى النسخة (أ) والعبارة مكتوبة هكذا"واستبدلوا بالسرور ذلا" وما أثبتناه بالمتن من النسخ (ب) ، (جـ) .

٢-هكذا فى الأصل ولعله يقصد الندى أى الجود والكرم.

٣- كلمة"ألسن" كتبت "ألسنة " فى النسخة(ب) وما كتبناه الأصح حيث أن جمع لسان ألسن.

٤- فى النسخة (أ) كتبت "على ممر الأيام " .

٥- كلمة "شعر" غير موجودة فى النسخة (أ)

ثم من الاتفاقات التي يتفطن لها الأديب، وينقاد لحكمتها اللبيب، أن مصر إذا تشوهت محاسنها، وغصت بشرار الدول (١) مساكنها ، لا يكون تطهيرها من أرجايها، وإعادة ما ذهب من بهجتها وإيناسها ، إلا بمن تسمى بهذا الاسم الشريف أعني يوسف، فهو الذى بهذه المنقبة ينعت ويوصف، وهذا من السر البديع الذى أودعه الله فى المسمى به، وارتباط الخصوصية بينه وبين إصلاح حال مصر، وأنه إذا حل بها دولة خاسرة فى الغالب لا تزال إلا بمن اسمه يوسف . ووجود الخصوصيات والارتباط بالمناسبة الطبيعية، والأسرار الفلكية، أمر شوهد من بعضه مالا يصلح معه أن ينكر باقيه فإن الله قد جعل فى كل شئ من المخلوقات خصوصيات فى نفسه ، وخصوصيات يقع الارتباط بها بينه وبين بعض الأشيا المشاكلة له حتى الألفاظ كما هو معلوم، لكن تلك الخصوصيات لا يطلع عليها إلا من أحاط بكل شئ علما، وقد أطلعنا الله على بعضها، منها الخصوصية فى هذا الاسم.

والشاهد على ذلك أن أول يوسف أصلح حال مصر، وبنى فيها إقليماً كبيراً، وهو إقليم الفيوم، ووضع مقياساًللنيل(٢) ، وحفر الخليج المسمى الآن ببحر يوسف،

١-كلمة "الدول" كتبت "الدولة " فى النسخة (أ)

٢-مقياس النيل: اهتم المصريون القدماء بضبط مياة النيل منذ أربعين قرنا قبل الميلاد كما اهتموا بتسجيل حركات الفيضان بإنشاء مقياس نقالى يقيسون به عمق مياة النيل، وكذلك كان عندهم مقاييس ثابتة من البناء مثل جزيرة الروضة، وبعد الفتح الإسلامى أمر عمرو بن العاص بإنشاء مقياسين أحدهما بأسوان والآخر بأرمنت وفى سنة ٨٠هـ أنشأ عبد العزيز بن مروان مقياساً صغيراً على النيل فى حلوان وفى سنة ٩٧هـ بنى مقياس فى جزيرة الروضة وبإنشاء السد العالى عند اسوان انتهت أهمية المقياس وأصبح لا قيمة له إلا من الناحية الأثرية التاريخية ، راجع محمد كمال السيد محمد: أسماء ومسميات من مصر القاهرة.هـ.م.ع القاهرة ١٩٨٦ص ٦٢وما بعدها.

ونصب الجسور، ودبر معاش الناس(1) فى الجدب المتوالى سبع سنين، ولولا ذلك التدبير لهلكوا، وهو يوسف الصديق عليه السلام (2)

ويوسف صلاح الدين(3) هو الذى استنقذها من

١- نسبة هذه الأعمال ليوسف الصديق هو من قبيل المبالغة لأن إقليم الفيوم منخفض طبيعى بدأ استغلاله على نطاق واسع فى عهد الفرعون"أمنمحات الثالث" الذى أنشأ سد اللاهون، ووضع مقياساً للنيل، أما بحر يوسف فهو فرع طبيعى قديم للنيل كان يخرج من عند اسيوط حتى عام ١٨٧٣م أما الآن فيخرج من ترعة الإبراهمية عند مدينة ديروط ، وهو الآن قناة تستخدم فشى الرى.

٢- يوسف الصديق: ورد ذلك فى قوله تعالى "وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء " سورة يوسف آية٢١ وقوله تعالى"اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم" سورة يوسف آية ٥٥ لمزيد من التفاصيل راجع ابو عبدالله محمد بن احمد القرطبى: الجامع لأحكام القران دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٣٣م.

٣-يوسف صلاح الدين: اتفق أهل التاريخ على أن أباه وأمه من بلدة "دوين" وأنهم أكراد روادية وولد صلاح الدين عام ٥٣٢هـ فى قلعة تكريت وحضر إلى مصر مع جيش عمه "اسد الدين شيركوه"فى ١٧ ربيع الآخر ٥٦٤هـ وبعد وفاة "شيركوه" استقرت الأمور لصلاح الدين ، وقضى على الدولة الفاطمية ، وأعاد مصر لحظيرة الدولة العباسية السنية مرة أخرى ، وحارب الصليبين فى بيت المقدس وأخرجهم منها كما حاربهم فى بلاد الشام كلها، وتوفى يوم الأربعاء ٢٧ صفر ٥٨٩هـ ويذكر ابن خلكان ذلك بقوله" وكان يوم موته يوماً لم يصب الاسلام والمسلمون بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم وغشى القلعة والملك والدنيا وحشة لا يعلمها إلا الله"راجع شمس الدين احمد بن محمد بن ابى بكر بن خلكان : وفيات الأعيان و وأنباء و أبناء الزمان تحقيق د/ إحسان عباس ، بيروت ، جـ٧ ، من ص ١٣٩وما بعدها .

الفواطم(١) وأزال البدعة وأظهر السنة، وبنى قلعة الجبل(٢) وجدد دولة الأكراد التى هى من خير[ص١١] الدول وكذلك لما قدم المغفور له السلطان سليم الأكبر إلى مصر كان وزيره يسمى يوسف باشا فتوفى قبل دخوله إلى مصر ، فحزن السلطان عليه حزناً شديداً حتى قال"ماذا نصنع بمصر من غير يوسف"(٣)

١- الدولة الفاطمية: ظهرت الدولة الفاطمية في المغرب علي يد أبو عبد الله الشيعى أحد دعاة الفاطميين وبعد نجاحه فى السيطرة على المغرب استقدم عبيد الله المهدى وبايعه بالخلافة ومنذ عام ٣٢٤هـ والدولة الفاطمية تعمل على الاستيلاء على مصر من أيدى الإخشيد ولكنهم هزموا الفاطميين فعمل الخليفة الفاطمى على استخدام الحيلة لذا طلب من الاخشيد الدخول فى طاعته وعندما رفض عمل الفاطميون على بث دعاتهم فى مصر فاستطاعوا أن يأخذوا البيعة للمعز لدين الله من كثير من وجوه القوم ورؤساء الجند الإخشيديين من الطوائف المختلفة وقبيل وفاة كافور الاخشيدى كان الفاطميون يستعدون للاستيلاء على مصر وبدأ المعز فى تسيير الحملة عام ٣٥٨هـ ونجح قائده جوهر فى دخول البلاد والاستيلاء عليها واقامة الخطبة للفاطميين ، واستمر ذلك حتى قضى على الفاطميين فى عهد الخليفة العاضد وبدأت الدولة الأيوبية التى عملت على إعادة المذهب السنى والقضاء على المذهب الشيعى السائد فى البلاد. .د/ سيدة إسماعيل كاشف : مصر فى عهد الإخشيديين مطبعة فؤاد الاول القاهرة ،١٩٥٠، ص٣٦٦ وما بعدها.

٢- قلعة الجبل: يرجع بناؤها إلى السلطان صلاح الدين الأيوبى وإلى الأمير بهاء الدين قراقوش أحد قادة جيشه وقد تم البناء فى عام ١١٧٦م ، وعند باب المدرج غربى القلعة كتابة مؤرخة فى عام ٥٧٩هـ تشير إلى نهاية أعمال صلاح الدين تتألف من ساحتين مستقلتين الشمالى منها يشبه مستطيلا ذا أبراج بارزة ويفصله عن المربع الجنوبى حائط سميك وأبراج ضخمة ، ويخرج المربع الجنوبى عن الشمالى مكوناً معه زاوية قائمة ثم جزء كبير من القلعة فى عام ١١٨٣ وتمت البئر فى عام١١٨٧م وكان للقلعة بابان أحدهما الباب الاعظم المواجه للقاهرة واسمه الباب المدرج وبداخله يجلس والى القلعة والثانى اسمه باب القرافة يطل على تلال المقطم وعلى مر عصورها أنشئ بداخلها عدة قصور ومساجد راجع د/ عبد الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة فى ألف عام ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ط٨ ، ص ٢١٤

٣- يذكر ابن إياس فى"بدائع الزهور" أن وزير السلطان سليم الأول اسمه "يونس باشا" ويذكر الإسحاقى أن السلطان سليم قتله وكلمة "يسمى" غير موجودة فى النسخة (ب)

ومولانا الوزير أبقاه الله هو ثالث من ملك مصر ممن تسمى بهذا الاسم ، وانفرد بهذه الخصوصية، لأنه أزال دولة الكفار، وجدد دولة الأخيار، وعادت به بهجة مصر بعد انمحاقها، وأشرقت شمس طلعته على آفاقها ، فانصلح بعد الفساد حالها، ورد إليها بعد النشوة جمالها، وإلى هذا يشير صاحبنا الآتى ذكره.

"شعر" (١)

يوسف الصديق النبى إليه ... ملك مصر من بعد فرعون صارا
فأزال الشقا عنها وفاقت ... كل قطر نضارة ونضارا
وصلاح الدين يوسف قد أذهب ... من دولة الفواطم عارا
وبه دولة الكرام من الأكراد ... شادوا للدين فيها منارا
ثم قد جاءها الوزير مزيلاً ... للفرنسيس حتى(٢)أخلوا الديارا
وأذاقوا أبناءها كل (٣) ذل ... واستباحوا المحرمات جهارا
فأزيلت بعزمه ظلمة الكفر ... ونجم السرور فيها استنارا
أصبح الحق ظاهراً بالعوالى ... يتسامى وضده يتوارا(٤)
يالها من نصره بها كمل السعد ... وشادت للمسلمين فخار
وجزاه الديان خير جزا ... وحياه مهيمايؤم انتصارا

١- كلمة شعر غير موجودة فى النسخة (أ)

٢- كلمة "حتى" وكتبت"حين" فى النسخة (ب) وما أثبتناه من باقى النسخ هو الاقرب للصواب.

٣- كلمة "كل" وكتبت فى النسخة (أ) "كأس " وقد أثبتنا "كل" لأنها أشمل فى المعنى وأقوى وأقرب للصواب.

٤- الصواب "يتوارى ".

ولما استقر بمصر ركابه الشريف، وأعاد المسلمين بعد انحطاط(١) رتبتهم لمقامهم المنيف، واستنارت بمقدمه البلاد، وابتهج بالسرور جميع العباد، فعاد لمصر بعد الهرم شبابها، ورتعت فى ميادين المسرة صحابها، وطلعت شمسها المنيرة بعد الظلام، ورد إليها ما استلبته من محاسنها الأيام.

"شعر" (٢)

وللنجم من بعد الرجوع استقامة   وللبدر من بعد الغروب طلوع

[ص١٢] كان ذلك ولله الحمد مصداق قوله تعالى، وهو أصدق القايلين (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)(٣)ونعم العاقبة لمصر بحلول ركاب مولانا الوزير فيها(٤) وطلوع نجوم عساكره فى آفاق نواحيها، فانبهجت بهم مصر وأضاءت، وتاهت على ساير الأقاليم وباهت.

ولقد كنت سطرت ما وقع وحصل من الوقايع، من ابتدا تملك الفرنسيس

١- كلمة"انحطاط" غير موجودة فى النسخة (ب)

٢- كلمة "شعر" غير موجودة فى النسخة (أ)

٣- سورة الأعراف الآية رقم ١٢٨، وفى النسخة (أ) كتبت كلمة يورثها "يرثها" وما أثبتناه فى المتن هو الصحيح.

٤- يقصد يوسف باشا ضيا الصدر الأعظم فى عهد السلطان سليم الثالث والسلطان محمود الثانى، وأصله من جورجيا وعين والياً على " أرضروم" وأرسل قائداً للجيش العثمانى إلى مصر لإخراج الفرنسيين منها، ثم عين واليا على بغداد فى عهد السلطان مصطفى خان، ولما قامت الحرب ثانية بين العثمانيين والروس، تولى قيادة الجيش فى الروميللى ثم عزل ، و كان أديباً وشاعراً بيد أنه لم يكن واسع الدراية بأمور الحرب وشئون الإدارة فما وفق فى مهمته الحربية فى مصر، ولا فى الأناضول ولا الروميللى ، وتوفى عام ١٢٣٤هـ / ١٨١٨م . راجع د/ حسين مجيب المصرى : مرجع سابق ، ص٢٥٣ .

لأرض مصر، إلى أن دخلها مولانا الوزير، فى أوراق غير منظومة فى سلك الاجتماع والاتفاق ، وكثيراً ما كان يخطر ببالى - وإن لم يكن ذلك من شأن أمثالى - أن أجمع افتراقها، وأكسبها بالترصيف اتساقها، ليكون ذلك تاريخاً مطلعاً اللبيب على عجايب الأخبار، وغرايب الآثار ، تذكرة بعدنا لكل جيل ، وإحاطة بهذا الخطب الجليل ، فيتأسى إذا لحقه مصاب، ويتذكر بحوادث الدهر إنما يتذكر أولو الألباب ، فإن هذه الحوادث غريبة فى بابها ، متنوعة فى عجابها

وكان ممن اعتنى أيضاً بجمع تلك الأخبار ، ونقل غرايب هاتيك الآثار، قطب الفضلا ، تاج النبلا ، ذو الذكاء المتوقد، والفهم المسترشد، الناظم الناثر، الآخذ من العلوم العقلية والأدبية بحظ وافر، صاحبنا العلامة حسن بن محمد الشهير بالعطار[1] نظمنا الله وإياه فى سلك الأخيار، فضممت ما نمقه مع بعض من منظومة ومنثورة بحسب المناسبة إلى هذا السفر، لينتظم معنا فى سلك حسن

١-حسن العطار: ولد الشيخ حسن العطار فى عام ١٧٦٦ م بالقاهرة ، وهو ينتمى إلى عائلة مغربية أصلا، وكان أبوه عطاراً ومن هنا جاءه هذا اللقب ، وكان لوالده مشاركة فى بعض العلوم، وعند مجئ الحملة الفرنسية هرب إلى الصعيد ثم عاد واتصل بهم، واستفاد منهم، وأثناء الحملة اشتغل بالتدريس فى الأزهر، وقد كان من أخص أصدقاء الجبرتى الذى استعان بكثير من أشعاره فى كتابنا هذا "مظهر التقديس" وكذلك في كتابه الآخر "عجائب الآثار" وقد ارتحل فى العديد من البلاد الإسلامية مثل استانبول والشام والتقى بالعديد من علماء هذه البلاد مما أكسبه خبرة كبيرة، وفى عام ١٨٣٠م تولى الشيخ حسن العطار مشيخة الأزهر ، وظل فى هذا المنصب إلى أن توفى سنة ١٨٣٥ م ، والشيخ العطار يعد من أبرز رواد النهضة الفكرية الحديثة فى العالم العربى وله العديد من المؤلفات فى مجالات كثيرة. لمزيد من التفاصيل راجع/ محمد عبد الغنى حسن العطار، دار المعارف ، القاهرة، د. ت ، ص ٢٠ وما بعدها.

الذكر. وسميناه [مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس] (١) وإنا لنرجو ممن اطلع عليه وحل بمحل القبول لديه، ألا ينسانا من صالح دعواته، وأن يغضى عما عثر عليه من هفواته.

مقدمة (٢)

[ص١٣] اقتضت الحكمة الربانية، والأسرار الإلهية ، نصب خليفة به يرتبط للعالم نظامه، وتجرى عليه بحسب مطابقة قوانين الشرع أوامره وأحكامه، إذ النوع الإنسانى بحسب ما أودع فيه من فضيلة العقل، وكمال الحدس، وسر النطق، ما فضل به على سائر الحيوانات، وامتاز به عن العجماوات والجمادات، وكل لتدبير نفسه فى معاشه ومعاده، واحتاج لمخالطة أبناء جنسه، للتعاون على قضاء اغراضه ولوازمه، ومعلوم أن الأغراض متخالفة ، والعقول متباينة ، والطباع متنوعة. وكل ذلك يستدعى اتفاقاً بين الخلايق فى أمور، وافتراقاً فى أخرى، وإنفاذ غرض عن غرض.

وقد وضع الله الشريعة المطهرة، قانوناً تجرى عليه جزييات الافعال الصادرة عنا، لتنتظم الأفعال كلها فى سلك واحد ولا بد من ذى سطوة وقوة يجرى الناس على تلك القوانين الشرعية، وينتظم به أمر هذا النوع، لئلا يهلك الضعيف بالقوى، ويغلب الشريف على الوضيع، وترجع الناس إلى تحسين عقولها، والمشى مع أغراضها، وما وافق طباعها، فيختل نظامهم، وتخف أحلامهم، فيلحقون بمهملات

١- هذا هو العنوان الذى اعتمدناه لهذا الكتاب ولم نأخذ بالعناوين المكتوبة على غلاف نسخ المخطوطات المختلفة ولا الطبعات السابقة .

٢-العنوان من وضع المؤلف ولذلك اعتبرنا ما سبق تمهيداً أو مدخلاً وفى طبعة التربية والتعليم حذف هذا العنوان ووضع بدله "لمحة تاريخية " وهو عنوان غير موجود فى جميع النسخ .

البهايم، وراتعات السوايم . وكان أول خليفة جعل فى الأرض آدم عليه السلام، بمصداق قوله تعالى (إنى جاعل فى الأرض خليفة)(١) ثم توالت الرسل بعده ، لكنها لم تكن عامة الرسالة، بل كل رسول أرسل إلى فرقة ، فهؤلاء الرسل عليهم السلام مقررون شرايع الله بين عباده، وملزموهم بتوحيده وامتثال أوامره ونواهيه ؛ ليترتب على ذلك انتظام أمور معاشهم فى الدنيا، وفوزهم بالنعيم السرمدى إذا امتثلوا فى الأخرى.

ثم جاء بعدهم الرسول الكريم، والنبى الأعظم، سيدنا محمد[ص ١٤] صلى الله عليه وسلم، فكان خاتمهم، ، وناسخاً لكل شريعة تقدمته، بل هم فى الحقيقة نوابه بشهادة قوله تعالى(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ، قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (٢)

فبعث صلى الله عليه وسلم والناس مختلفة فى أديانهم، ضالة عن طريق الحق عكافة على أوثانهم ، فهو الذى أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأمره بالصدع به والإعلان، وتطهيره من عبادة الأوثان، وأرجاس الشيطان، وآمن به الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم" وعزروه ونصروه "واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون"(٣) فلم يزل هذا الدين الدين القويم من حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم يزيد وينمو، ويتعالى ويسمو ،

١- سورة البقرة الآية (٢٨) .

٢- سورة آل عمران الآية ٧٩.

٣- سورة آل عمران الآية ١٥٧ .

حتى تم (١) ميقاته، وقربت من النبى وفاته، فأنزل الله(٢) عليه وهو واقف بعرفة آخر وقفة وقفها (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الإسلام ديناً) (٣)

ولما قبض صلى الله عليه وسلم ، قام بالأمر بعده أبو بكر الصديق رضى الله عنه، ثم عمر، ثم عثمان ، ثم على، ولم تَصْفُ له الخلافة بمغالبة معاوية رضوان الله عليهم أجمعين فى الأمر، ويموت على رضوان الله عليه تمت مدة الخلافة التى نص عليها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله :(الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا عضوضاً)(٤) وبخلافة معاوية عليه السلام (٥) كان ابتداء دولة [ص ١٥] الأمويين(٦)

١- كلمة" تم" كتبت "تتم" فى النسخة (أ) وما أثبتناه هو الأقرب لاستقامة المعنى.
٢- "الله" غير موجودة فى النسخة(أ)
٣- سورة المائدة الآية ٣.
٤- ورد هذا الحديث فى سنن أبى داود و الترمذى ونصه فى مسند الإمام أحمد : عن سفينة مولى رسول الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك " قال سفينة : أمسك خلافة أبى بكر رضى الله عنه سنتين ، وخلافة عمر رضى الله عنه عشر سنين ، وخلافة عثمان رضى الله عنه اثنى عشر سنة ، وخلافة على رضى الله عنه ست سنين "مسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار الفكر ، جـ٥ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .
٥- "عليه السلام" غير موجودة فى النسخة (أ) وموجودة فى باقى النسخ .
٦- فى النسخة (جـ) "دولة مونين" ، وهو خطأ ، وقد نجح معاوية بن أبى سفيان فى إقامة الدولة الأموية وتوارث الحكم بين بيت بنى أمية الذين نجحوا فى إقامة دولة عربية غلب فيها العنصر العربى ولكن نشأ فى داخلها "الأحزاب المعارضة" وكان أشدها الحزب الشيعى الذين كانوا يرون الإمامه حق لعلى ولأولاده من بعده فتحالف أتباعهم مع أتباع بنى عمهم العباس فى إسقاط الدولة الأموية، وفى سنة ١٣٢ هـ دخل العباسيون الكوفة ونادوا بأبى العباس خليفة وعهد بدوره إلى عمه عبد الله بقتال"مروان بن محمد" آخر خلفاء الأمويين ونجح فى هزيمته وأجبره على الفرار إلى مصر حيث قتل ، وتتميز الدولة الأموية بأنها كانت دولة عربية ساد فيها العنصر العربى على بقية العناصر د/ جمال الدين الشيال : الدولة العباسية ، دار الكتب الجامعية القاهرة، ١٩٩٧ ، ص ١٨

وانـــقـرضـــت بظـــهور أبى مسلم الخراسانى[1] وإظهـاره دولة بنى العـبـاس وقتل مروان الحمار [2]، فكان أول دولة بنى العـبـاس السـفـاح[3] وظهرت دولتهم الظهور التام، وبلغت القوة الزائدة، والضخامة العظيمة، بحيث أنه لم يبق فى زمن الخليفة هارون الرشيد كافر إلا أدى الجزية[4] ثم أخذت فى الانحـــطاط بتـــغلب

١- أبو مسلم الخراسانى : أحد أتباع بنى العباس وكان أكبر الأثر فى نشأة الدولة العباسية حيث نجح فى القضاء على نفوذ الامويين فى خراسانمستغلا النزاع بين المصريين واليمنيين واستطاع أن يتولى على "مرو" عاصمة الإقليم ثم زحف إلى العراق حيث طرد الأمويين منه وبايع أبو العباس السفاح بالخلافة واستكمل الحرب ضد الأمويين حتى هزم مروان بن محمد آخر خلفاءهم ونتيجة لفضله الكبير على الدولة العباسية فقد داخله الغرور مما جعل الخليفة العباسى "أبو جعفر المنصور" يتخلص منه خوفاً من طموحه ونفوذه لمزيد من التفاصيل .

راجع:د/ جمال الدين الشيال، مرجع سابق، ص ١٧.

٢- هو مروان ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية وقد بذل جهوداً كبيرة من أجل النهوض بالدولة الأموية وبعثها من جديد ويروى عنه أنه كان لا يكل من العمل حتى لقب "بالحمار" ومع ذلك فإن محاولاته جاءت بعد فوات الأوان وسقطت دولته وقتل على يد أبى مسلم الخراسانى عام ١٣٢هـ

٣- السفاح : هو أبو عبدالله السفاح أول خلفاء الدولة العباسية بويع بالخلافة عام ٧٥٠م وتوفى عام ٧٥٤م ورغم قصرمدة خلافته إلا أنه استطاع أن يثبت دعائم الدولة وفى سبيل ذلك أراق الكثير من الدماء ولذلك لقب بالسفاح.

راجع د/ جمال الدين الشيال مرجع سابق ص ١٨.

٤- بلغت الدولة العباسية أقصى اتساعها فى عهد هارون الرشيد فامتدت من حدود الصين شرقا حتى المحيط الأطلنطى غربا ويؤثر عنه أنه رأى سحابة ذات يوم فخاطبها قائلاً "امطرى حيث شئتى فسوف يأتينى خراجك".

الأتراك وظهورهم وقتلهم المتوكل(1) وتغلبهم على الخلفاء، وضعف أمرهم بالديلم(2) والسلجوقية(3) . ولم تزل منحطة حتى خرج هولاكو فأباد العالم وملك بغداد، وقتل الخليفة المستعصم، وهو آخر خلفاء بني العباس ببغداد(4) وفي مدة

١- يطلق على العصر العباسى الثانى العصر التركى لغلبة هذا العنصر و سيطرته على الجيش والإدارة وهذه العناصر موطنها الأصلى إقليم "تركستان" وأول من أكثر من الترك فى الجيش العباسى هو الخليفة المأمون ثم ولى المعتصم فجعلهم عصبة له وأسقط العرب من الديوان وأصبح جيشه كله تقريباً من الترك وعنى بهم عناية خاصة، وبنى لهم عاصمة جديدة هى مدينة"سامراء" ولكن قوة المعتصم حالت دون طغيان النفوذ التركى الذي ظهر بوضوح عندما تولي الحكم خلفاء ضعاف فاستأثر الأتراك بالنفوذ واحتكروا مناصب الوزارة وقيادة الجند وولاية الأقاليم ثم انفصلوا بأطراف الدولة شرقاً وغرباً حتى أصبحت السمة الأساسية لذلك العصر"عصر الولايات المستقلة .راجع د/ جمال الدين الشيال مرجع سابق ص٨٥ .

٢- الديلم: هي قبائل عاشت فى المنطقة جنوب شرق بحر قزوين، فتحت بلادهم على يد "البراء بن عازب" سنة ٢٤هـ ولكنهم لم يعتنقوا الاسلام إلا بعد مدة طويلة وقد خرجت منهم دول عديدة اكبرها الدرلة البويهية التى مدت نفوذها إلى العراق وسيطرت على الخلافة فى احدى الفترات.

٣- السلاجقه: هى قبائل عاشت فى المنطقة الواقعة شمال بحر قزوين وانتشر الاسلام بينهم وكونوا دولة كبرى مدت نفوذها إلى بغداد فى عهد ملكهم "طغرل بك"سنة١٠٥٦م وكانت دولة السلاجقة من القوة بحيث أن الهزائم التى ألحقتها بالدولة البيزنطية كانت من أهم أسباب الحروب الصليبية لمزيد من التفاصيل. راجع د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحروب الصليبية ، جـ١ ،القاهرة ١٩٨٦م .

٤-اكتسح المغول بقيادة جنكيز خان جهات عديدة من آسيا ؛ فاستولوا على الصين ، وأسقطوا الدولة الخوارزمية وزحفوا بقيادة هولاكو إلى بغداد فدخلها فى ٩ صفر ٦٥٨هـ / ١٥ فبراير ١٢٥٨م ، واستحل جنوده المدينة فنهبوها وأحرقوها وقتلوا كل من صادفوه من سكانها ودام القتل والنهب ٤٠يوماً حتى بلغ عدد القتلى نحو ٨٠ ألف نسخة : راجع د/ السيد الباز العرينى : المغول ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٧ ، ص ٢١٩ و بعد سقوط الدولة العباسية فى بغداد أحياها الظاهر بيبرس في القاهرة وظل خلفاء بنى العباس يقيمون فيها وليس لهم من الخلافة إلا الاسم حتى غزا العثمانيون البلاد العربية ويقال أنهم تلقبوا بألقاب الخلافة وهم بذلك أول من تلقب بها من خارج قريش ، وظلت فيهم حتى عام ١٩٢٢م عندما ألغاها كمال أتاتورك . لمزيد من التفاصيل راجع: على عبد الرازق : الإسلام وأصول الحكم ، هـ. م .ع القاهرة ١٩٩٥م .

ضعف الخلافة تغلب على النواحى كل متملك لها، وانفرد ابن طولون(1) بمملكة مصر والشام، وذريته من بعده، ثم الإخشيد(2) وبعده كافور ممدوح المتنبى ثم قدم جوهر القايد، بعد موت كافور، من قبل المعز (3) ، فملكها من غير ممانع، وأسس القاهرة

١- ابن طولون: جاء أحمد بن طولون إلى مصر للمرة الاولى عام ٢٥٤هـ ٨٦٩م وكيلا عن الوالى التركى "باكباك" الذى عينه الخليفة واليا على مصر فاستقل بها وضم إليها الشام والحجاز واهتم بالجيش والاسطول واقامة العمائر التى من أهمها مسجد أحمد بن طولون وكما انشأ عاصمة جديدة لمصر هى القطائع وقد فشلت الدولة العباسية فى استعادة مصر فى عهد أحمد بن طولون ولكن نتيجة للإسراف الشديد سقطت مصر فى عهد خماروية على يد القائد العباسى "محمد بن سليمان" الذى نجح في إعادة مصر إلى حظيرة الدولة العباسية عام٩٥٥م راجع د/ سيدة إسماعيل كاشف، حسن أحمد محمود : مصر فى عهد الطولونيين والإخشيديين ، الأنجلو المصرية ، ١٩٦٠

٢-الإخشيد: هو "محمد بن طغج الإخشيد" استقل بمصر بعد سقوط الدولة الطولونية بثلاثين عام وخرج بها من حظيرة الدولة العباسية للمرة الثانية وقد خلفه فى حكم مصر ابناه " أبو القاسم" وأبوالحسن على" تحت وصاية "ابو المسك كافور" الذى كان عبدا حبشيا اشتراه الاخشيد وقربه اليه، ورقاه فى المناصب حتى اصبح الحاكم الفعلى بعد وفاة الاخشيد وبعد وفاة كافور تولى "أبو الفوارس أحمد" حفيد الإخشيد وكان صبياً صغيراً لا يستطيع أن يحفظ استقلال الدولة التى كانت تعانى من الأزمات الاقتصادية وانتشار القحط والأوبئة واضطراب الأمن فسقطت مصر فريسة سهلة فى يد القائد الفاطمى جوهر الصقلى د/ سيدة اسماعيل كاشف: مصر فى عصر الإخشيديين مطبعة جامعة فؤاد الأول ،القاهرة، ١٩٥٠، صـ ٥٥

٣- هذه العبارة مرتبكة فى النسخة (جـ) ونصها "وبعده كافور من قبل المغرب فملكها من غير ممدوح المتنبى ثم جوهر القايد من المغرب بعد موت كافورمن قبل المغرب فملكها من غير ممانع " .

والجامع الأزهر(١) وقدم سيده المعز وهو أول الفواطم بمصر، فملكوا نيفاً ومائتين من السنين، إلى أن ضعف أمرهم فى أيام العاضد، وسوء سياسة وزيره شاور(٢) فتملكت الإفرنج بلاد السواحل الشامية وظهر بالشام نور الدين محمود بن زنكى(٣) فبذل همته فى الجهاد واستنقذ منهم عدة من البلاد التى استولوا عليها،

١- الجامع الأزهر:بعد أن دانت مصر"لجوهر الصقلى" القائد الفاطمى عسكر هو وجنده فى الأراضى الرملية الممتدة فى شمال شرقى الفسطاط، وبدأ فى بناء قصر حصين لاستقبال سيده المعز لدين الله الفاطمى وحول القصر وضع حدود العاصمة الجديدة التى سميت القاهرة وفى يوم الأحد ٣ أبريل عام ٩٧٠م وضع جوهر أُساس الجامع الازهر الذى تم بناؤه وأقيمت أول صلاة فيه يوم ٢٤ يونيه ٩٧٢ ومنذ عام ٩٨٨م أصبح العلماء يؤمونه من كل حدب وصوب حتى صار ذلك الجامع من أهم الجامعات الإسلامية يجتمع فيه طلاب العلم من الملايو شرقا حتى ساحل الذهب غربا ولكل شعب رواق خاص به، وقد تعرض الجامع للترميم والاصلاح أكثر من مرة واعيد بناؤه على نطاق واسع فى القرن الثامن عشر وأواسط القرن التاسع عشر الميلاديين راجع د/ حسن الباشا : القاهرة تاريخها وآثارها وأيضاً:لين بول استانلى، القاهرة ، هـ. م. ع

٢- شاور: فى عهد الخليفة"العاضد" الفاطمى تولى الوزارة الوزير "ضرغام الذى سمح للصليبيين بالتدخل فى أمور البلاد وذلك للاستعانة بهم على منافسه شاور الذى استعان بدوره بالسلطان "نور الدين محمود زنكى" السجلوقى والذى أرسل جيشاً بقيادة أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبى وهى الخطوة التى أعقبها سقوط الدولة الفاطمية وإقامة الدولة الأيوبية لمزيد من المعلومات .

راجع: د/ جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية دار المعارف القاهرة ،١٩٩٧م

٣- كان "عماد الدين زنكى" حاكم إمارة الموصل هو أول من أعلن الجهاد ضد الصليبيين الذين تملكوا الشام وكونوا أربع امارات صليبية هى "الرها" و"انطاكية" "وبيت المقدس " "وطرابلس" وقد نجح عماد الدين فى هزيمة الصليبين والاستيلاء على إمارة الرها فى عام ١١٤٤م مما كان سبباً فى مجئ الحملة الصليبية الثانية ثم ركز "نور الدين محمود"ابن عم عماد الدين زنكى جهوده لإنقاذ مصر من الوقوع فى قبضة الصليبيين الذين انتهزوا ضعف الخليفة وحاولوا الاستيلاء عليها.

وكانت(١) الحرب بينهم وبينه سجالاً وقد كانت الإفرنج فى زمن العاضد إلى بلبيس(٢) وصلت، ولإقليم مصر أرهبت وأزعجت، وضربت على أهله . الضرايب ووقعت الحروب بين الفريقين، تكون الغلبة فيها على المصريين لسوء تدبير مشير الدولة، ثم أنه أشار بحرق الفسطاط(٣) فأمر الناس بالجلاء عنها[ص ١٦] وأرسل

١- كلمة "كانت" كتبت فى النسخة (أ) "كان" والصواب ما أثبتناه من باقى النسخ.

٢- بلبيس : وهى من المدن القديمة ذكرها"جوتييه" فى قاموسه وقال "أن اسمها القبطى"becok"وردت فى المصادر العربية بأسم بلبيس فى كتاب المسالك "لابن خرداذبة" ضمن القرى الواقعة على الطريق من الفسطاط بمصر إلى الرملة بفلسطين قال وبينها وبين الفسطاط ٢٤ميلا وكانت بلبيس قاعدة الحوف الشرقى ايام العرب ثم قاعدة الاعمال الشرقية إلى سنة ١٨٣٢ وفى تلك السنة أصدر "محمد على باشا" أمرا بنقل ديوان المديرية والمصالح الاميرية إلى الزقازيق لتوسطها بين بلاد المديرية وبذلك اصبحت بلبيس قاعدة لقسم بلبيس الذى أنشئ فيها بدلا من ديوان المديرية من تلك السنة حتى سنة ١٨٧١م سمى مركز بلبيس. لمزيد من المعلومات راجع :محمد رمزى : مرجع سابق ، القسم الثانى الجزء الاول ص ١٠٠.

٣-الفسطاط: بعد أن دانت مصر للمسلمين عام ٦٤١م قام عمرو بن العاص بتأسيس مدينة الفسطاط التى سميت بهذا الاسم نسبة إلى فسطاط عمرو- أى خيمته- وقد ظلت عاصمة لمصر حتى بنى صالح بن على العباسى مدينة العسكر ، ثم بنى ابن طولون مدينة القطائع، فى أقصى الشمال الشرقى بين جبل يشكر وسفح المقطم ، وبعد سقوط الدولة الطولونية دمر العباسيون القطائع واستقروا فى العسكر التى اصبحت جزءا من الفسطاط وفى نفس الاتجاه الشمالى الشرقى أسس جوهر "القاهرة" ومع ذلك فقد ظلت الفسطاط عامرة بأهلها حتى عام ١١٦٨م عندما هاجم عمورى ملك بيت المقدس الصليبى مصر ولما استولى على بلبيس أمر شاور بحرق الفسطاط لإيقاف الزحف الصليبى واستمرت النيران مشتعلة اربعة وخمسين يوما، هذا ولا تزال آثار هذا الحريق واضحة فى ثنايا التلال الرملية جنوبى القاهرة راجع – استانلى لين بول : مرجع سابق

عبيدة بالشعل والنفوط ، فأوقدوا فيها النار فاحترقت عن آخرها واستمرت النار بها أربعة وخمسين يوماً، وأرسل الخليفة العاضد يستنجد نور الدين الشهيد، وبعث إليه بشعور نسايه، فأرسل إليه جنداً كثيفاً، وعليهم أسد الدين شيركوه (١) وأخوة (٢) الناصر يوسف صلاح الدين، فحصل النصر، وارتحل الإفرنج عن البلاد، وقبض أسد الدين على الوزير وصلبه، ولم يزل هو وأخوه يعملان الحيلة فى المملكة، وإظهار السنة وإخفا البدعة، واستوزر الخليفةُ العاضدُ أسدَ الدين، فتوفى، وأقام عوضة فى الوزارة الناصر يوسف، فبذل همته فى مقصده، وظهر أمره لخليفته، فأثار فتنة فى جنده ليتوصل بها إلى هزيمة الأكراد، وإخراجهم من بلاده، فتعاظم الأمر، وانشقت العصا، ووقعت حروب بين الفريقين، أبلى فيها الناصر يوسف وأخوه شمس الدولة بلاءً حسناً، وانجلت الحروب عن نصرتهما، وخذلان العسكر الفاطمى، فعند ذلك ملك الناصر القصر وضيق على الخليفة ، وحبس أقاربه وأولاده، وقتل أعيان دولته وأخذ أموالهم، واحتوى ما فى القصور من الذخاير والأموال، وصرفها فى الغزو والجهاد ومصالح المسلمين ، وهلك العاضد قهراً، وأظهر الناصر يوسف الشريعة المحمدية ، وطهر الإقليم من البدع والتشيع

١- عمل أسد الدين شيركوه هو وأخوه نجم الدين أيوب فى خدمة عماد الدين زنكى حاكم الموصل، ثم فى خدمة "نور الدين محمود" ابن عم "عماد الدين زنكى" حاكم الموصل ولما هجم الصليبيون على مصر استنجد العاضد بنور الدين محمود فأرسل اليه"أسد الدين شيركوه" وبعد أن نجح فى طرد الصليبين من مصر ؛ نجح فى التخلص من الوزير شاور، وتولى الوزارة مكانه راجع جمال الدين محمد بن سالم بن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى ايوب . تحقيق د/ جمال الدين الشيال مطبعة جامعة فؤاد الاول / ١٩٥٣، ص٧

٢- من الثابت تاريخيا أن "أسد الدين شيركوه" هو العم الأكبر للناصر صلاح الدين الأيوبى، وليس أخوه، وهو خطأ وقع فيه مؤرخنا.

والعقايد الفاسدة . وأظهر عقايد أهل السنة والجماعة[1] وهى عقايد الأشاعرة[2] والماتريدية[3] وبعث إليه أبو حامد الغزالى[4] بكتاب ألفه له فى العقايد، فحمل

١- منذ تولى صلاح الدين الأيوبى الوزارة للعاضد الفاطمي وهو فى موقف غريب فهو وزير لصاحب مصر الخليفة العاضد الفاطمي الشيعى، وهو فى نفس الوقت قائد لجيش نور الدين صاحب الشام السنى فهو موزع الولاء ولكن كان نور الدين يود أن يقوم صلاح الدين بالقضاء على الدولة الفاطمية وقطع الخطبة لاخر خلفائها العاضد ولكن صلاح الدين قام بخطوات تمهيدية لذلك كانت بمثابة تقليم أظافر العاضد وقواد جيشه ثم قام بالخطوة الفعلية يوم الجمعة أول محرم سنة ٥٦٧هـ عندما خطب للخليفة المستضئ بالله العباسى ولم ينكر عليه أحد ذلك ، وفى الجمعة الثالثة أمر صلاح الدين بتعميم الخطبة للخليفة العباسى فى الفسطاط والقاهرة وبذلك انقطع أخر خيط فى حياة الدولة الفاطمية.د/ جمال الدين الشيال:مرجع سابق ، جـ١ ص٢٨

٢- الأشاعرة: ينسب الأشاعرة إلى الأشعرى أبو الحسن على بن أبى بشر ولد سنة ٢٦٠هـ بالبصرة تتلمذ على يد ابو على الجبائى وقد ظل على مذهب الاعتزال لا يفارقه ٤٠سنة وكان ينوب عن أستاذه فى المناظرة وبلغ فى الجدل والمناظرة مرتبة كبيرة وذكر له العديد من التصانيف ولقد تحول الأشعرى عن مذهب المعتزلة ، وحول اسباب هذا التحول يحكى اتباعه قصصا موضوعة الغرض منها اضافة نوع من القداسة علي ذلك التحول وكأنه جاء بأمر إلهى وموافق لما جاء به النبى وأنه تم بأمر النبى الكريم وتحوم حولها العديد من الاساطير المزيد من المعلومات راجع د/ على عبد الفتاح المقرى : الفرق الكلامية الإسلامية ، مكتبة وهبة القاهرة ١٩٩٥، ص ٢٦٨ .

٣- الماتريدية:تنتسب الماتريدية إلى منصور الماترى ٣٣٢هـ وتسمت باسمه وهو المؤسس للاتجاه الكلامى فى المذهب الحنفى وتلقى على يديه الكثير من التلاميذ والاتباع وامتدت آثار هذه المدرسة فى أنحاء عديدة من البلاد الإسلامية ، بل لقد تأثر ببعض أفكارها بعض المتكلمين من معتزله وأشاعره وغيرهم وامتد آثرها الفكرى للعصر الحديث في آراء الشيخ محمد عبده فى " رسالة التوحيد" خاصة وأن كتب الماتريدية كانت تدرس فى الازهر على عهد الشيخ محمد عبده راجع د/ عبد الفتاح المقرى : مرجع سابق ، ص ٣٢٨ .

٤- أبو حامد الغزالى: ولد الإمام أبوحامد الغزالى فى "غزالة" إحدى قرى طوس عام ١٠٥٨م وتوفى عام ١١١١م وقد قضى الغزال فترة قصيرة من حياته فى طوس ثم انتقل إلى نيسابور حيث التقى بامام الحرمين"ابى المعال الجوينى" فتتلمذ عليه ودرس الفلسفة والمنطق وتعلم الجدل وكان له مكانه كبيرة فى عصرهوما زالت كتبه حتي الان تدرس ومنها "الفلسفة والأخلاق "و"مقاصد الفلاسفة "وتهافت الفلاسفة "و"الاقتصاد فى الاعتقاد" و"المنقذ من الضلال" ثم "إحياء علوم الدين" د/ محمد عزيز نظمي سالم:الفكر السياسى والحكم فى الإسلام – شباب الجامعة الاسكندرية ، ص ١٥٥ .

الناس على العمل بما فيه، ومحا من الإقليم مستنكرات الشرع، وأظهر الهدى .

ولما توفى(١) نور الدين الشهيد انضم اليه ملك الشام، [ص ١٧] وواصل الجهاد، وأخذ فى استخلاص ما تغلب عليه الكفار من السواحل وبيت المقدس(٢) وحارب من خالفه من ملوك الأطراف واتسع ملكه، وافتتح الفتوحات الكثيرة، وأخذ البلاد الفراتية وديار بكر وغيرها، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى إلى رحمة الله تعالى، وأنفق جميع ماله فى الغزو حتى قيل أنه لم يترك إلا أربعين درهماً، ولما مات استقر الأمر لأولاده وأولاد أخيه الملك العادل ، وحضر الفرنج أيضا إلى

١-كلمة "توفى" كتبت فى النسخة (ب) "تولى" والصحيح ما أثبتناه بالمتن من باقى النسخ ومعنى العبارة أنه لما توفى نور الدين انضم ملك الشام إلى صلاح الدين فى مصر.

٢- منذ تولى صلاح الدين الحكم فى مصر بذل قصارى جهده لإخراج الصليبين من المشرق فلما اتصل به نبأ اغارة "رينو دى شاتيون " صاحب حصن الكرك على سواحل بلاد الحجاز وقطعة طريق الحج وأخذه بعض قوافل المسلمين وهم فى طريقهم لبيت الله ؛ أغار صلاح الدين علي الولايات الصليبية ، وهزم الصليبين هزيمة منكرة فى موقعة حطين القريبة من طبرية سنة ٥٧٩هـ/١١٨٧م ثم أخذ يطاردهم حتى استولى على حصن طبرية بعد قليل ولما فرغ من طبرية واصل زحفه حتى بلغ عكا فحاصرها واستولى عليها ثم وقعت في يده نابلس والرملة وقيسارية وارسوف ويافا وبيروت كما سقطت ايضا صور وطرابلس وعسقلان وبذلك أخذ صلاح الدين يعد العدة لاسترداد بيت المقدس ونجح فى ذلك لأن سكانها من الصليبين بعدما رأوا ما آلت اليه أحوال المدن الصليبية المحيطة بالقدس وانتصارات صلاح الدين عليها ؛ تحققوا أنهم صائرون إلى ما صار أولئك اليه فطلبوا الأمان وفتحت القدس فى٢٧رجب ٥٨٣هـ .

راجع : ابن خلكان : وفيات الأعيان .

مصر فى أيام الملك الكامل بن العادل(١) وملكوا دمياط وهدموها، فحاربهم شهوراً حتى أجلاهم ، وعمرت بعد ذلك دمياط، هذه الموجودة الآن فى غير مكانها، وكانت تسمى بالمنشية(٢) وحضروا أيضا فى دولة الملك الصالح نجم الدين أيوب الكردى (٣) من أولاد العادل ، فملكوا دمياط أيضا ، وزحفوا إلى

١- بعد وفاة صلاح الدين تولى الحكم أخيه العادل الذى حافظ على وحدة البلاد واستمر يناضل ضد الصليبين، وعندما كان فى الشام جاءت الحملة الصليبية الخامسة بقيادة" حنادى بريين" فى أسطول ضخم وجيش جرار ونجحوا فى الاستيلاء على دمياط فى عام ١٢١٩م فعسكر الكامل الذى كان ينوب عن والده فى حكم مصر عند الموضع الذى سمى المنصورة وفى اثناء ذلك توفى العادل كمداً وتولى الكامل الذى نجح فى حصار الصليبين مستغلا الفيضان فطلبوا الصلح لما ايقنوا بالهلاك وهكذا تم جلاء الصليبين عن دمياط دون قيد أو شرط فى عام ١٢٢١م وفشلت الحملة الصليبية الخامسة. لمزيد من التفاصيل راجع سعيد عبد الفتاح عاشور : اوروبا العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١م جـ١، ص ١١.

٢- المنشية:أحيط تاريخ دمياط القديم وتسميتها بالكثير من الغموض ولكن الثابت هو أنها كانت إحدى أهم موانئ مصر على البحر المتوسط فى خلال العصر الإسلامى وظلت دمياط تمثل ميناء هاماً فى القرن الثامن عشر الهجرى حيث وصفها سافارى الذى زارها سنة ١٧٧٩م بأنها مدينة كبيرة بها حوالى ثمانية الاف نسمة ولها ضواحى عدة منها المنشية وهى ذات اسواق حافلة بالبضائع ووكائل وخانات رحبة بها بضائع الشرق والغرب.راجع د/ عبد الحميد حامد سليمان : تاريخ الموانئ المصرية فى العصر العثمانى هـ. م .ع القاهرة ١٩٩٥م ص ١٨

٣- نجم الدين أيوب الكردى: خلف الملك الكامل على عرش مصر ابنه العادل الثانى ولكنه كان طفلا غراً وليس له صفات أبيه، وقد تمكن أخوه الصالح نجم الدين أيوب من خلعه فى سنة ٦٣٧هـ ١٢٤٠م وسجنه بالقلعة ثم قتله بعد قليل ولذلك فالصالح من اولاد الكامل وليس العادل كما يقول مؤرخنا ، وكان الصالح شخصية قوية تعيد إلى الأذهان شخصية جده العادل الاول وشخصية أبيه الكامل، وقد شهد عصر الصالح حدثين خطيرين: اولهما: حركات المغول نحو الشرق الأدنى وثانيهما حملة لويس التاسع على مصر ولكنه أخذ يشترى المماليك حتى انهم استطاعوا بعد ذلك القضاء على ابنه توارن شاه وتأسيس الدولة المملوكية/ جمال الدين الشيال مرجع سابق جـ١ .

فارسكور(١) واستمر الملك الصالح يحاربهم أربعة عشر شهراً وهو مريض، وانحصر جهة الشرق، وأنشأ المدينة المعروفة بالمنصورة(٢) وثقل مرضه ومات ، وأخفت زوجته شجر الدر(٣) موته ، ودبرت الأمور حتى حضر ولده توران

١- فارسكور: قاعدة مركز فارسكور وهى من القرى القديمة ، وردت فى نزهة المشتاق باسم فارسكور ووردت فى نسخ أخرى منها محرفة باسم فارسكر وفارسكو وقال وهى على الضفة الشرقية من الخليج ووردت فى معجم البلدان باسم الفارسكر قال : وهى من قرى مصر قرب دمياط من كورة الدقهلية وفى قوانين ابن مماتى فارسكور من أعمال الدقهلية وفى تحفة الإرشاد فارس كور ، وفى التحفة فارسكور من أعمال الدقهلية والمرتاجية ، ولما أنشئ قسم فارسكور سنة ١٨٤٠ اصبحت فارسكور قاعدة له ومن سنة ١٨٧٠ سمى مركز فارسكور وهى الآن تابعة لمحافظة دمياط راجع . محمد رمزى القاموس الجغرافى للبلاد المصرية هـ. م. ع القاهرة ١٩٩٤ ، القسم الثانى الجزء الاول ص ٢٤١ .

٢- المنصورة : أنشأها الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر ابن أيوب فى سنة ١٢١٩م عندما احتل الفرنج مدينة دمياط ، وقد جعلها الكامل منزله لعسكره وسماها المنصورة تفاؤلا بانتصاره على الصليبين وأول من كتب من الجغرافيين عن المنصورة هو ياقوت الحموى فقد ذكرها فى معجم البلدان الذى كتبه بعد إنشائها بست سنوات وأصبحت المنصورة قاعدة لإقليم الدقهلية منذ عام ١٥٢٧م عندما أصدر سليمان باشا الخادم امرا بنقل ديوان المحكمة من بلدة اشمون الرمان الى مدينة المنصورة لتوسطها بين الاقليم وحسن موقعها علي النيل وبذلك اصبحت المنصورة عاصمة اقليم الدقهلية ومقر دواوين الحكومة من تلك السنة إلى اليوم محمد رمزى القاموس الجغرافى القسم الثانى الجزء الأول ص ٢١٥ .

٣- شجر الدر: هى أم الخليل التركية ، من حظايا الملك الصالح وكان ولدها منه خليل مات صغيرا ، ولم تكن تفارق زوجها لشدة محبته لها ، ملكت الديار المصرية بعد مقتل توران شاه، وضربت السكة باسمها وعملت على المناشير مدة ثلاثة أشهر، تزوجت عز الدين أيبك التركمانى ، وتول السلطنة ، ولكن غارت عليه عندما علمت بنبأ استعداده للزواج من بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فتحايلت عليه حتى قتلته فتمالأ عليها مماليكه المعزية فقتلوها وألقوها على مزبلة ثلاثة أيام ثم نقلت إلى تربة لها بالقرب من قبر السيدة نفيسة رحمها الله ابن كثير مصدر سابق ، جـ١٣، ص ٣٤ .

شاه(١)من حصن كيفا(٢) وكانت الكفار قد انهزمت قبل مجيئة شر هزيمة وأسر ملكهم (٣) وكانت الفرنج هم طايفة الفرنسيس.

والملك الصالح أول من اشترى المماليك وأمّرهم بمصر، وبنى لهم قلعة الروضة (٤) وأعدهم للجهاد، وسماهم المماليك البحرية، وبعد هزيمة الفرنج استوحش المماليك من ابن سيدهم فغدروه وقتلوه ، وآل الأمر لتملكهم فكان أولهم أيبك التركماني ، ولما مات ولوا ابنه المظفر على ، فوقعت حادثة التتار ، فخلع المظفر لصغره وتولى قطز(٥) فحارب التتار وظهر عليهم بعد أن

١-توران شاه : عندما توفى الملك الصالح أخفت زوجته شجرة الدرموته وأظهرت أنه مريض لا يوصل اليه وبقيت تعلم بعلامته وأعملت إلى أعيان الامراء فأرسلوا إلى ابنه الملك توران شاه وهو بحصن كيفا فاقدموه إليهم سريعا ولما قدم عليهم ملكوه عليهم وبايعوه أجمعين ولكن قتله الأمير عز الدين ايبك فضربه فى يده فقطع بعض أصابعه فهرب الى قصر من خشب فى المخيم فحاصروه فيه وأحرقوه عليه فخرج من بابه مستجيرا برسول الخليفة فلم يقبلوا منه فهرب إلى النيل فانغمر فيه . ابن كثير مصدر سابق ، جـ١٣، ص ٢١٠ .

٢- حصن كيفا : هو حصن فى العراق .

٣- الحقيقة أن هزيمة الفرنسيين وأسر ملكهم لويس التاسع تم على يد توران شاه فى قرية ميت الخولى عبد الله القريبة من فارسكور وليس كما يذكره مؤرخنا أنه تم قبل مجيئه من حصن كيفا وكل ما حدث قبل مجيئه هو ارتدادهم عن المنصورة.

٤- قلعة الروضة: انشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بجزيرة الروضة فى سنة ٦٣٨هـ-١٢٤٠م وقد انفق فى عمارتها اموالا كثيرة حيث بنى فيها الدور والقصور وعمل لها ستين برجا وبنى بها جامعا، ثم اتخذها دار ملك وسكن فيها بأهله وحرمه واسكن فيها معه مماليكه البحرية وقد اندثرت هذه القلعة وقد شغلت مساحة من الارض لا تقل عن ٦٥ فدان. د/ عبد الرحمن زكى: موسوعة مدينة القاهرة فى الف عام . الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٩م ، ص ٢١٥.

٥- قطز: كان أنبل مماليك المعز أيبك ويقال أنه ابن أخت خوارزم جلال الدين وأنه حر واسمه "محمود بن ممدود" ، وبعد مقتل المعز تولى ابنه المنصور ، وكان صغيرا فخلعه ونفاه هو وأمه إلى بلاد "الاتكرى" وقبض على عدد من الامراء وهزم التتار فى "عين جالوت" ، ويذكر أنه يوم عين جالوت لما رأى انكشافاً فى المسلمين رمى الخوذة من على رأسه وحمل ونزل الميدان وهو يقول "واإسلاماه". قتل فى ذى القعدة ٦٥٨هـ/ ١٢٦١م . وكان شاباً أشقراً وافر اللحية تام الشكل.الامام شمس الدين الذهبى :سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٢ جـ١٨

كـانوا ملكوا[ص ١٨] بغداد، ومعظم المعمور من الأرض ، وقهروا كل
تولى الظاهر بيبرس أبو الفتوحات البندقارى وأولاده (١) ثم الملك المنصور
الخيرات قلاوون الألفى وأولاده(٢) منهم الأشرف خليل، والملك الناصر
وطالت مدته، وتولى من أولاده بمصر اثنا عشر سلطاناً، وفى أيام ابن ا
الأشرف شعبان بن حسين، حضرت الفرنج إلى الاسكندرية على حـ
وملكوها ونهبوا اموالها وأسروا نساءها، ووصل الخبر إلى مصر فتجهز
وسار بعساكره، فوجدهم قد ارتحلوا عنها وتركوها، ولهذه الواقعة تاريـ
عليه فى مجلدين ويقال أن الفرنساوى الذى يكون فى أذنه قرط.أمه أصـ

١- بيبرس البندقدارى: بعد موقعة عين جالوت وفى أثناء عودة المظفر قطز إلى مصر
بعض الأمراء عند الصالحية بقيادة بيبرس وقتلوه وتولى بيبرس خلفه وكان حازماً
حارب التتار عندما حاولوا العودة إلى الشام مرة أخرى وانتصر عليهم فى عام
ومنعهم من التحالف مع بقايا الصليبيين فى الشام ، كما تحالف مع مغول القبجاق
الذهبية] وتزوج ابنةزعيمهم المدعو "بركة خان" الذى أسلم وأسلمت معه قبيلته ، وقـ
استطاع بيبرس بهذا التحالف القضاء على أطماع مغول فارس فى الشام كما تـ
ذلك للصليبيين واستولى على أكبر إماراتهم بالشام وهى إمارة أنطاكية . قام بالعـ
الإصلاحات وأحيا الخلافة العباسية فى مصر كذلك أقام العديد من العمائر التى ـ
باقية حتى الآن.ابن كثير : مصدر سابق ، جـ ١٣، صـ ٢٦٠ .
٢- قلاوون الألفى وأولاده: لم يؤمن المماليك إطلاقاً بمبدأ الوراثة فى الحكم فالأمراء ـ
سواء والحكم للأقوى وفى بعض الأحيان كان المماليك يظهرون جزءاً من الوفاء للمـ
الراحل فيعينون ابنه بعده سلطانا ، ولكن لا تلبث أن تنقشع الغيوم وتزول صدمة ـ
وعند ذلك يدرك المماليك أن هذا الوضع غير طبيعى ولم يحدث طوال فترات الحكم
أن ظلت السلطنة فى بيت واحد مدة طويلة باستثناء بيت قلاوون الذى حطم تلك القـ
والذى يعتبر مثلاً فريداً فى تاريخ المماليك لبقاء الحكم فى بيت واحد أكثر من قرن ـ
١٣٨٢م ويرجع ذلك للعديد من الظروف التى أحاطت بالبيت ويعطى أفراده فضلا ـ
راجع د/ سعيد عبد الفتاح عاشور:العصر المملوكى فى مصر والشام،الأنجلو المـ
القاهرة ١٩٩٤، ص ١٠٦

النساء المأسورات فى تلك الواقعة (١)

ثم كانت دولة الجراكسة(٢) وأولهم الملك الظاهر برقوق العثمانى من مماليك الملك الناصر حسن بن محمد قلاوون فاستمر (٣) الملك فيهم وفى بيتهم إلى أن كان آخرهم الملك الأشرف قانصوه الغورى فلم يزل فى الملك إلى أن كان ما كان بينه وبين السلطان الأكبر، والملك الأفخم، السلطان المجاهد المغازى، قامع كل عدو، وله على مخالفته مجازى، مولانا السلطان سليم خان (٤)ووقع بينه وبين الأشرف

١- كتبت "الوقعة" فى النسخة (أ) وفى النسخة (جـ) كذلك وفى طبعة لجنة البيان العربى كتبت هذه العبارة هكذا "الفرنساوية التى يكون فى أذنها قرط أصلها من النساء المأسورات فى تلك الواقعة " .

٢-الجراكسة: ينسب الجراكسة إلى إقليم جركسيا الذى يطل على الساحل الشمالى الشرقى للبحر الأسود والذى ظل مورداً للرقيق الأبيض للعالم الإسلامى قروناً عديدة وقد تأثرالجراكسة بطبيعة بلادهم الجبلية الباردة ، التى تتخللها السهول الخصبة والمروج الخضر وكانت أجسام الجراكسة بصفة خاصة والشعوب القوقازية بصفة عامة تتميز بالقوة وتمام النمو وشدة الاحتمال وجمال المنظر والسلطان المنصور قلاوون هو أول من استقدم المماليك الجراكسة وأشرف بنفسه على تدريبهم على السلاح وأسكنهم بجواره فى أبراج القلعة ولذلك اطلق عليهم اسم المماليك البرجية لمزيد من التفاصيل راجع:عماد أحمد هلال : الرقيق فى مصر فى القرن التاسع عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب المنصورة ١٩٩٦ .

٣-كلمة " فاستمر" كتبت فى النسخة (ب) هكذا "واستمر"

٤-السلطان سليم خان: ابن السلطان بايزيد استطاع خلع والده عن الحكم عام ١٥١٢م بمساعدة الانكشارية وقد ابدى سليم منذ بداية حكمة ميلا الى سفك الدماء وخوض المعارك لذا فقد خاض العديد من المعارك ووسع الدولة العثمانيةفى المشرق الإسلامى وعلى حين أنه اتصف بالحيوية الذهنية والجسدية فانه كان لا يبدى اكتراثا بالمباهج الحسية ويؤثر عليها الصيد ولم يكن ينام الا قليلا ممضيا قسطا طويلا من الليل فى الدراسات الادبية راجع /د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى: اصول التاريخ العثمانى ، دارالشروق ، القاهرة ١٩٩٣، ص ٧٦ .

الغورى ماهو مسطر فى محله(1) ولما استقر أمره بملك مصر عفى(2) عن الكثير من الجراكسة وأبنائهم، ورتبت الخيرات والعلوفات(3) وقرر مرتبات

١-لمزيد من المعلومات عن هذه الأحداث راجع محمد بن أحمد بن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور تحقيق محمد مصطفى ، هـ.م.ع القاهرة ١٩٧٦ ، وانظر أيضاً أحمد بن زنبل الرمال: واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى ، تحقيق عبد المنعم عامرهـ.م.ع ١٩٩٧، وأيضاً : محمد بن أبى السرور البكرى: الروضة المأنوسة فى أخبار مصر المحروسة تحقيق عبد الرازق عيسى ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ١٩٩٧.

٢-عمل السلطان سليم بعد استقرار أحوال البلاد لصالحه على الاستفادة من المماليك فى الإدارة المحلية وذلك بحكم خبرتهم الطويلة فى هذا المجال كما عمل على تكوين أوجاق الجراكسة منهم .

٣- العلوفات : هى المرتبات النقدية التى يأخذها أعضاء الأوجاقات العسكرية العثمانية وظهرت فى الوثائق إشارات إليها وأربابها من مختلف العناصر وكانت تباع العلوفات على أيدى دلالين من رجال الأوجاقات المختلفة ، ولقد أدت زيادة بيع العلوفات إلى إقبال أهل الحرف من أصحاب الدخول المتواضعة ومن مختلف الحرف على شرائها لتكون مورداً هاماً لتحسين أوضاعهم ، ولقد انتسب أرباب العلوفات إلى مختلف الأوجاقات ، دون مشاركة فعلية فى العمل العسكرى ، وهم ينتمون إلى فئات اجتماعية مختلفة.

د/ عراقى يوسف محمد : الوجود العثمانى المملوكى فى مصر، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

الأوقــاف وغــلال الحــرمــين والأنــبــار(١) ورتبت عــلوفــات الأيــتــام والمــشــايخ (٢) المتـقـاعـدين، ومـصــارف القـلاع والمرابطين، وأبطل المظالم، ورفع المكوس والمغـارم ، وغيـر ذلك مما تقـصـر عنه العبـارة، [ص١٩] ويعلم بعـضـهـا من المعنى والإشـارة، حتى قيل أنه لم يصـحب من مصـر شيئاً سوى اكتسـاب جميل الذكر ونفاذ الهمة واتساع الملكة:

"شعر" (٣)

إن الأسود أسود الغاب همتها ... يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

ولما انتـقل إلى رحـمـة مـولاه، وتولى بعـده الملك الأعظم، والخـاقـان الأفـخم،

١- الأنبار: كان هناك مبنى يتبع خزينة مصر يسمى مبنى "الأنبار أمين" ويعنى المخازن السلطانية للمواد العينية، وكان يشار إليه احيانا باسم "الشئون السلطانية" أو "العنبر" وكانت تلك الأنبار مكونة من مخزنين كبيرين على شاطئ النيل فى مصر القديمة ، وينسب بناء هذه المخازن إلى سيدنا يوسف ولكنها أخذت اشكالا مختلفة على أيدى آلاف الحكام الذين اتبعوه ، ولقد عرف مدير الشئون السلطانية أو الأنبار الأميرية فى مصر العثمانية بلقب "أمين الأنبار الشريفة " ، وكان مختصاً بحفظ الإيرادات النوعية للخزينة وفى القرن السادس عشر كان أمين الأنبار يرسل من استانبول ثم اصبح يؤخذ من بين ضباط فرقة الجاويشان فى مصر ثم سيطر البكوات المماليك على هذا المنصب كفيرة من المناصب الإدارية الهامة فكان يشغله واحد منهم حتى أواخر العهد العثمانى . وكان لامين الانبار سلطة إدارية أعظم من سلطة الخازندار ، فقد كان أمين الأنبار يحصل على إيرادات نوعية هامة من المدفوعات النوعية التى يقدمها الاشخاص المقرر عليهم تقديمها للشئون السلطانية لمزيد من المعلومات راجع د/ ليلى عبد اللطيف :الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٧٨، صـ ٣١٤ وما بعدها. جدير بالذكر أن الأنبار فى اللغة العربية تعنى أهراء الطعام كما تعنى بيت التاجر الذى يضع فيه متاعه . راجع "لسان العرب" ، جـ٦ ، ص٤٣٢٤ .

٢- فى النسخة (د) (المشائخ) وهذه هى المرة الأولى التى تكتب فيها هذه الكلمة بالهمزة وهى ليست من أسلوب الجبرتى ، ولعل الناسخ تعمد كتابتها بهذا الشكل .

٣- كلمة "شعر" غير موجودة فى النسخة (أ)

صاحب المناقب المشهورة، والمآثر الحميدة المنشورة، حضرة السلطان الغازى سليمان،(١) عليه الرحمة والرضوان، فأسس القواعد ، وتمم المقاصد ونظم الممالك وآثار الحوالك ورفع منار الدين، وأخمد نيران الكافرين ، وسيرته الجميلة غنية عن التعريف،وتراجمه مشحونة بها التصانيف، ولم يزل هذا شأنهم، أدام الله أيامهم، من عهد جدهم الأعلى غازى عثمان، دائما إن شاء الله تعالى لآخر الزمان،باقية دولتهم، قائمة دعوتهم، قوية شوكتهم وافرة حرمتهم، نافذة سطوتهم، مفروضة طاعتهم، فإنهم من خير من تقلد أمور الأمة بعد الخلفا المهديين ، وأشد من ذب عن الدين ، وأعظم من جاهد فى المشركين ، فلذلك اتسعت ممالكهم، بما فتحه الله على أيديهم وأيدى نوابهم ، وملكوا أحسن المعمور من الأرض ، ودانت لهم الممالك فى الطول والعرض هذا مع عدم اغفالهم الأمور، وحفظ النواحى والثغور، وإقامة الشعائر الاسلامية، والسنن المحمدية وتعظيم العلما وأهل الدين ، وخدمة الحرمين الشريفين(٢) والتمسك فى الأحكام والوقايع، بالقوانين والشرايع، فتحصنت

١- السلطان سليمان: اتفق المؤرخون أنه ولد فى غرة شعبان سنة ٩٠٠هـ ٢٧ أبريل ١٤٩٥م وهو عاشر سلاطين آل عثمان، تولى الحكم فى ٢٩ سبتمبر ١٥٢٠م وقام بالعديد من الفتوحات أهمها فتح جزيرة "رود س" لتكون حلقة اتصال بين مصر واستانبول، وأكد السلطان حماية أرواح وأملاك وشرف الأشخاص أيا كانت عقائدهم، نظم سليمان الضرائب، وفرض على الجنود أن يدفعوا ثمن ما يستولون عليه وهم فى طريقهم إلى الجبهة وعمل على إعادة تنظيم الإدارة وجعل الكفاءة أساسا للتعيين والترقية.محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية تحقيق د/إحسان حقى دار النفائس، بيروت ، ط١، ١٩٨٨، ص١٠٦ .

٢- يذكر المؤرخ محمد بن أبى السرور البكرى فى ذلك قوله: وقد أبقى مولانا السلطان سليم خان الصداقات بمكة المشرفة من جهة الديوان العالى، ومن جهة اوقاف الحرمين بمصر وهى التى يقال لها الصرالمكى ولا زالت سلاطين آل عثمان خلد الله ملكهم إلى آخر الزمان يزيدوها إلى الآن. راجع محمد بن أبى السرور البكرى الروضة مصدر سابق ص ٧٨ .

دولتهم، وطالت مدتهم، وهابتهم الملوك ، وانقاد لهم المالك والملوك. وقد استمر ملك مصر متشرفاً بانتظامه فى ممالك الدولة العثمانية ، أبقاها الله تعالى إلى وقتنا [ص ٢٠] هذا، ومن فيها من الحكام فنوابهم وخدامهم .

ثم إن من اطلع على التواريخ وطالع أخبار الدول، يرى أن كل دولة لابد أن يتحقق فيها شئ من البدع يخالف الشرع، فإن فى دولة الأمويين كان يسب سيدنا على على المنابر(١)،حتى أبطله عمر بن عبد العزيز، وجعل بدله فى الخطبة(إن الله يأمر بالعدل والإحسان) (٢) وفى دولة العباسيين ظهر القول بخلق القرآن(٣) وامتحن بسبب ذلك كثير من العلماء وأعاظم المجتهدين، حتى بطل فى زمن الواثق(٤) وأما دولة الفواطم فكانت كلها بدعاً ومساوى، وكذلك كل دولة آل عثمان أبقاها الله عن كل من هذين، وهذه منقبة مختصة بملكهم، وكذلك لم تزل قوتها متزايدة، وعماد قواعدها إلى ذروة العز والشرف متصاعدة

١- فى النسختين (جـ) و(د) كتبت "سيدنا على المنابر"

٢- سورة النحل الآية ١٩٠.

٣- فى النسخة (ب) كتبت "بخلق الرحمن "وهو خطأ من الناسخ .

٤-فى العهد العباسى الأول حدثت نهضة فكرية وترجم المسلمون التراث الفلسفى اليونانى ووضعوا أصول علم الكلام واستخدموه لمجادلة الفرق الإسلامية بعضها لبعض ، ولا سيما في مسألة القرآن وهل هو مخلوق أو قديم، ومال المأمون إلى ما ذهب إليه المعتزلة لأنه أكثر حرية واعتماداً على العقل فقرب أتباع هذا المذهب إليه ومن ثم اصبحوا ذوى نفوذ فى قصر الخلافة ببغداد ، ووافقهم فيما ذهبوا إليه من أن القرآن مخلوق وعهد إلى تسخير قوة الدولة لحمل الناس على القول بخلق القرآن وكانت أزمة كبيرة مرت بها الدولة الإسلامية راجع د/ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام دار الجيل، بيروت، جـ٢ ، ص٢٧٤ .

"شعر" (١)

ويزيدها مَرُّ الليـالى جـدة وتَقَادُم الأيامُ حسن شباب

أيدها الله بأسود أجناد، أينما سلكوا ملكوا، وباءوا بالغنايم التى أثمرها النصر والعدو ضعيفاً تركوا، ولم يتفق أنه من حين تملكهم لمصر تطرق إليها شر وأشرار، أو إلى الدخول فيها عصابة كفار، سوى هذه الحادثة التى وقعت، ولكنها غير قادحة فى محاسن حيازتهم، وضخامة صيانتهم، وقوة شوكتهم، وسرعة نصرتهم، فإن المقضى واقع، والمقدر ليس له دافع، وما زالت الأيام تأخذ وتعطى، وسهام التدبير تصيب وتخطى، والحروب سجال، والمقدور بآجال(٢) والعبرة فى الأمور بعواقبها، وكانت العاقبة لكونها للمتقين بحمد الله حميدة، وقد مضت والشكر لله الأيام المنحوسة، وأقبلت الأيام السعيدة:

شعر" (٣) [ص ٢١]

سعد الزمان وساعد الإقبال ودنى (٤) المنى وأجابت الآمال

على أن ما وقع من هؤلاء الأشرار، وخسرة الكفار، خلسة مغافل، وغدر عدو جاهل، وسارق وجد أبواب الدار مفتحة فدخلها، ولو كان ثم حارس لما سلكها، وقد أقشعت سحابة (٥) صيفهم، وتدفق عليهم من عارض ما توسموه شآبيب حتفهم، (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) (٦) (وأصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين). (٧)

١- كلمة "شعر" غير موجودة فى النسخة (ب) .

٢- يلقى الجبرتى بمسئولية الغزو الفرنسى على القدر وفى موضع آخر يحمل المماليك المسئولية ، ولكنه فى عجائب الاثار لا يجد حرجاً فى التصريح بأن المئولية يتحملها العثمانيون وحدهم

٣- كلمة "شعر" غير موجودة فى النسخة (ب)

٤- الصواب "ودنا".

٥- فى النسخة (د) "وقد أشعة سحابة صيفهم "

٦- سورة "الأعراف" الاية ١١٩.

٧- نص الآية [فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين] سورة المائدة الآية ٥٢ .

يوميات سنة ١٢١٣هـ

شهر المحرم: (١)

(فصل): -(٢)وأول شرح القضية : أنه فى يوم الأحد العاشر من شهر حرم الحرام افتتاح سنة ثلاثة عشر(٣)ومايتين وألف(٤) وردت مصر مكاتبات على السعاة من ثغر الأسكندرية(٥) مضمونها أنه(٦) فى يوم الخميس ثامن الشهر

- العنوان من وضع المحققين: وعند إعادة الجبرتى يوميات هذه السنة فى كتابه"عجائب الآثار" أضاف الفقرة التالية "**سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف** وهى أولى سنى الملاحم العظيمة والحوادث الجسيمة والوقائع النازلة والنوازل الهائلة وتضاعف الشرور وترادف الأمور وتوالى المحن واختلال الزمن وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع وتتابع الأهوال واختلاف الأحوال وفساد التدبير وحصول التدمير وعموم الخراب وتواتر الأسباب "وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون" عجائب الآثار جـ٣، ص ٢ .
- كلمة "فصل" غير موجودة فى النسخة (ب)وموجودة فى باقي النسخ .
- هكذا فى الأصل والصواب " ثلاث عشرة ".
- يوم الأحد١٠ محرم ١٢١٣هـ الموافق ٢٤ يونيو١٧٩٨م.
- ثغر الأسكندرية: كانت الأسكندرية إحدى أهم موانئ مصر على ساحل البحر المتوسط في العصر الإسلامى وذلك لكونها تقع على مسافة متساوية تقريبا من اليونان واسيا الصغرى وسوريا والساحل الشرقى للبحر المتوسط مما أهلها لاجتذاب تجارة البحر الإدرياتى وبحر إيجه والبحر الأسود فضلاً عن بلاد الحوض الشرقى للبحر المتوسط وقد اتصلت الأسكندرية بالنيل عن طريق ترعة شديا القديمة التى عرفت بعد ذلك باسم الخليج الناصرى وقد تأثرت الأسكندرية تأثراً شديد بتحول تجارة الهند إلى أوروبا عبر طريق رأس الرجاء الصالح وشيئا فشيئا بدأت الاسكندرية فى استعادة شطرا من هذه التجارة الا أن ذلك لا يقارن بمكانتها القديمة فى العصر الاسلامى ولقد وصفها سوينتى الذى زارها فى القرن الثامن عشر بقوله"مدينة يبلغ عدد سكانها حوالى خمسة الآف نسمة تأتيها التجارات من كل اقطار الشرق والأقطار الأجنبية مما جعلها مركز للتجارة ويتنوع فيها السكان واللغات والأزياء ففيها خليط من الناس بين أتراك وعرب وافرنج تضبح بهم شوارعها الصاخبة" وقد ازدهرت المدينة في القرن التاسع عشر بعد قيام محمد على بحفر ترعة المحمودية لإمدادها بالمياة العذبة وربطها بالنيل مما أدى لتضاعف سكان المدينة عدة مرات حتى أصبحت ثانى سكان القطر المصرى بعد القاهرة . لمزيد من التفاصيل راجع د/ عبد الحميد سليمان : مرجع سابق ، ص ٢٢ وراجع أيضاً جابرييل بير : دراسات في التاريخ الاجتماعى لمصر الحديثة ، ترجمة د/ عبد الخالق لاشين ، مكتبة الحرية الحديثة ، ١٩٧٦، ص ٢٧٥ وما بعدها .
- كلمة "أنه" كتبت "أن" فى النسخة (أ) وما أثبتناه بالمتن من باقى النسخ هو الأصوب.

المذكور[1] حضر إلى الثغر عشر مراكب من مراكب الإنكليز[2] ووقفوا على البعد بحيث يرونهم أهل الثغر ، وبعد قليل حضر خمسة عشر مركباً أخرى[3]فانتظر أهل الثغر ما يريدون، وإذا بقايق [4] صغير واصل من عندهم، وفيه عشرة أنفار، فوصلوا البر واجتمعوا بكبار البلد، والرئيس إذ ذاك فيها، والمشار إليه بالإبرام والنقض ، السيد محمد كريم الآتى ذكره، فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم، فأخبروا أنهم إنكليز حضروا للتفتيش على الفرنسيس، لأنهم خرجوا بعمارة[5] عظيمة يريدون جهة من الجهات، ولا ندرى أين قصدهم.فربما دهموكم فلا

١- ٨ محرم ١٢١٣هـ الموافق ٢٢ يونيو ١٨٩٨م وهو يوافق يوم الجمعة وليس الخميس كما يذكر مؤرخنا، أما إذا كان الجبرتى يقصد يوم الخميس ٧ محرم فهو يوافق ٢١ يونيو ١٧٩٨م.

٢- كلمة"الإنكليز" من النسخ (ب) ،(د) و عادة تكتب هذه الكلمة بالكاف عكس النسخ (أ)، (ج) التى تكتبها بالجيم دائما ، وقد فضلنا أن نكتبها بالكاف لأنها تطابق مصطلح الفترة الزمنية.

٣- كلمة"أخرى"كتبت "أيضا" فى النسخة (أ) .

٤- القايق: من المصدر التركى (قايمق) بمعنى الانزلاق ، والقايق هو القارب الصغير يجرى فى الماء بالمجاديف أو بالشراع. راجع د/ أحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد فى الجبرتى من الدخيل، دار المعارف ١٩٧٨، ص١٦٤.

٥- ظنت انجلترا أن فرنسا عقدت عزمها على غزوها فى جزيرتها وأنها أعدت لهذا الغرض أسطولها فى الأقيانوس وأن استعداداتها فى ثغور البحر الأبيض المتوسط كان الغرض منها إمداد ذلك الاسطول عن طريق بوغاز جبل طارق ولذلك شددت مراقبتها على موانى فرنسا وتعقب أسطول فرنسا فى الأقيانوس ومواصلة حصار أسطول أسبانيا فى قادس، وعهد اللورد "سان فنسان " إلى الأميرال "نلسن" بأن يتجول فى البحر المتوسط لمراقبة حركات الأسطول الفرنسى به وجاء إلى الأسكندرية فى الفترة ما بين ٢٢إلى ٢٥ يونيو. ولكنه لم يعثر على الفرنسيين إلا بعد نزولهم إلى البر راجع عبد الرحمن الرافعى: تاريخ الحركة القومية، دار المعارف، القاهرة، جـ١ ص٨٢ ..

تقدرون(1) على دفعهم، ولا تتمكنوا من منعهم، فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول، وظن أنها مكيدة، وجاوبوهم بكلام خشن(2) فقالت رسل الإنكليز لهم: نحن نقف فى البحر بمراكبنا محافظين على الثغر، لكن تمدونا بماء وزاد بثمنه، فلم يجيبوهم لذلك وقالوا: هذه بلاد السلطان، وليس للفرنسيس ولا لغيرهم(3) عليها[ص٢٢] سبيل، فاذهبوا عنا، فعندها عادت رسل الإنكليز.، وأقلعوا فى البحر ليمتاروا(4) من غير الأسكندرية وليقضى الله أمراً كان مفعولاً. ثم إن أهل الثغر أرسلوا إلى كاشف(5) البحيرة، ليجمع العربان(6) ويحضر لمحافظة

١- كلمة"فلا تقدرون" كتبت فى النسخة (أ) "فلا تقدروا" والأصوب ما أثبتناه فى المتن.

٢- كلمة "خشن " كتبت فى النسخة (ب) "غليظ" وعبارة "فلم يقبل" كتبت فى (د) "فلا يقبل "

٣- كلمة "ولا لغيرهم" كتبت فى النسخة (أ) "ولا غيرهم" والأصوب ما أثبتناه .

٤- ليمتاروا: أى يتزودوا بالمؤن والميرة وهى الطعام ونحوه.

٥-كاشف: هو حاكم الإقليم كما كان يطلق عليه فى السلطنة المملوكية، وكان يطلق على المنطقة التى يحكمها كشوفية والجمع كشوفيات، وفى مصر فى العصر العثمانى ظلت الوحدات الإدارية تعرف بالكشوفيات ويعرف حكامها بالكشاف ولم يطلق على تلك الوحدات الإدارية اسم الصنجقيات (جمع صنجقية) كما كان الحال فى الولايات العثمانية الأخرى، وتراوح عدد الكشاف فى مصر فى نهاية القرن الثامن عشر ما بين ٦٠:٧٠ كاشف بينما عدد الكشوفيات ٣٦ كشوفية لهذا فقد كان الكشاف يتناوبون هذا المنصب، وكانت مهام الكشاف الرئيسية تنحصر فى تنظيم الإقليم الذى يحكمونه لمزيد من المعلومات راجع

P.M. Holt : Egypt and the fertile cresent 1516:1922 london.1966,202-220.

٦- العربان : مما يذكر للعربان فى تلك الفترة أنهم لعبوا دوراً أثناء وجود الحملة الفرنسية سواء بمقاومة الحملة أو التعاون معها أو بالاستفادة من الفوضى التى حدثت فى أعقاب قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر، فعندما نزلت الحملة انضم العربان إلى أهل الأسكندرية وعندما توجهوا إلى أبى قير اجتمعت المماليك والعربان ضدهم، وبمجرد أن بدأ الفرنسيون فى مغادرة الأسكندرية عمل العربان على مهاجمتهم حتى صدرت الأوامر للوحدات بأن تسير فى مربعات بدلا من الطوابير، وتخلف كثيرون لأنهم ماتوا من ضربة الشمس، أما الذين ظلوا على قيد الحياة من المتخلفين فقد قتلهم العربان أو أسروهم، وعندما اقترب الفرنسيون من القاهرة أرسل إبراهيم بك إلى العربان وطلب منهم أن يكونوا فى المقدمة بنواحى شبرا وما والاها. كذلك اجتمع عند مراد بك الكثير من العربان . د/إيمان محمد عبد المنعم: العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الاول من القرن التاسع، هـ.م.ع، ١٩٩٧، ص ٢٨ وما بعدها.

الثغر، فلما قريت هذه المكاتبات بمصر، وقع بها اللغط الكثير بين الناس، وتحدثوا بذلك فيما بينهم ، وكثرت القالة ، ولاحت لوايح الأراحيف.

ثم وردت فى ثالث يوم بعد ورود المكاتيب الأول[1] مكاتبات مضمونها أن المراكب التى وردت الثغر عادت راجعة، فاطمأن الناس، وبطل القيل والقال، وأما الأمرا فلم يهتموا بشئ من ذلك ولم يكترثوه[2].اعتماداً على قوتهم، وزعمهم أنه إذا جاءت جميع الفرنج لا يقفون فى مقابلتهم، وأنهم بحطمونهم بسنابك[3] الخيول، ويحصدوا روسهم ببوارق السيوف.

فلما كان يوم الأربعا العشرون من الشهر المذكور[4] وردت مكاتبات من

١- الثلاثاء ١٢ محرم ١٢١٣هـ الموافق ٢٦ يونيو ١٧٩٨م.

٢- مضت خمسة قرون على الحروب الصليبية زال فيها النظام الإقطاعى فى أوربا وما ترتب عليه من طرق الحكم والحرب وعلاقات طبقات الأمة بعضها ببعض . خمسة قرون شهدت انفصام وحدة الغرب الدينية والسياسية وظهور مناهج العلم الحديثة وطرق التنظيم السياسى والاقتصادى الجديدة، أما مماليك مصر فكانوا فى ١٧٩٨م كما كانوا فى ١٢٥٠م فى أسلوب الحرب والتفكير أو كانوا على كل حال أسوأ . كذلك أهل مصر لم يصلهم عن انقلابات الغرب إلا أضعف الأنباء وظلوا فى كل مقومات الحياة الوطنية حيث كان أباؤهم ولذلك كانت صدمة حضارية عنيفة عندما اصطدم المماليك فى صيف ١٧٩٨م بغرب غير الغرب الذى عرفوه أيام الحروب الصليبية . شفيق غربال:الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس – مطبعة المعارف– القاهرة، ١٩٣٣، ص٥ كذلك فقد وردت كلمة " ولم يكترثوه " فى النسخة (ب) هكذا "ولم يكترثوا "وما أثبتناه بالمتن هو الأصوب .

٣- كتبت"بسنانك"فى النسخة (ب) .

٤- يوم الأربعاء ٢٠ المحرم ١٢١٣هـ الموافق ٤يوليو ١٧٩٨م.

الثغر ومن رشيد(١)ودمنهور(٢) بانه(٣)فى يوم الاثنين ثامن عشره(٤) جاءت مراكب للفرنسيس كثيرة، فأرسوا فى البحر، وأرسلوا جماعة يطلبون القنصل (٥)وبعض أهل البلد، فنزلوا لهم، وعوقوهم فى المراكب ، وفى الليل تحولت مراكب إلى(٦)جهة العجمى(٧) وأنزلوا آلات الحرب والعساكر، فلم يشعر أهل الثغر فى وقت

١- رشيد: هى قاعدة مركز رشيد وهى من مدن الثغور المصرية القديمة، وردت فى كتاب الممالك لابن حوقل، بأنها مدينة على النيل قريبة من مصبه فى البحر المالح من فوهه تعرف- بالاشتوم- وهي المدخل من البحر ووردت فى معجم البلدان "رشيد بليدة على البحر والنيل قرب الأسكندرية بمصر"وكانت مدينة رشيد محافظة من محافظات مصر، وفى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٩٥م صدر أمر عال بالغاء محافظة رشيد وجعل هذه المدينة مقراً لمركز ثامن من مراكز مديرية البحيرة، اعتبارا من أول يناير سنة ١٨٩٦م وبذلك أصبحت رشيد قاعدة مركز بعد أن كانت محافظة – محمد رمزى: مصدر سابق- القسم الثانى- الجزء الثانى ص٣٠٠.

٢- دمنهور: كان يوجد ناحيتان قديمتان وهما كفر حريز، وحوض القضاية، وردتا فى التحفة مع شبرا النخلة، وفى العهد العثمانى توزع زمام هاتين الناحيتين على نواحى شبرا النخلة(شبرا الدمنهورية) ودمنهور وفى تأريع سنة ١٢٧٣هـ انشئت ناحية مالية جديدة، باسم ابعادية دمنهور وقد تكون زمامها من (أ) زمام دمنهور باكمله(ب) من أراضى من ناحيتى كفر حريز (أبو الحريز) وحوض القضاية، السابق توزيعها فى العهد العثمانى على ناحيتى شبرا النخلة وطلمسوس ومن تلك السنة أصبحت دمنهور بغير زمام، وحل محلها أبعادية دمنهور هذه-محمد رمزى: مصدر سابق، القسم الثانى:الجزء الثانى. ص٢٨٢

٣- كتبت "بأن" في النسخة (ب) وما أثبتناه من باقى النسخ وهو الاصوب.

٤- يوم الاثنين ١٨ المحرم ١٢١٣هـ الموافق ٢ يوليو ١٧٩٨م.

٥- كان قنصل فرنسا العام فى ذلك الوقت هو المسيو شارل مجالون Magallon الذى كان فى ذلك الوقت موجوداً فى فرنسا أما الذى قابلهم فهو مجالون الصغير ابن أخى القنصل العام.

٦- كلمة "إلى" غير موجودة فى النسخة (ب) .

٧-العجمى:إحدى ضواحى الأسكندرية توجد فى غرب المدينة .

الصباح(١) إلا والعساكر كالجراد المنتشر حول البلد، فعندها خرج أهل الثغر ومن(٢)انضم إليهم من كاشف البحيرة، والعربان المجتمعين(٣)معه، فلم يستطيعوا مدافعتهم، ولا أمكنهم(٤) مما نعتهم، فانهزم كاشف البحيرة ومن(٥) معه من العربان، ورجع أهل الثغر إلى التترس فى البيوت والحيطان، ودخلت الفرنج البلد، وانبث فيها الكثير [ص ٢٣] من ذلك العدد، كذلك وأهل البلد لهم بالرمى بالبنادق يدافعون، وعن أنفسهم وأهليهم(٦) يقاتلون ويمانعون، فلما أعياهم الحال، وعلموا أنهم مأخوذون بكل حال(٧)وليس ثم عند أهل البلد للقتال استعداد، لخلو(٨) الأبراج

١- صباح يوم الثلاثاء ١٩محرم ١٢١٣هـ الموافق ٣يوليو١٧٩٨م، جدير بالذكر أن الرافعى يذكر أن جنود الحملة نزلوا غرب الاسكندرية ليلة ٢يوليو وزحفوا على المدينة فاحتلوها فى نفس اليوم، وهو ما يخالف رواية الجبرتى.

٢- كلمة"من" كتبت فى النسخة (أ) "ما" وما أثبتناه فى المتن هو الصحيح، والجدير بالذكر أن المؤلف كثير ما يستخدم "ما" كاسم موصول للعاقل وهو خطأ والصواب استخدام كلمة"من"...

٣- فى النسخة (أ) كتبت "المجتمعة" والأصوب ما أثبتناه فى باقى النسخ .

٤- فى النسخة (ب) كتبت "ولا امكنتهم" والأصوب ما أثبتناه بالمتن من النسخة (أ).

٥- فى النسخة (أ) كتبت "وما معه من العربان" والأصوب ما أثبتناه بالمتن من باقى النسخ .

٦- فى النسخة (أ) كتبت "وأصلهم" وما أثبتناه بالمتن هو الأصوب من باقى النسخ .

٧- فى النسخة (ب) "بكل حالة".

٨-فى النسخة (ب) كتبت "أخلو الأبراج" والصواب ما أثبتناه من باقى النسخ ليستقيم المعنى.فلم يكن فى الأبراج ثمة سلاح ولا بارود بدليل قوله وليس عند أهل البلد للقتال استعداد .

من آلات الحرب والبارود .، وكثرة العدو وغلبته(1) ؛ طلب أهل الثغر الأمان فأمنوهم، ورفعوا عنهم القتال ومن حصونهم أنزلوهم، ونادى الفرنسيس بالأمان فى البلد، ورفع بنديراته عليها، وطلب أعيان الثغر(2) فحضروا بين يديه، فألزمهم بجمع السلاح وإحضاره، وأن يضعوا "الجوكار"(3) فى صدورهم فوق ملبوسهم و"الجوكار" ثلاث قطع من الجوخ أو الحرير أو غير ذلك، مدورة فى قدر الريال، سودا وحمرا وبيضا، يوضع بعضها فوق بعض(4) بحيث تكون كل دايرة أقل من التى تحتها حتى تظهر الألوان الثلاثة كالدواير المحيط بعضها ببعض [وطلبوا الكلف والمال](5) ولما وردت هذه الأخبار مصر حصل للناس انزعاج(6) وعول أكثرهم

1- بلغ عدد قوات الحملة ٣٦٨٢٦ مقاتلا معظمهم من جيش إيطاليا ، الذى حقق به نابليون الكثير من الانتصارات ، وضم إلى جيشه عدداً من صفوة القواد ، الذين ظهرت عبقريتهم ومواهبهم فى حروب إيطاليا والراين ومنهم : كليبر، ديزيه، بليار، رينيه وغيرهم بالإضافة إلى جيش آخر من علماء فرنسا ونوابغها فى العلوم والفنون، وقد حملتهم عمارة فرنسية مكونة من حوالى ٣٠٠ سفينة يحرسها أسطول حربى مكون من ١٣ بارجة و٧ فرقاطات وأربع سفن كبيرة و٦ فرقاطات غير مسلحة، ونحو ٢٥ سفينة خفيفة مسلحة بالمدافع.
لمزيد من التفاصيل راجع:عبد الرحمن الرافعى: تطور الحركة القومية دار المعارف / القاهرة ١٩٨١، جـ١ ص ٨٢:٨٤.

2- فى النسخة (ب) كتبت هكذا "وطلب أهل الثغر وأعيانها" والأقرب للصحة ما أثبتناه من النسخة(أ) إذ من المنطق أن يطلب الأعيان فقط وليس أهل البلد كلهم.

3- الجوكار:هو علامة ثلاثية الالوان تمثل شارة الثورة الفرنسية.

4- العبارة مرتبكة فى النسخة (ب) حيث كتبت هكذا "يوضع فوقها بعضها فوق بعض".

5- فى عجائب الآثار حذف الجبرتى هذه العبارة - عجائب الآثار- جـ٣، ص٣ وهذا ولا شك يضعف من مصداقية الجبرتى .

6- فى النسخة (أ) "حصل للناس الانزعاج" وما اثبتناه من باقى النسخ هو الأصوب .

على الفرار والهجاج . وأما ما كان من حال الأمرا ، فإن إبراهيم بيك (١) ركب لقصر العيني ، وحضر عنده مراد بيك من الجيزة ، لأنه كان مقيماً بها ، وحضر بقية الأمرا والقاضي والعلماء وتكلموا في شأن هذا الأمر الذي دهم المسلمين. فاتفق الرأي على أنهم يرسلون مكاتبة للدولة العلية(٢) بخبر هذه الحادثة ، فأرسلها باشا(٣) مصر إذ ذاك وهو بكر

١- بيك: في التركية تعني أمير، وفي مصر العثمانية التصق هذا اللقب مع مصطلح صنجق المستعمل في التعبير الإداري المصري، وقد استعمل مصطلح صنجق ليدل على رتبة بك، ولذا استخدم الجبرتي مراراً تعبير تقلد الامارة والصنجقية ليدل على الشخص الذي رقي إلى رتبة بك وقد كان بكوات مصر يتسلمون رواتب سنوية "ساليانات" من خزينة مصر وكان هناك ٢٤ صنجقا يحكمون اقاليم مصر المختلفة.

P.M Holt,:the beylicate in Ottoman Egypt, during the sevenceeth, century, b,s,o,a s,xxiv,1961,p.219

٢- كلمة" العلية "غير موجودة في النسخة (أ).

٣- باشا: كلمة تركية ما زال أصلها الاشتقاقي خلافياً فقيل أنها من "باش أغا" أي رئيس الأغوات ، أو كبير الخصيان، وقيل إنها من الكلمة الفارسية "بادشاه" وقيل :إنها من "باش" بمعنى الرأس والرئيس. وهي لقب كان يطلق في مصر على رجال الجيش إذا صاروا ألوية، وعلى أعيان المدنيين ووكلاء الوزارات ومحافظي الأقاليم وكبار التجار وملاك الاراضي غير أنه في العصر العثماني كان لقب الباشا يطلق على الوالي فقط فيقال باشا مصر أي واليها وقد ألغي هذا اللقب في مصر ١٩٥٢. أحمد السعيد سليمان: مرجع سابق، ص ٣٦ د/ حسين مجيب المصري - مرجع سابق ص ٣٨

باشا(١) على يد قاصد(٢) من جهة(٣) البر، وأنهم يجهزون(٤) عسكراً يكون كبيره مراد بيك، وانفض المجلس على ذلك، فأخذت العساكر للسفر وجمع مهمات الحرب(٥) فمكثوا نحو خمسة أيام يجهزون الأقوات والبارود وغير ذلك من القرب

١- بكر باشا: حاكم مصر وقت وصول الحملة الفرنسية وهناك بعض المصادر التى تطلق عليه لقب"ابوبكر باشا"ولقد أرسل اليه بونابرت برسالة من على ظهر البارجة "أوريان"فى ١٢ مسيدور من السنة السادسة (٣٠ يونيه ١٧٩٨م) ونصها كالآتى:أن حكومة الجمهورية الفرنسية قد طلبت غير مرة من الباب العالى عقاب بكوات مصر الذين كانوا يرهقون التجار الفرنسيين بمختلف أنواع الإيذاء والاعتداء، وصرح الباب العالى بأن أولئك البكوات قدتمادوا فى أطماعهم وأهوائهم، وتنكبوا سبيل العدالة والاستقامة، وأنه لا يقرهم على إساءة معاملة أصدقائه الفرنسيين الأوفياء، ولا يراهم جديرين بعطفه وحمايته، وعلى ذلك قد اعتزمت الجمهورية تجريد جيش جرار للقضاء على مظالم البكوات المماليك، كما اضطرت أن تجرد حملات فى خلال القرن الحالى على بكوات تونس والجزائر، ويقينى أنك و نت الذى يجب أن يكون حاكم البلاد ومع ذلك قد سلب منك البكوات كل حول ونفوذ وجعلوك فى القاهرة رهن إدارتهم لابد أن تقابل حضورى إلى هنا بالسرور والارتياح، ولعله قد وصل إلى علمك أنى ما حضرت بنيات عدائية نحو القرآن أو نحو السلطان وانك تعلم أن الأمةالفرنسية هى الحليفةالوحيدة للسلطان في اوروبا، فبادرإلى مقابلتى واشترك معى فى استنزال اللعنات على طائفة المماليك الممقوته"بونابرت"عبد الرحمن الرافعى-مرجع سابق، ص ٤٠٦ وما بعدها.

٢- قاصد : رسول يحمل الرسائل.

٣- كلمة"على يد قاصد من جهة" كتبت بالتاء المفتوحة فى النسخة(أ) وفى عجائب الآثار يعلق الجبرتى على ذلك تعليقاً ساخراً بقوله"البر ليأتيه بالترياق من العراق" فهو يسخر فى عجائب الآثار من العثمانيين الذين يعلم أن نجدتهم لن تأتى إلابعد فوات الأوان أو كما يقول المثل الشعبى "على ما يجى الترياق من العراق يكون العليل مات" راجع أحمد تيمور:الأمثال العامية مشروحة ومرتبة على الأحرف الأولى من المثل، دار الكاتب العربى، القاهرة ١٩٥٦، ص٢١.

٤- فى النسخة (أ) "ويجهزون عسكراً" وكلمة "أنهم " محذوفة.

٥- فى النسخة (أ) "مهمات حرب "

والخيم، ومصر في كرب زايد من هذا الأمر، ومما ورد عليهم من الخبر[ص٢٤]فإن العساكر لم يكن عندهم استعداد لمثل هذا، ولم تسمح نفوسهم ببذل المال في هذه المهمات(١) فصاروا يصادرون الناس ويأخذون أغلب ما يحتاجونه بدون ثمن.

ثم ارتحل مراد بيك بعد صلاة الجمعة(٢) وبرز خيامه ووطاقة(٣)إلى الجسر الأسود فمكث به نحو يومين(٤) حتى تكامل معه من العسكر وهم صناجقه وعلى باشا الطرابلسي وناصف باشا(٥) فإنهما كانا من أخصاية المقيمين معه بالجيزة ، وأخذ معه عدة كثيرة من المدافع والبارود ، وسافر في البر مع العساكر الخيالة ، وأما السكمان (٦)

١- في النسخة (أ) "ببذل الاموال في هذا المهم " والأصوب ما أثبتناه من باقي النسخ

٢- الجمعة ٢٢محرم ١٢١٣هـ- ٦يوليو ١٧٩٨م.

٣- الوطاق:في التركية أوتاق وأوتاخ، وأوطاق، وهي إما من كلمة "أوت" بمعنى النار، وإما من المصدر"أوتورمق"بمعنى أن يجلس، وقد دخلت في اللغة الفارسية في صيغ أطاق وأتاف وأتاغ بمعنى الغرفة، والارجح أن تكون هذه الكلمة هي أصل الكلمة المصرية"أودة" بمعنى الغرفة، والاطاق في التركية اسم للخيمة الكبيرة المزخرفة تعد للعظماء والوطاق في العربية هو الخيمة والمعسكر المكون من خيام.د/ احمد السعيد سليمان:مرجع سابق، ص ١٩٨.

٤- في النسخة (أ) "فمكث به يومين" وعلى ذلك فإن مراد بك رحل بعساكره يوم الأحد ٢٤ محرم ١٢١٣هـ الموافق ٨ يوليو ١٧٩٨م على وجه التقريب.

٥-في النسخة (ب) تكتب "نصوح"أو "ناصوح" ولكن هذا هو الاسم الصحيح الذى اثبتناه بعد تحقيق الاسم من باقي النسخ .

٦-في النسخة (ب) تكتب "السمكان " وفي النسخة (أ) تكتب "الرجالة" والسكبان: في الفارسية بمعنى مربي الكلب، وكان السكبان يخرج في جماعة من رفاقه في معية للصيد ولهؤلاء كيان خاص بهم إلى سنة ٤٥١م ثم انضموا إلى فرقة الانكشارية وكان السكبانية قسمين: قسم من المشاة، وقسم من الفرسان أنشئ متأخراً ليساعد على بالصيد البعيد، وإذا قيل فرسان الانكشارية فالمراد بهم فرسان السكبانية أي المشرفين على كلاب الصيد . راجع د/ حسين مجيب المصرى مرجع سابق، ص ١٠٧ .

وهم الألضاشات[1] والغليونجية [2] والمغاربة ، فإنهم سافروا فى البحر مع الغلايين الصغار التى كان قد[3] اصطنعهم مراد بيك. ولما ارتحل من الجسر الأسود، أرسل إلى مصر يأمر بعمل سلسلة من الحديد فى غاية التخن والمتانة طولها ماية وثلاثون ذراعا ، تنصب عند بوغاز[4] رشيد عند برج مغيزل من البر الشرقى للغربى، لتمنع عبور مراكب الفرنسيس لبحر النيل، وذلك باشارة على باشا ، وأن يعمل عندها جسر من المراكب، ويعمل عليها[5] متاريس ومدافع ظنا

١-الأنضاشات: وتكتب كذلك"يولداش":(يول) أى الطريق و(داش) أداة المشاركة"واليولداش" هو الرفيق فى الطريق وتطلق على الزملاء واعضاء الحزب الواحد وجمعها فى العامية المصرية"الأديش" والألداشات القلينجية فرقة من المشاة سلاحهم السيوف راجع د/ أحمد السعيد سليمان مرجع سابق، صـ ٢٥.

٢- الغليونية : فى الأسبانية "جاليون" وفى الإيطالية"جاليونه" وفى الفرنسية"جاليون" وفي التركية عن إحدى هذه اللغات الاوروبية، وهى جنس سفن حربية ضخمة، كان الأسبان يحملون فيها الذهب والبضائع النفيسة من مستعمراتهم، وهكذا نشأت فى الترسانه العثمانية منذ عهد بايزيد الثانى طائفة جديدة هى طائفة الغليونية، وربطت الرواتب الوافية لقبطانها، وسمى بحارة الغلايين - الغليونجية- فالجى للإضافة. د/ أحمد السعيد سليمان/ المرجع السابق، ص٥٥ وما بعدها.

٣-كلمة " قد " غير موجودة فى النسخة (ب).

٤- فى النسخة (أ) "بغاز"وما أثبتناه من باقى النسخ هو الأقرب للنطق الصحيح وكلمة بوغاز من المصدر التركى "بوغمق" أن يخنق ويطلق فى التركية على الحلقوم وعلى الجزء الضيق من كل شئ فيقال مثلاً: بوغاز الزجاجة:أى عنقها، وتطلق على الممر الضيق بين جبلين أو بين ارضين ، فيقال بوغاز جبل طارق د/ أحمد السعيد سليمان - مرجع سابق ، ص٤١.

٥- فى النسخة (ب) "ويعمل عندها متاريس" .

منهم أن الفرنج لا يقدرون على مقاتلتهم(1) في البر، وأنهم يعبرون بالمراكب في بحر النيل، ويقاتلونهم وهم في المراكب، وأنهم يصابرونهم ويطاولونهم في القتال حتى تأتيهم النجدة وكان الأمر بخلاف ذلك فإن الفرنسيس عندما ملكوا الأسكندرية(2) تجهزوا سريعاً للتوجه إلى مصر من جهة البر، بحيث أنهم التقوا مع مراد بيك عند الرحمانية كما سيأتي. وفي أثناء خروج مراد بيك بالعساكر وسفره بدت الوحشة في الأسواق، وكثر الهرج بين الناس والإرجاف ، وانقطعت [ص ٢٥] الطرق، وأخذت الحرامية في كل ليلة تطرق أطراف البلد، وتقطع(3) الطرق من المغرب، فلا تكاد تجد أحداً يمشي، فنادى الأغا(4) والوالي(5) بفتح الأسواق والقهاوي ليلاً، وتعليق القناديل على البيوت والدكاكين، وذلك لأمرين: الأول

١- في النسخة (أ) "مقابلتهم" وما أثبتناه من باقي النسخ هو الأقرب إلى الصواب.

٢- في النسخة (ب) "ملكوا اسكندرية" .

٣- في النسخة (ب) "وتنقطع" ولكن "تقطع" من النسخة (أ) أصوب لأن الفعل هنا "فاعله الحرامية" فالمقصود "الحراميه" تقطع الطرق.

٤- الأغا: لقد أخذت فرقة الانكشارية منذ بداية العهد العثماني في مصر، مهمة حراسة مدينة القاهرة والقلعة مركز الحكم والإدارة فيها، وكان لقائد الانكشارية "الأغا" صاحب الصدارة على قواد بقية الأوجاقات وهو رئيس قوات حفظ الأمن في القاهرة وضواحيها .وكانت سلطة أغا الانكشارية تشمل الحفاظ علي الأمن والأشراف على كل شئون الشرطة في كافة المجالات التي لا تخضع لسلطة المحتسب راجع د/ ليلى عبد اللطف مرجع سابق ص٢٢٩

٥- الوالي:كان في القاهرة ثلاثة من الولاة لكل من القاهرة ومصر القديمة وبولاق وهم تحت إشراف أغا مستحفظان ورئاسته ويعملون ضمن جهاز الأمن بالعاصمة، وبمرور الوقت أصبح لوالي القاهرة سلطة الإشراف على زميلية المذكورين ويعرف الوالي أيضاً باسم "الصوباشي" أو الزعيم حسبما يرد في الوثائق ومؤلفات المؤرخين المعاصرين وهو امتداد لما كان متبعاً في العصر المملوكي، وكان مقره بجوار باب زويلة لمزيد من التفاصيل راجع د/ عراقي يوسف. الوجود العثماني المملوكي في مصر . دار المعارف . القاهرة.ص ٢٤٩

إذهاب الوحشة من القلوب وحصول الاستيناس ، والثانى الخوف من الدخيل(١) فى البلد.

وفى يوم الاثنين(٢) وردت الأخبار بأن الفرنسيس وصلوا إلى(٣) دمنهور ورشيد ، وخرج معظم أهل البلاد على وجوههم ، فذهبوا إلى فوا(٤) ونواحيها ، والبعض أقام ببلده وطلب الأمان فأمن(٥)وقد كانت الفرنسيس حين حلولهم بالاسكندرية كتبوا مكتوباً وطبعوه ، وأرسلوا منه نسخاً إلى البلاد التى يقومون عليها تطمينا لهم "ومكيدة لئلا تعصى البلاد وتحاربهم، وأوهموهم فيه أنهم قدموا من طرف السلطان، وأنهم جاءوا ليزيلوا عنهم الظلم"(٦) ووصل هذا المكتوب مع

١- فى النسخة (أ) "الدخول" وما أثبتناه من باقى النسخ هو الأصوب .

٢- يوم الاثنين ٢٥ محرم ١٢١٣هـ الموافق ٩ يوليو ١٧٩٨م.

٣- كلمة "إلى" غير موجودة فى النسخة (ب).

٤- مدينة فوا: وهى من القرى القديمة ذكر أميلينو فى جغرافيته أن "مصيل" و"صليح" هما اسمان لقرية واحدة هى فوه ووردت "فوة" ، فى معجم البلدان :بأنها بليدة على شاطئ النيل من نواحى مصر قرب رشيد بينها وبين البحر ستة فراسخ ووردت فى نزهة المشتاق :إنها على فرع النيل الغربى واسمها القديم كما ذكر اميلينو "poei" وبالبحث تبين أن "بوى" المذكورة هو الاسم القديم لمدينة "فوه" فقد قلبت الباء فاء وهى الآن مقراً لمركز فوة الذى أنشئ منذ سنة ١٨٩٦م.

محمد رمزى مصدر سابق، القسم الثانى الجزء الثانى ص١١٤.

٥- فى عجائب الآثار يصف الجبرتى هؤلاء الذين طلبوا الأمان بقوله " وهم العقلاء" والغريب أن الجبرتى عندما وصل الفرنسيون إلى القاهرة كان من اوائل الفارين منها .

٦- العبارة التى بين القوسين حذفها الجبرتى عند إعادة كتابة هذه "اليومية" فى عجائب الآثار ، فهو يرى أن المكتوب أرسل للبلاد تطمينا لهم فقط وليس مكيدة ولا إيهاما بأنهم قدموا من طرف السلطان . عجائب الاثار جـ٣، ص٤

الأسارى الذين وجدوهم بمالطة(١) فإنهم أحضروهم معهم ، وقبل الحرب الذى وقع بانبابة بيوم ، أرسلوا هؤلاء الأسارى فى مراكب لبولاق حيث عرضى(٢) إبراهيم بيك ومعهم عدة نسخ من هذا المكتوب، ومعهم جواسيس من كفار مالطة متزيين بزى الأسارى ، لأن كفار مالطة يعرفون العربى ، ويتكلمون بلغة المغاربة(٣) فلا يكادون يتمايزون (٤) عن الأسارى ، فكانت أيضاً من المكايد الحربية حيث أرسلوا الأسارى الذين معهم لمن ببولاق توصلاً لإخفا الجواسيس فيهم، وليقع فى أوهام

١- أسارى مالطة: كانت مالطة حتى استيلاء نابليون عليها تحت حكم فرسان القديس يوحنا الذين عملوا فى مجال القرصنة البحرية ضد السفن الإسلامية ، وأدى ذلك بالتالى إلى وقوع العديد من الأسرى المسلمين فى أيديهم وكان بعض الحكام المسلمين يتدخلوا لفداء هؤلاء الأسرى مثلما حدث من"مولاى محمد"حاكم مراكش من ١٧٥٧-١٧٩٠م ففى عام ١٧٦٧م أرسل نائبة إلى مالطة حيث حرر ٥٣٦ من أسرى المسلمين وأرسلهم إلى الأستانة وبعد استيلاء الحملة الفرنسية على مالطة وفى طريقها لمصر حررت هؤلاء الأسرى وجاءت بهم معها إلى مصر كدليل على حسن نيتها تجاه المسلمين راجع د/ عبد الله عزباوى : العلاقات العثمانية المغربية فى عهد كل من مولاى محمد وابنه يزيد ، المجلة التاريخية المصرية القاهرة ١٩٨٤، ص٣٨٥ وما بعدها.

٢- العرضى: من التركية"أردو" بمعنى الجيش، والعرضى المعسكر، وهى تطلق على القسم الكبير من الجيش الجامع لأصناف الجند يكون فى جهة من جهات المملكة وذلك بأن يقسم جيشها إلى فرق كبيرة كاملة العدة تخص كل ولاية كبيرة أو مجموع بعض الولايات الصغيرة بفرقة منها برئسها قائد كبير برتبة "مشير"وقد يطلق العرضى على مخيم العسكر أى محل اقامتهم ويرادفه فى هذا المعنى "المعسكر" راجع احمد تيمور: الرتب والألقاب المصرية لرجال الجيش والهيئات العلمية والقلمية ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٥٠م ، ص٥١.

٣- يقصد لهجة المغاربة.

٤- فى النسخة (أ) "يمتازون".

الناس أنهم لا يأسرون أحداً، لأنهم قد خلصوا الأسارى، وصارت الجواسيس الذين على هيئة الأسارى من المالطية توسوس للناس، وتحل عزايمهم عن القتال، وتتبع حال العرضى، ثم فى يوم الحرب خفى الكثير من هؤلاء [ص ٢٦] الأسارى، فلايدرى أين ذهب، وما ذهب فى الحقيقة إلا إلى عرضى الفرنسيس ليخبرهم بما شاهد ونص المكتوب المرسل:

صورة المكتوب (١)

بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله،لا ولد له ولا شريك فى ملكه ، من طرف الجمهور الفرنساوى المبنى على أساس الحرية والتسوية(٢) السر عسكر الكبير بونابارتة أمير الجيوش الفرنساوية يعرّف أهالى مصر جميعهم ، أن من زمان مديد، السناجق الذين يتسلطنوا فى البلاد المصرية يتعاملوا بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية ، ويظلمون تجارها بأنواع البلص(٣) والتعدى ، فحضر الآن ساعة عقوبتهم ، واحسرتا(٤) من مدة عصور

١- هذا العنوان وضع فى الهامش الأيسر للنسخة (ب) وهو غير موجود بباقى النسخ وقد رأينا وضعه فى منتصف السطر.

٢- هذه الديباجة غير موجودة بالأصل الفرنسى للمنشور، حيث أن النص الفرنسى يبدأ بالعبارة التالية"المعسكر العام بالاسكندرية فى ١٤ مسيدور من السنة السادسة الموافق ١٨ محرم ١٢١٣هـ، بونابرت عضو المجمع العلمى الاهلى والقائد العام"ويتميز النص الفرنسي بالبلاغة والفصاحة، وقد صاغة فى قالبه العربى جماعة من المستشرقين والتراجمة الذين احضرهم بونابرت معه وبخاصة فانتور ومارسل ولذلك فإن المنشور ملئ بالأغلاط والعبارات الركيكة. وقد طبع هذا المنشور على ظهر البارجة أوريان فى عرض البحر.

٣- بلصة من المال، أى لم يترك له منه شيئاً (المعجم الوجيز) وفى عجائب الاثار يحذف الجبرتى كلمة"بلص"ويكتبها هكذا"بأنواع الايذاء والتعدى"

٤- واحسرتا:هكذا فى النسخ كلها ولكن فى عجائب الآثار يكتبها الجبرتى "وأخرنا".

طـويلة هذه الزمرة (١) المـماليك المجـلوبين (٢) من بلاد الآبـــازا (٣) والكرجستان (٤) يفسدون الإقليم الأحسن(٥) الذى لايوجد فى كرة الأرض كلـها، فـأمـا رب العـالمين القـادر على كل شئ قـد حـتّم(٦)على انقـضـا دولتـهم، يا أيهـا المصريين قد يقولون(٧) لكم إننى ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك

١- فى النسخة (أ) كتبت "الزمها" ويبدو أنها خطأ من الناسخ وما أثبتناه هو الأصوب.

٢- في النسخة (أ) "المجلوبون" والاصح ما أثبتناه من باقى النسخ .

٣- الأبازة : إحدى قبائل الجراكسة حيث يتألف الشعب الجركسى من مجموعة كبيرة من القبائل بعضها كبير العدد وبعضها الآخر صغير، وأكبرها عددا قبيلة القبردى ومنهم قبائل الأبزاخ والحاتقواى والشاسوع والأبازة راجع عماد أحمد هلال:المرجع السابق، ص ٣:٥.

٤- الكرجستان: وردت فى الأصل الفرنسى للمنشور بأنها بلاد جورجيا وهى تقع فى شمال شرق البحر الاسود وقد جلب منها الكثير من المماليك الى مصر وينسبون اليها فيقال فلان الكرجى . عماد أحمد هلال : المرجع السابق ، ص٧.

٥ - هكذا فى كل نسخ مظهر التقديس، ولكن فى عجائب الاثار يكتبها الجبرتى هكذا "الاقليم الحسن الأحسن" وقد فضلنا عدم الاكتفاء بمقارنة هذا المنشور بنسخ مظهر التقديس فقط لأنه يعتبر وثيقة تاريخية من الواضح أن الجبرتى كان حريصاً على نقلها بنصها في الكتابين.

٦- فى عجائب الآثار يكتبها الجبرتى"فقد حكم" ولكن واضح أنها نقلت خطأ لأنه فى تعليق الجبرتى علي هذا المنشور فى الصفحات التالية يعلق على كلمة"حتم" هذه بأنه تحكم على الغيب.

٧- فى النسخة(ب) "قد يقولوا"وفى عجائب الآثار"قد قيل" وما اثبتناه فى المتن هو الأرجح وهو من النسخة (أ).

كذب صريح فلا تصدقوه، وقولوا للمفتريين إننى ما قدمت إليكم إلا لكيما أخلص دينكم(١) وحقكم من يد الظالمين. وأننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه محمد والقرآن العظيم، وقولوا أيضاً لهم إن جميع الناس متساويين عند الله، وإن الشئ الذى يفرقهم من بعضهم بعضاً فهو العقل والفضايل والعلوم فقط، وبين المماليك ما العقل والفضايل والمعرفة التى تميزهم عن الآخرين ويستوجب أنهم يتملكوا وحدهم كلما يحلو به حياة الدنيا، حيثما يوجد أرض مخصبة فهى مختصة للمماليك، والجوارى الأجمل، والخيل الأحسن، والمساكن الأشهى، فهذا كله لهم خالصاً. إن [ص٢٧] كانت الأرض المصرية التزام للمماليك.فليرونا(٢) الحجة التى كتبها لهم الله ولكن(٣) رب العالمين هو رؤفاً وعادل على البشر، بعونه تعالى من اليوم فصاعداً لا يستثنى أحداً من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية، وعن اكتساب المراتب العالية، فالعقلا والفضلا والعلما بينهم سيدبروا الأمور، وبذلك يصلح حال الأمة كلها، سابقاً فى الأمور المصرية، كانت المدن العظيمة والخليجات الواسعة، والمتجر المتكاثر، وما أزال ذلك كله إلا الطمع وظلم المماليك. أيها القضاة والمشايخ والأيمة، ويا أيها الشورباجية(٤) وأعيان البلد، قولوا لأمتكم أن الفرنساوية هم أيضا مسلمين

١- كلمة دينكم غير موجودة فى النسخة (أ) كما أنها غير موجودة فى عجائب الآثار وما اثبتناه من النسخة (ب)

٢- فى النسخة (أ) كتبت هكذا "فليوروونا" وهى عامية وفى النسخ (جـ) ، (د) كتبت"فاليوروونا"

٣- فى النسخة (د) كتبت "فلكن ".

٤- شورباجى: أوجوربجى : كلمة تركية من الأصل الفارسى"شور" بمعنى لذيذ وملح و"با" بمعنى الطعام المطهو والجوربجى ضابط انكشارى يقول سامى بك إنه يعادل اليوزباشى، وإنه كان يشرف علي مرجل المرق فى المعسكر وهوأيضا رئيس المشاه.

راجع د/ أحمد السعيد سليمان . مرجع سابق ، ص ٦٦ .

خالصين ، وإثباتاً لذلك قد نزلوا فى رومية الكبرى(1) وخربوا فيها كرسى البابا الذى كان يحث دائماً النصارى على محاربة الإسلام، ثم قصدوا جزيرة مالطة، وطردوا منها الكواللرية(2) الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين، ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الأوقات ، صاروا المحبين الأخلصين لحضرة السلطان العثمنلى، وأعدا أعداية، أدام الله ملكه، وبالمقلوب المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان، غير متمثلين لأمره، فما طاعوا أصلا إلا لطمع أنفسهم . طوبى ثم طوبى(3)لأهالى مصر ، الذين يتفقوا معنا بلا تأخير فيصلح أمرهم(4) ويعلى مراتبهم ، طوبى أيضاً للذين يقعدوا فى مساكنهم غير ما يلين لأحد من الفريقين المحاربين، فإذا عرفونا بالأكثر يتسارعوا إلينا بكل قلب، لكن الويل ثم الويل للذين يتحدوا مع المماليك، ويساعدوهم فى الحرب علينا، فما يجدوا طريق الخلاص، ولا يبقى منهم أثر.

المادة الأولى

جميع القرى الواقعة فى دايرة قريبة بثلاثة ساعات عن المواضع التى يمر بها

1- يشير بونابرت هنا إلى حملاته على إيطاليا والتى نتج عنها ضم إيطاليا إلى الجمهورية الفرنسية رغم معارضة البابا وهذه العبارة غير موجودة فى الأصل الفرنسى للمنشور .

2- الكواللرية: يقصد فرسان القديس يوحنا فى مالطة وقد تحدثنا عنهم سابقاً .

3- فى النسخة (أ) كتبت "طوبى ثم الطوبى".

4- فى النسخة (أ) كتبت "فيصلح حالهم" .

العسكر الفرنساوى . فواجب عليها أن ترسل للسر عسكر(١) بعض[ص ٢٨] من عندها لكيما يعرفوا المشار إليه أنهم أطاعوا، وأنهم نصبوا السنجاق (٢) الفرنساوى الذى هو أبيض وكحلي وأحمر.

المادة الثانية

كل قرية التى تقوم على العسكر الفرنساوى تحرق بالنار.

المادة الثالثة

كل قرية التى تطيع للعسكر الفرنساوى ؛ الواجب عليها نصب السنجاق الفرنساوى، وأيضا سنجاق السلطان العثمنلى محبنا دام بقاه.

المادة الرابعة

المشايخ فى كل بلد ليختموا حالاً جميع الأرزاق والبيوت والأملاك بتاع (٣) المماليك وعليهم الاجتهاد الزايد لكى لا يضيع أدنى شئ منها.

١- السر عسكر: بفتح وسكون فى الفارسية بمعنى قائد العسكر، وهو لقب كان يطلق على الوزير العثمانى الذي يقود الجيش، وكان إطلاق هذا اللقب منذ عهد السلطان محمود الثانى وبعد المشروطية استبدل هذا اللقب بحربية ناظرى أى وزير الحربية./ حسين مجيب المصرى: مرجع سابق / ص١٠٦ .

٢- السنجاق: علم كبير وكان من قماش حريرى ذى ألوان مختلفة يرفع علي رمح عند الأتراك فى وسط آسيا رمزاً لجدارة وبسالة أحد الأبطال وفى عهد السلطان محمود الثانى غير الانكشارية اسم العلم من بايراق إلى سنجاق وهو تشكيل إدارى من الدولة العثمانية.حسين مجيب المصرى.: نفسه ، ص ١٠٩ .

٣- هكذا فى جميع النسخ بالعامية جدير بالذكر أن طبعة التربية والتعليم يوجد بها تعديل لكثير من كلمات هذا المنشورففى المادة الأولى " ثلاث ساعات " ، وفى المادة الثانية "كل قرية تقوم " وفى المادة الثالثة "كل قرية تطيع " "وصنجق " وفى المادة الرابعة "الخاصة بالمماليك "...الخ .

المادة الخامسة

الواجب على المشايخ والقضاة والأيمة أنهم يلازموا وظايفهم، وعلى واحد من أهالى البلد أن يبقى فى مسكنه مطمين، وكذلك تكون الصلاة قايمة الجوامع على العادة، والمصريين بأجمعهم ليشكروا فضل الله سبحانه وتع عليهم(١) من انقراض دولة المماليك قايلين بصوت عالى:أدام الله إجلال السل العثمنلى، أدام الله إجلال العسكر الفرنساوى، لعن الله المماليك، وأصلح حال ا المصرية.

(تحريراً بمعسكر اسكندرية فى ١٣ شهر مسيدور سنة ١٢١٣من إقـ الجمهور الفرنساوى، يعنى فى أواخر شهر محرم سنة هجرية انتهى مذ بالحرف) (٢)

تفسير بعض ما أودعه هذا المكتوب من الكلمات الم والتراكيب الملعبكة (٣)

قوله"بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، لا ولد له ولا شريك فى ملكـ

١-"عليهم" هذه الكلمة غير موجودة فى النسخة (أ) .

٢- شهر مسيدورmessidor هو الشهر العاشر من التقويم الذي وضعه الفرنسيون ع قيام الجمهورية الأولى والواضح أن هناك خطأ فى صياغة هذه العبارة فى جميع النـ وكذلك فى عجائب الاثار ، والمرجح أن الصياغة الصحيحة هى "تحريراً بمعسكر اسـ فى ١٣ شهر مسيدور سنة ستة من إقامة الجمهور الفرنساوى يعنى فى أواخر شهر ١٢١٣هـ " ويذكر الرافعى أن تاريخ المنشور هو ١٤ مسيدور وليس ١٣ ، كذلك هناك اختلاف بين النص الفرنسى والنص العربى ، ومن العبارات غير الموجودة فى النص الفرنسى عبارة "بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك له فى

٣- هذا العنوان من وضع المؤلف، والجدير بالذكر أن هذا التفسير محذوف بالكامل من الآثار حيث اكتفى الجبرتى بنشر المكتوب دون الرد عليه أو تفسيره كما فعل فى مظـ التقديس، والسبب فى ذلك واضح.

ذكر هذه الجمل الثلاث إشارة إلى أنهم موافقون للملل الثلاث، ومخالفون لهم بل ولجميع الملل، موافقون للمسلمين فى ذكر التسمية ونفى الولد والشريك، ومخالفون لهم فى عدم الإتيان بالشهادتين وجحد الرسالة ورفض[ص ٢٩] الأقوال والأفعال الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة،وموافقون للنصارى فى غالب أقوالهم وأفعالهم، ومخالفون لهم فى القول بالتثليث،وجحد الرسالة أيضاً، ورفض ديانتهم، وقتل القسوس، وهدم الكنايس، وموافقون لليهود فى التوحيد، فإن اليهود لا تقول بالتثليث، وإنما هم مجسّمة مخالفون لهم في ديانتهم، والذى تحرر من عقايدهم أنهم لا يقفون على دين، ولا يتفقون على ملة، بل كل واحد منهم ينحو دينا يخترعه بتحسين عقله ،ومنهم الباقى على نصرانيته المتكتم لها، وفيهم فرقٌ من اليهود الحقيقيون، لكن كل ذى دين منهم ساير له مُصِرٌّ عليه موافق للجمهور .

قوله"فأما رب العالمين"كلام مستأنف.

قوله "القادر على كل شئ" ومن قدرته الباهرة وآياته الظاهرة جلب هؤلاء الشياطين إلى مراتع الملوك والسلاطين، ورجوع الكرة عليهم وقطع دابرهم ونواصيهم.

قوله"قد حتم" هذا تحكم على الغيب، وما بعد الكفر عيب.

قوله " إننى ما قدمت لكم إلا لكيما أخلص حقكم من يد الظالمين" هذه أول كذبة ابتدرها، وفرية ابتكرها، ثم ترقى إلى ما هو أعظم من ذلك، رماه الله فى المهالك.

قوله:"وإننى أكثر من المماليك أعبد الله"، إلى آخره، لا شك أن هذا خبل فى العقل، وغلو فى الجهل، أى عبادة فضلاً عن كثرتها، مع كفر غطى على فؤاده،

وحجبه عن الوصول إلى طريق الرشاد(١) وفى الكلام تقديم وتأخير، وأن المعنى أننى أكثر من المماليك عدداً فحذف التمييز، ويكون قوله"أعبد الله" كلام مستأنف ، و كذبة مستقلة.

قوله :"وأحترم نبيه" معطوف على ما قبله من عطف [ص٣٠] الكذب على الكذب، لأنه لو احترمه لآمن به وصدقه واحترم أمته .

قوله:"والقرآن العظيم" معطوف على نبيه، أى وأحترم القران العظيم، وهذا كذب أيضاً، فإن احترام القران تعظيمه، وتعظيمه بالتصديق بما فيه، وهو من آيات النبى الدالة على صدقه، وأنه نبى آخر الزمان، وأن أمته أشرف الأمم، وهؤلاء لجميع ذلك نافون، وفيما عددوه كاذبون(وكأى من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون)(٢) وأما التعظيم الحسّى فهو فرض مأمور به بقوله تعالى(لا يمسّه إلا المطهرون)(٣) فيحرم على المحدث والجُنُب مس آية من القرآن، وهؤلاء قد شوهد الكثير منهم يتغوط ويمسح بأوراق المصاحف ويرميها ملطخة(٤)فى الطريق ومحل النجاسات، فإنهم لا يستنجون بالماء البتة، وجليلهم وحقيرهم يستعمل ما يجده من الأوراق ودخل بعض الناس داراً من دورهم فوجد باب المغسنة مسنوداً بمصحف كبير، فأخذه وفتحه، فوجده ختمة شريفة مكلفة، فتأثر واغتم وطلب أن يفتديه منه بدارهم،فامتنع صاحب الدار من بيعه إلا بمبلغ كذا ، فسعى الرجل حتى استرضى خاطره واستنقذ الختمة، وهم فى كل ذلك يضحكون ويعدون الرجل كأنه مجنون، فأين أعزك الله التعظيم الذى يزعمه هذا المفترى؟!

١- فى النسخة (جـ) " غطى على فوايده ... طريق رشاده ".
٢- سورة يوسف آية ١٠٥.
٣- سورة الواقعة آية ٧٩.
٤- فى النسخة (ب) كتبت "ملخطة"وما أثبتناه من باقى النسخ هو الصواب .

قوله:" إن جميع الناس متساويين عند الله تعالى"، هذا كذب وجهل وحماقة، كيف وقد فضل الله بعضهم على بعض، وشهد بذلك أهل السموات والأرض.

قوله:"ما العقل" مبتدأ وخبر، والاستفهام للإنكار، وفى الكلام حذف "أى لهم"، فالمعنى لا عقل للمماليك.

قوله:"فليوروونا" (١) هذه كلمة عامية خارجة عن الطريقة العربية. (٢)

قوله:"الحجة التى كتبها [ص٣١] الله لهم"، هذا من الجهل والكفر بمكان، فإن الله لا يملك الناس شيأً بحجة يكتبها لهم، غايته أن الناس يتداولون البلاد عن أسيادهم كهؤلاء، أو عن أسلافهم، أو بالغلبة والقهر .

قوله:"فى المناصب السامية"أى المرتفعة، احترازٌ عن دفع اللوم عنهم بتقليدهم مناصب الأحكام الجليلة للأسافل والرعاع(٣).كجعلهم برطلمين الطبجى، وهو المسمى عند العامة بفرط الرمان كتخدا مستحفظان (٤)

قوله:"وبذلك يصلح حال الأمة ،"نعم بتدبير العقلا والفضلا ينصلح حال الأمة

١- فى النسخة (ب) "فليرونا"وما أثبتناه من باقى النسخ .

٢- فى النسخة (ب) و (جـ) "الطريق" وما أثبتناه من باقى النسخ .

٣- فى النسخة (ب) "والرقاع" وما أثبتناه من باقى النسخ هو الاصوب.

٤- مستحفظان:عرف أوجاق الانكشارية فى الوثائق والمراجع العربية باسم جماعة مستحفظان قلعة مصر، وكان الانكشارية فى القرن السادس عشر وحتى منتصف القرن السابع عشر يمثلون وجاق السلطان فى مصر ويمثلون بصفة خاصة السلطة العثمانية، وقد أدت سيطرة الانكشارية على سلطة الشرطة فى القاهرة إلى ازدياد قوتها وبسيطرة رجالها على الالتزامات المربحة، ودار ضرب النقود ومراكز المكوس وعنابر المؤن ؛ زادت قوتها ونفوذها ولكن بازدياد سيطرة العنصر المملوكى وتسلله إلى جميع مراكز السلطة والإدارة فى مصر العثمانية فى القرن السابع عشر تحت سيطرة المماليك ونقص فيها العنصر العثمانى تدريجيا حتى أن معظم رجالها فى القرن الثامن عشر كانوا من المماليك د/ ليلى عبد اللطيف مرجع سابق ، ص١٩١.

؛ ولكنهم لم يفعلوا ذلك .

قوله: "وخربوا كرسي البابا"(1) بهذه الفعلة خالفوا النصارى كما سبقت الإشارة إليه ، فهؤلاء القوم خالفوا النصارى والمسلمين، ولم يتمسكوا من الأديان بدين، فتراهم دهرّية مبطلون (2)، وللمعاد والحشر منكرون، للنبوة والرسالة جاحدون، ويقولون بقدم العالم، والحوادث الكونية، بالجركات الدورية، وظهور الملل، وانتقال الدول، بموجب طبع القرانات، وامتزاج المناظرات، وربما(3) اعتقدوا تناسخ الأرواح، إلى غيرها من الأشباح، ومثل ذلك من الخبالات، وأنواع الضلالات، وعقيدتهم السالكون فيها تحكيم العقل، وما تستحسنه النفوس بحسب الشهوات، ولا يبالون بكشف العورات، مع قبحة فى العقل والنقل، فمتى دعت أحدهم الحاجة قضاها فى أى مكان اتفق، ولو بمرأى من الناس، ويذهب كما هو من غير استنجا ولا استجمار (4) وتارة يمسح المحل بما يجده، ولو ورقة مكتوبة، ويطأون كلما تيسر(5) لهم من النساء ويحلقون لحاهم وشواربهم معاً ومنهم من يبقى شعر عارضيه(6) فقط، ولا يحلقون رؤوسهم ولا عانتهم، ويخلطون فى مأكولهم ومشروبهم

١- فى النسخة (أ) كراسى .
٢- فى النسخة (جـ) "معطلون ".
٣- قوله "ربما " تشير إلى أنه غير متأكد وهذا ليس من صفات المؤرخ خاصة الجبرتى الذى اعتدنا على دقته وموضوعيته ، وربما أن ذلك كان سبباً فى حذفه هذا التعليق من عجائب الآثار .
٤- الاستنجاء بالماء ، والاستجمار بالحصى ، ويجوز الاستجمار شرعاً إذا عدم الماء وذلك بمحو أثر البول بثلاث حصوات ولا يجوز استخدام العظم أو الروث الجاف . راجع: الفقه على المذاهب الأربعة .
٥- فى النسخة (أ) "على تيسير" ومن عادة الجبرتى دمج كلمتى "كل ما "فى "كلما " وأشباهها .
٦- فى النسخة (ب) كتبت هكذا "ومنهم من يبقى شعره لعارضيه".

ولا يخلعون نعالاتهم أبداً، ويطأون على الفرش الثمينة، ويمخطون ويبصقون [صـ٣٢] على الفراش ويمسحونه بالمداس.

قوله: "مطمين"(١) صوابه مطميناً لأنه حال فعدوله إلى الرفع فى غير موضعه إشارة إلى أن رفعتهم باستملاك مصر غلطة من الدهر، وأنهم فى أنفسهم(٢) مخفوضون، لا ينتصبون ولا يرتفعون ، ثم ليست هذه أول لحنة ، فإن جميع كلمه ملحون ، ومنشيه ملعون، عجل الله لهم الوبال والنكال، وأخرس منهم عضو المقال، وفرق جمعهم ، وشتت شملهم ، وأفسد رأيهم وأخمد أنفاسهم، وهدم أساسهم، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير ، انتهى.

وفى يوم الخميس الثامن والعشرون من الشهر(٣) وردت الأخبار بأن الفرنسيس زحفوا إلى نواحى فوا، ثم إلى الرحمانية.

وفى يوم الأحد غرة شهر صفر(٤) وردت الأخبار بأن فى يوم الجمعة التاسع والعشرون من شهر محرم، التقى العسكر المصرى مع الفرنسيس، فلم تكن إلا ساعة، وانهزم مراد بيك ومن معه، ولم يقع قتال صحيح، وإنما هى مناوشة من طلايع العسكرين، بحيث لم يقتل إلا القليل جدا من الفريقين، واحترقت مركب(٥)

١- فى النسخة (ب) "مطمئنين" والاصوب ما كتب بالمتن فى النسخة (أ).
٢- فى النسخة (ب) فى "تعسهم" وهو خطأ من الناسخ. وفى النسخة (أ) "نفسهم" .
٣- الخميس ٢٨ محرم ١٢١٣هـ الموافق ١٢ يوليو ١٧٩٨م.
٤- الاحد غرة صفر ١٢١٣هـ/الموافق ١٥ يوليو ١٧٩٨م.
٥- فى النسخة (ب) "مراكب" حيث الكلام عن حريق مراكب مراد بك كلها ولكن الحقيقة غير ذلك لأن ما يفهم من باقى النسخ أن مركب واحدة هى التى احترقت والتى بها خليل بك الجردلى، ولو كانت المراكب كلها احترقت لما اتفقت النسخ جميعها بما فيها (ب) على أن "المشاة نزلت فى المراكب وانفصل الفريقان بدون طائل" إذ كيف تنزل المشاة فى مراكب محترقة .

مراد بيك بما فيها من الجبخانة والآلات الحربية، واحترق بها رييس الطوبجية خليل الجردلى، وكان قد قاتل فى البحر قتالا عجيباً،[هو ومن انضم إليه من الغليونجية وبقية العسكر والمشاة الذين فى المراكب، مع مراكب الفرنسيس، وأقدم إقدام الأسد، فقدر الله أن علقت نار بالقلع ، فنزل البعض منها إلى البارود الذى فى المركب(١)فاحترقت، فمات هو ومن بالمركب، من المحاربين](٢) فلما عاين ذلك مراد بيك، ولى منهزماً وترك الأثقال والمدافع، وتبعته عساكره،والمشاة نزلت فى المراكب وانفصل الفريقان بدون طايل. وقد كانت العلما عند توجه مراد بيك للقتال [ص٣٣] تجتمع فى الأزهر كل يوم لقراءة (٣)البخارى وغيره من الأذكار(٤) والدعوات وكذلك مشايخ فقرا(٥)الأحمدية والسعدية والرفاعية وغيرهم من طرايق الفقرا(٦) وأرباب الأشاير كل يوم، يذهبون للأزهر فيجلسون للأذكار والدعا، وتجتمع أطفال الكتاتيب

١- فى النسخة (ب) كلمة"مركب" تحول دائماً إلى "مراكب". فيما يلى .

٢- الفقرة بين القوسين حذفها الجبرتى عند كتابته لعجائب الآثار وهو ما يبدو موقفا غريباً، فقد يبدو من المقبول أن يحذف مدحه للدولة العثمانية والوزير يوسف باشا ، أما أن يحذف وصفا لبطولات المماليك فهو أمر غير مبرر ولا مقبول من الجبرتى.

عجائب الآثار – جـ٣، ص ٦.

٣- فى النسخة (ب) "القارة ". وهى خطأمن الناسخ .

٤- هذه الكلمة غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من باقى النسخ .

٥- فى النسخة (ب) "تقراة" وما أثبتناه من باقى النسخ و هو الأصوب.

٦- فى النسخة (ب) "وغير من مشايخ الفقرا"وفى (جـ) " طوايف الفقرا " .

للدعا وتلاوة اسمه تعالى"لطيف" وكل هذا حصل بسببه النفع العظيم، فهو وإن لم يدفع دخول الفرنسيس مصر(١) لكونه أمراً مقضياً محتماً لا يرد بالدعا، لكن وقع اللطف الجزيل(٢) بسبب هذه الدعوات، واجتماع القلوب بمجالس الذكر والاستغفار، وآثار اللطف التى حصلت مشاهده لا تنكر ولله الحمد. ولما وصل خبر الهزيمة لمصر . انزعجت الناس انزعاجاً شديداً، وركب إبراهيم بيك إلى ساحل بولاق ، وحضر الباشا والعلما وروس الناس، وأعلنوا رأيهم فى هذا الحادث العظيم، فأجمع الرأى علي عمل متاريس من بولاق إلى شبرا، ويتولى الإقامة ببر بولاق (٣) إبراهيم بيك وأمراؤه وكشافهم .

وفى يوم الاثنين(٤)حضر مراد بيك إلى بر انبابه وشرع فى عمل متاريس هناك (٥)من بشتيل (٦) إلى آخر انبابة ، وتولى ذلك هو وصناجقه وأمراؤه وجماعة

١- فى النسخة (ب) "مصر الفرنسيس" وما أثبتناه من باقى النسخ وهو الأصوب .

٢- كلمة "الجزيل" غير موجودة فى النسخة (ب).

٣- بولاق: تعود فترة ظهور حى بولاق إلى عهد السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون ، الذى شجع القاهريين على البناء والتعمير فى أراضى الجزيرة الجديدة التى كونها طمى النيل عاماً بعد عام وسط مجراه تجاه أرض اللوق ، وكثرت المبانى والمنشآت بأرض الجزيرة الجديدة التى سميت بولاق وامتد عمرانها حتى اتصلت بشاطئ النيل وبمرور الزمن ازداد عمرانها واتصلت بغيرها من أحياء القاهرة المتاخمة لها وإن بقيت مدة طويلة من تاريخها أشبه ما تكون بضاحية من ضواحى القاهرة.د/ حسين عليوه: بولاق: ضمن ، كتاب القاهرة(الأهرام) ١٩٧٠،صـ ٧٠.

٤- الاثنين ٢ صفر ١٢١٣هـ/ الموافق ١٦ يوليو ١٧٩٨م.

٥- فى النسخة (ب) "هنالك".

٦- بشتيل: من القرى القديمة وردت فى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الإرشاد وفى التحفة من أعمال الجيزية . وذكر أميلينو فى جغرافيته قرية باسم "بشتة Bischteh " فى عبارة "أن رئيس أبرشية أوسيم هدم معبد بشتة ، ثم قال يوجد بالقرب من أوسيم قرية باسم بشتيل التى تتفق مع هذا الاسم القبطى بعد أبدال الهاء باللام ، فيمكن اعتبار " بشتة " هى الاسم القبطى لقرية بشتيل ، وحصل التعديل فى العصر العربى لسهولة النطق . راجع : محمد رمزى ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٥٨ .

من خشداشينه[1] واحتفل فى ترتيب ذلك وتنظيمه بنفسه، هو وعلى باشا الطرابلسى ونصوح باشا، وأحضر المراكب الكبار والغلايين التى أنشأها بالجيزة ، وأوقفها على ساحل انبابه ، وشحنها[2] بالعساكر والمدافع . فصار البر الشرقى والغربى[3] مملوءين بالعساكر والمتاريس والخيالة والمشاة، ومع ذلك فقلوب الأمرا لم تطمين بذلك فإنهم من حين وصول الخبر لهم من الأسكندرية، شرعوا فى نقل أمنعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة، للبيوت الصغار التى لا يعرفها أحد، وصاروا طول الليل فى نقل الأمتعة وتوزيعها [ص ٣٤] عند معارفهم وثقاتهم ، وإرسال البعض منها لبلاد الأرياف ، وأخذوا أيضاً فى تشهيل الأحمال، والاستحضار لدواب الشيل وأدوات السفر.وما ذاك إلا للتعويل على الهزيمة، فلما رأى أهل مصر ذلك منهم ؛ داخلهم الخوف والفزع،بحيث أن الأغنيا منهم استعدوا أيضاً للهروب ، ولولا أن الأمرا منعوهم من ذلك لما بقى من الأغنيا ومن له قدرة على الهروب بمصر منهم أحد، قبل دخول الفرنسيس بأيام ، لكن قد منع إبراهيم بيك الناس من النقلة من مصر، وهدد من أراد فعل

١- خشداش: وكذلك خوشداش وخچداش وخوچداش وهى فى المعجم الفارسى "خواجه تاش" من الكلمة الفارسية خواجة ومعناها السيد، ومن المقطع التركى"تاش" (أصله داش ويدل على المشاركة) فمعنى خواجه تاش لغويا هوالشريك فى السيد ، وتطلق هذه الكلمة بصيغها المختلفة على المملوك ينشأ مع مملوك غيره فى خدمة سيد واحد مشترك فهما مولياه وهما أخوى ولاء له " .

د/ أحمد السعيد سليمان-:مرجع سابق، ص ٨٧.

٢- فى النسخة (ب) "وأشحنها".

٣- فى النسخة (ب) "الغربى والشرقى"

ذلك منهم (١)

وفى يوم الثلاثا(٢) نادوا بالنفير العام، وخروج الناس للمتاريس، وصاروا يكررون المناداة فى كل يوم، فأغلق الناس الدكاكين والأسواق، وخرج الجميع لبر بولاق ، فكانت كل طايفة من طوايف أهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خيماً أو يجلسون فى مكان خرب أو مسجد ويرتبون لهم قيما يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم التى جمعوها من بعضهم، وبعض الناس يتطوع بالإنفاق على البعض الاخر،ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك ، بحيث أن جميع الناس بذلوا وسعهم ، وفعلوا ما فى قوتهم وطاقتهم ، وسمحت نفوسهم ببذل أموالهم ، فلم يشح فى ذلك الوقت أحد بشئ يملكه ولكن لم

١- الحراك الجغرافى فى القاهرة إبان وصول الحملة: ظلت هذه الظاهرة شبه دائمة فى المجتمع القاهرى، وظل السكان فى حركة جغرافية شبه دائمة، محاولين التكيف بالأوضاع الجديدة ، لقد خبر مجتمع القاهرة على عهد الفرنسيين هذا النوع من الحراك منذ علم القاهريون بقرب وصول الفرنسيين ، وحين تقرر الضرائب الفادحة وحين تهدم المنازل بشكل جمعى بدأت ظاهرة الحراك الفزعى (٨صفر ١٢١٣هـ) حين علم الناس بهزيمة إبراهيم بيك واتجاهه نحو العادلية واستدعائه لحريمه ولنساء من معه من أمراء المماليك ، وتستمر ظاهرة الزحف السكانى طوال الليل اذ يحتو معظم سكان القاهرة حتو المماليك البعض منهم بصحبة حريمه والبعض الأخر آثر النجاة بنفسه،ويمكن القول أن روح الجماعة المعنوية فى هذه الأزمات الحراكية قد تعرضت لهزات عنيفة ، إذ ليس من شك أن ما يقوى هذه الروح المعنوية هو غلبة المشاعر الإيجابية وتعطل السلبية منها ولعلماء النفس تفسيرات عديدة تتضمن ظاهرة انحلال الجماعات بتأثير الذعر الذى يتملكها .

د/ حكمت ابو زيد: المجتمع القاهرى على عهد الحملة الفرنسية ضمن كتاب الجبرتى دراسات وبحوث هـ. م.ع القاهرة ، ١٩٧٦، ص٣٥٩.

٢- الثلاثاء ٣ صفر ١٢١٣هـ الموافق ١٧ يوليو ١٧٩٨م .

يـــــساعدهم الدهـــــر (١)

وخـرجت الفـقـرا وأرباب الأشـاير بالطبـول والزمـور(٢) والأعـلام والكاسـات ، وهـم يضجون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة، وصعد نقيب الأشراف السيد عمر(٣) للقلعة فأنزل منها بيرق كبير أسمته العامة "البيرق النبوى" (٤) فنشره من القلعة إلى أن وصل به إلى بولاق ، وهو راكب ومعه ألوف [ص٣٥] من العامة بالنبابيت والعصى، يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح (٥) وبصحبته طبول وزمور وغير ذلك وأما مصر فإنها بقيت خالية الطرق ، لا تكاد تجد بها أحداً سوى النسا فى البيوت، والصغار وضعفا الرجال الذين لا يقدرون على الحركة، فإنهم مستترون مع

١-انتظم الحرفيون فى مصر فى طوائف خاصة بهم أشبه بالنقابات فى الوقت الحاضر ولها شيخها وتنظيماتها وقواعدها الخاصة بها وشكلت هذه الطوائف تنظيمات معدة للحركة وقت اللزوم ، وظهر هذا بشكل جلى عند نزول الحملة الفرنسية إلى مصر.

٢- كلمة "الزمور" غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من باقى النسخ .

٣- السيد عمر مكرم: ولد فى مدينة أسيوط من أسرة شريفة تنتسب إلى البيت النبوى الكريم، ولم يحدد تاريخ مولده بالضبط ولكنه على ارجح الاقوال ولد فى حوالى منتصف القرن الثامن عشر وكان أول نشاط سياسى له فى ٢٦ يونيو ١٧٩١م حاملا رسالة من مراد وإبراهيم فى الصعيد إلى محمد عزت الباشا الوالى العثمانى الجديد وكان نجاحه فى هذه السفارة من العوامل الرئيسية التى مهدت الطريق أمام إبراهيم ومراد لعودتهم للحكم فى القاهرة مرة ثانية وكانت مكافأته توليه منصب نقيب الأشراف وشيخ السجادة البكرية بعد وفاة الشيخ محمد البكرى ولعب عمر مكرم دوراً كبيراً في الحياة السياسية المصرية وكان زعيماً شعبياً توفى فى ١٨٢٢هـ بعد أن لاقى العناء من محمد على لمزيد من المعلومات راجع/ د/ عبد العزيز الشناوى: عمر مكرم، دار الكاتب العربى، يوليه ١٩٦٧ ، صـ ٣٥ وما بعدها.

٤- فى النسخة (ب) وردت هكذا "سمته العامة بيرق النبوى" وما أثبتناه من باقى النسخ هو الأصوب.

٥- فى النسخة (ب) "ويكثرون بالصياح" وما أثبتناه من باقى النسخ هو الأصوب .

النسا فى بيوتهم ، والأسواق مجفرة ، والطرق معفرة من عدم الكنس والرش ، وغلا سعر البارود والرصاص بحيث بيع[1] الرطل البارود بستين نصفاً [2] والرصاص بتسعين ، وغلا السلاح وقل.وخرج معظم الرعايا بالنبابيت[3] والعصى، ومكث المشايخ والعلما بزاوية على بيك ببولاق يدعون ويبتهلون إلى الله بالنصر، وأقام غيرهم من الرعايا ، البعض بالبيوت والبعض بالزوايا والبعض فى الخيام ، ومحصل الأمر أن جميع ما [4] بمصر من الرجال تحول لبولاق وأقام بها، من حين نصب إبراهيم بيك العرضى هناك ؛ إلى وقت الهزيمة ، سوى ناس قليل[5] لا يجدون [6] لهم مأوى ، فيرجعون لبيوتهم يبيتون بها ثم يصبحون ببولاق، وأرسل إبراهيم بيك إلى العربان المجاورة لمصر ، ورسم لهم أن يكونوا فى

١- فى النسخة (ب) "يباع".

٢- النصف فضة: نقد تركى أقدم إشارة إليه ترجع إلى سنة ١٥٨٣م ، وقد ضرب أولاً من الفضة بقيمة قدرها أربع أقجات " أخشا "وسرعان ما اختلف مركز " الأخشا " باعتبارها الوحدة النقدية التركية الصغرى حتى أصبحت الفضة تساوى ١:٤٠ من القرش . وفى نظام العملة المجيدى الذى اتبع سنة ١٨٤٤م أصبحت الفضة قطعة صغيرة من العملة النحاسية ، تضرب فى استانبول وفى مصر على السواء ، وقد أطلق الأتراك على الفضة اسم " بارة " الفارسية ويرادف اسم "البارة " والفضة فى عصر الجبرتى " نصف فضة " و"مؤيدى" وقد كانت هذه العمله وسيلة هامة لتحقيق مرونة العمليات التجارية فى مصر .
راجع د/ عبد الرحمن فهمى : النقود المتداولة زمن الجبرتى ، ضمن الجبرتى دراسات وبحوث ، هـ.م.ع ١٩٧٦، ص ٥٧٣ .

٣- كلمة " النبابيت" تكتب فى النسخة (ب) بالدال دائما هكذا "النبابيد".

٤- هكذا فى جميع النسخ ، ويلاحظ أن الجبرتى يستخدم "ما " للعاقل فى أحيان كثيرة .

٥- فى النسخة (ب) "ناس قليلة".

٦- فى النسخة (أ) "لا تجد" .

المقدمة بنواحي شبرا(1) وما والاها. وكذلك اجتمع عند مراد بيك الكثير
البحيرة والجيزة والصعيد والخبيرى (2) وغيرهم.

وفى كل يوم (3) يتزايد الجمع ويعظم الهول (4) ويضيق الحال بالفا
يحصلون قوت يوم بيوم، لتعطل الأسباب، واجتماع الناس كلهم فى صد
، وتنقطع الطرق، ويعدو الناس بعضهم على بعض، لعدم التفا
واشتغالهم بما دهمهم من هذا الأمر العظيم. وأما بلاد الأرياف فإنها ة

1- شبرا: كانت شبرا فى ذلك الوقت غير ملتصقة بالقاهرة كما هى الآن، بل كانت مساحة من الأرض الزراعية، يبلغ طولها حوالى عشرة ك.م وقد بدأ الاهتمام ب عصر محمد على عندما بنى بها قصراً وزرع به الكثير من الحدائق فى شمال ف الإسماعلية الحالية وأنشأ طريقاً بين القاهرة وهذا القصر الذى اشتهر بحدائقه و واقيم على جانبى الطريق الأشجار المظلة من اللبخ والجميز والتوت وعرف أولا ه باسم جسر شبرا ثم شارع شبرا. الذى أصبح من أكثر شوارع القاهرة إزدحا بينما كان يمر وسط الأراضى الزراعية منذ 150 عاماً راجع د/ عبد الرحمن ز سابق، ص 139.

2- الخبيرى منطقة فى جنوب القاهرة القديمة قرب المعادى الحالية. وأهم عربان ال أولاد على والجمعيات وهوارة وغيرهم. وأهم قبائل الجيزة: الطرابين والعبابدة و وبلى، وأهم عربان الصعيد: طرهونة والطميلات والجوابيص والفوايد وغيرهم ر عبد الله عزباوى: البدو ودورهم فى الثورة العرابية، مكتبة الكتاب الجامعى ود/ محمد عبد المنعم: العربان: مرجع سابق ص 277 وما بعدها.

3- امتدت فترة الاستعداد هذه من يوم الثلاثاء 17 صفر الموافق 3 يوليو عندما نو العام، إلى يوم السبت 7 صفر الموافق 21 يوليو عندما وقعت معركة امبابة.

4- فى النسخة (ب) "ويكثر الهول".

ساق يقتل بعضهم بعضاً وينهب بعضهم بعضاً ، وكذلك العرب تغير على الأطراف والنواحى ، وصار قطر مصر من أوله إلى آخره فى قتل [ص ٣٦] ونهب وإخافة طريق ، وقيام شر ، وإغارة على أموال ، وإفساد مزارع ، وغير ذلك من أنواع الفساد التى لا تحصى ، وطلب أمرا مصر الإفرنج الذين هم تجار بمصر ، فحبس بعضهم بالقلعة ، وبعضهم بأماكن الأمرا ، وصاروا يفتشون بيوت النصارى الشوام والأقباط والأروام والكنايس والأديرة على الأسلحة . والعامة لاترضى إلا أن يقتلوا النصارى واليهود ، فيمنعهم الحكام عنهم ، ولولا ذلك المنع لقتلهم العامة فى وقت الفتنة . ثم فى كل يوم تكثر الإشاعة بقرب الفرنسيس إلى مصر ، وتختلف الناس فى الجهة التى يأتون منها ، فمنهم من يقول يأتون من البر الغربى ، ومنهم من يقول من البر الشرقى ، ومنهم من يقول يأتون من الجهتين ، هذا وليس لأحد من كبرا العسكرين أن يبعث جاسوساً أو يرسل طليعة(١) تناوشهم القتال قبل دخولهم ، بل كل من إبراهيم بيك ومراد بيك ، جمع عسكره ومكث بمكانه لا ينتقل عنه ، ينتظر ما يفعل به ، وهذا من سوء التدبير وإهمال أمر العدو (٢)

ولما كان يوم الجمعة سادس الشهر(٣) وصل الفرنسيس إلى الجسر الأسود.

١- فى النسخة (ب) "أن يبعثوا جاسوساً أو يرسلوا طليعة .

٢- يرجع سبب اختلاف الناس فى الجهة التى يأتى منها الفرنسيون إلى أن القاهرة منذ بنائها لم تغز من طريق الاسكندرية أو رشيد ، ولذلك فإن تحصيناتها تركزت فى الجبهة الشرقية ، وأهم هذه التحصينات الطبع قلعة الجبل ، أما الجهة الغربية فقد كانت خالية من أى تحصينات ، وقد لاحظ ذلك الجبرتى ولكنه لم يدونه فى مظهر التقديس ، فى حين أنه علق على ذلك فى "عجائب الآثار" جـ٣ صـ٧ "وليس ثم قلعة ولا حصن ولا معقل"

٣- الجمعة ٦ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٠ يوليو ١٧٩٨م.

وأصبح يوم السبت(١) فوصلوا إلى أم دينار(٢) فعندها اجتمع العالم العظيم من الجند والرعايا والفلاحين المجاورة بلادهم لمصر ، ولكن الأجناد متنافرة قلوبهم ، منحلة عزيمتهم ، مختلفة أراؤهم ، حريصون على حياتهم، وتنعمهم ورفاهيتهم ، مختالون فى زينتهم ، مغترون بجمعهم ، محتقرون شأن عدوهم ، مرتبكون فى رويتهم ، مغمورون فى غفلتهم ، وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم ، وقد كان [ص ٣٧] الظن بالفرنسيس أن يأتوا من البرين [بل أشيع فى عرضى إبراهيم بيك أنهم قادمون من البرين] (٣) فلم يأتوا إلا فى البر الغربى.

ولما كان وقت القايلة(٤) من ذلك اليوم(٥) ركب جماعة من العساكر التى بالبر الغربى، وتقدموا إلى ناحية بشتيل، وهى بلدة مجاورة لانبابة ، فتلاقوا مع مقدمة الفرنسيس ، وكرّوا عليهم بالخيول ، فضربهم الفرنسيس ببنادقهم المتتابعة الرمى ،

١- السبت ٧ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢١ يوليو ١٧٩٨م.

٢- أم دينار : هى موضع بمصر ذكر فى أخبار فتوح مصر ، وقيل هي قرية كانت بين القاهرة والنيل اختلطت بمنازل ربض القاهرة. ياقوت الحموى – معجم البلدان – تحقيق فريد عبد العزيز الجندى . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠ ، جـ١ صـ ٢٩٨.

٣- العبارة التى بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من باقى النسخ وربما يكون سبب انتشار هذه الاشاعة فى معسكر إبراهيم بك هو عدم رغبتهم فى الانضمام إلى معسكر مراد بك ، وتركه يواجه الفرنسيين وحده ، فأشاعوا ذلك حتى يبرروا بقاءهم فى البر الشرقى. مع أن خط السير الطبيعى من الأسكندرية يكون فى البر الغربى للنيل .

٤- القائلة: الظهيرة ، والقيلولة : نومة نصف النهار أو الاستراحة فيه وإن لم يكن نوما (المعجم الوجيز) والقيل شرب نصف النهار ، يقال "قيله فتقيل أى سقاه نصف النهار فشرب (مختار الصحاح) .

٥- يوم السبت ٧ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢١ يوليو ١٧٩٨م.

وأبلى الفريقان(١). وفى هذه الكرة استشهد(٢) أيوب بيك الصغير(٣) ، وعبد الله كاشف الجرف(٤) ، وكان عبداً أسود جسيماً معروفاً بالشجاعة والإقدام ، ومات أيضاً عدة من كشاف محمد بيك الألفى ومماليكه . وتبعهم طابور من الإفرنج فى نحو ستة آلاف سرى عسكرهم دزه(٥) الذى ولى على الصعيد بعد تملكهم ، وأما بونابارته فلم يشاهد الوقعة ، بل حضر بعد الهزيمة (٦) وكان بعيداً عن هؤلاء بكثير

١- فى النسخة (ب) "وأبلى الفريقين" والصواب ما أثبتناه بالمتن من النسخة (أ).

٢- من غريب مواقف الجبرتى أنه يبدل كلمة استشهد فى مظهر التقديس بكلمة قتل فى "عجائب الآثار" وكأنه يضن بالشهادة عليهم.

٣- أيوب بك الصغير:من مماليك محمد بيك أبو الدهب ، تولى الإمارة والصنجقية بعد موت أستاذه ، وكان ذا دهاء ومكر ، ويشترى المصاحف والكتب ، ويحب المسامرة وسير المتقدمين ، ويواظب على الصلاة فى الجماعة ، وكان ذا شهامة وصرامة . ولما حضر الفرنسيس عدى إلى بر انبابة قبل الحرب بيومين ، وصار يقول : أنا بعت نفسى فى سبيل الله ولما التقى الجمعان توضأ وصلى وألقى بنفسه وسط المعركة وقاتل حتى استشهد راجع ترجمته فى جـ ٣ من عجائب الآثار .

٤- عبد الله كاشف الجرف : كان عبداً لإسماعيل كاشف الجرف تابع عثمان بيك ذو الفقار الكبيروكان معروفاً بالشجاعة والإقدام كسيده ، وقد أدرك بمصر إمارة وسيادة واشترى العديد من المماليك والجوارى والعبيد واستشهد فى انبابة . راجع : ترجمته فى عجائب الآثار وفيات سنة ١٢١٣هـ .

٥- فى النسخة (ب) تكتب "دزى". فى النسخة(جـ) تكتب "درة " والمقصود هو الجنرال"ديزيه" Desaix.

٦- لا شك أن الجبرتى يكتب هذه المعلومة بالظن والتخمين فقد كان بونابرت فى قلب المعركة حيث رتب فرق جيشه على شكل مربعات ، ووضع المدافع على زاويا كل مربع ، وكانت فرقتا الجنرال ديزيه والجنرال رينيه فى الميمنة ، وفرقتا الجنرال بون وفيال فى الميسرة . وفى القلب كانت فرقة الجنرال دوجا وفيها بونابرت يرسم الخطط ويصدر الأوامر . ويدأ بونابرت بالهجوم من الميمنة على قوات المماليك التى يتألف منها قلب جيش مراد بك وميسرته ؛ ليحول بينهم وبين بقية القوات المرابطة فى انبابة من العربان وغيرهم ، وبذلك اخترق صفوف مراد بك وأحاط بها ودفعها إلى النيل ثم انثنى على انبابة فاستولى عليها . راجع الرافعى مرجع سابق جـ١ ، ص ٢٠٤ .

ولما قرب طابور الفرنسيس من متاريس مراد بيك ، ترامى الفريقان بالمدافع ، ورمت عسكر الغليونجية التى فى الغلابين البحرية بالمدافع أيضاً. وكان قد قدم فى صبح هذا اليوم ، عدة من عسكر الأرناؤط من دمياط ، وطلعوا انبابة وانضموا للمشاة من الغليونجية والألضاشات والمغاربة ، وانتظموا معهم فى المتاريس ، [فلما وقع الحرب مات معظمهم ولم ينتقل عن مكانه ، ولم يثبت من هذه الطوايف كلها إلا هذه الفرقة ، بحيث لم ينجح منها إلا القليل ، ولم تتزلزل عن مكانها ، ولم تسلم فى أنفسها ، وهكذا الرجال ، رضى الله عنهم] (١) فلما رأى عسكر البر الشرقى القتال ؛ ركب جماعة من الأمرا الذين به ، وشرعوا فى التعدية إلى البر الغربى فى المراكب ، فتزاحموا على المعادى لكون التعدية من محل واحد ، والمراكب قليلة جداً ، فلم يتمكن الجميع للوصول إلا وقد انهزم العسكر الغربى(٢)

١-يحذف الجبرتى فى عجائب الآثار الكثير من المواقف البطولية للعثمانيين والمماليك التى دونها فى مظهر التقديس ، فنراه هنا يحذف الفقرة التى بين القوسين ، ويضع مكانها وصفاً تفصيلياً لموقف العامة الذى يقف على النقيض من الموقف الذى حذفه، وما كتبه الجبرتى فى عجائب الاثار نصه "فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقى القتال ضج العامة والغوغاء من الرعية وأخلاط الناس بالصياح ورفع الأصوات بقولهم يارب ، ويا لطيف ، ويا رجال الله ونحو ذلك ، وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم وجلبتهم ، فكان العقلاء من الناس يصرخون عليهم ويأمرونهم بترك ذلك ويقولون لهم أن الرسول والصحابة والمجاهدين إنما كانوا يقاتلون بالسيف والحراب ، وضرب الرقاب ، لا برفع الأصوات والصراخ والنباح ، فلا يسمعون ولا يرجعون عما هم فيه ، ومن يقرأ ومن يسمع".

٢- لا شك أن هذا موقف غريب من الأمراء أولا لأنهم لم يستطلعوا أمر العدو ، وجلسوا منتظرين حتى فاجأهم من البر الغربى ، ثانيا لأنهم لم يوفروا القدر الكافى من المعادى للعبور إلى الجهة التى يأتى منها العدو، ولذلك فان نصف قوات الأمراء لم تشارك فى المعركة إلا بعد نهايتها ، وكان هذا أحد أسباب الهزيمة . ويدعونا هذا إلى تصديق ما قاله "هنرى لورنس" عن قتال المماليك حيث قال"الواقع أن المماليك لم يكونوا مهيئين البتة لهذا النوع من المعارك ، وهم يجهلون تماما الأنضباط الاوربى، ثم إنهم ، باستثناء حملات على بك وأبو الدهب السورية ، لا يملكون أيه ممارسة قتالية فى المعارك . والحرب بالنسبة لهم ليست غير إحدى أدوات سياسية قائمة على المكائد".راجع هنرى لورنس : الحملة الفرنسية فى مصر - ترجمة بشير السباعى دار سينا للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ١٤٤ . .

هذا والريح النكبا قد اشتدت [ص ٣٨] فى هبوبها ، وأمواج البحر[1] فى قوة اضطرابها ، والرمال يعلو غبارها ، وتنسفها الريح فى وجوه العسكر ، فلا يقدر أحد أن يفتح عينيه من شدة الغبار ، وكون الريح من جهة العدو ، وفى وجوه المقاتلين ، وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه . ثم إن الطابور الذى تقدم لقتال مراد بيك،انقسم على كيفية معلومة عندهم فى الحرب،وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطاً بالعسكر من خلفه وأمامه ، ودق طبوله ، وأرسل بنادقه المتتالية والمدافع ، واشتد هبوب الريح ، وانعقد الغبار ، وأظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار الرياح ، وصمت الأسماع من توالى الضرب ، بحيث خيل للناظر[2] أن الأرض تزلزلت ، والسما عليها سقطت ، فاستمر القتال نحو ثلاثة أرباع ساعة ، ثم كانت الهزيمة على العسكر الغربى ، تفرق الكثير من الخيالة فى البحر ، لإحاطة العدو بهم ، وظلام الدنيا ، والبعض وقع أسيراً فى يد الفرنسيس ، وملكوا المتاريس ، وفرّ مراد بيك ومن بقى معه إلى الجيزة ، فصعد إلى قصره ، وقضى بعض أشغاله فى نحو ربع ساعة ، ثم ركب وذهب إلى الجهة القبلية ، وبقيت القتلى[3] والثياب والأمتعة والأسلحة ملقاة[4] ببر انبابة تحت الأرجل. وكان من جملة من ألقى نفسه فى البحر سليمان بيك المعروف بالأغا ، وأخوه

١- يقصد نهر النيل .

٢- فى النسخة (ب) "القتلا".

٣- فى النسخة (ب) "خيل للناس".

٤- فى النسخة (ب) "ملقات".

إبراهيم بيك ، فأما سليمان بيك فنجا وغرق إبراهيم بيك المعروف بالصغير[1] ولما انهزم العسكر الغربى حول الفرنسيس المدافع والبنادق على البر الشرقى وضربوها ، فقامت صيحة عظيمة ببر بولاق[2] وركب إبراهيم بيك والباشا والأمرا والعسكر والرعايا ، وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هى لم يأخذوا منها شيئاً، فأما ابراهيم بيك والباشا والأمرا [ص٣٩] فذهبوا إلى جهة العادلية ، وأما الرعايا فهاجوا إلى جهة المدينة ودخلوها أفواجا وهم فى غاية ما يكون من الخوف والفزع وترقب الهلاك ، وهم يضجون بالعويل والنحيب ، ويبتهلون إلى الله تعالى من شر هذا اليوم العصيب[3] والنسا يصرخن بأعلى أصواتهن فى البيوت . وقد كان ذلك قبل الغروب ، فلما استقر إبراهيم بيك بالعادلية ، أرسل فأخذ حريمه ، كذلك من كان معه من الأمرا ، فأركبوا النسا بعضهن على الخيول ، وبعضهن على البغال ، والبعض على الحمير والجمال ، والبعض ماش كالجوارى والخدم .

واستمر معظم الناس طول الليل[4] خارجين من مصر البعض بحريمة ، [والبعض ينجو بنفسه، وليس أحد مع أحد ، بل كان كل واحد مشغول بنفسه عن

١- إبراهيم بك الصغير : هو إبراهيم بيك المعروف بالوالى ، وهو من مماليك محمد بيك أبى الذهب ، وتقلد الزعامة بعد موت أستاذه ، ثم تقلد الإمارة والصنجقية ، وتولى إمارة الحاج عام ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م ولم يسافر به . وتزوج من ابنة إبراهيم بيك الكبير ، ولم يزل فى سيادته وإمارته حتى حضر الفرنساوية ووصلوا إلى امبابة ، فمات يومها غريقاً فى النيل ولم تظهر جثته . راجع ترجمته كاملة فى جـ٣ من عجائب الآثار فى وفيات عام ١٢١٣هـ .

٢- كلمة "بر" غير موجودة فى النسخة " أ " وكتبت "ببولاق".

٣- فى النسخة (ب) "ويبتهلون" إلى الله من شر هذا اليوم العظيم.

٤- ليلة الأحد ٨ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢١ يوليو ١٧٩٨م.

أبيه وابنه] (١) فخرج فى تلك الليلة معظم أهل مصر ، والبعض لبلاد الصعيد ، والبعض لجهة الشرق وهم الأكثر ، وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه ، لا يقدر على الحركة ، ممتثلا للقضا ، متوقعاً للمكروه ، وذلك لعدم وقلة(٢) ذات يده وما ينفقه على حمل عياله وأطفاله ، ويصرفه عليهم فى الغربة ، فاستسلم للمقدور ، ولله عاقبة الأمور .

والذى أزعج قلوب الناس وهيجهم على الترحال بالأكثر ، أن فى عشا تلك الليلة شاع فى الناس أن الفرنج عدو إلى بولاق وأحرقوها وكذلك الجيزة ، وأن أولهم وصل إلى باب الحديد يحرقون ويقتلون ويفجرون بالنسا ، وكان السبب فى هذه الإشاعة ، أن بعض الغليونجية من عسكر مراد بيك الذى كان(٣) فى الغليون بمرساة انبابة لما تحقق الكرة أضرم النار(٤) فى الغليون الذى هو فيه ، وكذلك مراد بيك لما رحل من الجيزة ، أمر بانجرار الغليون الكبير من قبالة قصره ليصحبه معه إلى جهة قبلى ، فمشوا به قليلاً ووقف لقلة الماء فى الطين ، وكان [ص ٤٠] به عدة وافرة من آلات الحرب والجبخانة ، فأمر بحرقه أيضاً ، فصعد لهيبه إلى عنان السما ، فلما عاين الناس بالمدينة لهيب النار من ناحية الجيزة وبولاق ، ظنوا بل أيقنوا أنهم حرقوا البلدين ، فهاجوا كلهم (٥) واضطربوا زيادة عما هم عليه من الفزع والروع والجزع ،

١- العبارة بين القوسين كتبت فى النسخة (جـ) هكذا " والبعض ينجو بنفسه عن أبيه وابنه " .

٢- فى النسخة (ب) "وقلت"

٣- فى النسخة (ب) "الذين كانوا" وما أثبتناه فى المتن من باقى النسخ هو ما يتفق مع أسلوب الجبرتى ، ومع باقى العبارة.

٤- فى النسخة (ب) " الناس " وهى خطأ من الناسخ .

٥- كلمة "كلهم" غير موجودة فى النسخة (أ).

وخـرج أعـيان الـناس وأفـندية (١) الوجـاقات (٢) وأكابـرهـم، ونـقيب الأشراف وبعض المشـايـخ القـادريـن ، فـلمـا عـايـن العامة والرعية ذلك اشتد ضجرهم وخوفهم وتحركت عزايمهم للهروب واللحاق بهم . والحال أن الجميع لا يدرون أى طريق يسلكون ، وإلى(٣) أى جـهة يذهبـون ، وأى محل به يستقرون ، فتلاحقوا وتسابقوا ، وخرجوا من كل حدب ينسلون ، وأبيع(٤) الحمار الأعرج أو البغل الضعيف ، بأضعاف ثمنه ، وخـرج أكثرهـم ماشـياً ، أو حاملاً متاعه على راسه ، وزوجته حاملة طفلها، ومن قدر على مركوب أركب زوجته أو ابنتـه ، ومـشى هـو على أقـدامـه ، وخـرج غـالب النسـا مـاشـيـات حـاسـرات ، وأطفالهن على أكتافهن يبكين فى ظلمة الليل ، واستمروا على ذلك بطول ليلة الأحد وصبحها ، وأخذ كل إنسان ما قدر على حمله(٥) من مال ومتاع ، فلما خرجوا من

١- "أفندى" كلمة تسربت من البيز نطيين إلى الأتراك السلاجقة ، فاندمجت فى التركية ، وفى النصف الثانى من القرن الخامس عشر اطلقت عند الأتراك العثمانيين على المتعلم، وحلت محل كلمة "جلبى" على مر الأيام وفى القرن التاسع عشرأطلقت رسمياً على الأمراء العثمانيين ، كما أطلقت على من علت رتبتهم من رجال الدين المسيحيين وخوطب بهذا اللقب ضباط الجيش إلى رتبة البيك باشى.
أى [المقدم] راجع : د/ مجيب المصرى: مرجع سابق ، ص ٣٤.

٢- الوجاق: من التركية "أوجاق" بضم الهمزة ضمة مبسوطة مفخمة ومعناه الأول فى التركية "الموقدة والمدخنة " ثم اطلق على كل ما ينفخ فيه نار، فأطلق على البيت من وبر أو مدر ، ثم على أهله ثم على الجماعة تتلاقى فى مكان واحد ثم أطلق على الطائفة من طوائف ارباب الحرف وعلى الصنف من أصناف الجند.
راجع د/ أحمد السعيد سليمان : مرجع سابق ، ص ١٩٤.

٣- "وإلى" غير موجودة فى النسخة (أ).

٤- "وأبيع" كذا فى جميع النسخ.

٥- فى النسخة (ب) " على قدر ما يحمل".

أبواب البلد ، وتوسطوا الفلاة تلقتهم العربان والفلاحون ، فأخذوا متاعهم ولباسهم وأحمالهم ، بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستر عورته أو يسد جوعته ، فكان ما أخذته العرب شيئاً كثيراًيفوت عن الحصر، بحيث أن الأموال والذخاير التى خرجت من مصر فى تلك الليلة أضعاف ما بقى بها بلا شك لأن معظم الأموال عند الأمرا والأعيان وحريمهم وقد أخذوه صحبتهم ، وغالب مساتير الناس ، وأصحاب المقدرة خرجوا أيضا بما عندهم ، والذى أقعده [ص ٤١] العجز ، وكان عنده ما يعز عليه من مال أو متاع[١] أعطاه لجاره أو صديقه الواصل ، ومثل ذلك أمانات وودايع للحجاج من المغاربة والمسافرين ، فذهب ذلك جميعه ، وربما قتلوا من قدروا عليه أو دافع عن نفسه ومتاعه ، وعروا ثياب النسا [٢] وفضحوهم وهتكوهن وفيهم الخوندات [٣] والأعيان ، فمنهم من رجع من قريب ، وهم الذين تأخروا فى الخروج ، وبلغهم ما حصل للسابقين ، ومنهم من جازف متكلاً على كثرته وعزوته وخفارته ، فسلم أو عطب ، وكانت ليلة وصباحها فى غاية الشناعة ، جرى فيها ما لم يتفق مثله بمصر [٤] ولا سمعنا بما يشابه بعضه فى تواريخ المتقدمين ، وما راءٍ كما سمعنا [٥]

١- فى النسخة (ب) " مال أو مصاغ".
٢- فى النسخة (ب) "وجروا ثياب للنساء".
٣- الخوندات:" والخوند" بفتح الخاء والواو وسكون النون ، وهى فى الفارسية السيد العظيم والأمير واستعملت فى العربية لقباً بمعنى السيد والسيدة راجع د/ أحمد السعيد سليمان مرجع سابق ، ص ٩٢.
٤- كلمة "بمصر" غير موجودة فى النسخة (أ).
٥- فى النسخة (أ) "وما راء كمن سمعا " ويقصد الجبرتى أن الذين رأوا ذلك وعاينوه لا يقاسوا به فهو قد سمع هذه الأخبار من الذين عاشوها.

ولما أصبح يوم الأحد المذكور[1] والمقيمون لا يدرون ما يفعل بهم ، ومتوقعون حلول الفرنسيس ، ووقوع المكروه ، ورجع الكثير من الفارين وهم فى أسوأ حال من العرى والفزع ، فتبين أن الفرنج لم يعدوا إلى البر الشرقى ، وأن الحريق كان فى المراكب المتقدم ذكرها ، فاجتمع فى الأزهر بعض العلما والمشايخ ، وتشاوروا فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مراسلة إلى الفرنج ، وينتظروا ما يكون من جوابهم ، ففعلوا ذلك وأرسلوها صحبة شخص مغربى يعرف لغتهم ، وآخر صحبته ، فغابا وغابا وعادا[2] وأخبرا أنهما قابلا كبير القوم ، وأعطياه الرسالة ، فقرأها عليه ترجمانه ومضمونها الاستفهام عن قصدهم ، فقال على لسان الترجمان : " وأين عظماؤكم ومشايخكم ، لما تأخروا عن الحضور إلينا لنرتب لهم ما يكون فيه الراحة ؟ وطمنهم وبش فى وجوههم ، فقالوا :"نريد أماناً منكم " فقال :"قد أرسلنا لكم سابقاً " يعنون الكتاب المذكور ، فقالوا وأيضاً [3] لأجل اطمينان الناس ، فكتب لهم ورقة أخرى مضمونها :

"من معسكر الجيزة [4] خطاباً إلى أهل مصر":

"إننا أرسلنا لكم فى السابق [ص ٤٢] كتاباً فيه الكفاية [5] وذكرنا لكم أننا

١- الأحد ٨ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٢ يوليو ١٧٩٨م.

٢- فى النسخة (ب) "فغابا وعادا".

٣- فى النسخة (أ) كتبت هكذا "وأيضن" وكثيراً ما تكرر هذا الخطأ فى تلك النسخة فلم نأخذ به

٤- فى النسخة (ب) "عسكر الجيزة ".

٥- بعد موقعة الأهرام (امبابة) أذاع بونابرت منشوراً وجهه إلى سكان القاهرة أكد فيه بعض النقاط التى جاءت فى منشوره الأول ولم يرد ذكر لهذا المنشور فى كتاب الجبرتى ولكن ورد نصه الأصلى باللغة الفرنسية فى مجموعة الوثائق الرسمية الخاصة بالحملة وهذه هى الترجمة العربية للنص الفرنسى " معسكر الجيزة ، فى٤ثيرميدور إلى أهل القاهرة :"إننى مسرور من سلوككم وقد أحسنتم صنعاً بعدم اشتراككم فى مقاومتى ، لقد جئت هنا لأبيد جنس المماليك ، وأحمى التجارة ، وأهل البلاد الأصليين فليطمئن الخائفون ، وليعد الذين تركوا بيوتهم إليها ، ولتقام الصلوات فى المساجد، كما كانت تقام من قبل ، وكما أريد أن تقام دائماً لا تخشوا شيئاً على عائلاتكم وبيوتكم وأملاككم، لاسيما دينكم ، دين النبى الذى أحترمه واقدسه" راجع د/عبد العزيز الشناوى:مرجع سابق،ص ٢٥

لم حضرنا إلا بقصد إزالة المماليك ؛ الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار ، وأخذوا مال التجار ومال السلطان ، ولما حضرنا إلى البر الغربى ، خرجوا الينا فقابلناهم بما يستحقون وقتلنا بعضهم وأسرنا بعضهم ، وهرب بعضهم ونحن فى طلبهم ، حتى لم يبق منهم أحداً بالقطر المصرى ، وأما المشايخ والعلما وأصحاب المرتبات والرعية ، فيكونوا مطمينين ، وفي مساكنهم متاجرين(١) ومرتاحين إلى آخر ما ذكرناه "(٢) ثم قال لهم لازم أن المشايخ والشرباجية يأتون إلينا لنرتب منهم ديواناً ننتخبه من سبعة أشخاص عقلا يدبرون الأمور(٣) ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس وركب الشيخ مصطفى الصاوى ، والشيخ سليمان الفيومى وآخرون إلى الجيزة ، فتلقاهم وضحك لهم وقال "أنتم المشايخ الكبار؟" فأعلموه أن المشايخ الكبار خافوا وهربوا ، فقال "لأى شئ يخافون (٤) اكتبوا لهم بالحضور ، ونعمل لكم ديواناً لأجل الراحة " فكتبوا منه عدة مكاتبات (٥) بالحضور والأمان ، ثم انفصلوا من عندهم بعد العشا (٦) وبقى الناس فى وجل وخوف على غيابهم .

وأصبحوا (٧) فأرسلوا الأمانات (٨) إلى المشايخ ، فحضر الشيخ السادات ، والشيخ الشرقاوى ، ومن انضم اليهما من الناس الفارين من ناحية المطرية ، وأما

١- كلمة "متاجرين " غير موجودة فى النسخة (أ).
٢- فى النسخة (أ) "إلى أخر ما ذكر".
٣- فى النسخة (ب) "يدبرون الأمر".
٤- فى النسخة (ب) "يخافوا" والصواب ما اثبتناه من باقى النسخ .
٥- فى النسخة (ب) "مكاتيب".
٦- عشاء يوم الأحد ٨ صفر ١٢١٣ هـ يوافق ٢٢ يوليو ١٧٩٨م.
٧- صباح الاثنين ٩ صفر ١٢١٣ هـ الموافق ٢٣ يوليو ١٧٩٨م.
٨- فى النسخة (ب) " الأمان ".

عمر أفندى نقيب الأشراف ، فإنه لم يطمين ولم يحضر ، وكذلك الروزنامجى(١) والأفندية .

وفى ذلك اليوم (٢) اجتمعت الجعيدية (٣) وأوباش الناس (٤) ونهبوا بيت إبراهيم بيك ومراد بيك بقيسون وأحرقوه ، ونهبوا أيضاً عدة بيوت من بيوت الأمر وأخذوا ما فيها من فراش ونحاس وأمتعة وغير ذلك ، وباعوه بأبخس الأثمان .

وفى يوم الثلاثا (٥) عدت (٦) الفرنسيس [ص ٤٣] إلى بر مصر ، وسكن

١- الروزنامجى: رأس الروزنامجى ديوان الروزنامة الذى كان مختصاً بجمع الأموال الأميرية أى إيرادات مصر من الأرض والجمارك والمناصب وصرفها فى الوجوه المقررة لها تحت إشراف الديوان الدفترى ، وكان الروزنامجى فى أوائل العصر العثمانى يحضر من استانبول وظل كذلك إلى النصف الثانى من القرن السابع عشر وفى البداية كان الروزنامجى يلى الدفتر دار فى رئاسة الإدارة المالية فى مصر ولكن بمضى الوقت وبعد أن اصبح الدفردار يختار من بين كبار الامراء المماليك اعاد مقصود باشا (١٦٤٣م) تنظيم خزانة مصر وتنظيم العلاقة بين الديوانين الدفترى والروزنامه ونقلت اليادة الفعلية إلى الروزنامجى ولكن هذا المنصب ايضا ما لبث أن وقع تحت سيطرة البيوت المملوكية فأصبح يتولاه طوال القرن الثامن عشر رجال من بين المماليك .

د/ ليلى عبد اللطيف مرجع سابق ، ص ٣٠١ وما بعدها.

٢-يوم الاثنين ٩ صفر ١٢١٣ هـ الموافق ٢٣يوليو ١٧٩٨م.

٣- الجعيدية : بدو رحل عرفوا بالميل إلى الشغب والنهب والسرقة .

٤-الأوباش : من الناس هم الأخلاط مثل الأوشاب وهم الضروب المتفرقون من الناس: راجع "مختار الصحاح"والجبرتى هنا يقصد الطبقة السفلى من المجتمع القاهرى والتى يطلق عليها فى مواضع أخرى ألقاب مثل "الذعر" و"الحرافيش و " حشرات الناس " .

٥- يوم الثلاثاء ١٠ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٤ يوليو ١٧٩٨م.

٦- فى النسخة (ب) "عدة" والأصوب ما أثبتناه من النسخة (أ).

بونابارته ببيت محمد بيك الألفي بالأزبكية (١) بخط الساكن ، وكان عمّره محمد بيك المذكور سنة تاريخه (٢) وزخرفه وصرف عليه أموالاً عظيمة وفرشه بالفرش الفاخرة ، وعند تمامه وسكناه فيه حصلت هذه الحادثة فاخلوه وتركوه بما فيه ، فكأنه كان يبنيه (٣) للفرنسيس ، وكذلك حصل في بيت حسن كاشف جركس بالناصرية (٤) .

١- الأزبكية: حى يتوسط اليوم القاهرة ، كان عبارة عن أرض زراعية تقع إلى الجنوب من خط المقس ، وكانت مياه النيل تغمر تلك الأراضي سنوياً ، وكان يتخلف بها بعد الفيضان بركة ، وكانت أرض هذا الحى عامرة بالبساتين والمناظر ، وفى أيام السلطان قايتباى أواخر القرن ١٥م قام قائده "أزبك " بتعمير المنطقة ومن ثم أخذت البركة وكذا المنطقة اسم معمرها وشيد فيها مسجداً وعرفت المنطقة باسم "الأزبكية".
د/ عبد الرحمن زكى: مرجع سابق ص ١٠ وما بعدها.

٢- فى الهامش الأيسر لصفحة المخطوط (ب) كتب عنوان "عاشر صفر الخير سنة ١٢١٣هـ دخل بونابرته بيت الألفى بالأزبكية ". هذا بينما يذكر الجبرتى فى عجائب الآثار أنه (أى الألفى) عمّر القصر فى السنة الماضية أى سنة ١٢١٢هـ .

٣- فى النسخة (ب) "فكأنه كان بناه"

٤-اكتفى الجبرتى بذكر دخول بونابرت إلى القاهرة ، ولكنه أغفل ذكر دخول طلائع الجنود الفرنسيين إلى القاهرة وكيفية معاملتهم للناس وعدم تعديهم على أموالهم ومحلاتهم وإقبال الناس عليهم ، وكأنه خشى من غضب الوزير "يوسف باشا" حيث يبدو ذلك كمقارنة بين ما فعله الفرنسيون وما يفعله الأتراك من نهب وتعدى على المحلات والدكاكين ، وإتماما للفائدة نورد نص الفقرة المحذوفة كما وردت فى عجائب الآثار "وكذلك حصل فى بيت حسن كاشف جركس بالناصرية ولما عدى كبيرهم وسكن بالأزبكية كما ذكر استمر غالبهم بالبر الآخر ولم يدخل المدينة إلا القليل منهم، ومشوا فى الأسواق من غير سلاح ولا تعديل صاروا يضاحكون الناس ويشترون ما يحتاجون إليه بأغلى ثمن فيأخذ أحدهم الدجاجة ويعطى صاحبها فى ثمنها ريال فرانسه ويأخذ البيضة بنصف فضه قياساً على أسعار بلادهم وأثمان بضائعهم فلما رأى منهم العامة ذلك أنسوا بهم واطمأنوا لهم وخرجوا اليهم بالكعك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات وغير ذلك مثل السكر ، والصابون والدخان ، والبن فصاروا يبيعون عليهم عليهم بما أحبوا ، وفتح غالب السوقة الحوانيت والقهاوى" عجائب الآثار جـ٣ ، ص ١١ .

وفى يوم الخميس ثالث عشر صفر(1) طلبوا المشايخ والوجاقلية عند بعض رؤسايهم (2) وعينوا (3) عشرة أنفار من المشايخ للديوان ، وهم الشيخ عبد الله الشرقاوى ، والشيخ خليل البكرى ، والشيخ مصطفى الصاوى ، والشيخ سليمان

١- الصواب أن يوم الخميس يوافق ١٢ صفر ١٢١٣ هـ الموافق ٢٦ يوليو ١٧٩٨م . وهذا الخطأ مكرر فى كل النسخ وكذلك فى عجائب الآثار .

٢- فى عجائب الآثار يذكر الجبرتى أن الذى طلبهم هو قائمقام صارى عسكر، راجع عجائب الآثار، جـ٣ ص ٨

٣- إذا رجعنا إلى النص الفرنسى الذى أصدره بونابرت بتأليف الديوان نجده يختلف ورواية الجبرتى فى بعض النقاط ومنها عدد الأعضاء وبيان أسمائهم وهذا نص الأمر نثبته هنا للمقابلة بينه وبين ما ذكره الجبرتى "معسكر القاهرة فى ٧ ترميدور من السنة السادسة للجمهورية (٢٥ يوليه ١٧٩٨م)."بونابرت عضو المعهد الوطنى" القائد العام ، قرر:

١— تحكم القاهرة من جانب ديوان مؤلف من تسعة أشخاص.

٢- يجتمع الشيوخ السادات والشرقاوى والصاوى والبكرى والفيومى والعريشى وموسى السرسى ونقيب الأشراف السيد عمر ومحمد الأمير هذا المساء ، فى الساعة الخامسة فى منزل كخيا الشاويشية ، وعليهم أن ينتخبوا من بينهم رئيسا لهم وأن يختاروا سكرتيراً من غير الأعضاء ، ويعينوا اثنين من الكتبة والتراجمة يعرفان الفرنسية والعربية ولهذا الديوان حق فى تعيين اثنين من الأغوات لإدارة البوليس وعليه أن ينتخب لجنة مؤلفة من ثلاثة لمراقبة الأسواق وتموين المدينة ، ولجنة من ثلاثة آخرين يكلفون بمهمة دفن الموتى بالقاهرة وضواحيها إلى فرسخين منها.

٣- يجتمع الديوان كل يوم من الظهر ويبقى ثلاثة أعضاء على الدوام بدار المجلس .

٤- يقام على باب الديوان حرس فرنسى وآخر تركى.

٥- على الجنرال برتيية (رئيس أركان الحرب) وقومندان المدينة (الجنرال ديبوى) أن يكونا فى الساعة الخامسة مساء اليوم بدار الديوان لإجراء ما يلزم لأعضائه ، ولكى يأخذا عليهم عهداً ألا يعملوا شيئاً ضد مصلحة الجيش فهنا نرى اختلاف بين هذا النص وبين رواية الجبرتى سواء فى عدد الأعضاء أوفى أسمائهم .

راجع هنرى لورنس – مرجع سابق ، ص ١٥٤.الرافعى – مرجع سابق ، جـ١ ص ٩٨ ومابعدها.

الفيومى ، والشيخ محمد المهدى ، والشيخ موسى السرسى ، والسيد مصطفى الدمنهورى ، والشيخ أحمد العريشى(١) والشيخ يوسف الشبرخيتى، والشيخ محمد الدواخلى ، وحضر ذلك المجلس أيضاً مصطفى بيك كتخدا الباشا والقاضى ، وعملوا محمد أغا المسلمانى أغاة مستحفظان (٢) وعلى أغا الشعراوى زعيم مصر(٣) وحسن أغا محرم أمين احتساب (٤) وذلك بإشارة أرباب الديوان ، فإنهم كانوا ممتنعين من تقليد المناصب لجنس المماليك فعرفوهم أن سوقة مصر لا يخافون إلا من الأتراك ، ولا يحكمهم سواهم ، وهؤلاء الجماعة من أرباب البيوت القديمة ، وقلدوا زين الفقار كتخدا محمد بيك الألفى كتخدا بونابارتة ، ومن أرباب المشورة موسى (٥) كافوا وكلوى الفرنساويين ، ووكيل الديوان حنابينو.

١- فى النسخة (ب) "محمد العريشى" والصواب ما أثبتناه.

٢- راجع ما ذكرناه فى هامش سابق .

٣- راجع ما ذكرناه فى هامش سابق .

٤- أمين الاحتساب: نظام الحسبة يرجع إلى العهود الإسلامية الأولى حيث وضع أسسه عمر بن الخطاب ، وقد ورثته مصر العثمانية عن السلطنة المملوكية ، وفى أوائل العهد العثمانى بمصر كان للمحتسب تلك السلطات الواسعة فقد كان المحتسب من رجال القضاء أى كان شخصية دينية كم الأصل فى الحسبة ، وفى العصر العثمانى كان المحتسب يقوم بجولاته فى القاهرة لمراقبة الأوزان والمقاييس والأسعار فى الأسواق الرئيسية حيث تباع المواد الغذائية ، وكان ينزل إلى الأسواق وشوارع المدينة للتفتيش عمن يخالفون التسعيرة التى وضعها للاسعار أو من يخالفون الآداب العامة وذلك على رأس موكب مهيب وتدهورت سلطة المحتسب فى أواخر القرن الثامن عشر راجع د/ ليلى عبد اللطيف : مرجع سابق ص ٢٣٦ - عبد الرازق عيسى:القضاة فى مصر فى العصر العثمانى رسالة ماجستير آداب عين شمس ١٩٩٤م .

٥- كلمة "موسى" غير موجودة فى النسخة (ب).

وفيه[1] اجتمع أرباب الديوان عند رئيسه ، فذكر لهم ما وقع من نهب البيوت ، فقالوا له هذا من فعل الجعيدية وأوباش الناس ، فقال : لأى شئ يفعلون ذلك وقد أوصيناكم بحفظ البيوت والختم على متاع[2] المماليك.فقالوا: هذا الأمر لا قدرة لنا على منعه ، وإنما ذلك من وظيفة الحكام . فأمروا الوالى والأغا بأن ينادوا [ص ٤٤] بالأمان وفتح الدكاكين والأسواق ، والمنع من النهب ، فلم يستمعوا ولم ينتهوا ، واستمرت الدكاكين مغلقة ، والأسواق على حالها معفرة ، والناس غير مطمينين ، قلوبهم مرجوفة [3] وصدورهم ضيقة . والتفت جماعة الفرنسيس إلى فتح البيوت التى للأمرا ، فصاروا يفتحون الدار ، ويدخلونها ويأخذون منها ما يليق بخاطرهم ، ويخرجون ويتركون الأبواب مفتحة ، فيدخل بعدهم طايفة الجعيدية ، ويستأصلون الباقى[4] واستمروا على ذلك عدة أيام ، ثم إنهم تتبعوا بيوت الأمرا وأتباعهم ، وختموا على بعضها ، وسكنوا بعضها ، فكان الذى يخاف على داره من جماعة الوجاقلية ، أو من أهل البلد يعلق له بيرقاً على باب داره ، ويأخذ له ورقة [5] من الفرنسيس ، لا يعرف ما فيها ، ويلصقها على بابه.

وفيه [6] قلدوا برطملين العسكرى الرومى النصرانى ، وهو الذى تسميه العامة "فرط الرمان" وجعلوه كتخدا مستحفظان ، والمذكور من أسافل نصارى

١- أى فى يوم الخميس ١٢ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٦ يوليو١٧٩٨م .

٢- فى النسخة (ب) "بتاع المماليك".

٣- فى النسخة (أ) "مرموقة" .

٤- فى النسخة (أ) " يتأصلون"

٥- فى النسخة (أ) "يعلق له بيرقا على داره فى الباب ، أو يأخذ له ورقة".

٦- أى فى يوم الخميس ١٢ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٦ يوليو ١٧٩٨م .

الأروام (١) العسكرية القاطنين (٢) بمصر ، وكان طوبجياً عن محمد بيك الألفى ، وله حانوت بخط الموسكى يبيع فيه القوارير الزجاج أيام البطالة ، فلما قلدوه المنصب ، نزل بموكب من بيت بونابارتة ، وراكب فرس بقلاعية ، وأمامه عدة وافرة من طوايف الأجناد البطالين مشاة بين يديه ، وعلى رأسه فروة بزعارة ، وبين يديه الخدم بالحراب المفضضة ، ورتب له بيوك باشى وقلقات ، عينوا لهم مراكز بأخطاط المدينة يجلسون بها ، وسكن اللعين (٣) المذكور ببيت يحيى كاشف الكبير(٤) بحارة عابدين ، واحتوى عليه بما فيه من الفرش والمتاع والجوار (٥) وغير ذلك [ص ٤٥] وقلدوا إفرنجياً آخر وجعلوه أمين البحرين (٦) وآخر جعلوه

١- فى النسخة (ب) كتبت هكذا " من أسافل الناصارى الأروام " .

٢- فى النسخة (ب) "القانطين" والصواب ما اثبتناه من النسخة (أ) لأن الفارق فى المعنى واضح ، ويبدو أن ذلك سهو من الناسخ.

٣- فى مظهر التقديس يكثر الجبرتى من لعن الفرنسيين وأعوانهم ولكن كلمات اللعنة والسباب والسخرية هذه تحذف على الدوام عند إعادة كتابتها فى عجائب الآثار وسوف نشير إلى كل منها فى موضعها والسبب فى هذا اللعن أن الجبرتى كان يظن أن ذلك يحفظ له مكانته ويقربه من الوزير العثمانى - ولكنه حذفها من العجائب.

٤- فى النسخة (ب) "ببيت يحيا الكاشف الكبير".

٥- فى النسخة (أ) "من فرش ومتاع وجوارى"

٦- أمين البحرين" أطلق هذا اللقب على ملتزم ومدير ساحلى بولاق ومصر القديمة ، وأفادت وثائق المحاكم الشرعية أن لقب الأمين " أو "الملتزم" كانا مترادفين يطلقان على شخص واحد ، ومثلت بولاق منفذاً للقاهرة على النيل ، كما مثلت مصر القديمة المنفذ الثانى للقاهرة الذى ربط بينها وبين صعيد مصر وتجارة السودان وبعض تجارة الجزيرة العربية والهند الصادرة والواردة إلى مصر عبر قوص والقصير ، واستمد هذان الميناءان "بولاق ، ومصر القديمة من النيل أهميتها ، ولقد اعتبر التنظيم المالى لمصر فى القرن السادس عشر كلا من هذين الميناءين مقاطعة مستقلة ثم اتخذتا فى أواخر هذا القرن فى مقاطعة واحدة لمزيد من المعلومات . راجع : د/ عبد الحميد سليمان : مرجع سابق ، ص ٢٢٧ ومابعدها .

أغاة الرسالة (١) وجعلوا الديوان ببيت قايد أغا بالأزبكية بالقرب من الرويعى وسكن به رئيس الديوان ، وسكن دبوى قايمقام مصر ببيت ابراهيم بيك الكبير ، ومجلون سكن ببيت مراد بيك(٢) على رصيف الخشاب ، والروزنامجى سكن ببيت الشيخ البكرى القديم ، ويجتمع عنده النصارى القبط كل يوم ، وطلبوا الدفاتر من الكتبة ، وكذلك قلدوا دفترداراً إفرنجياً (٣)

ثم إن عساكرهم صارت تدخل إلى المدينة شيئاً فشيئاً حتى امتلأت منهم الطرقات وسكنوا فى البيوت وضاقت منهم الحارات ، ولكن لم يشوشوا على أحد ، ويأخذون (٤) المشتروات بزيادة عن ثمنها ، وهذه من أعظم المكايد لأجل إضلال عقول العامة ، وانهمكوا على أنواع الطعام مثل الكلاب السعرانين (٥) ففجر

١- أغاة الرسالة : هو المشرف على شئون البريد والمراسلات .

٢- هذه العبارة نصها فى النسخة (ب) كالآتى "وسكن دبوى قايمقام مصر بيت ابراهيم بيك الكبير ، ومجلون الوالى على بركة الفيل ، وسكن شيخ البلد ببيت ابراهيم بيك الكبير ومجلون سكن ببيت مراد بيك " وربما أن العبارة أصلها "وسكن دبوى قايمقام مصر ببيت إبراهيم بيك الكبير شيخ البلد على بركة الفيل ، وسكن مجلون ببيت مراد بيك " وكلمة "مجلون " كتبت فى النسخة (جـ) "فجلون " .

٣- فى النسخة (ب) "دفتردار افرنجى" والصواب ما أثبتاه من باقى النسخ .

٤- فى النسخة (ب) "ويأخذ" والصواب ما أثبتناه من باقى النسخ .

٥- هنا يصف الجبرتى الفرنسيين بالكلاب السعرانين ويعتبر عدم اعتدائهم على ممتلكات الناس مكيدة ، كما يعتبر إقبال العامه عليهم فجراً ، ولكن الجبرتى فى عجائب الآثار يحذف وصف " الكلاب السعرانين " ولا يرى فى عدم اعتدائهم على الناس مكيدة وهاك نص تلك اليومية كما وردت فى عجائب الآثار للمقارنة بينها وبين ما أورده الجبرتى هنا "ثم إن عساكرهم صارت تدخل المدينة شيئاً فشيئاً ، حتى امتلأت منها الطرقات ، ولكن لم يشوشوا على أحد ، ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها ، ففجر السوقة وصغروا أقراص الخبز وطحنوه بترابه وفتح الناس عدة دكاكين بجوار مساكنهم ، يبيعون فيها أصناف المأكولات ، مثل الفطير ، والكعك ، والسمك المقلى، واللحوم ، والفراخ المحمرة ، وغير ذلك ، وفتح نصارى الاروام عدة دكاكين لبيع أنواع الأشربة وبعد فراغ حاجتهم يدفعون ما وجب عليهم من غير نقص ولا زيادة ويذهبون لحالهم "عجائب الآثار جـ٣ ص ١٢

السوقة (١) وصغروا الخبز ، وطحنوه بترابه ، وباعوا البيضة بنصف فضة ، بعد أن كانوا يبيعون كل أربع بيضات بنصف ، وفتح الناس عدة دكاكين بجوارهم يبيعون فيها أصناف المأكولات ، كالفطير والكعك والسمك المقلى واللحوم والفراخ المحمرة وغير ذلك ، وفتح نصارى الأروام عدة دكاكين لبيع المسكرات ، وعدة خمامير وقهاوى ، وطافت جماعة من النصارى فى الأسواق تبيع العرقى كسقاة الماء ، وصاروا ينادون به فى الأسواق (٢) بلغتهم وفحش ذلك جداً.

وفيه تشفع(٣) أرباب الديوان فى أسرى المماليك فقبلوا شفاعتهم واطلقوهم فدخلوا الجامع الأزهر وهم فى أسوأ حال ، وعليهم ، [ص ٤٦] الثياب الزرق المقطعة ، فكثوا به يأخذون من صدقات الفقرا المجاورين به ، ويتكففون المارين ، وفى ذلك عبرة للمعتبرين .

وفى يوم السبت ، (٤) اجتمعوا بالديوان ، وطلبوا دارهم سلفة ، وهى مقدار

١- فى النسخة (ب) "ففجروا السوقة ".

٢- فى النسخة (ب) "ينادون فيه بالأسواق " .

٣- فى اليوميات الأربع السابقة لم يحدد الجبرتى تاريخا دقيقا لها ، وأنما اكتفى بذكر كلمة "وفيه" ولسنا ندرى أيقصد اليوم أم الشهر ، فان كان يقصد "في اليوم المذكور" فأن تاريخ هذه اليوميات هو يوم الخميس ١٢ صفر ١٢١٣هـ ٢٦ يوليو ١٧٩٨، أما الشهر فهو صفر ١٢١٣هـ ، وعلى أية حال ، فكما يتضح من سياق الحديث ، ومما ذكرناه فى الدراسة التى أعددناها بأول هذا الكتاب أنه يقصد اليوم ، وليس الشهر ، وقد وقعت هذه الأحداث فى الفترة من يوم الخميس ١٢ صفر إلى يوم السبت ١٤ صفر تاريخ اجتماع الديوان للمرة الثانية : كما سيأتى ذكر ذلك ، حيث يسير الجبرتى على نظام تسلسل اليوميات بحرص شديد .

٤- يوم السبت ١٤ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٨ يوليو ١٧٩٨م.

خمساية (١) ألف ريال ، من التجار المسلمين والنصارى القبط والشوام ، وتجار الأفرنج ايضا ، فسألوا التخفيف فلم يجابوا ، فأخذوا فى تحصيلها .

وفيه (٢) نادوا على من أخذ شيئاً من نهب البيوت ، يحضر به إلى بيت قايمقام ، وإلا يحصل له مزيد الضرر ، ونادوا أيضاً على نسا الأمرا بالأمان ، وأنهن يسكن بيوتهن (٣) وإن كان عندهن شئ من متاع أزواجهن ، يصالحن على أنفسهن ويأمنَّ فى دورهن ، فظهرت الست نفيسة(٤) زوجة مراد بيك وصالحت على نفسها وأتباعها من نسا الأمرا والكشاف بماية(٥) وعشرين الف ريال

١- فى النسخة (أ) "خمساة" وكذلك فى النسخة (جـ) .

٢- أى فى يوم السبت ١٤ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٨ يوليو ١٧٩٨م .

٣- فى النسخة (ب) "وأنهم يسكنوا بيوتهم " والصواب ما اثبتناه من النسخة (أ)

٤- السيدة نفيسة المرادية : جارية شركسية الأصل اشتراها وأعتقها على بك الكبير ثم تزوج بها فصارت بمثابة ملكة مصر ، وبنى لها قصراً عظيماً بالأزبكية بدرب عبد الحق ، ولما مات تزوج بها مراد بك ، فاحتفظت بمكانتها ونفوذها ، وكانت على جانب كبير من التثقيف والتهذيب ، تعلمت العربية قراءة وكتابة وأقبلت على الكتب العلمية تطالعها وتدرسها فاكتسبت محبة العلماء لها ، واجتذبت قلوب الشعب بما اشتهرت به من البر والإحسان ورفع المظالم وحماية الضعفاء ، وقد أهدتها حكومة فرنسا قبل الحملة ساعة مرصعة بالماس قدمها لها القنصل مجالون اعترافا لها بمبراتها ، وفى زمن الحملة وبعد هزيمة مراد بك وهروبه إلى الصعيد بقيت فى القاهرة فكانت هدفا لفرض الاتاوات ، على أن قواد الجيش كانوا يعاملونها باحترام توفيت فى ١٢٣١هـ/١٨١٦م وقد ترجم لها الجبرتى فى وفيات هذا العام . راجع عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار جـ٤ ، وراجع أيضاً عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، جـ١ ص ٢٦٢ .

٥- فى النسخة (أ) " بماة " ، هذا بينما يذكر الرافعى أنها صالحت بـ ٦٠٠ ألف فرنك - الرافعى - مرجع سابق : جـ١ ص ٢٦٤ .

فرانسه ، وأخذت فى تحصيل ذلك من نفسها وغيرها ، ووجهوا عليها الطلب ، وكذلك بقية النسا بالوسايط ، فجمعوا شيئاً كثيراً ، فصار الديوان عبارة عن قَطْع الجرايم ، وعمل المصالحات ، وكتبت أمانات للغز والأجناد المختفين الغايبين بالقرى ، بحضورهم ومصالحتهم عن أنفسهم ، فانتفع كثير من الوسايط المتداخلين فى ذلك كنصارى الشوام والإفرنج البلديين (١) وغيرهم ، فصاروا يعملون إرهاصات على الناس ، وتخويفات وتخيلات وغير ذلك مما يطول شرحه ، استجلاباً للأموال.

وفى يوم الأحد(٢) طلبوا الخيول والجمال والسلاح فجمعوا شياً كثيراً حتى الأبقار والثيران ، وحصل فى ذلك مثل ما حصل فى المصالحات ، وجمعوا من ذلك شيا كثيراً وأشاعوا [ص ٤٧] التفتيش بسبب ذلك وكسروا عدة دكاكين بسوق السلاح وغيره ، وأخذوا ما وجدوه منها من السلاح ، من غير ثمن .

هذا وفى كل يوم ، ينقلون على الجمال والحمير ، من الأمتعة والفرس والصناديق والسروج وغير ذلك من البيوت ما لا يحصى ، ويستخرجون الخبايا ويأخذون البنايين والمهندسين والخدم الذين يعرفون بيوت أسيادهم ، بيدلوهم على محلات الخبايا (٣) والدفاين.

وفيه (٤) قبضوا على شيخ الجعيدية ومعه آخر ، وبندقوا عليهما ببركة

١- فى النسخة (ب) "الافرنج البلدى" .

٢- يوم الأحد ١٥ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٩ يوليو ١٧٩٨م.

٣- كلمة " الخبايا " غير موجودة فى النسخة (ب) .

٤- أى فى يوم الأحد ١٥ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢٩ يوليو ١٧٩٨م .

الأزبكية ، ثم على آخرين أيضاً بالرميلة (١) وأحضروا شيأً كثيراً من المنهويات.

وفى يوم الثلاثا (٢) طلبوا أهل الحرف من التجار بالأسواق، وقرروا عليهم جملة يعجزون عنها من المال ، ويزعمون أنها سلفة إلى ستين يوماً ، فضجوا واستغاثوا ، وذهبوا إلى الجامع الأزهر ، والمشهد الحسينى ، واستشفعوا بالمشايخ فتكلموا لهم ، فأضعفوها إلى النصف ، ووسعوا لهم فى أيام المهلة.

وفيه(٣) شرعوا فى تكسير الدروب والبوابات النافذة ، وخرج عدة متفرقة (٤) من عساكرهم ، يخلعون ويكسرون أبواب الدروب والعطف والحارات ، واستمروا على ذلك عدة أيام ، وعند (٥) وقوع هذه الأمور ، داخل الناس من الفرنسيس (٦) خوف شديد ، وتجسم عندهم الفزع وغلب عليهم الوهم وفساد المخيلة ، ووسوست لهم (٧) نفوسهم بمعان نطقوا بها ، وتصوروا حقيقتها ، وتناقلوها فيما بينهم ، كقولهم أن عساكر الفرنسيس عازمون على قتل المسلمين وهم فى صلاة الجمعة ،

١- الرميلة: يطلق عليها أسماء أخرى مثل قراميدان ، وهى توجد أمام باب العزب ويوجد بها جامع المحمودية والسلطان حسن والرفاعى ، وهو ميدان القلعة فى الوقت الحاضر .
راجع : محمد بن أبى السرور البكرى- الروضة المأنوسة - مصدرسابق ، ص ٧٥، هامش٤.

٢- يوم الثلاثاء ١٧ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٣١ يوليو ١٧٩٨م.

٣-أى فى يوم الثلاثاء المذكور سابقاً .

٤- كلمة "متفرقة"غير موجودة فى النسخة (أ).

٥- كلمة "عند" غير موجودة فى النسخة (ب)

٦- فى النسخة (ب) " داخل الناس من الفرنسا خوف"

٧- فى النسخة (ب) "وسوست عليهم" .

ومنهم من يقول غير ذلك ، وذلك بعد أن كان حصل عندهم بعض الاطمينان ، وفتحوا الدكاكين ، فلما حصلت هاتان النكتتان (١)انكمش الناس ثانياً.

وفى عشرينه (٢) [ص ٤٨] حضرت مكاتيب الحجاج من العقبة ، فذهب أرباب الديوان إلى باش عسكر ، وأعلموه بذلك ، وطلبوا منه أماناً لأمير الحاج، فامتنع وقال : "لا أعطيه ذلك إلا بشرط أن يأتى من غير مماليك ولا عسكر ، ويكون كآحاد(٣) الناس" فقالوا له ومن يوصل الحجاج ، فقال :" نرسل أربعة آلاف من العسكر يوصلوهم إلى مصر" فكتبوا لأمير الحاج فعرفوه بما جرى من الأول للآخر بالملاطفة (٤)وأنه يحضر بالحجاج إلى الدار الحمرا(٥) وبعد ذلك يحصل الخير، فلم تصلهم الجوابات حتى كاتبهم إبراهيم بيك يطلبهم للحضور إلى جهة بلبيس ، فعرجوا على بلبيس (٦) وأقاموا هناك أياماً ، وكان إبراهيم بيك ومن معه ارتحل (٧) من بلبيس إلى الصوة (٨) وأرسلوا

١- فى النسخة (ب) "فلما حصلت هؤلاء الحال "
٢- يوم الجمعة ٢٠ صفر ١٢١٣هـ الموافق١٢ أغسطس ١٧٩٨م.
٣- فى النسخة (ب) "كإحدى الناس".
٤- فى النسخة (أ) "فكتبوا لأمير الحاج مكاتبة بالملاطفة"
٥- الدار الحمرا : وهى فى النسخة (ب) "دار الحمرا". وهى إحدى المحطات الهامة على طريق الحج إلى السويس .
٦- فى النسخة (ب) "فتوجهوا إلى بلبيس"
٧- فى النسخة (ب) "رحل".
٨- الصوة : من القرى القديمة ، دلت الأبحاث على أن اسمها القديم "سوق الشتا" ، وردت به فى قوانين ابن مماتى ، وفى التحفة من أعمال الشرقية ، وفى تحفة الإرشاد وردت "سوق الشتى" ووردت فى خريطة الحملة الفرنسية الصوة كشت "وفى دليل ١٢٢٤هـ "سوق الشتا " وكفورها ، ووردت باسمها الحالى فى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ وكانت تابعة لمركز الزقازيق ولكنها الآن تتبع مركز أبو حماد.محمد رمزى : مرجع سابق ، القسم الثانى ، جـ١ ، ص ٦٥.

الحريم إلى القرين (١).

وفى ثالث عشرينه (٢) خرجت طايفة من العسكر (٣) الفرنساوى ، إلى جهة العادلية (٤) وصاروا فى كل يوم تخرج طايفة بعد أخرى (٥) ويذهبون إلى جهة الشرق.

فلما كان ليلة الأربعا سادس عشرينه (٦) خرج باش العسكر ، وكانت أوايلهم وصلت إلى الخانكة (٧) وأبو زعبل (٨) فطلبوا كلفة من أبو زعبل فامتنعوا

١- القرين : إحدى القرى القديمة أيضاً وتتبع الان مركز أبو حماد بالشرقية .

٢- يوم الأثنين:٢٣ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٦ أغسطس ١٧٩٨م.

٣- فى النسخة (ب) "طايفة من الفرنساوية ".

٤- العادلية : هى العباسية فى الوقت الحاضر وعرفت بالعادلية ، نظرا لوجود مقام يعرف بمقام العادل وما زال موجوداً بها حتى الآن . وكانت منفصلة عن القاهرة ، وأول من اهتم بتعميرها هو الخديوى عباس حلمى الأول وبنى بها قصراً ، ولذلك سميت بأسمه .

٥- فى النسخة (ب) "طايفة بعد طايفة".

٦- الصواب أن يوم الأربعاء يوافق ٢٥ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٨ اغسطس ١٧٩٨م.

٧- الخانكة: يستفاد مما ذكره المقريزى فى الخطط عند الكلام على "خانقاه سرياقوس" أنه فى سنة ٧٢٣ هـ انشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون خانقاه أى دار للصوفية وتمت هذه العمارة فى ٧٢٥ هـ وبنى بجوار الخانقاه مسجداً وحماماً وعمر قصوراً وبيوتاً جليلة ، وقد أقبل الناس على البناء والسكن حول هذه الخانقاه حتى صارت بلدة كبيرة ، تعرف بخانقاة سرياقوس لقربها من "سرياقوس" وقد بقيت هذه البلدة تابعة إلى ناحية سرياقوس وفى تربيع ٩٣٣ هـ فصلت من سرياقوس بزمام خاص بها ، وبذلك أصبحت ناحية قائمة بذاتها ، ويقال لها الخانقاة أو الخانكاة السرياقوسية محمد رمزى - مرجع سابق القسم الثانى ، الجزء الأول ، ص ٣٢ .

٨- أبو زعبل : قرية قديمة اسمها الأصلى: "القصير" وردت فى قوانين ابن مماتى ، وفى تحفة الإرشاد من أعمال الشرقية ولكن فى آخر أيام دولة المماليك عرفت باسم "أبو زعبل" فورد فى كتاب وقف محرر فى ١٠ رجب ٩٢٦هـ عن أرض وقفها "خاير بك" وورد فى دليل ١٢٢٤هـ "القصير" وهو أبو زعبل بولاية قليوب وفى تأريع سنة ١٢٢٨ باسمها الحالى محمد رمزى : مرجع سابق ، القسم الثانى جـ١ ، ص ٣١ .

فقاتلوهم وضربوهم وكسروهم ونهبوا البلد وأحرقوها ، وانتقلوا إلى بلبيس وأما الحجاج فانهم نزلوا بلبيس ،واكترت[1] حجاج الفلاحين من العرب[2]، فأوصلوهم إلى بلادهم من الغربية[3] والمنوفية [4]والقليوبية وغير ذلك ، وكذلك فعل ذلك غير الفلاحين الكثير من الناس [5] الحجاج ، فتفرقوا فى البلاد بحريمهم ، ومنهم من أقام ببلبيس ، وأما أمير الحاج صالح بيك ، فإنه لحق بإبراهيم بيك ، وصحبته جماعة [6] من التجار وغيرهم [7].

١- فى النسخة (ب) "واستكرت " .

٢- فى النسخة (ب) "مع العرب".

٣- الغربية: تكونت بهذا الاسم فى عهد الدولة الفاطمية ، وأطلق عليها الغربية لوقوعها غربى فرع النيل الشرقى ، وفى سنة ١٣١٥ م سميت "الأعمال الغربية " وفى سنة ١٥٢٧م سميت ولاية الغربية ،وفى سنة ١٨٢٦ قسمت إلى خمس مأموريات ، وفى سنة ١٨٣٣م جعلت إقليماً واحداً باسم مديرية الغربية وكانت المحلة الكبرى قاعدة لاقليم الغربية من عهد الدولة الفاطمية إلى سنة ١٨٣٦م حيث نقل ديوان المديرية والمصالح الأميرية من المحلة إلى طنطا راجع محمد رمزى – مرجع سابق ، القسم الثانى ، جـ٢ ، ص ٨.

٤- المنوفية: تكونت بهذا الاسم فى عهد الدولة الفاطمية ، نسبة إلى منوف التى كانت قاعدة لها وكانت قبل ذلك مقسمة إلى كور ضم بعضها إلى بعض ، وفى سنة ١٣١٥م سميت باسم"الأعمال المنوفية" وفى١٥٢٧م سميت ولاية المنوفية ،وفى ١٨٢٦ أطلق عليها اسم مأمورية المنوفية ، وفى سنة ١٨٣٣ سميت مديرية المنوفية وقاعدتها "شبين الكوم" محمد رمزى–مرجع سابق القسم الثانى جـ٢ص١٢٤

٥- فى النسخة (ب) "الكثير من الحجاج" وكلمة "الناس " غير موجودة .

٦- فى النسخة (ب) "ناس من التجار".

٧- فى خطاب لعلماء الديوان إلى شريف مكة ذكروا له قولهم "عندما عاد الحجاج من مكة واقتربوا من القاهرة ذهب القائد العام بنفسه لملاقاتهم فى مديرية الشرقية بعد سماع الأخبار بأن بعض الأعراب اللصوص المجرمين قد سلبوهم متاعهم وخيراتهم . فاستقبلهم الجنود الفرنسيون وزودوا من بقى منهم على قيد الحياة بالخيول والطعام والزاد وأسعفوا الجياع والعطاش وكان القائد العام قبل ذهابه إلى الشرقية قد كتب إلى قافلة الحجاج يطلب منها العودة رأسا إلى القاهرة حيث تجد أحسن استقبال ولكن للأسف هذه الخطابات لم تصل إلى رجال القافلة الذين لاقوا مصيرهم المحتوم وسياسة بونابرت هذه امتداد لما يمكن أن نسميه "سياسة المداراة الإسلامية" وهى التى يطلق عليها خطأ " السياسة الإسلامية لبونابرت"راجع :كورييه دى ليجيبت – العدد رقم ٦ ص١٦ .

وفى ثامن عشرينه (١) ملكوا الافرنج (٢) مدينة بلبيس وبها من بقى من الحجاج(٣) فلم [ص ٤٩] يشوشوا عليهم (٤)وأرسلوهم إلى مصر ، وصحبتهم (٥) جماعة من عساكرهم.

فلما كان ليلة الأحد غايته (٦) جاء الرايد إلى الأمرا بالصوة ، وأخبرهم أن الفرنج قادمون عليهم ، فركبوا نصف النهار (٧) وترفعوا (٨) إلى جهة القرين ، وتركوا التجار وأصحاب الأثقال .

فلما طلع النهار(٩)حضر اليهم جماعة من العربان واتفقوا معهم على أنهم يوصلوهم إلى القرين ، وعاهدوهم أنهم لا يخونوهم فلما توسطوا بهم الطريق نقضوا عهدهم وخانوهم ونهبوا حمولهم وتقاسموا متاعهم وعروهم من ثيابهم (١٠) وفيهم كبير التجار السيد أحمد ابن المحروقى (١١) وكان ما يخصه نحو (١٢)

١- يوم السبت ٢٨ صفر ١٢١٣هـ الموافق ١١ أغسطس ١٧٩٨م.

٢- فى النسخة (أ) "ملك الفرنج" وما أثبتناه بالمتن أقرب إلى أسلوب الجبرتى. وهو من باقى النسخ .

٣- فى النسخة (ب) "وكان فيها بقية من الحجاج" .

٤- فى النسخة (ب) "فلم يشوشوا على أحد".

٥- فى النسخة (ب) "ومعهم ناس من عساكرهم"

٦- يوم الأحد غاية صفر ١٢١٣هـأغسطس ١٧٩٨م.

٧- كلمة "النهار" غير موجودة فى النسخة (ب). وربما الصواب ركبوا نصف الليل .

٨- فى النسخة (ب) "وتوجهوا".

٩- نهار يوم الأحد ١٩ صفر ١٢١٣هـ الموافق ١٢ أغسطس ١٧٩٨م.

١٠- فى النسخة (أ) "وعروهم ثيابهم" .

١١- فى النسخة (ب) "السيد أحمد المحروقى" .

١٢- كلمة "نحو "غير موجودة فى النسخة (ب) .

ثلاثماية (١)ألف ريال فرانسه (٢) .

نقوداً ومتجراً من جميع الأصناف الحجازية ، وفعلت(٣) العرب معهم مالا خير فيه ، ولحقهم عسكر الإفرنج فذهب السيد أحمد المحروقى ولقى الصارى عسكر(٤) وصحبته جماعة من العرب المنافقين ، فشكى له ما حل به ، وبإخوانه ، فلامهم على تنقلهم وركونهم (٥) إلى المماليك والعرب ، ثم قبض على " أبو خشبة " شيخ بلد القرين ، وقال له : عرفنى عن مكان (٦)المنهوبات ، فقال : أرسل معى

١- فى النسخة (أ) "ثلاثماة".

٢-ريال فرانسة:كلمة "ريال" لفظ مقتبس من "real"بمعنى "ملكى" وقد كان الأسبان أول من تداولوا هذا النقد فى الاسواق التجارية وهو عبارة عن النقد الفضى المسمى "بيزو" واطلق "الريال" فى العالم العربى منذ القرن السابع عشر الميلادى على نقود فضية كبيرة منها الفرنسية لذا سمى ريال فرانسة وكان الريال الفرانسة موضوعاً لمضاربة نقدية خطيرة عندما اختلف سعره فى الشام عن سعره فى مصر وذلك فى عهد محمد على، هذا إلى أن سعر الريال الفرانسه كان فى ارتفاع دائم طيلة العصر العثمانى وفى ضوء ما ذكره الجبرتى عنه يبدو واضحا أن صرفه فى ١٧٩٨م كان مائه نصف فضه ، حتى وصل ١٨١٦م إلى ثلثمائة وستين نصف فضة وذلك رغم التشديد فى معاقبة المتزايدين فى سعره إلى حد الشنق على باب زويلة ، وتعليق ريال فرانسة فى أنف المخالفين .

راجع د/عبد الرحمن زكى:النقود المتداولة زمن الجبرتى.ضمن الجبرتى دراسات وبحوث ، هـ.م.ع ١٩٧٦ ، ص ٥٧٨.

٣- فى النسخة (أ) "وصنعت".

٤- فى النسخة (أ) "لاقى صارى عسكر ".

٥- فى النسخة (ب) "محبتهم إلى المماليك".

٦- فى النسخة (ب) "مكانات".

جماعة إلى (١) القرين ، فأرسل (٢)معه جماعة من العسكر ، فلما دخل إلى القرين ومعه الجماعة ؛ دلهم على بعض الأشياء فأخذوها(٣) الإفرنج ، وتقاسموها ، ثم تبعوه إلى محل آخر ، فأوهمهم أنه يدخل ويخرج لهم أحمالاً كذلك ، فدخل وخرج من مكان آخر ، ولم يرجع فرجع أوليك العسكر بحمل ونصف لاغير وقالوا : هذا الذى وجدناه ، والرجل فرّ (٤) من بين أيدينا ، فقال الصارى عسكر : لابد من تحصيل ذلك ، فطلبوا منه الإذن فى التوجه إلى مصر ، فأصحب معهم عدة من عسكره ، فأوصلوهم إلى مصر ، وهم فى أسوأ حال ، وصحبتهم أيضاً جماعة (٥) من النسا اللاتى كن خرجن ليلة الحادثة وهم أيضاً (٦) فى حالة [ص ٥٠] تسكب عند مشاهدتهن العبرات (٧) ويتقطع القلب من توالى الحسرات .

شهر ربيع الأول ١٢١٣هـ (٨)

فى ثانيه (٩) وصل الإفرنج إلى نواحى شرقى القرين (١٠) وكان إبراهيم بيك

١- فى النسخة (أ) "فأصحب".
٢- "إلى"غير موجودة فى النسخة (ب).
٣- فى النسخة (أ) "دلهم على بعض الأحمال فأخذها".
٤- فى النسخة (ب) "انهزم".
٥- كلمة "جماعة" غير موجودة فى النسخة (ب).
٦- كلمة "أيضاً" غير موجودة فى النسخة (ب).
٧- فى النسخة (ب) "عند مشاهدتهم العبر" والأصوب ما أثبتناه من النسخة (أ).
٨- العنوان من وضع المؤلف وقد استهل ربيع الأول ١٢١٣هـ فى يوم الاثنين ١٣ أغسطس ١٧٩٨م.
٩- الثلاثاء ٢ ربيع الأول ١٢١٣هـ الموافق ١٤ أغسطس ١٧٩٨م.
١٠- كلمة "شرقى" غير موجودة فى النسخة (أ) وفى النسخة (ب) كتب "الشرقى".

ومن معه ، وصلوا إلى الصالحية (١) وأودعوا حملتهم (٢) وحريمهم هناك ، وضمنوا عليهم العربان وبعض الجند ، فأخبر بعض العرب الإفرنج بمكان الحملة ، فركب صارى عسكر وأخذ معه الخيالة ، وقصد الإغارة على الحملة ، وعلم إبراهيم بيك بذلك أيضاً ، فركب هو وصالح بيك وعدة من الأمرا والمماليك ، وتلاقوا مع الفرنسيس الخيالة الذين كانوا(٣) مع صارى عسكر ، وتحاربوا ساعة أشرف (٤) فيها الإفرنج على الهزيمة والدمار ، لكون خيالة الإفرنج لا قدرة لهم على قتال المماليك ، وإذا الخبر وصل إلى إبراهيم بيك بأن العرب مالوا (٥) على الحملة وقصدهم نهبها فرجع على أثره بمن معه ، وترك قتال الفرنسيس ولحق بالعرب وجلاهم عن متاعه وقتل منهم عدة أشخاص ، وارتحل إلى قطيا (٦) ورجع صارى

١- الصالحية : هذه البلدة انشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سنة ٦٤٤هـ بأرض السايح فى أول الرمل بين مصر والشام لتكون منزله للعسكر عند ذهابهم للشام وعند عودتهم ، وردت فى النجوم الزاهرة باسم "المنزلة الصالحية نسبة للملك الصالح "وفى تحفة الإرشاد الصالحية من أعمال الشرقية وفى دليل ١٢٢٤ الصالحية الكبرى لتمييزها من النواحى الأخرى التى باسم الصالحية .

محمد رمزى : مرجع سابق ، القسم الثانى ، جـ٢ ، ص ١١١ .

٢- فى النسخة (ب) "أحمالهم".

٣- فى النسخة (ب) "الذى كانوا".

٤- فى النسخة (ب) " أشرفت ".

٥ - فى النسخة (ب) مالوا إلى.

٦- قطيا: يذكرها ياقوت باسم قطية ، وهى قرية فى طريق الشام قرب الفرما ، ويذكر أن بيوتهم من جريد النخيل ، راجع معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ٤٢٩ . ويذكر محمد رمزى أنها من البلاد المندرسة فى نواحى الجفار فى الطريق بين مصر والشام ، بين مدينتى القنطرة والعريش بالقرب من محطة الرمانة راجع : محمد رمزى : مرجع سابق ، القسم الأول . ص ٣٥٠ .

عسكر الفرنسيس إلى مصر ، وترك عدة من عساكره متفرقين فى البلاد (١) فدخل مصر ليلاً ، وذلك ليلة الخميس رابعة.

وفى يوم الجمعة خامسه ، الموافق لثالث عشر مسرى القبطى (٢) كان وفا النيل المبارك ، فأمر كبير الإفرنج بالاستعداد لذلك ، وتزيين العقبة كالعادة (٣)

١- عمل بونابرت على القضاء على قوة غريمه "إبراهيم بك" الموجودة فى "بلبيس" وذلك حتى يمكن إنجاز فتح الدلتا وتأمين حرية مرور قافلة الحج العائدة من مكة لإظهار أن الفرنسيين قادرون على حفظ النظام وإقناع مجمل افريقيا الشمالية بأن العلاقات التجارية والدينية تظل ممكنه دائماً مع مصر ، وفى ١١ أغسطس يتم الوصول إلى الحد الشرقى للدلتا عند الصالحية ، وبالرغم من قدرة المماليك الهائلة على حرب الفرسان إلا أنهم انهزموا فى النهاية وانسحبوا إلى سوريا وأمر بونابرت قبل عودته للقاهرة بإقامة موقع حصين فى الصالحية ، سوف يسمح بتغطية الدلتا وبأن يكون قاعدة انطلاق للعمليات التالية ضد سوريا. راجع هنرى لورنس مرجع سابق . ص ١٦٩وما بعدها .

٢- الجمعة٥ربيع الأول١٢١٣هـ الموافق ١٧أغسطس ١٧٩٨م ، والموافق ١٣مسرى ١٥١٤قبطية.

٣- عمل بونابرت على التقرب من الشعب المصرى عن طريق مشاركته الاحتفال بأعياده لذا أمر بالاحتفال بوفاء النيل وكان يهدف من وراء ذلك إلى التستر على موقعه أبى قير البحرية لأطول وقت ممكن ووصفت كوريبه دى ليجيبت الاحتفال كالآتى: وصف الاحتفال بعيد النيل أول فركتيدور من السنة السادسة للجمهورية (١٢١٣)م

فى الساعة السادسة من صباح ذلك اليوم توجه القائد العام وبصحبته جميع الجنرالات من هيئة أركان حرب الجيش وكخيا الباشا وأعضاء مجلسه والملا وأغا حرس الباشا إلى مكان مقياس النيل ، حيث احتشدت جماهير غفيرة على ضفافه وضفاف القناة (يقصد الخليج المصرى) وكانت المراكب حاملة الأعلام والزينات وقد اصطف بعض جنود الحامية بأسلحتهم مما ائتلف منه مشهد جميل مترامى الاطراف ولما وصل موكب القائد العام إلى مكان الاحتفال أطلقت المدافع عدة طلقات للتحية وعزفت الموسيقى الفرنسية والعربية بعض المقطوعات أثناء العمل فى قطع حاجز المياة وما أن تم قطعه حتى تدفق الماء إلى القناة وانساب منها بغزارة إلى الريف حول القاهرة لاخصاب أرضه. وقد نثر الجنرال القائد العام الآفا من القطع النقدية على الجماهير كما ألقى قطعاً أخرى ذهبية على موكب مر به ثم خلع على الملا عباءة سوداء كما خلع على نقيب الأشراف عباءة بيضاء ووزع ٣٨ قفطاناً على الضباط وبعدئذ عاد الموكب إلى ميدان الأزبكية يتبعه جمهور ضخم ينشد أناشيد المديح فى النبى وفى الثناء على الجيش الفرنسى ويلعن البكوات لمظالمهم وطغيانهم ويهتف بأن جنود فرنسا جاءت لتخليصهم برحمة الرحمن من الشقاء وفاض النيل فيضاناً لم تشهد البلاد أفضل منه منذ قرن من الزمان وهذه نعمة من نعم الله " كوريبه دى ليجيبت العدد ١ ص ٢ .

وكذلك عدة مراكب وغلايين ، ونادوا على الناس بالخروج والتنزه فى النيل والمقياس والروضة على عادتهم ، هذا مع ما هم عليه ، مما دهمهم من الفردة ، والحث فى طلبها ، ونهب البيوت ، وإزعاج النسا والجوارى وغيرهن ، ، وأخذهم وحبسهم وعمل المصالحات الخارجة عن الحد(١)وأرسل صارى عسكر أوراقاً لكتخدا الباشا والقاضى وأرباب الديوان وأصحاب المشورة [ص ٥١] ومتولين المناصب وغيرهم ، بالحضور فى صبحها ، وركب معهم بموكبه وزينته وعساكره وطبوله وزموره إلى قصر قنطرة السد (٢) وكسروا الجسر بحضرتهم ، وعملوا شنك مدافع ونقوط ، حتى جرى الماء فى الخليج ، وركب وهم صحبته حتى رجع إلى داره ، ولم يخرج أحد من الناس فى تلك الليلة للتنزه فى المراكب على العادة ، سوى النصارى الشوام والقبط والإفرنج ونسايهم ، وقليل من الناس البطالين ، حضروا فى صبحها بقلوب منكسرة ونفوس ضعيفة .

وفيه (٣) تواترت الأخبار بحضور عدة مراكب من الإنكليز إلى ثغر

١- فى النسخة (ب) "الخارجة وغيرها عن الحد".

٢- قنطرة السد : انشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى عام ١٢٤٥م على الخليج المصرى بالقرب من فمه ، وكانت واقعة فى شارع الخليج المصرى تجاه النقطة التى يتلاقى فيها هذا الشارع بشارع مدرسة الطب وكانت هذه القنطرة موجودة ومعروفه باسم قنطرة المارودى إلى منتصف عام ١٨٩٩م التى تم فيها ردم هذا الخليج وبردمه اختفت هذه القنطرة وقد عرفت بقنطرة السد بسبب السد الذى كان يقام سنوياً من التراب بجوار هذه القنطرة عندما يبدأ ماء النيل فى الزيادة وقت الفيضان لكى يسد الماء ، ومتى وصلت الزيادة إلى سته عشر ذراعا يفتح السد فى احتفال رسمى . د/ عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ، ص ٢١٩.

٣- فى النسخة (ب) يوجد عنوان جانبى صغير فى الهامش الأيمن للصفحة كتب فيها "الانكليز" والمقصود بكلمة "فيه " أى فى يوم الجمعة ٥ ربيع الأول ١٢١٣هـ الموافق ١٧ أغسطس ١٧٩٨م .

الأسكندرية وحاربوا مراكب الفرنسيس بالمينا وكانت أشيعت هذه الأخبار من مدة أيام ، وتحدث[1]بها الناس ، فصعب ذلك على الإفرنج وشق عليهم.واتفق [2] أن بعض النصارى الشوام [3].نقل عن رجل شريف يقال له السيد أحمد الزرو من تجار وكالة الصابون بخط الجمالية[4] أنه تحدث بذلك فأمروا بإحضاره وذكروا له ذلك فأنكر ، وقال أنا سمعت من فلان النصراني ، فأحضروه أيضاً وأمروا بقطع لسانهما[5] أو يدفع كل واحد ماية ريال فرانسة فتشفعوا المشايخ ، فلم يقبلوا ، فقال بعضهم أطلقوهم ونحن نأتيكم بالدراهم فلم يمكن ، فأرسل الشيخ مصطفى الصاوى وأحضر مايتى [6] ريال فرانسة ، ودفعهم فى الحضرة ، فلما قبضهم ردهم إليه ، وقال فرقوهم على الفقرا ، فأظهر أنه فرقهم كما أشار وردهم إلى صاحبهم[7] فانكف الناس عن التكلم فى شأن ذلك . والواقع أن الإنكليز حضروا فى أثرهم إلى الأسكندرية ، وحاربوا مراكبهم فنالوا منهم

١- فى النسخة (ب) "وتتحادث".
٢- فى النسخة (ب) "واتفقوا".
٣- كلمة "الشوام" غير موجودة فى النسخة (ب).
٤- خط الجمالية: هى أصلا الشارع الواقع بين باب النصر وشارع التمبكشية الذى يقع على ناصيتة مسجد ومدرسة الجمالية التى أنشأها "جمال الدين محمود الاستادار" فى عصر السلطان برقوق أول سلاطين المماليك الجراكسة ، وقد استمد شارع الجمالية اسمه من هذه المدرسة ولكن قسم الجمالية هو وحدة إدارية كبيرة مساحتها ٥ ك م وقد كان قديماً هو مدينة القاهرة الأصلية أما الآن وبعد أن توسعت مدينة القاهرة وتضخمت فقد أصبح قسماً من اقسام حى وسط القاهرة ، راجع فتحى حافظ أحمد الحديدى : دراسات فى مدينة القاهرة ، على نفقة المؤلف ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ١٥ .
٥- فى النسخة (ب) "لسان الاثنين" .
٦- فى النسخة (ب) "ماتين" .
٧- فى النسخة (ب) "أصحابهم" .

وحرقوا قايقهم الكبير المسمى بنصف الدنيا (١) وكان به أموالهم وذخايرهم ، واستمر(٢) بمراكبهم قبالة الأسكندرية(٣) يغدون ويروحون ، يرصدون الفرنسيس[ص ٥٢] وفي ذلك اليوم (٤) سافر عدة من عساكرهم إلى بحرى وإلى الشرقية ، فلما جرى الماء في الخليج أمر بسد قنطرة الأزبكية (٥) ومنعوا الماء من دخوله إلى البركة ، بسبب وطاقهم ومعداتهم التي بها.

وفيه سأل صارى عسكر عن المولد النبوى ، ولماذا لم يعملوه (٦) كعادتهم ،

١- يقصد البارجة " أوريان Orint بمعنى الشرق وهي سفينة القيادة .

٢- في النسخة (ب) "واستمروا" .

٣- موقعة أبي قير البحرية : لم يكن الفرنسيون يتوقعون عودة نيلسون إلى الأسكندرية مرة أخرى، ولكنه فاجأهم بالعودة بعد أن تزود بالمؤن من "نابلس" ونجح في هزيمة الأسطول الفرنسي الراسي على الشواطئ المصرية مما أدى إلى تحرج موقف الحملة الفرنسية في مصر ، وقد حاولوا التقليل من حجم خسائرهم فذكروها كالآتي "وقد بلغت خسائرنا في معركة أبو قير حوالى ٦٠٠ مقاتل بين قتيل وغريق و٨٠٠ جريح بينهم فقط ١٥٠ جروحهم خطيرة ، أما خسائر الإنجليز فأنها تماثل خسائرنا " . راجع كورييه دى ليجيبت – العدد ٤ ، ص ٩١ . ولكن الواقع أن خسائر الفرنسيين كانت كبيرة حيث أغرقت كل سفنهم الكبرى ولم ينج منها إلا أربع سفن فرّت إلى فرنسا وغنم الإنجليز ست سفن سليمة . وقتل أميرال الأسطول الفرنسي برويس ومعظم أركان حربه ونحو ٤٠٠٠ جندى ، أما خسائر الإنجليز فكانت ٢١٨ قتيلاً و٦٧٨ جريحاً ، وأصيبت بعض بوارجهم بتلف وعطب من شدة الضرب راجع الرافعي : مرجع سابق ، جـ١ ، ص٢٢١.

٤- لسنا ندرى أى يوم يقصده المؤلف هنا ، ولكنه على الأرجح يقصد يوم الجمعة ٥ ربيع الأول .

٥- لمزيد من المعلومات راجع د/ حسين عليوه : حى الأزبكية ، منشور ضمن كتاب القاهرة تاريخها وفنونها آثارها ، الاهرام ، القاهرة ، ١٩٧٠ ص ٦٦ وما بعدها.

٦- في النسخة (ب) "ولماذا يعملوه" وهو خطأ من الناسخ" .

فاعتذر الشيخ البكرى بتوقف الأحوال ، وتعطل الأمور ، وعدم المصروف ، فلم يقبل وقال لابد من ذلك ، وأعطى للشيخ البكرى ثلاثماية (١) ريال فرانسة يستعين بها ، فعلقوا أحبالاً وقناديل ، واجتمع الفرنسيس يوم المولد ، ولعبوا ميدانهم (٢) ودقوا طبولهم وأحرقوا حراقة فى الليل ، وسواريخ (٣) تصعد فى الهواء ونفوط.(٤) وفى ذلك اليوم (٥) ألبس (٦) الشيخ البكرى فروة ، وتقلد نقابة

١- فى النسخة (ب) "وأعطا للشيخ البكرى ثلاثماية أريال". وفى النسخة (أ) "ثلاثماة ريال " .

٢- كلمة "ميدانهم "غير موجودة فى النسخة (أ).

٣- فى النسخة (ب) "وشواريخ".

٤- كان المصريون يختلفون عن حكامهم الجدد (بونابرت) فى اللغة والجنس والعقيدة ، ولم يكن الاختلاف فى اللغة يمثل عقبة ذات بال أمام استقرار الحكم الفرنسى فقد خضع المصريون قبل الحملة قروناً طويلة لحكام يتحدثون ويتعاملون بالتركية ثم أن الفرنسيين حرصوا على مخاطبة المصريين بالعربية عن طريق التراجمة ، ولم يكن الاختلاف فى الجنس عائقاً ذا خطر أما الاختلاف فى العقيدة مع معظم الأهالى فقد كان هو العقبة الرئيسية التى تحول دون تقبل المصريين لحكم غزاتهم الفرنسيين بل التى كانت خليقة بأن تثير عداء العالم الإسلامى كله لفرنسا من هنا اتخذ بونابرت "سياسة المدارة الإسلامية " التى تقوم على أساس احترام المشاعر الدينية للقطاع الأكبر من المصريين ومن مظاهرها الاهتمام الكبير بالاحتفالات الدينية مثل المولد النبوى راجع د/أحمد الصاوى :فجر الصحافة فى مصر هـ.م.ع ١٩٧٥ ، ص ٩٢ وما بعدها.أما عن وصف الفرنسيين للاحتفال فقد جاء كالآتى:
"احتفلت البلاد هذه الأيام احتفال رائعا بمولد النبى فأضيئت منازل القائد العام والجنرال "ديبوى" والشيخ البكرى بالأنوار الساطعة طوال خمسة أيام وفى الساعة العاشرة من كل ليلة من ليالى العيد سارت مواكب المسلمين فى المدينة وهى تنشد أناشيد المديح فى النبى كما أقامت حلقات الذكر على أضواء المشاعل وحوالى الساعة الثامنة من ليلة أمس قام بعض جنود الحامية باستعراض عسكرى رائع ثم توجه لفيف من الضباط الفرنسيين بهيئة أركان الحرب يتقدمهم المشاعل ورجال الموسيقى إلى منزل الشيخ البكرى نقيب الأشراف و قد أطلقت طلقات أخرى لدى وصولهم إلى منزل النقيب ، وبعد أن تناول القائد العام طعام العشاء فى مأدبة فاخرة بمنزل الشيخ البكرى ، عاد إلى مقره وأجرى عدد من المصريين ألعاباً نارية وقاموا بها على أحسن وجه " راجع كورييه دى ليجيبت - العدد ١ ص ٢.

٥- يقصد المؤلف يوم المولد ١٢ ربيع الأول ٢٤ أغسطس ١٧٩٨م هذا بينما ذكرت كورييه دى ليجيبت بأن ذلك حدث فى اليوم التالى للمولد.

٦- فى النسخة (ب) "لبس" وما أثبتناه هو الأصوب.

الأشراف ، ونودى فى المدينة بأن من كان له دعوى على شريف ، فليرفعها للنقيب.

وفيه ورد الخبر بأن إبراهيم بيك والأمرا المصرية استقروا بغزة (١).

وفى خامس عشره (٢) سافر عدة كبيرة من عسكر الفرنج (٣) إلى جهة الصعيد، وعليهم صارى عسكر متولى على الصعيد اسمه دزه ، وبصحبتهم يعقوب القبطى (٤) ليدبر لهم الأمور ويعمل لهم أنواع المكر والخداع . ويطلعهم على المخبآت ويضع لهم التحيلات (٥) فمنها أنه كان يرسل الجماعة من الإفرنج لقبض

١- غزة: بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه ، والعرب تقول قد غز فلان بفلان واغتز به إذا اختصه من بين أصحابه ، وغزة مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر ، بينها وبين عسقلان فرسخان أو اقل وهى من نواحى فلسطين ويقال لها غزة هاشم لوجود قبر هاشم بن عبد مناف جد رسول الله صلي الله عليه وسلم بها ياقوت الحموى - معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٠ جـ٤، ص ٢٢٩.

٢- يوم الاثنين: ١٥ ربيع الاول ١٢١٣هـ الموافق ٢٧ اغسطس ١٧٩٨م .

٣- فى النسخة (ب) "سافر عدة من الإفرنج".

٤- يعقوب: من الشخصيات التى أثير حولها جدل كبير فهناك البعض الذى يراه بطل قومى أول من طالب باستقلال مصر بمساعدة الدول الأوربية ومن هؤلاء الأستاذ شفيق غربال ود/ لويس عوض هذا بينما يراه البعض الآخر خائناً للوطن وأداة استخدمها الاحتلال الفرنسى ليضرب بها أبناء وطنه وهذا هو الأقرب للصواب فقد ذكر الجبرتى العديد من أمثلة قسوة الرجل على أبناء وطنه وتأييده للفرنسيين أثناء ثورة القاهرة الثانية ، وشدته فى جمع الغرامة المالية التى ضربها عليهم كليبر ، وتكوينه للفيلق القبطى لمساعدة الحملة الفرنسية ، كما أنه كان خارجاً عن الكنيسة فهو بحق رجل غريب الأطوار ولكنه وجد من يلبسه مسوح الأبطال لأغراض خاصة . راجع محمد شفيق غربال : مرجع سابق ، ص ٢٠ وما بعدها . وكذلك / أحمد حسين الصاوى: المعلم يعقوب ، دار الفكر ، ١٩٩٠م ، ص ٢٠ وما بعدها .

٥- فى النسخة (ب) "ويصنع لهم الحيل" .

الأمـوال أو طلب الكلف. ويلبس البعض منهم مـلابس العثمـانيين (١) ويكتب لهم التحذيرات من المخالفة ، ويذكر لهم أن هذا أمر سلطاني ، فيروج ذلك على كثير من أهل البلاد ويمتثلون الأوامر.

وفيه حضر القاصد(٢) الذي كان أرسله الفرنج بمكاتبة وهدية إلى أحمـد باشـا الجزار (٣) بعكا(٤) وذلك عند استقرارهم بمصر ، وصحبته اثنان أو ثلاثة

١- في النسخة(ب) "لبس العثمنلي"

٢- كان هذا القاصد أحد ضباط بونابرت واسمه "بوفوزين" وكان يشغل قائد الأسطول النهري والمفوض لديوان القاهرة ، راجع هنري لورنس :مرجع سابق ، ص ٢٠٣.

٣- بعث بونابرت رسالة إلى أحمد باشا الجزار ليتباحث معه حول مستقبل العلاقات بين الفرنسيين وبينه ، وهذا نصها" رسالة بونابرت إلى أحمد باشا الجزار حاكم صيدا وعكا" معسكر القاهرة ٢٢ آب ١٧٩٨ :

"لم آت مصر محاربا المسلمين بل جئتها لمحاربة البكوات وأعتقد أني بالقضاء عليهم قد قمت بعمل عادل يوافق مصالحك لأنهم كانوا أعداءك وأنت تعلم حتما أني لما وضعت قدمي في مالطة كان أول عمل عملته أن اطلقت سراح ألفين من أسرى الأتراك الذين قضوا عدة سنين في ذل الأسر والعبودية ، وما وصلت إلى مصر حتى طمأنت خواطر الاهالي وبالغت في احترام العلماء ورجال الدين ومساجد المسلمين ، ولم يلق حجاج بيت الله مثل ما لاقوا من العناية والرعاية مني ولم يحتفل بمولد النبي بمثل ما احتفلت به من الأبهة الكاملة والاحترام العظيم ، وقد بعثت بهذا الكتاب مع ضابط يستطيع أن يوقفك على ميولي ورغبتي في أن أكون معك على صفاء وسلام ، لنتعاون معا على بحث المسائل التي تؤدي لنمو التجارة وخير البلدين ، وأؤكد أنه لا يوجد للمسلمين اصدقاء أخلص من الفرنسيين ، بونابرت . راجع نادر العطار : تاريخ سورية في العصور الحديثة ، دمشق د . ت ، جـ١ ، ص ٢٧٠ ، نقلا عن الوثائق الفرنسية – قسم مصر رقم ٣٠٧٨.

٤- لم ينزل بوفوازين إلى عكا بل إلى يافا ومنها إلى عكا وذلك لأنه قد وقع الخصام من قبل الجزار وبين قنصل فرنسا في عكا فأمر بخروجه منها هو وكل التجار الفرنسيين وقفل مخازنهم وحوانيتهم فذهبوا إلى يافا وكتبوا إلى الدولة العثمانية بالشكوى فأرسلت من الآستانه مأموراً مخصوصاً لأجل إعادتهم ولكن الجزار رفض لأن غيظه كان من ذات القنصل وعندما نزل إلى عكا منع من النزول وهدده سكان وجنود عكا سوء المصير ويرفض الجزار لقاءه وكان مع بوفوزاين تاجرين مسيحين أمرهما الجزار بالنزول إلى البر وأمر بحبسهما. راجع نوفل نعمه الله نوفل: كشف اللثام ، تحقيق ميشال فاضل ، د . جان نخول ، جروس برس ، طرابلس ، لبنان ١٩٩٠م ، ص ٢١٤ .

من نصارى الشوام فى صفة تجار ، ومعهم جانب أرز (١) [ص ٥٣] وكان من خبرهم على ما نقل ، أنهم نزلوا من ثغر دمياط فى مركب من مراكب أحمد باشا ، فلما وصلوا إلى عكا ، وعلم بهم أحمد باشا أمر بذلك الإفرنجى ، فنقلوه إلى بعض النقاير(٢) ولم يقابله ولم يأخذ منه شيئاً ، وأمره بالرجوع من حيث جاء ، وعوق عنده النصارى الشوام الذين كانوا بصحبته.

وفيه(٣) حضر جماعة من الإفرنج ، إلى بيت رضوان كاشف ، بباب الشعرية (٤) وصحبتهم مهندس ، فانزعجت زوجته ، وكانت قبل ذلك بأيام صالحت على بيتها ونفسها بألف وثلاثماية ريال ، وأخذت منهم ورقة لصقتها على باب دارها ، وردت ما كانت وزعته من الأمتعة واطمأنت ، فلما حضر إليها هؤلاء الجماعة ، قالت لهم ما تريدون وقد غلَّقت ما صالحتكم عليه (٥) فقالوا لها (٦) بلغنا أن عندكى (٧) أسلحة وملابس للمماليك ، فأنكرت ذلك ، فقالوا لازم من

١- فى النسخة (ب) " رز " .

٢- النقاير: نوع من السفن الصغيرة.

٣- أى فى يوم الاثنين ١٥ ربيع الأول ١٢١٣هـ الموافق ٢٧ أغسطس ١٧٩٨م ، وهو نفس تاريخ اليوميتين السابقتين .

٤- باب الشعرية: أحد أبواب القاهرة فى سورها الشمالى أنشأه صلاح الدين غربى الخليج المصرى فى المسافة التى بين الخليج وباب البحر وكان يقع فى ميدان العدوى على رأس شارع سوق الجراية قبل توسيع الميدان المذكور ، وكان يفتح من الخارج على ميدان العدوى وشارع الزعفرانى وكل هذه الطرق تقع خارج السور البحرى للقاهرة الذى كان فيه باب الشعرية المذكور وقد أزيل باب الشعرية عام ١٨٨٤ لخلل مبانيه وعرف كذلك باسم باب العدوى راجع د/ عبد الرحمن زكى - مرجع سابق ، ص ٢٢

٥- فى النسخة (ب) "وقد دفعت ما صار الصلح عليه"

٦- فى النسخة (أ) "فقالوا لا لها" والصواب ما أثبتناه من باقى النسخ .

٧- هكذا فى جميع النسخ والصواب "عندكِ" .

التفتيش [1] فقالت دونكم ، فطلعوا إلى مكان وفتحوا مخبأة[2] فوجدوا بها[3] أربعة وعشرين شروالاً من ملابس الغز ، وبلكات وأمتعة وغير ذلك، ووجدوا فى أسفلها مخبأة أخرى بها عدة كثيرة من الأسلحة والبنادق والطبنجات، وصناديق بارود وغير ذلك فاستخرجوا ذلك جميعه[4] ثم نزلوا إلى تحت السلالم ، وفحروا الأرض ، وأخرجوا[5] منها دراهم وحجاب ذهب فى داخله دنانير ، فأخذوا ذلك جميعه ، ثم أنزلوا صاحبة الدار ، ومعها جارية بيضا ، فأخذوهما مع جَوَارِهما السود ، وذهبوا بهن فاقمن عندهم ثلاث ليال ، ونهبوا ما وجدوه من فرش وأمتعة ، ثم قرروا عليها أربعة آلاف ريال أخرى ، قامت بدفعهم وأطلقوها ، ورجعت إلى بيتها ، وبسبب هذه الحادثة شددوا فى طلب الأسلحة ، ونادوا بذلك ، وأنهم بعد ثلاثة[6] أيام يفتشون البيوت [ص ٥٤] وكل من وجدوا عنده سلاحاً قتلوه ، فخاف[7] الناس من تفتيش البيوت ،وقالوا هذه حيلة على نهب البيوت ، ثم بطل ذلك.

وفى عشرينه[8] قلدوا مصطفى بيك كتخدا الباشا على إمارة الحاج ،

١- فى النسخة (ب) "فقالوا لها لابد لينا من التفتيش" .

٢- فى النسخة (ب) "مخبأ" وفضلنا مخبأة فى المتن لانها تكررت بهذا النطق فيما يلى فى النسخ كلها.

٣- فى النسخة (ب) كتبت هكذا "فجدوا فيها" والصواب ما اثبتناه من النسخة (أ) .

٤- فى النسخة (ب) "عدة كثيرة من الأسلحة مثل بارودات وطبنجات وصناديق بارود وغير ذلك فأخرجوا جميع ذلك.

٥- فى النسخة (ب) "ثم نزلوا لتحت الأرض وأخرجوا" .

٦- فى النسخة (ب) "ثلاث" والصواب ما أثبتناه بالمتن من باقى النسخ.

٧- فى النسخة (ب) "فخافت الناس" .

٨- يوم الجمعة ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣هـ الموافق ٣١ أغسطس ١٧٩٨م.

فحضر إلى المحكمة(1) ولبس من هناك(2) بحضرة مشايخ الديوان ، والتزم بونابارتة بتشهيل مهمات الحج (3) وعمل محمل جديد.

وفيه (4) سأل أصحاب حصص الالتزام في التصرف في حصصهم ، فطلبوا حلواناً زايداً عن القانون ، فلم يرتضوا بذلك ، فواعدوهم لتمام التحرير والإملا ، وقالوا كل من كان له التزام وتقسيطه ناطق باسمه يحضره ويمليه ، ففعلوا ذلك في عدة أيام ، والحال على حاله.

وفيه قطعوا كلف وتفاريد على البلاد ، وكتبوا بذلك أوراقاً وذكروا فيها أنها تحسب من المال ، ورتبوا لذلك الصيارف من القبط ، نزلوا في البلاد كالحكام، وبلغوا أغراضهم في المسلمين بالضرب والحبس والإهانة والتشديد في الطلب ، والتخويف بإحضار عساكر الفرنج ، إن لم يدفعوا المقرر بسرعة ، وكل ذلك بترتيب(5) القبط ومكرهم.

1- من ضمن أهم أركان سياسة المداراة الإسلامية التي اتبعها بونابرت مع المسلمين الاهتمام بقافلة الحج المصري لذا فقد عمل على تعيين أمير للحج وهو مصطفى بك كتخدا أبو بكر باشا الوالي السابق وجاء وصف ذلك الحدث كالآتي :القاهرة في 16 فروكتيدور : عين القائد العام السيد / مصطفى أميرا للحج إلى مكة فقد لبس اليوم أمام جميع موظفي الدواوين وأشراف البلد معطفاً جميلاً لونه أخضر لهذه المناسبة وقد أهداه الجنرال بضع جواهر وحصاناً عليه سرج جميل محلى بأحسن كسوة وعند مغادرته الحفل ودعته ست طلقات أطلقتها مدافع بطارية القلعة " . راجع كورييه دي ليجييت ، العدد رقم 3 ، ص 6 .

2- في النسخة (ب) "فاحضروه إلى المحكمة وألبسوه هناك" وما اثبتناه من النسخة (أ) هو الاصوب.

3- في النسخة (ب) "التزم بونابرته بجميع مهمات الحاج" وما اثبتناه هو الاصوب.

4- أي في يوم الجمعة 20 ربيع الأول 1213هـ الموافق 31 أغسطس 1798م ، وهو نفس تاريخ اليومية التالية .

5- في النسخة (ب) "بتبير"

وفى يوم الخميس خامس عشرينه [1] قتل الفرنسيس رجلاً شريفاً من أهل الأسكندرية بالرميلة ، يقال له السيد محمد كريم بضم الكاف ، وفتح الراء [2] وتشديد الياء وسكون الميم ، وخبر هذا المقتول أنه كان فى أول أمره قبانيا يزن البضايع فى حانوت بالثغر ، وعنده خفة فى الحركة ، وتودد فى المعاشرة ، فلم يزل يتقرب إلى الناس بحسن الود ، ويستجلب خواطر حواشى الدولة وغيرهم من تجار المسلمين والنصارى، ومن له وجاهة وشهرة فى أبناء جنسه ، حتى أحبه الناس ، واشتهر ذكره فى ثغر الأسكندرية [3] ورشيد ومصر،[ص ٥٥] واتصل بصالح بيك حين كان وكيلا لدار السعادة ، وله الكلمة النافذة [4] فى ثغر رشيد ، وتملكها وضواحيها واسترق أهلها ، وقلد أمرها لعثمان [5] خجا فاتحد به وبمخدومه السيد محمد المذكور ، واتصل بمراد بيك ، فتقرب إليه ووافق منه الغرض ، ورفع شانه على أقرانه وقلده أمر الديوان والكمارك [6] بالثغر.ونفذت أحكامه ، وتصدر لغالب الأمور ، وزاد فى المكس والكمرك ، ومصادرات التجار ، خصوصاً الإفرنج ، ووقع بينه وبين السيد أحمد أبو شهبة الحادثة التى أوجبت له الاختفا بالصهريج وموته فيه ، فلما حضر الفرنسيس ونزلوا الاسكندرية قبضوا على السيد محمد

١- يوم الخميس ٢٥ ربيع الأول ١٢١٣هـ الموافق ٦ سبتمبر ١٧٩٨م.

٢- فى النسخة (ب) "وفتح الواو" ولكن كلمة "كريم" لا يوجد بها حرف "واو" أصلاً.

٣- غالباً فى النسخة (ب) يستخدم "اسكندرية"

٤- فى النسخة (ب) "الكلام النافذ".

٥- كلمة "عثمان" غير موجودة فى النسخة (ب) .

٦- النسخة (أ) تكتبها دائماً "الجمارك" ولكن ما أثبتناه بالمتن من باقى النسخ هو الأقرب إلى مصطلح العصر.

المذكور ، وطالبوه بالمال وضيقوا عليه وحبسوه في مركب ، ولما حضروا إلى مصر (١) وطلعوا إلى قصر مراد بيك ، وجدوا مكاتيبه إليه في مجلس مراد بيك ، وفيها مطالعته بأخبارهم وبالحث والاجتهاد على حربهم ، وتهوين أمرهم ، فاشتد غيظهم عليه ، وأرسلوا فأحضروه إلى مصر وحبسوه ، فتشفع فيه أرباب الديوان عدة مرار ، فلم يمكن ، إلى أن كانت ليلة الخميس ، حضر إليه مجلون الملعون(٢) وقال له المطلوب منك كذا وكذا من المال قدر يعجز عنه (٣) وأجله اثنى عشر ساعة ، وإلا يقتل بعد مضيها إن لم يدفع.

فلما أصبح (٤) أرسل إلى المشايخ وإلى السيد أحمد المحروقي فحضر إليه بعضهم ، وترجّاهم وتدخل عليهم واستغاث ، وصار يقول :"اشتروني يا مسلمين" وليس بيدهم ما يفتدوه به، وكل إنسان مشغول بنفسه ، ومتوقع لشئ يصيبه.

فلما كان قريب الظهر ، وقد انقضى الأجل أركبوه حماراً ، واحتاط به (٥) عدة من العسكر ، وبأيديهم السيوف المسلولة ، ويقدمهم طبلهم يضربون عليه ،

١- النسخة (ب) تحذف حرف الجر "إلى" وتضع بدلا منها حرف "ل" في معظم الحالات.

٢- معظم ألفاظ اللعنة التي أوردها الجبرتي في مظهر التقديس حذفت بعد ذلك في عجائب الآثار.

٣- قيمة المبلغ كما جاء في أمر بونابرت هو ٣٠ ألف ريال فرانسه والمهلة ٢٤ ساعة ، ولكن الجبرتي يذكر هنا أنها ١٢ ساعة فقط وليس في ذلك تناقض ، لأن مجلون جاءه ليلاً بينما أعدم ظهراً.

٤- صباح يوم الخميس ٢٥ ربيع الأول ١٢١٣هـ الموافق ٦ أغسطس ١٧٩٨م.

٥- في النسخة (ب) "وتحاوطوه"

وشقوا به الصليبة (١) [ص ٥٦] إلى أن ذهبوا إلى الرميلة ، وكتفوه وربطوه مشبوحاً ، وضربوا عليه بالبنادق كعادتهم فيمن يقتلوه ، ثم قطعوا رأسه ورفعوها على نبوت ، وطافوا بها جهات (٢) الرميلة ، والمنادى يقول : "هذا جزاء من يخالف على الفرنسيس" ثم إن أتباعه أخذوا راسه ودفنوها(٣)مع جثته ، وانقضى أمره (٤)

وفيه (٥) طلب صارى عسكر بونابارتة المشايخ ، فلما استقروا عنده ، نهض بونابارتة من المجلس ورجع وبيده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان ، كل طيلسان أبيض وأحمر وكحلى ، فوضع منهم واحد على كتف الشيخ الشرقاوى ، فرمى به إلى الأرض ، واستعفى وتغير لونه فقال الترجمان :" يا مشايخ أنتم صرتم أحباب

١- الصليبة :الصليبة تعبير هندسى قديم يطلق على تقاطع طريقين رئيسين بشكل صليب تقريباً ، وهنا يتقاطع الشارع الأعظم مع الجسر الأعظم راجع محمد كمال السيد أسماء ومسميات من مصر القاهرة ، هـ.م.ع ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٣٨٧.

٢- فى النسخة (ب) "ورفعوه على نبود ودوره جهه الرميلة " .

٣- فى النسخة (ب) "ودفنوه" .

٤- "حكم بالإعدام على السيد محمد كريم لثبوت تهمة التخابر مع المماليك بعد أن حلف يمين الإخلاص للجمهورية ، وقد عمل لديهم أيضاً بصفة جاسوس ، وقد صودرت جميع ممتلكاته المنقوله لصالح الجمهورية ونفذ الحكم ظهراً فى ميدان القلعة وقد طاف الجند فى شوارع المدينة برأسه محمولة على قصيبة عالية تحمل لافتة مكتوباً عليها ما يلى : " كريم – شريف الأسكندرية حكم عليه بالإعدام لخيانته يمين الإخلاص الذى أداه للجمهورية الفرنسية ولاستمرار علاقاته مع المماليك الذين يعمل معهم بصفة جاسوس هذا هو مصير جميع الخونة والحانثين باليمين" كورييه دى ليجييت العدد ٤ ص ٩ .أما فى مصر فقد اعتبر محمد كريم بطلاً قومياً دافع عن بلاده ورفضا دفع الفدية التى طلبها المحتلون وهو عكس ما يذكره الجبرتى من أنه تضرع إلى المشايخ لدفع الفدية له ، بينما تؤكد المصادر الفرنسية أنه رفض دفع الفدية .

٥- أى فى يوم الخميس ٢٥ ربيع الأول ١٢١٣هـ الموافق ٦ أغسطس ١٧٩٨م .

صارى عسكر ، وهو قصده تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلامته ، فإنكم إذا تميزتم بذلك عظمتكم العساكر والناس(١) وصار لكم منزلة فى قلوبهم" فقالوا له :"لكن قدرنا ينحط عند الله وعند إخواننا المسلمين" فاغتاط لذلك ، ورطن بلسانه ، وبلّغ عنه بعض التراجمين أنه قال عن الشيخ عبد الله "هذا لا يصلح للرياسة " ونحو ذلك ، فلاطفوه بقية الجماعة ، واستعفوه من تلك الشالات ، فقال إن لم يكن ذلك ، فلازم من وضعكم الجوكار فى صدوركم ، وهى العلامة التى يقال لها الوردة ، فقالوا :" أمهلونا حتى نتروى فى ذلك" واتفقوا على اثنى عشر يوماً ، وفى ذلك الوقت حضر الشيخ السادات باستدعا ، فصادفهم منصرفين ، فلما استقر به الجلوس بشّ إليه وضحك له صارى عسكر ، وتملق بين يديه بلطيف القول الذى يعربه الترجمان ، وصار يقبل يده تارة وركبته أخرى ، ويظهر له المحبة والصداقة ، وأهدى له خاتماً ألماساً ، وكلفه للحضور عنده من الغد ، وقام وانصرف .

وفى ذلك اليوم (٢) ، نادى جماعة القلقات على الناس ، بوضع العلامات

١- فى النسخة (ب) الناس والعساكر.

٢- فى النسخة (جـ) " وفى ذلك الوقت اليوم " وهو يوم الخميس ٢٥ ربيع الأول ١٢١٣هـ الموافق ٦ أغسطس ١٧٩٨م .

المعروفة بالوردة ، وهى عبارة عن ظهور إمارة (١) الطاعة والمحبة عندهم ، فأنف غالب الناس من ذلك ، وبعضهم رأى أن ذلك لا يخل بالدين ، إذ هو مكره ويترتب على عدم الامتثال مزيد الضرر ، فوضعها .

ثم فى عصر ذلك اليوم نادوا بإبطالها من العامة ، وألزموا بعض الأعيان ، ومن يريد الدخول عندهم لحاجة من الحاجات بوضعها ، فكانوا يضعونها إذا حضروا عندهم ، ويرفعوها إذا انفصلوا عنهم ، وذلك أياماً قليلة ، وحصل ما يأتى ذكره فتركت.

وفى أواخره (٢) شرع الفرنسيس فى عمل عيد لهم ببركة الأزبكية وسبب

١- صدر قرار من القائد العام جاء فيه : يأمر القائد العام بما يلى:
مادة أولى: يلتزم جميع سكان القطر المصرى بوضع الإشارة ذات الثلاث ألوان على صدورهم مادة ثانية : على جميع المراكب النيلية رفع العلم المثلث الألوان على سارياتها.
مادة ثالثة : ابتداء من أول فاندمبير لن يتحدث القادة وحكام المقاطعات والضباط الفرنسيون إلى أى شخص من البلاد إلا إذا كان يحمل الشارة وكذلك فى جميع الأقسام المقامة على النيل سيلفت قوادها الفرنسيون وقواد المراكب النيلية المسلحة وقواد الحاميات فى رشيد ودمياط وبولاق ، سيلفتون أنظار أصحاب المراكب النيلية أنه بعد ١٥ فاندمبير لن تترك لهم حرية الملاحه النهرية دون رفع العلم المثلث الألوان.
مادة رابعة: أعضاء الديوان فقط هم الذين لهم الحق فى ارتداء الشال المثلث الألوان على أكتافهم.
مادة خامسة: فى أول فاندمبير سيرفع العلم المثلث الألوان على سارية أعلى مئذنة فى مصر القاهرة وعلى ساريات اعلى مآذن فى عواصم المقاطعات .
"إمضاء بونابرت" وعلق المحرر على ذلك بقوله : أن بعض سكان القاهرة كانوا قد ارتابوا فى أمر هذا القرار ، فأبى القائد العام إلا أن يبدد بنفسه هذه المخاوف فجمع حوله أعضاء الديوان وبعض الرجال من ذوى النفوذ لدى جماهير الشعب وبعد أن استمع إلى اعتراضاتهم فندها بمهارة بل واستمالهم إلى دعوته إذ وصل به المقام إلى الخوض معهم فى مناقشات دينيه بهرت عقول الأتراك [يستخدم لفظ الاتراك هنا للدلالة على المصريين] واقنعتها وبهذا توصل إلى تبديد جميع مخاوف المطلعين من الرجال وبعد محاضرتين طويلتين ارتدى أعضاء الديوان بأنفسهم الشال المثلث الألوان فى حضرته وأكدوا له أن جميع سكان مصر سوف يرتدونه عما قريب راجع / كورييه دى ليجيبت العدد ٧ ص ١٧.

٢- أى فى أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٢١٣هـ .

هذا العيد أنهم لما قتلوا سلطانهم وظهرت بدعتهم التى ابتكوها ، وخرجوا بها عن الطريق والملل[١] جعلوا ذلك اليوم عيدا وتاريخاً ، وهو موافق للاعتدال الخريفى [٢] وهو انتقال الشمس لبرج الميزان ، فنقلوا أخشاباً وحفروا حفراً ، وأقاموا صارياً عظيماً بآلات وبنا ، بوسط بركة الأزبكية ، وردموا حوله تراباً كثيراً عالياً مقدار قامة ، وعملوا فى أعلاه قالباً من الخشب محدد الأعلا ، مربع الأركان ، ولبسوا باقيه على سمت القالب قماشاً ثخيناً طلوه بالحمرة المجزعة وعملوا أسفلة قاعدة ، نقشوا عليها تصاوير سواد فى بياض ، وصنعوا مقابل باب الهوا[٣] شبه بوابة كبيرة عالية من خشب مقفص ، وكسوها بالقماش المدهون مثل لون الصارى ، وفى أعلا [٤] القوصرة طلا أبيض وبه تصاوير بالأسود ، مصور فيه مثال حرب المماليك المصرية معهم وهم فى شبه المنهزمين ، بعضهم واقع على بعض ، وبعضهم ملتفت خلف ظهره وعلى موازاة ذلك من الجهة الأخرى ، بناحية قنطرة الدكة[٥] التى [ص ٥٨] يدخل منها الماء إلى البركة ، مثال بوابة أخرى على غير

١- بينما يعتبر الجبرتى هنا قيام الفرنسيين باعلان النظام الجمهورى بدعة خرجوا بها عن الطريق والملل ، فإنه فى عجائب الآثار يبدو أكثر تفهما لهذا النظام الجديد فيحذف هذا الرأى ويقول "وذلك اليوم كان ابتداء قيام الجمهور ببلادهم ، فجعلوا ذلك اليوم عيداً وتاريخاً"

٢- يبدأ الاعتدال الخريفى يوم ٢٣ سبتمبر ، ولكن الاحتفال تم يوم ٢٢ سبتمبر كما يذكر الجبرتى فيما بعد والمعروف أن التقويم الجمهورى يبدأ بأول فنديمير من السنة الأولى للثورة الفرنسية الموافق ٢٢ سبتمبر ١٧٩٢ وهو اليوم الذى تم فيه إلغاء الملكية فى فرنسا ، وهذا الاحتفال يوافق الذكرى السابعة للجمهورية.

٣- فى النسخة (ب) "الهوى"

٤- فى النسخة (ب) "وعلى القوصرة"

٥- قنطرة الدكة : كانت تقع على خليج الذكر ، عرفت بقنطرة الأمير بدر الدين التركمانى الذى عمرها ولا يعرف شئ عنه. راجع - عبد الرحمن زكى - مرجع سابق ، ص ٢١٩ .

شكلها لحراقة البارود ، وأقاموا أخشاباً كثيرة منتصبة مصطفة منها إلى البوابة الأخرى ، شبه الدايرة متسعة محيطة بمعظم فضا البركة ، بحيث صار الصارى الكبير فى المركز ، وربطوا بين تلك الأخشاب حبالاً ممتدة ، وعلقوا بها صفين من القناديل ، وتماثيل بين ذلك لحراقة البارود أيضاً ، وأقاموا فى هذا العبث (١) عدة أيام (٢).

شهر ربيع الثانى ١٢١٣هـ (٣)

استهل بيوم الأربعا (٤) فيه وردت الأخبار بأن مراد بيك ومن معه ؛ لما بلغهم ورود الفرنسيس عليهم رجعوا إلى جهة الفيوم ، وأن عثمان بيك الأشقر عدّى إلى البر الشرقى ، وذهب من خلف الجبل إلى عند سيده بغزة . وخرج جماعة من الإفرنج إلى جهة الشرق ، ومعهم عدة جمال وأحمال ، فخرج عليهم الغز والعرب الذين يصحبوهم ، فأخذوا منهم عدة جمال بأحمالهم ولم يلحقوهم.

وفى ثالثة (٥) حضرت مكاتبه (٦) من إبراهيم بيك ، خطاباً للمشايخ وغيرهم ، مضمونها : أنكم تكونوا مطمينين ومحافظين على أنفسكم والرعية ،

١- فى النسخة (ب) "وأقاموا الغيث" .

٢- يوجد وصف تفصيلى لهذا الاحتفال فى كورييه دى ليجيبت العدد ٨ ، ص ٢١ . ويطول شرحه هنا بغير فائدة كبرى فنحيل القارئ إليها .

٣- العنوان من وضع المؤلف ولكنه من نفس بنط المتن وتاريخ السنة غير موجود فى النسخة (أ).

٤- يوم الأربعاء غرة ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ١٢ سبتمبر ١٧٩٨.

٥- يوم الجمعة ٣ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ١٤ سبتمبر ١٧٩٨.

٦- فى النسخة (ب) "مكاتيب".

وإن حضرة (١) مولانا السلطان وجه لنا عساكر وإن شا الله عن قريب نحضر عندكم ، فلما وردت تلك المكاتبة وقد كان سأل عنها بونابرته فأرسلوها له ، وقريت عليه(٢) فقال "المماليك كذابون" ووافق أيضاً أنه حضر أغا رومى كان معوقاً بالأسكندرية فمر بالشارع ، وذهب لزيارة المشهد الحسينى فشاهده الناس فاستغربوا هيئته ، وفرحوا برويته ، وقالوا هذا الجى(٣) حضر من عند مولانا السلطان بجواب للفرنسيس ، يأمرهم بالخروج من مصر ، واختلفت رواياتهم [ص٥٩] واراوهم ، وتجمعوا بالمشهد الحسينى وتبع بعضهم بعضاً . وصادف أن بونابارتة ، فى ذلك الوقت بلغه مما نقل وتناقل بين الناس أنه ورد مكتوب إلى المشايخ أيضاً وأخفوه ، فركب من فوره ، وحضر إلى بيت الشيخ السادات بالمشهد الحسينى ، فلما مرّ بعسكره وطوايفه فى ذلك الوقت ، ورآه (٤) الناس المتجمعة بخط المشهد الحسينى ، وشاهد هو الآخر جميعتهم ، تحقق الناس ما توهموه ، وداخل الفرنسيس أمر من ذلك أيضاً . وعندما رأى العامة بونابارتة خارجاً من بيت الشيخ السادات راكباً على فرسه ، وخلفه الخيالة بأيديها السيوف المسلولة كعادتهم صاحوا بأجمعهم وقالوا "الفاتحة" بصوت عال فشخص إليهم (٥)

١- فى النسخة (ب) "حضرت" وجدير بالذكر أن هذه النسخة تكتب التاء المربوطة فى أخر الكلمة تاءً مفتوحة غالباً .

٢- فى النسخة (ب) " وقريت له " .

٣- الجى هى فى التركية "ألجى" بالجيم المشربة ومعناها السفير راجع أحمد سليمان : مرجع سابق ص ٢٥ .

٤- فى النسخة (ب) "ورائه".

٥- فى النسخة (ب) كلمة "اليهم" غير موجودة.

وصار يسأل من معه عن ازدحامهم وصياحهم ، فلطفوا له القول ، وكان لما دخل إلى دار الشيخ السادات نزل إليه الشيخ وواجهه ، بعدما انزعج هو وعياله ؛ لورود هؤلاء عليهم فى وقت القايلة علي حين غفلة ، فلما استقر به الجلوس ، سأل عن تلك المراسلة ، فأجابه بعدم علمه بشئ من ذلك ، فألح عليه ، فحلف له وتنصل ، فلم يصدق وقال له لعله (١) وصل إلى غيرك ، فأحضروا الشيخ الشرقاوى وبعض المشايخ ، فجحدوا ذلك ، ثم قام فركب وذهب إلى داره وكانت نكتة غريبة ، وساعة اتفاقية عجيبة ، كاد ينشأ منها فتنة ،لولا ألطاف الله تعالى.

وفيه شرعوا فى خلع البوابات والدروب غير(٢)النافذة أيضاً ، ونقلوها إلى بركة الأزبكية لأنهم جمعوا ما قلعوه من البوابات عند رصيف الخشاب ، والبوابة العظيمة يقطعونها نصفين ،ويرفعونها بالعتَّالين إلى هناك ، فاجتمع من ذلك شئ كثير جداً ، وامتلأت من رصيف الخشاب إلى وسط البركة.[ص ٦٠]

وفى يوم السبت حادى عشره (٣) كان يوم عيدهم الموعود به ، فضربوا فى صبيحة ذلك اليوم مدافع كثيرة ووضعوا على كل قايم من الخشب (٤) بنديرة من بنديراتهم الملونة ، وضربوا طبولهم (٥) واجتمعت عساكرهم بالبركة الخيالة والرجالة ، واصطفوا صفوفاً على طرايقهم المعروفة بينهم ، ودعوا المشايخ وأعيان

١- فى النسخة (أ) "وقال لعله".

٢- فى النسخة (أ) "الغير نافذه" والصواب ما أثبتناه من النسخة (ب). وفى النسخة (جـ) " الغير النافذة " .

٣- يوم السبت ١١ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ٢٢ سبتمبر ١٧٩٨م.

٤- فى النسخة (أ) كلمة "من الخشب" غير موجودة .

٥- فى النسخة (ب) "وطلبوا ضرب الطبول".

المسلمين والقبطة والشوام ، فاجتمعوا ببيت كبيرهم وصارى عسكرهم بونابارية ، وجلسوا حصة من النهار ، ولبس النصارى من القبط والشوام ملابس الافتخار ، فلبس جرجس الجوهرى كركة بطرز قصب[على أكتافها إلى أكمامها ، وعلى صدرها شمسات قصب](١) بأزرار ، وكذلك فلتيوس ، وتعمموا بعمايم كشميرى ، وركبوا البغال الفارهة (٢) وأظهروا البشر والسرور فى ذلك اليوم إلى الغاية ، ثم نزل عظماؤهم وصحبتهم المشايخ والقاضى وكتخدا الباشا ، فركبوا وذهبوا للصارى الكبير الموضوع بوسط الأزبكية ، وكانوا فرشوا فى أسفله بسطاً كثيرة ، ثم إن العساكر لعبوا ميدانهم ، وعملوا هيئة حربهم ، وضربوا البندق والمدافع ، فلما انقضى ذلك اصطفت العساكر صفوفاً حول ذلك الصارى ، وقرأ عليهم كبير قسوسهم (٣) ورقة بلغتهم لا يدرى معناها إلا أهلها ، ولعلها كالوصية أو النصيحة أو الوعظ ، ثم قاموا وانفض الجمع ، ورجع صارى عسكر إلى داره ، فمد سماطاً عظيماً للحاضرين

فلما كان عند الغروب أوقدوا جميع القناديل التى على الحبال ، والتماثيل والأحمال التى على البيوت .

١- ما بين القوسين غير موجود فى النسخة (ب) ويبدو أن الناسخ قدترك سطراً سهواً وهذا النقص موجود أيضاً فى طبعتى التربية والتعليم ولجنة البيان العربى.

٢- فى طبعة لجنة البيان العربى كتبت هكذا " بغال القاهرة " بينما فى جميع نسخ المخطوطات " البغال الفارهة ".

٣- من المعروف أن الحملة لم يكن معها قساوسة فالذى قام وقرأ على الملأ بياناً هو أحد الضباط وأسمه بوايبه Boyer الذى قرأ بلاغاً أعده القائد العام واستمع إليه الحاضرون باهتمام بالغ وتقبلوه بالتصفيق الحاد وبدت الهتافات بحياة الجمهورية وليس أحد القسوس . راجع كورييه دى ليجيبت : العدد ٨ ، ص ٢١ .

وعند العشا عملوا حراقة بارود وسواريخ (١) ونفوط ، وشبه سواقى ودواليب من نار ، ومدافع كثيرة نحو ساعتين من الليل ، واستمرت[ص ٦١] القناديل موقدة حتى طلع النهار ، ثم فكوا الأحبال والتعاليق والتماثيل المصنوعة ، وبقيت البوابة المقابلة لباب الهوا(٢) والصارى الكبير ، وتحته جماعة ملازمون الإقامة عنده ليلاً ونهاراً من عساكرهم ، لأنه شعارهم وإشارة إلى قيام دولتهم فى زعمهم ، [عجل الله زوالها من جميع الأرض](٣)

وفى ثانى ليلة منه (٤) ركب كبيرهم إلى بر الجيزة ، وسفّر(٥) عساكر إلى الجهة التى بها مراد بيك ، وكذلك إلى جهة الشرقية ، ومعهم مدافع على عجل .

وفيه (٦) أرسل"اللعين"(٧) دبوى قايمقام ، إلى الست نفيسة وطلب زوجة عثمان بيك الجوخدار(٨) فأرسلت إلى المشايخ تستغيث بهم ، فحضر إليها المهدى

١- فى النسخة (ب) تكتب دائماً " شواريخ ".
٢- فى النسخة (ب) تكتب "الهوى" دائماً والأصوب ما أثبتناه . من باقى النسخ .
٣- هذه العبارة التى بين القوسين محذوفة من"عجائب الآثار".
٤- إذا كان الجبرتى يقصد ثانى ليلة من الشهر فهى توافق يوم الخميس ٢ ربيع الآخر ١٢١٣هـ / ١٣ سبتمبر ١٧٩٨م ، ولكن هذا يخل بترتيب اليوميات والتسلسل التاريخى الذى درج عليه المؤلف ولعله يقصد ثانى ليلة من احتفالهم بعيد الجمهورية وهو يوم الأحد ١٢ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ٢٣ سبتمبر وهذا هو الأنسب.
٥- فى النسخة (ب) " وأرسل" .
٦- أى فى يوم الأحد ١٢ ربيع ١٢١٣هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٧٩٨م .
٧- حذف الجبرتى هذا اللفظ من عجائب الاثار.
٨- جوخدار فى الفارسية "جوخا" بالجيم المشرية وألف بعد الخاء رداء صوفى قصير وترد بالقاف "جوقه" والجوخ قماش معروف ودار أى صاحب فى الفارسية والجوخدار هو صاحب الجوخ والقيم عليه أو لابسه. وهو موظف غير عسكرى يناط به النظر فى شئون ملابس السلطان فى العصر العثمانى فهو مثل "الجامدار" فى العصرين السلجوقى والمملوكى وقد أطلق عليه فى أواخر عهد العثمانيين لقب " أثوابجى باشى" وكان لقب الجوخدار يطلق أيضاً على الحاجب الذى يفتح الستارة ، ويغلقها على باب الوزير أو الأمير فهو نظير البردار فى العصر المملوكى ، وإنما أطلق عليه جوخدار لأن ملابسه تصنع من الجوخ . راجع - أحمد السعيد سليمان - مرجع سابق ، ص ٧١ .

والسرسى ، وقصدوا منعها فلم يمكنهم ، فذهبوا صحبتها ، ونظروا فى قصتها ، والسبب فى طلبها أنهم وجدوا رجلاً فراشاً معه جانب دخان وبعض ثياب ، فقبضوا عليه وقرروه ، فأخبر أنه تابعها ، وأنها أعطته ذلك ، وواعدته بالرجوع أيضاً لتسلمه شبكين (١) دخان وفروة وخمساية محبوب (٢) ليوصل ذلك جميعه لسيده ، فهذا هو السبب فى طلبها ، فقالوا وأين الفراش فبعثوا لإحضاره ، وسألوها فأنكرت ذلك كله (٣) بالمرة ، ، فانتظروا حضور الفراش إلى بعد المغرب ، فلم يحضر ، فقال لهم المشايخ دعوها تذهب إلى بيتها ، وفى غد تأتى ونحقق هذه القضية ، فقال الملعون(٤) "نونو" ومعناه بلغتهم النفى ، أى لا تذهب ، فقالوا دعها تذهب هى ونحن نبات عوضاً عنها(٥) فلم يرض أيضاً ، وعالجوا فى ذلك بقدر طاقتهم ، فلما آيسوا تركوها ومضوا ،فباتت عندهم فى جهة من البيت ، ومعها جماعة من النسا المسلمات ، والنسا الإفرنجيات .

فلما أصبح النهار (٦) ركب المشايخ إلى كتخدا الباشا والقاضى ، فركبا

١- فى النسخة (أ) "شكين "والصواب ما أثبتناه بالمتن من باقى النسخ وكلمة "شبك" أصلها تركية من "شبوق" أو "جبوق" بمعنى نرجيلة أو شيشة .

٢- الزر الحبوب : نقد ذهب تركى ، ضرب فى عهد السلطان مصطفى الثانى ١٦٩٤-١٧٠٣م وهو يزن أربعين حبة أى ٢,٦ جرام وقد أطلق عليه فى تركيا "طغرالى آلتون " وآلتون تعنى الذهب "وطغرالى" نسبة إلى نقش "الطغراء" أو "الطرة" باسم السلطان على أحد وجهى هذا النقد ، وحدد الجبرتى سعره فى ١٧٣٦م بمائتى نصف فضة ، وظل متداولاً حتى عام ١٨٤٤م . د/ عبد الرحمن زكى - مرجع سابق ، ص ٥٥

٣- كلمة "كله" غير موجوده فى النسخة (أ) وكذلك غير موجودة في النسخة (جـ) .

٤-حذف الجبرتى لفظ "الملعون" عند إعادة كتابة هذه اليومية فى "عجائب الآثار"

٥- فى النسخة (ب) "عوضها".

٦- نهار يوم الاثنين ١٣ ربيع الاخر ١٢١٣هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٧٩٨م .

معاً ، وذهبا إلى بيت صارى(١) عسكر الكبير ، فأحضرها [ص ٦٢] وسلمها إلى القاضى ، ولم يثبت عليها شئ من هذه الدعوى الباطلة ، وقرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرانسة ، وذهبت إلى بيت لها مجاور لبيت القاضى(٢) وأقامت فيه لتكون فى حمايته .

وفى يوم الخميس (٣) نادوا فى الأسواق بأن كل من كان عنده بغلة ، يذهب بها إلى بيت قايمقام ببركة الفيل(٤) ويأخذ ثمنها ، وإن لم يحضرها بنفسه ، توخذ منه قهراً ويدفع ثلاثماية ريال فرانسة ، وإن أحضرها باختياره يأخذ فى ثمنها خمسين ريالاً قلّت عن قيمتها أو كثرت ، فغنم صاحب الخسيس ، وخسر صاحب النفيس ، ثم ترك ذلك.

وفيه(٥) نادوا لوقود قناديل سهارى بالطرق والأسواق ، وأن يكون على

١- فى النسخة (ب) "وذهبا لعند صارى عسكر "
٢- فى النسخة (ب) "وذهبت لبيتها بجنب بيت القاضى"
٣- يوم الخميس ١٦ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨م .
٤-بركة الفيل : كانت هذه البركة تقع فيما بين القاهرة ومصر (شمال الفسطاط) وكانت مساحتها كبيرة ولم تبن فيها مبان ، فلما أنشأ جوهر الصقلى مدينة القاهرة واختط خارج باب زويلة حارة السودان وحارة اليانسية أصبح لا يفصل هاتين الحارتين عن البركة غير فضاء وفى عام ١٢٠٣م عمرت البركة وكثرت مبانيها واصبحت مساكنها من أجمل المساكن وكان ماء النيل يدخل إلى بركة الفيل من الموضع الذى كان يعرف باسم الجسر الاعظم (ميدان السيدة زينب اليوم) كما يصب فيه الماء من الخليج الكبير من قنطرة عرفت باسم المجنونةراجع د/ عبد الرحمن زكى - مرجع سابق ، ص ٣
٥- أى فى يوم الخميس ١٦ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨م وهو نفس تاريخ اليوميات الاثنى عشر التالية .

باب(١) كل دار قنديل ، وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل ، وأن يلازموا الكنس والرش وتنظيف الطرق من العفوشات والقاذورات والقطط الميتة (٢) ، [هذا مع ما هم فيه من القذارة فى بيوتهم ، وأزقة مساكنهم ، وكثرة الأتربة المسبخة ، وما يختلط بها من ريش الطيور ، ومصارين الحيوان ، وفضلات مآكلهم ، ورايحة شرابهم ، وحموضة مسكراتهم ، وبولهم وغايطهم ، بحيث أن المارّ يسد أنفه حتى يتجاوز عنهم] (٣)

وفيه نادوا على الأغراب من المغاربة وغيرهم ، والخدامين البطالين ، ليسافروا إلى بلادهم ، وكل من وجد بعد ثلاثة أيام يستاهل الذى يجرى عليه ثم كرروا المناداة بذلك ، وأجّلوهم أربعة وعشرين ساعة ، فذهب جماعة من المغاربة إلى صارى عسكر ، وقالوا :"أرونا طريقاً للذهاب ، فإن طريق البر غير مسلوكة(٤)

١- كلمة "باب" غير موجودة فى النسخة (أ) والنسخة (جـ) .

٢- صدر الإعلان التالى: على جميع الفرنسيين الذين يشغلون بيوتا للمماليك أو غيرهم وبصفة عامة جميع الذين يسكنون المدينة أن يتبعوا فيما يختص بمسائل الشرطة ، ما جاء بالمنشور الذى أصدرته أخيراً والذى بموجبه يتعين على جميع الاتراك أن يضيئوا منازلهم ليلاً وأن يرشوها بالمياه ويكنسوها مرتين كل يوم وعلى الفرنسيين أن يكونوا السكان البلادقدوة حسنة للنظام وإذا لم يكن هذا الاعتبار كافياً فان اعتباراً آخر أهم يملى عليهم هذا الموقف ألا وهو مصلحتهم الشخصية وهم يعلمون أن مثل هذه الأوامر تصدر خصيصاً لهم.والأمر برش الشوارع القصد منه تجنبهم العدوى بوباء الطاعون ، وفرضت الإضاءة لحمايتهم من الاغتيالات ومن الحماقة أن يتجاهل هذه الاجراءات أولئك الذين ينتفعون بها " الامضاء دبوى راجع كوربيه دى ليجيبت ، العدد ٩ ، ص ٢٥

٣- ما بين القوسين حذفه الجبرتى من"عجائب الآثار"وكما هو واضح أن ذلك تجنى على الفرنسيين وبعداً عن الموضوعية.

٤- فى النسخة (ب) "مسلوك" .

، والإنكليز واقفون بطريق البحر يمنعون المسافرين ، ولا نقدر على المقام فى الأسكندرية (١) من الغلا وعدم الماء بها فتركوهم (٢)

وفيه جعلوا إبراهيم أغا [ص ٦٣] المتفرقة (٣) المعمار قبطان السويس ، وسافر معه أنفار ببيرق فرنساوى فخرجوا عليهم(٤) العربان فى الطريق ، فنهبوهم وقتلوا إبراهيم أغا المذكور ومن بصحبته ، ولم يسلم منهم إلا القليل.

وفيه أهمل أمر الديوان الذى يحضره المشايخ ببيت قايد أغا ، فأقاموا أياماً يذهبون فلا يأتيهم أحد ، فتركوا الذهاب فلم يطلبوا .

وفيه شرعوا فى ترتيب ديوان ، آخر ، وسموه محكمة القضايا(٥) ، وكتبوا

١- فى النسخة (ب) "ولا نقدر على الاقامة باسكندرية"

٢- فى النسخة (ب) "فتركهم". وكذلك فى (جـ) .

٣- المتفرقة : هو أحد الأوجاقات العسكرية العثمانية بمصر ، أسس فى مصر لأول مرة بعد إعلان قانون نامة بثلاثين عاماً أى فى ١٥٥٤م من المماليك الذين كانوا يعملون من قبل فى خدمة الباشا ، ومن الجند الذين كانوا يحرسون القلاع الرئيسية لمصر ، وقد أسس هذا الأوجاق لمواجهة النفوذ المتزايد للأوجاقات الأخرى ، ولتقوية مركز الباشا بالنسبة لهم ، وكان هذا الأوجاق خليطاً من المشاة والفرسان واختصت المتفرقة بالدفاع عن حدود مصر وتغورها . د/ ليلى عبد اللطيف :مرجع سابق ص ٢٠٤.

٤- فى النسخة (ب) " فصادفوهم"

٥- أنشأ "بونابرت" مكتب لتسجيل الممتلكات ومهمته هى التحقق مما يخص المماليك ومن ثم الجمهورية ، وما يخص الأفراد ويتوجب على هؤلاء الأخيرين إثبات ملكيتهم بحجة ، ويجرى فرض الضرائب على جميع حالات نقل الحيازة ، وامتد اختصاص المحكمة التجارية التى أنشأها بونابرت إلى شئون الميراث والشكاوى الرسمية بل اصبح لها صلاحيات فى مجال الاحوال الشخصية ، أحد المجالات الأكثر أساسية للشريعة الإسلامية ، وسبب هذا الاجراء فى مجموعه كارثة حقيقة بالنسبة للمصريين فهذه المحكمة تعطى مساواة عددية للمسيحين والمسلمين ويرأسها ملطى راجع د/ هنرى لورنس - مرجع سابق ، ص ٢٠٦ وكوريه دى ليجيبت - العدد١٢ ، ص ٣٢ ، حيث نشر نص القرار .

فى شان ذلك طوماراً ، وشرطوا فيه شروطاً [بألفاظهم ، يعافها الطبع ، ويمجها السمع](١) ورتبوا به ستة من القبطة ، وستة من تجار المسلمين ، وقاضيه الكبير ملطى القبطى ، الذى كان كاتباً عند أيوب بيك الدفتردار ، وفوضوا إليهم(٢) القضايا فى أمور التجار والعامة . والمواريث والدعاوى ، وجعلوا لذلك الديوان [قواعد من الخبث وأساساً من الكفر ، ودعايم من الظلم](٣) وأركاناً من البدع السيئة ، وكتبوا نسخاً [من ذلك كثيرة ، أرسلوا منها إلى الأعيان ، ولصقوا نسخاً](٤) فى مفارق الطرق ، وروس العطف ، وأبواب المساجد ، وشرطوا فى ضمنه شروطاً وفى ضمن تلك الشروط شروطاً أخر ، "وذلك بتعبيراتهم الكثيفة وألفاظهم السخيفة "(٥) محصلها التحيل على سلب أموال الناس ، ونزع ما بأيديهم من مال وعقار وميراث وغير ذلك ، كقولهم وما يفهم بعد التأمل الكبير فى عبارتهم بأن أصحاب الأملاك يأتون بحجتهم وتمسكاتهم ، الشاهدة (٦) لهم

١- العبارات التى بين قوسين حذفها الجبرتى من عجائب الآثار حيث أصبح أقل حدة وأكثر حيدة.

٢- فى النسخة (ب) "إليه " أى إلى الديوان . أو إلى ملطى . وكلمة "القضايا " غير موجودة فى النسخة (جـ) .

٣- ما بين القوسين محذوف من عجائب الآثار .

٤- ما بين المعكوفتين سقط سهواً من ناسخ المخطوطة (ب)

٥- العبارة التى بين القوسين حذفها الجبرتى فى عجائب الآثار وكتب بدلها الآتى: "بتعبيرات سخيفة يفهم منها المراد بعد التأمل الكثير ، لعدم معرفتهم بقوانين التراكيب العربية فهو بينما يتهكم علي اسلوبهم فى مظهر التقديس بأسلوب لاذع فرنه يخفف حدة التهكم في "عجائب الآثار" بل ويبرر سبب ركاكة أسلوبهم بعدم معرفتهم التراكيب العربية . عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص ٢٠.

٦- فى النسخة (ب) "وسنداتهم الناطقة "

بالتمليك ، فإذا أحضروها وبينوا وجه تملكهم لها ، إما بالبيع أو الانتقال لهم بالإرث عن أسلافهم ، لا يكتفى بذلك بل يومر بالكشف عليها فى السجلات ، ويدفع على ذلك الكشف دراهم بقدر عينوه فى ذلك الطومار ، فإن وجد تمسكه مقيداً بالسجل ، طلب منه بعد ذلك [ص ٦٤] الثبوت ، فإن أثبته بشهادة البينة ، وقبلوها، دفع مقداراً آخر على ذلك الإشهاد ، وكتب بذلك تصحيحاً ، ثم يكتب له بعد ذلك تمكين ، وينظر بعد ذلك فى قيمته ، ويدفع على كل ماية اثنين ، فإن لم يكن له حجة ، أو كانت ولم تكن مقيدة بالسجل ، أو مقيدة ولم يثبت ذلك التقييد ؛ فإنها تضبط لديوان الجمهور ، وتصير من حقوقهم [وهذا من أخبث التحيل على نزع الأملاك والعقارات من أيدى أربابها] (١) وذلك أن الناس إنما وضعوا أيديهم على أملاكهم ، إما بالشرا أو بأيلولتها لهم من مورثهم ، أو نحو ذلك بحجة قريبة أو بعيدة العهد ، أو بحجج أسلافهم ومورثيهم(٢) فإذا طولبوا بإثبات مضمونها وسجلاتها ، تعسر أو تعذر ، لحادث الموت أو الأسفار أو ربما حضرت الشهود فلم تُقبل ، فإن قبلت فعل به ما ذكر . ومن الشروط مقررات على المواريث والموتى ، ومقاديرها متنوعة فى القلة والكثرة ، كقولهم إذا مات الميت يشاور عليه ، ويدفعون قدراً للمشاورة ، ويفتحون تركته بعد أربعة وعشرين ساعة ، فإن بقيت أكثر من ذلك ، ضبطت للديوان أيضاً ، ولاحق فيها للورثة ، وإن فتحت على الرسم بإذن من الديوان ، يدفع على ذلك الإذن مقرراً وكذلك على ثبوت الورقة ، ثم عليهم بعد قبض ما يخصهم مقرر وذلك بزيادة كثيرة ، وكذلك من يدعى ديناً على الميت يثبته بديوان

١- هذه العبارة حذفت من عجائب الآثار وكتب بدلها :" وهذا شئ متعذر " حيث يخف الجبرتى من حدة أسلوبه

٢- فى النسخة (ب) "ومواريثهم " وهى خطأ والأصوب ما أثبتناه من باقى النسخ .

الحشريات[1] ويدفع على إثباته مقرراً ويأخذ له ورقة يستلم بها دينه ، فإذا استلمه ، دفع المقرر الزايد ، ومثل ذلك فى الالتزام والرزق [2] والأطيان ، بشروط وأنواع وكيفية أخرى غير ذلك ، والهبات والمبيعات والدعاوى والمنازعات والمشاجرات والإشهادات الجزئيات [ص ٦٥] والكليات والمسافر كذلك لا يسافر إلا بورقة ويدفع عليها مقرراً ، وكذلك المولود إذا ولد ، ويقال له إثبات الحياة ، وكذلك المؤاجرات وقبض أجر الأملاك [3] وغير ذلك .

وفيه ، نادى أصحاب الدرك على العامة بترك الفضول والكلام فى أمور الدولة ، وإذا مرّ عليهم جماعة من العسكر مجروحين أو منهزمين لا يسخرون منهم [4] ولا يصفِّقون عليهم كما هى عادتهم .

وفيه نهبوا أمتعة [5] عسكر الغليونجية الذين كانوا عسكراً عند الأمرا ، فنهبوا ما كان بوكالة على بيك بساحل بولاق وبالجمالية ، وأخذوا متاعهم ومتاع شركايهم ، محتجين بأنهم قاتلوهم مع المماليك وهربوا معهم .

١- فى النسخة (ب) "وكذلك من يدعو ديناً على الميت ليشبه بديوان الحشريات"وفى النسخة (أ) "بديوان الحشر" .

٢- الرزق : كانت مساحات واسعة من الأرض فى جهات عديدة من البلاد ، انعم بها السلاطين السابقون على بعض الناس وأصبح حق الانتفاع بها ينتقل بالميراث للورثة ، واصبح لأصحابها حق الانتفاع وأن يتصرفوا فيها بكافة الوجوه ولا يدفع عنها للروزنامة إلا ضريبة رمزية باسم "مال حماية" نظير حماية رجال الادارة لهذه الأراضى من العبث بها أو السطو عليها . راجع د/ عبد الرحيم عبد الرحمن: الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، مكتبه مدبولى ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٨٦.

٣- فى النسخة (أ) "وقبض أجراً الأملاك" .

٤- فى النسخة(ب) "لا يسرخون بهم" وربما قصده "لا يصرخون بهم" وما أثبتناه من النسخة (أ) هو الأقرب للصواب.

٥- فى النسخة (ب) "حوايج" .

وفيه أحضروا محمد كتخدا أبو سيف الذى كان سرداراً[1] بدمياط من طرف الأمرا ، وكان سابقاً كتخدا حسن بيك الجداوى ، فلما حضر حبسوه بالقلعة ، وحبسوا معه فراشاً لإبراهيم بيك .

وفيه أمروا سكان القلعة بالخروج من منازلهم والنزول[2] إلى المدينة ليسكنوا بها فنزلوا ، وأصعدوا[3] إلى القلعة مدافع ركزوها بعدة مواضع وهدموا بها ابنية [كثيرة ، وشرعوا فى بنا حيطان وكرانك وأسوار ، وهدموا أبنية][4] عالية ، وأعلوا مواطى منخفضة[5] وبنوا على بدنات باب العزب[6] بالرميلة ، وغيروا معالمها ، وأبدلوا محاسنها ، ومحوا ما كان بها من معالم السلاطين وآثار الحكما والعظماء، وسلبوا ما كان بأبوابها العظام وإيواناتها الفخام من الأسلحة والدرق والبلط والخوذات والحراب الهندية وأكر الفداوية ، وهدموا قصر يوسف صلاح الدين ،

١- السردار: لفظ فارسي يراد به كبير العساكر وقائدهم ، وقد استعمل فى مصر كذلك ، وهو ليس رتبة فى الجيش ، واستعمل فى مصر بعد ذلك ، كمنصب يكون بعد ناظر الحربية ، وبيده كل ما يتعلق بالجند من ترتيب ونظام وغيره ، وهو هنا يقصد سردار عساكر دمياط .
أحمد تيمور : مرجع سابق ، ص ٦١.

٢- كلمة "والنزول" غير موجودة فى النسخة (ب) .

٣- فى النسخة (ب) "وطالعوا".

٤- ما بين القوسين سقط من النسخة (أ) وأثبتناه من باقى النسخ .

٥- فى النسخة (ب) "الواطن منخفضة" .

٦- باب العزب : بقلعة الجبل ، يطل على ميدان صلاح الدين ، له بدنتان كبيرتان ، عرف قديماً بباب السلسلة وبباب الاصطبل ، جدده الأمير رضوان كتخدا الجلفى سنة ١٧٤٧م ثم أقيم الممر الذى أمامه سنة ١٨٦٨م والداخل منه يقابله مسجد أحمد كتخدا عزبان .
د/ عبد الرحمن زكى ; مرجع سابق ، ص ٢٢ .

ومحاسن الملوك والسلاطين ، ذوات الأركان الشاهقة ، والأعمدة الباسقة ، {وكذلك ما بها من المساجد ، والزوايا والمشاهد ، وشوهوا المسجد العظيم ، والجامع المشيد الفخيم ، الذى [ص ٦٦] أنشأه صاحب المفاخر ، محمد بن قلاوون الملك الناصر ، فقلعوا منبره ، وشعثوا إيوانه ، وأخذوا أخشابه ، وزعزعوا أركانه وأزالوا المقصورة الحديد البديعة الإتقان ، التى كان يصلى بداخلها السلطان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل } (١)

وفيه عينت عساكر إلى مراد بيك (٢) وذهبوا إليه ببحر يوسف .

وفى يوم الخميس سادس عشره (٣) ، نودى بأن كل من تشاجر مع نصرانى

١- ما بين القوسين حذفه الجبرتى من عجائب الآثار . فهل حقاً شوه الفرنسيون مسجد الناصر قلاوون أم أن الجبرتى يتجنى عليهم ؟

٢- بعد موقعة "الأهرام" فرّ مراد إلى الصعيد وكان بونابرت يحسب لقوة مراد شأناً كبيراً ولذا حاول التفاوض معه عن طريق "المسيو روستى" قنصل النمسا فى مصر على أن يترك له مديرية جرجا وما يليها إلى الشلال ولكن مراد رفض فعزم بونابرت على تجهيز قوة للقضاء عليه ولإخضاع الوجه القبلى . وجعل بونابرت الجنرال "ديزيه" قائد للحملة على الوجه القبلى ، وكانت الحملة مؤلفة من نحو خمسة آلاف من المشاة والفرسان والمدفعية والمهندسين مزودين بالأسلحة والذخائر والمدافع الحديثة والسفن الحربية ، ودلّت وقائع الوجه القبلى على أن المقاومة التى لقيها الجيش الفرنسى فى أنحائه كانت أشد ما أصاب الفرنسيين فى مصر ، لأن طبيعة البلاد فى الصعيد ، وبُعد المسافات ، وصعوبة المواصلات ، وأخلاق السكان ، جعلت الجيش الفرنسى يقابل حركات ثورية ذات صبغة حربية منظمة ، ويذكر الرافعى أن الحملة قد أقلعت من مصر القديمة والجيزة فى أواخر أغسطس ١٧٩٨م لمزيد من المعلومات راجع عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ٣٢٨ وما بعدها. ولكن الجبرتى يوردها هنا بتاريخ يوم الخميس ١٦ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨م .

٣- يوم الخميس ١٦ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨م وهو نفس تاريخ اليوميات العشر السابقة واليوميتين التاليتين ، ويبدو أن الجبرتى ذكر التاريخ هنا ليذكر القارئ بالتاريخ الذى يقصده .

أو يهودى ، أو تشاحن معه نصرانى أو يهودى ،[1] يشهد أحد الخصمين على الآخر ، ويطلبه لبيت صارى عسكر .

وفيه قتلوا شخصين وطافوا بروسهما وهم ينادون عليهما ويقولون "هذا جزا من يأتى بمكاتيب من عند المماليك أو يذهب [2] إليهم بمكاتيب" .

وفيه ، نبهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى بالترب القريبة من المساكن ، كتربة [3] الأزبكية والرويعى ، ولا يدفنون الموتى إلا بالقرافات البعيدة ، والذى ليس له تربة بالقرافة يدفن ميته فى ترب المماليك ، وإذا دفنوا يبالغوا فى تسفيل الحفر . ونادوا أيضاً بنشر الثياب والأمتعة والفرش بالأسطحة عدة أيام ، وتبخير البيوت بالبخورات المذهبة للعفونة كل ذلك خوفاً من حصول الطاعون "وعدوه"[4] ويقولون أن العفونة تستجن بأغوار الأرض ، فإذا دخل الشتا وبردت الأغوار ، بسريان النيل والأمطار والرطوبات ، خرج ما كان مستخباً[5] بالأرض من الأبخرة الفاسدة ، فيتعفن الهوا ويفسد ، فيحدث الوبا والطاعون . ومن قولهم أيضا أنه إذا مرض مريض ، لابد من الإخبار عنه ، فيرسلون من جهتهم حكيماً [6] للكشف عليه ، إن كان بالطاعون أو غيره ، ثم يرون رأيهم فيه بعد ذلك [7]

١- هذه العبارة مرتبكة وغير واضحة فى النسخة (ب) ، ولكنها واضحة فى بقية النسخ ما عدا كلمة " أو تشاحن" كتبت فى (جـ) " أو تشاجر ".

٢- فى النسخة (ب) ويروح اليهم بمكاتيب .

٣- فى النسخة (ب) "كبركة " . وربما المقصود " كتربة بركة الأزبكية " .

٤- هكذا فى جميع النسخ وربما المقصود "وعدواه" .

٥- فى النسخة (ب) "مخبأ " . وفى النسخة (أ) "مستجناً " وما أثبتناه بالمتن من النسخة (جـ)

٦- فى النسخة (ب) "حكما" .

٧- لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع والأوامر التى أصدرها الفرنسيون بشأن الطاعون. راجع كورييه دى ليجيبت ، العدد ١٢ ، ص ٣٤ .

وفى يوم السبت ثامن عشره (١) ، ذهبت [ص ٦٧] جماعة من القواسة الذين يخدمون الفرنسيس وشرعوا فى هدم التراكيب المبنية على المقابر بترب الأزبكية ، وتمهيدها بالأرض ، فشاع الخبر بذلك ، وتسامعوا أصحاب الترب بتلك البقعة ، فخرجوا من كل حدب ينسلون ، وأكثرهم النسا الساكنات (٢) بحارات المدابغ وباب اللوق وكوم الشيخ سلامة والفوالة والمناصرة وقنطرة أمير حسين وقلعة الكلاب ، إلى أن صاروا كالجراد المنتشر ، ولهم صياح وضجيج ، واجتمعوا بالأزبكية ووقفوا تحت بيت صارى عسكر ، فنزل لهم التراجمون واعتذروا بأن صارى عسكر لا علم له بذلك الهدم ولم يأمر به ، وإنما أمر بمنع الدفن فقط ، فرجعوا إلى أماكنهم ورفع الهدم عنهم .

وفيه ، كتبوا من المشايخ كتاباً ليرسلوه إلى السلطان ، وآخر إلى شريف مكة ، ثم إنهم بصموا منه عدة نسخ ، ولصقوها بالطرق والمفارق (٣) وصورته ملخصاً :" بعد الصدر وذكر ورودهم وقتالهم مع المماليك وهروبهم ، وأن جماعة من العلما ذهبت إليهم بالبر الغربى فأمنهم ، وكذلك الرعية دون المماليك ، وذكر فيه أنه من أخصا السلطان ، وأعدا أعدايه ، وأن السكة والخطبة باسمه ، وشعاير الإسلام مقامة على ما هو عليه ، [وباقى الكلام المموه الذى ذكروه بمعنى الكلام السابق من كذبهم وقولهم إنهم مسلمون] (٤) ويحترمون النبى والقرآن ، وأنهم

١- يوم السبت ١٨ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ٢٩ سبتمبر ١٧٩٨م .

٢- فى النسخة (ب) " النساء الساكنون" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٣- فى النسخة (ب) "وأرموها بالطرق والأزقة "

٤- العبارة التى بين القوسين كتبها الجبرتى في عجائب الآثار هكذا " وباقيه بمعنى الكلام السابق من قولهم انهم مسلمون " عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٢١ .

أوصلوا الحجاج المشتتين وأكرموهم ، وأركبوا الماشى ، وأطعموا الجيعان ، وسقوا الظمآن ، واعتنوا بيوم الزينة ، يوم جبر البحر(١) وعملوا له شناناً وروىقاً (٢) ، استجلاباً لسرور المؤمنين ، واتفقوا أموالاً برسم الصدقة على الفقرا ، وكذلك اعتنوا بالمولد النبوى ، وانفقوا اموالاً فى شان انتظامه وعلو شانه ، واتفق رأينا ورأيهم على [ص ٦٨] لبس حضرة الجناب المكرم مصطفى أغا كتخدا بكر باشا والى مصر حالاً ، فاستحسنا ذلك لبقاء علقة الدولة العلية ، وهم أيضاً مجتهدون فى إتمام مهمات الحرمين وأمرونا أن نعلمكم بذلك إلى آخره والسلام" (٣)

وفيه وقعت حادثة جزئيه ، من جملة الجزئيات ، وهو أن رجلاً صيرفياً بخط الجمالية بجوار حارة الجوانية ، وقع من لفظة (٤) أنه قال " السيد أحمد البدوى

١- فى النسخة (ب) " يوم جبر الجبر " وهو خطأ من الناسخ لأن المقصود يوم جبر البحر ، أى يوم وفاء النيل لمستوى الستة عشر ذراعاً اللازمة لكسر السد عند فم الخليج .

٢- ربما المقصود "شاناً "وفى النسخة (ب) كتبت هكذا " شنادنا " .

٣- نشرت هذه الرسالة فى : كوربيه دى ليجيبت - العدد ٦ ص ١٣٥ ولقد سبق هذه الرسالة ، رسالة أخرى أرسلها بونابرت للشريف غالب فى ٢٥ أغسطس ١٧٩٨ وهذا نصها:"إلى شريف مكة :-إننى إذ أخطركم بدخول الجيش الفرنسى مصر أعتقد أنه من الواجب أن أطمئنكم على عزمى الوطيد على أن أحمى بكل السبل رحلة الحجيج إلى مكة ، وستظل المساجد وكل الأوقاف التى لمكة والمدينة فى مصر فى حوزتهما كما كانت فى الماضى إننا أصدقاء للمسلمين ولعقيدة الرسول ، ونحن راغبون فى القيام بكل ما من شانه أن يسركم ويكون فى صالح الدين وإنى لأرغب فى أن تعلنوا فى كل مكان أن قافلة الحج لن تعانى من أى توقف ، ولن تخشى شيئاً من الأعراب. بونابرت"راجع د/ محمد زكريا عنان : مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد و نابليون ، الدارة السعودية ، العدد الرابع ١٤١٦هـ / ص ٧ .

٤- فى النسخة (ب) "من لسانه" .

بالشرق ، والسيد إبراهيم الدسوقى ، بالغرب يقتلان كل من يمر من النصارى" [وكان هذا الكلام بمحضر من النصارى] الشوام (١) فجاوبه بعضهم وأسمعه قبيح القول ، ووقع بينهما التشاجر.فقام النصرانى وذهب إلى "دبوى"، ووقع بينهما التشاجر فقام النصرانى وذهب إلى "دبوى"، وأخبره بالقصة ، فأرسل فقبض على ذلك الصيرفى ، وحبسه وسمّر حانوته ، وختم على دارين له ، فتشفع فيه المشايخ عدة مرار ، فأطلقوه بعد يومين ، وأرسلوه إلى بيت البكرى ليؤدب هناك بالضرب ، أو يدفع خمساية ريال فرانسة ، فضرب فى بيت البكرى ماية سوط وأطلق إلى سبيله ، وكذلك أفرجوا عن بقية المسجونين .

وفى يوم الاثنين ، (٢) طافوا أصحاب الدرك على الأخطاط والوكايل ، فكتبوا أسماها وأسما البوابين ، وأمروهم أن لا يسكنون أحداً من الأغراب ، ولا يطلقون أحداً يسافر إلا بإذن من أغاة مستحفظان .

وفى يوم الثلاثا (٣) عمل المولد الحسينى ، وكان العزم تركه فى هذا العام ، فدسّ بعض المنافقين دسيسة عند الإفرنج ، وذلك أنه وقعت المذاكرة بأن من المعتاد أن يعمل مولد الحسين بعد مولد النبى ، فقال بونابارته :"ولماذا لم يعملوه " فقال ذلك المنافق :" غرض الشيخ السادات عدم عمله إلا إذا حضر المسلمون" فبلغ الشيخ السادات ذلك فشرع [ص ٦٩] فى عمله على سبيل الاختصار ، وحضر صارى عسكر وشاهد "الوقدة"، ورجع إلى داره بعد العشا .

١– ما بين القوسين سقط من ناسخ المخطوطة (أ) .

٢–يوم الاثنين ٢٠ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق أول أكتوبر ١٧٩٨م .

٣– يوم الثلاثاء ٢١ ربيع الآخر ١٢١٣هـ ١٢ أكتوبر ١٧٩٨م

وفيه حضروا (١) علما الأسكندرية وأعيانها وكذلك رشيد ودمياط ، وبقية البنادر،باستدعا صارى عسكر ، ليحضروا الديوان الشارعين فيه لترتيب النظام الذى سبقت الإشارة إليه (٢)

وفيه سافر أيضاً جماعة من الفرنسيس إلى جهة مراد بيك ومن معه و التقوا معهم وترامو ساعة ، ثم انهزموا عنهم ، وأطمعوهم فى أنفسهم فتتبعوهم إلى أسفل جبل اللاهون ، ثم خرجوا عليهم على مثل حالهم رجالاً ، [وترامو معهم أرسالا ، وكانوا رتبوا عساكرهم طوابير ، وأكمنوا كميناً مخبورين مشاهير ، فلما تلاقى الفئتان ، وترامى الفرقتان ، وعلا بينهما الغبار ، "واسود وجه النهر "(٣) ؛ كبست عند ذلك الطوابير بالسيوف ، فأذاقوهم كأس الحتوف ، وأثخنوهم قتلاً ذريعاً ، وتركوا أكثرهم صريعاً ، فولوا على أدبارهم إلى جهة البحر منهزمين ، وللنجاة طالبين ، فخرج عليهم ذلك الكمين ، فقطع منهم الأعناق ، وتركهم طرحى (٤) فى الأملاق (٥) والذى نجى منهم بالسباحة والهرب ، تلقفته طايفة

١- فى النسخة (جـ) "حضر" وما أثبتناه من باقى النسخ هو الأقرب للصواب والأقرب لأسلوب المؤلف. وقوله "وفيه " يعنى وفى يوم الثلاثاء ٢١ ربيع الآخر / ١٢ أكتوبر وهو تاريخ اليومية التالية أيضاً .

٢- وجاء الخبر كالآتى "يجمع الآن فى القاهرة تحت اسم الديوان العام نواب من جميع الأقاليم فى القطر المصرى ، وذلك على أمر القائد العام وقد عقدوا جلستهم الأولى فى ١٦ فاندميير وكان المواطنان مونج وبرتوليه يمثلان الفرنسيين فى هذه الاجتماعات بصفة مندوبين وقد زادت من عظمة هذا الاجتماع الملابس الإسلامية الجميلة ورزانة وهدوء أصحابها مع من كان يرافقهم من كثرة الأتباع . ولقد اختير الشيخ عبد الله الشرقاوى رئيساً للاجتماع وسنحيط قراءنا علماً بما ستقوم به الهيئة سواء فى المجال السياسى وفى مجال خدمة العلم والحضارة " راجع كورييه دى ليجيبت/العدد ١١ ، ص ٣٠ .

٣- "واسود وجه النهار " غير موجودة فى النسخة (ب) .

٤- فى النسخة (ب) "ملقا " .

٥- الأملاق : جمع ملق أو ملقة وهى القيعان الملساء الصلبة ، وفي العامية هى الأرض الواسعة راجع "المعجم الوجيز ".

العرب ، فاستأصلوا شأفتهم ، واهلكوا كافتهم ، فلم يفلت منهم إلا ماندر ، وغبروا فيمن غبر ، فلما تواتر هذا الخبر ، وتناقل حديثه الناس واشتهر ، سُرَّ الناس باطناً لخذلان أهل الكفر وفرحوا ، واستبشروا ببدء خذلانهم وانشرحوا](١)

وفى ذلك اليوم (٢) سقطت البوابة المصنوعه ببركة الأزبكية ، المقابلة لباب الهوا ، التى كانوا وضعوها فى عيدهم وتقدم شرحها ووصفها ، فتفاعل الناس بسقوط دولتهم أيضاً وسبب سقوطها أنهم لما منعوا الماء من دخوله للبركة وسدوا القنطرة كما تقدم ، رشح الماء فى أرض البركة [ص ٧٠] وتخلخلت الأرض ، فسقطت تلك البوابة

وفى يوم الجمعة رابع عشرينه (٣) نبهوا على المشايخ والاعيان والتجار ، ومن حضر من الاقطار ، بالحضور إلى الديوان العام ، ومحكمة النظام ، بكرة تاريخه ، وذلك ببيت مرزوق بيك بحارة عابدين.

فلما أصبح يوم السبت (٤) أعادوا التنبيه بحضورهم بالديوان القديم ببيت قايد أغا بالأزبكية ، فتوجهت (٥) المشايخ المصرية والذين حضروا من الثغور والبلاد ، وحضر الوجاقات (٦) وأعيان التجار ، ونصارى القبط والشوام ، ومدبروا

١- الفقرة المطولة التى بين القوسين والتى يظهر فيها الجبرتى فرحته بهزيمة الفرنسيين ويصف بطولة المماليك وشجاعتهم ، اختصرها الجبرتى في عجائب الآثار إلى سطرين يقول فيهم " وتراموا معهم وأكمنوا لهم وثبتوا معهم وظهر عليهم المصريون وقتل من الفرنساوية مقتلة كبيرة "عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص ٢٢ .

٢- أى فى نفس يوم معركة جبل اللاهون أو "سد منت" ويذكر الرافعى أن المعركة كانت يوم ١٧ أكتوبر ١٧٩٨م وهذا يوافق الأحد ٢٦ ربيع الآخر ١٢١٣هـ .

٣- يوم الجمعة ٢٤ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ٥ أكتوبر ١٧٩٨م .

٤- يوم السبت ٢٥ ربيع الآخر ١٢١٣هـ الموافق ١٦ أكتوبر ١٧٩٨م

٥- فى النسخة (أ) "فتوجه " وما أثبتناه من باقى النسخ هوالأقرب لأسلوب المؤلف .

٦- فى النسخة (ب) "وحضرت الأجاقلية "

الديوان (١) من الفرنسيس وغيرهم جمعاً موفوراً. فلما استقر بهم الجلوس ، شـ
ملطى القبطى الذى عملوه قاضى(٢) فى قراءة فرمان الشروط ، وفى المناقشـ
فابتدر كبير المدبرين فى إخراج طومار آخر ، وناوله للترجمان ، فنشره وقرأ
ملخصه ومضمونه :الإخبار بأن قطر مصر هو المركز الوحيد ، وأنه أخصب البلا
وكان يجلب إليها المتاجر من البلاد البعيدة ، وأن العلوم والصنايع والقراءات
والكتابة التى يعرفها الناس فى الدنيا أخذت عن أجداد أهل مصر الأول ، ولـ
قطر مصر بهذه الصفات طمعت الأمم فى تملكه، فملكه أهل بابل(٤)واليونانيون
والعرب والترك ، إلا أن الدولة الأشد خراباً له هم الترك ، فإنهم إذا حصّلوا الثـ
قطعوا أصولها ، فلذلك لم يبقوا بأيدى الناس ، إلا النذر اليسير ، وصار الـ
لأجل ذلك مختفين تحت حجاب الفقر ، وقاية لأنفسهم من سوء ظلمهم ، ثـ
الطايفة الفرنساوية (٦) بعدما تمهد أمرهم وبَعُد صيتهم ، بقيامهم بأمور الحـ
اشتاقت أنفسهم لاستخلاص مصر مما هى فيه وإراحة أهلها من تغلب هذه ا
المفعمة (٧) جهلاً وغباوة ، فقدموا وحصل[ص ٧١] لهم النصرة ، ومع ذلـ

١- فى النسخة (ب) "ومدبرين الديوان" وما أثبتناه من باقى النسخ هو الصواب .
٢- " هكذا فى الأصل والصواب "الذى عملوه قاضياً " .
٣- هكذا فى النسخة (أ) وفى النسخة (ب) "والقرآن وهو يقصد "القراءة "
٤- بابل : مدينة فى العراق تنسب إليها الدولة البابلية التى من أشهر ملوكها حمورابى ولكن البابليين لم يحكموا مصر ، وإنما الذين غزوها وحكموها هم الآشوريين ومن بـ الفرس سنة ٥٢٥ ق.م .
٥- بدأ حكم اليونانيين لمصر على يد الإسكندر الأكبر الذى طرد الفرس منها عام ٣٣٢ وبعده حكمت أسرة البطالمة مصر حتى عام ٣١ ق م ثم بعدهم جاء الرومان حتى عا ٦٤٢م عند فتح عمرو بن العاص مصر .
٦- "ثم "غير موجودة فى النسخة (أ) وفى النسخة (ب) "طايفة الفرنساوية ".
٧- كلمة "المفعمة " غير موجودة فى النسخة (ب) .

يتعرضوا لأحد من الناس ، ولم يعاملوا الناس بقسوة ، وإن غرضهم تنظيم (١) أمور مصر ، واجرا خلجانها التى دثرت ، ويصير لها طريقان ، طريق إلى البحر الأسود ، وطريق إلى البحر الأحمر . فيزداد خصبها وريعها ، ومنع القوى من ظلم الضعيف ، وغير ذلك ، استجلاباً لخواطر أهلها ، وإبقا للذكر الحسن . فالمناسب من أهلها تَرك الشغب ، واخلاص المودة ، وأن هذه الطوايف المحضرة من الأقاليم يترتب على حضورها أمور جليلة ، لانهم أهل خبرة وعقل ، فيسألون عن أمور ضرورية ، ويجيبون عنها ، فينتج لصارى عسكر من ذلك ما يليق صنعه " إلى آخر ما سطروه من الكلام [المطول المحرف ، والقول المعوج المزخرف] (٢) قلت ولم يعجبنى فى هذا التركيب إلا قوله [المفعمة جهلاً وغباوة بعد قوله اشتاقت أنفسهم لاستخلاص مصر ، ومن جهله وغباوته أيضاً وكذبه الصريح قوله بعد ذلك : ومع ذلك فلم يتعرضوا لأحد ، إلى آخر العبارة] (٣) ثم قال الترجمان : "نريد منكم يا مشايخ أن تختاروا شخصاً منكم يكون كبيراً (٤) ورئيساً عليكم تمتثلون أمره وإشارته "، فقال بعض الحاضرين :" الشيخ الشرقاوى " فقال :" نونو وإنما ذلك يكون بالقرعة " فعملوا قرعة بأوراق فطلع الأكثر الشيخ الشرقاوى ،

١- فى النسخة (أ) "تعظيم " ولكن الاقرب للصواب ما أثبتناه من باقى النسخ .

٢- هذه العبارة محذوفة من عجائب الآثار .

٣- العبارة التى بين القوسين : يفهم منها أن الجبرتى يتهكم على هذه العبارة ويسخر من قولهم لم يتعرضوا لأحد مشيراًبذلك إلى المصادرات والغرامات التى فرضوها علي الناس بينما فى عجائب الآثار يغير الجبرتى تركيب الجملة حيث يفهم منها أن الجبرتى يبدى إعجابه بعبارة "المفعمة جهلاً وغباوة"وبقوله أنهم لم يتعرضوا لأحد .

٤- كلمة "كبيراً "غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من بقية النسخ .

فقال حينئذ يكون الشيخ (١) عبد الله الشرقاوى هو الرئيس ، فما تم هذا الأمر حتى زالت الشمس ، فأذنوا لهم فى الذهاب ، وألزموهم بالحضور فى كل يوم .

وفيه وقعت كاينة الحاج محمد بن قيمو المغربى التاجر الطرابلسى ، وهو أنه كان بينه وبين بعض نصارى الشوام التراجمين منافسة ، فأنهى إلى عظما الفرنسيس أنه ذو مال وأنه شريك عبد الله المغربى تابع مراد بيك ، فأرسلوا بطلبه ، فذهب إلى بيت الشيخ [ص ٧٢] عبد الله الشرقاوى لنسابة بينهما ، فقال الشيخ للقواسة ، بعد سوالهم عن سبب طلبهم له ، فقالوا لدعوة شرعية ، فقال لهم فى غدٍ أحضروا خصمه ويتداعى معه ، فإن توجه الحق عليه ألزمناه يدفعه ،فرجعت الرسل ، وتغيب الرجل لخوفه ، فبعد مضى مقدار ساعة حضر نحو الخمسين عسكرياً من الفرنسيس (٢) إلى بيت الشيخ ، وطالبوه به ، فأخبرهم أنه هرب ، فلم يقبلوا عذره ، وألحوا فى طلبه ، ووقعت منهم أمور غير لايقة ، فركب المهدى والدواخلى إلى صارى عسكر ، وأخبروه بالقضية ، وبهروب الرجل ، فقال ولأى شئ هرب ، فقالوا من خوفه ، فقال " لولا أن ذنبه (٣) كبير لما هرب وأنتم غيبتموه ، وأظهر الحنق والغيظ ، فلا طفوه واستعطفوا خاطر الترجمان ، فكلمه وسكَّن غيظه ، ثم سأل عن منزله ومخزنه ، فأخبروه عنهما ، فقال يذهب معكما من يختم عليهما حتى يظهر فى غد ، فاطمأنوا لذلك ورجعوا عند الغروب ، وختموا على

١- فى النسخة (ب) " شيخ " جدير بالذكر أن هذه النسخة تحذف الألف واللام من كلمة الشيخ فى مواضع كثيرة خاصة مع الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى . وفى النسخة (جـ) كلمة " حينئذ " غير موجودة وكتب مكانها حرف "ح " وكلمة الشيخ الشرقاوى مكررة

٢- فى النسخة (ب) "حضر نحو خمسين من العسكر بأمر الفرنسيس "

٣- فى النسخة (أ) "جرمه " وكذلك فى (جـ) "جرحه " .

مخازنه ومنزله ، [وأصبحوا نهبوهما وما معهما من الجيران وأموال الشركا والتجار وكانت عنده أمانات كبيرة للناس ، فإنه كان مستأمن عند التجار] (١)

وفى يوم الأحد (٢) ذهبوا إلى الديوان وعملوا مثل عملهم الأول ، حتى تمموا أسماء المنتخبين بديوان مصر والثغور ، من المشايخ والوجاقلية والقبط والشوام وتجار المسلمين ، وذلك الترتيب غير ترتيب الديوان السابق .

وفى يوم الاثنين (٣) اجتمعوا بالديوان ، ونادى المنادى فى ذلك اليوم بالأسواق على الناس بإحضارهم حجج أملاكهم إلى الديوان والمهلة ثلاثون يوماً ، فإن تأخر عن الثلاثين يضاعف المقرر ، ومهلة البلاد ستون يوماً . ولما تكامل الجمع ، شرع ملطى فى قراءة المنشور وتعداد [ص ٧٣] ما به من الشروط مسطور ، وذكر من ذلك أشيا منها : أمر المحاكم والقضايا الشرعية ، وحجج العقارات ، وأمر المواريث . وتناقشوا فى ذلك حصة من الزمان (٤) ، وكتبوا هذه الأربعة أشيا أرباب ديوان الخاصة ، يدبرون رأيهم فى ذلك وينظرون المناسب والأحسن ، وما فيه الراحة لهم وللرعية ثم يعرضون ما دبروه يوم الخميس وما بين ذلك لهم مهلة ، وانفض المجلس .

شهر جمادى الأولى (٥)

استهل بيوم الخميس (٦) الموعود ، واجتمعوا بالديوان ، ومعهم ما لخصوه

١- ما بين القوسين عند إعادة الجبرتى لكتابته فى عجائب الآثار حذف كلمة "نهب" وخفف من حدة عبارته فيقول "فلما أصبح النهار فلم يظهر الرجل فأخذوا ما وجدوه فيها من البضايع والأمانات" عجائب الاثار ، جـ ٣ ، ص ٢٣ .

٢- يوم الأحد ٢٦ ربيع الاخر ١٢١٣ هـ الموافق ٧ أكتوبر ١٧٩٨م .

٣- يوم الاثنين ٢٧ ربيع الاخر ١٢١٣هـ الموافق ٨ أكتوبر ١٧٩٨م .

٤- فى النسخة (أ) "الزمن" وما أثبتناه من بقية النسخ هو الأصوب .

٥- العنوان من وضع المؤلف بينط المتن .

٦- يوم الخميس غرة جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق١١ أكتوبر ١٧٩٨م .

واستصوبوه فى الجملة ، فأما أمر المحاكم والقضايا ، فالأولى بقاؤها على ترتيبها ونظامها ، وعرفوهم عن كيفية ذلك، ومثل ذلك ما عليه أمر محاكم البلاد ، فاستحسنوا ذلك ، إلا أنهم قالوا نحتاج إلى ضبط المحاصيل وتقريرها على أمر لا يتعدوه القضاه ولا نوابهم ، فقرروا ذلك ، وهو إذا كانت عشرة آلاف فما دونها ، يكون علي كل ألف ثلاثين ، وإذا كانت خمسين ألف فما دونها يكون على [الألف عشرون ، وإذا كان المبلغ ماية ، يكون على] (١) الألف خمسة عشر ، فإن زاد على ذلك فعشرة ، واتفقوا على تقرير القضاة ونوابهم على ذلك وأما حجج العقارات ، فهذا أمر مشق طويل الذيل ، المناسب فيه والأولى أن تجعلوا عليها دراهم من بادى الرأى ، ليسهل تحصليها ، ويحسن عليها السكوت (٢) أعلى وأوسط وأدنى ، وبينوا القدر المناسب ، بتفضيل الأماكن ، وكتبوه وأبقوه حتى يروا الأخرون رأيهم فيه ، وانفض الديوان . (٣)

وفى ذلك اليوم (٤) نودى فى الأسواق بنشر الثياب والأمتعة خمسة عشر يوماً ، وقيدوا على مشايخ الأخطاط والحارات والقلقات بالفحص والتفتيش ، فعينوا لكل حارة امرأة ورجلين ، يدخلون البيوت للكشف عن ذلك ، فتطلع المرأة [ص ٧٤] إلى أعلى الدار وتخبرهم عن نشر الثياب ، ويعطوهم بعض دراهم ، ويذهبون بعد

١- ما بين القوسين سقط سهواً من ناسخ المخطوطة (جـ) .

٢- كلمة السكوت لا تتفق مع سياق الجملة وربما يكون أصل الجملة هكذا " ويحسن عليها أن تكون أعلى وأواسط وأدنى " .

٣- كلمة الديوان غير موجودة فى النسخة (ب) وأثبتناه من بقية النسخ

٤- يوم الخميس غرة جمادى الأولى ١١ أكتوبر ١٧٩٨ م .

التأكيد على أهل المنزل وشدة التعنت ، وأنهم بعد أيام يأتى إليهم جماعة الإفرنج ، ويطلعون أيضاً يفتشون ، وكل ذلك حتى تذهب من الثياب رايحة الطاعون، وكتبوا بذلك أوراقاً لصقوها بحيطان الأسواق على عادتهم فى ذلك .

وفيه (١) حضر لبيت البكرى حجم غفير من أولاد الكتاتيب والفقها والعميان المؤذنين وأرباب الوظايف والمستحقين من الممرورين والزمنا والمرضى بالمارستان المنصورى (٢) وأوقاف عبد الرحمن كتخدا ، وشكوا من قطع رواتبهم وخبزهم ، فإن جميع الأوقاف تعطل إيرادها ، وانقطع راتبها ، واستولى على نظارة الأوقاف النصارى القبط والشوام ، وجعلوا ذلك مغنماً لهم . فلما اجتمعوا بضجتهم وصياحهم ، قواعدوهم على حضورهم الديوان ، وينهوا شكواهم ويتشفعوا لهم- فذهبوا راجعين .

[وفيه قدمت مراكب من جهة الصعيد ، وفيها عدة من العسكر مجاريح ومشوهون] (٣)

١- أى فى يوم الخميس المذكور سابقاً .

٢-المارستان المنصورى : هذا المارستان بخط بين القصرين من القاهرة كان قاعة ست الملك ابنة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ، إلى أن حصل عليها قلاوون وعوض مالكتها عنها بقصر آخر ، ورسم قلاوون بعمارتها مارستاناً وفيه مدرسة ، فتولى الشجاعى أمر عمارتها وكان سبب البناء نذر قديم لقلاوون إن أتاه الله الملك ليبنى مارستاناً راجع المقريزى – مصدر سابق – جـ ٢ ، ص ٤٠٦ .

٣- هذه اليومية غير موجودة فى النسخة (ب) وجدير بالذكر أن هؤلاء هم جرحى معركة "سدمنت"وهى قرية صغيرة واقعة غربى بحر يوسف فى الجنوب الغربى للاهون وهى متصلة بالجبل الغربى وتابعة الآن لمركز بنى سويف وتسمى (سدمنت الجبل) وكان مراد بك قد جمع قوة كبيرة من أهالى الفيوم فرساناً ومشاة ، وتحصن فى آكام سدمنت وكان عدد قوات مراد ومن انضم إليه من الأهالى يفوق عددهم قوات ديزيه فقوى أملهم فى هزيمته وبالفعل دارت معركة من أشد المعارك هولاً كادت تسحق فيها قوات ديزيه لولا قوة المدفعية الفرنسية وقد بلغت خسائر الفرنسيين كما قدرها الجنرال "برتييه" ٣٤٠ قتيلاً و١٥٠ جريحاً وقدر ديزيه خسائر الجانب المصرى بـ ٤٠٠ قتيلاً وهى من أهم المعارك المهمة فى تاريخ الحملة.لمزيد من التفاصيل راجع / عبد الرحمن الرافعى:مرجع سابق ، جـ١ ص ٣٤٣ .

وفيه وضعوا على التلال المحيطة بمصر بيارق بيضاً فأكثر الناس من اللغط بسبب ذلك ، ولم يعلم أصل ذلك .

وفى يوم الأحد (١) اجتمعوا بالديوان ، وأخذوا فيما هم فيه ، فذكروا أمر المواريث ، فقال "اللعين"(٢) ملطى يا مشايخ أخبرونا عما تصنعوه فى قسمة المواريث ، فأخبروه بفروض المواريث الشرعية ، فقال :" ومن أين لكم ذلك " ، فقالوا :" من القرآن" ، وتلوا عليهم بعض آيات المواريث ، فقال الإفرنج ، نحن عندنا لا نورث الولد ونورث البنت ، ونفعل كذا وكذا ، بحسب تحسين عقولهم ، لأن الولد أقدر على التكسب من البنت ، فقال مخاييل [ص ٧٥] كحيل الشامى – وهو من الديوان أيضاً – نحن والقبطة يقسم لنا مواريثنا المسلمون ، ثم التمسوا من المشايخ أن يكتبوا لهم كيفية القسمة ودليلها ، فسايروهم وواعدوهم بذلك وانفضوا(٣) .

وفى ذلك اليوم (٤) عزلوا محمد أغا المسلمانى أغاة مستحفظان ، وجعلوه كتخدا أمير الحاج ، واستقروا بمصطفى أغا تابع عبد الرحمن أغا مستحفظان

١- يوم الأحد : ٤ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٧٩٨م .

٢- كلمة "اللعين " حذفها الجبرتى من عجائب الآثار .

٣-قبل مقدم الحملة الفرنسية على مصر كان الأقباط يلجئون إلى قضاة الشرع الإسلامى فى أخص أمورهم مثل "تقسيم التركات " وكان القاضى يقوم بتقسيم ذلك تبعاً للفريضة الشرعية الإسلامية وذلك لأنه لا يوجد فى المسيحية قواعد لتقسيم الميراث . لمزيد من المعلومات راجع / عبد الرازق عيسى : القضاة فى مصر فى العصر العثمانى ١٥١٧:١٧٩٨م رسالة ماجستير تحت الطبع ، سلسلة تاريخ المصريين ، آداب عين شمس ١٩٩٤ .

٤- يقصد يوم الأحد ٤ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٧٩٨م .

سابقاً عوضاً عنه ، ونودى بذلك . (١)

وفى يوم الاثنين (٢) عملوا الديوان ، وكتبوا لهم كيفية قسمة المواريث ، وفروض القسمة الشرعية ، وحصص الورثة ، والآيات المتعلقة بذلك ، فاستحسنوا ذلك .

وفى يوم السبت عاشر جمادى الأولى (٣) عملوا الديوان ، وأحضروا قايمة مقررات الأملاك والعقار ، فجعلوا الأعلى ثمانية فرانسة ، والأوسط ستة ، والأدنى ثلاثة ، وما كان أجرته أقل من ريال (٤) فى الشهر فهو معاف ، وأما الوكايل والخانات والحمامات (٥) والمعاصر والسيارج (٦) والحوانيت فمنهم من جعلوا عليه ثلاثين وأربعين ، وكل شئ بحسابه ، وكتبوا بذلك مناشير(٧) على عادتهم ، ولصقوها بالمفارق والطرق ، وأرسلوا منها نسخاً للأعيان ، وعينوا المهندسين ، ومعهم أشخاص لتمييز الأعلى من الأدنى ، وتقييد الأسما . ولما أشيع ذلك فى

---

١ – "عين القائد العام الأمير مصطفى أغا تابع عبد الرحمن أغا خلفا لأغا الأنكشارية المكلف بإدارة شرطة مدينة القاهرة ، وكان لهذا التعيين وقع جميل بين سكان القاهرة ولما كان الهدوء والطمأنينة فى هذه المدينة الكبيرة يتوقفان إلى حد كبير علي هذا الأغا ؛ فقد لزم اختيار الرجل المشهود له بالأمانة والحزم للقيام بمثل هذه الوظيفة الهامة وقد أجمع الرأى العام على اختيار الأمير مصطفى ،راجع كوريبه دى ليجيبت العدد ١٢ ص ٣٤ .

٢– يوم الاثنين ٥ جمادى الأولى الموافق ١٥ أكتوبر ١٧٩٨م .

٣– يوم السبت ١٠ جماد الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٢٠ اكتوبر ١٧٩٨م .

٤– فى النسخة (ب) تكتب دائماً "اريال" بدلاً من ريال.

٥– فى النسخة (ب) "الحماميم".

٦– فى النسخة (أ) "الشيارج"

٧– يقصد " منشورات " .

الناس كثر لغطهم واستعظموا ذلك ، والبعض استسلم للقضا ، فانتبذ جماعة من العامة (١) وتناجوا في ذلك ، ووافقهم على ذلك بعض المتعممين الذين لم ينظروا في عواقب الأمور ، ولم يتفكر أنه في القبضة مأسور ، [وأن الملاعين الكفار ، مالكون القلاع والأسوار ، ومحصنون الجميع ، بآلات الحرب المنيع] (٢) فتجمع الكثير من الغوغا من غير رئيس يسوسهم ، [ص ٧٦] ولاقائد يقودهم .

ثورة القاهرة الأولى (٣)

وأصبحوا يوم الأحد(٤) متحزبين ، وعلى الجهاد عازمين ، وأبرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح ، وآلات الحرب والكفاح ، وحضر السيد بدر وصحبته حشرات الحسينية (٥) وزعر الحارات البرانية ، ولهم صياح عظيم وهول جسيم ، ويقولون

١- في النسخة (ب) "استسلم للقضاة فأقام جماعة من العامة " والأصوب ما نقلناه من بقية النسخ .

٢- ما بين القوسين محذوف من عجائب الآثار .

٣- العنوان من وضع المحققين .

٤- يوم الأحد ١١جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق٢١أكتوبر ١٧٩٨م.

٥- يذكر ابن عبد الظاهر أن الحسينية منسوبة لجماعة من الأشراف الحسينيين كانوا في الأيام الكاملية قدموا من الحجاز فنزلوا خارج باب النصر ، بهذه الأمكنة واستوطنوها وبنوا بها مدابغ صنعوا بها الأديم المشبه بالطائفي فسميت الحسينية ثم سكنها الأجناد بعد ذلك وابتنوا بها هذه الأبنية العظيمة - ولكن المقريزي نقد أمر تسمية الحسينية نسبة إلى الأشراف الحسينيين الذين أتوا إلى مصر في أيام الكامل الأيوبي ، ورجح أن التسمية أقدم من هذا وأرجعها إلى زمن الحاكم الفاطمي وهذا ما نميل إليه ونؤيده . راجع فتحي حافظ الحديدي : مرجع سابق ، ص ٦٧.

بصياح فى الكلام "نصر الله دين الإسلام"، فذهبوا إلى بيت قاضى عسكر (١) وبه من سبقهم ممن على شاكلتهم نحو ألف وأكثر ، فخاف القاضى العاقبة وأغلق أبوابه ، وأوقف حجابه ، فرجموه بالحجارة والطوب ، وطلب الهرب فلم يمكنه الهروب ، وكذلك اجتمع بالجامع الأزهر ، العالم الأكبر ، وفى ذلك الوقت حضر "اللعين"(٢) دبوى بطايفة من فرسانه ، وعساكره وشجعانه ، فمر بشارع الغورية (٣) وعطف على خط الصنادقية ، وذهب إلى بيت الشرقاوى فلم يجده ، فذهب إلى بيت القاضى ، فوجد ذلك الزحام ، فخاف وخرج من بين القصرين وباب الزهومة ، وتلك الأخطاط بالخلايق مزحومة ، فبادروا إليه وضربوه ،

١- قاضى عسكر : كان قاضى العسكر هو رئيس الهيئة القضائية فى القاهرة فى العصر العثمانى فهو صاحب الولاية القضائية على قضاة محاكم القاهرة وإن لم يكن له سلطة على قضاة الأقاليم وكان قاضى العسكر يعين بموجب براءة سلطانية بناء على ترشيح قاضى عسكر الأناضول وهو بالتالى مسئول أمامه ، وكان له نائباً وهو دائماً يأتى معه من استانبول ، ويكون تعيين النائب دائماً مصاحباً لتعيين قاضى العسكر نفسه . وعند قدوم الفرنسيين كان قاضى العسكر من ضمن من فر هارباً من مصر وبقى أولاده وعين بونابرت الشيخ أحمد العريشى قاضياً للعسكر واتخذ معظم من تعرض لدراسة هذه النقطة أن أحمد العريشى هو أول قاضى عسكر مصرى فى العصر العثمانى ولكننا استطعنا أن نكشف زيف هذه النظرة فهناك غيره مثل الشيخ شهاب الدين الخفاجى المصرى " لمزيد من المعلومات راجع / عبد الرازق عيسى ، مرجع سابق،ص ٦٥ وما بعدها .

٢- كلمة " اللعين " حذفت من عجائب الآثار .

٣- الغورية :عرف هذا الحى باسم"سوق الشرابشين"وكانت به دكاكين لصناعة وخياطة الملابس السلطانية ثم سمي بالغورية نسبة إلى السلطان الغورى الذى أنشأ به مجموعة من المبانى ، تتكون من مدرسة وقبة وسبيل وكتاب ومنزل لسكن شيخ المدرسة ثم وكالة كبيرة بشارع التبلطية وخلفها حمام معروف باسم حمام العرائس .
د/ عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ، ص ١٦٨.

وأثخنوا جراحاته وقتلوه ، وقتل الكثيرمن فرسانه (١) وأبطاله وشجعانه ، [وذهبوا إلى السعير وبئس المصير](٢) فعند ذلك أخذ المسلمون حذرهم وخرجوا يهرعون ، ومن كل حدب ينسلون ، ومسكوا الأطراف الدايرة ، ومعظم أخطاط القاهرة ، كباب الفتوح (٣)وباب النصر(٤) والبرقية (٥) إلى باب زويلة (٦) وباب الشعرية(٧)

١- فى النسخة (ب) "قتل الكثير من الفرانسي" ولكن الأصوب الذى أثبتناه من بقية النسخ .

٢- ما بين القوسين حذفه الجبرتى من عجائب الآثار ، والهدف طبعاً واضح .

٣- باب الفتوح : أحد أبواب القاهرة وكان موضعه حينما أسس جوهر القاهرة قريباً من رأس حارة بين السيارج ، فلما جدد بدر الجمالى السور ١٠٨٧م أنشأ بابى النصر والفتوح فى موضعيهما الحاليين وربطهما بسور يوصل بينهما بطرق وسراديب ، وهذا الباب يتكون من برجين مستديرين يتوسطهما المدخل. عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ، ص ٢٣

٤- باب النصر : بناه جوهر الصقلى وكان يقع على بعد عشرين متراً إلى شمال جامع الشهداء المعروف أيضاً باسم وكالة قوصون بشارع باب النصر تجاه زاوية القاصدين مدخل حارة العطوف وجامع الشهداء ، فلما جدد بدر الجمالى سور القاهرة عام ١٠٨٧م نقل باب النصر والفتوح من مكانهما الأصلى إلى مكانهما الحالى .
راجع :فؤاد فرج : القاهرة ، دار المعارف ١٩٤٦ جـ٣ ، ص ٤١٧ .

٥- باب البرقية الأول :أحد أبواب القاهرة القديمة في سورها الشرقى أنشأه جوهر القائد فى سنة ٩٧٠م وقت إنشاء السور الأول ، وقد عرف باسم باب الغريب أو بوابة الخلاء لوقوعه شرقى جامع الغريب ، وقد جدد هذا الباب بعد جوهر عدة مرات وكان آخرها تجديد عبد الرحمن كتخدا لما جدد جامع الغريب فى سنة ١١٦٨هـ / ١٧٥٤م وقد هدم الباب المذكور عام ١٩٣٦ م عند إنشاء جامعة الأزهر الجديدة .
راجع د/ عبد الرحمن زكى – مرجع سابق ، ص ١٩ .

٦- باب زويلة : وهو أجمل أبواب القاهرة وقد جعله جوهر فى الضلع الجنوبى وهو ينسب إلى قبيلة زويلة وهى من قبائل البربر بشمال أفريقيا وقد انضمت القبيلة إلى جيش جوهر فى حملته لفتح مصر أما الموضع الأصلى لباب زويلة فكان عند مسجد يعرف بابن البناء . فؤاد فرج : مرجع سابق ، ص ٤١٨ .

٧- باب الشعرية : تحدثنا عنه سابقاً . وحول هذه الابواب : راجع ملحق رقم (٥) .

وجهة البندقانيين (1) وما حازاها ، ولم يتعدوا جهة سواها ، وهدموا مصاطب الحوانيت وجعلوا أحجارها متاريس للكرنكة ، لتعوق هجوم العدو فى وقت المعركة ، ووقف دون كل متراس ، جمع عظيم من الناس ، وأما الجهات البرانية ، والنواحى الفوقانية [ص ٧٧] فلم يفزع منهم فازع ، ولم يتحرك منهم أحد ولم يسارع ، وكذلك شذ عن الوفاق ، مصر العتيقة وبولاق (2) وعذرهم الأكبر ، قربهم من مساكن العسكر . ولم تزل طايفة المحاربين ، فى الأزقة متترسين ، فوصل جماعة من الفرنساوية وظهروا فى ناحية المناخلية ، وبندقوا على متراس الشوايين ، وبه جماعة من مغاربة الفحامين ، فقاتلوهم حتى أجلوهم ، وعن المناخلية أزالوهم ، وعند ذلك زاد الحال ، وكثر الرجف والزلزال ، وخرجت العامة عن الحد ، وبالغوا فى القضية بالعكس والطرد ، وأمتدت أيديهم إلى النهب والخطف والسلب ، فهجموا على حارة الجوانية ، ونهبوا دور النصارى الشوام والأروام ، وما جاورهم من بيوت المسلمين على التمام ، وأخذوا الودايع والأمانات ، وسبوا النسا والبنات ،

١- جهة البندقانيين : هو شارع يبدأ من آخرشارع الوراقين ، وينتهى عند شارع الحمزاوى ، وطوله ٦٤متراً ، ولقد سماه المقريزى " خط البندقانيين " وقال عنه : هذا الخط كان قديماً اسطبل الجميزة ، أحد اسطبلات الخلفاء الفاطميين ، فلما زالت الدولة اختط ، وصارت فيه مساكن وسوق يعرف بسوق البندقانيين من جملته عدة حوانيت لعمل قسى البندق . على مبارك : مرجع سابق ، جـ٣ ، ص ١٥٩ .

٢- يذكر الرافعى ذلك بقوله "وتنفيذاً لتعليمات بونابرت وزع الجنرالات "لان" و "فو" وألسكندربوماس" جنودهم بعد الفجر [فجر اليوم الثانى للثورة] فى ضواحى القاهرة لمنع سكانها أن ينحازوا إلى ثوار العاصمة وقد صدَّت القوات الفرنسية جموعاً كثيرة من الأهالى وحالت بينهم وبين العاصمة وبذلك تمكن بونابرت من حصر الثورة فى المدينة وعزلها عن البلاد المجاورة . راجع عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ٢٧٦ .

وكذلك نهبوا خان الملايات ، وما به من الأمتعة والموجودات ، وأكثروا من المعايب ، ولم يفكروا فى العواقب ، وباتوا تلك الليلة سهرانين ، وعلى هذا الحال مستمرين .

وأما الإفرنج فإنهم أصبحوا (١) مستعدين، وعلى تلال البرقية والقلعة واقفين، وأحضروا جميع الآلات ، من المدافع والقنابر والبنبات ، ووقفوا مستحضرين ، ولأمر كبيرهم منتظرين ، وكان كبير الفرنسيس أرسل إلى المشايخ مراسلة ، فلم يجيبوه عنها وملّ من المطاولة ، وهذا والحرب والرمى متتابع من الجهتين ، وتضاعف الحال ضعفين ، حتى مضى وقت العصر ، وزاد القهر والحصر ، فعند ذلك ضربوا بالمدافع والبنبات ، على البيوت والحارات ، وتعمدوا بالخصوص الجامع الأزهر ، وحرروا عليه المدافع والقنبر(٢) وكذلك ما جاوره من الأماكن المحازيين ، كسوق الغورية والفحامين ، فلما سقط [ص ٧٨] عليهم ورأوه ، ولم يكونوا فى عمرهم عاينوه نادوا : "يا سلام ، من هذه الآلام ، يا خفى الألطاف ، نجنا مما نخاف" وهربوا من كل سوق ، ودخلوا فى الشقوق ، وتتابع الرمى من القلعة والكيمان ، حتى تزعزعت الأركان ، وهدمت فى مرورها حيطان الدور ، وسقطت فى بعض القصور ، ونزلت فى البيوت والوكايل ، وأصمت الآذان (٣) بصوتها الهايل ، فلما عظم هذا الخطب ، وزاد الحال والكرب ، ركب المشايخ إلى كبير الفرنسيس ، ليرفع عنهم هذا النازل ، ويمنع عسكره من الرمى

١- صباح يوم الاثنين ١٢ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٢٢ أكتوبر ١٧٩٨م .

٢- فى النسخة (أ) "القنابر" ولكن ما أثبتناه من باقى النسخ هو الأوفق لأسلوب السجع الذى درج عليه المؤلف خاصة عندما يتحدث عن حادثة هامة . وهى هنا على وزن كلمة "الأزهر" فى الجملة السابقة .

٣- فى النسخة (ب) "الأذن" .

المتراسل ، ويكفهم كما انكف (١) المسلمون عن القتال ، والحرب خدعة وسجال ، فلما ذهبوا إليه ، واجتمعوا عليه ، عاتبهم فى التأخير ، واتهمهم فى التقصير ، فاعتذروا إليه فقبل عذرهم ، وأمر برفع الرمى عنهم ، وقاموا من عنده ينادون بالأمان فى المسالك ، وتسامع الناس بذلك ، فردت فيهم الحرارة ، وتسابقوا بالإشارة (٢) والبشارة ، واطمأنت منهم القلوب ، وكان الوقت قبيل الغروب .

وانقضى النهار وأقبل الليل(٣) وغلب على الظن أن القضية لها ذيل ، وأما أهل الحسينية ، والعطوف البرانية ، فإنهم لم يزالوا مستمرين ، وعلى الرمى والقتال ملازمين . ولكن خانهم المقصود ، وفرغ منهم البارود ، والإفرنج أثخنوهم بالرمى المتتابع ، بالقنابر (٤) والمدافع ، إلى أن مضى من الليل نحو ثلاث ساعات ، وفرغت من عندهم الأدوات ، فعجزوا عن ذلك وانصرفوا ، وكف (٥) عنهم القوم وانحرفوا .

وبعد هجعة من الليل (٦) دخل الإفرنج المدينة كالسيل ، ومروا فى الأزقة والشوارع ، لا يجدون لهم ممانع ، كأنهم الشياطين أو جند [ص ٧٩] إبليس ، وهدموا ما وجدوه من المتاريس ، وذهبوا وجاءوا ، وبغضب الله باءوا ، ودخلت (٧)

١- فى النسخة (ب) "انكفوا " .
٢- كلمة "بالإشارة" غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناه من بقية النسخ .
٣- ليلة يوم الثلاثاء ١٣ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٢٣ أكتوبر ١٧٩٨م .
٤- فى النسخة (ب) "بالقنبر .
٥- فى النسخة (ب) "وكفت " والصواب ما أثبتناه من باقى النسخ .
٦- ليلة يوم الثلاثاء١٣ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٢٣ أكتوبر ١٧٩٨م.
٧- فى النسخة (أ) "ودخل " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

طائفة من باب البرقية ، وشقوا إلى الغورية ، وكرّوا ورجعوا ، وترددوا وما هجم
، وعلموا باليقين ، أن لا دافع لهم ولا كمين ، وتراسلوا أرسالاً ، ركباناً ورجالاً
[ثم دخلوا أوليك الوعول ، إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول ، وولجوه م
الباب الكبير ، وخرجوا من الباب الثانى حيث موقف الحمير ، وداس فيه المش
بالنعالات ، وهم يحملون السلاح والبندقيات](١) وتفرقوا فى صحنه ومقصورته
وربطوا خيولهم بقبلته ، وعاثوا بالأروقة والبحرات ، وكسروا القناديل والسهارات
وهشموا(٢) خزاين الطلبة ، والمجاورين والكتبة ، ونهبوا ما وجدوه من المتا
والأوانى والقصاع ، والودايع والمخبآت ، بالدواليب والخزانات ، ودشتوا(٣) الك
والمصاحف ، وعلى الأرض طرحوها ، وبأرجلهم ونعالاتهم داسوها ، وأحد
بالمسجد وتمخطوا(٤) وبالوا وتغوطوا ، وشربوا الشراب وكسروا أوانيه ، وألقو
بصحنه ونواحيه ، وكل ما صادفوه به عروه ، ومن ثيابه أخرجوه ، [ووجدوا
بعض الأورقة انساناً فذبحوه ، ومن الحياة أعدموه ، وفعلوا بالجامع الأزه
ماليس عليهم بمستنكر ، لأنهم أعداء الدين ، وأخصام متغلبون ، وغرماء متشم
، وضباع متكالبون وأجناس متباينون ، وأشكال متعاندون ، وأعطى تلك ال
جيش الرحمن ، فسحة لجيش الشيطان ، لرهن لزمه فأداه ، وقطع كان عا
فتعداه](٥).

١- الفقرة بين القوسين محذوفة من عجائب الآثار وكتب بدلها هذه العبارة " ثم دخلوا إلى الجامع وهم راكبون الخيول وبينهم المشاه كالوعول وتفرقوا بصحنه " عجائب الآثار جـ٣

٢- فى النسخة (ب) "وفتحوا "

٣- فى النسخة (ب) "وشققوا " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٤- هذه الكلمة غير موجودة فى النسخة (ب).

٥- الفقرة التى بين القوسين محذوفة من عجائب الآثار ، ولذلك دلالة لا تخفى عن الفطن .

ولما أصبح يوم الثلاثا(١) اصطف منهم حزب بباب الجامع ، فكل من حضر للصلاة يراهم فيكر راجعاً ويسارع [ص ٨٠] وتفرقت طوايفهم بتلك النواحى أفواجاً ، واتخذوا السعى والطواف بها منهاجاً ، وأحاطوا بها إحاطة السوار(٢) ونهبوا بعض الديار ، بحجة التفتيش على النهب ، وآلة السلاح والضرب ، وخرجت سكان تلك الجهة يهرعون ، وللنجاة بأنفسهم طالبون ، وانتهكت (٣) حرمة تلك البقعة بعد أن كانت أشرف البقاع ، وترغب الناس فى سكناها ويودعون عند أهلها ما يخافون عليه الضياع ، وجماعة الإفرنج لا يمرون بها إلا فى النادر ، ويحترمونها كغيرهم فى الباطن والظاهر ، فانقلب بهذه الحركة منها الموضوع ، وانخفض على القياس المرفوع ، ثم ترددوا فى الأسواق ووقفوا صفوفاً ، ميئيناً وألوفاً . فإن مر بهم أحد فتشوه ، وأخذوا ما معه وربما قتلوه . ورفعت القتلى والمطروحين ، من الإفرنج والمسلمين ، ووقف جماعة من الفرنسيس ، ونظفوا مراكز المتاريس ، وأزالوا ما بها من الأتربة ، والأحجار المتراكمة ، ووضعوها فى ناحية ، لتصير طرق المرور خالية ، وتحزبت نصارى الشوام ، وجماعة أيضاً من الأروام ، الذين نهبت دورهم فى حارة الجوانية ، يشكون لكبير الأفرنج ما لحقهم من الرزية ، واغتنموا الفرصة فى المسلمين ، وأظهروا ماهو بقلوبهم كمين ، وضربوا فيهم المضارب ، وكأنهم شاركوا الإفرنج فى النوايب ، وما قصدهم المسلمون ونهبوا ما لديهم ، إلا لكونهم منسوبين إليهم ، مع أن المسلمين الذين جاوروهم ، نهبوهم الزعر أيضاً وسلبوهم ، وكذلك خان الملايات المعلوم ، الذى عند باب حارة الروم ،

١- يوم الثلاثاء ١٣ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٢٣ أكتوبر ١٧٩٨م.

٢- فى النسخة (ب) "أسواراً "

٣- فى النسخة (ب) " وانكشفت " والأصوب ما أثبتناه من بقية النسخ .

وفيه بضايع المسلمين ، وودايع الغايبين ،فسكت المصاب على [ص ٨١] غصته ، واستعوض الله فى قضيته ، لأنه إن تكلم لا تسمع دعواه ، ولا يلتفت لشكواه ، وانتدب برطلمين "الكافر" (١) للعسس ، على من حمل السلاح أو اختلس ، وبث أعوانه فى الجهات ، فيتجسسون فى الطرقات ، فيقبضون علي الناس بحسب أغراضهم ، وما ينهبه النصارى من أبغاضهم ، فيحكم فيهم بمراده ، ويعمل برأيه واجتهاده ، ويأخذ منهم الكثير ، ويركب فى موكبه ويسير ، وهم (٢) موثقون بين يديه بالحبال ، ويسحبهم الأعوان بالقهر والنكال ، فيودعونهم السجونات ، ويطالبونهم بالمنهوبات ، ويقررونهم بالعقاب والضرب ، ويسألونهم عن السلاح وآلات الحرب ، ويدل بعضهم على بعض ، فيضعون على المدلول عليهم القبض ، وكذلك فعل مثل فعله اللعين (٣) الأغا ، وتجبر فى أفعاله وطغى ، وكثير من الناس ذبحوهم ، وفى نهر النيل قذفوهم ، ومات فى هذين (٤) اليومين وما بعدها أمم كثيرة لا يحصى عددها (٥) وطال بالكفرة بغيهم وعنادهم ، ونالوا من المسلمين قصدهم ومرادهم .

وأصبح يوم الأربع (٦) فركب فيه المشايخ

١- كلمة "الكافر" محذوفة من عجائب الآثار .

٢- فى النسخة (أ) "وهو" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٣- هذه هى المرة الوحيدة التى يبقى فيها الجبرتى على لفظ "اللعين" فى عجائب الآثار وربما سها عنها ، أو ربما لم يغير موقفه من الأغا .

٤- فى النسخة (ب) "هذه" .

٥- فى النسخة (أ) "عدها" .

٦- يوم الأربعاء ١٤ جمادى الأول ١٢١٣هـ الموافق ٢٤ أكتوبر ١٧٩٨م . ومن عادة الجبرتى أن يكتبها يوم الأربعا ولكنه كتبها "الأربع" بالنطق العامى لتتفق مع كلمة "أجمع" فى الجملة التالية بحسب السجع الذى درج عليه المؤلف .

أجـمع (١) وذهبوا لبيت صارى عسكر وقابلوه ، وخاطبوه فى العفو ولاطفوه ، والتمسوا منه أماناً كافياً ، وعفواً ينادون به باللغتين شافياً ، لتطمَئِنّ بذلك قلوب الرعية ، ويسكن روعهم من هذه الرزية ، فوعدهم وعداً مشوباً بالتسويف ، وطالبهم بالتبيين والتعريف ، عمن تسبب من المتعممين فى اثارة العوام ، وحرضهم على الخلاف والقيام ، فغالطوه عن تلك المقاصد ، فقال على لسان الترجمان :"نحن نعرفهم بالواحد "فترجوا عنده فى إخراج العسكر ، من الجامع الأزهر ، فأجابهم لذلك [ص ٨٢] السؤال ، وأمر بإخراجهم فى الحال ، وأبقوا منهم نحو السبعين ، ثم (٢)أسكنوهم بالخطة كالضابطين ، ليكونوا للأمور مراصدين ، وبالأحكام متقيدين ، ثم (٣) أنهم فحصوا عن المتهمين فى إثارة الفتنة ، فطلبوا الشيخ

١- أصدر علماء الديوان الخطاب الآتي بعد ثورة القاهرة الأولى "نرجو الله العلى القدير أن يحفظكم من الفتنة والفوضى ما ظهر منها وما بطن ويبعدنا عن الذين يعيثون فى الأرض فساداً اننا نخبر سكان اقليم مصر أنه قد حصل فى مدينة القاهرة بعض الاضطرابات من جانب بعض العناصر المنحطة تؤازرها شرذمة من المجرمين فقد بثوا روح الشقاق بين الجنود الفرنسيين والرعايا الآمنين مما تسبب فى قتل كثير من المسلمين وعمليات سلب ونهب لبعض المساكن والمنازل لكن الله لطف بنا وأخمدت الفتنة وقد توسلنا إلى القائد العام بونابرت فرجع عما كان ينويه من صب غضبه علينا بعد اخماد الثورة لقد منع الجنود من اضرام النار في المدينة بأسرها ومن تركها للسلب والنهب لأنه رجل عاقل حكيم طيب ورحيم بالمسلمين أنه يحمى الفقراء بصفة خاصة ولولاه لهلك جميع سكان القاهرة. لذلك إياكم ونشر الفتنة والفوضى بين المواطنين حتى تعيشوا فى منازلكم بين أسركم فى طمأنينة وأمان لاتنصتوا إلى نصائح الأشرار وهمسات مثيرى الفتن التعساء الذين لا يقدرون العواقب وتذكروا أن الله يعطى السلطان لمن يشاء ويأمر بما يشاء ...إننا نستحلفكم بالله ألا تزجوا بأنفسكم فى التهلكة والتفتوا لأعمالكم وأرزاقكم ١٤ جمادى الأول ١٢١٣ "كوريبه دى ليجييت العدد ١٤ ص ٤٠

٢- كلمة "ثم " غير موجودة فى النسخة (أ)

٣- كلمة " ثم " غير موجودة فى النسخة (ب) .

سليمان الجوسقى ، شيخ طايفة العميان ، والشيخ أحمد الشرقاوى ، والشيخ عبد الوهاب الشبراوى ، والشيخ يوسف المصيلحى ، والشيخ إسماعيل البراوى وحبسوهم ببيت البكرى ، وأما السيد بدر ، فإنه تغيب وسافر إلى جهة الشام وفحصوا عليه فلم يجدوه ، وتردد المشايخ لتخليص الجماعة المعوقين ، فغولطوا واتهم أيضاً إبراهيم أفندى كاتب البهار ، بأنه جمع له جمعاً من الشطار وأعطاهم الأسلحة والمساوق وكان عنده عدة من المماليك المخفيين ، والرجال المعدودين ، فقبضوا عليه وحبسوه ببيت الأغا (١) .

وفى يوم الأحد ثامن (٢) عشره ، توجه الشيخ السادات وباقي المشايخ إلى بيت صارى عسكر الفرنسيس ، وتشفعوا عنده فى الجماعة المسجونين ببيت الأغا وقايمقام القلعة ، فقيل لهم طولوا بالكم (٣) ولا تستعجلوا ، فقاموا وانصرفوا .

وفيه (٤) نادوا فى الأسواق بالأمان ، ولا أحداً يشوش على أحد ، والقبض

١- قام بونابرت بمعاملة سكان القاهرة بوحشية بعد القضاء على ثورة القاهرة الأولى ، وذكرت صحيفته ذلك بقولها : "عاد الهدوء التام إلى القاهرة وقد أعدم رمياً بالرصاص عدد من الأفراد الذين اعتقلوا وهم يحملون السلاح وتؤكد الأنباء أن حوالى عشرين من أهم الزعماء قد اعتقلوا ويجرى العمل بنشاط الآن في حصنين أحدهما يسمى حصن دبو والثانى يسمى حصن سولكوسكى ويقع الأول فى المكان الذي ضرب فيه الجنرال دومارتا بمدافعه ، وميزة موقع هذين الحصنين مزدوجة ، فهى تسمح بالتحكم في المدينة والدفاع عنها ضد تسلل العربان ". كورييه دى ليجيبت ، العدد ١٤ ، ص ٤٠ .

٢- فى النسخة (ب) "يوم الأحد ثانى عشره " وهو خطأ لأن يوم الأحد يوافق ١٨ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ١٧٩٨م.

٣- فى النسخة (أ) و (جـ) "طولوا روحكم" ، وفى عجائب الآثار "وسعوا بالكم " .

٤- أى فى يوم الأحد ١٨ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ١٧٩٨م . وهو نفس تاريخ اليوميتين التاليتين أيضاً .

على الناس مستمر ، ليلاً ونهاراً ، وكذلك كبس البيوت والنهب ، بحسب ما ينهبه العدو فى عدوه ، ورد بعض الأمتعة التى نهبت للنصارى .

وفيه توسط عمر القلقشى لمغاربة الفحامين ، وجمع منهم ومن غيرهم عدة وافره ، وعرضهم على صارى عسكر فاختار منهم الشباب وأولى القوة ، وأعطاهم سلاحاً وألات حرب ، ورتبهم عسكر ورئيسهم عمر المذكور ، وخرجوا وأمامهم الطبل الشامى ، على عادة عسكر المغاربة ، وسافروا إلى جهة بحرى ، بسبب أن بعض البلاد [ص ٨٣] قامت (١) على عسكر الإفرنج وقت الفتنة وقاتلوهم ، وضربوا أيضاً مركبين بها عدة من عساكرهم ، وحاربوهم وقاتلوهم ، فلما ذهب أوليك المغاربة ، سكنوا الفتنة ، وضربوا عشمة ، وقتلوا كبيرها المسمى بابن شعير ، ونهبوا داره ومتاعه وماله وبهايمه ، وكان شيئاً كثيراً جداً ، وأحضروا اخوته وأولاده وقتلوهم، ولم يتركوا منهم سوى ولد صغير ، جعلوه شيخاً عوضاً عن أبيه ، وسكن العسكر المغربى بدار عند باب سعادة (٢) ورتبوا لهم من الفرنسيس جماعة يأتون إليهم فى كل يوم ويدربوهم على كيفة حالهم (٣) وحربهم ، وقانون ترتيبهم ، ومعنى اشاراتهم ، فى مصافاتهم ، فيقف المعلم والمتعلمون مقابلون له صفاً ، وبأيديهم بنادقهم ، فيشير إليهم بألفاظ مستهجنة بلغتهم ، كأن يقول " هردبوش" فيرفعونها قابضين باكفهم على أسافلها ثم يقول "مرش" فيمشون صفوفاً ، إلى غير ذلك .

١- فى النسخة (أ) "أن بعض البلاد قام "

٢- باب سعادة :أحد أبواب القاهرة القديمة فى سورها الغربى المحاذى للخليج المصرى ، أنشاه جوهر الصقلى فى ٩٦٩ - ٩٧٠ م وقت إنشاء السور الأول وهو منسوب إلى سعادة بن حيان غلام المعز لدين الله وقد مات عام ٩٧٣ م راجع د. عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ، ص ٢١ .

٣- كلمة "حالهم " غير موجودة فى النسخة (أ) .

وفيه سافر برطلمين"الكافر"(١) إلى ناحية سرياقوس ، ومعه جملة من العسكر ،بسبب الناس الفارين إلى جهة الشرق ، فلم يدركهم ، وقبض من البلاد تفريدة وكلف ، وعسف فى قبضها وتحصيلها ، ورجع بعد أيام .

وفى يوم الأربعا (٢) ، تصدى الشيخ المهدى لإبراهيم أفندى كاتب البهار ، وتلطف مع كبير الفرنسيس ، بمعونة بوسليك المعروف بالروزنامجى ، ونقله من بيت الأغا إلى داره ، وطلبوا منه قايمة كشف عما يتعلق بالمماليك بدفتر البهار.

وفى يوم الخميس (٣) سافر عدة مراكب نحو الأربعين ، بها عساكر الإفرنج إلى جهة بحرى .

وفى ليلة السبت رابع عشرينه (٤) حضر هجان من ناحية الشام ، وعلى يده مكاتبات ، وهو صورة فرمان وعليه طرة ، ومكتوب من أحمد باشا وآخر من بكر باشا إلى كتخدايه مصطفى بيك ، ومكتوب كله بالعربى ، مضمون ذلك بعد براعة الاستهلال والآيات القرآنية ، والأحاديث والآثار المتعلقة بالجهاد ، ولعن طايفة الإفرنج والحط عليهم ، وذكر عقيدتهم الفاسدة ، وكذبهم وتحيلهم ، وكذلك بقية المكاتبات بمعنى ذلك ، فأخذهم مصطفى بيك وذهب بهم إلى كبير الفرنسيس ، فلما اطلع عليهم قال : "هذا تزوير من إبراهيم بيك ليوقع بيننا وبينكم العدواة

١- كلمة " الكافر " حذفت من عجائب الآثار .

٢- يوم الأربعاء ٢١ جمادى الأول ١٢١٣هـ الموافق ٣١ أكتوبر ١٧٩٨م .

٣- يوم الخميس ٢٢ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ١نوفمبر ١٧٩٨م .

٤- يوم السبت ٢٤ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٣ نوفمبر ١٧٩٨م .

والمشاحنه وأما أحمد باشا (١) فهو رجل فضولى ، لم يكن والياً بالشام ولا مصر ، لأن والى الشام إبراهيم باشا ، وأما والى مصر فهو عبد الله باشا ابن العظم ، الذى هو الآن والى الشام ، وأنا أخبر بذلك وسيأتى بعد أيام والى ، ونقيم معه كما كانت المماليك مع الولاة ، ووردت الأخبار بانفصال محمد باشا عزت عن الوزارة ، وعزل أنفار (٢) من رجال الدولة .

وفى مدة هذه الأيام ، بطل الاجتماع بالديوان المعتاد ، وأخذوا فى الاهتمام بعمل متاريس فى عدة جهات ، وبنوا أبنية على التلول المحيطة بالبلد ، ووضعوا بها عدة مدافع وقنابر ، وهدموا عدة أماكن بالجيزة ، وحصنوها تحصيناً زايداً ،

١- من ضمن الاستعدادات التى أعدتها الدولة العثمانية لإخراج الفرنسيين من مصر بعد علمها بذلك هو تعيين " أحمد باشا الجزار " قائداً للجيش المصرى ، المكلف باسترداد مصر من الفرنسيين ، وكذلك تعيينه والياً على مصر بالإضافة إلى ولايات " صيدا والشام وطرابلس وهناك وثيقتان تتعلقان بهذا الموضوع " نشرهما د/ عبد الله عزباوى " الوثيقة الأولى عبارة عن خطاب من أحمد باشا الجزار إلى السلطان العثمانى سليم الثالث ، أرسله مع ميراخور الأول أمير الأسطبلات السلطانية مؤرخ فى أبريل ١٧٩٩وفيه يشكر أحمد باشا الجزار السلطان على تعيينه قائد للجيش المصرى وعلى إهدائه ساعة مرصعة وسلسلة وفنجان مرصع طرفه ووقع "أحمد باشا الجزار والى صيدا والشام وطرابلس ومصر " ولكن يبدو أن السلطان قد رجع عن قراره هذا فيما بعد وسحب تعيين الجزار لأسباب عديدة . راجع د/ عبد الله عزباوى :الحملة الفرنسية على مصر والشام ١٧٩٨: ١٨٠١ فى ضوء بعض الوثائق التركية ، مؤتمر أقيم فى آداب عين شمس قسم اللغات الشرقية عام ١٩٨٤ ، ص ٧ وما بعد ها من الآلة الكاتبة .

٢- يشير الجبرتى هنا إلى عزل السلطان لبعض كبار موظفيه وهذا ما حدث بالفعل حيث عزل الصدر الأعظم وعين بدلاً منه "يوسف باشاضيا" وكان هذا هو كبش الفداء الذى أراده السلطان لتبرير غفلتهم التى أدت إلى سقوط مصر غنيمة فى أيدى الفرنسيين .

وكذلك مصر العتيقة ، ونواحى شبرا وانبابة ، وهدموا عدة مساجد منها المسجد المجاور لقنطرة الدكة ، ومسجد المقس المعروف الآن بأولاد عنان (١) على الخليج الناصرى ، بباب البحر ، وقطعوا أشجاراً كثيرة ، ونخيل البساتين ، وهدموا جامع الكازرونى بالروضة ، وأشجار الجيزة التى عند أبى هريرة قطعوها ، وحفروا هناك عدة خنادق كثيرة ، وغير ذلك ، والنخيل جهة الحلى وبولاق ، وخربوا الدور ، وهدموا القصور ، وكسروا الشبابيك ، [ص ٨٥] والأبواب ، وحرقوا الأخشاب .[بحيث عم جميع الأماكن الخراب ، وزعق فيها البوم والغراب] (٢)

وفى ليلة الأحد(٣) حضر جماعة من عسكر الفرنسيس إلى بيت البكرى نصف الليل ، وطلبوا المشايخ المحبوسين لعند صارى عسكر ، ليتحدث معهم ، فلما صاروا خارج الدار ، وجدوا عدة كثيرة فى انتظارهم ، فقبضوا عليهم وذهبوا بهم إلى بيت قايمقام ، بدرب الجماميز ، فعروهم من ثيابهم ، وصعدوا بهم إلى القلعة ، وسجنوهم إلى الصباح ، فأخرجوهم وقتلوهم وألقوهم من السور ، خلف القلعة ، وتغيب حالهم عن أكثر الناس أياماً .

وفى ذلك اليوم (٤) ركب بعض المشايخ إلى مصطفى أغا كتخدا الباشا ، وكلموه فى أن يذهب معهم إلى صارى عسكر ، ليشفع فى الجماعة المذكورين ، ظناً منهم أنهم فى قيد الحياة ، فركب معهم إليه وكلموه فى ذلك ، فقال لهم

١- "جامع المقس " أنظر فيما يلى حيث حققناه فى أحد الهوامش التالية ص ٢٢١.

٢- العبارة التى بين القوسين " محذوفة من"عجائب الآثار "

٣- يوم الأحد ٢٥ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٤نوفمبر ١٧٩٨م .

٤- أى يوم الأحد ٢٥ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٤ نوفمبر ١٧٩٨م .

الترجمان ، يقول لكم الصارى عسكر :"اصبروا ما هو وقته "وقام ليذهب فى بعض أشغاله ، ورجعوا (١) إلى دورهم .

وفى يوم الثلاثا (٢) حضر عدة من عسكر الفرنسيس ووقفوا بحارة الأزهر ، فتخيل الناس منهم المكروه ، ووقعت فيهم كرشة وأغلقوا الدكاكين ، وتسابقوا للهروب ، وذهبوا إلى البيوت والمساجد ، واختلفت آراؤهم ، ورأوا فى ذلك قضية بحسب تخمينهم وظنهم وفساد مخيلتهم ، فذهب بعض المشايخ إلى صارى عسكر ، وأخبروه بذلك ، فأرسل إليهم وأمرهم بالذهاب ، فذهبوا وتراجع (٣) الناس وفتحوا الدكاكين ، ومر الوالى والأغا وبرطملين ، ينادون بالأمان ، فسكن الحال ، وقيل أن بعض كبرايهم حضر عند القلق الساكن بالمشهد ، وجلس عنده حصة ، وهؤلاء كانوا أتباعه ، ووقفوا [ص ٨٦] ينتظرونه ولعل ذلك قصداً للتخويف والإرهاب ، خشية من قيام فتنة ، لما أشيع قتل المشايخ .

١-فى النسخة (أ) "وركبوا" .

٢- يوم الثلاثاء ٢٧ جمادى الأولى ١٢١٣هـ ٦ نوفمبر ١٧٩٨م.

٣- فى النسخة (ب) "ورجعت الناس"

وفيه(١) كتبوا أوراقاً ولصقوها بالأسواق تتضمن العفو والتحذير من إثارة (٢) الفتنة ، وأن من قتل من المسلمين فى[نظير من قتل من الفرنسيس] (٣)

وفيه شرعوا فى إحصا الأملاك والمطالبة بالمقرر ، فلم يعارض فى ذلك معارض ، ولم يتفوه بكلمة . (٤)

وفيه أيضاً قلعوا أبواب الدروب والحارات الصغيرة غير النافذة (٥) وهى التى كانت تركت وسُومِح أصحابها وصالحوا عليها قبل الحادثة ، ويرطلوا القلقات والوسايط على بقايها ، وكذلك دروب الحسينية ، فلما أنقضت هذه الحادثة ، ارتجعوا عليهم ، وقلعوهم ونقلوهم إلى ما جمعوه من البوابات بالأزبكية ، ثم كسروها وفصلوا أخشابها قطعاً ، ورفعوا بعضها على العربات ، إلى حيث يصنعون المتاريس ، بالنواحى والجهات ، وباعوا بعضها حطباً للوقود ، وكذلك ما بها من الحديد باعوه .

١- أى فى يوم الثلاثاء وهو نفس تاريخ اليوميتين التاليتين أيضاً .

٢- فى النسخة (ب) "أثر الفتنة " .

٣- العبارة التى بين القوسين مفقودة فى النسخة (ب) وجدير بالذكر أن محققى طبعة لجنة البيان العربى قد اعتمدوا على النسخة (ب) فقط ، ولذلك حاولوا إكمال النص بالتخمين فكتبوه هكذا " وأن من قتل من المسلمين فى هذه الأيام فلما ارتكبوه من معصية أو ما شابه ذلك " وكان الأجدر بهم مراجعة أى نسخة أخرى أو على الأقل مراجعة عجائب الآثار بدلاً من أسلوب التخمين الذى قد يصيب وقد يخطئ .

٤- يضيف الجبرتى تعليقاً طريفاً فى عجائب الآثار فى نهاية هذه اليومية ولا بأس من الإشارة إليه حيث يقول "ومن لم يرضى بالتوت يرضى بحطبه " والعبارة لا تحتاج إلى تعليق .

٥- فى النسخة (أ) "الغير النافذة " والصواب ما أثبتناه من باقى النسخ .

وفى ليلة الخميس (١) هجم المنسر (٢) على بوابه سوق طيلون ، وكسروها وعبروا منها إلى السوق ، فكسروا القناديل ، وفتحوا ثلاث حوانيت (٣) وأخذوا ما بها من متاع المغاربة ، وقتلوا القلق (٤)الذى هناك ، وخرجوا بدون مُدافع ومُنازع .

وفى يوم الخميس المذكور ، ذهب المشايخ إلى صارى عسكر ، وتشفعوا فى ابن الجوسقى ، شيخ العميان ، فإنه كان معوقاً ببيت البكرى ، فشفعهم فيه ، وأطلقوه .

شهر جمادى الثانية ١٢١٣هـ (٥)

استهل بيوم السبت (٦) ، فيه كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ ، وأرسلوها إلى البلاد ،ولصقوا منها نسخاً بالأسواق والأزقة ،ونصها :"صورة[ص ٨٧] نصيحة من كافة علما الإسلام بمصر المحروسة ، نعوذ بالله من

١- يوم الخميس ٢٩ جمادى الأولى ١٢١٣هـ الموافق ٨ نوفمبر ١٧٩٨م .

٢- المنسر فى المعاجم القديمة طليعة الجيش وفى المعجم الوجيز "جماعة اللصوص " وفى اصطلاح العامة "عصابة منظمة من اللصوص " و" شيخ المنسر " كبير اللصوص ، والجبرتى يقصد المعنى الأخير .

٣- الصواب "ثلاثة حوانيت " ولكنها جاءت هكذا في جميع النسخ .

٤- القلق : من الكلمة التركية"قول " بضم القاف ضمة مقبوضة مفخمة ، بمعنى العبد ، والقللق فى التركية العبودية ، ولما كان عبيد الباب هم حرسه فقد صارت القللق فى التركية بمعنى دار الحراسة ومكان إقامة الحرس ، واستعملها الجبرتى إلى ذلك بمعنى الحارس نفسه . د/ أحمد السعيد سليمان : مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

٥- فى النسخة (ب) "جمادى الثانى" وتاريخ السنة لا يذكر فى النسخة (أ) دائماً ويذكر فى النسخة (ب) أحياناً وحرف الهاء الذى يشير إلى السنة الهجرية من وضع المحققين لأن المفروض أن المؤلف يستخدم التقويم الهجرى فقط لذلك لا يشير إليه .

٦- يوم السبت غرة جمادى الآخرة ١٢١٣هـ الموافق ١٠ نوفمبر ١٧٩٨م .

الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، ونبرأ إلى الله من الساعين فى الأرض بالفساد ، نعرف أهل مصر قاطبة أنه حصل بعض خلل فى مدينة مصر المحروسة من طرف الجعيدية وأشرار الناس ، فحركوا الشرور بين الرعية والعسكر الفرنساوية ، بعدما ما كانوا أصحاباً وأحباباً بالسوية ، وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين، ونهبت بعض من البيوت ، ولكن حصلت الطاف الله الخفية ، وسكنت الفتنة ببسب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابارته ، وارتفعت هذه البلية لأنه رجل كامل العقل ، عنده رحمة وشفقة على المسلمين ، ومحبة للفقرا والمساكين ، ولولاه لكانت العساكر أحرقت جميع (١) المدينة ، ونهبت جميع الأموال ، وقتلوا كامل أهل (٢) مصر ، فعليكم ألا تحركوا الفتن ولا تطيعوا أمر المفسدين ، ولا تكونوا مع الخاسرين سُفها العقول ، الذين لا يقدرون العواقب، لأجل أن تحفظوا أموالكم (٣) وأوطانكم ، وتطْمَينوٌا على عيالكم وأديانكم ، فإن الله سبحانه وتعالى يوتى ملكه من يشاء ، ويحكّم ما يريد ، ونخبركم أن كل من تسبب فى تحريك هذه الفتنة ، قتلوا عن آخرهم ، وأراح الله منهم البلاد والعباد ، ونصيحتنا لكم ألا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، واشتغلوا بأسباب معايشكم ، وأمور دينكم ، وادفعوا الخراج الذى عليكم ، والدين النصيحة ، والسلام"(٤)

وفيه (٥) أمروا بقية السكان على بركة الأزبكية وما حولها بالنقلة من البيوت ليسكنوا بها جماعتهم المتباعدين عنهم ، ليكون الكل فى حومة واحدة ، وذلك لما

١- كلمة "جميع " غير موجودة فى النسخة (ب) .

٢- فى النسخة (ب) " أهالى مصر " .

٣- كلمة " أموالكم" غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من بقية النسخ .

٤- راجع هامش فيما سبق حيث نشرنا النص من كوربيه دى ليجيبت .

٥- أى فى يوم السبت غرة جمادى الآخرة ١٢١٣هـ الموافق ١٠ نوفمبر ١٧٩٨م .

داخلهم من [ص ٨٨] المسلمين ، حتى إن الشخص منهم صار لا يمشى بدون سلاح ، بعد أن كانوا من حين دخول البلد لا يمشون به أصلاً إلا لغرض ، والذى لم يكن معه سلاح يأخذ معه عصاً أو سوطاً أو نحو ذلك ، وتنافرت قلوبهم من المسلمين ، وأخذ كل واحد حذره من الآخر ، وانكف المسلمون من الخروج والمرور بالأسواق ، من الغروب إلى طلوع النهار ، ومن جملة من انتقل من الدرب الأحمر إلى الأزبكية ، "اللعين"(١) كفرلى (٢) المسمى عند العامة بأبى خشبة ، لأن إحدى رجليه مقطوعة من الركبة ، وقد ألبسها خشبة وهو يمشى بها بدون معين ، ويصعد الدرج ويهبط منها أسرع من الصحيح ، ويركب الفرس ويرمحه وهو على هذه الحالة ، وكان من جملة المشار إليه فيهم والمدبر لأمور القلاع والبناء ومصاف الحروب ، ولهم به عناية عظيمة واهتمام زايد ، كان يسكن بيت مصطفى كاشف طرا ، وفى وقت الحادثة ، هجمت على الدار العامة ، فنهبوها وقتلوا منها بعض الفرنساوية ، وفر الباقون ، فأخبروا من بالقلعة الكبيرة ، فنزل منهم عدة وافرة ، وقف بعضهم خارج الدار ، بعض أن طردوا المزاحمين ببابها وضربوهم بالبندق ، ودخل الباقون فقتلوا من وجدوه بها من المسلمين ، وكانوا جملة كثيرة ، وكان بتلك الدار شئ كثير من آلات الصنايع والنظارات الغريبة ، والآلات الفلكية والهندسية والعلوم الرياضية ، وغير ذلك مما هو معدوم النظير ، كل آلة لا قيمة لها عند من لا يعرف صنعتها ومنفعتها ، فبدد ذلك كله العامة وكسروه قطعاً ، وصعب ذلك على

١- كلمة " اللعين " محذوفة من عجائب الآثار .

٢- الجنرال كافريللى Caffarelli من أسرة إيطالية استوطنت فرنسا ، فقد إحدى قدميه فى حروب الثورة وجاء إلى مصر بساق واحدة ، وقد اختاره نابليون رئيساً لفرقة المهندسين فى الجيش ، وقد قتل فى حصار عكا كما سنرى فى الصفحات التالية .

الفرنسيس [ص ٨٩] جداً ، وأقاموا مدة طويلة يفحصون على تلك الآلات ، ويجعلون لمن يأتيهم بها عظيم الجعالات . وممن استشهد (١) فى وقعة تلك الدار ، الشيخ محمد الزهار .

وفى خامسه (٢) أفرجوا عن إبراهيم أفندى كاتب البهار ، وتوجه إلى بيته .

وفى ثامنه (٣) قتلوا أربعة أنفار من نصارى القبط ، فيهم اثنان من النجارين ، قيل أنهم سكروا فى الخمارة ، ومروا فى سكرهم وفتحوا بعض الدكاكين ، وسرقوا منها أشيا ، وقيل تكرر منهم ذلك عدة مرار ، فاغتاط لذلك القبطة .

وفيه (٤) كتبوا عدة أوراق وأرسلوا منها نسخاً للبلاد ، ولصقوا منها بالأخطاط والأسواق ، وذلك على لسان المشايخ أيضاً ولكن تزيد صورتها عن الأولى ، ونصها(٥) : " صورة نصيحة من علما الإسلام بمصر المحروسة ، نخبركم يا أهل المداين والأمصار من المؤمنين ، ويا سكان الأرياف من العربان والفلاحين ،

١- كلمة استشهد استبدلها الجبرتى فى عجائب الآثار بكلمة "قتل" .

٢- يوم الأربعاء ٥ جمادى الآخرة ١٢١٣هـ الموافق ١٤ نوفمبر ١٧٩٨م .

٣- يوم السبت ٨ جمادى الاخرة ١٢١٣هـ الموافق ١٧ نوفمبر ١٧٩٨ م .

٤- أى فى يوم السبت .

٥- يذكر الرافعى عن هذا البيان قوله "الظاهر أن هذا البيان لم يكن له الأثر المطلوب فى تهدئة الخواطر وإقرار النفوس لأن فكرة الثورة والمقاومة كانت قد عمت الأقاليم وذاعت الأشاعات وتواترت الأنباء بأن السلطان سوف يرسل جيشاً لأخراجهم ووردت مكاتبات من الجزار والمماليك لتؤيد هذه الأقوال وتحرض المصريين على الثورة فطلب بونابرت من علماء القاهرة أن ينشروا بياناً ثانياً يوزع فى الأقاليم لتهدئة الخواطر وتكذيب تلك الأشاعات فكان هذا البيان . الرافعى : مرجع سابق ، جـ ٢ ص ٢٩٧ وما بعدها .

أن إبراهيم بيك ومراد بيك وبقية دولة المماليك ، أرسلوا عدة مكاتبات (١) ومخاطبات إلى ساير الأقاليم المصرية ، لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات ، وادعوا أنها من حضرة مولانا السلطان ، ومن بعض وزاريه ، بالكذب والبهتان وسبب ذلك أنه حصل لهم شدة الغم والكرب الزايد ، واغتاظوا غيظاً شديداً من علما مصر ورعاياها ، حيث لم يوافقوهم على الخروج معهم ، ويتركون عيالهم وأوطانهم ، فأرادوا أن يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية والعسكر الفرنساوية ، لأجل خراب البلاد وهلاك كامل الرعية ، وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزايد بذهاب دولتهم ، وحرمانهم من مملكة مصر المحمية ، ولو كانوا فى هذه الأوراق صادقين بأنها من حضرة [ص ٩٠]مولانا (٢) سلطان السلاطين ، لأرسلها جهاراً مع أغوات معينين ، ونخبركم أن الطايفة الفرنساوية بالخصوص عن بقية الطوايف الإفرنجية ، دايماً يحبون المسلمين وملتهم ، ويبغضون المشركين وطبيعتهم ، أحباب لمولانا السلطان ، قايمون بنصرته ، وأصدقاء له ملازمون لمودته وعشرته ومعونته ، يحبون من والاه ، ويبغضون من عاداه ، ولذلك بين الفرنساوية والموسقوف (٣) غاية العداوة الشديدة ، من أجل عداوة الموسقوف القبيحة الردية ، والطايفة الفرنساوية

١- فى النسخة (ب) "مكاتيب" .

٢- فى النسخة (ب) لفظة "مولانا " غير موجودة .

٣- فى النسخة (أ) "الموسقوا " وفى عجائب الآثار "الموسكوف" ولكن ما يهمنا الإشارة إليه أن بونابرت الذى أملى على العلماء هذا البيان كان لا يزال يلعب على وتر أنه صديق للسلطان العثمانى ولم يعلن له العداء بعد كذلك فهو يعلم كراهية الشعب "للروس" لأنهم أعداء السلطان نتيجة لحروبهم الطويلة ضده فعمل على استغلال ذلك فى التقرب من المصريين ، هذا على الرغم من أنه كان قد حدث تحالف بين "الدولة العثمانية - إنجلترا - روسيا " لإخراج الحملة الفرنسية من مصر .

يعاونون حضرة مولانا السلطان على أخذ بلادهم إن شا الله ولا يبقون منهم بقية ، فننصحكم أيها الأقاليم المصرية ، أنكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ، فيحصل لكم الضرر والهلاك والبلية ، ولا تسمعوا كلام المفسدين ولا تطيعوا أمر المسرفين ، الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، فتصبحوا على ما فعلتم فى أنفسكم نادمين (١) وإنما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين لتكونوا فى أوطانكم سالمين ، وعلى عيالكم وأموالكم آمنين مطمينين ، لأن حضرة صارى عسكر الكبير أمير الجيوش بونابارتة ، اتفق معنا على أنه لا ينازع أحد فى دين الإسلام ، ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام ، ويرفع عن الرعية ساير المظالم ، ويقتصر على أخذ الخراج ، ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم ، فلا تعلقوا آمالكم بإبراهيم بيك ومراد ، وارجعوا إلى مولاكم مالك الملك وخالق العباد ، فقد قال نبيه ورسوله الأكرم :"الفتنة نايمة لعن الله من أيقظها بين الأمم" ، عليه أفضل [ص ٩١] الصلاة والسلام ختام "(٢)

وفى ثالث عشره (٣) قتلوا شخصين عند باب زويلة ، أحدهما يهودى ، لم يتحقق السبب فى قتلهما .

وفيه(٤) أخرجوا من بيت نسيب إبراهيم بيك (٥) كتخدا مناو(٦) ودايع لبنت

١- كلمة "فى أنفسكم " غير موجودة فى النسخة (أ) .

٢- نشر هذا المكتوب فى كورييه دى ليجيبت العدد ١٦ ، ص ٥٣ ويوجد بعض الاختلافات اللفظية بينه وبين ما نشره الجبرتى هنا .

٣- يوم الخميس ١٣ جمادى الآخرة ١٢١٣هـ الموافق ٢٢ نوفمبر ١٧٩٨ م .

٤-أى فى ثالث عشره .

٥-كلمة "بيك" غير موجودة فى النسخة (أ) .

٦- فى كل النسخ كتبت " مناو " فوضعنا اللفظ لاستقامة المعنى .

إبراهيم بيك وزوجها صناديق ضمنها مصاغ وجواهر ، وأواني ذهب وفضة ، وأمتعة وملابس ، أشيا كثيرة جداً .

وفي خامس عشره (١) مرّ جماعة من عسكر الإفرنج بباب زويلة ليلاً ، وفتحوا بعض دكاكين السكرية ، ونهبوا ما بها من السكر ، وضاع على أصحابه .

وفيه(٢) دلوا على إنسان عنده صندوقان وديعة لأيوب بيك الدفتردار ، فطلبوه وأمروا بإحضارهما ، فأحضرهما بعد الإنكار والجحد عدة مرار ، فوجدوا ضمنها أسلحة وجواهر وسبح من اللؤلؤ ، وخناجر مجوهرة ، وغير ذلك (٣)

وفي عشرينه (٤) كتبوا عدة أوراق مطبوعة ، ولصقوها بالأسواق ، مضمونها أن يوم الجمعة حادى عشرينه ، قصدنا نطير مركب ببركة الأزبكية في الهوا ، بحيلة فرنساوية ، فكثر لغط الناس في ذلك ، فلما كان ذلك اليوم قبل العصر ، اجتمعت الناس والكثير من الإفرنج ، ليروا تلك العجيبة ، وكنت بجملتهم ، فرأيت قماشاً على هيئة الأوبة ، على عامود قايم ، وهو ملون أبيض وأحمر وأزرق ، وعمودها مركب على مثل دايرة الغربال ، وفي وسطه (٥) سكرجة بها فتيلة مغموسة ببعض الأدهان ، وتلك السكرجة مصلوبة بسلوك حديد منها إلى الدايرة، وهي مشدودة ببكر وأحبال ، وأطراف الأحبال بأيدي أناس (٦) قايمين بأسطحة

١-يوم السبت ١٥ جمادي الآخرة ١٢١٣هـ / ٢٩ نوفمبر ١٧٩٨م .

٢- أي في خامس عشره .

٣- في النسخة (ب) " وما أشبه ذلك .

٤- يوم الخميس ٢٠ جمادى الآخرة ١٢١٣هـ / ٢٩ نوفمبر ١٧٩٨م .

٥- كلمة " وفي وسط " غير موجودة في النسخة " ب " .

٦- في النسخة (ب) " الناس " وما أثبتناه من بقية النسخ هو الأصوب .

البيوت القريبة منها ، فلما كان بعد العصر بنحو ساعة ، أوقدوا تلك الفتيلة فصعد دخانها إلى ذلك القماش [ص ٩٢] وملاه فانتفخ وصار مثل الكرة ، وطلب الدخان الصعود إلى مركزه ، فلم يجد منفذاً ، فجذبهامعه إلى العلو ، فجذبوها بتلك الأحبال حتى ارتفعت عن الأرض ، فقطعوا تلك الأحبال ، فصعدت إلى الجو مع الهوا ومشت معه هنيهة لطيفة ، ثم سقطت طارتها بالفتيلة ، وسقط أيضاً ذلك القماش ، فانكسف طبعهم لسقوطها ، ولم يتبين صحة ما قالوه من أنها على هيئة مركب يجلس بها أنفار من الناس ، ويسافرون فيها إلى البلاد البعيدة ، لكشف الأخبار ، وغير ذلك من التمويهات الكاذبة (١) بل ظهر أنها مثل الطيارات التى يعملها الفراشون بالمواسم والأفراح .

وفى تلك الليلة عند العشا (٢) عملوا حراقة ونفوط وبارود وسواريخ بالأزبكية ، وكان ذلك اليوم والليلة من أعيادهم لأن صارى عسكر دعا الأعيان وأكابر التجار ولبسوا ثياباً جديداً . (٣)

وفى تلك الليلة كثر مرورهم بالأسواق ، فكانت الكلاب تعضهم (٤) فأطعموها خبزاً مسموماً ، فأكلوه فمات جملة كبيرة من الكلاب ، فلما طلع النهار

١- عبارة "التمويهات الكاذبة " غير موجودة فى عجائب الاثار ، وعلى أية حال فهذه كانت أول "بالون " تطير في سماء مصر .

٢- ليلة السبت ٢٢ جمادى الآخرة ١٢١٣هـ الموافق ١ ديسمبر ١٧٩٨م .

٣- فى النسخة (أ) "جدداً " .

٤- فى النسخة (أ) "تنبحهم " وكذلك فى عجائب الآثار ، جدير بالذكر أن الجبرتى أعاد صياغة هذه اليومية فى عجائب الآثار وذكر بنهايتها تعليقاً على هذا الحدث بأنهم "ارتاحوا هم والناس منها " . فهو يبرر أفعال الفرنسيين .

، ووجدت الناس الكلاب مرمية بالأسواق وهى ميتة ، فاستكروا (١) لها ناس جروها إلى الكيمان .

وفى خامس عشرينه (٢) سافر عدة عساكر لجهة مراد بيك ، وكذلك إلى ناحية كرداسة ، بسبب العرب ، وكذلك إلى السويس ، وإلى الصالحية ، وأخذوا جمال السقايين بروایاها وحميرهم حتى شح الماء وغلا ، وبلغ ثمن القربة عشرة أنصاف فضة إن وجدت .

وفيه (٣) ظفروا بعدة ودايع وخبايا، بعدة أماكن ، بها صناديق وأمتعة وأسلحة ، وأوانى صينى ، وأوانى نحاس قناطير وغير ذلك .

مجمل حوادث شهر جمادى الآخرة ١٢١٣هـ (٤)

وانقضى هذا الشهر (٥) وما تجدد به من الحوادث الكلية [ص ٩٣] والجزئية ، التى لا يمكن ضبطها لكثرتها :

فمنها ، أنهم أحدثوا بغيط النوبى المجاور للأزبكية ، أبنية على هيئة

١- فى النسخة (أ) "فاستأجروا لها " والأصوب ما أثبتناه من بقية النسخ . والمعنى واحد .

٢- يوم الثلاثاء ٢٥ جمادى الآخرة ١٢١٣هـ الموافق٤ ديسمبر ١٧٩٨م .

٣- أى فى خامس عشرينه .

٤- العنوان من وضع المحققين .

٥- عندما تتجمع لدى الجبرتى بعض اليوميات التى لا يستطيع ضبط تاريخها؛ كان يجملها فى آخر الشهر ، وهذا يؤكد ما سبق أن أشرنا إليه من أن كلمة "فيه " التى يبدأ بها يومياته المقصود بها هو اليوم السابق ذكره فى اليومية السابقة وليس المقصود هو الشهر . كما يؤكد ذلك حرص الجبرتى على ترتيب اليوميات ترتيباً تاريخياً وإجمال الباقى بدون تاريخ فى النهاية .

مخصوصة ، يجتمعون بها النسا والرجال للهو والخلاعة ، فى أوقات مخصوصة ، وجعلوا على كل من يدخل إليه قدراً مخصوصاً يدفعه ، أو يكون مأذوناً وبيده ورقة (١).

ومنها أنهم هدموا وبنوا بالمقياس والروضة ، وهدموا جامع أبو هريرة بالجيزة ، ومهدوا التل المجاور لقنطرة الليمون ، وبنوا أعلاه طاحوناً تدور بالهواء وتطحن الأرادب من الدقيق ، وطاحوناً أخرى بالروضة ، فى مقابلة مصاطب النشاب ، وهدموا الجامع المجاور لقنطرة الدكة ، وشرعوا فى ردم جهات حوالى بركة الأزبكية ، وهدموا الأماكن المقابلة لبيت صارى عسكر ، حتى جعلوها رحبة متسعة ، وهدموا الدور المقابلة لها من الجهة الأخرى ، والجناين التى خلف ذلك ، وقطعوا أشجارها وردموا مكانها بالأتربة الممهدة على خط معتدل (٢) من الجهتين

١- عمل الفرنسيين على إقامة أماكن للاجتماع فيها للتسلية ، وكذلك لمحاولة دمج سكان القاهرة معهم وفيما يلى وصف لمكان الاجتماعات الذى أشار إليه الجبرتى " أن الفرنسيين الموجودين الآن فى القاهرة يشعرون بالحاجة إلى أن يكون لهم مكان خاص لاجتماعاتهم يجدون فيه متعة وترفيهاً أثناء ليالى الشتاء الطويلة ، وقد صمم المواطن " دار جيافل " مشروعاً لإقامة مثل هذا المبنى وبعد الحصول على موافقة القائد العام وقع الاختيار على مبنى فى حديقة كائنة بجوار ميدان الأزبكية . لأن الحديقة أكبر حدائق وأجمل القاهرة تكسوها أشجار البرتقال والليمون وغيرها من الأشجار ذات الرائحة وبفضل عدة آبار مزودة بتروس لرفع المياه وتعمل حالياً سوف تجرى المياه في جميع أنحاء الحديقة سيجد المرء فى المبنى جميع أنواع التسلية وكل ما يمكن اقتناؤه لراحة المشتركين وسيزود بمكتبة لقراءة الكتب الأدبية وتضم مجموعة مختارة من الكتب ، ستخطط الحديقة على الطريقة الفرنسية ويكون بها طرقات للتنزه وسوف تخصص فى الحديقة أماكن لإقامة المراجيح ومختلف الألعاب المسلية وسوف يعنى بإنارتها ليلاً بأشكال بديعة من الزخارف ، هذا ومن جهة أخرى قد نجد فى هذه الحديقة طريقة لجلب سكان المدينة ونسائها للاختلاط بمجتمعنا والاقتباس من عاداتنا وأذواقنا الفرنسية ... سيجد المرء فى المبنى جميع أنواع الأطعمة التى تطلب بأسعار مناسبة . راجع كورييه دى ليجيبت ، العدد ١٣ ، ص ٣٦ .

٢- كلمة "معتدل" غير موجودة فى النسخة (ب) وأثبتناها من بقية النسخ .

، مبتداه من حد بيت صارى عسكر ، إلى قنطرة المغربى - [وجددوا قنطرة المغربى] (١) المذكورة - ثم منها كذلك جسر على الوضع والنسق ممتد إلى بولاق ، ممهداً مستوياً على خط مستقيم ، وحفروا فى جانبية من مبتداه إلى منتهاه خندقين ، وكذلك غرسوا فى جانبيه (٢) شجر السيسبان من الأول للآخر ، ويتصل ذلك الجسر بساحل النيل ، عند موردة التبن . وأحدثوا طريقاً آخرى فيما بين باب الحديد وباب العدوى ، عند المكان المعروف بالشيخ شعيب ، حيث معمل الفواخير ، وردموا جسراً ممهداً مستطيلاً ممتداً يبتدى من الحد المذكور ، وينتهى إلى جهة المذبح خارج الحسينية ، فخرب بسبب ذلك أماكن كثيرة ، وغيطان عديدة ، وقطعوا [ص ٩٤] فى طريقهم جانباً من التل الكبير المجاور لقنطرة الحاجب (٣) وردموا خليج بركة الرطلى (٤) وقطعوا أشجار الجسر أيضاً ، والأبنية التى بين باب الحديد والرحبة التى بظاهر جامع المقس(٥) وساووا الأعلى بالمنخفض بحيث

١- العبارة التى بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ) .

٢- فى النسخة (أ) " وغرسوا جانبية شجر ".

٣- قنطرة الحاجب : أنشأها الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب عام ١٣٣٤ م على الخليج الناصرى ويتوصل إليها من أرض الطبالة ويسير الناس عليها إلى منية السيرج ، وكان على ظهر القنطره صفات من الحوانيت وعليها سقيفة تقى حر الشمس ، ومن تحتها يصب الخليج الناصرى فى الخليج الكبير د/ عبد الرحمن زكى ، ص ٢١٨ وما بعدها .

٤- بركة الرطلى : هى من جملة أرض الطبالة ، عرفت ببركة الطوا بين من أجل أنه كان يعمل فيها الطوب سميت بهذا الأسم نسبة لرجل كان يصنع الأرطال بزاوية بها - كان الناس يخرجون للنزهة واللهو بها ولاسيما فى أيام وفاء النيل:المقريزى:مصدر سابق،جـ٢ص ١٦٢

٥- جامع المقس : خارج باب البحر على يسار الذاهب من الشارع الجديد إلى محطة السكة الحديد وإلى شبرا الخيمة بقرب قنطرة الخليج الناصرى الذى هو اليوم الترعة الحلوة الذاهبة إلى السويس " ترعة الإسماعيلية " وعرف بجامع أولاد عنان وأيضاً بجامع باب البحر ، ويذكر المقريزى أن هذا الجامع أنشأة الحاكم بأمر الله علي شاطئ النيل بالمقس ، ووقف الحاكم أماكن بمصر على الجوامع ويصرف من ضمنها ما يحتاج إليه جامع المقس من عمارته . وجدد هذا الجامع مرات عديدة . ويوجد فى هذا الجامع ضريح الشيخ محمد بن عنان وترجم له الشعرانى فى طبقاته : راجع : على مبارك : المرجع السابق جـ٤ ص ١٢٧ .

سارت طريقاً ممتدة من الأزبكية إلى جهة قبة النصر والعادلية ، على خط مستقيم من الجهتين ، وجعلوا جامع الظاهر بيبرس خارج الحسينية قلعة ، وهدموا منارته وجعلوها برجاً ، ووضعوا على أسواره مدافع ، وأسكنوه جماعة من العسكر ، وبنوا في داخله عدة مساكن تسكنها العساكر المقيمة به .

ومنها أنهم أحدثوا على التل المعروف بتل العقارب بالناصرية ، كرانك وأبراج، ووضعوا فيها عدة من آلات الحرب والعساكر ، وهدموا عدة دور من دور الأمرا ، وأخذوا أنقاضها ورخامها لأبنيتهم على التلول ، وغيرها ، وأفردوا للمدبرين والفلكيين وأهل المعرفة والعلوم الرياضية - كالهندسية والهيئة والنقوشات والرسومات والمصورين والكتبة والحساب والمنشيين - حارة الناصرية وما بها من البيوت ، مثل بيت قاسم بيك أمير الحاج سابقاً المعروف بأبو سيف ، وبيت حسن كاشف جركس الذى أنشأه وشيده وزخرفه وصرف عليه أموالاً عظيمة من مظالم العباد ، وعند إتمام بياضه وفرشه ، حدثت هذه الحادثة ، ففر مع الفارين ، وتركه بما فيه وسكنوه (١) الجماعة المذكورون ، ووضعوا فيه جملة كبيرة من كتبهم ، وعليها خازن يحفظها ، ، ويحضرها للطلبة ، فيراجعون فيها مرادهم ، ويردها إلى [ص ٩٥] مكانها ، وأكثرها يشتمل على الرياضيات والتصويرات ، وتواريخ الأمم السالفة(٢) وسموا ذلك البيت بالمدرسة ، وأفردوا مكاناً للنجارين والحدادين والخراطين وأرباب الصنايع من الفرنسيس ، ومكاناً للحكمة ، وبنوا فيه كوانين وتنانير مهندمة ، وركبوا عليها آلات التقاطير واستخراج المياة والأدهان المختصة

١- في النسخة (أ) "وسكنه" وما أثبتناه من بقية النسخ هو الأقرب للصواب .

٢- يتضح من ذلك أن الجبرتى زار هذه المكتبة وتصفح بعض كتبها ولكنه لم يصرِّح بذلك في مظهر التقديس وأعلن ذلك صراحة في عجائب الآثار .

بالطب والحكمة ، وأرواح المفردات ، وأملاح الأرمدة المستخرجة من الأعشاب ، وبه أوانى وقوارير من الزجاج المختلف الأشكال والهيئات ، إلى غير ذلك (١)

وفيه ورد الخبر بموت صالح بيك بغزة . (٢)

شهر رجب ١٢١٣هـ

استهل بيوم الأحد (٣) وفى ثالثه (٤) قتلوا شخصاً من الأجناد ، يقال له مصطفى كاشف ، من جماعة حسين بيك المعروف بشفت دده (٥) وكان قد فر مع الفارين ، ثم حضر من غير استيذان ، وأقام أياماً مستتراً ببيت الشيخ سليمان الفيومى ، فسلمه لمصطفى أغا مستحفظان ليأخذ له أماناً ، فأخبر الفرنسيس بشأنه ، وأغراهم عليه ، فأمروا بقتله، فقتلوه وقطعوا راسه ، وطافوا بها ينادون عليها بقولهم :" هذا جزا من يدخل إلى مصر بغير اذن الفرنسيس ".

١- ما لم يذكره الجبرتى هنا ولأسباب معروفة أنه زار الأماكن العلمية للفرنسيين وأبدى أعجابه الشديد بها ووصفها فى عدة صفحات فى كتابة عجائب الآثار جـ٣ ص٣٣ وما بعدها ولمعرفة رأى الجبرتى أنظر د/مصطفى عبد الغنى . الجبرتى والغرب،هـ م ع ، القاهرة ١٩٩٥.

٢- نشرت جريدة الكوربية خبر وفاة صالح بك فى غزه وشككت أنه مات مقتول بالسم وذكر الخبر كالآتى " توفى صالح بك أمير الحج السابق فى القدس وتؤكد الأخبار ، أنه قد دس له السم فى الطعام للتمكن من الاستيلاء على كنوزه ، المماليك الذين تبعوا إبرهيم بك يهجرونه أفواجاً ، أنهم يبيعون خيولهم ويلجأون إلى داخل البلاد السورية " ولا شك أن هذا الخبر يهدف إلى إثارة الشك فى المماليك وإظهارهم بموقف الضعف والعوز حتى لا يميل إليهم السكان . كورييه دى ليجيبت – العدد ١٣ ص ٣٥ .

٣- يوم الأحد غرة رجب ١٢١٣هـ الموافق ٩ ديسمبر ١٧٩٨م .

٤- يوم الثلاثاء ٢ رجب ١٢١٣هـ الموافق ١١ ديسمبر ١٧٩٨م .

٥- هكذا فى النسخة (ب) وفى النسخة (أ) لا توجد كلمة "ددة".

وفى يوم الخميس(١) حضر كبير الفرنسيس الذى بناحية قليوب ، وبصحبته سليمان الشواربى شيخ قليوب وكبير الناحية ، فلما حضر حبسوه بالقلعة ، قيل أنهم عثروا له على مكتوب أرسله وقت الفتنة السابقة إلى سرياقوس ، ليستنهض أهل تلك النواحى فى القيام ، ويأمرهم بالحضور وقت أن يرى الغلبة على الفرنسيس ، ولما حبسوه حبسوا معه أربعة من الأجناد أيضاً .

وفيه (٢) أحدثوا مدفعاً يضربونه [ص ٩٦] كل يوم وقت الزوال ، لأن ذلك الوقت عندهم ابتدا اليوم .

وفى يوم الأربعا عاشره (٣) نادوا فى الأسواق بأن من أراد أن يشترى فرس أو حمار فليحضر يوم الجمعة ثانى عشره ببولاق ويشترى من الفرنساوية ما أحب من ذلك ، وكتبوا بذلك أوراقاً ولصقوها بالأسواق والأزقة ، وهى مطبوعة وعليها الصورة ، ونصها : " فليكن معلوم عند كافة الرعايا المصرية أن يوم الجمعة اثنى عشر شهر رجب فى الساعة اثنين (٤) يباع فى بولاق جملة خيل من المشيخة الفرنساوية ، فلأجل هذا المشترى ، كل من أراد يقتنى خيل فمنحنا له الإجازة ، أنه يقتنى كما يريد ويشاء " انتهى (٥)

وفى يوم الاثنين سادس(٦) عشره سافر كبير الفرنسيس بونابرته إلى السويس ، وأخذ صحبته السيد أحمد المحروقى وإبراهيم أفندى كاتب البهار ، وأخذ معه

١- يوم الخميس ٥ رجب ١٢١٣هـ الموافق ١٣ ديسمبر ١٧٩٨م .

٢- أى فى يوم الخميس .

٣- يوم الأربعاء ١٠ رجب ١٢١٣هـ الموافق ١٨ ديسمبر ١٧٩٨م .

٤- هكذا فى جميع النسخ .

٥- كلمة "انتهى" غير موجودة فى النسخة (ب) .

٦- يوم الاثنين ١٦ رجب ١٢١٣هـ الموافق ٢٤ ديسمبر ١٧٩٨م ، وهو نفس تاريخ اليومية التالية .

أيضاً بعض المدبرين والمهندسين والمصورين ، وجرجس الجوهرى ، وألطون أبو طاقية وغيرهم ، وعدة عساكر من الخيالة والمشاة ، وبعض مدافع وعربات ، وتختروانات (١) وعدة جمال تحمل الذخيرة والماء والقومانية (٢)

وفيه شرعوا فى ترتيب الديوان (٣) على تنظيم آخر وعينوا له ستون نفراً منهم أربعة عشر يقال لهم الخصوص ، وهم الذين يحضرون دايماً ، ويقال لهم الديوان الخصوصى والديوان الديمومى ، والباقى بحسب الاقتضا ، والأربعة عشر فيهم من المشايخ : الشرقاوى والمهدى والصاوى والبكرى والفيومى ، ومن التجار : المحروقى وأحمد بن محمود محرم ، ومن النصارى القبطة : لطف الله المصرى ،

١- التختروان : من الفارسية "تخت" بمعنى السرير و(روان) السائر والمتحرك وهو عبارة عن هودج أو محفة يحملها جملان أو حصانان من أمام وجملان أو حصانان من خلف يركبه العلية من الرجال والنساء . راجع د/ أحمد السعيد سليمان : مرجع سابق ، ص ٥٣ .

٢- كانت أهداف رحلة بونابرت إلى السويس أهداف استراتيجية فى المقام الأول ، فكان لابد عليه من صون الاتصالات مع الدول المطلة على البحر الأحمر والتى يمكنها نقل رسائل إلى الجزر الفرنسية فى المحيط الهندى بل ولمحاولة الأتصال بالهند أيضاً وعهد بقيادة القاهرة ونواحيها إلى كليبر خلال فترة غيابه وكان برفقته " برتبيه وكافاريلى ودوماتان وجانتوم ، ودور ، أى الأركان العامة فى الهندسة والمدفعية والبحرية ومعتمدية الجيش الإدارية ومما له دلالته أن الشيخ المحروقى ومعه بعض التجار أتيحت له فرصة المشاركة فى هذه الرحلة ، و خلال هذه الرحلة أجرى بونابرت اتصالات مستمرة مع بدو سينا وتفقد حصونه فى بلبيس وعلم أن القوات العثمانية قد احتلت العريش ورجع إلى القاهرة فى ٦ يناير لمزيد من المعلومات راجع :د/ هنرى لورنس : مرجع سابق ص ٣٨ .

٣- كلمة " الديوان " غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من باقى النسخ .

ومن الشوام :[ص ٩٧] يوسف فرحات ومخاييل كحيل (١) وواحد إنجليزى (٢) وبوديف وموسى كافو الفرنساويان ، ووكلا ومباشرين من الفرنسيس وتراجمين ، وأما العمومى فغالبه مشايخ حرف ، وكتبوا بذلك طوماراً كبيراً بصموا منه نسخاً كثيرة ، وأرسلوا منها نسخاً للأعيان ، ولصقوا أوراق بأسمايهم ، وصورة صدر ذلك الطومار المكتتب فى شان ذلك وقد أوردت ذلك وأن كان فيه بعض الطول ، للاطلاع على ما فيه من التمويهات على العقول ، والتسلق على دعوى الخواص من البشر ، بفاسد التخيلات التى تنادى على بطلانها بديهة العقل فضلاص عن النظر، وهو مقول على لسان بونابرته كبير الفرنسيس "ورئيسهم ذلك التعيس"(٣) و نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من بونابرته أمير الجيوش الفرنساوية ، خطاباً إلى كافة أهل مصر الخاص والعام ، نعلمكم أن بعض الناس الضالين (٤) العقول ، خاليين من المعرفة وإدراك العواقب ، سابقاً أوقعوا الفتنة والشرور بين القاطنين بمصر ، فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة ، والبارى سبحانه وتعالى أمرنى بالشفقة والرحمة للعباد ، فامتثلت أمره وصرت رحيماً بكم شفوقاً عليكم ، ولكن كان حصل عندى غيظ وغم

١- وردت فى النسخة (أ) " مخاييل كحاييل " والأصوب ما أثبتناه من باقى النسخ .

٢- من الغريب أن يكون فى الديوان "واحد إنجليزى" ، والإنجليز كما نعلم أعداء للفرنسيين ولكن الحقيقة أنه طبيب سويدى الأصل كان يقيم بالقاهرة .

٣- للجبرتى يحذف من عجائب الآثار عبارات "التمويهات على العقول " و"فاسد التخيلات " و " التعيس " .

٤- فى النسخة (أ) " ضالين ".

شديد بسبب تحريك هذه الفتنة بينكم ، ولأجل ذلك أبطلت الديوان الذى كنت رتبته لنظام البلد وإصلاح أحوالكم [من مدة شهرين والآن توجه خاطرنا إلى ترتيب ديوان كما كان لأن حسن أحوالكم] (١) ومعا ملتكم فى المدة المذكورة ، أنسانا ذنوب الأشرار وأهل الفتنة التى وقعت [ص ٩٨] سابقاً أيها العلما والأشراف ، أَعْلِموا أمتكم ومعاشر رعيتكم بأن الذى يعادينى ويخاصمنى ، إنما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره ، فلا يجد ملجأ ومخلصاً ينجيه منى فى هذا العالم ، ولا ينجو من بين يدى الله ، لمعارضته لمقادير الله سبحانه وتعالى ، والعاقل يعرف أن ما فعلناه بتقدير الله تعالى وإرادته وقضايه ومن يشك فى ذلك فهو أحمق وأعمى البصيرة ، وأَعْلِموا أيضاً أمتكم أن الله قدر فى الأزل هلاك أعدا الإسلام وتكسير الصلبان على يدى ، وقدر فى الأزل بعد ذلك أن آجى من المغرب إلى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها ، وإجرا الأمر الذى أمرت به ، ولا يشك العاقل أن هذا كله بتقدير الله وإرادته وقضايه ، وأعلموا أيضاً أمتكم أن القرآن العظيم صرَّح فى آيات كثيرة بوقوع الذى حصل ، وأشار فى آيات أخر إلى أمور تقع في المستقبل ، وكلام الله فى كتابه صدق وحق لا يختلف . إذا تقرر هذا وثبتت هذه المقالات فى آذانكم فليرجع أمتكم جميعاً إلى صفا النية وإخلاص الطوية ، فإن منهم من يمتنع عن لعنى وإظهار عداوتى ، من خوف سلاحى وشدة سطوتى ، ولم يعلم أن الله مطلع على السرائر ، يعلم خافية الأعين وما تخفى الصدور ، والذى يفعل ذلك يكون

١- العبارة بين القوسين فقدت من النسخة (أ) وواضح أن الناسخ انتقل من كلمة "أحوالكم" الأولى إلى "أحوالكم" الثانية معتقداً أنه كتب ذلك السطر ، وهذا الأمر لاحظناه كثيراً فى جميع النسخ ، حيث أن الكلام الناقص غالباً ما يكون بمقدار سطر كامل ويبدأ بكلمة مشابهه لنهايته .

معارضاً لأحكام الله ومنافقاً ، وعليه اللعنة والنقمة من الله علام الغيوب ، واعلموا أيضاً أنى أقدر على إظهار ما فى نفس كل أحد منكم ، لأننى أعرف أحوال الشخص وما انطوى عليه بمجرد ما أراه ، وإن كنت لا أتكلم ولا أنطق بالذى عنده ، ولكن يأتى وقت ويوم يظهر لكم بالمعاينة إننى كلما [1] فعلته وكلمت به [ص ٩٩] فهو حكم إلهى لا يرد ، وأن اجتهاد الإنسانِ بغاية جهده ما يمنعنى عن قضاء الله الذى قدره وأجراه علي يدى ، فطوبى للذين يسارعون فى اتحادهم وهمتهم معى ، مع صفا النيه وإخلاص السريرة والسلام " [2].ورتبوا لأرباب الديوان الديمومى شهرية ، تدفع إليهم نظير تقيدهم بمصالح العامة والدعاوى وما يترتب عليه النظام بينهم وبين المسلمين . [3]

وفى ثامن عشره [4] طافوا على الطواحين ، واختاروا من كل طاحون فرساً

١- المقصود "كل ما " والجبرتى يدمج الكلمتين غالباً ولكن الدمج هنا فى غير موضعه .

٢- فى هذا الخطاب يحاول بونابرت تهديد من تسول له نفسه معارضته لأن فى ذلك معارضة لأوامر الله وإرادته ، وبونابرت هنا-تفاعلاً مع العقلية الدينية المسيطرة على العقول-يذكرهم أن الله كتب منذ الازل هلاك أعداء الإسلام علي يديه وكذلك هدم الصليب – وهو هنا يشير إلى ما فعله مع البابا في الحروب الإيطالية وهو لهذا مسلم مثل المسلمين، وعلى هذا فأن من يعارض بونابرت فهو يعارض الله وهذا الأسلوب يذكرنا ببعض الخلفاء الذين كانوا يذكرون أنهم ظل الله على الأرض ، بل ادعى بونابرت ما هو أكثر من ذلك عندما أدعى القدرة على معرفة الغيب ومعرفة ما فى نفس كل فرد وهى محاولة مكشوفة من بونابرت لإرهاب الناس وعدم ثورتهم خصوصاً وهو خارج فى حملته الشام .

٣- نشر النص كذلك فى كورييه دى ليجيبت ، العدد ٢٣ ، ص ٨٢ وما بعدها حيث نشرت كذلك أسماء أعضاء الديوان .

٤- يوم الأربعاء ١٨ رجب ١٢١٣هـ الموافق ٢٦ ديسمبر ١٧٩٨م .

أخذوها ، [ومن الطحانين من صالحهم ودفع لهم دراهم وتركوه ، وذلك أنهم لما باعوا الخيول ببولاق فاشترى منهم الطحانون جملة فكان كل من باع حصانه شرط فى أذنه شرطاً ليكون له علامة ، وبعد ذلك طافوا بالطواحين ، وأخذوا عوض خيولهم مما استحسنوه ولاق بخاطرهم] (١)

وفى رابع عشرينه (٢) حضر السيد أحمد المحروقى وكاتب البهار من السويس ، وكان صارى عسكر ذهب إلى ناحية بلبيس ، فاستأذنوه فى ذهابهم إلى مصر ، فأذن لهم وأرسل معهم خمسين عسكرياً ليوصلوهم إلى مصر ، ولما حضروا حكوا أن أهل السويس لما بلغهم مجى الفرنساوية هربوا وأخلوا البلد ، وذهبوا إلى الطور (٣)وذهب البعض إلي العرب فى البادية ، فنهب الفرنسيس ما وجدوه بالبندر من البن والمتاجر والأمتعة وغير ذلك ، وهدموا الدور وكسروا الأخشاب وخوابى الماء ، فلما حضر كبيرهم وكان متأخراً عنهم كلموه (٤) التجار

١- الفقرة بين القوسين حذفها الجبرتى عند إعادة كتابة هذه اليومية فى عجائب الآثار واكتفى بالسطرين الأولين فقط .

٢- يوم الثلاثاء ٢٤ رجب ١٢١٣هـ الموافق أول يناير ١٧٩٩م.

٣- الطور : تقع جنوب غربى شبه جزيرة سيناء ، وقد اكتسبت هذه الميناء أهميتها من اقتصار ميناء السويس فى أواخر عصر الجراكسة وأوائل العصر العثمانى على الصفة الحربية ومن ميل البحارة إليه وذلك لقرب السفن فيه من الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر وكثرة المراسى على بره مما يتيح للبحارة اللجوء إليه إذا ما تغير البحر وهاج الريح ، ولكن الشعب المرجانية حوله جعلت السفن تنصرف عنه وتتجه إلى ميناء السويس الذى شهد فى أواخر العصر العثمانى وحتى نهاية النصف الأخير من القرن الثامن عشر ازدهاراً كبيراً ، ولكن فى نهاية القرن الثامن عشر انتقلت الأهمية إلى القصير لمغالاة الأمراء المماليك فى فرض الضرائب على التجارة عبر السويس د/ عبد الحميد سليمان : مرجع سابق ، ص ٢٤ وما بعدها .

٤- فى النسخة (أ) "كلمة " وما أثبتناه هو الأقرب للصواب ولأسلوب المؤلف .

والذاهبون معه ، وأعلموه أن هذا الفعل غير صالح ، فاسترد من العسكر البعض ، وواعدهم باسترجاع الباقى أو دفع ثمنه بمصر ، وأن يكتبوا قايمة بالمنهوبات ، [وهذا نوع [ص ١٠٠] من الكذب والتحيل ، فإنه لما ارتحل من هناك ، أخذ العسكر ما كانوا ردوه [١] وما كانوا تركوه أيضاً] [٢] وأنه وجد مركبين حضرا إلى قريب من السويس بهما جانب بن ومتاجر ، فغرقت إحداهما ، فنزلت طايفة من الفرنسيس فى مراكب صغار ، وذهبوا لها فى الغاطس ، وأخرجوها بآلات ركبوها واصطنعوها .

وفى مدة إقامته بالسويس ، صار يركب ويتأمل فى النواحى وجهات ساحل البحر والبر ، ليلاً ونهاراً ، وكان معه من الأدم فى هذه السفرة ثلاث طيور دجاج محمرين ملفوفين فى ورق ، وليس معه طباخ ولا فراش ولا فرش ولا خيمة .

و فى يوم السبت [٣] حضر عدة من العسكر الفرنساوى من ناحية بلبيس ومعهم عدة من العربان نحو الثلاثين نفراً ، موثوقون بالحبال ، وأسروا أيضاً عدة من أولادهم ذكوراً وإناثاً ، ودخلوا بهم إلى مصر يزفونهم بالطبول أمامهم ، ومعهم أيضاً ثلاثة أحمال من أحمال التجار [٤] وبعض جمال مما كان نُهب عند رجوعهم من الحج .

وفى ليلة الاثنين[٥] غايته [٦] حضر صارى عسكر من ناحية بلبيس ليلاً إلى مصر ، وأحضر معه عدة عربان ، وعبد الرحمن أباظا

١- فى النسخة (أ)"ما كانوا استردوه ".

٢- الفقرة بين القوسين حذفها الجبرتى من كتابة "عجائب الآثار ".

٣- يوم السبت ٢٨ رجب ١٢١٣هـ الموافق ٥ يناير ١٧٩٩م .

٤- فى النسخة (أ) ثلاثة حمول من حمول التجار " وما أثبتناه هو الأقرب للصواب .

٥- يوم الاثنين ٣٠ رجب ١٢١٣هـ الموافق ٧ يناير ١٧٩٩م .

٦- كلمة "غايته " غير موجودة فى النسخة (ب) .

أخو سليمان أباظا شيخ العيادية (١) وخلفه رهاين (٢) وضربوا أبو زعبل والمنير ونهبوهم ، وأخذوا بهايمهم ، ومالهم من المواشى والأموال ، وحضروا بهم إلى القاهرة ، وخلفهم أصحابهم رجالاً ونساءً وصغاراً (٣)

وفى ذلك اليوم (٤) قتلوا شيخ العرب سليمان الشواربى (٥) شيخ قليوب ومعه أيضاً ثلاثة رجال يقال أنهم من عرب الشرقية ، فأنزلوهم من القلعة ، [ص ١٠١] إلى الرميلة على يد الأغا ، وقطعوا روسهم ، وحملوا جثة الشواربى مع

١- العيايدة : سكنوا فى الشرقية فى بلبيس والدقهلية والقليوبية والمنوفية وعرفوا بالعيايدة بحرى ، أما العيايدة قبلى فقد سكنوا فى مديرية الجيزة ، وهذه القبيلة بطن من طى أصلها اليمن نزحت إلى الحجاز عقب الإسلام واستوطنت نجد حتى القرن السادس للهجرة ثم قدمت إلى مصر فى القرن السابع ، حيث استقدمها الظاهر بيبرس وعهد إليها خفارة المحمل الشريف وحماية الحجاج من غارات العرب الذين يسلبونهم وينهبون المؤن التى كانت ترسل من مصر إلى الحرمين الشريفين ، فحضر شيخ العرب محمد العايدى " ونزلوا فى بلبيس وأنشأوا بها قرى تعرف بكفر العايد .

لمزيد من المعلومات راجع د/ إيمان محمد عبد المنعم : مرجع سابق ، ص ٦٣ وما بعدها

٢- فى النسخة (أ) "خلافة رهاين " وما أثبتناه من بقية النسخ هو الأقرب للصواب .

٣- فى النسخة (ب) وخلفهم أصحابهم نساء ورجالاً كباراً وصغاراً وما أثبتناه من بقية النسخ هو الأقرب للصواب

٤- يقصد يوم الاثنين ٧ يناير ١٧٩٨م غاية شهر رجب ١٢١٣هـ .

٥- بجانب الدور السلبى الذى لعبه العربان فى المجتمع المصرى كان لهم دور إيجابى أيضاً من ذلك قيام بعض القبائل بمقاومة الفرنسيين حتى أن بونابرت فى منشوره الذى أذاعه بعد عودته من الشام ذكر أن من ضمن أسباب هذه العودة رغبته فى تأديب العربان من قبائل " بلى " " والعيايدة "وغيرهم الذين يناصرون المماليك ويحركون الفتن فى الأقاليم فى غيابه ، ويعيثون فى البلاد فساداً ونهباً " راجع د/ عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق، ص ١٧٦ وما بعدها .

راسه فى تابوت وأخذوه أتباعه وذهبوا به إلى بلده قليوب ليدفن هناك .

مجمل حوادث شهر رجب ١٢١٣هـ (١)

وانقضى هذا الشهر ، وما تجدد به أيضاً من الحوادث الكلية والجزيية :

[فمنها تسلق أنفار من عسكر الفرنسيس على بعض الدور ليلاً ، وسرقتهم أمتعة وقتل أنفس بالدور والأزقة ذهبت هدراً] (٢)

ووقع أن فى ليلة السابع والعشرين منه (٣) أتت جماعة إلى دار الشيخ محمد ابن الجوهرى الكاين بالأزبكية بالقرب من باب الهوا فخلعوا الشباك المطل على البركة ، ودخلوا منه ، وصعدوا إلى أعلا الدار ، وكان بها ثلاثة من النسا الخدامات وابنة خدامة ايضاً وبواب الدار ولم يكن رب الدار بها ولا الحريم بل كانوا قد انتقلوا لدار أخرى لما سكن معظم العسكر بالازبكية ، فاستيقظ النسا وصرخن فضربوهن العسكر وقتلوهن (٤)، واختفت البنت فى جهة وعاثوا فى الدار واخذوا متاعا ومصاغا ونزلوا ، واستيقظ البواب فاختفى خوفاً منهم فلما طلع النهار وشاع الخبر وكان صارى عسكر غايباً ، فلم يقع كلام فى شأن ذلك فلما قدم من سفره ركب مشايخ الديوان إليه واخبروه فأظهر الغم من ذلك والمذمة ، لما فيه من العار الذى يلحقه لكون العسكر وقع منهم ذلك فى غيابه ، ثم اهتم فى التفحص عمن فعل ذلك ، وقتل من اتهم ذلك .

ومنها كثرة تعدى القلقات وتشديدهم على وقود القناديل بالأزقة وإذا مروا

١- العنوان من وضع المحققين .

٢- اليومية التى بين القوسين غير موجودة فى عجائب الآثار وهى توضح انحياز الجبرتى مع الفرنسيين .

٣- يوم الجمعة ٢٧ رجب ١٢١٣هـ الموافق ٤ يناير ١٧٩٩م .

٤- فى عجائب الآثار يذكر الجبرتى انهم " قتلوا منهن امرأة واحدة " .

فى الليل (١) ووجدوا قنديلاً أطفأه الهوا أو فرغ زيته ، سمروا الحانوت أو الدار التى هو عليها ، ولا يقلعون المسمار [ص ١٠٢] حتى يصالحهم صاحبها على ما أحبوا من الدراهم ، وربما تعمدوا كسر القناديل لأجل ذلك واتفق أن المطر أطفا عدة قناديل بسوق أمير الجيوش بسبب كونها فى ظروف من الورق والجريد ، فابتل الورق وسال الماء ، فأطفا القناديل ، فسمروا حوانيت السوق وأصبح أهلها صالحوا عليها . ووقع مثل ذلك فى طرق عديدة ، فجمعوا فى ذلك اليوم جملة كبيرة من الدراهم وأمثال ذلك ، حتى من الأزقة والعطف الغير النافذة (٢) حتى كان الناس ليس لهم شغل إلا القناديل وتفقد حالها ، وخصوصاً فى ليل الشتا الطويل ، [والحكم لله الواحد القهار] (٣).

شهر شعبان ١٢١٣هـ

استهل بيوم الثلاثا (٤) فيه قتلوا ثلاثة أنفار من الفرنسيس بالبندق الرصاص ، بالميدان تحت القلعة ، قيل أنهم من المتسلقين (٥) على الدور .

وفيه (٦) أخبر السفار بأن مراد بيك ومن معه ، ترفعوا إلى قبلى ، ووصلوا إلى عقبة الهوا ، وكلما قرب منهم الفرنسيس انتقلوا وقبِّلوا ، ولقد داخلهم من الفرنسيس شدة الخوف والرعب ، ولم يقع بينهم ملاقاة ولا قتال .

١- عبارة "وإذا مروا فى الليل" مكررة مرتين فى النسخة (ب) وهذا سهو من الناسخ .

٢- هكذا فى كل النسخ والصواب " غير النافذة " ولكن حرصنا على إثبات لغة المؤلف .

٣- العبارة التى بين المعكوفتين غير موجودة فى عجائب الآثار .

٤- يوم الثلاثاء غرة شعبان ١٢١٣هـ الموافق ٨ يناير ١٧٩٩م .

٥- فى النسخة (ب) " ومن المتسلقين " وهى خطأ من الناسخ .

٦- أى فى يوم الثلاثاء غرة شعبان وكذلك اليومية التالية .

وفيه قدمت رباعة تحمل البن الذى حضر من السويس بالمركب " الداو * بصحبة جماعة من الفرنساوية لخفارتها من قطاع الطريق .

وفى يوم الأحد سادسه (١) نادى القبطان الفرنساوى الساكن بالمشهد الحسينى على أهل تلك الخطة وما جاورها بفتح الحوانيت والأسواق لأجل مولد الحسين الشهرى ، وشدد فى ذلك وأوعد من أغلق حانوته بتسميره وتغريمه عشرة ريال فرانسة . وكان السبب فى ذلك والأصل فيه أن هذا المولد ابتدعه السيد بدوى القبانى (٢) مباشر وقف جامع سيدنا الحسين ،وكان قد [ص ١٠٣] اعتراه مرض الحب الأفرنجى ، فنذر على نفسه هذا المولد إن شفاه الله تعالى ، فحصلت له بعض إفاقة ، فابتدا به وأوقد فى القبة والمسجد قناديل وبعض شموع ، ورتب فقها يقرأون القرآن بالنهار مدارسة ،وآخرين بالمسجد يقرأون بالليل " دلائل الخيرات " للجزولى ، ثم زاد الحال وانضم إليهم كثير من أهل البدع كجماعة العفيفى والسمان والعربى والعيساوية ، فمنهم من يتحلق ويذكر الجلالة ويحرفها ، وينشد لهم المنشدون القصايد والمواليات ، ومنهم من يقول أبياتاً من بردة الأبى صيرى (٣) ويجاوبونهم آخرون مقابلون لهم بصيغة صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . وأما العيساوية فهم جماعة من المغاربة ، وما دخل فيهم من أهل الأهواء ، ينسبون إلى شيخ من أهل المغرب ، يقال له سيدى محمد بن عيسى ، وطريقتهم أنهم يجلسون قبالة بعضهم صفين ، ويقولون كلاماً معوجاً بلغتهم ، بنغم

١- يوم الأحد ٦ شعبان ١٢١٣هـ الموافق ١٣ يناير ١٧٩٩ م .

٢- فى عجائب الآثار " السيد بدوى بن فتيح "

٣- هكذا فى كل النسخ وهو يقصد بردة الإمام البوصيرى فى مدح النبى عليه الصلاة و السلام .

* الداو : نوع من المراكب كان شائع الاستعمال فى البحر الأحمر .

وطريقة مشوا عليها على قدر النغم ضرباً شديداً مع ارتفاع أصواتهم ، ويقف جماعة أخرى قبالة الذين يضربون بالدفوف ، فيضعون أكتافهم فى أكتاف بعض، بيحث لا يخرج واحد عم الآخر ، ويلتوون وينتصبون ، ويرتفعون (١) وينخفضون ، ويضربون الأرض بأرجلهم ، كل ذلك مع الحركة العنيفة والقوة الزايدة بحيث لا يقوم هذا المقام إلا من عرف بالقوة ، وهذه الحركات والايقاعات على شكل (٢) الضرب بالدفوف ، فيقع بالمسجد دوى عظيم وضجات من هؤلاء وغيرهم من جماعات الفقرا كل أحد له طريقة وكيفية تباين الأخر هذا مع ما ينضم إلى ذلك من جميع العوامل وتحلقهم بالمسجد [ص ١٠٤] للحديث والهذيان وكثرة اللغط والحكايات والأضاحيك والتلفت إلى حسان الغلمان الذين يحضرون للتفرج والسعى خلفهم والافتتان بهم ، ورمى قشور اللب والمكسرات والماكولات فى المسجد ، وطواف الباعة بالما؟كولات على الناس فية ، وسقاة الماء ، فيصير الجامع بما اجتمع من هذه القاذورات والعفوش ملحقاً بالأسواق المتهنة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . ثم زاد الحال عن ذلك ، بقدوم جماعة الأشاير ، من الحارات البعيدة والقريبة ، وبين أيديهم مناور القناويل والشموع ، والطبول والزمور ، ويتكلمون بكلام محرف ، يظنون أنه ذكر أو توسلات يثابون عليها ، وينسبون من يلومهم أو يعترضهم إلى الاعتزال والخروج والزندقة ، وغاليهم السوقة وأهل الحرف السافلة ، ومن لا يملك قوت ليلته ، فتجد أحدهم يجتهد فى قوة سعيه ، ويبيع متاعه ، أو يستدين الجملة من الدراهم ، ويصرفها فى وقود القناديل وأجرة الطبالة والزمارة ، وأكل يجمع عليه ماهو من

١- كلمة "ويرتفعون" غير موجود فى النسخة (ب) وأثبتناها من بقية النسخ .

٢- فى النسخة (أ)"على نمط ."

أمثاله من الحرافيش ، ثم يقطع ليلته تلك سهراناً ، ويصبح دايخاً كسلاناً ، ويظن أنه بات يتعبد ، ويذكر ويتهجد . واستمر هذا المولد أكثر من عشر سنين ، ولم يزد الناذر لذلك إلا مرضاً ومقتاً ، واستجلب خدمة الضريح مالاح لهم من خساف العقول ، مثل الشمع والدراهم ، واتخذوا ذلك حبالة لأكل أموال الناس بالباطل .

فلما حدثت هذه الحادثة لمصر ؛ ترك هذا المولد فى جملة المتروكات ، ثم حصلت الفتنة التى حصلت ، وسكن هذا القلق الفرنساوى فى خط المشهد ، لضبط تلك الجهة ، وفية [ص١٠٥]خبث ومداهنة ، فصار ينافق المسلمين ويظهر لهم المحبة والتملق ، ويدخل بيوت الجيران ، ويقبل شفاعات المتشفعين ، وأبطل وقوف عسكره بالسلاح ، كعادتهم فى غير هذه الجهة ، وكذلك ترك مايفعله غيره من القلقات من أنواع التشديد على الناس ، فاطمأن به الناس لذلك وتراجعوا للبكور إلى الصلاة فى المساجد بعد تخوفهم من العسكر الذى رتب معه . وتركهم التبكير، فلما آنسوا به وعرفوا أخلاقه رجعوا لعادتهم ، ومشوا بالليل أيضاً بدون فزع وخوف ، وترجمانه على مثل طريقته ، وهو رجل شريف من أهل حلب كان أسيراً بمالطة ، فاستخلصه الفرنسيس فى جملة من استخلصوه من أسرى مالطة ، وقدم معهم مصر ، فلما رتب هذا القلق فى الخط كان ترجمانه يهودياً ، فاحتال بعض أعيان أهل الخط ، ورتب الشريف المذكور ترجماناً عند القلق لتكون فيه راحة للناس . وقد فتح ذلك الترجمان قهوة بالخط بقرب دار القلق ، وجمع الناس للجلوس فيها والسهر حصة من الليل [وأمر ,هم بعدم غلق الحوانيت مقداراً من الليل] (١) كعادتهم القديمة فأستأنسوا بالاجتماعات ، والتغنى والخلاعات ، وعم ذلك جهات تلك الخطة ، ووافق ذلك هوي العامة ، لأن أكثرهم مطبوع على المجون والخلاعة ،

١-ما بين القوسين ساقط من النسخة (أ) .

وتلك هى طبيعة الفرنسيس ، فصاروا يجتمعون عنده للسهر والحديث ، ويجلس معه ذلك القلق الفرنساوى ، فانساق الحديث لذكر هذا المولد الشهرى وما يقع فى ليلته من المهرجان ، وحسنوا له إعادته ، فوافقهم على ذلك ، وأمر بالمناداة وفتح الحوانيت ووقود القناديل ، وشدد فى ذلك .

وفى يوم الأربعا (١) كتبوا أوراقاً بتطير طيارة [ص ١٠٦] ببركة الأزبكية ، مثل التى سبق ذكرها وفسدت ، فاجتمع الناس لذلك وقت الظهر وطيروها ، وصعدت إلى الأعلى ، ومرت إلى أن وصلت تلال البرقية وسقطت ، ولو ساعدها الريح وغابت عن الأعين لتمت الحيلة ، وقالوا أنها سافرت إلى البلاد البعيدة بزعمهم .

وفيه سافر مجلون"اللعين"(٢) إلى الصعيد والياً على دجرجا (٣) لتحرير البلاد ، وقبض الأموال والغلال المتأخرة بالنواحى للغز .

وفيه سافرت قافلة بها أحمال كثيرة ومواهى ونساء إفرنجيات وصناديق ،

١- يوم الأربعاء ٩ شعبان ١٢١٣هـ الموافق ١٦ يناير ١٧٩٨م ، وهو نفس تاريخ اليوميتين التاليتين .

٢- كلمة "اللعين " غير موجودة فى النسخة (ب) وهى كذلك محذوفة من عجائب الآثار .

٣- جرجا : تكونت لأول مرة فى العصر العثمانى باسم كشوفية "دجرجا " ولما تغير اسم الكشوفية باسم ولاية سميت ولاية دجرجا ، وكانت حدودها تمتد سنة ١٢٢٠ هـ من صليبة بندر أسيوط إلى وادى حلفا ولبعد مركز هذه الولاية عن عاصمة القطر كان واليها يتمتع بسلطات كبيرة . وفى سنة ١٢٣٠هـ قسمت إلى قسمين وهما – أول ويشمل البلاد الواقعة قبلى أسيوط ، ومركزى أبو تيج والبدارى ومراكز مديرية سوهاج الحالية والقسم الثانى – ويشمل البلاد التى تدخل اليوم فى اختصاص مديريتى قنا وأسوان .

راجع/ محمد رمزى : القسم الثانى جـ ٤ ص١٥

قيل أنهم أرسلوها إلى الطور ، وصحبتهم عدة من العسكر .

وفى يوم الخميس عاشره (١) حضر طايفة من عسكر الفرنساوية إلى وكالة زين الفقار بالجمالية ، ففتحوا طبقة كانت لكتخدا على باشا الطرابلسى ، وأخذوا ما وجدوه بها من الأمتعة ، وختموا عدة حواصل وأطباق بذلك الخان ، وبالوكالة الجديدة وغيرها ، للمسافرين والهاربين والغليونجية ، [وضبطوا ما بها ، وقبضوا على جماعة من الأتراك ، والغليونجية] (٢) التجار وسجنوهم (٣) بالقلعة وصاروا يفتشون على من بقى منهم بالقاهرة وبولاق ، خصوصاً الجردلية الذين كانوا عسكراً لمراد بيك ، وأخذوا الكثير من نصارى الأروام والغليونجية الذين كانوا مع مراد بيك ، وبعضهم كان بمصر ، فأدخلوهم فى عسكرهم ، وزيوهم بزيهم ، وأعطوهم أسلحة ، وانتظموا فى سلكهم .

وفيه (٤) تواترت الأخبار بأن على باشا ونصوح باشا فارقا مراد بيك ، ومرا من خلف الجبل على الهجن ، وذهبا إلى جهة الشام ، وصحبتهم جماعة إبراهيم بيك الذين كانوا تخلفوا [ص ١٠٧] مع مراد بيك ، مثل رجوان بيك ، وكان ذهابهم فى أواخر رجب (٥)

١- يوم الخميس ١٠ شعبان ١٢١٣هـ الموافق ١٧ يناير ١٧٩٩م .

٢- ما بين القوسين ساقط من النسخة (ب) .

٣- فى جميع النسخ " وسجونهم " فصححناها بالمتن لأستقامة المعنى .

٤- أى فى يوم الخميس ١٠ شعبان ١٢١٣هـ الموافق ١٧ يناير ١٧٩٨م ، وهو نفس تاريخ اليوميات الخمس التالية .

٥- تاريخ مرورهم من خلف الجبل هو أواخر رجب ، أما وصول الخبر بذلك إلى القاهرة وتواتره ، فكان فى يوم الخميس ١٠ شعبان .

وفيه نادوا بإبطال القناديل التى توقد فى الليل على البيوت والدكاكين ، وأن يوقد عوضها فى وسط السوق مجامع ، فى كل مجمع أربعة [1] قناديل ، بين كل مجمع ثلاثون ذراعاً، ويقوم بذلك الأغنيا دون الفقرا ، ولا علاقة للقلقات فى ذلك ، ففرح بذلك فقرا الناس وانفرجت عنهم هذه الكربة .

وفيه ، نادوا أيضاً بأن كل من كان له دعوى شرعية أو ظلامة ، فليذهب إلى العلما والقاضى .

وفيه ، ذهب طايفة من العسكر وضربوا عرب الكوامل ، ورجعوا بمنهوباتهم من الغنم والمعز والدجاج والأوز والحمير وغير ذلك .

وفيه ، حضر رجل من ناحية غزة ، يطلب أماناً للست فاطمة زوجة مراد بيك ، ولابنه الشيخ البكرى وزوجها الأمير زين الفقار وخشداشه . والخطاب للشيخ البكرى[2] فعرض الشيخ البكرى ذلك وترجّى عند صارى عسكر ، بحجة ابنة عمه ، فكتب له أماناً بحضورهم ، وأرسل لهم نفقة، وكان ذلك حيلة منهم لتخلص النفقة. وأخبر ذلك الرسول أن عبد الله باشا ابن العظم بغزة ، وإبراهيم بيك ومن معه خارج البلد وهم فى ضيق وحصر ، وحريمهم داخل البلد .

وفيه ذهب غدة من العسكر الفرنساوية كثيرة إلى قطيا ، وشرعوا فى بنا

١- فى النسخة (أ) "أربع" وما أثبتناه من باقى النسخ هو الصواب .

٢- الشيخ خليل البكرى ولاه بونابرت نقابة الأشراف بعد دخوله القاهرة وهروب السيد عمر مكرم النقيب السابق إلى الشام ، وقد استمر الشيخ البكرى نقيباً للأشراف حتى جلاء الفرنسيين ، حيث أعيدت نقابة الأشراف للسيد عمر مكرم ، وينسب البكرية إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ومنهم محمد بن أبى السرور البكرى المؤرخ المعروف والفيروزبادى صاحب القاموس المحيط . وقد نجح البكرية فى استعادة منصب نقابة الأشراف، بعد أن تخلص محمد على من السيد عمر مكرم، واستمرت فيهم معظم القرنين ١٩ ، ٢٠ .

متاريس هناك ، وأشيع سفر كبير الفرنسيس إلى جهة الشام والإغارة عليها .

وفى ليلة الأحد ثالث عشره (١) كان انتقال الشمس لبرج الدلو ، وهو أول شهر من شهورهم ، فعملوا تلك الليلة حراقة بارود وسواريخ ، كما هى عادتهم عند كل انتقال .

وفى يوم [ص١٠٨] الاثنين رابع عشره ، نادى المحتسب على اللحم الضانى بسبعة أنصاف الرطل ، وكان بثمانية ، واللحم الجاموسى بخمسة ، وكان بستة .

وفيه (٢) ذهب طايفة من العسكر وضربوا عرب العايد نواحى الخانكة ، وقتلوا منهم طايفة ونهبوهم ، ووجدوا من منهوبات الناس وأمتعة عسكر الفرنسيس وأسلحتهم جملة ، فأخذوا ذلك مع ما أخذوه ، وأحضروا معهم بعض رجال ونسا حبسوهم بالقلعة.

وفيه ، ذهب عدة من العسكر إلى صنافير (٣) وأجهور الورد (٤) وقرنفيل (٥)

١- الأحد : ١٣شعبان ١٢١٣هـ الموافق ٢٠يناير ١٧٩٩م .

٢- أى فى يوم الأحد ثالث عشره .

٣- صنافير : من القرى القديمة وردت فى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الإرشاد من أعمال الشرقية ، وفى التحفة من أعمال القليوبية القديمة محمد رمزى - القسم الثانى . جـ١ ص ٥٧

٤- أجهور الورد : من القرى القديمة ، اسمها الأصلى ججهور السمن ، ووردت فى المشترك لياقوت بكورة الشرقية - وفى قوانين ابن مماتى وتحفة الارشاد من أعمال الشرقية وفى التحفة أجهور الكبرى وهى ججهور السمن ، ويقال لها أجهورالورد لكثرة ما كان يزرع فيها من أشجار الورد ، ووردت فى دليل سنة ١٢٢٤هـ وأجهور الكبرى وهى أجهور السمن بولاية قليوب ، وفى تأريع سنة ٩٢٢٨ هـ أجهور الكبرى .محمد رمزى :مرجع سابق، القسم الثانى ، جـ١ ، ص ٥٣.

٥- قرنفيل : من القرى القديمة وردت فى معجم البلدان قرنفيل قرية بمصر وردت فى قوانين ابن مماتى ، وفى تحفة الإرشاد وقرنفيل من أعمال الشرقية وفى التحفة من أعمال القليوبية محمد رمزى : نفسه ، ص ٥٧.

وكفر منصور[1] وبلاد أخرى للتفتيش على العرب ، فأخذوا ما وجدوه للعرب من بهايم وغيرها ، والذى عصى عليهم ضربوه ونهبوه أيضاً ، ونهبوا جمالاً وبهايم ممن لم يعص أيضاً ، ودخلوا بذلك المدينة، فصاروا يبيعون البقرة بريالين وثلاثة ، والنعجة وابنها بريال ، فاشترى غالب ذلك نصارى القبط .

وفى يوم السبت [2] قتلوا بالقلعة نحو التسعين نفراً وغالبهم من المماليك الذين وجدوهم هاربين فى البلاد ، والذين عسّ عليهم "اللعين"[3] الأغا وبرطملين ، ووجدوهم مختفين فى البيوت .

وفيه [4] قبضوا على خمسة أنفار من اليهود ، وامرأتين وألقوا الجميع فى بحر النيل .

وفيه نادوا بأن كل من اشترى شيئاً من منهوبات العرب التى نهبها العسكر يحضره لبيت صارى عسكر .

١- كفر منصور : من القرى القديمة اسمه الأصلى البويرة ورد فى معجم البلدان البويرة موضع بحوض مصر ، وبالبحث تبين أن البويرة المذكورة مكانها اليوم هذا الكفر ، ويدل على ذلك أن الحوض الزراعى المجاور لسكن هذه القرية لا يزال يعرف إلى اليوم باسم البويرة ، وكان هذا الكفر من توابع قرقشندة ثم فصل عنها فى تاريخ ١٢٢٨هـ ، وفى سنة ١٢١٦هـ فصل عن قرقشنده كفر أخر من توابعها باسم كفر محرم ، وفى سنة ١٩٠٣م ضم هذا الكفر إلى كفر منصور باسم كفور منصور ومحرم ، ولاشتراكها مع بعضها فى السكن والإدارة والزمام صدر قرار فى سنة ١٩٣٣ باختصار الاسم وجعلها كفر منصور. محمد رمزى : مرجع سابق ، القسم الثانى جـ١ ص ٤٧ .

٢- يوم السبت ١٩ شعبان ١٢١٣هـ الموافق ٢٦ يناير ١٧٩٩م .

٣- كلمة اللعين محذوفة فى عجائب الآثار .

٤- أى فى يوم السبت وهو نفس تاريخ اليوميتين التاليتين أيضاً .

وفيه كثر الاهتمام والحركة بسفر الفرنسيس إلى جهة الشام ، وطلبوا وهيئوا جملة من الهجن ، وأحضروا جمال عرب الترابين ليحملوا عليها الذخيرة والدقيق والعليق والبقسماط ، ثم رسموا على الوالى بإحضار [ص ١٠٩] عدة كبيرة من الحمير يقال أنها ألف حمار ، وكذلك عدة من البغال ، فطلب شيخ الحمّارة ، وأمره بجمع ذلك ، وكذلك الركبدارية أمرهم بجمع البغال ، فاختفى غالب أصحاب الحمير ، وخاف الناس على حميرهم ، وامتنع خروج السقايين الذين ينقلون الماء بالقرب على الحمير ، وسقايين الجمال والبراسمية ، فحصل للناس ضيق بسبب ذلك .

وفى يوم الاثنين حادى عشرينه (١) كتبوا أوراقاً ولصقوها بالأسواق على العادة ، ونصها :

"الحمد لله وحده ، هذا خطاب إلى جميع أهل مصر من خاص وعام ، من محفل الديوان الخصوصى ، من عقلا الأنام ، علما الإسلام ، والوجاقات والتجار الفخام، نعلمكم معاشر أهل مصر أن حضرة صارى عسكر الكبير بونابارتة أمير الجيوش الفرنساوية ، صفح الصفح الكلى عن كامل الناس والرعية ، بسبب ما حصل من أراذل أهل البلد والجعيدية ، من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية ، وعفا عفواً شاملاً ، وأعاد الديوان الخصوصى فى بيت قايد أغا بالأزبكية ، ورتبه من أربعة عشر شخصاً أصحاب معرفة وإتقان ، خرجوا بالقرعة من ستين رجلاً كان انتخبهم بموجب فرمان ، وذلك لأجل قضا حوايج الرعايا ، وحصول الراحة [لأهل مصر من خاص وعام ،وتنظيمها على أكمل نظام وإحكام] (٢)

١- يوم الاثنين ٢١ شعبان ١٢١٣هـ الموافق ٢٨ يناير ١٧٩٩م .

٢- ما بين القوسين سقط من النسخة (ب) .

كل ذلك من كمال عقله وحسن تدبيره ومزيد حبه لمصر ، وشفقته على سكانها من صغير القوم لكبيره (١) رتبهم بالمنزل المذكور كل يوم لأجل خلاص المظلوم من الظالم ، وقد اقتص من عسكره الذين أساءوا وظلموا بمنزل الشيخ الجوهرى ، وقتل منهم اثنين ، [ص ١١٠] بقرا ميدان ، وأنزل طايفة منهم عن مقامهم العالى إلى أدنى مقام لأن الخيانة (٢) ليست من عادة الفرنسيس، خصوصاً مع النسا الأرامل ، فإن ذلك قبيح عندهم ، لا يفعله إلا كل خسيس (٣) ووضع القبض بالقلعة على رجل نصرانى مكّاس ، لأنه بلغه أنه زاد المظالم فى الكمرك بمصر القديمة على الناس ، ففعل ذلك بحسن تدبيره ليمتنع غيره من الظلم ، ومراده رفع الظلم عن كامل الخلق ، ويفحت الخليج الموصل من بحر النيل إلى بحر السويس ، لتخف أجرة الحمل من مصر إلى قطر الحجاز الأفخم ، وتحفظ البضايع من اللصوص وقطاع الطريق ، وتكثر عليهم أسباب التجارة من الهند واليمن ، وكل فج عميق ، فاشتغلوا بأمر دينكم ، وأسباب دنياكم ، واتركوا الفتنة والشرور ، ولا تطيعوا شيطانكم وهواكم ، وعليكم بالرضا بقضا الله ، وحسن الاستقامة ، لأجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع فى الندامة ، رزقنا الله وإياكم التوفيق والتسليم ، ومن كان له حاجة فليأت إلى الديوان بقلب سليم ، إلا من كان له دعوة شرعية ، فليتوجه إلى قاضى العسكر المتولى بمصر بخط السكرية ، والسلام على أفضل الرسل على الدوام"(٤)

١- فى النسخة (أ) "من صغير القوم قبل كبيره"

٢- فى النسخة (أ) " الخيالة " وهى خطأ من الناسخ .

٣- فى النسخة (ب) " إلا كل رذيل "

٤- يظهر من هذا المنشور عدة أمور لعل أولها دور كبار العلماء الذين انضموا للديوان فى تثبيط همة الشعب عن المقاومة ضد الفرنسيين ، واستخدام الدين كأداة لذلك وكذلك تعديد صفات بونابرت الحسنة وما فعله وما سيفعله أيضاً لأجلهم ، لذا فهم يدعونهم للهدوء ولأن ينشغل كل منهم بنفسه وبحاله ، وهم لا ينسوا كذلك تحذيرهم من المخالفة وإلا الوقوع فى الندامة ، ويبدو أن هذا هو حال كبار رجال الدين فى كل زمان فلو قارنا بين موقفهم هذا وبين موقف صغار العلماء لكان الأمر مخزى لهم وكان هذا تمهيد سياسى لحملة الشام

وفيه أرسلوا للوالى لينبه على السقايين بنقل الماء وعدم التعرض لهم ولحميرهم .

وفى ليلة الأربعا ثالث عشرينه (١) خرج عدة كثيرة من العسكر (٢) وطلب كبير الفرنسيس أن يأخذ صحبته مصطفى بيك كتخدا الباشا أمير الحاج ، ويأخذ أيضاً قاضى العسكر بجمقشى زادة ، وأربعة أنفار من أهل العلم وهم الفيومى والصاوى والعريشى والدواخلى ، وعدة أيضاً من التجار [ص ١١١] والوجاقلية ، ونصارى القبط والشوام .

وفى سادس عشرينه (٣) نادوا للناس بالأمان وفتح الأسواق ليلاً فى رمضان حكم المعتاد .

وفيه (٤) انتقل قايمقام من بيته المطل على بركة الفيل ، وهو بيت إبراهيم بيك

١- يوم الأربعاء ٢٣ شعبان ١٢١٣هـ الموافق ٣٠ يناير ١٧٩٩م .

٢- حملة بونابرت على الشام : تعددت الروايات فى أسباب الحملة الفرنسية إلى الشام وهناك أسباب بعيدة وأسباب قريبة أما البعيدة فهى : أن بونابرت أراد بتقدمه من الشام التمهيد لمشروعه الضخم فى الوصول إلى الهند ودعم العناصر الثائرة على الحكم البريطانى هناك وقيل أن بونابرت أراد بحملته على الشام أن يتوغل فى أملاك الدولة العثمانية حتى يستولى على القسطنطينية ويتقدم عبر البلقان إلى النمسا ولكن كان هناك أسباب أخرى وهى الأسباب القريبة والعملية أيضاً منها :

أ- شعور بونابرت بالخطر المحدق به وبجنوده من جراء الجيوش العثمانية الموجودة في الشام والجاهزة للاستيلاء على مصر فأراد أن يبادرهم الهجوم قبل أن يبادروه .

ب- ضيق الفرنسيين بالحصار البحرى الإنجليزى للشواطئ المصرية وكانت تحصل على المؤن من الشام فأراد الاستيلاء عليها حتى يجبرها على رفع الحصار .

راجع د/ نادر العطار : مرجع سابق ، ص ١٢٥ .

٣- يوم السبت ٢٦ شعبان ١٢١٣هـ الموافق٢ فبراير ١٧٩٩م .

٤- أى فى يوم السبت المذكور آنفاً .

الوالى ، وسكن ببيت أيوب بيك الكبير ، المطل على بركة الأزبكية ، وكذلك من كان ساكناً منهم على بركة الفيل ، انتقلوا بأجمعهم إلى الأزبكية .

وفيه ، عرض حسن أغا محرم المحتسب لصارى عسكر أمر ركوبه المعتاد لإثبات رؤية هلال رمضان ، فرسم له بذلك على العادة القديمة ، فاحتفل لذلك المحتسب احتفالاً زايداً ، وعمل وليمة عظيمة فى بيته فى أربعة أيام ، أولها السبت وآخرها الثلاثا (١) دعى فى أول يوم العلما والفقها والمشايخ والوجاقات وغيرهم ، وفى ثانى يوم التجار والأعيان ، وكذلك ثالث يوم ورابع يوم . ودعا بعضاً من أكابر الفرنسيس وأصاغرهم .

وركب يوم الثلاثا (٢) بالأبهة الكاملة زيادة عن العادة ، وأمامه مشايخ الحرف بطبولهم وزمورهم ، فشق القاهرة على الرسم المعتاد ، ومرّ على قايمقام ، وعلى أمير الحاج ، وصارى عسكر الفرنسيس بونابارتة ، ثم رجع بعد الغروب إلى بيت القاضى بين القصرين ، فأثبتوا هلال رمضان ليلة الأربعا ، ثم ركب من هناك بالموكب ، وأمامهم المشاعل الكثيرة والطبول والزمور والنقاقير والمناداة بالصوم ، وخلفه عدة خيالة من الفرنسيس بشعور مصنوعة على كوافى يلبسونها بروسهم ، وشعورهم مرخية على أقفيتهم بشكل قبيح بشع مهول .

مجمل حوادث شهر شعبان ١٢١٣هـ (٣)

وانقضى شهر شعبان وحوادثه :

١- من يوم السبت ٢ فبراير ١٧٩٩م إلى يوم الثلاثاء ٥ فبراير ١٧٩٩م .

٢- يوم الثلاثاء غاية شعبان ٢٩ منه الموافق ٥ فبراير ١٧٩٩م .

٣- العنوان من وضع المحققين .

فمنها أن أهل مصر جروا على عادتهم [ص ١١١] فى بدعهم التى كانوا عليها ، وانكمشوا عن بعضها واحتشموا خوفاً من الفرنسيس ، فلما تدرجوا فيها وأطلق لهم الفرنسيس القيد ، ورخصوا لهم وسايروهم مشوا عليها ، وانهمكوا فى عمل مواليد الأضرحة التى يرون فرضيتها ، وأنها قربة تنجيهم بزعمهم من المهالك، وتقربهم إلى ربهم زلفى فى المسالك ، فرمحوا فى غفلاتهم مع ما هم فيه من الأسْر، وتعطل الأسباب ، ووقف الحال ، وكساد الصنايع ، وغلو البضايع ، وانقطاع الأخبار ، ومنع الجالب براً وبحراً ، ووقوف الإنكليز واستمرارهم بالبحر، وشدة حجرهم على الصادر والوارد ، حتى غلت جميع الأصناف المجلوبة ، وانقطع أثر كثير منها ، بحيث لم يبق له وجود ببر مصر ، وبطل جملة من الصنايع ، وافتقر أهلها واحتاجوا إلى التكسب بالحرف الدنية ، كقلى السمك ، وبيع الفطير ، والأشربة المسكرة للعسكر ، وأحداث عدة قهاوى وطبخ الأطعمة والمأكولات فى الدكاكين ، وكان أكثر أهل الحرف التى بطلت عمل حمَّاراً مكارياً ، حتى صارت الأزقة ، خصوصاً جهات العسكر ، مزدحمة بالحمير التى تُكرا(١) للتردد فى شوارع مصر ، فإن للفرنسيس بذلك عناية عظيمة ومغالات (٢) فى الأجرة ، بحيث أن الكثير منهم يظل طول النهار فوق ظهر الحمار بدون حاجة سوى أن يجرى به مسرعاً فى الشوارع ، وكذلك يجتمع الجماعة منهم ويركبون الحمير ويجهدونها فى المشى والإسراع بهم فى الشوارع ، وهم يغنون ويضحكون ويصيحون ويتمسخرون ، كما أن لهم عناية أشد من ذلك فى بذل الأموال فى الخمور والتردد

١- أى تستأجر ومنها كلمة "مكارى" أى الذى يؤجر الحمير للركوب والمكارية يطلق عليهم اسم " الحمَّارة " .

٢- هكذا بالتاء المفتوحة فى جميع النسخ والصواب "مغالاة" .

إلى حانات الراح ، والتغالى فى شراء الفواكه والبواطى والأقداح [ص ١١٣] حتى قال صاحبنا المشار إليه سابقاً (١) هذين البيتين عند توجههم إلى الشام .

إن الفرنسـيس قـد ضـاعـت دراهمـهم

فى مصـرنا (٢) بيـن حمـار وخمـار

وعـن قـريب لهـم فى الشـام مهلـكة

يضيـع لهـم فيهـا (٣) آجـال وأعمار

[وقد تحقق ما تفال به عليهم من الهلكة ، والتردى فى حبالة كل مهلكة ، كما ستطلع على شرحه] (٤)

ومنها ترفع أسافل النصارى من القبطة والشوام والأروام واليهود ، وركوبهم الخيول ، وتقلدهم بالسيوف ، بسبب خدمتهم للفرنسيس ، ومشيهم الخيلا وتجاهرهم بفاحش القول ، واستذلالهم المسلمين ، وعدم مبالاتهم بالدين ، إلى غير ذلك مما لا يحيط به الحساب ، ولا يسطر فى كتاب ، كل ذلك جزاء بما كسبت أيديهم وما ربك بظلام للعبيد ، والحال الحال ، والمركوز فى الطبع ما زال ، والبعض استهوته الشياطين ، ومرق والعياذ بالله من الدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

١- يقصد الشيخ حسن العطار .

٢- فى النسخة (أ) "مصر" وقد وردت "مصرنا" فى باقى النسخ وكذلك فى عجائب الآثار .

٣- فى النسخة (أ) "يضيع فيها لهم"

٤- الفقرة بين القوسين حذفها الجبرتى من عجائب الآثار وكتب بدلها ما نصه "ومن طبعهم فى الشراب ، أنهم يتعاطعون لحد النشوة ، وترويح النفس ، فإن زادوا عن ذلك الحد لا يخرجون من منازلهم ، ومن سكر وخرج إلى السوق ، ووقع منه أمر مخل عاقبوه وعرروه" وكما نرى فالحذف والتبديل ليس فى حاجة إلى تعليق .

ومنها تواتر الأخبار من ابتدا شهر رجب بأن رجلاً مغربياً عالماً يقال له الشيخ الكيلانى ، كان مجاوراً بمكة والمدينة والطايف ، فلما وردت أخبار الفرنسيس إلى الحجاز ، وأنهم ملكوا الديار المصرية ، انزعج أهل الحجاز لذلك ، وضجوا بالحرم ، وجردوا الكعبة ، وأن هذا الشيخ صار يعظ الناس ويدعوهم إلى الجهاد ، ويحرضهم على نصرة الحق والدين ، وقرأ (١) بالحرم كتاباً فى معنى ذلك مؤلفاً ، فاتعظ جملة من الناس ، وبذلوا أموالهم وأنفسهم ، وأجتمع نحو الستماية من المجاهدين ، ركبوا البحر إلى القصير مع ما انضم إليهم من أهل ينبع ، فورد الخبر فى أواخره أنه انضم إليهم جملة من أهل الصعيد وبعض ترك [ص ١١٤] ومغاربه ممن كان خرج مع غز(٢) مصر عند وقعة انبابه ، وركب الغز معهم أيضاً ، وحاربوا الفرنسيس ، فلم يثبت الغز كعادتهم وانهزموا ، وتبعهم هوارة (٣)

١- فى النسخ كلها "قراءة " وصححناها حتى يستقيم المعنى .

٢- الغز : كانت تطلق على العسكر فى مصر فى العصر العثمانى ويذكر البعض أنها تعود إلى قبائل "الأوغوز " التركية وهى إحدى القبائل التى تنسب إليها أسرة عثمان ، وقد دخلت الأمثال الشعبية المصرية فى قولهم " آخر خدمة الغز علقة " والعلقة : الوجبة من الضرب أى إن خدمتهم وأخلصت لهم فإنهم يكافئونك بالضرب .
أحمد تيمور – الأمثال – مرجع سابق ، ص ١ .

٣- الهوارة : من أهم القبائل العربية التى هاجرت إلى صعيد مصر ، ويقال أنهم هاجروا منذ العصر الفاطمى ، وقد ازداد نفوذهم فى العصر العثمانى بعد القضاء على نفوذ عربان المغاربة والضعفا ، ومن أشهر مشايخهم " الشيخ همام " والذى أقام حكم شبه مستقل فى منطقة جرجا ، وقد كفلوا للفلاحين الأمن والحماية من هجمات العربان الأخرين ، ولكن أنهى على بك الكبير النفوذ والسيطرة التى للهوارة بقضائه على همام وجدير بالذكر أنه يوجد "هواره بحرى " وهم الذين بقوا فى البحيرة لم يهاجروا إلى الصعيد مثل "هواره قبلى " .
راجع لمزيد من التفاصيل د/ ليلى عبد اللطيف : شيخ العرب همام هـ .م.ع القاهرة – ص ١٥ وما بعدها .

الصعيد والمتجمعة من القرى ، وثبت الحجازيون ثم انكفوا لقلتهم ، وذلك بناحية دجرجا ، وهرب الغز والمماليك إلى ناحية إسنا ، وصحبتهم حسن بيك الجداوى وعثمان بيك حسن تابعه ، ووقع بين الحجازيين والفرنسيس بعض حروب غير هذه المرة بعدة مواضع ، ولم تقع نكاية فى العدو ، بل ينفصل الفريقان بدون طايل

ومنها أن الفرنسيس عملوا كرنتيله (١) بجزيرة بولاق ، فيحجزون بها القادمين من السفار أياماً معدودة كل جهة من الجهات القبلية والبحرية بحسبها .

ومنها أن السيد مصطفى الدمنهورى (٢) مرَّ وهو راكب بغلته بخط الموسكى (٣) فقابله خيَّال فرنساوى تلعب فرسه ، فجفلت بغلة السيد مصطفى المذكور ، وألقتة من على ظهرها إلى الأرض [فصادف حافر فرس الفرنساوى أذنه فرض صماخه ، فلم يتحرك ولم ينطق ، فرفعوه فى تابوت إلى منزله ومات من ليلته إلى رحمة الله تعالى] (٤)

١- كرنتيله : وتكتب "الكورنتيلة " وفى التركية "قرانتينه" من الكلمة الإيطالية "quarantina" بمعنى أربعين ، وكان الواردون من الخارج الذين يشتبه فى مرضهم يحجزون فى الحجر الصحى أربعين يوماً حتى تثبت سلامتهم من الأمراض الوبائية .
د/ أحمد السعيد سليمان: مرجع سابق ، ص ١٨١ .

٢- السيد مصطفى الدمنهورى : أصله من دمنهور ، تفقه على أشياخ عصره ، ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوى ملازمة كلية ، ولما تولى الشرقاوى مشيخة الأزهر ، أصبح الدمنهورى صاحب الحل والعقد فى كثير من القضايا والمهمات ، وكان يكتب الفتاوى على لسان شيخه . وكان له اهتمام بالتاريخ واقتنى عدة كتب مثل " السلوك " و " والخطط " للمقريزى وغيرها للعينى والسخاوى وتوفى فى هذه الحادثة.راجع: عجائب الآثار ، جـ٣ ، وفيات سنة ١٢١٣هـ

٣- خط الموسكى: أوله من آخر شارع السكة الجديدة من عند قنطرة الموسكى ، بجوار القرة قول ، وآخره شارع العتبة ، وعرف بذلك نسبة للأمير عز الدين موسك ، الذى أنشأ القنطرة المعروفة بقنطرة الموسكى ، وقد مات فى دمشق ٥٨٤ هـ . وبهذا الشارع من جهة اليسار حاراتان هما حارة الفرنج وحارة حوش الدماهرة . على مبارك : مرجع سابق جـ٣ ، ص ٣٠٩ .

٤- وردت الفقرة التى بين القوسين فى النسخة (ب) كالآتى "وحكم حافر فرس الفرنساوى أذن المذكور ولم ينطق فرفعوه وهو ميت إلى رحمة الله تعالى" .

شهر رمضان ١٢١٣هـ

استهل بيوم الأربعا كما ذكر (١) ، فيه أخذ كبير الفرنسيس فى الاهتمام بالسفر إلى جهة الشام ، وجهزوا طُلَبَاً كثيراً ، وصاروا فى كل يوم تخرج طايفة بعد طايفة .

وفى يوم السبت (٢) عمل صارى (٣) عسكر ديواناً ، وأحضر المشايخ والوجاقات ، وتكلم معهم فى أمر خروجه للسفر ، وأنهم قتلوا المماليك الفارين بالصعيد ، وأجلوا باقيهم إلى أقصى الصعيد ، وأنهم متوجهون إلى الفرقة الأخرى بناحية غزة ، فيقطعونهم ، [ص ١١٥] ويمهدون البلاد الشامية ، لأجل سلوك الطريق ومشى القوافل والتجارات براً وبحراً لعمار القطر وصلاح الأحوال ، وأننا نغيب عنكم شهراً ثم نعود ، وعند عودنا نرتب النظام فى البلد والشرايع وغير ذلك ، فعليكم ضبط البلد والرعية فى مدة غيابنا ، ونبهوا على مشايخ الأخطاط والحارات ، كل كبير يضبط طايفته ، خوفاً من الفتن مع العسكر المقيمين بمصر ، فالتزموا له بذلك وكتبوا أوراقاً مبصومة على العادة فى معنى ذلك ، ولصقوها بالطرق .

وفى ذلك اليوم خرج القاضى ومصطفى بيك كتخدا الباشا والمشايخ المعينون للسفر إلى جهة العادلية ، وخرج أيضاً عدة كبيرة من عسكرهم ، ومعهم أحمال كثيرة ، حتى الأسرة والفرش والحصر ، وعدة مواهى ومحفات للنساء والجوارى

---

١ – يوم الأربعاء غرة رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٦ فبراير ١٧٩٩م .

٢– يوم السبت : ٤ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٦ فبراير ١٧٩٩م .

٣– كلمة "صارى" غير موجودة فى النسخة (ب) .

البيض والسود والحبوش[1] الذين أخذوهم من بيوت الأمرا ، وتزيا أكثرهم بزى نسايهم الإفرنجيات ، وغير ذلك .

وفى يوم الأحد خامسه [2] ركب صارى عسكر الفرنسيس ، وخرج أيضاً إلى العادلية ، وذلك فى الساعة الرابعة [3] والطالع الحمل ، وفيه القمر فى تربيع زحل ، وصاحبه فى الثانى ، وأبقى بمصر عدة من العسكر بالقلعة والأبراج التى بنوها على التلول ، وقايمقام وبوسليك ، وصارى عسكر دزه بجملة من العسكر فى الصعيد ، وكذلك صوارى عسكر الأقاليم ، كل واحد معه عسكر فى جهة من الجهات ، وأخذ معه المديرين وأصحاب المشورة والتراجمين وأرباب الصنايع منهم ، كالحدادين والنجارين ومهندسين الحروب ، وكبيرهم أبو خشبة ، وأبقى أيضاً بعض أكابرهم بمصر ، ثم تراسل [4] المتخلفون فى الخروج ، كل يوم تخرج منهم جماعة .

١- الحبوش : جدير بالذكر أن الجوارى فى مصر كن ينقسمن إلى ثلاث فئات ، شأنهن فى ذلك شأن الذكور من الرقيق وهن : الجوارى البيض ويجلبن من القوقاز ووسط آسيا ، والجوارى السود ويجلبن من السودان ووسط أفريقيا ، والجوارى الحبشيات ويجلبن من الحبشة وكانت أسعارهن ونسبة جمالهن فى مرحلة وسط بين السود والبيض ، وكانت الجوارى البيض يجلبن للتسرى والمتعة من جانب الحكام والأعيان ، أما السود فكن يجلبن للخدمة فى البيوت ، بينما كانت الجوارى الحبشيات مفضلات لدى متوسطى الحال من المصريين ، وقد أخذ الفرنسيون الكثير من هؤلاء الجوارى من بيوت الأمراء للتسرية عن جنود الحملة إلى جانب من أحضروهن معهم من النساء الفرنسيات . راجع عماد أحمد هلال : الرقيق فى مصر فى القرن التاسع عشر - رسالة ماجستير غير منشورة - آداب المنصورة ، ١٩٩٥ ، ص ٣٥ وما بعدها .

٢- يوم الأحد ٥ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ١٠ فبراير ١٧٩٩م .

٣- الساعة الرابعة بالتوقيت العربى تعادل حوالى الساعة العاشرة صباحاً بالتوقيت الإفرنجى ، وكان العرب يقسمون اليوم إلى أربع وعشرين ساعة ، تبدأ الساعة الواحدة صباحاً مع شروق الشمس وتكون الثانية عشرة عند الغروب ثم تبدأ بعد الغروب الساعة الواحدة مساءاً حتى الثانية عشرة عند شروق اليوم التالى. وقد استمر هذا التوقيت إلى عهد قريب

٤- أى خرجوا أرسالاً فى جماعات متتالية .

وفى يوم الثلاثا سابعه (١) انتدب للنميمة [ص ١١٦] ثلاثة من النصارى الشوام ، وعرفوهم أن المسلمين قاصدون الوثوب على الفرنسيس فى يوم الخميس تاسعه ، فأرسل قايمقام خلف المهدى والأغا فأحضروهم ، وذكر لهم ذلك ، فقالوا لهم هذا كذب لا أصل له ، وإنما هذه نميمة من النصارى كراهة منهم فى المسلمين، ففحص عمن اختلق ذلك فوجدوهم ثلاثة من النصارى الشوام ، فقبضوا عليهم وسجنوهم بالقلعة حتى مضى يوم الخميس ، فلم يظهر صحة ما نقلوه ، فأبقاهم فى الاعتقال . ثم إن نصارى الشوام رجعوا إلى عاداتهم فى لبس العمايم السود والزرق ،وتركوا لبس العمايم البيض والشالات الكشميرى الملونة والمشجرات ، وذلك بمنع الفرنسيس لهم من ذلك .

ونبهوا أيضاً فى أوايل رمضان بأن نصارى البلد يمشون على عادتهم مع المسلمين أولاً ، ولا يتجاهرون بالأكل والشرب فى الأسواق ، ولا يشربون الدخان ، ولاشيأً من ذلك بمرأى (٢) منهم كل ذلك استجلاباً لخواطر الرعية ، حتى إن بعض الفقها مرّ على بعض النصارى وهو يشرب الدخان فانتهره ، فرد عليه رداً شنيعاً ، فنزل ذلك المتعمم فضرب النصرانى واجتمع عليه الناس ، وحضر القلق المحافظ لتلك الجهة ، فرفعها إلى قايمقام ، فسأل من النصارى الحاضرين عن عادتهم فى ذلك ، فأخبروه أن من عادتهم القديمة ، أنه إذا استهل رمضان لا يأكلون ولا يشربون فى الأسواق، ولا بمرأى(٣)من المسلمين أبداً ، فضرب النصرانى ، وترك المتعمم لسبيله .

١- يوم الثلاثا ٧ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ١٢ فبراير ١٧٩٩م .
٢- فى النسخ كلها "بالمرء منهم "والصواب ما أثبتناه "بمرأى " كى يستقيم المعنى .
٣- فى النسخ كلها "بمرا " والصواب ما أثبتناه كى يستقيم المعنى .

[وفى تاسع عشره [1] أحضر أغاة الإنكشارية رجلاً إلى سوق الأشرفية ، وضرب عنقه ، قيل أنه سارق] [2]

وفى رابع عشرينه [3] أحضروا مراد أغا تابع سليمان بيك الأغا من قبلى ، ومعه آخر من الأجناد [ص ١١٧] فاصعدوهما إلى القلعة ، قيل بندقوا عليهما وقتلوهما .

وفى خامس عشرينه[4] ورد الخبر بأن الفرنسيس ملكوا قلعة العريش [5] وطاف رجل من أتباع الشرطة ينادى فى الأسواق ، أن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش ، وأسروا عدة من المماليك ، وفى غد يعملون شنكاً ويضربون مدافع ، فإذا سمعتم ذلك فلا تفزعوا .

١- يوم الأحد ١٩ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٢٤ فبراير ١٧٩٩م .

٢- اليومية التى بين القوسين غير موجودة فى عجائب الآثار .

٣- يوم الجمعة ٢٤ رمضان ١٢١٣هـ الموافق مارس ١٧٩٩م .

٤- يوم السبت ٢٥ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٢ مارس ١٧٩٩م .

٥- احتلال العريش : تلقى رينيه وجنوده أمر الزحف ليكون فى طليعة الجيش فوصل أمام العريش فى ٧ فبراير ١٧٩٩م ولكنه لاقى مقاومة عنيفة وعندما انضم إليه "كليبر" نجحا فى الاستيلاء على العريش فيما عدا القلعة حتى وصل إليهم بونابرت وأخذ في ضربها بالمدفعية الثقيلة وذلك بعد أن رفضت الصلح الذى عرضه عليها بونابرت وبعد أن أخذت ذخيره الجند المحاصر داخل القلعة تفرغ طلبوا الصلح شريطة أن يسمح لهم بالاحتفاظ بسلاحهم فوافق بونابرت على ذلك ولكنه أخذ على جنود الجزار عهد بعدم محاربتهم له سنة كاملة فتعهدوا له بذلك والمغاربة منهم فبعضهم من جند إبراهيم بك رجع إلي مصر والبعض ساروا شرقاً مبتعدين عن الموت وجدير بالذكر أن بونابرت أجرى نزع سلاح الجنود بعد استسلامهم ، وبعد ذلك أصدر منشوراً يدعو السوريين فيه إلى مساعدته ويعلن عن صداقته للعثمانيين والعداء للجزار وكان بونابرت يبرر الحملة بإغارة الجزار على العريش وهى تابعة لمصر . د/ نادر العطار : مرجع سابق ، ص ١٢٨.

فلما أصبح يوم الأحد (١) حضر المماليك المذكورة ، وهم ثمانية عشر مملوكاً ، وأربعة من الكشاف ، وهم راكبون الحمير ومتقلدون بأسلحتهم ، ومعهم نحو المائة من عسكر الفرنسيس فحزن المسلمون لذلك وانقبضت نفوسهم ، وصاروا بين مصدق ومكذب ، وخرج بعض الناس فشاهدهم ، ولما وصلوا إلى خارج القاهرة حيث الجامع الظاهرى ، خرج اللعين برطملين ، وكذلك الخاسر الأغا كل بطايفته (٢) لانتظارهم ومعهم طبول وبيارق فمشوا معهم إلى الأزبكية من الطريق التى استحدثوها ، ودخلوا بهم إلى بيت قايمقام ، فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم ، فذهبوا إلى بيوتهم وفيهم أحمد كاشف تابع عثمان بيك الأشقر ، وآخر يقال له حسن كاشف الدويدار ، وكاشفان آخران وهم يوسف كاشف الروبى ، وإسماعيل كاشف تابع أحمد كاشف المذكور . وكان من خبرهم أنهم كانوا مقيمين بقلعة العريش ، وصحبتهم نحو ألف عسكرى مغاربة وأرناؤط ، فحضر إليهم الفرنسيس الذين كانوا فى المقدمة ، فى أواخر شعبان ، وأحاطوا بالقلعة ، فحاربوهم من داخلها ، ونالوا منهم ، ثم حضر إليهم كبير الفرنسيس بجموعه بعد أيام ، وألحوا فى حصارهم ، فأرسل من بالعريش إلى غزة ، فطلبوا نجدة (٣) فأرسلوا إليهم نحو السبعماية ، وعليهم قاسم بيك أمين البحرين ، فلم يتمكنوا [ص ١١٨] من الوصول إلى القلعة ، لتحلق الفرنسيس بها ، وإحاطتهم عليها ، فنزلوا قريباً من القلعة ، فكبسهم عسكر الفرنسيس بالليل ، فاستشهد قاسم بيك وغيره ، وانهزم

١- يوم الأحد ٢٦ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٣ مارس ١٧٩٩م .

٢- فى عجائب الآثار يحذف الجبرتى كلمات "اللعين والخاسر " ويكتبها هكذا "خرج برطملين والأغا بطوايفهما "

٣- فى النسخة (أ) " وطلب نجده ".

الباقون ، ولم يزل أهل القلعة يحاربون وينالون من عدوهم ما ينالون ، حتى فرغ ما عندهم من البارود والذخيرة ، فطلبوا عند ذلك الأمان فأمنوهم ، ومن القلعة أنزلوهم، وذلك بعد أربعة عشر يوماً فلما نزلوا على أمانهم أرسلوهم إلى مصر ، مع الوصية بهم وتخلية سبيلهم ، وهؤلاء هم الجماعة القادمون ، وأما العسكر الذين كانوا معهم فبعضهم انضاف إليهم ، وأعطوهم جامكية وعلوفة ، وأجلسوهم بالقلعة مع عسكر من الفرنسيس ، والبعض لم يرض بذلك ، فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم إلى حال سبيلهم ، وذهب الفرنسيس إلى ناحية غزة .

وفي ذلك اليوم بعد الظهر (١) عملوا الشنك الموعود به ، وضربوا عدة مدافع من القلعة والأزبكية ، فعظم الهاجس ، وتزايدت الوساوس ، وأظهر النصارى الفرح والسرور ، في الأسواق والدور ، وأولموا في بيوتهم الولايم ، وغيروا الملابس والعمايم ، وتجمعوا للهو والخلاعة ، وزادوا في الشناعة .

وفي يوم الأربعا (٢) توفي أحمد كاشف بقهره فجأة .

وفي عصر ذلك اليوم حضر جماعة من الفرنسيس نحو الخمسة وعشرين ، وهم راكبون الهجن ، وعلى روسهم عمايم بيض ، ولابسون برانس بيض على أكتافهم ، فذهبوا إلى بيت قايمقام بالأزبكية .

فلما أصبح يوم الخميس(٣) عملوا الديوان ، وقروا المكاتبة التي حضرت مع الهجانة ، حاصلها أن الفرنسيس أخذوا غزة وخان يونس ، وأخبروا بروايات مختلفة ، منها أنهم وجدوا إبراهيم بيك [ص ١١٩] ومن معه ارتحلوا من هناك ،

١- بعد ظهر يوم الأحد ٢٦ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٣ مارس ١٧٩٩م .

٢- يوم الأربعاء ٢٩ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٦ مارس ١٧٩٩م .

٣- يوم الخميس ٣٠ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٧ مارس ١٧٩٩م .

وكانوا أرسلوا حريمهم وأثقالهم إلى جبل نابلس ، وقيل بل تحاربوا معهم وهزموا (١)

وفى ذلك اليوم بعد العصر بنحو عشرين درجة (٢) حضر عدة من الفرنسيس ، ومعهم كبير منهم ، وهم راكبون الخيول ، وعدة من المشاة ، وفيهم جماعة لابسون عمايم بيض ، وجماعة أيضاً برانيط ، ومعهم نفير ينفخ فيه ، وبيدهم بيارق ، وهى التى كانت علي قلعة العريش ، إلى أن وصلوا إلى الجامع الأزهر فاصطفوا رجالاً وركباناً بباب الجامع ، وطلبوا الشيخ الشرقاوى ، فسلموه تلك البيارق ، وأمروه برفعهم ونصبهم على منارات الجامع الأزهر ، فنصبوا بيرقين ملونين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين(٣) عند كل هلال بيرقاً ، وعلى منارة أخرى بيرقاً ثالثاً، وعند رفعهم ذلك (٤) ضربوا عدة مدافع من القلعة بهجة وسروراً ، وكان ذلك ليلة عيد الفطر ، [فكان من أشنع ليالى الأعياد على المسلمين] (٥)

فلما كان عند الغروب ضربوا عدة مدافع أيضاً إعلاماً بالعيد .

وبعد العشا الأخيرة طاف أصحاب الشرطة ، ونادوا بالأمان ، وبخروج الناس علي عادتهم لزيارتهم القبور بالقرافتين ، والاجتماع لصلاة العيد ، وأن يلبسوا أحسن ثيابهم .

١- فى النسخة (ب) "وانهزموا ".

٢- الدرجة تعادل ٥ دقائق والمقصود بعد عصر يوم الخميس بنحو ساعة .

٣- المنارة ذات الهلالين أو ذات الرأسين طراز فريد من المنارات وقد أنشأها السلطان الغورى قبيل مجئ العثمانيين واحتلالهم مصر وما زالت قائمة إلى الآن .

٤- كلمة "ذلك " غير موجودة فى النسخة (أ).

٥- العبارة بين القوسين غير موجودة فى عجائب الآثار .

ولما ملكوا العريش كتبوا أوراقاً فأرسلوها إلى البلاد ، ونصها :" فرمان عام موجه من حضرة أمير الجيوش إلى أهالى بر الشام قاطبة ".

بسم الله الرحمن الرحيم

"من طرف بونابارتة (١) أمير الجيوش الفرنساوية :

إلى حضرة المفتيين والعلما وكافة أهالى نواحى غزة والرملة ويافا حفظهم الله تعالى ، بعد السلام ".

" نعرفكم أننا حررنا لكم هذه السطور لكيما نعلمكم أننا حضرنا فى هذا الطرف[ص١٢٠] لمقصدنا طرد المماليك وعسكر الجزار عنكم ، وإلى أى سبب حضور عساكر الجزار وتعدوا علي بلاد يافا والرملة وغزة الذى ما كانوا من حكمه ، وإلى أى سبب أيضاً أرسل عساكره إلى قلعة العريش ، بذلك هجم على أراضى مصر ، فبلاشك كان مراده إجرا الحرب معنا ، فاحنا (٢) حضرنا لنحاربه ، فأما أنتم يا أهالى الأطراف المشار إليها ، لم نقصد لكم أذية ولا أدنى ضرر ، فأنتم استمروا فى محلكم ووطنكم مطمينين ، ومرتاحين ، وأخبروا من كان خارجاً عن محله ووطنه [أن يرجع ويقيم فى محله ووطنه] (٣) ومن قبلنا عليكم ثم عليهم الأمان الكافى ، والحماية التامة ، ولا أحد يتعرض لكم فى مالكم وما تملكه يدكم ، وقصدنا أن القضاة يلازمون خدمهم ووظايفهم على ما كانوا عليه ، وعلى الخصوص أن دين الإسلام لم يزل معتزاً ومعتبراً ، والجوامع عامرة بالصلوات

١- فى النسخة (ب) "بانوبورته " وهى أول مرة تكتب بهذا الرسم فى جميع النسخ .

٢- هكذا بالعامية فى النسخة (أ) وفى باقى النسخ "فنحنا " والصواب " فنحن " .

٣- العبارة التى بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ)

وزيارات المؤمنين ، إذ أن كل خير يأتي من الله سبحانه ، وهو يعطي النصر والظفر لمن يشاء ، ولا يخفاكم أن جميع ما تتآمر(١) به الناس ضدنا فيغدو باطلاً ، ولا نفع لهم به ، لأن كل ما نضع به يدنا لابد عن تمامه بالخير ، والذي يتظاهر لنا بالحب يفلح ، والذي يتظاهر بالعناد يهلك ، ومن كل ما حصل تفهمون جيداً أننا نقهر أعدانا ، ونعضد من يحبنا ، وعلى الخصوص من كوننا متصفين بالرحمة والإشفاق على الفقرا والمساكين ".

ولما أخذوا غزة أرسلوا طوماراً بصورة الواقعة ، وبصموه نسخاً ، وقرى بالديوان ، ولصقوا تلك النسخ بالأسواق ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا عدوان إلا على الظالمين ، نخبر أهل مصر وأقاليمها أنه حضر فرمان مكتوب من غزة من حضرة الجنرال [ص ١٢١] اسكندر برتيه (٢) ، خطاباً إلى حضرة صاري عسكر دوجا(٣)وكيل أمير الجيوش بمصر ، يخبره فيه بأن العساكر الفرنساوية باتوا ليلة تسعة عشر شهر رمضان (٤) في خان يونس ، وفي فجر تلك الليلة توجهوا سايرين إلى ناحية غزة ، فكشفوا قبيل الظهر بساعة ، عسكر المماليك وعسكر الجزار جالسين تجاه غزة ، فتوجه إليهم الجنرال مرلا (٥) مع

١- في النسخة (أ) "تتوامر" وفي النسخة (ب) "تتواتر " فصححنا اللفظ حتى يستقيم المعنى .

٢- في النسخة (أ) "برنيه " وفي النسخة (ب) "برتيه" ولكن الصواب أن اسمه هو الجنرال "اسكندر برتيه " Berthier وكان رئيساً لأركان حرب الحملة .

٣- الجنرال دوجا Dugua عينه بونابرت حاكماً للقاهرة والوجه البحري أثناء غيابه في الشام

٤- يوم الأحد ١٩ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٢٤ فبراير ١٧٩٩م .

٥- الجنرال مرلان Merlin :هو ياور بونابرت وقد أرسل فيما بعد إلى القسطنطينية للتفاوض مع الحكومة التركية . وفي النسخة (ب) كتبت "مراد "وهو خطأ كما رأينا .

عساكر الفرنساوية من خيالة ومشاة ، مراده اغتيال عسكر المملوك وعسكر الجزار ، فلما انتبهوا له فروا هاربين ، ووقع بينه وبين أطراف عساكرهم بعض مضاربة يسيرة ، لم ينجرح فيها إلا شخصان من الفرنساوية ، ومات عسكرى واحدا ، ومات من عسكر المملوك والجزار ناس قلايل ، وحين تشاغل صارى عسكر مرلا (١) بالمضاربة والمقاتلة دخل حضرة صارى عسكر كلهبر الذى كان حاكماً بالأسكندرية ، وكان ساكناً بالأزبكية ، إلى بندر غزة وملكها من غير معارض له ، ووجدوا فيها حواصل مشحونة بالذخاير ، من بقسماط وشعير ، وأربعماية قنطار بارود ، واثنى عشر مدفعاً وحاصلاً كبيراً ملاناً بالخيام الكثيرة ، وجُللاً وبنبات (٢) مهيئات محضرات كصنعة الإفرنج . هذا ما وقع لملكهم بغزة ، وقد أخبرناكم على ما وقع فى كيفية ملك العريش سابقاً ، فاستقيموا عباد الله ، وارضوا بقضا الله ، وتأدبوا فى أحكام مولاكم الذى خلقكم وسواكم والسلام ختام" .

مجمل يوميات شهر رمضان ١٢١٣هـ (٣)

وانقضى شهر رمضان ، ووقع به قبل ورود هذه الأخبار المؤلمة بمصر من السكون والطمأنينة بسبب سفرهم وخلو الطرقات منهم ، وعدم مرور المتخلفين منهم إلا فى النادر ، واختفايهم بالليل جملة كافية ، وانفتاح الأسواق والدكاكين ، والذهاب والمجى ليلاً ، وزيارة الإخوان [ص ١٢٢] والمشى على العادة بالفوانيس

١- فى هذه المرة كتبت "مراد " فى كل النسخ فصححناها فى المتن .

٢- تختلف الجلل عن البنبات فى أن الأولى عند إطلاقها من المدافع لا تنفجر لأنها كرة من الحديد المصمت تدمر المبانى والحصون أما الأخرى فهى معبأة بمواد متفجرة .

٣- العنوان من وضع المحققين .

ودونها ، واجتماع الناس للسهر فى الدور والقهاوى ، ووقود المساجد وصلاة التراويح ، وطواف المسحراتي (١) والتسلى بالرواية والنقول ، وترجى الأمول ، وانحلال الأسعار ، فيما عدا المجلوبات من الأقطار .

شهر شوال ١٢١٣هـ

استهل بيوم الجمعة (٢) وفى صبح ذلك اليوم ، ضربوا عدة مدافع لشنك العيد ، واجتمع الناس لصلاة العيد فى المساجد والأزهر ، واتفق أن إمام الجامع الأزهر نسى قراءة الفاتحة فى الركعة الثانية ، فلما سلم أعاد الصلاة بعدما شنع عليه الجماعة ، وخرج الرجال والنسا لزيارة القبور ، فانتبذ بعض الحرافيش نواحى تربة باب النصر ، وأسرع فى مشيه وهو يقول : " نزلت عليكم العرب يا ناس ". فهاجت الناس وانزعجت النسا ، ورمحت الجعيدية والحرافيش ، وخطفوا ثياب النسا وأُزرهن وما صادفوه من عمايم الرجال وغير ذلك ، واتصل ذلك بتربة المجاورين وباب الوزير (٣) والقرافة ، حتى إن بعض النسا مات تحت

١- فى النسخة (ب) "وطواف المسحرين " والصواب ما أثبتناه فى بقية النسخ .

٢- يوم الجمعة غرة شوال ١٢١٣هـ الموافق ٨ مارس ١٧٩٩م .

٣- باب الوزير : أحد أبواب القاهرة الخارجية فى سورها الشرقى الذى أنشأه صلاح الدين فى المسافة الواقعة بين الباب المحروق وبين قلعة الجبل ، فتحه الوزير نجم الدين محمود المعروف بوزير بغداد فى عهد السلطان المنصور أبو بكر بن محمد بن قلاوون فى سنة ١٣١٤م ، ولهذا عرف منذ ذلك الوقت باسم باب الوزير ، وإليه ينسب شارع باب الوزير وقرافة باب الوزير ، وهذا الباب لا يزال قائماً إلى اليوم ، ولقد جدده الأمير طراماى الأشرفى صاحب القبة المجاورة للباب فى سنة ١٥٠٣م د.عبد الرحمن زكى: مرجع سابق ، ص ٢٦

الأرجل ، ولم يكن لهذا الكلام صحة ، وإنما ذلك من مخترعات الأوباش لينالوا أغراضهم بذلك

وفيه (١) ركب أكابر الفرنسيس وطافوا على أعيان البلد وهنوهم بالعيد فجاملهم (٢) الناس بالمدارة .

وفى أوايله ، وردت الأخبار بأن الغز القبليين تفرقوا من بعضهم ، فذهب مراد بيك وآخرون إلى نواحى أبريم (٣) ومنهم من ذهب إلى ناحية أصوان ، والألفى عدى بجماعته إلى البر الشرقى .

وفى خامسه (٤) حضر ابن الدواخلى من ناحية القرين متمرضاً ، وكان بصحبة الصاوى والعريشى ، متخلفين بالقرين ، وسبب تخلفهم أن كبير الفرنسيس لما ارتحل من الصالحية ، أرسل إلى كتخدا الباشا والقاضى [ص ١٢٣] والجماعة الذين بصحبتهم ، يأمرهم بالحضور إلى الصالحية ، لأنهم كانوا يتأخرون عنه مرحلة ، ، فلما أرادوا ذلك بلغهم وقوف العرب فى الطريق ، فخافوا من المرور ، فذهبوا إلى العرين (٥) فأقاموا هناك ، وأخذ عسكر الفرنسيس جمالهم

١- أى يوم العيد . أول شوال ١٢١٣هـ الموافق ٨ مارس ١٧٩٩م .

٢- فى النسخة (ب) "فجاملوهم الناس " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٣- أبريم : بلدة من بلاد النوبة واقعة على شط النيل الشرقى على مسافة مائة وعشرين ميلاً فى جنوب اسوان وهى ابريمس بروا القديمة ، فتحها السلطان سليم الأول مع الاستيلاء على مصر ، تشتهر بالنخيل ، ويذكر على مبارك عنها أن أبنيتها ومشتملاتها وملابس أهلها وعملتهم وعوائدهم مثل ناحية الشلال . على مبارك مصدر سابق - جـ٨ ص ٣٥

٤- يوم الثلاثاء ٥ شوال هـ الموافق ١٢مارس ١٧٩٩م .

٥- العرين : بلد بالشرقية وهى غير القرين .

، فأقاموا بمكانهم ، فتقلق هؤلاء الثلاثة وخافوا سوء العاقبة ، ففارقوهم وذهبوا للقرين ، وتخلف عنهم الفيومى فأقام مع كتخدا الباشا والقاضى ، فحصل للشيخ محمد الدواخلى توعك ، فحضر إلى مصر ، وبقى رفيقاه فى حيرة

وفى سابعه (١) أحضر الأغا رجلاً ، ورمى رقبته عند باب زويلة ، وشنق امرأة (٢) على شباكِ السبيل تجاه الباب ، والسبب فى ذلك أن الفرنساوى حاكم خط الخليفة وجهة الركبية ، ويسمى دلوى ، أحضر باعة الغلال بالرميلة وصادرهم ، ومنعهم من دفع معتاد الوالى ، فاجتمعوا وذهبوا إلى كبير الفرنسيس الذى يقال له شيخ البلد ، وشكوا إليه ، وكان الأمير زين الفقار حاضراً ، وهو يسكن تلك الجهة ، فساعدهم وعرَّف شيخ البلد عن شكواهم ، فأرسل شيخ البلد إلى دلوى وانتهره ، وأمره برد ما أخذ ، فأخبره أتباعه أن زين الفقار هو الذى عضدهم ، وأنهى شكواهم إلى كبيرهم ، فقام دلوى المذكور ودخل على زين الفقار فى بيته ، وسبه وشتمه بلغته ، وفزع عليه ليضربه ، فلما خرج من عنده قام وذهب إلى كبيرهم ، وأخبره بفعل دلوى معه ، فأمر بإحضاره وحبسه بالقلعة ، ثم أخبر شيخ البلد بعض الناس أن الذى وقع من دلوى ، من تعرضه لبياعين الغلة ، إنما هو بإغرا خادمه ، وعرف كبيرهم أن خادمه المذكور مولع بأمرأة رقاصة من الرميلة، تأتيه بأشكالها ومن على طريقتها ، ويجتمع هو وأضرابه ، وترقص تلك المرأة له فى القهوة التى بخطهم [ص ١٢٤] ليلاً ونهاراً ، وتبيت معهم فى البيت ، ويصبحون فى أرغد عيش (٣) فلما حبس أميرهم اختفوا

١- يوم الخميس ٧ شوال ١٢١٣هـ الموافق ١٤مارس ١٧٩٩م .

٢- فى النسخ كلها تكتب "امراءة" والتصحيح حتى يستقيم المعنى .

٣- فى النسخة (أ) "ويصبحون على حالتهم " .

على الرجل والمرأة فقبضوا عليهم وفعلوا بهم ما ذكر ، ولا بأس بما حصل .

وفى ثامنه ، يوم الجمعة (١) نودى فى الأسواق بموكب كسوة الكعبة المشرفة من قراميدان ، والتنبيه باجتماع الوجاقات وأرباب الأشاير وخلافهم ، على العادة فى عمل الموكب (٢)

فلما أصبح يوم السبت اجتمع الناس بالأسواق وطريق المرور ، وجلسوا للفرجة ، فمروا بذلك ، وأمامها الوالى والمحتسب ، وعليهم القفاطين والبيلشانات(٣) وجميع الأشاير بطبولهم وزمورهم وكاساتهم ، ثم برطملين الكافر (٤) كتخدا مستحفظان وأمامه نفر الانكشارية من المسلمين ، نحو المايتين

١- يوم الجمعة ٨ شوال ١٢١٣هـ الموافق ١٥ مارس١٧٩٩م.

٢- كسوة الكعبة : ظلت الكسوة ترسل بانتظام كل عام من مصر طوال العصر العثمانى من إيراد الأوقاف الموقوفة عليها ولكن خلال فترة الحملة الفرنسية على مصر لم ترسل الكسوة خلال السنوات الثلاث التى قضتها الحملة فى البلاد وذلك على الرغم من تجهيز الكسوة والأحتفال بخروجها فى عام ١٢١٣هـ ، حتى أن الجبرتى يذكر فيما بعد خروج المحمل والكسوة من القاهرة فى شوال ١٢١٣هـ ، ولكنه يعود ويقرر فيما بعد أن المحمل لم يواصل رحلته للحجاز لأنه فى الشرقية انضم مصطفى بك أمير الحج إلى بعض العرب الثائرين على الاحتلال الفرنسى فى مصر . ومن ثم فقد أصدر الفرنسيون أوامرهم بالقبض على مصطفى بك ، ورجع المحمل بالكسوة إلى القاهرة

راجع د/ السيد محمد الدقن : كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ١٠٠ وما بعدها .

٣- البيلشانات : فى الفارسية "بريشان" بالباء المشربة دخلت التركية بلفظها ومعناها وهو المشتت المتناثر : نوع من العمامة اسمه بالكامل فى اللغة العثمانية "بريشان دستارلى قاوون" أى القاوون ذو العمامة المتنثرة . وهى تكتب بعدة أشكال مثل "البيرنشانة" و "البيرنشان" و" البيلشان" . راجع د/ أحمد السعيد سليمان : مرجع سابق ، ص ٤٧ .

٤- كلمة " الكافر " محذوفة من عجائب الآثار .

أو أكثر وعدة كثيرة من نصارى الأروام بالأسلحة والملازمين بالبراقع ، وهو لابس فروة عظيمة ، ثم موكب القلقات ، ثم موكب ناظر الكسوة ، وهو تابع مصطفى كتخدا الباشا ، وخلفه النوبة التركية ، فكانت هذه الركبة من أغرب(١) المواكب ، وأعجب العجايب(٢) لما اشتملت عليه من اختلاف الأشكال ، وتنوع الأمثال ، واجتماع الملل ، وارتفاع السفل ، وكثرة الحشرات ، وعجايب المخلوقات ، واجتماع الأضداد ، ومخالفة الوضع المعتاد . وكان نسيج الكسوة بدار مصطفى كتخدا المذكور ، وهو على خلاف العادة من نسجها بالقلعة (٣)

وفى يوم الأربعا ثالث عشره (٤) حضر عدة من الفرنسيس وهم راكبون الهجن ، ومعهم عدة بيارق وأعلام بعد الظهر ، وأخبروا أن"الكفرة"(٥) الفرنسيس

١- فى النسخة (أ) " من أعظم ".

٢- يفهم من نص الجبرتى هنا استغرابه لما حدث فى الموكب من اشتراك غير المسلمين فى موكب الاحتفال بالكسوة وذلك بعد أن كان دورهم يقتصر على الوقوف على جانبى الطريق للفرجة علي الاحتفال فلقد كان لهذا الحفل شأن كبير فى العصر العثمانى منذ بداية ويعود ذلك إلى ما للحج من أهمية كبرى لمعرفة بداية هذا الموكب فى العصر العثمانى : راجع ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور تحقيق : محمد مصطفى هـ .م . ع جـ٥ ، ص ٢٠٥ ، ص ٢١٨ ، ص ٢١٩ .

٣- أماكن صناعة الكسوة : نتيجة لاختصاص مصر التاريخى بصناعة الكسوة الشريفة فقد تعددت أماكن هذه الصناعة غير أننا لا نعرف على وجه الدقة فى أى وقت كان ذلك . من هنا كان استغراب"الجبرتى " لنسجها فى دار "مصطفى كتخدا " على غير العادة . ولمعرفة اماكن صناعة الكسوة وتطورها . راجع د/ محمد السيد الدقن : مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

٤- يوم الأربعاء ١٣ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٢١ مارس ١٧٩٩م .

٥- كلمة "الكفرة " محذوفة من عجائب الآثار .

ملكوا قلعة يافا (١) وبيدهم مكاتبة من صارى عسكرهم ، بالإخبار عما وقع [ص ١٢٥]

فلما كان يوم الخميس ، واجتمع أرباب الديوان بالديوان ، فقروا عليهم تلك المراسلة بعد تعريبها (٢) وترصيفها على هذه الكيفية بإلزامهم وأمرهم بذلك ، وصورتها :

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان مالك الملك ، يفعل فى ملكه ما يريد ، سبحان الحكم العدل الفاعل المختار ذو البطش الشديد ، هذه صورة تمليك (٣) سبحانه وتعالى جمهور

١- الاستيلاء على قلعة يافا : بدأ حصار يافا فى ٣ مارس ١٧٩٩ م ، وفى صباح ٧ مارس أمر بونابرت بالهجوم على القلعة وسقط ألفان من جنودها فى القتال واستسلم الثلاثة آلاف الباقية من حاميتها فى مقابل وعد بالإبقاء على حياتهم ولكن بونابرت أخرج المصريين منهم ، وعددهم حوالى خمسمائة وأعادهم إلى مصر ، ثم تذرع بوجود مقاتلى حامية العريش الذين حملوا السلاح بالرغم من تعهدهم بعدم محاربة الفرنسيين لمدة عام وساق بونابرت حجة أخرى وهى أنه لم يك لدية ما يكفى من القوات للسيطرة عليهم وإرسالهم إلى مصر ، ولكن يرى "لورنس " أن الدافع لهذا القرار ليس عسكرياً بل هو دافع سياسى ليفعل مثلما فعل أبو الدهب من قبل حينما استولى على المدينة بهذا الشكل ، فأراد بونابرت أن يستولى عبر الرعب على بقية فلسطين .وهى بلا شك وصمة فى تاريخ نابليون جيث أصبح بفعلته هذه لا يقل همجية ووحشية عن التتار الذين نشروا الرعب فى البلاد بعدم إبقائهم على حياة الأسرى .لمزيد من المعلومات . راجع د/ هنرى لورنس . مرجع سابق ، ص ٣٤٤ .

٢- فى النسخة (أ) "بعد تقريرها ".

٣- عند مقارنة هذا النص بالنص الذى نشره حيدر الشهابى لنفس المرسوم اتضح وجود اختلافات بسيطة في الألفاظ مثل هذه صورة "تملك الله " فالله ساقطة من نص الجبرتى وسوف نشير إلى الاختلافات دائماً عندما تقابلنا.

الفرنساوية لبندر يافا من الأقطار الشامية ، تعرف أهل مصر وأقاليمها من ساير البرية ، أن العساكر الفرنساوية ، انتقلوا من غزة ثالث عشرين شهر رمضان (١) ووصلوا إلى الرملة فى الخامس والعشرين منه فى أمن واطمينان ، فشاهدوا عسكر احمد باشا الجزار هاربين بسرعة ، قايلين "الفرار الفرار" ثم إن الفرنساوية وجدوا (٢) فى الرملة ومدينة لُدّ مقدار كبير من مخازن البقسماط والشعير ، ورأوا فيها ألف وخمساية قربة مجهزين جهزها الجزار ، ليسير بها إلى إقليم مصر مسكن الفقّرا والمساكين ، ومراده يتوجه إليها بأشرار العربان من سفح الجبل ، ولكن تقادير الله تفسد المكر والحيل ، قاصداً سفك دماء الناس مثل عوايده الشامية (٣) وتجبره وظلمه مشهور ، لأنه تربيه المماليك الظلمة المصرية ، ولم يعلم من خشانة (٤) عقله ، وسوء تدبيره أن الأمر لله كل شئ بقضايه وتدبيره . وفى سادس عشرين شهر رمضان (٥) وصلت مقدمات الفرنساوية إلى بندر يافا من الأراضى الشامية ، وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية ، وأرسلوا إلى حاكمها وكيل الجزار ، أن (٦) يسلم القلعة قبل أن يحل بهم ويعسكرهم الدمار (٧) [ص ١٢٦] فمن خشانة رأيه وسوء تدبيره ، سعى فى هلاكه وتدميره ، ولم يرد لهم جواب ، وخالف قانون الحرب والصواب وفى آخر ذلك

١- يوم الخميس ٢٣ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٧٩٩م .
٢- كلمة "وجدوا " غير موجودة فى النسخة (ب) .
٣- فى حيدر الشهابى " السابقة " .
٤- فى حيدر الشهابى "خسافة ".
٥- يوم الأحد ٢٦ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٣ مارس ١٧٩٩م .
٦- "أن " غير موجودة فى النسخة (ب) .
٧- نص هذا الخطاب الذى أرسل إلى حاكم يافا فى كوربيه دي ليجييت العدد ٣٠، ص ١١١.

اليوم السادس والعشرين تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا ، وصاروا كلهم مجتمعين ، وانقسموا على ثلاثة طوابير ، الطابور الأول توجه على طريق عكه بعيد عن يافا بأربعة ساعات . وفى السابع والعشرين من الشهر المذكور ، أمر حضرة صارى عسكر الكبير ، بحفر خنادق حول الصور ، لأجل أن يعملوا متاريس أمينة ، وحصارات متقنة حصينة ، لأنه وجد صور (١) يافا ملان بالمدافع الكثيرة ، ومشحونة بعسكر الجزار الغزيرة ، وفى تاسع عشرين الشهر(٢) لما قرب فحت الخندق إلى الصور ، مقدار ماية وخمسين خطوة ، أمر حضرة صارى عسكر المشار إليه أن ينصب المدفع على المتاريس ، وأن يضعوا أهوان القنبر (٣) بإحكام وتأسيس،وأمر بنصب مدافع أُخَر بجانب البحر ، لمنع الخارجين إليهم من مراكب المينا ، لأن وجد فى المينا بعض مراكب أعدوهم عسكر الجزار للهروب ، ولا ينفع الهروب من المقدر والمكتوب ، ولما رأت عساكر الجزار الكاينيين بالقلعة المحاصرين ، أن عسكر الفرنساوية قلايل فى رأى العين للناظرين ، لمدارات الفرنساوية فى الخنادق وخلف المتاريس ، غرهم الطمع ، فخرجوا لهم من القلعة مسرعين مهرولين، وظنوا أنهم يغلبوا الفرنساوية ، فهجموا عليهم الفرنسيس ، وقتلوا منهم جملة كثيرة فى تلك الوقعة ، وألزموهم وألجأوهم للدخول ثانياً فى القلعة . وفى يوم الخميس غاية شهر رمضان حصل عند صارى عسكر شفقة قلبية [ص ١٢٧]

١- "صور " الصواب "سور " ولكن أبقينا عليها هكذا حفاظاً على لغة المؤلف لأنها هكذا فى كل النسخ وجدير أن حيدر الشهابى يكتبها "سور ".

٢- يوم الأربعاء ٢٩ رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٦ مارس ١٧٩٩م .

٣- "أهوان " كتبها حيدر "الهوان " راجع حيدر الشهابى : لبنان فى عهد الأمراء الشهابيين ، بيروت ، جـ٢ ، ص ٢٥٨ وما بعدها . والأهوان نوع من المدافع مأسورتها غير مشخشنة تستخدم لإطلاق القنبر وليس الجلل .راجع : الهوامش السابقة حول تعريف القنبر والجلل

وخاف على أهل يافا من عسكره إذا دخلوا بالقهر والإكراه ، فأرسل إليهم مكتوباً مع رسول مضمونه :[لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، بسم الله الرحمن الرحيم ، من حضرة صارى عسكر اسكندر برتيه كتخدا العسكر الفرنساوى إلى حضرة حاكم يافا ، نخبركم أن حضرة صارى عسكر الكبير بونابارتة ، أمرنا فى هذا الكتاب أن نعرفك أن سبب حضوره إلى هذا الطرف إخراج عسكر الجزار فقط من هذه البلد لأنه تعدى بإرسال عسكره إلى العريش ومرابطته فيها ، والحال أنها من أقليم مصر التى أنعم الله من أرضه ، فقد تعدى على ملك غيره ، ونعرفكم يا أهل يافا أن بندركم حاصرناه من جميع أطرافه وجهاته ، وربطناه بأنواع الحرب وآلات المدافع الكثيرة والجلل والقنابر ، وفى مقدار ساعتين ينقلب صوركم وتبطل آلاتكم وحروبكم . ونخبركم أن حضرة صارى عسكر المشار إليه لمزيد رحمته وشفقته ، خصوصاً بالضعفا من الرعية خاف عليكم من سطوة عسكره المحاربين ، إذا دخلوا لكم بالقهر أهلكوكم أجمعين ، فلزمنا أننا نرسل لكم هذا الخطاب ، أماناً كافياً لأهل البلد والأغراب ، ولأجل ذلك أخر ضرب المدافع والقنابر الصاعدة عنكم ساعة فلكية واحدة ، وإنى لكم من الناصحين .] وهذا آخر جواب الكتاب فجعلوا جوابنا حبس الرسول ، مخالفين للقوانين الحربية ، والشريعة المطهرة المحمدية ، وحالاً فى الوقت والساعة ، هاج (١) صارى عسكر واشتد غضبه على الجماعة (٢) وأمر

١- فى النسخة (أ) "هيج ".

٢- يلاحظ أن بونابرت هنا-وصار الديوان على نهجه-عمل على تبرير مذبحة يافا وهى من النقاط السوداء فى تاريخ الحملة الفرنسية وفى تاريخ بونابرت بأن السبب فى ذلك هو رفضهم أى جنود يافا للأمان بينما هى مغالطة تاريخية لأنه من الثابت أنهم أخذوا عهدالأمان من بونابرت الذى حاول أن يلبس الأمور مسحة دينية بأن كل شئ بقضاء الله وقدره والديوان هنا يكرر ضرب من ليس تابعاً للسلطان العثمانى من المماليك أو عسكر الجزار حتى لا يثير أشجان المصريين . ومن النقاط الجديرة بالبحث أنه ورد الاعتراف فى هذا المنشور بحقوق مصر فى العريش كجزء من أرض مصر ، بينما اعترف المنشور بأن غزة تابعة لفلسطين .

بابتدا ضرب المدافع والقنبر الموجب للتدمير ، وبعد مضى زمان يسير ، تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس ، وانقلب عسكر الجزار فى وبال [ص ١٢٨] وتنكيس ، وفى وقت الظهر من هذا اليوم(١) انخرق صور يافا ، وارتج له القوم ، ونقب من الجهة التى ضرب فيها المدافع من شدة النار ، ولا راد لقضاء الله ولا مُدافع . وفى الحال أمر حضرة صارى عسكر (٢) بالهجوم عليهم ، وفى أقل من ساعة ملكت الفرنساوية جميع البندر والأبراج ، ودار السيف فى (٣) المحاربين واشتد بحر الحرب وهاج ، وحصل النهب فيها تلك الليلة ، وفى يوم الجمعة غرة شوال وقع الصفح الجميل من حضرة صارى عسكر الكبير ، ورق قلبه على أهل مصر من غنى وفقير ، الذين كانوا فى يافا وأعطاهم الأمان ، وأمر (٤) برجوعهم إلى بلادهم مكرمين ، وكذلك أمر أهل دمشق وحلب برجوعهم إلى أوطانهم سالمين ، لأجل ما يعرفوا مقدار شفقته ، ومزيد رأفته ورحمته ، يعفو عند المقدرة ويصفح وقت المعذرة ، مع تمكنه ومزيد إتقانه وتحصنه . وفى هذه الوقعة قتل أكثر من أربعة آلاف من عسكر الجزار بالسيف والبندق ، لما وقع منهم من الانحراف (٥)

١- أى فى يوم الخميس غاية رمضان ١٢١٣هـ الموافق ٧ مارس ١٧٩٩م .

٢- فى النسخة (أ) "أمر صارى عسكر ".

٣- فى النسخة (أ) "ودار المحاربين ".

٤- فى النسخة (ب) "وأمرهم برجوعهم " وهى خطأ والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٥- لم يحدد المنشور أى نوع من الانحراف يقصد فواضح أن الديوان أراد تبرير المذبحة وامتصاص غضبة الجمهور المصرى لذلك بررها بالانحراف ولا ندرى هل هذه هى شفقة بونابرت التى يتحدث عنها المنشور ، وعفوه عند المقدرة ويجب أن نتبين أيضاً موقف العلماء (نقصد كبار العلماء) وهو موقف مخز كما أن المنشور لم يحدد متى قتل هؤلاء وإن كان يشير إلى أنهم قتلوا فى المعركة وهو تزييف للحقيقة .

وأما الفرنساوية فلم يقتل منهم إلا القليل ، والمجروحين منهم ليسوا بكثير ، وسبب ذلك سلوكهم إلى القلعة من طريق أمينة ، خافية عن العيون ، وأخذوا ذخاير كثيرة وأموال غزيرة ، ومسكوا المراكب التى فى المينا ، واكتسبوا أمتعة غالية ثمينة ، ووجدوا فى القلعة أكثر من ثمانين مدفع ، ولم يعلموا مع مقادير الله أن آلات الحرب لا تنفع ، فاستقيموا عباد الله ، وارضوا بقضا الله ، ولا تعترضوا على أحكام الله، وعليكم بتقوى الله ، واعلموا أنّ الملك لله يوتيه من يشاء والسلام عليكم ورحمة الله " (١) فلما تحقق الناس صحة هذا الخبر [ص ١٢٩] نزل بهم من الكآبة والهم والحزن مالا يوصف ، فإنهم كانوا يظنون ، بل يتيقنون استحالة ذلك ، خصوصاً فى المدة القليلة ، ولكن المقضى كاين .

وفى يوم الجمعة خامس عشره (٢) شق جماعة من أتباع الشرطة فى الأسواق والحمامات والقهاوى ، ونبهوا على الناس بترك الفضول والكلام والتلفظ (٣) فى حق الفرنسيس ، ويقولون لهم " من كان يؤمن بالله ورسوله فلينته ويترك الكلام فى ذلك ، فإن ذلك مما يهيج العداوة " وعرفوهم أنه إن بلغ الحاكم من المتجسسين عن أحد تكلم فى ذلك عوقب أو قتل [فلم ينتهوا ، وربما قبضوا على البعض وعاقبوه] (٤) بالضرب والتغريم .

١- لم يكتب الجبرتى أسماء الذين وقعوا على المنشور وهم الفقير السيد خليل البكرى نقيب الأشراف بمصر حالا عفى الله عنه ، والفقير عبد الله الشرقاوى رئيس الديوان بمصر حالا عفى الله عنه ، والفقير محمد المهدى كاتم سر الديوان بمصر حالا عفى الله عنه .
راجع : حيدر الشهابى : مرجع سابق ، ص ٢٦٠.

٢- يوم الجمعة ١٥ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٢٢ مارس ١٧٩٩م .

٣- فى النسخة (أ) "واللفظ " فأثبتناها من باقى النسخ وهو الصواب .

٤- العبارة التى بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ) .

وفى ذلك اليوم كان التحويل الربيعى ، وانتقال الشمس لبرج الحمل ، وهو أول شهر من شهورهم ، فعملوا ليلة السبت شنكاً وحراقة وسواريخ وتجمعوا بدار الخلاعة ، نسا ورجالاً ، وتراقصوا وتسابقوا ، وأوقدوا سرجاً وشموعاً وغير ذلك ، وأظهر النصارى القبطة والشوام الفرح والسرور .

وفى يوم السبت (١) المذكور ، أرسلوا الأعلام والبيارق التى أحضروها من قلعة يافا - وعدتهم ثلاثة عشر علماً وفيهم من له طلايع فضة كبار - إلى الجامع الأزهر ، وكانوا أنزلوا أعلام قلعة العريش قبل ذلك بيوم من أعلا المنارات ، وأرسلوا بدلهم أعلام يافا ، وعملوا لهم موكباً بطايفة من العسكر ، يقدمهم طبلهم ، وخلفهم اللعين (٢) الأغا بجماعته وطايفته ، والمحتسب ومدبروا الديوان ، وخلفهم طبل آخر يضربون عليه بإزعاج شديد وورا ذلك الطبل جماعة من العسكر يحملون البنادق على أكتافهم كالطايفة الأولى ، وبعد هؤلاء عدة من العسكر على روسهم عمايم بيض ، يحملون الأعلام والبيارق المذكورة ، وخلفهم جماعة خيالة من كبار العساكر ، وآخرون راكبون على حمير المكارية . فلما [ص ١٣٠] وصلوا إلى باب الجامع الأزهر ، رفعوا تلك الأعلام ووضعوها على أعلا الباب الكبير ، فوق المكتب ، وبعضهم على الباب الآخر ، بالقرب من حارة كتامة (٣) المعروفة الآن بالعينية ،

١- يوم السبت هو ١٦ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٢٣ مارس ١٧٩٩م .

٢- كلمة "اللعين" محذوفة من عجائب الآثار .

٣- حارة كتامة : تنسب إلى قبيلة " كتامة " نزلوا بها عندما قدموا من المغرب مع القائد جوهر الصقلى عند الفتح الفاطمى لمصر ، وموضع هذه الحارة اليوم المنطقة التى يتوسطها حارة الأزهرى ، وعطفة الدويدارى وما يتفرع منها من العطف والدروب الكائنة فى الجنوب الشرقى من الجامع الأزهر .

د/ عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ، ص ٨٣ .

ولم يرفعوهاعلى المنارات كما صنعوا فى أعلام العريش ، والسر فى ذلك التبكيت والإرغام ولله عاقبة الأمور .

وفى يوم الأحد سابع عشره (١) رتبوا أوامر وكتبوها فى أوراق مبصومة ، ولصقوها بالأسواق ، أحدها بسبب مرض الطاعون ، وآخر بسبب الضيوف الأغراب ، ومضمون الأول بتقاسيمه ومقالاته :" خطاباً لأهل مصر وبولاق ومصر القديمة ونواحيها : أنكم تمتثلوا هذه الأوامر وتحافظوا عليها ، ولا تخالفوها ، وكل من خالفها وقع له مزيد الانتقام والعقاب الأليم ، والقصاص العظيم ، وهى المحافظة من تشويش الكبة ، وكل من ظننتم أو توهمتم أو شككتم فيه ذلك فى محل من المحلات ، أو بيت ، أو وكالة ، أو رَبع ، يلزمكم ويتحتم عليكم أن تعملوا كرنتيله، ويجب قفل ذلك المكان ، ويكون شيخ الحارة أو السوق الذى فيه ذلك أن يخبر حالاً قلق الفرنساوية حاكم ذلك الخط ، والقلق يخبر شيخ البلد قايمقام مصر ، ويكون ذلك فوراً ، وكذلك كل ملة من سكان مصر وأقاليمها وجوانبها ، والأطبا إذا تحققوا وعلموا حصول (٢) ذلك المرض يتوجه كل طبيب إلى قايمقام ويخبره ، ليأمره بما هو مناسب للصيانة والحفظ من هذا التشويش ، وكل من كان عنده خبر من كبار الأخطاط أو مشايخ الحارات وقلقات الجهات ولم يخبر بهذا المرض ، يعاقب بما يراه قايمقام ، ويقاصص مشايخ الحارات بماية كرباج جزا التقصير ؛ وملزوم أيضاً من [ص ١٣١] أصابه هذا التشويش ، أو حصل فى بيته لغيره من عايلته أو عشيرته وانتقل من بيته إلى آخر ، كان قصاصة الموت ، وهو الجانى على نفسه بسبب انتقاله ، وكل رئيس ملة فى خط ، إذا لم يخبر بالكبة الواقعة فى

١- يوم الأحد ١٧ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٢٤ مارس ١٧٩٩م .

٢- كلمة " حصول " غير موجودة فى النسخة (ب) .

خطه، أو بمن مات بها أيضاً حالاً فورياً ، كان عقاب ذلك الرئيس وقصاصه الموت ، والمغسل إن كان رجلاً أو امرأة إذا رأى الميت أنه مات بالكبة ، أو شك فى موته بها ، ولم يخبر قبل مضى أربعة وعشرين ساعة ، كان جزاؤه وقصاصه الموت ، وهذه الأوامر الضرورية يلزم أغاة الإنكشارية وحكام البلد الفرنساوية والإسلامية ، تنبيه الرعية وأستيقاظهم لها ، فإنها أمور مخفية ، وكل من خالف حصل له مزيد الانتقام من قايمقام ، وعلى القلقات البحث والتفتيش عن هذه العلة الردية ، لأجل الصيانة والحفظ لأهل البلد ، والحذر من المخالفة والسلام " .

ومضمون الثانى :" الخطاب السابق من صارى عسكر "دوجا" الوكيل ، وحاكم البلد "دستين " قايمقام ، يلزم المدبرين بالديوان أنهم يشهروا الأوامر وينتبهوا لها ، [وينبهوا عليها ، ويأمروا كامل الرعية بالمحافظة عليها][(١)] وكل من خالف يحصل له مزيد الانتقام ، وهو أنه يتحتم ويلزم كل صاحب خمارة أو وكالة أو بيت ، الذى يدخل فى محله ضيف أو مسافر أو قادم من بلدة أو أقليم ، و يلزمه أن يعرف عنه حالاً حاكم البلد ولم يتأخر عن الإخبار إلا مدة أربع وعشرين ساعة ، يعرفه عن مكانه الذى قدم منه ، وعن سبب قدومه ، ومدة سفره ، ومن أى طايفة ، أو ضيفاً ، أو تاجراً ، أو زايراً ، أو غريماً مخاصماً ، لابد لصاحب المكان من إيضاح البيان [(٢)] والحذر ثم [ص ١٣٢] الحذر من التلبيس والخيانة ، وإذا لم يقع تعريف عن كامل ما ذكر فى شأن القادم بعد الأربعة وعشرين ساعة بإظهار أسمه وبلده وسبب قدومه ، يكون صاحب المكان متعدياً ومذنباً وخايناً وموالساً مع المماليك ، ونخبركم معاشر الرعايا وأرباب الخمامير والوكايل تكونوا ملزومين بغرامة عشرين ريال فرانسة فى المرة الأولى ، وأما فى المرة الثانية فإن الغرامة

١- العبارة التى بين القوسين غير موجودة فى عجائب الآثار .

٢- كلمة " البيان " غير موجودة فى النسخة (ب) .

تضاعف ثلاث مرات ، ونخبركم أن الأمر بهذه الأحكام مشترك بينكم وبين الفرنسيس الفاتحين للخمامير والبيوت والوكايل "والسلام " .

وفيه (١) اجتمعوا بالديوان ، وتفاوضوا في شأن مصطفى كتخدا الباشا ، المولى أمير الحاج ، وهو أنه لما ارتحل مع كبير الفرنسيس ، وصحبته القاضي والمشايخ الذين عينوا للسفر ، والوجاقلية والتجار ، وافترق منهم عند بلبيس ، وتقدمهم هو إلى الصالحية ، ثم إنهم انتقلوا إلى القرين ، فحضر جماعة من العسكر المسافرين ، فاحتاجوا إلى الجمال ، فأخذوا جمالهم ، فلما وصل إلى قطيا ، أرسل إليهم يستدعيهم إلى الحضور ، فلم يجدوا ما يحملون عليه متاعهم ، وبلغهم أن الطريق مخوفة من العرب ، فلم يمكنهم اللحوق به ، فأقاموا بالعرين (٢) وابن الدواخلي وآخرون ، خافوا عاقبة الأمر ، ففارقوهم وذهبوا إلى القرين ، وأعتل ابن الدواخلي بالتشويش ، وحضر إلى مصر كما تقدم ذكر ذلك ، وانتقل مصطفى بيك المذكور والقاضي وصحبتهم الشيخ سليمان الفيومي وآخرون من التجار والوجاقلية إلى كفور [ص ١٣٣] نجم (٣)وأقاموا هناك أياماً ، واتفق أن الصاوي أرسل إلى داره مكتوباً ، وذكر في ضمنه أن سبب افتراقهم من الجماعة ، أنهم رأوا من كتخدا الباشا أموراً غير لايقة ، فلما حضر ذلك المكتوب ، طلبه جماعة الفرنسيس المقيمون بمصر ، وقرأوه وبحثوا عن معنى

١- أي في يوم الأحد ١٧ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٢٤ مارس ١٧٩٩ م .

٢- في عجائب الآثار النص هكذا "فأقاموا بالعرين بالعين المهملة وابن الدواخلي .." .

٣- كفور نجم : من القرى القديمة كانت تسمى طرادية العرب لتميزها من طرادية الغز (الطرادية وهي الفوزية الآن) وردت في التحفة من أعمال الشرقية ، وفي الانتصار وردت باسم طرادية ثم غير اسمها فوردت في تاريخ سنة ٩٢٣هـ باسم كفور نجم ، وفي تاريخ سنة ١٢٢٨هـ باسمها الحالي .محمد رمزي : القسم الثاني ، جـ١ ، ص ١٢٦ .

الأمور الغير لايقه ، فأولها بعض المشايخ بأنه قصَّر فى حقهم ، والاعتنا بشأنهم، فسكتوا وأخذوا فى التفحص ، فظهر أنه خامر عليهم ، واجتمع عليه الجبالى وبعض العرب العصاة ، وأكرمهم وأخلع عليهم، وانتقل بصحبتهم إلى منية غمر (١) ودقدوس (٢) وبلاد الوقف ، وجعل يقبض منهم الأموال ، وحين كانوا على البحر ، مرّ بهم مراكب تحمل الميرة والدقيق إلى الفرنسيس بدمياط ، فقاطعوا عليهم ، وأخذوا ما معهم قهراً ، وأحضروا المراكبية بالديوان ، فحكوا على ما وقع لهم معه ، فأثبتوا خيانة مصطفى بيك المذكور وعصيانه ، وأرسلوا هجاناً بإعلام صارى عسكرهم بذلك ، فرجع إليهم بالجواب ، بأن يرسلوا إليه عسكراً ، ويقبضون عليه ويختمون على داره ، ويحبسون جماعته .

وفى يوم الأحد رابع عشرينه (٣) عينوا عليه عسكراً ، وأرسلوا إلى داره جماعة ومعهم وكلا ، فقبضوا على كتخدايه الذى كان ناظر على الكسوة ، وابن

١- منية غمر : قاعدة مركز ميت غمر وهى من القرى القديمة اسمها الأصلى "منية غمر" وردت به فى نزهة المشتاق قال وهى قرية لها سوق ومتاجر وفى التحفة منية غمر من أعمال الشرقية ، وفى الانتصار وردت محرفة أيضاً باسم منية غمر من الأعمال المذكور واضيفت إليها فى بعض الأحيان "منيه حماد" وسميت "منيتى غمر وحماد ولكن فصل ناحيه حماد بزمام خاص بها منذ ١٢٢٨، وقد جعلت ميت غمر قاعدة لقسم ميت غمر من سنة ١٨٢٦ وفى سنة١٨٧١م سمى مركز "ميت غمر".محمد رمزى:القسم الثانى،ص٢٦٣.

٢- دقدوس : من القرى القديمة التى ذكرها أميلينو فى جغرافيته وقال أن اسمها الرومى"Atlhokotos" وردت فى نزهة المشتاق بأسم دقدوس وهو يتفق مع اسمها الرومى المذكور وهى قرية كبيرة جداً ذات بساتين وزروع وبها سوق ، ووردت فى الأزهار دقدوس وهو الاسم الذى وردت به فى معجم البلدان .
محمد رمزى : القسم الثانى . جـ١ ، ص ٢٥٥ .

٣- يوم الأحد ٢٤ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٣١ مارس ١٧٩٩م .

أخيه ومن معهم ، وأودعوهم السجن بالجيزة ، وضبطوا موجوداته وما تركه مخدومه بكر باشا بقايمة ، وأودعوا ذلك بمكان بالقلعة ، فوجدوا غالب أمتعة الباشا ويرقه (١) وملابسه وعبى الخيل والأمتعة وغيرها ، شيئاً كثيراً ، ووجدوا بعض خيول وجمال أخذوها أيضاً ، فانقبض خواطر الناس لذلك ، فإنهم كانوا مستأنسين [ص ١٣٤] بوجوده ووجود القاضى ، ويتوسلون بشفاعتهم عند الفرنسيس ، وكلمتهم عندهم مقبولة ، وأوامرهم مسموعة . ثم إنهم أرسلوا أماناً للمشايخ والوجاقلية والتجار ، بالحضور إلى مصر مكرمين ولا بأس عليهم .

وفيه ورد الخبر بأن السيد عمر أفندى نقيب الأشراف ، حضر إلى دمياط ، وصحبته جماعة أفندية وغيرهم (٢) وذلك أنهم كانوا بقلعة يافا ، فلما حاصرهم الفرنسيس وملكوا القلعة والبلد ، وجرى ما سطر ، أحضروهم بين يدى كبير الفرنسيس ، فى أسوأ حال ، فأمنهم وأنزلهم فى مركب ، وأرسلهم إلى دمياط من البحر .

وفى يوم الاثنين (٣) نادوا فى الأسواق على المماليك والغز والأجناد والأغراب ، بأنهم يحضروا إلى بيت الوكيل ، ويأخذون لهم أوراقاً ، بعد معرفتهم والتضمين على أنفسهم ، ومن وجد من غير وثيقة فى يده بعد ذلك ، يستاهل الذى يجرى عليه ، وسبب ذلك إشاعة دخول الكثير منهم إلى مصر خفية بصفة الفلاحين .

١- اليارق نوع من الحلى .

٢- فى عجائب الآثار يذكرهم الجبرتى بالاسم وهم : "عثمان أفندى العباسى ، وحسن أفندى كاتب الشهر ، محمد أفندى ثانى قلفة وباش جاجرت ، والشيخ المصطفى وغيرهم " ويذكر أيضاً أن بونابرت " عاتبهم على خروجهم من مصر وألبسهم ملابس " .

٣- يوم الاثنين ٢٥ شوال ١٢١٣هـ الموافق أول أبريل ١٧٩٩م .

وفى يوم الثلاثا (١) نادوا فى الأسواق والشوارع ، بأن من أراد الحج فليحج في البحر من السويس ، صحبة الكسوة والصرة ، وذلك بعد أن عملوا مشورة فى ذلك [وكله كذب لا أصل له] (٢)

وفيه(٣) حضر إمام كتخدا الباشا ، ومعه مكتوب منه ، مضمونه الثنا على الفرنسيس ، وشكر صنيعهم باعتنايهم وعملهم موكب الكسوة والدعا لهم ، وأنه مستمر على مودته ومحبته معهم ، ويطلب منهم الإجازة بالحضور إلى مصر ، ليسافر بصحبة الكسوة والحجاج ، فإن الوقت ضاق ودخل أوان السفر للحج ، وفى أخر المكتوب :" وإن بلغكم من المنافقين شئ فهو كذب ونميمة ، فلا تصدقوه " ، [ص ١٣٥] فقرى كتابه بالديوان ، فلما أفهموه للفرنسيس كذبوه ، ولم ينفعه هذا الاعتذار ، ثم كتبوا له جواباً وأرسلوه صحبة إمامه ، مضمونه إن كان صادقاً فى مقالته ، فليذهب إلى جهة صارى عسكر بالشام ، وأمهلوه ست ساعات ، بعد وصول الجواب إليه ، وإن تأخر زيادة عليها كان كاذباً فى مقالته ، وأمروا العسكر بمحاربته ، والقبض عليه .

وفيه كتبوا أوراقاً ونادوا بها فى الشوارع ، وهى : " يا أهل مصر ، نخبركم أن أمير الحاج رفعوه عن سفره بالحج ، بسبب ما حصل منه ، وأن أهل مصر علما ووجاقات ورعايا لم يخالطوه فى هذا الأمر ، ولم ينسب لهم شئ ، فالحمد لله

١- يوم الثلاثاء ٢٦ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٢ أبريل ١٧٩٩م .

٢- هذا التعليق حذفه الجبرتى من عجائب الآثار مع أنه كان كذب حقيقة حيث لم يحج أحد فى ذلك العام ولم تخرج الصرة ولا الكسوة ولا ندرى السبب فى ذلك .

٣- أى فى يوم الثلاثاء ٢٦ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٢ أبريل ١٧٩٩م ، وهو نفس تاريخ اليومية التالية أيضاً .

الذى برا أهل مصر من هذه الفتنة ، وهم حاضرون سالمين غانمين ، ما عليهم سوء، ومن كان مراده الحج ، يجهز روحه (١) ويسافر مع الصرة والكسوة فى البحر ، المركب حاضرة ، والمعينين المحافظين من أهل مصر صحبة الحجاج حاضرين ، يكون فى علمكم تكونوا مطمينين واتركوا كلام الحشاشين ".

وفى يوم السبت غايته (٢) حضر المشايخ والوجاقات والتجار ، خلا قاضى العسكر ، فإنه لم يحضر وتخلف مع مصطفى كتخدا (٣)

شهر ذى القعدة ١٢١٣هـ

استهل بيوم الأحد (٤) فى سادسه يوم الجمعة (٥) حضرت هجانة من

١- فى النسخة (أ) "يشهل نفسه " وفى عجائب الآثار " يؤهل نفسه " .

٢- الصواب أن غاية شوال توافق يوم الجمعة ٢٩ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٥ أبريل ١٧٩٩م .

٣- فى عجائب الآثار يضيف الجبرتى ثلاث يوميات جديدة كمجمل لحوادث شهر شوال ، وهى فى مجملها تدور حول انجازات الفرنسيين مثل الجسر الذى أقاموه بالقرب من القصر العينى للروضة وكذلك الإنجازات العلمية لهم وهوحريص هنا كذلك على حذف أى إشارة لمن تعاون مع الفرنسيين خوفاً عليهم إذا قرأ الوزير هذا الكتاب ، ومنهم صديقه إسماعيل الخشاب وقد حذف الجبرتى ذلك كله من مظهر التقديس .

٤- يذكر "محمد مختار "فى " التوفيقات الإلهامية " أن غرة شهر ذى القعدة ١٢١٣هـ توافق يوم السبت ٦ أبريل ١٧٩٩م ، وعلى ذلك فإن شهر شوال ٢٩ يوماً ، ولكن الجبرتى يشير إلى أن غرة ذى القعدة كانت يوم الأحد ٧ أبريل ، ولابد أن أحدهما مخطئ ، وليس لذلك سوى تفسير واحد هو أن هلال ذى القعدة لم تثبت رؤيته ليلة السبت ، ولذلك استكمل شوال ثلاثين يوماً ، وعلى ذلك فإن بداية ذى القعدة حسبما يذكر الجبرتى هى يوم الأحد ٧ أبريل ١٧٩٩م ، والاختلاف فى التوارخ بين الجبرتى ومختار باشا يستمر خلال شهرى ذى القعدة وذى الحجة ، ثم يتفقا ثانية فى مطلع شهر المحرم ١٢١٤هـ ، وسوف نضطر للسير على تواريخ الجبرتى لأن ما يهمنا هو الواقع وليس الحساب الفلكى وإن كنا سنشير إلى هذا الاختلاف عند مطلع كل شهر .

٥- يوم الجمعة ٦ من ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق١٢ ابريل ١٧٩٩م .

الفرنسيس ، ومعهم مكاتبة مضمونها أنهم أخذوا حيفاً ، وبعدها ركبوا على عكا(1) وضربوا عليها ، وهدموا جانباً من سورها ، وأنهم استعجلوا فى إرسال هذه الهجانة لطول المدة والانتظار ، لئلا يحصل لأصحابهم القلق ، فتكونوا مطمئنين ، وبعد سبعة أيام نحضر إلى عندكم والسلام [ص ١٣٦] وقد كذبوا (2)

وفيه (3) حضرت مغاربة حجاج إلى بر الجيزة ، فتحدث الناس وكثر لغطهم ، وتقولوا بأنهم عشرون ألفاً حضروا يستنقذوا مصر من الفرنسيس ، فأرسل الفرنسيس للكشف عليهم ، فوجدوهم طايفة من فلان (4) وقرى فاس ،

١- حصار عكا : استولت القوات الفرنسية على حيفا دون قتال وأسرت فيها سفينة للإنكليز ثم تابعت طريقها إلى الهدف ، حتى بلغت أسوار عكا فى ١٨ مارس ١٧٩٩م وكانت أخبار مذابح يافا قد وصلت إلى عكا ، فصمم الجزار على المقاومة حتى اللحظة الأخيرة ، معتمداً على أسوار المدينة من جهة وبراعة جنوده ووفرة عددهم من جهة أخرى ، وكذلك مساعدات سدنى سميث من البحر ، وعندما ألقى بونابرت الحصار على عكا جمع أركان حربة واستقرار الرأى على أنتظار المدافع الضخمة التى كانت فى طريقها من مصر للبدء بالهجوم الحاسم ولكن الأسطول الفرنسى بقيادة برتييه "ضل طريقه وسط الضباب الكثيف فأسره الإنكليز ، ونصبوا مدافعه على أسوار عكا ، واستعملوا عتادة ضد الفرنسيين اصحابه الأصليين . د/ نادر العطار :مرجع سابق ص ١٣١ .

٢- عبارة وقد كذبوا " حذفها الجبرتى من عجائب الآثار" ، مع أنهم كذبوا فعلاً لأنهم لم يحضروا بعد سبعة أيام ، وإنما أقاموا على حصار عكا أكثر من شهرين .

٣- يوم الجمعة ٦ ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق ١٢ أبريل ١٧٩٥م .

٤- هكذا فى جميع النسخ ، وفى عجائب الآثار " من خلايا قرى فاس" .

مثل الفلاحين ، فأذنوا لهم فى تعدية بعض أنفار منهم لقضا أشغالهم ، فحضر شخص منهم إلى الفرنسيس ، ووشى إليهم أنهم قدموا لمحاربتهم والجهاد فيهم ، وأنهم اشتروا خيلاً وسلاحاً ، وقصدهم إثارة فتنة ، فأرسل الفرنسيس إليهم جماعة ينظرون فى أمرهم ، فذهبوا إليهم ، وتكلموا معهم ومع كبيرهم وعن الذى نقل عنهم ، فقالوا إنما جينا بقصد الحج لا لغيره ، ثم رجعوا وصحبتهم كبير المغاربة ، فعملوا الديوان فى صبحها وأحضروه ، وكذلك أحضروا الرجل الذى وشى عليهم ، فتكلموا مع كبير المغاربة وسألوه وناقشوه ، فقال :" أننا لم نأت إلا بقصد الحج " ، فقيل له :" ولأى شئ تشترون الأسلحة والخيول ، فقال :" نعم لازم لنا ذلك لأننا مسافرون فى البر ونحتاج إلى ذلك ضرورة " فقيل له :" أنه نقل عنكم أنكم تريدون محاربة الفرنساوية وتقولون الجهاد أفضل من الحج " فقال :" هذا كلام لا أصل له " ، فقيل له :" إن الناقل لذلك رجل منكم " فقال :" هذا رجل حرامى مسكناه بالسرقة ، وضربناه ، فحمله الحقد على ذلك ، وإن هذه البلاد ليست لنا ولا لسلطاننا حتى نقاتل عليها ، ولا يصح أن نقاتلكم بهذه الشرذمة القليلة ، وليس معنا إلا نصف قنطار بارود " . ثم اتفقوا معه على أن يجمعوا سلاحهم ، ويقيم كبيرهم عندهم رهينة حتى يعدوا جماعته ويسافروا ، ويلحقهم بعد يومين بالسلاح ، فأجابهم إلى [ص ١٣٧] ذلك ، فحمدوه وأهدوا له هدية .

فلما كان يوم السبت (١) خرجت عدة من العسكر إلى بولاق ومعهم مدفعان، ليقفوا للمغاربة حتى يعدوا البحر(٢) ويمشوا معهم إلى العادلية ، فلما رأى الناس

١- يوم السبت ٧ من ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق ١٣ أبريل ١٧٩٩م .

٢- المقصود عبور النيل من البر الغربى إلى البر الشرقى .

خروج العسكر والمدافع فزعوا فى المدينة وبولاق ، ورمحوا كعادتهم وكرشاتهم وصياحهم ، وقالوا وأشاعوا أن الفرنج خرجت لقتال المغاربة ، وأغلقوا غالب الأسواق والدكاكين وأمثال ذلك من تخيلاتهم ، فلم يعدوا المغاربة فى ذلك اليوم ، وعدوا فى ثانى يوم (١) ومشى معهم عسكر الفرنسيس إلى العادلية ، وهم يضربون الطبول الحربية ، وأمامهم مدفع وخلفهم مدفع مع جملة من العساكر

وفى يوم الثلاثا عاشره (٢) سافر عدة من عسكر الفرنسيس إلى عرب الجزيرة ، فإن مصطفى بيك كتخدا الباشا ، ذهب إليهم والتجا إليهم ، فعينوا عليهم ذلك العسكر .

وفى يوم الأربعا(٣) أفرجوا عن جماعة من القليونجية وغيرهم الذين كانوا محبوسين بالقلعة ، وفيهم المعلم نقولا النصرانى الأرمنى ، الذى كان ريس مراكب مراد بيك الحربية التى أنشأها بالجيزة ، وأسكنوه فى بيت حسن كتخدا بباب الشعرية .

وفيه ، حضر ابن شديد شيخ عرب الحويطات(٤) بأمان ، وكان عاصياً ، فأعطوه الأمان وأخلعوا عليه ، وسفّروا معه قافلة دقيق وبقسماط للعسكر بالشام .

وفى يوم السبت حادى عشرينه (٥) حضر مجلون من الناحية القبلية ، وصحبته أموال البلاد والغنايم من بهايم وخلافها .

١- يوم الأحد ٨ ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق ١٤ أبريل ١٧٩٩م .

٢- يوم الثلاثاء ١٠ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق ١٦ أبريل ١٧٩٩ .

٣- يوم الأربعاء ١١ ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق ١٧ أبريل ١٧٩٩م .

٤- عرب الحويطات : سكن عدد كبير منهم فى القليوبية بينما سكن البعض الأخر حول خليج العقبة حيث نزلوا هناك فى القرن السادس عشر ،

راجع د/ ايمان عبد المنعم : مرجع سابق ، ص ٦٣

٥- يوم السبت ٢١ ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق ٢٧ أبريل ١٧٩٩م .

وفيه (١) عموا كرنتيلة عند العادلية لمن يأتى من بر الشام أو غيره ، وكتبوا بذلك أوراقاً .

وفيه سافر عدة من العسكر إلى ناحية شرق إطفيح (٢) بسبب محمد بيك الألفى .

وفيه ، حضر الذين [ص ١٣٨] كانوا ذهبوا إلى عرب الجزيرة ، فضربوهم ونالوا منهم بعض النيل ، وأما مصطفى بيك فلم تعلم عنه حقيقة حال ، قيل أنه ذهب إلى الشام .

وفى خامس عشرينه (٣) أوصلت مراسلة من المذكور خطاباً للمشايخ مضمونها : أنهم يعرفوا أكابر الفرنسيس أنه متوجه إلى صارى عسكرهم بالشام ، وأنهم يفرجون عن قريبة ، وكتخداية ويحتفظون على الأمتعة التى أخذوها ، فإنها من متعلقات الدولة . فلما أطلعوهم على تلك المكاتبة قالوا لا يمكن الإفراج عن المذكورين حتى نتحقق أنه ذهب إلى صارى عسكر ، ويأتينا منه خطاب فى شأنه ، فإنه من الجايز أنه يكذب فى قوله .

١- أى فى يوم السبت ، وهذه اليومية متداخلة مع اليومية التالية لها فى عجائب الآثار ونصها هكذا " وفيه عملوا كرنتيلة عند العادلية لمن يأتى من بر الشام من العسكر إلى ناحية شرق أطفيح ، بسبب محمد بيك الألفى " والتداخل واضح .

٢- إطفيح :بالكسر فى أوله والفاء وياء ساكنة وحاء مهملة : بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه ، وفى قبلته مقام موسى بن عمران عليه السلام ، فيه موضع قدمه ، وينسب إليه بعض العلماء ياقوت الحموى : مصدر سابق ، جـ١ ص ٢٥٩

٣- يوم الأربعاء ٢٥ من ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق أول مايو ١٧٩٩م .

وفيه ثبت أن محمد بيك الألفى مرّ من خلف الجبل، وذهب لعرب الجزيرة ، ومعه من جماعته نحو المائة ، وقيل أكثر ، والتف عليه الكثير من الغز والمماليك المشردين بتلك النواحى ، وقدم له العربان التقادم والكلف ، فأرسل له الفرنسيس عدة من العسكر .

وفى سابع عشرينه (١) لخص الفرنسيس طوماراً أقرى بالديوان ، وطبع منه عدة نسخ ولصقت بالأسواق على العادة ، وكان الناس أكثروا من اللغط بسبب انقطاع الأخبار عن الفرنسيس المحاصرين لعكا ، والروايا عمن بالصعيد ، والكيلانى والأشراف الذين معه ، وغير ذلك ، ونصها :

" من محفل الديوان الكبير بمصر ":

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا عدوان إلا على الظالمين ، نخبر أهل مصر أجمعين ، أنه حضر جواب من عكا من حضرة صارى عسكر الكبير ، خطاباً إلى حضرة صارى عسكر الوكيل بثغر دمياط ، تاريخه تاسع القعدة سنة تاريخه(٢) يخبر فيه أننا [ص ١٣٩] أرسلنا لكم نقيرتين لدمياط ، الأولى أرسلناها فى خمسة وعشرين شوال ، والثانية فى ثمانية وعشرين منه (٣) أخبرناكم فيهما عن مطلوبنا إرسال جانب جلل (٤)

١- يوم الجمعة ٢٧ من ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق ٣ مايو ١٧٩٩م .

٢- يوم الاثنين ٩ من ذى القعدة ١٢١٣هـ الموافق ١٥ أبريل ١٧٩٩م .

٣- يوم الاثنين ٢٥ شوال ١٢١٣هـ الموافق لأول أبريل ١٧٩٩م ، ويوم الخميس ٢٨ شوال ١٢١٣هـ الموافق ٤ أبريل ١٧٩٩م .

٤- فى النسخة (ب) كتبت "كلل" وتكررت بنفس الرسم فيما يلى .

وذخاير إلى عسكرنا المحافظين فى غزة ويافا ، لأجل زيادة المحافظة والصيانة ، وأما من قبل العرضى ، فإن الجلل عندنا كثيرة ، والذخاير والمأكل والمشارب والخيرات غزيرة ، حتى أنها زادت عندنا الجلل بكثرة ، جمعناها مما يرميه الأعدا ، فكأن أعدانا أعانونا ، ونخبركم أننا عملنا لغم (١) مقدار عمقه ثلاثون قدماً ، وسرنا به حتى قربناه إلى الصور الجوانى بمسافة ثمانية عشر قدماً ، وقد قربت عساكرنا من الجهة التى نحارب فيها ، حتى صار بينهم وبين الصور نحو ثمانية وأربعون قدماً ، بمشيئة الله ، عند وصول كتابنا إليكم ، وقبل تمام قراته عليكم ، نكون ظافرين بملك قلعة عكا أجمعين ، فإننا تهيأنا إلى دخولها ، يأتيكم خبر ذلك بعد هذا الكتاب ، وأما بقية إقليم الشام (٢) وما يلى عكا من البلاد ، فإنهم لنا طايعون ، وبالاعتنا ومزيد المحبة فينا راغبون ، يأتوننا بكل خير عظيم ، ويحضرون لنا أفواجاً أفواجاً ، بالهدايا الكثيرة والحب الجسيم ، من القلب السليم ، وهذا من فضل الله علينا ، ومن شدة بغضهم لجزار باشا ، ونخبركم أيضاً أن الجنرال يونوت (٣) انتصر على أربعة آلاف مقاتل حضروا من الشام خيالة ومشاة ، فقابلهم بثلاثماية عسكرى مشاة من عساكرنا ، فكسروا التجريدة المذكورة ، وأوقع

١- المقصود " نفق " .

٢- فى النسخة (ب) " أقاليم الشام ".

٣- ربما يكون المقصود هو الجنرال مورا : فقد تواردت الأنباء علي بونابرت عن أن جيش يزحف من دمشق إلي عكا ، فسار مورا بفرسانه إليه ، واستولى علي الناصرة ، وغنم ما فى مخازنها الكبيرة من مؤن وعتاد ، وبذلك اطمأن بونابرت إلى قوة مركزه أمام عكا التى لم يعرف كيف يخضعها لنفوذه ، ولكنه هذا النصر الذى أحرزه موراً كان دافعاً مؤقتاً وسرعان ما توالت النكبات على بونابرت . أما يونوت فهو الجنرال جونو Junot الذى عينه بونابرت قائداً لحامية قطيا .
راجع د/ نادر العطار - مرجع سابق ، ص ١٣٢ .

منهم نحو ستماية نفس ما بين مقتول ومجروح ، وأخذوا منهم خمسة بيارق ، وهذا أمر عجيب لم يقع نظيره فى الحروب ، أن ثلاثماية نفس تهزم نحو أربعة آلاف [ص ١٤٠] نفس ، فعلمنا أن النصر من عند الله ، لا بالقلة ولا بالكثرة . هذا آخر كتاب [صارى عسكر الكبير إلى وكيله بدمياط ، وأرسل إلينا بالديوان ، حضرة الوكيل] (١)صارى عسكر دوجا ، الوكيل بمصر المحروسة ، يخبرنا بصورة هذا المكتوب ، ويأمرنا أننا نلزم الرعايا من أهل مصر والأرياف أن يلزموا الأدب والإنصاف ، ويتركوا الكذب والخلاف(٢) فإن كلام الحشاشين (٣) يوقع الضرر للناس المعتبرين ، فإن حضرة صارى عسكر دوجا الوكيل ، بلغه أن أهل مصر وأهل الأرياف يتكلمون بكلام لا أصل له من قبل الأشراف ، والحال أن الأشراف الذين تذكرونهم وتكذبون عليهم ، جاءت أخبارهم من حضرة صارى عسكر الصعيد دزه ، يخبر الوكيل دوجا ، بأن الأشراف المذكورين الذين صحبة الكيلانى تمزقوا كل ممزق ، وانهزموا وتفرقوا ، ولم يكن الآن فى بلاد الصعيد شئ يخالف المراد ، وسلم من الفتن والعناد ، فأنتم يا أهل مصر ، ويا أهل الأرياف ، اتركوا الأمور التى توقعكم فى الهلاك والتلاف ، وأمسكوا دينكم قبل أن يحل بكم الدمار ، ويلحقكم الندم والعار ، والأولى للعاقل اشتغاله بأمر دينه ودنياه ، وأن يترك الكذب وأن يسلم لأحكام الله وقضاه ، فإن العاقل يقرا العواقب ، وعلى نفسه يحاسب ، هذا شأن أهل الكمال ، يتركون القيل والقال ، ويشتغلون بإصلاح الأحوال ، ويرجعون إلى الكبير المتعال ، والسلام ".

١- ما بين القوسين مفقود من النسخة (ب) .
٢- فى النسخة (أ) "الخراف" وكذلك فى عجائب الآثار ، ولكن الصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .
٣- فى النسخة (ب) "المنافقين".

مجمل يوميات شهر ذو القعدة (١)

وفى هذا الشهر ، كتبوا أوراقاً بأوامر ، وصورتها :

من محفل الديوان العمومى إلى جميع سكان مصر وبولاق ومصر القديمة ، أننا قد تأملنا وميزنا أن الواسطة الأقرب والأيمن لتلطيف أو لمنع الخطر[ص ١٤١] الضرورى وهو تشويش الطاعون ، عدم المخالطة مع النساء المشهورين ، لأنهم الواسطة الأقرب للتشويش المذكور، فلأجل ذلك حتمنا ورتبنا ومنعنا إلى مدة ثلاثين يوماً من تاريخة (٢) أعلاه لجميع الناس ، إن كان فرنساوى أو مسلم أو نصرانى أو يهودى ، من أى ملة كان ، كل من أدخل إلى مصر أو بولاق أو مصر القديمة من النساء المشهورين ، إن كان فى بيوت العسكر ، أو من كان داخل المدينة ، فيكون قصاصه بالموت ، كذلك من قبل النساء والبنات المشهورين بالعكس ، إن دخلوا من أنفسهم أيضاً (٣) يقاصصوا بالموت ".

ومن حوادث هذا الشهر أنه حضر إلى القلزم (٤) مركبان إنكليز (٥) وقيل

١- العنوان من وضع المحققين .

٢- واضح أن المؤلف قدسها عن ذكر التاريخ أعلا المنشور .

٣- دائماً تأتى فى النسخة (أ) "ايضن" .

٤- القلزم : مدينة قديمة كانت تقع إلى الشمال الشرقى من السويس ، وكانت ميناء هام على البحر الأحمر ، وورثت السويس دور هذه الميناء منذ النصف الثانى من القرن الخامس عشر، ولكن جدير بالذكر أن القلزم تضاءل دورها قياساً إلى عيذاب ولحسابها نتيجة لتصاعد الخطر الصليبى فى شمال البحر الأحمر ، ولكن بعد انتهاء الحروب الصليبية تدهورت عيذاب وعاد دور القلزم الذى ورثته السويس فى النهاية حتى أطلق اسمها على خليج القلزم " خليج السويس " وتحول "بحر القلزم " إلى البحر الأحمر .

د/ عبد الحميد سليمان : مرجع سابق ، ص ٢٥ .

٥- فى عجائب الآثار " مركبان إنكليزيان " .

أربعة ، ووقفوا قبالة السويس ، وضربوا مدافع ، ففر أناس من سكان السويس إلى مصر ، وأخبروا بذلك ، وأنهم صادفوا بعض "داوات" تحمل البن والتجارة ، فحجزوهم ومنعوهم من الدخول إلى السويس .

ومنها ، أن طايفة من عرب البحيرة ، وقيل يصحبهم طايفة يقال لهم عرب الغز و جاءوا وضربوا دمنهور وقتلوا عدة من الفرنسيس ، وعاثوا في نواحي تلك البلاد(١) حتى وصلوا إلى رشيد والرحمانية ، يقتلون الفرنسيس (٢) وغيرهم ، وينهبون البلاد والزروعات .

ومنها ، أن الكيلاني المذكور آنفا توفي إلى رحمة الله تعالى ، وتفرقت طايفته في البلاد ، حتى أنه حضر منهم جملة إلى مصر ، وكان أكثر من يخامر عليهم أهل بلاد الصعيد فيوهمونهم معاونتهم ، وعند الحرب يخلون عنهم ، وبعض البلاد يضيفهم ويسلط عليهم الفرنسيس ، فيقبضون عليهم (٣).

ومنها ، أنه حضر إلى مصر ، الأكثر من عسكر الفرنسيس الذين كانوا

١- في النسخة (ب) " وعاثوا في تلك النواحي والبلاد " .

٢- في النسخة (ب) " ويقتلون النفس من الفرنسيس وغيرهم " .

٣- لا شك أن الجبرتي يتجنى على أهل الصعيد في هذا الموقف بالذات ، فمعلوماته عن حركة المقاومة في الصعيد ضئيلة جداً ، ويكفي أن نعلم أن الفرنسيين - باعتراف ديزيه نفسه - لم يتمكنوا من السيطرة على الصعيد في أي وقت من الأوقات ، برغم الهزائم المتلاحقة على قوات مراد بك والفلاحين والعربان وعرب الحجاز ، فقد ظل مركزهم مضطرباً ونفوذهم مزعزعاً ولم يكن سلطانهم يتعدى المدن التي احتلوها ، وقد كان من الصعب على ديزيه أن يرسل حتى مجرد رسالة إلى بونابرت ، وقد قتل الرسل في كثير من الأحيان . أما عن الأهالي فيقول ديزيه " إن جميع القرى تقفر من السكان كلما اقتربنا منها ولا نجد شيئاً من القوت ولا نرى فلاحاً واحداً يدلنا أو يأتينا بالأخبار ، أو يحمل رسائلنا " فلا شك أن مثل هذا الفلاح ما كان ليوقع بمن جاء لمساعدته ، والجبرتي هنا يردد ما زعمه الفرنسيون حتى ينشروا روح اليأس بين أهل القاهرة .

بالجهة القبلية ، وضربوا فى حال رجوعهم بنى عدى ، بلدة من [ص ١٤٢] بلاد الصعيد مشهورة وكان أهلها ممتنعين عليهم فى دفع المال والكلف ، ويرون فى أنفسهم الكثرة والقوة والمنعة ، فخرجوا عليهم وقاتلوهم ، فملك عليهم الفرنسيس تلاً عالياً ، وضربوا عليهم بالمدافع ، فاتلفوهم وأحرقوا جرونهم ، ثم كبسوا عليهم ، وأسرفوا فى قتلهم ونهبهم ، وأخذوا أشيا كثيرة ، وأموالاً عظيمة ، وودايع جسيمة، للغز وغيرهم من مساتير أهل البلاد القبلية ، لظن منعتهم . وكذلك فعلوا بالميمون (١)

شهر ذى الحجة ١٢١٣هـ

استهل بيوم الثلاثا (٢) فى ثانيه ، خرج نحو الألف من عسكر الفرنسيس ، للمحافظة على البلاد الشرقية ، لتجمع العرب والمماليك على الألفى ، وكذلك تجمع

١- ثورة بنى عدى : أخذ أهالى بنى عدى والقرى المجاورة لها فى الاستعداد للثورة ضد الفرنسيين ، فانسحب إليها فلول الأهالى والعرب الذين انهزموا فى "جرجا " و "جهينة " ومعهم حوالى ٣٠٠ من فرسان المماليك ، وبنى عدى بلدة كبيرة واقعة على طرف الصحراء غربى منفلوط ، فاجتمع بها نحو ثلاثة آلاف من الأهالى المسلمين وانضم إليهم ٤٥٠ من العرب أضافة للمماليك ، واشتبك معهم الفرنسيون فى حرب حامية ولقى الجيش الفرنسى منهم مالم يلق فى كثير من البلاد ، ولما عجز الفرنسيون عن الاستيلاء على بنى عدى وهزيمة الأهالى لجأوا إلى للهمجية وأحرقوا القرية وقدر عدد القتلى من بنى عدى بألفى قتيل .لمزيد من المعلومات راجع / عبد الرحمن الرافعى – مرجع سابق ، جـ١ ، ص ٣٨٦ .

٢- يوم الثلاثاء غرة ذى الحجة ١٢١٣هـ الموافق ٧ مايو ١٧٩٩م . ويذكر مختار باشا فى "التوفيقات الإلهامية" أن غرة شهر ذى الحجة ١٢١٣هـ توافق يوم الاثنين ٦ مايو ١٧٩٩م ، وفى طبعة التربية والتعليم أن غرة الشهر توافق يوم الثلاثاء ٦ مايو وهو خطأ ناتج من عدم إدراكهم لاختلاف بداية الشهور عند الجبرتى ومختار باشا حيث أن المؤكد أن ٧ مايو يوافق يوم ثلاثاء فى أيام الاسبوع . وقد استمر هذا الخطأ عندهم فى كل يوميات هذا الشهر .

الكثير من الفرنسيس وذهبوا إلى جهة دمنهور ، وفعلوا بها كما فعلوا فى بنى عدى من القتل والنهب ، وكان أشيع بمصر ، وتناقله الناس وثبت وجوده فى الخارج بعد ذلك ، أنه حضر إلى دمنهور رجل مغربى ، وصحبته نحو الثمانين نفراً، فكاتب أهل البلاد ودعى الناس إلى الجهاد ، فاجتمع عليه أهل البحيرة (١) وغيرهم، وحضروا إلى دمنهور ، وقاتلوا من بها من الفرنسيس ، واستمر أياماً كثيرة تجتمع عليه أهل تلك النواحى وتفترق ، ويغرب هو تارة ويشرق .

وفيه(٢) أشيع (٣) أن الألفى حضر إلى بلاد الشرقية ، وقاتل من بها من الفرنسيس ، ثم ارتحل إلى الجزيرة .

وفى سابعه (٤) حضر جماعة من فرنسيس الشام إلى الكرنتيلة بالعادلية ، وفيهم مجاريح ، وأخبر عنهم بعضهم أن الحرب لم تزل قائمة بينهم وبين أحمد باشا بعكا ، وأن مهندس حروبهم المعروف " بأبى خشبة " عند العامة ، واسمه "كفرلى " مات (٥) وحزنوا لموته ، لأنه كان من دهاتهم وشيطانهم ، [ص ١٤٣]

١- البحيرة : يقع إقليم البحيرة على يسار النيل وهو يأخذ شكل مثلث ضلعة الأيمن فرع رشيد من الجهة الشرقية ومن الجهة الغربية صحراء ليبيا ، وضلعه الأعلى للبحر المتوسط ابتداء من مصب رشيد حتى حدود الأسكندرية من الجهة الشمالية ، وفي العصر العثمانى كانت البحيرة من الأقاليم الإدارية الكبرى " ولاية " وكان يتولى حكمها أحد بكوات مصر وكان يعينه ديوان مصر من بين الأمراء المماليك الذين كثيراً ما قام الصراع بينهم من أجل تولى حكم هذه الولاية ، وكان لحاكم البحيرة عدداً من الكشاف يصل أحياناً إلى عشرين كاشفاً وأحياناً كان يوجد معه قائمقامين . أ مينة السيد إبراهيم : إقليم البحيرة فى العصر العثمانى ١٥١٧ - ١٧٩٨، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب الزقازيق ، ١٩٩٥ ، ص ١٢٠ وما بعدها .

٢- أى فى يوم الأربعاء ثانى ذو الحجة ١٢١٣هـ الموافق ٨ مايو ١٧٩٩م .

٣- فى النسخة (ب) "شاع " .

٤- يوم الاثنين ٧ من ذى الحجة ١٢١٣هـ الموافق ١٣ مايو ١٧٩٩م .

٥- كلمة " مات " غير موجودة فى النسخة (ب) وأثبتناها من بقية النسخ .

وكان له معرفة بتدبير الحروب ومكايد القتال ، وإقدام عند المصاف ، مع ما ينضم لذلك من معرفة الأبنية وكيفية وضعها ، وكيفية أخذ القلاع ومحاصرتها .

وفى يوم الأربعا(١) كان عيد النحر ، وكان حقه يوم الخميس ، وعند الغروب من تلك الليلة ضربوا مدافع من القلعة إعلاماً بالعيد ، وكذلك عند الشروق ، ولم يقع فى ذلك العيد أضحية على العادة ، لعدم الأنعام ، وكونها محجوزة بالكرنتيلة ، والناس فى حزن وغم .

ومن الحوادث فى ذلك اليوم (٢) أن رجلاً رومياً من باعة الرقيق ، عنده غلام مملوك ساكن فى طبقة بوكالة زين الفقار بالجمالية ، خرج لصلاة العيد ، ورجع إلى طبقته فوجد ذلك الغلام متقلدا بسلاح ، ومتزيياً بمثل ملابس الغليونجية ، فقال له :" من أين لك هذا السلاح(٣) واللباس ، " فقال :" من عند جارنا فلان العسكرى" ، فأمره بنزع ذلك ، فلم يستمع له ولم ينزعها ، فشتمه ولطمه على وجهه ، فخرج من الطبقة ، وحدثته نفسه بقتل سيده ، ورجع يريد ذلك ، فوجد عند سيده ضيفاً فلم يتجاسر عليه لحضور ذلك الضيف ، فوقف خارج الباب ، ورآه سيده فعرف من عينه الغدر ، فلما قام ذلك الضيف قام معه ، وخرج وأغلق الباب على الغلام ، فصعد إلى السطح ، وتسلق إلى سطح آخر ، ثم تدلى بحبل إلى أسفل الخان ، وخرج إلى السوق وسيفه مسلول ، ويقول :" الجهاد يا مسلمين ، اذبحوا الفرنسيس " ونحو ذلك من الكلام ، ومرَّ إلى جهة الغورية ، فصادف ثلاثة أشخاص

١- يوم الأربعاء ٩ من ذى الحجة ١٢١٣هـ الموافق ١٥ مايو ١٧٩٩ م .

٢- أى فى يوم الخميس ١٠ ذو الحجة ١٢١٣هـ الموافق ١٦ مايو ١٧٩٩م .

٣- كلمة " السلاح " غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من بقية النسخ .

من الفرنسيس ، فقتل منهم شخصاً ، وهرب الاثنان ، ورجع على أثره ، والناس يعدون خلفه من بعد ، إلى أن [ص ١٤٤] وصل إلى درب بالجمالية غير نافذ ، فدخله ، وعبر إلى دار وجدها مفتوحة وربها واقف على بابها ، والفرنسيس تجمع منهم طايفة [وظنوا ظناً آخر ، وبادروا إلى القلاع ، وحضر منهم طائفة] (١) مع القلق يسألون عن ذلك المملوك ، وهاجت العامة ورمحت الصغار ، وأغلق بعض من كان فاتحاً فى هذا اليوم حانوته ، ثم لم تزل الفرنسيس تسأل عن المملوك ، والناس يقولون ذهب من هنا ، حتى وصلوا إلى ذلك الدرب فدخلوه ، فلما أحس بهم نزع ثيابه ، وتدلى فى بير بتلك الدار ، فدخلوا الدار وأخرجوه من البير وأخذوه ، وسكنت الفتنة ، فسألوه عن أمره ، وما السبب فى فعله ذلك ، فقال : " إنه يوم الأضحية ، فأحببت أن أضحى على الفرنسيس " ، وسألوه عن السلاح ، فقال " إنه سلاحى" فحبسوه لينظروا في أمره ، وطلبوا سيده فوجدوه عند الشيخ المهدى ، فأخذوا بعض جماعة من أهل الخان ، ثم أطلقوهم بدون ضرر ، وأخذوا سيده من الشيخ المهدى وحبسوه ، وحضر الأغا وبرطملين إلى الخان بعد العشا ، وطلبوا البواب والخانجى (٢) والجيران ، وصعدوا إلى الطباق ، وفتشوا على السلاح ، وقلعوا البلاط فلم يجدوا شيئاً ، وأرادوا فتح الحواصل ليتوصلوا لنهبها ، فمنعهم أحمد بن محمود محرم التاجر ، فخرجوا وأخذوا معهم الخانجى وجيران الطبقة تتمة سبعة أنفار ، وحبسوهم أيضاً ، وقتلوا المملوك فى ثانى يوم ، واستمر الجماعة فى الحبس إلى أن أطلقوهم بعد أيام عديدة من الحادثة .

١- الفقرة التى بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ) .

٢- أى صاحب الخان أو المسئول عنه .

وفى ذلك اليوم أيضاً (١) مرّ نصرانى من الشوام على المشهد الحسينى [ص ١٤٥] وهو راكب على حمار ، فرآه ترجمان قلق الخطة ، ويسمى السيد عبد الله ، فأمره بالنزول إجلالاً للمشهد على العادة ، فامتنع فانتهره وضربه ، وألقاه إلى الأرض ، فذهب ذلك النصرانى إلى الفرنسيس وشكا إليهم من السيد عبد الله المذكور ، فأحضروه وحبسوه ، فشفع فيه مخدومه فلم يطلقوه ، وادعى النصرانى أنه ضاع له وقت ضربه إياه دراهم كانت فى جيبه ، واستمر الترجمان محبوساً عدة أيام حتى دفع تلك الدراهم ، وهى ستة آلاف درهم .

وفيه ، أرسل فرنسيس مصر إلى فرنسيس الشام ، ميرة علي جمال العرب ، نحو ثمانمائة (٢) حمل ، وذهب صحبتها برطملين وطايفة من العسكر ، فأوصلوها إلى بلبيس ورجعوا بعد يومين .

وفيه ، حضر إلى السويس تسع "داوات" بها بن وبهار وبضايع تجارة ، وفيها لشريف مكة خمسماية فرق(٣) وكانت الإنكليز منعتهم عن الحضور ، فكاتبهم الشريف ، فأطلقوهم بعد أن حددوا عليهم أياماً مسافة التنقيل والشحنة ، وأخذوا منهم عشوراً ، وسامح الفرنسيس بن الشريف من العشور ، لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك وهدية ، قبل وصول المراكب إلى السويس بنحو عشرين يوماً ، وطبعوا صورتها فى أوراق ولصقوها بالأسواق وهى : خطاب لبوسليك وصورته :

من الشريف غالب بن مساعد ، شريف مكة المشرفة ، إلى عين أعيانه ، وعمدة إخوانه ، بوسليك مدبر أمور جمهور الفرنساوية ، ممهد بنيان السياسة بسداد

١- يوم الخميس ١٦ مايو ١٧٩٩م . وهو نفس تاريخ اليوميتين التاليتين أيضاً .

٢- فى النسخة (أ) " نحو الثلاثماه " وفى عجائب الآثار " الثمانمائه حمل ".

٣- "الفرق" مكيال للبن وغيره يعادل ستة عشر رطلاً ويستخدم فى المدينة .

همته الوفية وبعد :

فإنه قد وصل إلينا كتابك ، وفهمنا كامل ما حواه خطابك [ص ١٤٦] بما ذكرت من وصول قنجتنا(١) وأنك أرسلت هجاناً برفع العشور عن البن ، وبذلت الهمة فى شأن التصرف فى نفاذ بيعه ، وتأملنا فى كتابك ، فوجدنا من صدق مقاله ، ما أوجب تمسكنا بوثاق الاعتماد ، عن تموه غياهب الشك فى كل المراد ، ووجب الأن علينا تكوين أسباب المصادقة والمبادرة ، فيما ينظم تسليك مهمات الطرق بيننا وبينكم عن الوعث وزوال المناكرة . وشهلنا الآن إلى طرفكم خمسة مراكب مشحونة ، من نفس بندرنا جدة المعمورة ، فى هذا الأوان ، ولا أمكن لنا خروج هذا المقدار إلا بأشد علاج مع سلب أطمئينان التجار ، لأن كثرة أكاذيب الأخبار ، أوجبت لهم مزيد الارتياب والأعذار ، بحيث ما بيننا وبينكم إلا العربان ، [المختلفة رواياتهم على ممر الزمان ، أما نحن](٢) فقد جاتنا منكم قبل هذه المكاتيب ، التى أوجبت عندنا من خطاب كتبكم ، زوال تلك الظنون والأكاذيب ، فخاطرنا مستقر بالطمأنينة من قبلكم ، لما ثبت عندنا من ألفاظ كتبكم . والمطلوب فى حال وصول كتابنا (٣) إليكم إرسال عسكر من لديكم إلى بندر السويس ، لأجل حفظ أموال الناس ، ويصلوا بالأبنان إلى مصر ، ويبيعوا التجار ويزول وقف الأسباب والناس ، وتهتموا فى رجوعهم كذلك قبل بأوان ، ليكون ذلك (٤) سبباً فى كثرة وفود (٥) الأبنان ، وعند رجوعهم بعد المبيع ، من مصر إلى السويس ، كذلك

١- القنجة نوع من السفن شائع الاستخدام فى البحر الأحمر .

٢- العبارة التى بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ) .

٣- فى النسخة (ب) "مكتوباً ".

٤- كلمة "ذلك " غير موجودة فى النسخة (ب) .

٥- فى كل النسخ "وقود " فصححناها حتى يستقيم المعنى .

تصحبوهم بالعسكر من طرفكم الوثيق ، ليكونوا محافظين لهم من شرور لأن هذه المرة ما أرسل إليكم هذا المقدار إلا تجربة ، واستخبار من أعيان وعند مشاهدة الإكرام [ص ١٤٧] والاحتفال بهم فى كل حال ، يرسا نفائس أموالهم ، ويهرعون بالجلب لطرفكم ، ويزول الريب عن قلوبهم ، و بهمتنا تسليك الطرقات ، وتنجح المطالب ، وتحصل الميزات بأحسن مما الأمان ، وأعظم مما سبق فى غابر الأزمان ، ويكثر بحول الله الوارد الأسباب الحجازية وكذلك لنا بن فى المراكب فما مولنا منكم إلقا ا خدامنا ، وبذل الهمة على ما هو من طرفنا ، وأنتم كذلك لكم عندنا مزيد ا كل مرام ، ولا يخفاك أنه ورد علينا قبل بأيام كتب من طرف أمير الفرنساوى محبنا بونابارتة ، فما كان لنا منها فتأملناه ، وصار إلي توصله إليه ، وما كان منها معول فى إرساله علينا إلى نواحى الهند وا وإمام مسكت [1] ووكيلكم الذى فى المخا ، فجميعها صدرناها مع من ن أربابها ، وإن شا الله عن قريب يأتيكم الجواب والسلام[2] تحريراً فى ثم

١- المقصود " إمام مسقط " ، ومسقط إحدى مدن الساحل العمانى ، وعاصمة سل الآن .

٢- يتضح لنا من خلال هذا المنشور عدة أمور ينبغى التركيز عليها : منها أن النص بعض العبارات الدعائية التى أراد الفرنسيين استغلالها لنشرها بين الناس وبيان علاقتهم حسنة بالشريف "غالب" وذلك لما له من مكانه كبيرة لأنه من الأشراف مكة .

- كذلك كان غالب وسيلة استغلها بونابرت فى نقل رسائله إلى الأمراء الهنود الكار للوجود الإنجليزى هناك وأيضاً للحكام فى منطقة الخليج التى يعمل بونابرت عل إليها لتأليب حكامها ضد التواجد الإنجليزى فى البحر الأحمر والخليج العربى

- ويوضح المنشور كذلك بما لا يدع مجالاً لشك أن غالب لعب بطريقة مزدوجة فهو الفرنسيين ويستقبل خطابات السلطان ويدعم المقاومة ضد الفرنسيين حتى يحتف أمام العالم الإسلامى ولكنه فى الحقيقة صاحب علاقات قوية مع بونابرت ويسعى المادى من وراء هذه العلاقة .

شهر القعدة سنة١٢١٣هـ" وفى أخره :" وقد وصل هذا الجواب لمصر فى ١٦ شهر الحجة " ، فيكون مدة وصوله من مكة المشرفة إلى مصر ، ثمانية وعشرين يوماً .

مجمل حوادث شهر ذى الحجة ١٢١٣هـ (١)

وانقضى هذا الشهر ، ولم يأت خبر صحيح عن فرنسيس الشام ، وما جرى لهم أو عليهم ، إلا روايات لا يوثق بها ، ولا يصح بالتواتر منها إلا تكرار هجوم الإفرنج على حصن عكا ، ولم يتركوا من حيلهم ومكايدهم شيئاً إلا فعلوه ، ولم ينالواغرضاً منها ، " ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ". (٢)

مجمل حوادث سنة ١٢١٣هـ (٣)

وانقضت هذه السنة وما تجدد بها من الحوادث التى من أعظمها امتناع

١- العنوان من وضع المحققين .

٢- سورة آل عمران الآية ٥٤ . وهذه الآية محذوفة من عجائب الآثار .

٣- العنوان من وضع المحققين .

سفر الحج من مصر ، ولم يرسلوا الكسوة ولا الصرة ، { وذلك من أشنع الحواد التى لم [ص ١٤٨] يتفق نظيرها فى دولة آل عثمان أبداً ، ولا حول ولا قوة إلا با العلى العظيم } (١)

١- التعليق الموجود بين القوسين حذفه الجبرتى من كتابه عجائب الآثار وكتب بدله " وهذا لم يقع نظيره فى هذه القرون ولا فى دولة بنى عثمان ، والأمر لله وحده " جدير بالذكر أن الجبرتى يضيف فى عجائب الآثار بعد انقضاء السنة ذكر لمن توفى خلالها من العلماء والأمراء ، ويكتب ترجمة مختصرة لهم . وهذه أسماء من ترجم لهم فى وفيات تلك السنة ومن يرغب معرفة المزيد عنهم فليرجع إلى عجائب الاثار وهم : الشيخ أحمد بن موسى البيلى - الشيخ أحمد بن إبراهيم الشرقاوى - الشيخ عبد الوهاب الشبراوى - الشيخ يوسف المصيلحى - الشيخ سليمان الجوسقى - الشيخ إسماعيل البراوى - السيد محـ كريم السكندرى - السيد مصطفى الدمنهورى - ومن الأمراء المماليك يذكر إبراهيم بيك الصغير - على بيك الدفتردار - أيوب بيك الدفتردار - صالح بيك أمير الحاج - عبد الل كاشف الجرف .

دراسة وتحقيق وتعليق: عبد الرزاق عيسى - عماد أحمد هلال

العربي
للنشر والتوزيع

٦٠ شارع القصر العينى - أمام
روزاليوسف (١١٤٥١) القاهرة
ت: ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦

المكتبة التاريخية

مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس

عبد الرحمن الجبرتي

دراسة وتحقيق وتعليق

عبد الرازق عبد الرازق عيسى / عماد أحمد هلال

الجزء الثاني (2)



العربي

مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس

عبد الرحمن الجبرتى

تحقيق ودراسة وتعليق

عبد الرازق عيسى
باحث فى التاريخ الحديث
آداب عين شمس

عماد أحمد هلال
باحث فى التاريخ الحديث
آداب بنها

الجزء الثانى (2)

العربى للنشر والتوزيع
٦٠ شارع القصر العينى - أمام
روزاليوسف (١١٤٥١) القاهرة
ت: ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦

العربى للنشر والتوزيع

٦٠ شارع القصر العينى (١١٤٥١) - القاهرة

ت : ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦

الطبعة الأولى

١٩٩٨

مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس

للعلامة عبد الرحمن الجبرتى

المحققين : عبد الرازق عبد الرازق عيسى - عماد أحمد هلال

عدد الصفحات : ٥٩١

الغلاف للفنان : مصطفى رمزى

مطبعة النيل : ٢١ ش المدارس- العمرانية الغربية

جيزة- ت : ٥٦١٥٧٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

يوميات سنة ١٢١٤ هـ

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين وألف . (١)

شــهر المحــرم ١٢١٣هـ (٢)

استهل المحرم بيوم الأربعا (٣) فيه حضر جماعة من الفرنسيس إلى العادلية، فضربوا خمسة مدافع لقدومهم ، واختلفت الأخبار .

فلما طلع نهار الخميس ، عملوا الديوان ، وأبرزوا مكتوباً مترجماً ، ونصه :

"صورة جواب من العرضى قدام عكا فى ٢٧ شهر فريبال (٤) الموافق لحادى عشر شهر الحجة سنة ١٢١٣ . بونابارتة صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية ، إلى محفل ديوان مصر ، نخبركم عن سفره من بر الشام إلى مصر ، فإنى بغاية العجلة بحضورى لطرفكم ، نسافر بعد ثلاثة أيام من تاريخه ، ونصل إلى عندكم بعد خمسة عشر يوماً ، وجايب معى جملة محابيس بكثرة وبيارق ، محقت سراية الجزار وصور عكا ، وبالقنبر هدمت البلد ، لم أبقيت فيها حجر على حجر ، وجميع سكانها انهزموا من البلد فى طريق البحر ، الجزار مجروح ودخل بجماعته داخل برج من ناحية البحر ، وجرحه بليغ لخطر الموت . من جملة ثلاثين مركب موثوقين

١- فى النسخة (ب) "سنة أربعة عشر ومائتين وألف " والصواب ما أثبتناه من النسخ الأخرى .

٢- العنوان من وضع المحققين .

٣- من هذا اليوم تتفق التواريخ التى يذكرها الجبرتى مع تقويم مختار باشا فى "التوفيقات الإلهامية " حيث يشيران إلى أن يوم الأربعاء هو غرة المحرم ١٢١٤ هـ / ٥ يونيو ١٧٩٩م.

٤- يقصد الجبرتى فلوريال " Floreal"و٢٧ منه يوافق ١٦ مايو ١٧٩٩م . وهو الشهر الثامن من تقويم الجمهورية الفرنسية .

عساكر الذى إجوا يساعدوا الجزار ، ثلاثة غرقوا من كثرة مدافع مراكبنا ، وأخذنا منهم أربعة موثوقين مدافع ، فالذى أخذوا هذه الأربعة فرقاطة من "بتوعنا"، والباقى تلفوا واتبهدلوا ، والغالب منهم عدم ، وأنى بغاية الشوق إلى مشاهدتكم ، لأنى بشوف أنكم عملتم غاية جهدكم من كل قلبكم ، لكن جملة فلاتية دايرين بالفتنة، لأجل ما يحركوا الشر فى وقت دخولى ، كل هذا يزول مثل ما يزول الغيم عند شروق الشمس . [ص ١٤٩] ومنتوره مات من تشويش ، هذا الرجل صعب علينا جداً والسلام " ومنتوره هذا ترجمانه ، وكان لعيناً متحركاً متملقاً (١) ويعرف اللغات : التركية والعربية والرومية والطليانى والفرنساوى .

وفى يوم الثلاثا (٢) سابعه (٣) حضر جماعة أيضاً من العسكر بأثقالهم ، وحضرت مكاتبة من كبير الفرنسيس أنه وصل إلى الصالحية ، وأرسل دوجا الوكيل ، ونبه على الناس بالخروج علاقاته ، بموجب ورقة حضرت من عنده يأمر بذلك .

فلما كانت ليلة الجمعة عاشره (٤) أرسلوا إلى المشايخ والوجاقات وغيرهم ،

١- فى عجائب الآثار يغيرها الجبرتى إلى " ليبيا متبحراً ". وهو يقصد المستشرق فانتور Vanture أكبر أعضاء المجمع العلمى سناً ، وكبير مترجمى الحملة ومستشار نابليون فى كل ما يتعلق بالشرق لأنه قضى فيه نحو أربعين سنة ، وكان قبل حضوره لمصر يعمل ترجماناً لسفارة فرنسا فى الاستانة وعمل مدرساً للغة التركية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس .راجع الرافعى :مرجع سابق ، جـ١ ، ص ١٣٦ .

٢- يوم الثلاثاء ٧محرم ١٢١٤هـ الموافق ١١ يونيو ١٧٩٩م .

٣- قبل هذه اليومية مباشرة توجد يومية فى عجائب الآثار لم يدونها الجبرتى فى مظهر التقديس ، وهى عبارة عن رسالة من بونابرت إلى الفرنسيين بمصر يوضح لهم فيها خمسة عشر سبباً لرحيله عن عكا . راجع ملحق رقم (١) .

٤- يوم الجمعة ١٠ محرم ١٢١٤هـ الموافق ١٤ يونيو ١٧٩٩م .

فاجتمعوا بالأزبكية وقت الفجر بالمشاعل ، ودقت الطبول ، وحضر الحكام والقلقات بمواكب وطبول وزمور ، ونوبات تركية ، وطبول شامية ، وملازمين وجاويشية ، وغير ذلك . وحضر الوكيل وقايمقام وأكابر عساكرهم ، وركبوا جميعاً بالترتيب من الأزبكية إلى أن خرجوا إلى العادلية ، فقابلوا كبير الفرنسيس هناك ، وسلموا عليه ، ودخل معهم إلى مصر من باب النصر ، بموكب هائل بعساكرهم وطبولهم وزمورهم وعرياتهم ونسايهم وأطفالهم ، في نحو خمس ساعات من النهار ، إلى أن وصل إلى داره بالأزبكية ، وانفض الجمع وضربوا عدة مدافع عند دخولهم المدينة . وقد تغيرت ألوان العسكر القادمين واصفرت أبدانهم ، وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب ، [ولم يظفروا بمقصودهم من أحمد باشا ولله الحمد ، ورجعوا من غير طايل][1] وأقاموا على حصار عكا أربعة وستين يوماً حرباً مستديماً ليلاً ونهاراً ، وأبلى أحمد باشا وعسكره بلاءً حسناً ، وقد نظم ذلك في قصيدة الأديب اللبيب ، والفاضل النجيب ، السيد على الصيرفي الرشيدي ، نزيل عكا المحروسة ، فقال من"بحر الخفيف"[2] [ص ١٥٠]

١- كم لربي على الورى من أيادى   دون إحصا بالعد والتعدادِ

٢- كم أتتنا ألطافة [3] تتوالى   باهرات بنورها الوقادِ

١- العبارة التي بين القوسين حذفها الجبرتي من عجائب الآثار .

٢- بحر الخفيف : هو أحد بحور الشعر العربي التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي وعددها خمسة عشر بحراً زادها تلميذه الأخفش عمرو بن مسعدة بحراً سمى (المتدارك " لأنه تدارك به على الخليل . ويتكون بحر الخفيف من تفعيلتين مختلفتين تتكرران بنظام في كل بيت وهى فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن - فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن . راجع د. محمد السعدى فرهود : فن القريض ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ١٩٧٨، ص ٥ .

٣- في النسخة (ب) "اللطافة " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٣- ووقانا خطوب دهرٍ تعامى وحمانا من الكروب الشدادِ

٤- وكفانا شرور من آذانا وأذاق العدا شراب البعادِ(١)

٥- حين جاءت جموع شرك فرنج ثم جالوا فى مصر بالإفسادِ

٦- أخذوها والمسلمون نيام ليس فيهم مستيقظ من رقادِ

٧- صار كلب اللئام يلعب فيهم ما رأوا زاجراً لهم من عنادِ

٨- واستطالوا على الورى بفجور وطغوا مثل ما طغت قوم عادِ

٩- عَمَهٌ عَمَّهُم بطغيان كفر والعمى قد رماهم فى المصادِ

١٠- ولهم زيَّن اللعين فعالا ركبوها حتى بلغوا للنكادِ

١١- وأرادهم قبيحهم حسن قصد نحو عكا ذات السعود البادى (٢)

١٢- فاستعدوا لها بآلات حرب ورجال كثيرة كالجرادِ

١٣- خيموا حولها بجيش وخيش ومتاريس ضاق منها الوادى

١٤- اشبهوا قوم صالح فى فعال ينحتون (٣)الجبال لاستعدادِ

١٥- فى حصون من التراب تراهم شيدوها بقوة وعمادِ

١٦- فكأن الجن والشياطين فيهم يسرعون الأعمال عند التنادِ

١٧- حاصروها وشددوا فى حصار واستمدوا بكل نوع مرادِ

١٨- وأتوها والجند فيها قليل غير أن الكريم ذو أمدادِ

١- فى النسخة (أ) "العدو شرابا" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٢- يلاحظ أن كل هذه القصيدة قد حذفها الجبرتى فى عجائب الآثار ما عدا الأبيات من ١١:١٧ والأبيات من ٢٠ إلى ٢٢ كما يلاحظ أن الأرقام التى أمام كل بيت من وضع المحققين لتسهيل الإشارة إلى كل بيت برقمه .

٣- فى النسخة (أ) "ينتحون" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

١٩-فاذكروا كم من فئة[1] قد قرأوها … فهي نص لنا صريح المفاد
٢٠-ثم دارت رحى الحروب لدينا … بضروب مدامة التردادِ
٢١- كل يوم وليلة في رعود … وبروق من غيم ذاك العادي (٢)
٢٢-كم نهاراً أضحى كليل بهيم … من دخان الوغا غدا في ازديادِ
٢٣- كم نحرنا أيام نحر رقاباً … من فرنج أتت بلا ميعادِ
٢٤-وسقينا من الدماء سيوفا … فتروي من سيلها كل صادي (٣)
٢٥- ومعالي بر وجنا عرفات … كم وقفنا بها على المرصادِ
٢٦- ومطاف الأسوار فيه طواف … لجيوش ومبدأ ومعاد (٤)
٢٧- كم تلبي تلك الجيوش لداع … مسرعين الجهاد بالاجتهادِ [ص ١٥١]
٢٨- ورجال الإسلام تنصر دوما … والرد الأحق لتلك العوادي
٢٩- ونظير الروس من أهل شرك … وتسيل الدما ملا الوادي
٣٠- وكرامات أوليا تبدت … شاهدتها أهل الضيا والسوادِ
٣١-ورجالاً قد عاينوها طوالاً … قاتلوهم بحضرة وبوادي
٣٢-ما سمعنا ولا رأينا كهذا … في عصور تقدمت أو بلادِ
٣٣- خر من هيبة الجلال جبا … من بروج رفيعة الأنجادِ

١- يقصد الآية رقم ٢٤٩ من سورة البقرة " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين " .

٢- في النسخة (ب) "من غير ذلك العادي " وفي عجائب الآثار "من غيم ذلك الوادي".

٣- صاد أي ظمآن .

٤- الأبيات من رقم ٢٦ حتى رقم٤٣ غير موجودة في النسخة (ب) وقد وقع المحققون السابقون في هذا الخطأ لاعتمادهم على نسخة واحدة . وعلى ذلك فإن هناك ١٨ بيتاً من هذه القصيدة ناقصة في طبعتي التربية والتعليم والبيان العربي .

٣٤–سيما ما على ببرج علـــــى		من حرور الحـــزوب والإيقـــادِ

٣٥– وتداعت أسوارنا لانخـــفاض		واكتست رفعة بقوم جيـــادِ

٣٦– خربوها وإنما أخربوا أعمارهم		مما قد جـــنوا بالأيـــادى

٣٧– قطعوا الأشجار فكان جزاهــم		قطع أعناقهم بسيف الحـصادِ

٣٨– وإذا ما احتالوا بـمكر وكيـد		عاد حـقاً علـيهم بالفـــسادِ

٣٩–حفروا حفرة فصارت قبـــوراً		لجسوم لهــم ذوى أبـــعادِ

٤٠– ورأوا من حروب عكا كـــروباً		دمـــرتهم وعلقت فى الجـــيادِ

٤١– بلدة حصنها التوكل والتوحيد		فيها فكيف ظـــفر الأعـــادى

٤٢– دخلوها لأجل آجـــالهم إذ		حل فيهم سيـوف أهـــل الجـهادِ

٤٣–كيف يسطوا العدا عليها بأخـذ		وهو أقـسى من خطـرهم للقتادِ

٤٤– جزَّ فيها الجـــزار أعـناق كفر		أحمد الفعل عارف بالـــسدادِ

٤٥– ذو اهتمام بـحفظ دين وعرض		ذو أيـــادى سـريعة للمـــنادى

٤٦– عنتر القوم يافتـــى لو رآه		لتوارى كالـــذئـب من آســـــادِ

٤٧– مســتمداً من الإله انتـصاراً		مسـتديماً على الـعلا باعتمـادِ

٤٨– قَوَّمَ الدين بعـدما اعـوج مـنا		وأقام المنقض مـن أوتـادِ (١)

٤٩– فهو ذاك المبعوث فى راس قرن		طبق ما أخبر الشـــفيع الـهادى (٢)

١– فى النسخة(ب) "أوتادى" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٢– يقصد الإشارة إلى حديث الرسول الكريم "يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد الإسلام " ويقصد هنا أن الجزار هو رأس المئة الثالثة عشرة . لمزيد من المعلومات عن الجزار انظر ترجمته فى محمد جميل الشطى : أعيان دمشق فى القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر الهجرى . ص ٣٨ .

٥٠- لو ترى صبره بمـدة حـــصر … قلت هذا أقوى من الأطوادِ (١)

٥١-أحسن الصبر والثبات يقـينا … فهو ألف والـغير كالأحـادِ

٥٢- كم تفر الأبطـال من كرب حرب … وهو بالسيف سابق الأجـنادِ

٥٣- وينادى أيا رجال علـيهم … لاتخافوا من نار ذاك الـنادى

٥٤- فيبدد الكـفار قتلاً وأسراً … ويعودون بالردى كالرمـاد[ص ١٥٢]

٥٥-خاب مسعـاهم ببـر وبـحر … وشقاهم أتى بقـطع المدادِ

٥٦- فاقاموا من يوم(٢)ثالث عشر … قد خلت من شوالنا بالنـفادِ (٣)

٥٧- واستداموا السادس بعد عـشر … من ختام الشـهود بعد الحادى (٤)

٥٨- عدّ سـد قد دام حرب وحـصر … ثم جاد الكريم رب العـبادِ

٥٩- وأتى النـصر من قريب مـجيب … مسرعاً بالسرور والإسـعادِ

٦٠- أعـجب الناس من غرائب نصـر … لم يكن فى ظنونهم متـبادى

٦١- بينما ليلة الثلاث (٥) سـهادى … إذ أتانا أخـبار ذى الإلحـادِ

٦٢- هربوا خـفية بليل وقـاموا … مـسرعين بالـهروب بالأنـكادِ

١- الطور هو الجبل وجمعه أطواد .

٢- كلمة "يوم" غير موجودة فى النسخة (أ) .

٣- يقصد أن حصار عكا قد بدأ يوم الأربعاء ١٣ شوال ١٢١٣هـ الموافق ليوم ٢٠ مارس ١٧٩٩م .

٤- يشير إلى أن نابليون قد رفع الحصار عن عكا يوم الأربعاء ١٦ من ذى الحجة ١٢١٣هـ الموافق ٢٢ مايو ١٧٩٩م . وبذلك تكون مدة الحصار ٦٣ يوماً وفى التوفيقات الإلهامية فيوم ١٦ ذى الحجة يوافق الثلاثاء ٢١ مايو وذلك يتفق مع كاتب القصيدة الذى يذكر فى البيت رقم ٦٠أن الفرنسين رحلوا يوم الثلاثاء.

٥- فى النسخة (ب) "الثلاثا " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٦٣- بقلوب مملوءة كل رعب ... وعيون بيضاً بغير سوادِ
٦٤- وتخلوا عن السلاح وما يثقلهم ... خيفة من الإجهادِ
٥٦- والمجاريح منهم ثم قتلاهم ... لقد فاقت جملة الأعدادِ
٦٦- ففدونا(١) وقد رأينا عجاباً ... من قبيح الإصدار والإيرادِ
٦٧- وانجلت ظلمة الشرور وجاءت ... بهجة النور والهدى والرشادِ
٦٨- زهق الباطل الذى ارتكبوه ... حين جاء الحق القوى باعتقادِ
٦٩- ويح أرض تدنست بلحوم ... من فرنسا وبين أهل العنادِ
٧٠- لم ينالوا من المدينة إلا ... كسبهم عارهم مدا الأبادِ
٧١- برج عكا نص الحديث عليه ... أن فيه ملاحماً باشتدادِ
٧٢- وهى كبرى ومن مناقب فرد ... قائم بالجماعة الأفرادِ
٧٣- فحمدنا إلهنا عز شأناً ... وشكرنا لفضله المتمادى
٧٤- وسألناه أن يتمم نصراً ... بفتوح لمصر ذات المهادِ
٧٥- ويعين المسعود بالسعد فيها ... ويعز الإسلام من ذا الجوادِ
٧٦- ينبى محى الضلالة بحق ... وحماه الإله من حسادِ
٧٧- فعليه الصلاة ثم السلام (٢) ... وعلى الآل سادة أمجادِ
٧٨- سعد عكا نادى لها أرخوها ... "فيك سر ونصرة للبلادِ"(٣)

١- من جميع النسخ "فعدونا" والصواب ما أثبتناه "ففدونا" .
٢- فى النسخة (أ) "تم سلام" والصواب ما أثبتناه من النسخ الأخرى .
٣- الشطر الثانى من البيت هو تأريخ بالحروف لتاريخ كتابة القصيدة . ١٢١٣هـ .

تعليق على القصيدة : (١)

قال صاحبنا المشار إليه ، وكان هذا الناظم ممن ينظم بسليقته ، لا بمعرفته في العروض (٢) ودريته ، [ص ١٥٣] فقد استعمل في بحره الذي نظم عليه ، من الممتنعات (٣) عند العروضيين ماكدر صفوه ، وقاد القوافي لتغيير مواضعها مع مزيد الثقال والنبوة (٤) وها أنا مُنَبِه على ما ارتكبه من الممتنع عند العروضيين : فمنها أنه استعمل التشعيث (٥) في العروضة (٦) في غير ما موضع من القصيدة ، وهذه العلة إنما تقع في الضرب أو العروضة في حالة التصريع (٧) ومنها أنه

١- هذا التعليق كاملاً غير موجود في عجائب الآثار ، والعنوان من وضع المحققين .

٢- علم العروض : هو العلم الذي يدرس أوزان الأبيات داخل القصيدة لمعرفة النغمة التي تسير عليها أو البحر الذي صيغت على تفعيلاته ومدى توفيق الشاعر في الوفاء بمستلزمات هذا البحر الشعري ، وترجع نشأة هذا العلم إلى العبقري البصري "الخليل بن أحمد الفراهيدي " الذي اخترعه كاملاً غير منقوص لم يزد عليه أحد بعده شيئاً سوى ما يقال من أن "الأخفش بن مسعده " استدرك عليه بحراً سمي "بالمتدارك " أنظر د/ شعبان صلاح :في علمي الصرف والعروض ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص ٢٥ وما بعدها .

٣- الممتنعات : هي ما لا يجوز إدخاله على تفعيلات البحر من زيادة أو نقصان لأنه يخل بالموسيقى وعكسها ما يجوز إدخاله مما لا يخل بالموسيقى مثل "الزحاف ، والتشعيث ، والتصريع "

٤- "الثقال والنبوة " ويقصد بهما الخروج عن المألوف مما يخل بالموسيقى فالثقال ما ثقل على اللسان ، والنبوة ما ارتفع من الأرض .

٥- التشعيث : هو حذف أول الوتد المجموع مثل "فاعلاتنْ فتصير "فالاتن " وهو مما يجوز إدخاله على التفعيلة لكونه لا يخل بالموسيقى .

٦- العروضة : هي الشطر الأول من البيت وعكسها "الضرب " أي الشطر الثاني من البيت .

٧- التصريع : هو اتفاق العروضة مع الضرب في البيت الأول فقط ، واختلافها معه في بقية القصيدة .

استعمل غير مرة "مستفع لن " المفروق الوتد(1) [الكاين فى هذا البحر استعمال " متفعلن " المجموع الوتد] (2) فأدخل فيه زحاف الطى (3) فنقل إلى "مفتعلن " ، والحال أن الذى من مواضع الطى ، هو مجموع الوتد لا مفروقة ، لما يلزم على طى مفروق الوتد من دخول الزحاف فى الأوتاد ، ومواضع الزحاف هو الأسباب ليس إلا ، فهذا مما لم يقل به أحد من العروضيين ، ولم يقع فى شعر العرب ولا المولدين ، من المتقدمين والمتأخرين ، إلى وقتنا هذا إلا فى شعر غير عارف بالموازين ، وأما استعماله القوافى (4) فى غير موضعها ، فهو جلى لكل فطن عنده أدنى إلمام باللغة والصرف ، ولو أردت انتقاده لطال الكلام ، وفوت عنا الغرض فى هذا المقام . ثم هو قد مدح مخدومه أحمد باشا الجزار ، وهو بهذا المدح حقيق ، لكونه جاهد فى الدين حق الجهاد ، فأرغم العدو وأسرَّ الصديق ، ومن الواجب علىَّ ، والمتحتم لدىَّ ، أن أمدح مولانا الوزير أبقاه الله شكراً على نعمة فتوح مصر التى (5)

١- التفعيلة : تتكون التفعيلة الواحدة من عدد من الحركات والسكنات، أو ما يسمى بالمقاطع العروضية ، وهذه المقاطع عددها ست هى السبب الخفيف والسبب الثقيل والوتد المجموع والوتد المفروق ، والفاصلة الصغرى ، والفاصلة الكبرى ، والأسباب تتكون من حركة وساكن للخفيف مثل "لمْ" أو "قمْ " وحركتين للثقيل مثل "بِمَ" أو "أرَ" والأوتاد تتكون من حركتين . فساكن للمجموع مثل "دعا" أو " هدى" وحركتين بينهما ساكن للمفروق مثل "بَيْنَ" أو "سَوْفَ" ولمزيد من التفاصيل .راجع د/ شعبان صلاح:مرجع سابق . ص ١٣ وما بعدها .

٢- العبارة التى بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ) .

٣- الزحاف : هو تغيير يلحق بالأسباب وليس الأوتاد ويكون بحذف ثانى السبب ثقيلاً كان أم خفيفاً .

٤- القوافى هى الحروف الأخيرة من الأبيات وتكون غالباً متشابهة فى الكتابة والنطق والجرس الموسيقى .

٥- كلمة " التى " غير موجودة فى النسخة (ب) .

أجراها الله على يديه ، واختاره لهذه المنقبة الشريفة الرفيعة الذكر فى الدنيا ، والمضاعفة الثواب فى الأخرى لديه ، واستنقاذنا من أسر أولئك الكفرة اللئام ، ورد شمل المسلمين بعد الصدع إلى الانتظام والالتئام ، وسأذكر ذلك فى موضعه بعد هذا الكتاب ، مجارياً لهذه القصيدة فى وزنها ورويها ، ليظهر الفرق بين أرباب الألباب .

وفيه (١) قبضوا [ص ١٥٤] على إسماعيل القلق الخربطلى ، وهو المتولى كتخدا العزب ، وكان ساكناً بخط الجمالية ، وأخذوا سلاحه وأصعدوه إلى القلعة وحبسوه ، والسبب فى ذلك أنه عمل فى تلك الليلة وليمة ، ودعا أصدقائه وأحبابه وآلات اللهو والطرب ، وبات سهراناً بطول الليل ، فلما كان آخر الليل غلب عليهم السهر والسكر فناموا إلى ضحوة النهار ، وتأخر عن حضور ملاقات الفرنسيس ، فلما أفاق ركب ولاقاهم عند باب النصر ، فنقموا عليه ذلك وحبسوه كما ذكر . ولما وصل كبير الفرنسيس إلى داره بالأزبكية تجمع هناك أرباب الملاهى والبطالات وطوايف الرميلاتية ورعاع العالم من الحرافيش ، وأكلة الحشيش ، وملاعبين القرود، والحواه والنساء الرقاصات والخلابيص (٢) والمراجيح ، وأمثال ذلك كتجمعهم أيام الأعياد والمواسم ، واستمروا على ذلك ثلاثة أيام ، وفى كل يوم تعمل الفرنسيس شنكاً ومدافع وحراقه وسواريخ ونفوط ، ثم انصرفوا بعدما أعطاهم دراهم وفى يوم الأحد(٣) عزلوا دستان قايمقام ، وتولى عوضه دوجا الذى كان وكيلاً عن

١- أى فى يوم الجمعة ١٠ محرم ١٢١٤هـ الموافق ١٤ يونيو ١٧٩٩م .

٢- الخلبصة . الفرار : وخلبص الرجل أى فرّ ، "لسان العرب" والخلبوص فى "المعجم الوجيز" طائر أصغر من العصفور ، ولونه كلونه ، والمصطلح المقصود هنا "صبى العالمة" أى "خادم الراقصة" .

٣- يوم الأحد ١٢ محرم ١٢١٤هـ الموافق ١٦ يونيو ١٧٩٩٩م .

صارى عسكر ، وتهيأ المعزول للسفر إلى جهة بحرى ، وأصبح مسافراً وصحبته نحو الألف من العسكر ، وسافر أيضاً منهم طايفة إلى البحيرة .

وفيه طلبوا من طوايف النصارى دراهم سلفة ، مقدار ماية وعشرين ألف ريال .

وفى خامس عشره (١) أرسلوا إلى زوجات حسن بيك الجداوى ، وختموا على دورهن ومتاعهن ، وطالبوهن بالمال ، وذلك بسبب أن حسن بيك التف على مراد بيك ، وصار يقاتل الفرنسيس معه ، وقد كانت الفرنسيس كاتبت حسن بيك وأمنته وأقرّته [ص ١٥٥] على ما بيده من البلاد ، وأن لا يخالف ويقاتل مع الأخصام ، فلم يقبل منهم ذلك ، فلما وقع للنسا ذلك ذهبن إلى المهدى ، ووقعن عليه ، فصالح عليهن بمبلغ ثلاثة آلاف ريال فرانسة .

وفى تاسع عشره (٢) هلك ميخائيل كحيل النصرانى الشامى - وهو من رجال الديوان الخصوصى - فجاة ، وذلك لقهره وغمه ، ومنشأ ذلك أنه وزع عليه فى سلفة الفرنسيس ستة آلاف ريال فرانسة ، وشرع (٣) فى تحصيلها ، ثم بلغه أن أحمد باشا الجزار قبض على شريكه بالشام ، وأخذ ماله جميعه ، فورد عليه الخبر وهو جالس يتحدث مع أخوانه حصة من الليل ، فخرجت روحه فجاة .

وفيه(٤) كتبوا أوراقاً وطبعوها ، ولصقوها بالأسواق كعادتهم ، وذلك بعد أن

١- يوم الأربعاء ١٥ محرم ١٢١٤هـ الموافق ١٩ يونيو ١٧٩٩م .

٢- يوم الأحد ١٩ محرم ١٢١٤هـ الموافق ٢٣ يونيو ١٧٩٩م .

٣- فى النسخة (أ) "وتسرع" والأصوب ما أثبتناه .

٤- أى فى يوم الأحد تاسع عشره .

رجعوا من الشام واستقروا ، فنمقوا ذلك بترصيف بعض الفصحاء [1] ونصها : "من محفل الديوان الخصوصي بمحروسة مصر خطاباً لأقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة والبحيرة ، النصيحة من الإيمان ، قال تعالى في محكم القرآن [ولا تتبعوا خطوات الشيطان][2] وقال تعالى [ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون] [3] فعلى العاقل أن يتدبر الأمور ، قبل أن يقع في المحذور . نخبركم معاشر المؤمنين ، أنكم لا تسمعوا كلام الكذابين ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ، وقد حضر إلى محروسة مصر المحمية ، أمير الجيوش الفرنساوية ، حضرة بونابارتة محب الملة المحمدية ، ونزل بعسكره في العادلية ، سليماً من العطب والأسقام ، ودخل إلى مصر ، من باب النصر ، يوم الجمعة [4] في موكب عظيم ، وشنك جليل [5] فخيم ، وصحبته العلما والوجاقات السلطانية ، وأرباب [ص ١٥٦] الأقلام الديوانية ، وأعيان التجار المصرية ، وكان يوماً عظيماً مشهوداً ، وخرجت أهل مصر لملاقاته ، فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته ، وظهر لهم أن الناس يكذبون عليه ، شرح الله صدره للإسلام ، والذي أشاع عنه الأخبار الكاذبة ، العربان الفاجرة والغز الهارية ، ومرادهم بهذه الإشاعة هلاك الرعية ، وتدمير أهل الملة الإسلامية ، وتعطيل الأموال

١- يشير الجبرتي إلى الشيخ المهدي الذي استعان به الفرنسيون في صياغة الكثير من منشوراتهم والفرق بين المنشورات التي صاغها لهم والتي صاغوها بأنفسهم واضح .

٢- سورة البقرة الآية ١٦٨ .

٣- سورة الشعراء الآية ١٥٢ .

٤- يوم الجمعة ١٠ محرم ١٢١٤هـ الموافق ١٤ يونيو ١٧٩٩ م .

٥- كلمة "جليل "غير موجودة في النسخة (أ) وأثبتناها من بقية النسخ .

الديوانية ، لا يحبون راحة العبيد ، وقد أزال الله دولتهم من شدة ظلمهم [إن بطش ربك لشديد][1] وقد بلغنا أن الألفي توجه إلى الشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلي [2] والعيايدة الفجرة المفسدين ، يسعون في الأرض بالفساد ، وينهبون أموال المسلمين ، [إن ربك لبالمرصاد][3] ويزورون على الفلاحين المكاتيب الكاذبة ، ويدعون أن عساكر السلطان حاضرة ، والحال أنها ليست بحاضرة ، فلا أصل لهذا الخبر ، ولا صحة لهذا الأثر ، إنما مرادهم وقوع الناس في الهلاك والضرر ، مثل ما كان يفعل إبراهيم بيك في غزة ، حين كان يرسل فرمانات بالكذب والبهتان ، ويدعي أنها من طرف السلطان ، ويصدقوه أهل الأرياف ، خسفا العقول ولا يقرأون [4] العواقب ، فيقعون في المصايب ، وأهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم، خوفاً على أنفسهم وهلاك عيالهم[5] . وأولادهم فإن المجرم يؤخذ مع الجيران ، وقد غضب الله على الظلمة ، ونعوذ بالله من غضب الديان ، فكانوا أهل

١- سورة البروج الآية ١٢ .

٢- قبائل بلي : ترجع إلى عمرو بن الحاف بن قضاعه بن مالك بن عمرو ابن مره ... من قحطان . وقد دخلوا مصر قبل الإسلام واستوطنوا ما بين القصير وقنا وكانوا يقيمون بنقل التجارة الهندية ويذكر المقريزي أن قبائل بلي كانت تؤلف ثلث المجموعة القضاعية الساكنة في بلاد الشام ، قد نقلت كلها بأمر عمر بن الخطاب إلى مصر ولا يستبعد أن جزءاً كبيراً منهم قد انتشر في الصعيد .راجع د/ إيمان عبد المنعم : مرجع سابق ، ص٥١ .

٣- سورة الفجر الآية ١٤ .

٤- في النسخة (ب) "ولا يقرؤن " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٥- من المؤكد أن هذا لم يحدث فعلى الرغم من أن المماليك لم يثبتوا في كثير من المعارك بينما ثبت الأهالي ومعهم عرب الحجاز إلا أن التكاتف بين أهل الصعيد والعربان وعرب الحجاز والمماليك كان ظاهراً للعيان وسبب للفرنسيين الكثير من الخسائر .

الصعيد أحسن عقلاً من أهل بحرى ، بسبب هذا الرأى السديد ، ونخبركم أن أحمد باشا الجزار سموه بهذا الاسم لكثرة قتله الأنفس ، [ص ١٥٧] ولا يفرق بين الأخيار و الأشرار ، وقد جمع الطموش(١) الكثيرة من العسكر والغز والعرب وأسافل العشيرة ، وكان مراده الاستيلا على مصر وأقاليمها ، فأحبوا اجتماعهم عليه لأخذ أموالها ، وهتك حريمها ، ولكن لم تساعدة الأقدار ، والله يفعل ما يشاء ويختار ، وقد كان أرسل بعض هذه العساكر إلى قلعة العريش ومراده يصل إلى قطيا ومطيا (٢) فتوجه حضرة صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية ، وكسر عسكر الجزار الذين كانوا في العريش ، ونادوا الفرار الفرار بعدما ، حصل بعسكرهم القتل والدمار ، وكانوا نحو ثلاثة آلاف ، وملك قلعة العريش ، وأخذ غزة وهرب من كان فيها وفروا ولما دخل غزة نادى فى رعيتها بالأمان ، وأمر بإقامة الشعاير الإسلامية وأكرم العلماء والتجار والأعيان ، ثم انتقل إلى الرملة ، وأخذ ما فيها من بقسماط وأرز وشعير وقرب ، أكثر من ألفين قربة عظام كبار ، كان جهزها الجزار لذهابه إلى مصر ، ثم توجه إلى يافا وحاصرها ثلاثة أيام ، ثم أخذها وأخذ ما فيها من ذخاير الجزار بالتمام ، ومن نحوسات أهلها أنهم لم يرضوا بأمانة ، ولم يدخلوا تحت طاعته وإحسانه(٣) فدور فيهم السيف من شدة

١- الطموش : الأجناس الكثيرة من أسافل الناس [لسان العرب] .

٢- كلمة "مطيا" غير موجودة فى النص الذى نشره حيدر الشهابى فى كتابه السابق الإشارة إليه جـ٢ ص ٢٦٩ وهى غير موجودة أيضاً فى عجائب الآثار ولكنها موجودة فى جميع نسخ مظهر التقديس ، ومطيا قرية صغيرة على ساحل البحر قرب العريش .

٣- الحقيقة أن حامية يافا قد سلموا أنفسهم بعد أن آمنهم بونابرت ولكنه أقدم على قتلهم بحجج واهية كما سبقت الإشارة .

غيظه وقوة سلطانه ، وقتل منهم نحو أربعة آلاف ويزيدون ، بعدما هدم صورها ، وأكرم من كان فيها من أهل مصر ، [وأطعمهم وكساهم وجهزهم في المراكب لمصر] (١) وغفرهم بعسكره خوفاً من العربان ، وأجزل عطاياهم وكان في يافا نحو خمسة آلاف من عسكر الجزار هلكوا جميعاً ، وبعضهم ما نجاه إلا الفرار ، ثم توجه من يافا إلى جبل نابلس[ص ١٥٨] فكسر من كان فيها من العساكر بمكان يقال له "قاقوم" وحرق خمسة بلاد من بلادهم ، وما قدر كان ، ثم أخرب صور عكا ، وهدم قلعة الجزار التي كانت حصينة ، لم يبقى فيها حجر على حجر ، حتى أنه يقال كان هناك مدينة ، وقد كان بنى حصارها وشيد بنيانها في نحو عشرين من السنين(٢) وظلم في بنيانها عباد الله ، وهكذا عاقبة بنيان الظالمين . ولما توجه إليه أهل بلاد الجزار من كل ناحية ، كسرهم كسرة شنيعة ، [فهل ترى لهم من باقية] (٣) نزل عليهم كالصاعقة من السماء ، ثم توجه راجعاً إلى مصر المحروسة لأجل شيئين : الأول أنه وعدنا برجوعه إلينا بعد أربعة أشهر ، والوعد عند الحر دين ، والسبب الثاني ، أنه بلغه أن بعض المفسدين من الغز والعربان يحركون في غيابه الفتن والشرور ، في بعض الأقاليم والبلدان ، فلما حضر سكنت الفتنة ، وزالت الأشرار والفجرة من الرعية ، وحبه لمصر وأقليمها شئ عجيب ، ورغبته في الخير لأهلها ونيلها وزرعها بفكره وتدبيره المصيب ، ويرغب أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة . ولما حضر من الشام أحضر معه جملة من

١- العبارة التي بين قوسين غير موجودة في النسخة (أ) .

٢- في النسخة (ب) "في نحو عشرين سنة " والأصوب ما أثبتناه من بقية النسخ ومن عجائب الآثار .

٣- سورة الحاقة الآية ٨

الأسارى من خاص وعام ، وجملة مدافع وبيارق اغتنمها فى الحروب من الأعدا والأخصام ، فالويل كل الويل لمن عاداه ، والخير كل الخير لمن والاه ، فسلموا يا عباد الله وارضوا بتقدير الله وامتثلوا لأحكام الله ، ولا تسعوا فى سفك دمائكم ، وهتك عيالكم ، ولا تتسببوا فى نهب أموالكم ، ولا تسمعوا كلام الغز الهربانين الكاذبين ، ولا تقولوا أن فى الفتنة إعلا كلمة الدين ، حاشا الله لم يكن فيها إلا الخذلان ، وقتل الأنفس، وذل أمة النبى عليه الصلاة [ص ١٥٩] والسلام ، والغز و العربان يطمعوكم ويغروكم لأجل أن يضروكم فينهبوكم ، وإذا كانوا فى بلد وقدمت عليهم الفرنسيس ، فروا هاربين منهم كأنهم جند إبليس ، ولما حضر صارى عسكر إلى مصر ، أخبر أهل الديوان ، من خاص وعام ، أنه يحب دين الإسلام ، ويعظم النبى عليه السلام ، ويحترم القرآن ، ويقرا منه كل يوم بإتقان ، وأمر بإقامة شعاير المساجد الإسلامية ، وأجرى خيرات الأوقاف السلطانية ، وأعطى عوايد الوجاقلية ، وسعى فى حصول أقوات الرعية ، فانظروا هذه الألطاف والمزية ، ببركة نبينا أشرف البرية ، وعرفنا أن مراده يبنى لنا مسجداً عظيماً بمصر لا نظير له فى الأقطار ، وأنه يدخل فى دين النبى المختار ، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام "انتهى (١)

وفى ثانى عشرينه (٢) أرسل كبير الفرنسيس جماعة من العسكر ، وقبضوا

١- وقع على هذا البيان ثمانية لم يذكر الجبرتى توقيعاتهم هنا ربما خوفاً عليهم من الصدر الأعظم وهم .

السيد خليل البكرى نقيب السادات الأشراف بمصر ، الفقير عبد الله الشرقاوى ريس الديوان بمصر ، الفقير محمد المهدى كاتم سر الديوان بمصر حالاً ، الفقير مصطفى الصاوى خادم العلم بمصر ، الفقير سليمان الفيومى خادم العلم بمصر ، الفقير على كتخدا باشا اختيار مستحفظاً بمصر ، يوسف باش شاويش تتفكجيان بمصر ، السيد أحمد المحروقى – وفى النهاية كتب بمطابع الفرنساوية بمصر المحروسة – راجع حيدر الشهابى ، مصدر سابق ، جـ٢ ص ٢٧١ .

٢- الأربعاء ٢٢ محرم ١٢١٤هـ الموافق ٢٦ يونيو ١٧٩٩م .

على "ملا زاده " بن قاضى العسكر ، ونهبوا بعضاً من ثيابه وكتبه ، وطلعوا به إلى القلعة وحبسوه ، فانزعج عياله وحريمه ووالدته انزعاجاً شديداً .

وفى صبحها اجتمع أرباب الديوان بالديوان ، وحضر إليهم ورقة من كبير الفرنسيس ، قريت عليهم مضمونها أن صارى عسكر قبض على ابن القاضى وعزله ، وأنه وجه إليكم أن تقترعوا وتختاروا لكم شيخاً من العلما يكون من أهل مصر (١) ومولود بها ، يتقلد القضا ويقضى بالأحكام الشرعية ، كما كانت الملوك المصرية يولون القضا برأى العلما للعلما . فأجاب الحاضرون بقولهم :" إننا جميعاً نتشفع ونترجى عنده فى العفو عن ابن القاضى ، فإنه إنسان غريب ، ومن أولاد الناس الصدور ، وإن كان والده وافق كتخدا الباشا فى فعله فوالده [ص١٦٠] مقيم تحت أمانكم ، والمرجو إطلاقه وعوده إلى مكانه ، فإن والدته وجَدَّته ، وعياله فى وجد وحزن عظيم عليه ، وصارى عسكر من أهل الشفقة والرحمة " وتكلم الشيخ السادات بنحو ذلك وزاد فى القول بأن قال :" وأيضاً أنكم تقولون دايماً أن الفرنساوية أحباب العثمانلية وهذا ابن القاضى من طرف العثمنلى ، فهذا الفعل مما يسئ الظن بالفرنساوية ، ويكذب قولهم ، وخصوصاً عند العامة ، فأجاب الوكيل بعدما ترجم له الترجمان بقوله :" لا بأس بالشفاعة ، ولكن بعد تنفيذ أمر صارى عسكر فى اختيار قاضى خلافه ، وإلا تكونوا مخالفين ، ويلحقكم الضرر بالمخالفة " فامتثلوا وعملوا القرعة ، فطلعت الأكثرية باسم الشيخ أحمد العريشى

١- كلمة "مصر " غير موجودة فى النسخة (ب)

الحنفى (١) ثم كتبوا عرضحال بصورة المجلس والشفاعة ، وكتب عليه الحاضرون ، وذهب به الوكيل إلى كبيرهم ، وعرفه بما حصل ، فتغير خاطره على الشيخ السادات ، وأمر بإحضاره فى عصريتها ، فلما حضر لامه وعاتبه ، فتكلم بينهما الشيخ المهدى ووكيل الديوان الفرنساوى ، حتى سكن غيظه وأمره بالانصراف إلى منزله بعد أن عوق حصة من الليل .

فلما أصبح يوم الجمعة (٢) عملوا جميعة فى منزل دوجا قايمقام ، وركبوا صحبته إلى بيت صارى عسكر ومعهم الشيخ أحمد العريشى ، فألبسه فروة مثمنة(٣) وركبوا جميعاً إلى بيت القاضى بين القصرين ، وأوعدهم بالإفراج عن

١- الشيخ العريشي وقضاة العسكر : منذ عصر السلطان محمد الفاتح وضعت الدولة العثمانية شروطاً علمية لابد من توافرها فيمن يتولى القضاء ، كما كانت حتمت عليه المرور بمراحل تعليمية مختلفة موجودة داخل استانبول وكان قضاة العسكر من المصريين قلة لعدة أسباب منها :

أ- عدم حب المصريين للرحلة بعكس الشوام الذين زاروا استانبول ومنهم من سار فى طريق القضاة وتولى مناصب قضاء عسكر مصر وغيرها .

ب- وجود الأزهر فى مصر وبين ظهرانى المصريين وإليه تشد رحال طلاب العلم من كافة أنحاء العالم الإسلامى لذا لم يكن بالمصريين حاجة للذهاب للتعلم فى استانبول أو غيرها . وهناك قلة فعلوا ذلك مثل "الشهاب الخفاجى "الذى ذهب مع والده إلى استانبول ، وتعلم هناك وتولى قضاء عسكر مصر ، لذا فلم يكن الشيخ العريشى أول من ولى قضاء عسكر مصر كماهو شائع بين العديدين من مؤرخى العصر العثمانى .لمزيد من المعلومات راجع : عبد الرازق عبد الرازق عيسى :مرجع سابق ، ص ٨٢ .

٢- يوم الجمعة ٢٤ محرم ١٢١٤هـ الموافق ٢٨ يونيو ١٧٩٩ م .

٣- وردت أخبار هذا التعيين فى سجلات محكمة القسمة العربية ، ونص وثيقة التعيين هو " لما كان فى اليوم المبارك الموافق لرابع عشرين شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٢١٤هـ حل فيه ركاب سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام ، قاموس البلاغة ونبراس الأفهام ، الواثق بلطف ربه المعيد المبدى ، مولانا أحمد أفندى العريشى الناظر فى الأحكام الشرعية ، وأمور القسمة العربية ، قاضى القضاة يومئذ بمصر المحمية حالاً ، زاده الله عزة ورفعة وإجلالاً ، وجعل الله قدومه خيراً بجاه محمد وآله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم " سجل٢٣٠ قسمة عربية ، ص ٢٥٧ .

ابن القاضى بعد أربعة وعشرين ساعة ، وقد كان عياله انتقلوا إلى دار السيد أحمد المحروقى التاجر .

ولما كان فى ثانى يوم[1] أفرجوا عنه ونزل إلى عياله وصحبته أرباب الديوان والأغا، [ص ١٦١] ومشوا معه فى وسط المدينة ليراه الناس ، ويبطل القيل والقال

وفيه[2] كتبوا أوراقاً وبصموا منها نسخاً ولصقوها بالأسواق ، ونصها :"جواب إلى محفل الديوان من حضرة صارى عسكر الكبير بونابرته ، أمير الجيوش الفرنساوية ، محب أهل الملة المحمدية ، خطاباً إلى السادات العلما ، أنه وصل لنا مكتوبكم من شان القاضى ، نخبركم أن القاضى لم أعزله ، وإنما هو هرب من إقليم مصر ، وترك أهله وأولاده وخان صحبتنا ، من المعروف والإحسان الذى فعلناه معه ، وكنت استحسنت أن ابنه يكون عوضاً عنه فى محل الحكم فى مدة غيبته ، ويحكم بدله ، ولم يكن ابنه قاضياً متولياً للأحكام على الدوام ، لأنه صغير السن ، ليس هو أهلاً للقضا ، فعلمتم أن محل حكم الشريعة خالى الان من قاضى شرعى يحكم بين المؤمنين ، فاستحسنت أنهم يجتمعوا علما الإسلام ، ويختاروا باتفاقهم قاضياً شرعياً من علما مصر وعقلايهم ، لأجل موافقه القرآن العظيم ، باتباع سبيل المؤمنين ، وكذلك مرادى أن حضرة الشيخ العريشى الذى اخترتوه جميعاً أن يكون لابساً من عندى ، وجالساً فى المحكمة ، وهكذا كان فعل الخلفا فى العصر الأول باختيار جميع المؤمنين ، وأخبركم أنى تلقيت ابن القاضى

١- يوم السبت ٢٥ محرم ١٢١٤هـ الموافق ٢٩ يونيو ١٧٩٩م .

٢- أى فى يوم السبت المذكور سابقاً .

بالمحبة والإكرام لما حضر لى وقابلنى ، ولم أزل لهذا الوقت أكرمه ، ولم أحب أن يضره أحد حكم أماننا له ، ولما رفعناه إلى القلعة لم نريد ضرره ، رفعناه مكرماً مثل ما يكون فى بيته بالراحة والإكرام ، وسبب ما رفعناه إلى القلعة ، لسكون الفتن ، والإصلاح بين الناس ، وبعد لبس القاضى الجديد [ص ١٦٢] وجلوسه فى محل الحكم ، مرادى أطلق ابن القاضى وأنزله من القلعة، وأرد له كامل (١) تعلقاته، وأطلق سبيله هو وعياله يتوجهوا (٢) حيث أرادوا باختيارهم ، لأنه فى أمانى وتحت حمايتى ، وأعرف أن أبوه ما كان يكرهنى ، ولكنه ذهب عقله وفسد رأيه ، وأنتم يا أهل الديوان تهدون الناس إلى الصواب والنور من جنابكم لأهل العقول ، وعرفوا أهل مصر أنه انقضت وفرغت دولة العثمنلى (٣) [من أقاليم مصر، وبطلت أحكامها منها ، وأخبروهم أن حكم العثمنلى](٤) أشد تعباً من حكم المملوك وأكثر ظلماً ، والعاقل يعرف أن علما مصر لهم عقل وتدبير وكفاية وأهلية للأحكام الشرعية ، يصلحون للقضا أكثر من غيرهم فى ساير الأقاليم ، وأنتم يا أهل الديوان عرفونى عن المنافقين المخالفين ، أخرج من حقهم ، لأن الله تعالى أعطانى القوة العظيمة ، لأجل ما أعاقبهم ، فإن سيفنا طويل ، ليس فيه

١- فى النسخة (ب) "كل تعلقاته " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٢- فى النسخة (ب) " يتوجه " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٣- فى الحقيقة أن بونابرت ما كان ليصرح هذا التصريح الخطير وينفى صداقته للعثمانيين لولا إعلان الدولة العثمانية الحرب عليه والتحالف مع انجلترا وروسيا لإخراجه من مصر وكذلك ظهور ذلك للعيان . فأخذ يكيل التهم للحكم العثمانى الذى أصبح من وجهة نظره أكثر ظلماً من حكم المماليك .

٤- ما بين القوسين غير موجود فى النسخة (أ) .

ضعف ، ومرادى تعرّفوا أهل مصر أن قصدى بكل قلبى حصول العز والسعادة لهم ، مثل ما هو بحر النيل أفضل الأنهار وأسعدها ، كذلك أهل مصر ، يكونوا أسعد الخلايق أجمعين ، بإذن رب العالمين والسلام " انتهى .

قال صاحبنا المشار (١) إليه قول اللعين " وعرفوا أهل مصر أنه انقضت دولة العثمنلي من مصر " ، هذا من أطماع النفس فى ضروب من محال الآمال وتشبثها بأذيال الأمانى التى ضربت دون الوصول إليها أعناق الرجال ، واسترسال لخبايث نفوسهم فى مراتع الغواية والضلال ، وفساد فكر عن طرق الرشد عقيم بمعارضة ظلمة الوهم وفساد الخيال ، لقد تبجح هذا اللعين الكافر ، وتفوه بمالا يصل إليه ساير الملوك الأول منهم والآخر ، ولقد كانت هذه اللفظة عليه وبالاً ، وخيبة أوجبت له من أقبح الشرور فالاً ، فإنه من حين دخول مصر لم يتفوه [ص١٦٣] بأمثالها ، ولا تمنيه نفسه بأن يكون من أبنا مصر ورجالها ، فلما انفسحت له المدة ، وخفت عنه الشدة ، وعدم المعارض ، وصار جواد فساده بأرض مصر راكض ، أظهر العداوة للدولة العلية - أبقاها الله - بعد كتمانها ، وإظهار أنه ممن يحب تلك الدولة ويكون من أتباعها وأعوانها ، ثم لما طال أمره ، وأبى عليه طول الاكتتام عداوته وحسده ، استدرجته أمانى نفسه ، فقال ما دونه حلوله برمسه (٢) ومن خذيه ونكاله ، وتبين ضلاله ومحاله ، أنه بعد أن قال ما قيل ، لم يلبث بمصر إلا القليل ، وذهب إلى حيث ألقت ، وقد كانت على جيشه وجنوده كلمة العذاب حقت ، فخلت منهم بعد ذلك الديار ، وعجل الله بأرواحهم إلى النار ، وبئس القرار .

١- يقصد الشيخ حسن العطار وجدير بالذكر أن الجبرتى حذف هذا التعليق للشيخ حسن العطار كاملاً من عجائب الآثار .

٢- الرمس هو القبر .

وفى تلك الليلة (١) قتلوا شخصين أحدهما على جاويش ريس الريالة ، الذى كان بالأسكندرية عند حضور الفرنسيس ، والثانى قبطان آخر ، فلم يزالا بمصر يحبسونهما أياماً ثم يطلقونهما ، فحبسوهما آخراً فلم يطلقوهما ، وقتلوهما "رحمهما الله " (٢)

وفى صبيحة ذلك اليوم (٣) قتلوا شخصين أيضاً من الأتراك بالرميلة .

وفيه ، أفرجوا عن زوجات حسن بيك الجداوى .

وفى ثالث عشرينه (٤) جمعوا الوجاقلية ، وكتبوا أسماهم .

وفى سادس عشرينه (٥) قبضوا على ثلاثة أنفار أحدهما يسمى حسن كاشف من أتباع أيوب بيك الكبير ، وآخر يسمى أبو كلس ، والثالث رجل تاجر من تجار خان الخليلى (٦) يسمى حسين بيك مملوك الدالى إبراهيم ، فسجنوهم

١- ليلة يوم الأحد ٢٦ محرم ١٢١٤هـ الموافق ٣٠ يونيو ١٧٩٩م .

٢- هذا الدعاء حذفه الجبرتى من عجائب الآثار وكأنه يضن عليهما بالدعاء بالرحمة .

٣-صباح يوم الأحد ٢٦محرم ١٢١٤هـ الموافق٣٠ يونيو١٧٩٩م وهو تاريخ اليومية التالية أيضاً

٤- يوم الخميس ٢٣ محرم ١٤١٤هـ الموافق ٢٧ يونيو ١٧٩٩م . هذه هى اليومية الوحيدة التى يضعها الجبرتى فى غير موضعها من حيث التسلسل التاريخى حسب منهجه فى كتابة اليوميات ولذلك رجعنا إلى عجائب الآثار ، حيث وجدنا هذه اليومية مسجلة بتاريخ الثلاثاء ٢٨ محرم ١٢١٤هـ الموافق٢ يوليو ١٧٩٩م وهذا هو التاريخ الأوفق والأنسب .

٥- هذه اليومية أيضاً وردت فى عجائب الآثار بتاريخ يوم الأربعاء ٢٩ محرم الموافق ٣ يوليو ١٧٩٩م .

٦- خان الخليلى : أراد الأمير سيف الدين جركس (جهاركس) الخليلى أمير آخور الملك الظاهر برقوق أن ينشئ خاناً فوقع اختياره على بقايا تربة الزعفران فنبش قبورها وأخرج عظام الأموات وألقاها فى كيمان البرقية ، وفى ١٤٧٤م كانت سوق الرقيق بخان الخليلى ، إلى أن جاء السلطان الغورى وأنشأ سوقاً أخرى له بالقرب منه . وفى سنة ١٥١١م آلت ملكية الخان إلى السلطان الغورى فأمر بهدمه وإعادة بنائه وأنشأ فيه الحواصل والحوانيت وظل يتردد على عمارته حتى انتهت وبالرغم من أن الخان طرأت عليه تغييرات كثيرة ولكن مدخله لا يزال على حاله بنقوشه وكتاباته راجع د/ عبد الرحمن زكى:مرجع سابق ، ص٣٦

بالقلعة ، فتشفع الشيخ السادات فى حسين التاجر ، فأطلقوه على خمسة آلاف فرانسة .

شهر صفر الخير :

استهل بيوم الجمعة (١) فيه أفرجوا عن بعض قرابة كتخدا [ص١٦٤] الباشا ، وكان محبوساً بالجيزة ، ثم نقل إلى القلعة مع كتخدا قريبه ، فأطلق وبقى الآخر .

وفى يوم الأحد ثالثه (٢) حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف سابقاً من دمياط إلى مصر ، وكان مقيماً هناك من بعد واقعة يافا ، ونزل مع الذين أنزلوهم من يافا إلى البحر ، وفيهم عثمان أفندى العباسى ، وحسن أفندى كاتب الشهر ، وأخوه قاسم أفندى ، وأحمد أفندى عرفة ، ويوسف أفندى ، وقاسم المصلى وغيرهم ، فمنهم من عوق بالكرنتيلة ، ومنهم من حضر من البر خفية ، فخرج بعض الأعيان لملاقات السيد عمر ، وركبوا معه - بعد أن مكث هنيهه بزاوية على بيك التى بساحل بولاق - حتى وصل إلى داره .

وتوجه فى صبح ثانى يوم (٣) مع المهدى ، وقابل كبير الفرنسيس ، فبش له ووعده بخير ، ورد إليه بعض تعلقاته (٤) واستمر مقيماً بداره ، والناس تغدوا وتروح إليه على العادة .

١- يوم الجمعة غرة صفر ١٢١٤ هـ الموافق ٥ يوليو ١٧٩٩م .

٢- يوم الأحد ٣ صفر ١٢١٤هـ الموافق ٧ يوليو ١٧٩٩م .

٣- يوم الاثنين ٤ صفر ١٢١٤ هـ الموافق ٨ يوليو ١٧٩٩ م .

٤- ولكن لم يرد إليه نقابة الأشراف التى احتفظ بها الشيخ خليل البكرى حتى تم طرد الفرنسيين من مصر فأعيدت إلى عمر مكرم الذى ارتفعت مكانته لأنه لم يمالئ الفرنسيين ولم يدخل فى أى من دواوينهم ، وكان له دور كبير فى تولية محمد على إلى أن تخلص منه محمد على عام ١٨٠٩ م بنفيه إلى دمياط ، راجع د/ عبد العزيز الشناوى : عمر مكرم ، سلسلة أعلام العرب ، ص ٢٥ وما بعدها .

وفى رابعه [1] حضر أيضاً حسن كتخدا الجربان بأمان ، وكان بصحبة [2] عثمان بيك الشرقاوى .

وفيه أشيع أن مراد بيك ذهب إلى ناحية البحيرة فراراً من الفرنسيس الذين بالصعيد .

وفى خامسه [3] قتلوا عبد الله آغا أمير يافا ، وكان أخذ أسيراً وحبس ثم قتل .

وفيه ، قتل أيضاً يوسف جريجى أبوكلس ، ورفيقه حسن كاشف .

وفيه أحضروا أربعة عشر مملوكاً أسرى ، وأصعدوهم إلى القلعة ، قيل أنهم كانوا لاحقين بمراد بيك بالبحيرة ، فأووا إلى قبة يستظلون بها ، وتركوا خيولهم مع السواس [4] فنزلت [ص ١٦٥] عليهم طايفة من العرب ، فأخذت الخيول ، فمروا مشاة ، فدل الفلاحون عليهم عسكر الفرنسيس فمسكوهم ، وقيل أنهم أووا إلى بلدة ، وطلبوا منهم غرامة ، فصالحوهم فلم يرضوا بدون ما طلبوا ، فأوعدوهم بالدفع من الغد ، وكانوا أكثر من ذلك ، وفيهم كاشف من جماعة الطنبرجى ، فذهب الفلاحون إلى الفرنسيس ، وأعلموهم بمكانهم ، فحضروا لهم ليلاً ، وقتلوا من قتلوه وأسروا الباقى ، وأما الكاشف فيسمى عثمان كاشف ، التجا إلى كبير الفرنسيس فحماه ، وأخذه عنده ، وأحضروا الأسرى إلى مصر وعليهم ثياب زرق

١- أى فى يوم الاثنين ٤ صفر ١٢١٤هـ الموافق ٨ يوليو ١٧٩٩م وهو نفس تاريخ اليومية التالية أيضاً .

٢- وردت فى النسخة (ب) "وكان بصحبته " ولكن الصواب ما أثبتناه .

٣- يوم الثلاثاء ٥ صفر ١٢١٢هـ الموافق ٩ يوليو ١٧٩٩م وهو نفس تاريخ اليوميتين التاليتين .

٤- فى النسخة (ب) "السياسى " وما أثبتناه من بقية النسخ هو الصواب .

وزعابيط ، وعلى رؤسهم طواقى من لبّاد وغيرها ، وأصعدوهم إلى القلعة . فلما كان فى ثانى ليلة قتلوا منهم عشرة .

وفى تاسعه (١) أحضروا أيضاً ستة أشخاص من المماليك ، وأصعدوهم إلى القلعة (٢)

وفى ذلك اليوم (٣) قتلوا أيضاً منهم نحو العشرة ، [واستمروا فى كل يوم يقتلون أناساً من الأسرى والمحابيس] (٤)

وفى يوم الأحد عاشره(٥) ركب فى عصريته كبير الفرنسيس وعدى إلى البحيرة ، وتبعيه العساكر ، ولم يعلم سبب ذلك ، ولما عدى إلى الجيزة ، ضرب العسكر نجع البطران ودهشور بسبب نزول مراد بيك عندهم .

وفيه(٦) ظهر أن مراد بيك رجع ثانياً إلى الصعيد ، وشاع الخبر أيضاً أن عثمان بيك الشرقاوى ، وسليمان أغا الوالى وآخرون ، مروا من خلف الجبل

١- يوم السبت ٩ صفر ١٢١٤هـ الموافق ١٤ يوليو ١٧٩٩م .

٢- بعد هذه اليومية مباشرة ورد فى "مظهر التقديس " طبعة وزارة التربية والتعليم يومية نصها "وفى يوم الأربعاء سادسه عمل الشيخ محمد المهدى وليمة عرس لزواج أحد أولاده ، ودعا صارى عسكر وأعيان الفرنساوية ، فتعشوا عنده وذهبوا "وهذه اليومية لم نعثر لها على أثر فى أى صفحة من صفحات النسخ (أ) ، (ب) ، (جـ) ، (د) ولكنها فقط موجودة فى عجائب الآثار بنفس النص ، مما يوحى بأن المحققين اعتمدوا أحياناً على عجائب الآثار دون الرجوع لمظهر التقديس . وما كان الجبرتى ليكتب يومية كهذه فى مظهر التقديس حيث أنه من المعتاد أن يتستر على مظاهر التقارب بين الفرنسيين والمشايخ :

٣- يوم السبت ٩ صفر ١٢١٤هـ الموافق ١٢ يوليو ١٧٩٩م .

٤- الفقرة التى بين القوسين حذفها الجبرتى من عجائب الآثار .

٥- يوم الأحد ١٠ صفر ١٢١٤هـ الموافق ١٣ يوليو ١٧٩٩م .

٦- أى فى يوم الأحد المشار إليه سابقاً .

وذهبوا إلى ناحية الشرق ، فخرج إليهم جماعة من العسكر وبرطلمين [ويني الخمار النصراني الرومي الذي كان في أول أمره مستولياً خمارات مصر، ثم صار عسكرياً على طايفة من نصارى الأروام][(1)][ص١٦٦] ومعهم عدة من المسلمين المنضمة إلى برطلمين ، ونصارى أروام المنضمة إلى يني ، فأدركوهم قريباً من بلبيس ، وأتوهم من خلاف الطريق المسلوكة ، فدهموهم على حين غفلة ، وكان عثمان بيك يغتسل ، فلما أحسوا بهم بادروا للفرار وركبوا الخيل ، وركب عثمان بيك بقميص واحد على جسده ، وطاقية فوق رأسه ، وهربوا وتركوا ثيابهم ومتاعهم وحملتهم ، وقدور الطعام على النار ، ولم يمت إلا مملوكين ، وأسروا منهم اثنين ، ووجدوا على فراش عثمان بيك مكاتبة من إبراهيم بيك ، يدعوهم إلى الحضور إليه بالشام .

وفي ليلة الاثنين حادي عشره (٢) وردت أخبار ومكاتيب مع السعاة لبعض الناس من الأسكندرية وبوقير ، وأخبروا بأنه وردت مراكب فيها عساكر عثمانية إلى أبوقير ، فتبين أن حركة الفرنسيس وتعديتهم إلى البر الغربي ، بسبب ذلك ، وأخذوا صحبتهم جرجس الجوهري وأصبحوا في ثاني يوم عدى الكثير من العسكر أيضاً واهتم حنا بينو المتولي على بحر بولاق ، بجمع المراكب وشحنها بالبقسماط والعدس والأرز والقومانية ، وداخل الفرنسيس من ذلك وهم عظيم . ولما عدى كبيرهم إلى بر الجيزة ، أقام يوم الاثنين عند الأهرام حتى تجمعت العساكر ، وبعث بالمقدمة .

وركب هو في يوم الثلاثا ثاني عشره ، وأرسل مكتوباً إلى أرباب الديوان

١-الفقرة التي بين القوسين غير موجودة في عجائب الآثار .

٢- ليلة يوم الاثنين ١١ صفر ١٢١٤هـ الموافق ١٤يوليو ١٧٩٩م .

بالسلام عليهم والوصية بالحفظ وضبط البلد والرعية ، كما فعلوا فى غيبته السابقة .

وفى سادس عشره (1) ورد الخبر بأن عثمان خُجا وصل إلى قلعة [ص١٦٧] أبو قير (2) صحبة السيد مصطفى باشا ، فضربوا على القلعة وأسروا من بها من طرف صالح بيك ، وعثمان خجا هو الذى كان متولى إمارة رشيد من طرف صالح بيك وحج معه ورجع صحبته إلى الشام ، فلما توفى صالح بيك سافر إلى الديار الرومية ، وحضر صحبة السيد مصطفى باشا المذكور ، فلما تحققت هذه الأخبار كثر اللغط فى الناس ، وأظهروا البشر ، وتجاهروا بلعن النصارى ، واتفق أنه تشاجر بعض المسلمين بحارة البرابرة مع بعض نصارى الشوام ، فقال المسلم للنصرانى :"إن شا الله بعد أربعة أيام نشتفى منكم " ، وكلام من هذا المعنى ، فذهب النصرانى إلى الفرنسيس مع عصبة من جنسه ، وأخبروهم بالقصة ، وزادوا وحرفوا ، وعرفوهم أن قصد المسلمين إثارة فتنة ، فأرسل قايمقام إلى الشيخ المهدى ، وتكلم معه فى شأن ذلك وحاججه .

١- يوم السبت ١٦ صفر ١٢١٤هـ الموافق ٢٠ يوليو ١٧٩٩م .

٢- أبو قير : تمكن سيدنى سميث من حشد القوات العثمانية فى قبرص للسير إلى مصر ولكن هذه القوات التى وصلت قبالة المدينة فى ١١ يوليو ١٧٩٩ م لم تستطع القيام بأى إنزال لقواتها إلا فى ١٤ يوليو فى أبى قير ، وعندما علم بونابرت بذلك الإنزال أصدر الأمر إلى طوابير قواته المتحركة بالتدفق على الرحمانية وبدأ الهجوم فى ٢٥ يوليو وانتصر الفرنسيون وأسروا القائد العثمانى مصطفى باشا وهذا هو وصف الفرنسيين للمعركة ننقله لما فيه من دلالات من خطاب الجنرال بونابرت إلى جنرال دوجا . من معسكر المستشفى المتنقل فى ٨ ترميدور٧صباحاً فى السابعة من صباح البارحة وجدنا أنفسنا أمام العدو الذى تمركز على بعد أربعة كيلو مترات أمام قلعة أبو قير فهاجمناه وهزمناه هزيمة منكرة، واستردَدنا منه القريتين ، واستولينا على متاريسهم واستحكاماتهم وخنادقهم وكل ما فى معسكرهم وطاردناهم حتى البحر وأغرقنا منهم من ١٠آلاف إلى١٢ألف مقاتل وقد أسرنا القائد العام للبر والبحر"واسمه سعيد مصطفى باشا "سأحضره بنفسى إلى القاهرة وقد قتل منامائة جندى وأصيب أربعمائة بجراح من بينهم الجنرال مورا والجنرال فوجيير وقائد الفرقة مورانجيه" بونابرت"راجع :لمزيد من التفاصيل:كوربيه دى ليجيبت العدد رقم٢ص ١٣٥ .

وأصبحوا(١) فاجتمعوا بالديوان ، فقام المهدى خطيباً ، وتكلم كثيراً ونفى الريبة ، وكذب أقوال الأخصام ، وتشدد فى تبرئة المسلمين عما نسب إليهم ، وبالغ فى الحطيطة والانتقاص من جانب النصارى . وكان هذا المقام من مقاماته المحمودة ، ثم جمعوا مشايخ الأخطاط والحارات وحبسوهم (٢)

وفيه (٣) حضرت مكاتبة من الفرنسيس المتوجهين للمحاربة مع العسكر السلطانى (٤) بجهة أبو قير وصورتها :

"لا إله إلا الله ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . نخبركم محفل الديوان بمصر المنتخب من أحسن الناس وأكملهم بالعقل والتدبير، عليهم سلام الله ورحمته وبركاته ، بعد مزيد السلام عليكم وكثرة الأشواق إليكم ، نخبركم يا أهل الديوان المكرمين العظام بهذا المكتوب ، أننا [ص١٦٨] وضعنا جماعات من عسكرنا بجبل الطرانة ، وبعد ذلك سرنا إلى إقليم البحيرة ، لأجل ما نرد راحة الرعايا المساكين ، وأقاصص أعدانا المحاربين ، وقد وصلنا بالسلامة إلى الرحمانية ، وعفونا عفواً عمومياً عن كامل أهل البحيرة ، حتى صار أهل الأقليم فى راحة تامة ، ونعمة عامة ، وفى هذا التاريخ نخبركم أنه وصل ثمانون مركباً صغاراً وكباراً ، حتى ظهروا بثغر أسكندرية وقصدوا أن يدخلوها ، فلم يمكنهم الدخول ، من كثرة البنبة وجلل المدافع النازلة عليهم ، فرحلوا عنها ، وتوجهوا يرسوا بناحية أبو قير ، وابتدأوا

١-يوم الأحد ١٧ صفر ١٢١٤هـ الموافق ١٧ يوليو ١٧٩٩م .

٢- كلمة " الحارات " غير موجودة فى النسخة (أ)

٣- أى فى يوم الأحد .

٤- كلمة "السلطانى " غير موجودة فى عجائب الآثار مما يشير إلى تغير موقف الجبرتى من العثمانيين ويتضح ذلك أكثر من اليوميات التالية .

ينزلون فى البر ، وأنا الآن تاركهم ، وقصدى أنهم يتكاملوا الجميع فى البر ، وأنزل عليهم أقتل من لا يطيع ، وأخلى بالحياة الطايعين ، وأتيكم بهم محبوسين تحت السيف ، لأجل أن يكون فى ذلك شأن عظيم فى مدينة مصر ، والسبب فى مجى هذه العمارة إلى هذا الطرف ، والعشم بالاجتماع على المماليك والعربان ، لأجل نهب البلاد وخراب الإقليم المصرى ، وفى هذه العمارة خلق عظيم من الموسقوا الإفرنج ، الذين كراهتهم ظاهرة لكل من كان موحد الله ، وعداوتهم واضحة لمن كان يؤمن برسول الله ، يكرهون الإسلام ، ولا يحترمون القرآن ، وهم نظراً لكفرهم (١) فى معتقدهم يجعلون الآلهة ثلاثة ، وأن الله (٢) ثالث تلك الثلاثة ، تعالى الله عن الشركا (٣) ولكن عن قريب يظهر لهم أن الثلاثة لاتعطى القوة ، وأن كثرة الآلهة لا تنفع لأنه باطل ، بلى أن الله الواحد هو الذى يعطى النصرة لمن يوحده ، هو الرحمن الرحيم ، المساعد المعين ، المقوى للعادلين [ص١٨٩] الموحدين ، الماحق رأى الفاسدين المشركين ، وقد سبق فى علمه القديم ، وقضاه العظيم ، أنه أعطانى هذا الإقليم العظيم ، وقدَّر وحكم بحضورى إلى مصر ، لأجل تغييرى الأمور الفاسدة ، وأنواع الظلم ، وتبديل ذلك بالعدل والراحة ، مع صلاح الحكم . وبرهان قدرته العظيمة ، ووحدانيته المستقيمة ، أنه لم يقدر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة ، قوة مثل قوتنا ، لأنهم ما قدروا يعملوا الذى عملناه ، ونحن المعتقدين وحدانية الله ، ونعرف أنه العزيز القادر القوى القاهر المدبر الكائنات ، والمحيط علمه (٤) بالأرضين والسموات ، والقايم بأمر المخلوقات ، هذا ما فى

١- كلمة "لكفرهم" غير موجودة فى النسخة (أ) .
٢- كلمة "الله" غير موجودة فى النسخة (ب) .
٣- فى النسخة (ب) "عن الشريك" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .
٤- فى النسخة (أ) "عمله" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

الآيات والكتب المنزلات ، ونخبركم بالمسلمين إن كانوا بصحبتهم ، يكونوا من المغضوب عليهم ، لمخالفتهم لوصية النبى عليه أفضل الصلاة والسلام ، بسبب اتفاقهم مع الخارجين الكفرة اللئام ، لأن أعداء الإسلام لا ينصرون (١) الإسلام ، ويا ويل من كانت نصرته بأعداء الله ، وحاشا الله أن يكون المستنصر بالكفار مؤيداً ، أو يكون مسلماً ساقهم التقدير ، للهلاك والتدمير ، مع السفالة والرزالة ، وكيف المسلم أن ينزل فى مركب تحت بيرق الصليب ، ويسمع فى حق الواحد الأحد الفرد الصمد من الكفار ، كل يوم تخريف واحتقار ، ولا شك أن هذا المسلم فى هذا الحال أقبح من الكافر الأصلى فى الضلال ، نريد منكم يا أهل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والأمصار لأجل أن يمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية فى سائر الأقاليم والبلاد ، لأن البلد الذى يحصل فيها الشر ، يحصل لهم مزيد من الضرر والقصاص ، انصحوهم يحفظوا أنفسهم من الهلاك ، خوفاً عليهم [ص١٧٠] أن يفعل فيهم مثل ما فعلنا فى أهل دمنهور ، وغيرها من بلاد الشرور ، بسبب سلوكهم المسالك القبيحة قاصصناهم ، والسلام عليكم ورحمة الله

١- هذا المنشور يعد قطعة من الدجل السياسى العالى المستوى ، فبونابرت هنا أراد التقرب من الشعب المصرى وحاول إلغاء العائق الدينى فادعى إسلامه وادعى أن المسيحيين (الموسقو) كفره لأنهم يعتقدون بأرباب ثلاثة لا تعطى القوة ، وهاجم العثمانيين لأنهم اشتركوا وتحالفوا مع كفرة تحت راية الصليب ، فوصفهم أنهم أقبح من الكفرة . ولعل أقوى تعليق على ذلك ما ذكره كريستوفر هيرولد فى قوله "وكان الإسلام هو العقبة الكبرى التى تحول دون قيام جو الثقة المتبادلة (الذى كان ينشده بونابرت) لقد كان بونابرت يستطيع أن يعلن أكثر من مرة كل يوم أنه ليس مسيحياً ، وأن رجاله كذلك ليسوا مسيحيين، وكان يمكنه أن يكرر أن الفرنسيين سجنوا البابا وأغلقوا الكنائس وأنهم يحترمون الإسلام ، ولكن فى نظر المسلمين فإن الفارق بين المسيحيين والربوبين وعباد العقل أو الكائن الأعظم والملحدين واليهود وغيرهم .. ليس بذى أهمية . الكل غير مسلمين فهم فى الكفر سواء . راجع د/ أحمد الصاوى :مرجع سابق ، ص ١٠٢ .

وبركاته ، تحريراً فى الرحمانية ، يوم الأحد ١٥ صفر سنة ١٢١٤ " ، وبصموا من ذلك نسخاً ، ولصقوها بالأسواق ، وفرقوا منها على الأعيان انتهى .

وفى ثامن عشره [1] وردت أخبار وعدة مكاتيب ، لكثير من الأعيان والتجار كلها على نسق واحد، بأن المسلمين ملكوا الأسكندرية فى ثالث ساعة من يوم السبت سادس عشر صفر ، [وفرح الناس ، وهنى بعضهم بعضاً ، ثم ظهر عدم صحة ذلك ، ولعل ذلك من المكايد] [2]

وفى ليلة الثلاثا عشرينه [3] أشيع أن الفرنسيس انتصروا على المسلمين وأخذوا قلعة أبو قير ، وأخذ السيد مصطفى باشا أسيراً ، وعثمان خجا وعدة من المسلمين ، وأخبر الفرنسيس أنه حضرت لهم مكاتبة بذلك من أكابرهم .

ولما طلع النهار ضربوا مدافع كثيرة من قلعة الجبل وأبراج التلول ، وجامع الظاهر ، وبصحن الأزبكية ، [فانزعج الناس ، ونزل بهم من الغم والكآبة مالا مزيد عليه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .] [4]

وفى ليلتها - أعنى ليلة الأربعا - عملوا حراقة بالأزبكية وسواريخ ونفوط .

١- يوم الاثنين ١٨ صفر ١٢١٤هـ الموافق ٢٢ يوليو ١٧٩٩م .

٢- العبارة التى بين القوسين وردت فى عجائب الآثار بتفصيل أكثر حيث يقول فيها مؤرخنا الجبرتى "فصار الناس يحكي بعضهم لبعض ، ويقول البعض أنا قرأت المكتوب الواصل إلى فلان التاجر ، ويقول الآخر مثل ذلك ، ولم يكن لذلك أصل ولا صحة ، ولم يعلم من فعل هذه الفعلة ، واختلق هذه النكته ، ولعلها من فعل بعض النصارى البلديين ليوقعوا بها فتنة فى الناس ، ينشأ منها القتل فيهم والأذية لهم ، وسبحان الله علام الغيوب ، عجائب الآثار جـ ٣ ، ص ٧٧ .

٣- الصواب أن ٢٠ صفر يوافق الأربعاء ، وفى عجائب الآثار صححها الجبرتى حيث كتبها "وفى ليلة الأربعاء عشرينه " ويوم الأربعاء ٢٠ صفر ١٢١٤هـ يوافق ٢٤ يوليو ١٧٩٩م .

٤- العبارة التى بين القوسين حذفها الجبرتى عند كتابة عجائب الآثار .

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه [1] وصلت عدة مراكب وبها أسرى وعساكر جرحى .

وكذلك يوم الجمعة تاسع عشرينه ، وحضرت مكاتبة من الفرنسيس بحكاية الحال التى وقعت لم أقف على صورتها .

شـهر ربيـع الأول

استهل بيوم السبت [2] فى ثانيه وصلت مراكب من بحرى ، وفيها جرحى [3] من الفرنسيس .

فيه [4] قبضوا على مصطفى البشتيلى [ص١٧١] من أهل بولاق . وحبسوه ببيت قايمقام ، والسبب فى ذلك أن جماعة من جيرانه وشوا به ، بأن فى داخل الحاصل الذى فى وكالته عدة قدور مملوءة بالبارود ، فكبسوا على الحاصل ، فوجدوا به ذلك ، كما أخبر الواشى ، فأخذوها وقبضوا عليه وحبسوه كما ذكر ، ثم نقلوه إلى القلعة .

وفى سادسه [5] حضر أيضاً جملة من العسكر وكثر لغط الناس كعادتهم فى روايات الأخبار [6]

١- يوم الخميس ٢٨ صفر ١٢١٤هـ الموافق أول أغسطس ١٧٩٩م .

٢- يوم السبت غرة شهر ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ٢ اغسطس ١٧٩٩م .

٣- فى النسخة (ب) "مجرحين" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٤- أى فى يوم الأحد ٢ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ٣ أغسطس ١٧٩٩م .

٥- يوم الخميس ٦ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ٧ أغسطس ١٧٩٩م .

٦- بعد هذه اليومية توجد يومية محذوفة من مظهر التقديس وأوردها الجبرتى فى عجائب الآثار ونصها "وفيه حضرت حجاج المغاربة ووصلوا صحبة الحاج الشامى وأخبروا أنهم حجوا صحبته وأمير الحاج الشامى عبد الله باشا بن العظم .

وفى ليلة الأحد تاسعه (١) حضر كبير الفرنسيس ودخل إلى داره بالأزبكية ، وحضر صحبته عدة أناس من أسرى المسلمين ، وشاع الخبر بحضوره ، فذهب كثير من الناس إلى الأزبكية ليتحققوا الخبر على جليته ، فشاهدوا الأسرى وهم وقوف بوسط البركة ليراهم الناس [فكفكف الناس دموعهم ، وكظموا غيظهم ، وطووا قلوبهم على حرقة الأسى ، ومرارة الأسف ، وأظهروا التجلد للعدو ، وقد طار من..(٢) القلب الراحة والهدو".

"شعر "

وتجلدى للشامتين أريهم أنى لريب الدهر لا أتضعضع](٣)

ثم إنهم صرفوا الأسرى (٤) بعد حصة من النهار ، فأرسلوا بعضهم إلى جامع الظاهر خارج الحسينية ، وأصعدوا باقيهم إلى القلعة ، وأما السيد مصطفى باشا ، فإنهم لم يقدموا به لمصر ، بل أرسلوه إلى الجيزة مكرماً ، وأبقوا عثمان خجا بالأسكندرية ، [ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

"شعر "

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نُسَا ء ويوم نُسَر

وما زالت الأيام تأخذ وتعطى ، والسهام تصيب وتخطى] (٥) ولما استقر كبير

١- يوم الأحد ٩ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ١١ اغسطس ١٧٩٩م .

٢- إلى هنا تنتهى النسخة (د) وسوف نعتمد فيما يلى على النسخ (أ) ، (ب) ، (جـ) .

٣- الفقرة التى بين القوسين حذفها الجبرتى عند كتابة "عجائب الآثار" ، وهو كما نحس إهمال متعمد من المؤلف لذكر موقف عامة الشعب المصرى من هزيمة العثمانيين فى معركة أبى قير البرية وأيضاً هنا اعتداء على حيدة المؤرخ وشك فيه .

٤- كلمة " الأسرى " ترد غالباً فى النسخة (ب) هكذا "الأسارى " .

٥- الفقرة بين القوسين محذوفة من عجائب الآثار .

الفرنسيس بمنزله ، ذهب للسلام عليه المشايخ والأعيان ، وسلموا عليه ، فلما أستقر بهم المجلس قال لهم على لسان الترجمان ، إن صارى [ص١٧٢] عسكر يقول لكم أنه لما سافر إلى الشام كانت حالتكم طيبة فى غيابه ، وأما فى هذه المرة فليست كذلك ، لأنكم كنتم تظنون أن الفرنسيس لا يرجعون ، بل يموتون عن آخرهم، فكنتم فرحانين ومستبشرين وكنتم تعارضون الأغا فى أحكامه ، وأن المهدى والصاوى ماهم "بونو" أى ليسوا طيبين ، ونحو ذلك ، وسبب كلامه هذا ، الحكاية المتقدمة التى حبسوا بسببها مشايخ الحارات ، فكان الأغا الخبيث يريد أن يقتل فى كل يوم أناساً بأدنى سبب ، فكان المهدى والصاوى يعارضانه ويتكلمان معه بالديوان ويوبخانه ويخوفانه سوء العاقبة ، فيرسل إلى كبير الفرنسيس فيطالعه بالأخبار ، ويشكو منهما ، فلما حضر عاتبهم فى شأن ذلك ، فلاطفوه حتى انجلى خاطره ، وأخذ يحدثهم على ما وقع له مع العساكر بأبو قير ، والنصر عليهم وغير ذلك .

وفى يوم الثلاثا حادى عشره (١) عمل المولد النبوى بالأزبكية ، ودعي الشيخ البكرى كبير الفرنسيس مع جماعة من أعيانهم ، وتعشوا عنده ، وضربوا ببركة الأزبكية مدافع وعملوا حراقة وسواريخ ، ونادوا فى ذلك اليوم بفتح الأسواق والدكاكين ليلاً وإسراج قناديل واصطناع زينة .

وورد الخبر بأن الفرنسيس أحضروا عثمان خجا ونقلوه من الأسكندرية إلى رشيد، فدخلوا به البلد وهو مكشوف الرأس ، حافى القدمين ، وطافوا به البلد يزفونه بطبولهم، ثم قطعوا رأسه تحت داره يراها من يمر بالسوق "رحمه الله" (٢)

١- يوم الثلاثاء ١١ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ١٣ أغسطس ١٧٩٩م .

٢- "رحمه الله "حذفها الجبرتى من عجائب الآثار - فيبدو أنه أصبح يضن بها كثيراً على أمثال هؤلاء .

وفى ثالث عشره (١) أشيع بسفر كبير الفرنسيس بونابارتة [ص١٧٣] إلى جهة بحرى ، ولم يعلم أى جهة يريد ، وسئل من بعض أكابرهم ، فأخبر أن صارى عسكر المنوفية دعاه لضيافته بمنوف حين كان مسافراً جهة أبو قير ، فأوعده بالعود إليه بعد وصوله إلى مصر ، وراج ذلك على الناس وظنوا صدقهم .

ولما كان يوم الأحد سادس عشره (٢) خرج مسافراً من آخر الليل ، وخفى أمره عن الناس "وانقطع أثره " (٣)

وفى يوم الخميس رابع عشرينه الموافق لتاسع (٤) مسرى القبطى ، كان وفاء النيل المبارك ، فنودى بوفائه على العادة ، وخرج النصارى البلدية من القبطة

١- يوم الخميس ١٣ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ١٥ أغسطس ١٧٩٩م .

٢- يوم الأحد :١٦ ربيع الأول ١٢١٤هـالموافق ١٨ أغسطس ١٧٩٩م وقد أورد الجبرتى هذه اليومية في عجائب الآثار بتاريخ "يوم الاثنين سادس عشره " وهو خطأ لأن يوم الاثنين يوافق ١٧ ربيع الأول .

٣- عبارة "وانقطع أثره " حذفها الجبرتى من عجائب الآثار .

٤- اختلفت الروايات فى تحقيق تاريخ وفاء النيل لهذا العام ، وحتى الجبرتى نفسه وقع فى خلط كبير ، فرابع عشرين الشهر لا يوافق يوم الخميس ، وإنما يوافق يوم الاثنين ٢٦ أغسطس ١٧٩٩م الموافق ٢٢ مسرى ١٥١٥قبطية ، وقد دون الجبرتى هذه اليومية فى عجائب الآثار بتاريخ يوم الاثنين ٢٤ ربيع الأول ، ويؤكد الرافعى على صحة تاريخ الجبرتى مسترشداً بمحمد مختار باشا "التوفيقات الإلهامية " الذى أثبت وفاء النيل يوم ٩ مسرى وليس ٢٢ مسرى ولكن إذا علمنا أن مختار باشا يختلف مع الجبرتى لأن ٩ مسرى يوافق يوم الثلاثاء ١١ ربيع الأول ١٣ أغسطس وليس موافقاً لتاريخ ٢٤ ربيع الأول الذى ذكره الجبرتى ، ويؤكده الرافعى .

والخلاصة أن يوم الخميس الذى يذكره الجبرتى صحيح ولكنه يوم الخميس ٢٠ ربيع الأول ، حيث خرج النصارى والعامة بعد غروب ذلك اليوم إلى النيل فتنزهوا به ليلة الجمعة وفى صباح الجمعة ٢١ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ١٩ مسرى ١٥١٥قبطية ٢٣ أغسطس ١٧٩٩م خرج ديجا لحضور احتفال كسر السد .

والشوام والأروام ، وتأهبوا للخلاعة والقصف ، والتفرج واللهو ، وذهبوا تلك الليه إلى بولاق ومصر العتيقة والروضة ، واكتروا المراكب ونزلوا فيها ، وصحبتهم الآلات والمغانى ، وخرجوا في تلك الليلة عن طورهم ، ورفضوا الحشمة ، وسلكوا مسلك الأمرا سابقاً ، من النزول فى المراكب الكثيرة المقاديف ، وصحبتهم نساوهم وقحابهم وشرابهم وخمورهم ، وتجاهروا بكل قبيح من الضحك والسخرية والكفريات ومحاكاة المسلمين ، وبعضهم تسلح وتزيا بزى أمرا مصر(١) على سبيل الاستهزا ، وتشبه بهم وحاكى ألفاظهم وغير ذلك ، وأجرى الفرنسيس المراكب المزينة وعليها البيارق ، وفيها أنواع الطبول والمزامير فى البحر ، وقد وقع فى تلك الليلة بالبحر وسواحله من الفواحش والتجاهر بالمعاصى مالا يكيف ولا يوصف وسلك بعض غوغاء العامة وأسافل العالم ورعاعهم مسالك متسفل الخلاعة ، ورذالة الرقاعة ، بدون أن ينكر أحد على أحد من الحكام أو غيرهم ، بل كل إنسان يفعل ما تشتهيه نفسه ، وما يخطر بباله ، وإن لم يكن من أمثاله [ص١٧٤]

إذا كان رب الدار بالدف ضارباً   فشيمة أهل االدار كلهم الرقص

وأكثر الفرنسيس فى تلك الليلة وصباحها من رمى المدافع والسواريخ من المراكب والسواحل ، وباتوا يضربون أنواع الطبول والمزامير .

وفى الصباح (٢) ركب دوجا قايمقام ، وصحبته أكابر الفرنسيس وأكابر أهل مصر ، وحضر إلى قصر السد وجلسوا به ، واصطفت العساكر ببر الروضة ، وبر مصر العتيقة ، بأسلحتهم وطبولهم ، وبعضهم فى المراكب لضرب المدافع

١- فى النسخة (ب) "تسلح وتزيا بزى نساء مصر" والصواب ما أثبتناه من باقى النسخ . لأن المقصود هم أمراء المماليك .

٢- صباح يوم الجمعة ٢١ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ١٩ مسرى ١٥١٥قبطية ، ٢٣ أغسطس ١٧٩٩م .

المتتالية ، إلى أن انكسر ، وجرى الماء فى الخليج فانصرفوا .

وفى خامس عشرينه (١) طلبوا من كل طاحون من الطواحين فرساً .

وفى سادس عشرينه (٢) كتبوا أوراقاً ولصقوها بالأسواق ، مضمونها أن الناس يذهبون إلى بولاق يوم التاسع والعشرين ليحضر سوق الخيل ، ويشترى ما أحب من الخيل .

وفيه(٣) لصقوا أوراقاً أيضاً ، مضمونها بأن من كان عليه مال ميرى ملزوم بغلاقه ، ومن لم يغلق ما عليه بعد مضى عشرين يوماً ، عوقب بما لا يليق به، ونادوا بموجب ذلك فى الأسواق .

وفى ، سابع عشرينه (٤) كتبوا أوراقاً أيضاً مضمونها انقضا سنة مواجرات أقلام المكوس ، وأن من أراد استيجار شئ من ذلك فليحضر بالديوان ويأخذ ما يريده (٥) بالمزاد .

وفيه (٦) أفرج عن الأنفار التى قدم بها الفرنسيس من غزة وحبسوا بالقلعة على مصالحة خمسة وسبعين كيساً ، دفعوا بعضها ، وضمنهم أهل وكالة الصابون فى البعض الباقى ، فأنزلوهم من القلعة على هذا الاتفاق ، بشرط أن لا يسافر منهم أحد إلا بعد غلاق ما عليه .

١- يوم الثلاثاء ٢٥ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ٢٧ أغسطس ١٧٩٩ م .
٢- يوم الأربعاء ٢٦ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ٢٧ أغسطس ١٧٩٩م .
٣- أى فى يوم الأربعاء .
٤- يوم الخميس ٢٧ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ٢٨ أغسطس ١٧٩٩م .
٥- كلمة "ما يريده" غير موجودة فى النسخة (أ) .
٦- أى فى يوم الخميس المذكور .

وفى ثامن عشرينه (١) تشفع أرباب الديوان فى أهل يافا المسجونين بالقلعة ، فوقع [ص١٧٥] التوافق على الإفراج عنهم بمصلحة ماية كيس ، فاجتمع الرؤسا والتجار ، وترووا واشتوروا فى مجلس خاص بينهم ، فاتفق الحال على تقيسطها وتأجيلها ، فى كل عشرين يوماً خمسة وعشرون كيساً ، فدفع التجار خمسة وعشرين كيساً ، وأفرج عنهم من القلعة، وأجل الباقى على الشرح المذكور .

وفيه (٢) ورد من بونابارتة صارى عسكر كتاب من الأسكندرية ، خطاباً لأهل مصر وسكانها ، فأحضر قايمقام دوجا الرؤسا المصرية ، وقرأ عليهم الكتاب ، مضمونه أنه سافر يوم الجمعة حادى عشرين الشهر المذكور إلى بلاد الفرنساوية (٣) لأجل راحة أهل مصر وتسليك البحر ، فيغيب نحو ثلاثة أشهر ، ويقدم مع عساكره ، فإنه بلغه خروج عمارتهم ، ليصفى له ملك مصر ، ويقطع دابر المفسدين ، وأن المولى على أهل مصر وعلى الفرنسيس كلهم ، كلهبر صارى عسكر دمياط ، فوقع الناس فى لغط وهرج ، وتحيروا فى كيفية سفره مع وجود

١- يوم الجمعة ٢٨ ربيع ٢٨ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ٣٠ أغسطس ١٧٩٩م .

٢- أى فى يوم الجمعة المذكور .

٣- سفر بونابرت : فى كتابه الذى تركه لكليبر قبل سفره إلى فرنسا ذكر بونابرت أن من أسباب السفر تدهور وضع فرنسا وخسارتها لإيطاليا فمنيت بعدة هزائم متتالية ، كذلك العمل على إرسال المؤن والسلاح للحملة فى مصر - فيقول له "أن وصول أسطولنا إلى برست وطولون ووصول الأسطول الأسبانى إلى قرطجنة مما لا يدع مجالاً للشك فى أننا نستطيع أن نرسل إلى مصر البنادق والسيوف والمسدسات وباقى الذخائر التى تحتاج إليها سأرلها لك مع قسم من الجيش الاحتياطى لتعويض الخسائر التى أصابتنا فى الموقعتين وستحيطك الحكومة حينئذ علماً بنواياها.. . وإذ تفشى الطاعون فى مصر على الرغم من كل الاحتياطات التى اتخذت هذه السنة وقضى على ١٥٠٠ جندياً من جيوشك مما يعد خسارة كبرى فعليك والحالة هذه أن لا تخاطر بإثارة المعركة المقبلة بل نفوضك بعقد الصلح مع الباب العالى العثمانى حتى ولو كان الجلاء عن مصر من شروط الصلح الأساسية إنما يجب أن ترجئ تنفيذ هذا الشرط إلى عقد الصلح العام .

راجع : حيدر الشهابى : مرجع سابق ، جـ٢ .

مراكب الإنكليز على الثغر وذهبوا كل مذهب (1)

فلما كان يوم السبت تاسع عشرين الشهر(2) قدم كلهبر صبيحة ذلك اليوم ، فضربوا لقدومه المدافع من جميع الجهات ، وتلقته كبار الفرنساوية وأصاغرهم ، وذهب إلى بيت بونابارتة الذى كان ساكناً به بالأزبكية ، وسكن مكانه (3)

وفى ذلك اليوم ، قدمت طايفة من العسكر من جهة الشرقية ، وصحبتهم منهوبات كثيرة من بلد ضربوها ونهبوها ، ومعهم نحو السبعين من الرجال والصغار وبعض النسا ، وهم موثوقون بالحبال ، فسجنوهم بالقلعة .

١- كيفية هروب بونابرت : عرف بونابرت من خلال الأسرى الفرنسيين الذين تبادلهم مع الإنجليز أن سيدنى سميث قد استنفذ احتياطاته من المياه والمواد الغذائية وأنه يتعين عليه التحرك فوراً لإعادة التزود بالمؤن من قبرص ويتعين على بونابرت الانتظار حتى اختفت الوحدات البحرية الإنجليزية التى تحاصر الأسكندرية وهو ما حدث فى ١٢ أغسطس وما أن علم بذلك حتى أنهى استعداداته وغادر القاهرة في مساء ١٨ أغسطس فأبحر فى يوم ٢٢ أغسطس ولم يستطع أن ينتظر للقاء كليبر فترك رسائله الخاصة بنقل السلطة عند مينو راجع – هنرى لورنس :مرجع سابق ص ٣٩٨ وما بعدها .

٢- يوم السبت ٢٩ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ٣٠ أغسطس ١٧٩٩م .

٣- وقد وجه كليبر منشوراً إلى الجنود ونصه :" القيادة العامة بالقاهرة فى ١٤ فروكتيدور من كليبر القائد العام إلى الجيش أيها الجنود وقعت أسباب قهرية الجنرال بونابرت القائد العام إلى السفر إلى فرنسا ، لم تمنعه أخطار الملاحة فى وقت الأعاصير وشق طريقه وسط عباب بحر ضيق محاط بالأعداء من كل جانب ، من السفر إلى فرنسا لأن فى ذلك مصلحة لكم أيها الجنود ، سوف تأتيكم نجدة عظيمة أو يحل علينا سلام مجيد جدير بكم وبأعمالكم فتعودوا إلى أوطانكم . عندما تسلمت أعباء القيادة من بونابرت شعرت بأهميتها وبكل ما كان يكتنفها من متاعب ومشقة ، ولما كنت من جهة أخرى مقدراً فيكم الهمة العالية التى طالما توجت بنجاح باهر ، ولما كنت مقدراً أيضاً مثابرتكم العظيمة وطول أناتكم وشجاعتكم فى تحدى الأخطار والأهوال وتحمل جميع صنوف الحرمان ولما كنت أقدر حق التقدير كل ما يمكن الإقبال عليه من أعمال جسام مع مثل هؤلاء الجنود لم أتردد البتة فى أن يكون لى شرف قيادتكم وقد زادت قوة على قوة .أيها الجنود لا تشكوا إطلاقاً فى أن كل ما تطلبونه سوف يكون موضع عنايتى" إمضاء كليبر بأمر القائد العام راجع كوربيه دى ليجيبت ، العدد ٣٧ ص ١٤٤ .

وفيه(١) ذهب أكابر البلد من مشايخ وأعيان ، لمقابلة [ص١٧٦] كبير الفرنسيس الجديد والسلام عليه ، فلم يجتمعوا به ذلك اليوم ، وأوعدوا إلى الغد ، فانصرفوا وحضروا فى ثانى يوم ، فاجتمعوا به ، فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل اللعين الأول فإنه كان عنده مداهنة وطلاقة (٢).

شهر ربيع الثانى

فى أوايله (٣) أبتدوا بعمل مولد سيدنا الحسين ، وقهروا الناس وكرروا المناداة بفتح الحوانيت والسهر ، ووقود القناديل عشر ليال متوالية ، أخرها ليلة الأربعا ثانى عشره (٤)

وفيه ، طلب كبير الفرنسيس من النصارى القبطة ماية وخمسين ألف ريال فرانسة، فى مقابلة بواقى سنة ألف ومايتين واثنى عشر ، وشرعوا فى تحصيلها .

وفى يوم الجمعة سادسه (٥) ركب صارى عسكر الجديد من الأزبكية ،

١- أى فى يوم السبت غاية ربيع الأول .

٢- فى عجائب الآثار يقول الجبرتى "فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة " وجه مثل بونابرته فإنه كان بشوشاً ويباسط الجلساء ويضحك معهم " فانظر كيف قلب الجبرتى المعنى .

٣- الاثنين ١ ربيع الآخر ١٢١٤هـ الموافق ٢ سبتمبر ١٧٩٩م . ولكن يوميات الجبرتى التالية تشير إلى أن شهر ربيع الآخر استهل بيوم الأحد ١ سبتمبر ١٧٩٩م . وهذه ليست المرة الأولى التى يختلف فيها الجبرتى مع تقويم مختار باشا ولكننا سوف نضطر إلى الأخذ بتقويم الجبرتى لأنه يعتمد على الواقع لا الحساب الفلكى كما سبق أن أشرنا إلى ذلك فى مطلع شهرى ذو الحجة وذو القعدة سنة ١٢١٣هـ .

٤- فى عجائب الآثار "آخرها ليلة الخميس ثانى عشره "ولكن الجبرتى يذكر فيما يلى أن آخر المولد كان يوم الثلاثاء عاشره وهو الأصوب لأنهم نادوا بوقود القناديل عشر ليال وليس اثنتى عشرة.

٥- ويوم الجمعة ٦ ربيع الآخر ١٢١٤هـ الموافق ٦ سبتمبر ١٧٩٩م وذلك حسب ما سار عليه الجبرتى وليس مختار باشا ..

ومشى من وسط المدينة فى موكب حافل ، حتى صعد إلى القلعة ، وكان أمامه نحو الخمسماية قواس وبأيديهم النبابيت وهم يأمرون الناس بالقيام والوقوف على الأقدام لمروره ، وكان صحبته عدة كثيرة من خيالة الإفرنج ، وبأيديهم السيوف المسلولة والوالى والأغا وبرطملين بمواكبهم ، وكذلك القلقات والوجاقلية ، وكل من كان مولى من جهتهم ، ومنضماً إليهم ما عدا رؤسا الديوان من الفقها ، فلم يطلبوهم لحضور ذلك الموكب ، ولما صعد إلى القلعة ، ضربوا له عدة مدافع ، وتفرج على القلعة ، ثم نزل بذلك الموكب إلى داره .

وفى يوم السبت سابعه (١) ركب أغاة الانكشارية فى أبهة عظيمة وجبروت ، وأمامه عدة من عسكر الفرنسيس ، وأمامه المنادى يقول [ص١٧٧] "حكم ما رسم صارى عسكر خطاباً للأغا ، أن جميع الدعاوى والقضايا لا تعمل إلا ببيت الأغا ، وكل من تعدى من الرعايا ، أو وقع منه قلة أدب ، يسفك دمه " .

وفيه ، ركب صارى عسكر الفرنسيس فى موكب دون الأول ، وذهب إلى بيت الشيخ الشرقاوى ، ثم رجع إلى داره .

وفى يوم الأحد ثامنه ، عمل صارى عسكر الفرنسيس وليمة فى بيته ودعا الأعيان والتجار والمشايخ ، وتعشوا عنده ، وانصرفوا إلى دورهم (٢)

١- يوم السبت ٧ ربيع الآخر ١٢١٤هـ الموافق ٧ سبتمبر ١٧٩٩م .

٢- كليبر والمشايخ : فى ١٦ فروكتيدور عقد الجنرال كليبر أول اجتماع له مع مختلف وحدات ضباط الجيش ورجال الديوان والعلماء وأعيان البلاد ، كان الحاضرون كثيرين وبذلت الجهود بإخلاص لكى يكون الحفل الذى صاحب الاجتماع عظيماً وعلى مستوى المناسبة وتحدث الشيخ المهدى بالنيابة عن زملائه ، مطالباً بحماية الديانة الإسلامية ، ومعرباً عن أسفه لسفر الجنرال بونابرت وقال أن مما يطيب خاطره هو ما يعهده فى خليفته من العدالة والطيبة والقلب الكبير ، ورد عليهم الجنرال كليبر سأستجيب لطلباتكم والتماساتكم بالأعمال ، كوربيه دى ليجيبت ، العدد ٣٨ ، ص ١٤٦ وما بعدها .

وفى يوم الثلاثا عاشره[1] كان آخر المولد الحسينى ، وحضر كبير الفرنسيس مع أعيانهم إلى بيت الشيخ السادات بعد العصر ، فى موكب عظيم ، وأمامه الأغا والوالى والمحتسب ، وعدة كثيرة [2] من عسكرهم وبيدهم السيوف المسلولة ، فتعشوا هناك ، وركبوا بعد الغروب ، وشاهدوا وقود القناديل .

وفى سادس عشره [3] نودى بنشر الحوايج ، وكتبوا بذلك أوراقاً ولصقوها بالأسواق ، وشددوا فى ذلك بالتفتيش والنظر ، وأخذوا دارهم على ذلك ، وزاد عليهم فى هذا العام عسكرى فرنساوى يطوف مع المقيدين بذلك ، وهم جماعة من طرف مشايخ الحارات ، نساءً ورجالاً [4]

وفى عشرينه [5] نودى بعمل مولد السيد على البكرى ، المدفون بجامع الشرايبى بالأزبكية ، بالقرب من الرويعى ، وأمروا الناس بوقود قناديل بالأزقة فى تلك الجهات ، وأذنوا لهم بالذهاب والمجى ليلاً ونهاراً ، ولا حرج عليهم فى ذلك .

١- الثلاثاء ١٠ ربيع الآخر ١٢١٤ هـ توافق ١٠ سبتمبر ١٧٩٩ م حسب الجبرتى ، أما مختار باشا فيذكر أن الثلاثاء يوافق ٩ ربيع الآخر الموافق ١٠ سبتمبر ١٧٩٩م .

٢- فى النسخة (أ) "وعدة كبيرة ".

٣- يوم الاثنين ١٦ ربيع الآخر ١٢١٤هـ الموافق ١٦ سبتمبر ١٧٩٩م .

٤- يبدو الجبرتى هنا متضايقاً من أهتمام الفرنسيين من بنشر الفرش فى الشمس مع أن موقفه يختلف فى عجائب الآثار حيث يقول "وشددوا فى ذلك بالتفتيش والنظر بجماعة من طرف مشايخ الحارات ومع كل متهم عسكرى من طرف الفرنساوية وامرأه أيضاً للكشف على أماكن النساء ، وكان الناس يانفون من ذلك ويستثقلونه ويستعظمونه وتحدثهم أوهامهم بأمور يتخيلونها كقولهم إنما يريدون بذلك الاطلاع على أماكن الناس ومتاعهم مع أنه لم يكن سوى التخوف من العفونة والوباء " .

٥- يوم الجمعة ٢٠ ربيع الآخر ١٢١٤هـ الموافق ٢٠ سبتمبر ١٧٩٩م وننوه ثانية إلى أن ٢٠ ربيع الاخر ١٢١٢هـ يوافق يوم السبت ٢١ سبتمبر ١٧٩٩م وذلك فى تقويم محمد مختار باشا "التوفيقات الإلهامية".

والسيد على البكرى هذا كان رجلاً من البُله ، وكان يمشى بالأسواق عرياناً مكشوف الرأس والسوأتين غالباً ، وله أخ صاحب دهاء ومكر ، لا يلتئم به [ص١٧٨] ، واستمر على ذلك مدة سنين ، ثم بدا لأخيه أمر فيه ، لما رأى من ميل الناس لأخيه ، ومحبتهم له واعتقادهم فيه ، كما هى عادة أهل مصر فى أمثاله ، فحجر عليه ومنعه من الخروج من البيت ، وألبسه ثياباً وأظهر للناس أنه أذن له بذلك ، وأنه تولى القطبانية ونحو ذلك ، فاقبلت النسا والرجال على زيارته والتبرك به ، وسماع ألفاظه ، وأخذ أخوه المذكور يرغبهم فى ذلك ، ويحكى لهم عن كراماته، وأنه يطلع على المغيبات ، وينطق بما فى النفوس ، ويعلم خطرات القلوب ، فانهمكوا على التردداد إليه ، وقلد بعضهم بعضاً ، وأقبلوا عليه بالهدايا والنذور والإمدادات الواسعة ، من كل شئ ، وخصوصاً من نسا الأمرا ، فاجتمع عند أخيه أشياء كثيرة من هذه الأمور ، وراج حاله واتسعت أمواله ، ونفقت سلعته ، وسمن أخوه من كثرة الأكل والفراغ والراحة وعدم المشى ، حتى صار مثل البَو العظيم ، فلم يزل على ذلك إلى أن مات (١) فدفنه أخوه فى هذا المسجد ، وعمل عليه مقصورة ومقاماً ، وواظب عنده بالمقرئين وأرباب الأشاير ، والمنشدين والمداح ، بذكر كراماته ومكاشفاته ، ويتواجدون ويتصارخون (٢) ويمرغون وجوههم على شباكه وأعتابه .

شعر (٣)

وقالوا سكرنا بحب الإله ... وما أسكر القوم إلا القصع

١- يذكر الجبرتى فى عجائب الآثار أنه توفى فى ١٢٠٧ هـ الموافق ١٧٩٢م .

٢- فى النسخة (ب) "ويتواجدوا ويتصارخوا " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٣-اكتفى المؤرخ هنا بذكر بيت شعر واحد بينما أورد فى عجائب الآثار١٤بيتا نحيل القارئ إليها

فهـرعت لزيارة قـبـره النسـا ، والرجال بالنذور وأنوا ع المأكولات ، وشموع الوقود ، وصار ذلك المسجد مجمعاً وموعداً ، فلما حضر الفرنسيس إلى مصر ، تشاغل عنه الناس ، وأهمل شانه فى جملة [ص١٧٩] المهملات ، وترك مع جملة المتروكات، فلما فتح أمر الموالد ، ورخص الفرنسيس ذلك للناس ، لما رأوا فيه من الخروج عن الشرايع ، واتبا ع الشهوات ، واجتما ع النسا والتلاهى وفعل المحرمات ، أعيد هذا المولدمع جملة ما أعيد .

شهر جمادى الأولى

استهل بيوم السبت (١) فيه اهتم الفرنسيس بعمل عيدهم المعتاد ، وهو عند الاعـتـدال الخـريفى ، وانتـقـال الشـمس لبـرج الميـزان (٢) فنادوا بفـتـح الأسـواق والدكاكين ، ووقـود القناديل ، وعملوا عزايم وولايم وأطعمة ثلاثة أيام ، أخرها يوم الاثنين (٣) ولم يعـملوه على هيئة العام الماضى من الاجتما ع بالأزبكية عند الصارى المنتصب ، والكيفية المذكورة ، لأن ذلك الصارى سقط وامتلأت البركة بالماء .

١- فى عجائب الاثار : يذكر الجبرتى أن شهر جمادى الأولى استهل بيوم الجمعة ، والحقيقة أنه لا هذه ولا تلك ، فغرة جمادى الأولى ١٢١٤هـ توافق يوم الثلاثاء أول أكتوبر ١٧٩٩م ، والحقيقة أن الجبرتى يجانبه التوفيق كثيراً فى مسألة ضبط أيام الاسبوع ، وقد أدى ذلك إلى وقوع جميع محققى مظهر التقديس وعجائب الآثار السابقين فى أخطاء بالجملة ولذلك وضعنا بآخر الكتاب ملحقاً يبين احتمالات شهرى ربيع الثانى وجمادى الأولى حسب تواريخ الجبرتى والتوفيقات الإلهامية لكى تكون أكثر وضوحاً انظر ملحق رقم ٢ .

٢- يوافق انتقال الشمس لبرج الميزان يوم ٢٢ سبتمبر من كل عام .

٣- استمرت العزائم أيام السبت والأحد والاثنين ٢١ ،٢٢ ،٢٣ سبتمبر ١٧٩٩م وهى توافق ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ من ربيع الآخر ١٢١٤هـ وليست ٣،٢،١ جمادى الأولى كما يذكر الجبرتى لأنها توافق أيام ثلاثاء وأربعاء وخميس

فلما كان يوم الأحد ، نبهوا على الكبرا والأعيان ، بالبكور إلى بيت كبير الفرنسيس .

فاجتمع الجميع فى صبح يوم الاثنين ، فركب صارى عسكر معهم فى موكب كبير ، وذهبوا إلى قصر العينى ، وعرضت عليهم العساكر جميعها ، على اختلاف أنواعها ، من خيالة ورجالة، وهم بأسلحتهم وزينتهم ، ولعبوا لعبهم فى ميدان الحرب ، وأخلع كبيرهم على الشيخ الشرقاوى والقاضى وأغاة الانكشارية كل واحد فرو سمور ، ثم رجعوا إلى منازلهم ، ثم نودى فى الأسواق كلها بوقود أربع قناديل على كل دكان فى تلك الليلة ، ومن لم يفعل ذلك عوقب ، ثم عملوا حراقة بالأزبكية بمدافع وسواريخ ونفوط ، ولعبوا فى المراكب طول ليلتهم .

وفى سابعه ، بعد الصليب (١) [ص١٨٠] نقص ماء النيل ، وكان من أول زيادته قاصراً عن العادة ، وزيادته شحيحة ، فضج الناس وانكبوا على شرا الغلة ، وازدحموا فى الرقع والسواحل ، وطلب باعة القمح الزيادة فى السعر ، فجمع الفرنسيس كل من له مدخل (٢) فى تجارة الغلال ، وزجروهم وخوفوهم ، وقالوا لهم، هذه الغلة الموجودة الآن إنما هى زراعة العام الماضى ، وأما هذا النيل فلا تخرج زراعته إلا فى العام المستقبل ، فانزجروا وباعوا بالسعر الحاضر ، وقد كاد يقع الغلا (٣) العظيم ، لولا ألطاف الله حقت ، ونعمه العميمة الشاملة حصلت .

١- عيد الصليب :الحقيقة أن عيد الصليب لا يوافق شهر جمادى الأولى ، فعيد الصليب كان فى يوم ١٧ توت ١٥١٦ قبطية وهو الموافق ليوم ٢٦ سبتمبر ١٧٩٩م والموافق ليوم الخميس ٢٥ ربيع الآخر ١٢١٤هـ والمفروض أن يتوقف ازدياد مياة الفيضان عند هذا التاريخ وعلى أية حال فإن ٧ جمادى الأولى يوافق يوم الاثنين ٧ أكتوبر ١٧٩٩م فربما كان النقصان شديداً فى هذا اليوم الذى يشير إليه الجبرتى .

٢- فى النسخة (ب) "مداخلة ".

٣- فى النسخة (ب) "البلا" والصواب ما أثبتناه .

وفيه ، أرسلوا جملة عساكر من الفرنسيس إلى مراد بيك بناحية الفيوم ، فحصروه وأخذوا حملة عثمان بيك الطنبرجي (١) ووقعت بينهم وبين مراد بيك أمور لم يتحقق تفصيلها ، ثم ترددت بينه وبين كبير الفرنسيس بالصعيد الرسل والمراسلات ، ووقعت الهدنة والمهاداة ، واصطلح معهم على شروط لم تعرف ، وانكف كل فريق عن الآخر (٢)

مجمل حوادث شهر جمادى الأولى (٣)

وفي هذا الشهر كثرت الإشاعة باجتماع عساكر سلطانية جهة الشام ، فكثر اهتمام الفرنسيس بإخراج الجبخانات والمدافع وآلات الحرب والقومانية والعساكر ، وتحصين الصالحية والقرين وبلبيس .

١- في النسخة (أ) "التنبرجي".

٢- الصلح بين مراد وكليبر : عادت السلطة للفرنسيين في الوجه البحري ، أما في الوجه القبلي فقد توصل الفرنسيون إلى إخضاعه بالاتفاق مع مراد بك ، الذي كان يسيطر على الصعيد ، وكانت تتوق نفسه بعدما حل به من الهزائم إلى مصانعتهم أيضاً ، فقد وقف وقفه الخائف الوجل عندما جردت تركيا حملتها الأخيرة على مصر لإخراج الفرنسيين ، لأن مراد بك كان يشعر بأن تركيا إذا فتحت مصر بحد السيف وتمكنت من إخراج الفرنسيين منها طمحت إلى التخلص من نفوذ المماليك وعملت على أسترجاع سلطاتها الفعلية إذ لم تكن تنظر بعين الرضا إلى استئثار المماليك بسلطة الحكم في مصر ، وربما كان مراد بك ينتظر ما يحصل من الأمور ونتيجة القتال بين العثمانيين والفرنسيين ليقرر الانضمام إلى الغالب ، فلما رأى النصر حليف الفرنسيين في معركة عين شمس صمم على إبرام الصلح معهم ، وظل مراد أثناء ثورة القاهرة الثانية مقيماً في طرة بعيداً عن حركات القتال، وتمت مفاوضات الصلح وشروط الاتفاق بينه وبين كليبر بينما كانت مدافع الفرنسيين تمطر قنابلها على سكان العاصمة . راجع عبد الرحمن الرافعي . مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ١٦٢ وما بعدها – انظر كذلك ملحق رقم ٣ .

٣- العنوان من وضع المحققين .

شهر رجب

استهل بيوم الجمعة (١) فيه كثرت الأقوال ، وتواترت الأخبار بوصول حضرة الوزير الأعظم والصدر المشار إليه الأفخم ، يوسف باشا إلى الديار الشامية ، وصحبته حضرة نصوح باشا ، وعثمان أغا كتخدا حضرة الدولة العلية ، وحسن أغا نزلة أمين [ص١٨١] ومصطفى أفندى الدفتردار ، وباقى رجال الدولة ، واستمر الأمر على الأنتظار وترجى حصول الفرج أناء الليل وأطراف النهار . (٢)

فلما كان فى منتصفه ، وصلت الأخبار بوصولهم إلى غزة والعريش ، وحاصروا قلعة العريش ، وقاتلوا من بها من عسكر الفرنسيس (٣) حتى ملكوها فى تاسع عشره (٤) وأخذوا الباقى بعد القتل أسرى ، واحتووا على ما كان فيها مما أعده الفرنسيس ، من الذخيرة والجبخانة وآلات الحرب ، وصعد مصطفى باشا - الذى باشر أخذ القلعة بالحرب - مع جملة من العسكر وبعض من غز مصر ، وضربت النوبة ، وحصل الفرج العظيم بمبدأ هذا الفتح(٥) فاتفق لقضا

١- يوم الجمعة غرة رجب ١٢١٤هـ الموافق ٢٩ نوفمبر ١٧٩٩م وهنا يتفق تقويم الجبرتى مع "التوفيقات الإلهامية".

٢- العبارة التى بين القوسين يصيغها الجبرتى فى عجائب الآثار بأسلوب آخر ، حيث يقول" وباقى رجال الدولة وعسفوا فى البلاد الشامية ، وضربوا عليهم الضرائب العظيمة، وجبوا الزموال ، وفعلوا ما لا خير فيه من الظلم وقتل الأنفس بسبب استخلاص الأموال " والأمر لا يحتاج لتعليق كما ترى .

٣- فى النسخة (ب) "الفرنساوى" وفى عجائب الآثار "الفرنساوية " .

٤- يوم الثلاثاء ١٩ رجب ١٢١٤هـ الموافق ١٧ ديسمبر ١٧٩٩م .

٥- موقعة العريش : وصلت طلائع القوات العثمانية إلى العريش فى ٨ ديسمبر ١٧٩٩م ، وبدأوا دعوة الفرنسيين الموجودين بها إلى الاستسلام فى مقابل وعد بسفرهم إلى فرنسا . ولكن قائد حصن العريش رفض عقد صلح معهم مؤكداً أن ذلك من سلطان القائد العام لا من سلطاته ، ولكن انطلقت صيحات التمرد من داخل الجيش الفرنسى الذين لم يستطيعوا الصمود أكثر من يومين ثم يرفعون راية الاستسلام ويسلمون أنفسهم للعثمانيين الذين قتلوا العديديين منهم .هنرى لورنس : مرجع سابق ، ص ٤٤٨ .

المقدور ، إن وقعت نار على البارود المخزون بالقلعة ، وكان شيئاً كثيراً ، فانهدمت ومات معظم من فيها ، ومصطفى باشا أيضاً ، ومات من كان خارجاً عنها وبقربها من الحجارة المتطايرة بسبب البارود ، ولما تحقق الفرنسيس أخذ العريش وأن العساكر زاحفة إلى جهة الصالحية : تهيأ كبير الفرنسيس للسفر ، وخرج بعساكره وجنوده حتى وصل إلى الصالحية ، وقد كان قبل أخذ المسلمين (١) قلعة العريش أرسل الفرنساوية إلى سميت (٢) كبير الإنكليز ليتوسط معهم في أمر الصلح ، وورد فرمان من حضرة الصدر الأعظم قبل وصوله لجهة العريش ، خطاباً إلى جمهور الفرنساوية باستدعا رجلين من عقلايهم ورؤسايهم لينعقد الصلح بين الفريقين على ما يشترطوه ، فوجهوا من طرفهم بوسليك رئيس الكتاب ، ودزه صارى عسكر الصعيد ، فنزلوا في البحر على دمياط ، وطالت مدة غيابهم ، [ص١٨٢] وبعث كلهبر رسلاً من طرفه لاستفسار الأخبار (٣)

١- كلمة المسلمين كتبها الجبرتى فى عجائب الاثار "العثمانيين" .

٢- سيدنى سميث : قائد الأسطول الإنجليزى المحاصر لسواحل مصر ، لعب دوراً كبيراً فى مساعدة الجزار فى الصمود أمام الحصار الفرنسى . ولعب دوراً كبيراً بعد ذلك فى المفاوضات العثمانية الفرنسية أثناء مفاوضات العريش ولكنه رفض التوقيع التزاماً بسياسة بلاده التى رفضت الاتفاقية . وفى بعض الأحيان كان يوقع اسمه مصحوباً بلقب "سارى عسكر بلاد الإنكليز ونايب حضرة السلطان سليم" ولعب دوراً فى تنظيم الطوائف فى بلاد الشام .

٣- بداية التفاوض لاتفاقية العريش : فى خطابه الذى تركه بونابرت لكليبر قبل سفره أوصاه بمحاولة عقد اتفاق مع العثمانيين فى حالة عدم وصول إمدادات إليه من فرنسا . وأدرك كليبر مدى ما أصاب الجيش من انحطاط وأن الصدر الأعظم يجهز قواته فى الشام للانقضاض على مصر وكليبر غير قادر على المقاومة فبدأ التفكير فى إعادة التفاوض مرة أخرى من أجل الجلاء عن مصر .هنرى لورنس :مرجع سابق ص ٤٤٢ وما بعدها .

شهر شعبان ١٢١٣هـ

واستهل شهر شعبان [1] فورد الخبر بقدومهما في اثنين وعشرين[2] فيه إلى الصالحية ، فأرسلوا لهما الخيول وما يحتاجون إليه ، وحضروا إلى مصر ، وشاع أمر الصلح ، وحضر من طرف الصدر الأعظم رئيس الكتاب ودفتردار أفندى ، لتقرير الصلح ، وجنح كل من الفريقين إلى ذلك لما فيه من كف الحرب وحقن الدماء ، وأظهر الفرنسيس بمكرهم الانخداع والخضوع ، حتى تم عقد الصلح على اثنين وعشرين شرطاً ، رسمت في طومار كبير . وورد الخبر بذلك إلى مصر ، وفرح الناس فرحاً شديداً ، وأرسل كبير الفرنسيس مكاتبة [3] بصورة الواقعة إلى دوجا قايمقام ، فجمع أهل الديوان ، وقرا عليهم ذلك ولما ورد ذلك القرطاس المتضمن لعقد الصلح والشروط ، وعربوه وبصموه في طومار كبير ، رسموا منه نسخاً كثيرة فرقت على الأعيان ، ولصقت بالأسواق ، وصورته بما فيه من الفصول والشروط بالحرف الواحد ، ما عدا [4] ترجمة الأسطر التي باللغة الفرنساوية "وهذه صورة الشروط الواقعة بخلو مصر ما بين حضرة الجنرال دزه متفرقة ، وحضرة بسليغ مدبر الحدود العام ، نواب سرى العسكر العام كلهبر ، المفوضين بكامل السلطان ، وجناب سامى المقام مصطفى رشيد أفندى دفتردار ، ومصطفى

١- يوم السبت غرة شعبان ١٢١٤هـ الموافق ٢٨ ديسمبر ١٧٩٩م ويلاحظ أن مختار باشا يختلف مع الجبرتي في مطلع هذا الشهر ، حيث أن رجب لديه ثلاثين يوماً وغرة شعبان ١٢١٤هـ توافق يوم الأحد ٢٩ ديسمبر ١٧٩٩م .

٢- يوم السبت ٢٢ شعبان ١٢١٤هـ الموافق ١٨ يناير ١٨٠٠م .

٣- في النسخة (أ) "مكاتيب" .

٤- في النسخة (ب) "من غير" والصواب ما أثبتناه من باقي النسخ .

راشيته [1] أفندى رئيس الكتاب الوكلا المفوضين بكامل السلطان ، عن جناب حضرة الوزير سامى المقام : أن للجيش الفرنساوى بمصر . عندما قصد أن يوضح ما فى نفسه من وفور الشوق لحقن الدما ، ويرى نهاية الخصام المضر ، الذى قد حصل [ص١٨٣] ما بين المشيخة الفرنساوية ، والباب الأعلى ، فقد أرتضى أن يسلم بخلو الإقليم المصرى ، بحسب هذه الشروط الآتى ذكرها ، يأمل أن بهذا التسليم يمكن أن يتجه ذلك إلى الصلح العام فى بلاد الغرب قاطبة .

الشرط الأول

إن الجيش الفرنساوى يلزمه أن يتنحى بالأسلحة والعزال والأمتعة إلى الأسكندرية ورشيد وأبو قير لأجل أن تتوجه وتنتقل بالمراكب إلى فرانسا ، إن كان ذلك فى مراكبهم الخاص بهم ، أم فى تلك التى يقتضى للباب الأعلى أن يقدمها لهم ، بقدر الكفاية ، ولأجل تجهيز المراكب المذكورة بأقرب نوال ، فقد وقع الاتفاق أن من بعد مضى شهر واحد من تقرير هذه الشروط ، يتوجه إلى قلعة أسكندرية ، نايب من قبل الباب الأعلى ، وصحبته خمسون نفراً .

الشرط الثانى

فلابد عن المهلة وتوقيف الحرب ، بمدة ثلاثة أشهر بالإقليم المصرى ، وذلك من عهد إمضا شروط الاتفاق هذه ، وإذا صادف الأمر أن هذه المهلة من ذى قبل أن المراكب [2] الواجب تجهيزها من قبل الباب الأعلى تحضر جاهزة فالمهلة المذكورة ، تقتضى مطاولتها إلى أن ينجز الرحيل على التمام والكمال ، ولمن

١- صحة الاسم طبقاً للنص الفرنسى "مصطفى راسخ" .

٢- هكذا فى جميع النسخ ولكنها أكثر وضوحاً فى عجائب الآثار حيث كتبت كالتالى "أن هذه المهلة تمضى قبل أن المراكب".

الواضح أنه لابد عن أطراف الوسايط الممكنة من قبل الفريقين لكى لا يحصل ما يمكن وقوعة من التجسس (١) إن كان ذلك للجيش ، أم لأهل البلاد قد حصل الاتفاق بها لأجل راحتهم .

الشرط الثالث

فرحيل الجيش الفرنساوى يقتضى بتدبيره بيد الوكلا المقامين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى وسرى العسكر كلهبر ، وإذا حصل خصام ما بين الوكلا المذكورين [ص١٨٤] وقت الرحيل فى هذا الصدد ، فينتخب من قبل حضرة سيدنهى سميت رجل لينهى المخاصمات المذكورة بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها ببلاد الإنكليز .

الشرط الرابع

قطيا والصالحية لابد عن خلوها من الجيش الفرنساوى فى ثامن يوم ، وأعظم ما يكون فى عاشر يوم من إمضا شروط الاتفاق هذه ، ومدينة المنصورة يكون خلوها من بعد خمسة عشر يوم ، وأما دمياط وبلبيس من بعد عشرين يوم وأما السويس فيكون خلوة سبعة أيام قبل مدينة مصر ، وأما المحلات الكاينة فى الجهة الشرقية من بحر النيل ، فيكون خلوها فى اليوم العاشر ، والدلطا أى الأقاليم البحرية يكون خلوها خمسة عشر يوم من بعد خلو مصر . والجهة الغربية وما يتعلق بها تستمر بيد الفرنساوية إلى حد خلو مدينة مصر ، ولكن من حيث أنها لابد أن تستمر بيد الفرنساوية إلى أن يكون انحدار العسكر من جهات الصعيد ، فجهة الغربية وتعلقاتها كما ذكر لمكن أن لا يتيسر خلوها إلا من بعد

١- فى جميع النسخ كتبت "الحسر" ولكن صححناها من عجائب الآثار حتى يستقيم المعنى .

انقضا وقت المهلة المعين ، إذا لم يمكن خلوها قبل هذا الميعاد ، والمحلات التى تترك من الجيش ، فتستلم إلى الباب الأعلى كما هى فى حالها الآن .

الشرط الخامس

ثم إن مدينة مصر إن أمكن ذلك يكون خلوها بعد أربعين يوماً ، وأكثر ما يكون بمدة خمسة وأربعين يوماً من وقت إمضا الشروط المذكورة .

الشرط االسادس

إنه لقد وقع الاتفاق صريحاً على أن الباب الأعلى يصرف كل اعتناء فى أن الجيش [ص١٨٥] الفرنساوى الموجود فى الجهة الغربية من بحر النيل ، عندما يقصد التنحى بكامل ما له من السلاح والعزال لنحو معسكرهم ، لا تصير عليه مشقة ولا أحد يشوش عليه ، إن كان ذلك مما يتعلق بشخص كل واحد منهم ، أم بأمتعته أو بكرامته ، وذلك إما من أهالى البلاد ، وإما من جهة العسكر السلطانى العثمنلى .

• الشرط السابع

وحفظاً لإتمام الشرط المذكور أعلاه ، وملاحظة لمنع ما يمكن وقوعه من الخصام والمعاداة ، فلابد عن استعمال الوسايط ، فى أن عسكر الإسلام يكون دايماً متباعداً عن العسكر الفرنساوى .

الشرط الثامن

فمن بعد تقرير وإمضا هذه الشروط ، فكل من كان من الإسلام أم من باقى الطوايف ، من رعايا الباب الأعلى ، بدون تمييز الأشخاص ، أوليك الواقع عليها الضبط ، أم الذين واقع عليهم الترسيم ببلاد فرانسا ، أو تحت أمر الفرنساوية بمصر ، يعطى لهم الإطلاق والعتق ، وبمثل ذلك فكل الفرنساوية المسجونين فى

كامل البلدان والأساكل من مملكة العثمنلي ، وكذلك كامل الأشخاص من أيَّتْمَا طايفة كانت ، أوليك الذين كانوا في تعلق خدمة المراسلات والقناصل الفرنساوية ، لابد من انعتاقهم .

الشرط التاسع

فترجيع الأموال والأملاك المتعلقة بسكان البلاد والرعايا من الفريقين ، أم دفع مبالغ أثمانها لأصحابها فيكون الشروع به حالا من بعد خلو مصر ، والتدبير في ذلك يكون بيد الوكلا في اسلامبول المقامين بوجه خاص من الفريقين لهذا المقصد .

الشرط العاشر

فلا يحصل التشويش لأحد من سكان الإقليم المصرى [ص١٨٦] من أية ملة كانت ، وذلك لا في أشخاصهم ولا في أموالهم ، نظراً إلى ما يمكن أن يكون قد حصل من الاتحاد ما بينهم وبين الفرنساوية ، بزمن إقامتهم بأرض مصر .

الشرط الحادى عشر

ولابد أن يعطى للجيش الفرنساوى ، إن كان من قبل الباب الأعلى أو من قبل المملكتين المرتبطين معه – أعنى بها مملكة إنكليزية ومملكة الموسكوية (١) – فرمانات الإذن وأوراق المحافظة بالطريق ، ويمثل ذلك السفن اللازمة لرجوع الجيش المذكور بالأمن والأمان إلى بلاد فرانسا .

١– في عجائب الآثار "مملكة إنكليزه ومملكة الموسكوب" وفي النسخة "ب" "مملكة إنكليتره" وفي النسخة (أ) "موسكوية" وصححناها لتناسب النص .

الشرط الثانى عشر

وعند نزول الجيش الفرنساوى (١) المذكور الكاين بمصر الآن ، فالباب الأعلى ، وباقى الممالك المتحدة معه ، يعاهدون بأجمعهم أنهم من وقت ينزلون بالمراكب إلى حين وصولهم إلى أراضى فرانسا ، لا يحصل عليهم شئ قط مما يكدرهم ، وبنظير ذلك فحضرة الجنرال كلهبر سرى العسكر العام ، يعاهد من قبله وصحبته الجيش الفرنساوى الكاين بمصر بأنه لا يصدر منهم مما يؤول إلى المعاداة على الإطلاق ما دامت المدة المزبورة ، وذلك لا ضد العمارة ، ولا ضد بلدة من بلدان الباب الأعلى ، وباقى الممالك المرتبطة معه ، وكذلك أن السفن التى يسافر بها الجيش المشار إليه ، ليس لها أن ترى فى حد من الحدود إلا بتلك التى تختص بأراضى فرانسا ما لم يكن ذلك فى حادث ماضرورى .

الشرط الثالث عشر

ونتيجة ما قد وقع الاتفاق عليه من الإمهال المشترط أعلاه ، بما يلاحظ خلو الإقليم المصرى ، فالجهات الواقع بينهم هذا الاشتراط ، قد اتفقوا [ص١٨٧] على أنه إذا حضر فى حد هذه المدة المذكورة مركب من بلاد فرانسا بدون معرفة غلايين الممالك المتحدة ، ودخل بمينا اسكندرية ، فلازم عن سفره حالاً ، وذلك من بعد أن يكون قد تحوج بالماء والزاد اللازم ، ويرجع إلى فرانسا ، وذلك بسندات أوراق الإذن من قبل الممالك المتحدة ، وإذا صادف الأمر أن مركب من هذه المراكب تحتاج إلى الترقيع ، فهذه لا غير مباح لها بالإقامة إلى أن ينتهى إصلاحها المذكور وفى الحال من ثم تتوجه إلى بلاد فرانسا ، نظير الذى قد تقدم القول عليها ، عند أول ريح يوافقها .

١- كلمة "الفرنساوى" غير مذكورة فى النسخ (ب) .

الشرط الرابع عشر

وقد يستطيع حضرة الجنرال كلوبر سرى العسكر العام ، أن يرسل خبر إلى أرباب الأحكام الفرنساوية فى الحال ، ولمن يصحب هذا الخبر لابد أن يعطى له أوراق الإذن بالإطلاق كما يقتضى ، ليسهل بهذه الواسطة وصول الخبر إلى أصحاب الحكم بفرانسا .

الشرط الخامس عشر

وإذ قد اتضح أن الجيش الفرنساوى يحتاج إلى المعاش اليومى ، ما دامت الثلاثة الأشهر المعينة لخلو الإقليم المصرى ، وكذلك لمعاش الثلاثة الأخرى التى يكون مبتدأوها من يوم (١) نزولهم بالمراكب ، فقد وقع الاتفاق على أن يقدم لهم مقدار ما يلزمهم من القمح واللحم والأرز والشعير والتبن ، وذلك بموجب القايمة التى تقدمت الآن من وكلا الجمهور الفرنساوى إن كان ذلك مما يخص إقامتهم ، أو ما يلاحظ سفرهم ، والذى يكون قد أخذه الجيش المذكور مقدار ما كان من شونه ، وذلك من إمضا هذه الشروط ، فينخصم مما قد ألزم ذاته بتقدمته الباب الأعلى .

الشرط السادس عشر

[ص١٨٨] ثم إن الجيش الفرنساوى من ابتدا وقوع إمضا هذه الشروط المذكورة ، ليس له أن يفرد على البلاد فردة ما من الفرايد قطعاً بالإقليم المصرى ، لا بل وبالعكس ، فإنه يخلى للباب الأعلى كامل فرد المال وغيره ، مما يمكن توجيه قبضه ، وذلك إلى حين سفرهم ، ويمثل ذلك الجمال والهجن والجبخانة والمدافع ،

١- كلمة " يوم " غير موجودة فى النسخة (ب) .

وغير ذلك مما يتعلق بهم ولا يريدون أن يحملوه معهم ، ونظير ذلك شون الغلال الواردة لهم من تحت المال ، وأخيراً مخازن الخراج هذه كلها لابد عن الفحص عنها وتسعيرها من أناس وكلا موجهين من قبل الباب الأعلى لهذه الغاية ، ومن أمير البحر الإنكليزى ، وبرفقة الوكلا المتصرفين بأمر الجنرال كلهبر سرى العسكر، وهذه الأمتعة لابد عن قبولها من وكلا الباب الأعلى المتقدم ذكرهم بموجب ما وقع عليه السعر إلى حد قدر مبلغ ثلاثة آلاف كيس ، التى تقتضى للجيش الفرنساوى المذكور ، لسهولة انتقاله عاجلاً ونزوله بالمراكب ، وإذا كانت الأسعار فى هذه الأمتعة المذكورة لا توازى المبلغ المرقوم أعلاه ، فالخس والنقص فى ذلك ، لابد عن دفعه بالتمام من قبل الباب الأعلى ، على جهة السلفة ، تلك التى يلتزم بوفايها أرباب الأحكام الفرنساوية ، بأوراق التمسكات المدفوعة من الوكلا المعينين من الجنرال كلهبر سرى عسكر العام ، لقبض واستلام المبلغ المذكور .

الشرط السابع عشر

ثم إنه إذا كانت تقتضى للجيش الفرنساوى بعض مصاريف لخلوهم مصر ، فلابد أن يقبض ، وذلك من بعد تقرير صك الشروط المذكورة القدر المحدد [ص١٨٩] أعلاه ، بالوجه الآتى ذكره ، أعنى فمن بعد مضى خمسة عشر يوم خمسماية كيس ، وفى غلاق الثلاثين يوم خمسماية كيس أخرى ، وعند كمال الخمسين يوم ثلثماية كيس شرحه ، وفى الستين يوم ثلثماية كيس أيضاً ، وفى السبعين يوم ثلثماية يوم كيس أخرى وعند تمام الثمانين يوم ثلثماية كيس أخرى ، وعند غلاق التسعين يوم خمسماية كيس أخرى ، وكل هذه الأكياس المذكورة هى عن كل كيس خمساية قرش عثمنلى ، ويكون قبضها على سبيل السلفة من يد الوكلا المعينين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى ، لكى يسهل إجرا العمل بما وقع

الاعتماد عليه ، فالباب الأعلى من بعد وضع الإمضا على النسختين من الفريقين ، يوجه حالا الوكلا إلى مدينة مصر ، وفى بقية البلاد المستمر بها الجيش الفرنساوى .

الشرط الثامن عشر

ثم إن فرد المال الذى يكون قد قبضته الفرنساوية [من بعد تاريخ تحرير الشروط المذكورة ، وقبل أن يكون اشتهر هذا الاتفاق فى الجهات المختلفة بالإقليم المصرى ، فقد تتخصم من قدر مبلغ الثلاثة آلاف كيس المتقدم القول عنها .

الشرط التاسع عشر

[ثم إنه لكى يسهل خلو المحلات سريعاً، فالنزول فى المراكب الفرنساوية] (١) المختصة بالحمولة ، والموجودة فى المين بالإقليم المصرى مباح به ما دامت الثلاثة أشهر المذكورة المعينة للمهلة ، وذلك من دمياط ورشيد حتى إلى الأسكندرية ، ومن أسكندرية حتى إلى رشيد ودمياط .

الشرط العشرون

فمن حيث أنه للطمان الكلى فى جهات البلاد الغربية ، يقتضى الاحتراس الكلى لمنع الوبا الطاعونى عن أنه يتصل هناك ، [ص١٩٠] فلا يباح ولا لشخص من المرضى أو من أوليك الذين مشكوك بهم برايحة من هذا الداء الطاعونى ، أن ينزل بالمراكب ، بل أن المرضى بعلة الطاعون أو بعلة أخرى أيتما ما كانت تلك التى بسببها لا يقتضى أن يسمح بسفرهم بمدة خلو الإقليم المصرى الواقع عليها الاتفاق ، يستمرون بمارستان المرضى حيث هم الآن تحت أمان جناب الوزير

١- الفقرة التى بين القوسين غير موجودة فى النسخة (ب) وبذلك ففى هذه النسخة تداخل بين الشرطين الثامن عشر والتاسع عشر ، ودُمجا فى شرط واحد .

الأعظم عالى الشان ، ويعالجونهم الأطبا من الفرنساوية ، أوليك الذين يجاورونهم بالقرب منهم ، إلى أن يتم شفاهم ، [يسمح لهم بالرحيل ، الشئ الذى لابد عن اقتضا الاستعجال به بأسرع ما يمكن ويحصل لهم ، ويبدوا] [1] نحوهم ما ذكر فى الشرطين الحادى عشر والثانى عشر من هذا الاتفاق ، نظير ما يجرى على باقى الجيش ، ثم إن أمير الجيش الفرنساوى يبذل جهده فى إبراز الأوامر الأشد صرامة لرؤسا العسكر النازلة بالمراكب بأن لا يسمحوا لهم بالنزول بميناً خلاف المين [التى تتعين لهم من روسا الأطبا ، تلك المين] [2] التى يتيسر لهم بها أن يقضوا أيام الكارنتينة بأوفر السهولة ، بحيث أنها من مجرى العادة ولابد عنها .

الشرط الحادى والعشرون

فكلما يمكن حدوثه من المشاكل التى تكون مجهولة ، ولم يمكن الاطلاع عليها فى هذه الشروط ، فلابد عن نجازها بوجه الاستحباب ، ما بين الوكلا المعينين لهذا القصد ، من قبل جناب الوزير الأعظم عالى الشان ، وحضرة الجنرال كلهبر سرى العسكر العام ، بوجه يسهل ويحصل الإسراع بالخلو .

الشرط الثانى والعشرون

وهذه الشروط لا تعد صحيحة ، إلا من بعد إقرار الفريقين وتبديل النسخ ، وذلك بمدة ثمانية أيام ، ومن بعد [ص١٩١] حصول هذا الإقرار ، لابد عن حفظ هذه الشروط الحفظ اليقين من الفريقين كليهما . صح وثبت وتقرر بختوماتنا الخاصة بنا بالمعسكر ، حيث وقعت المدوالة بحد العريش ، فى شهر بلويوز سنة ثمانية من إقامة المشيخة الفرنساوية ، وفى ٢٤ شهر كانون الثانى

١- الفقرة التى بين القوسين ناقصة فى طبعة وزارة التربية والتعليم . ولكنها موجودة فى نسخ المخطوطات .

٢- الفقرة التى بين القوسين ناقصة من النسخة (ب)

غـربى من سنة ١٨٠٠ الواقع فى ٢٨ شهر شعبان هلالية سنة ١٢١٤ هجرية (١) المـمضيين الجنرال مـتـفـرقـة دزه ، البلدى بوسـيـهلغ ، المفـوضين بكامل سلطان الجنرال كلهبر ، وجناب سامى مقام مصطفى رشيد أفندى دفتردار ، ومصطفى راسيشه أفندى رئيس الكتاب ، المفوضين بكامل سلطان جناب الوزير الأعظم عالى الشان " منقوله عن النسخة الأصلية الموافقة لتلك الموجهة بالفرنساوى إلى الوكلا العثمنلى بدلاً من التى قد وجهوها باللغة التركية ممضى دزه وبوسيهلغ . تقرير الجنرال سرى العسكر العام محرر فى آخر النسخة التركية التى بقيت محفوظة بيد الوزير الأعظم "إننى أنا الواضع اسمى أدناه الجنرال سرى العسكر العام ، أمير الجيش الفرنساوى بالإقليم المصرى ، أثبت وأقرر شروط الاتفاق المذكور . أعلاه للحصول على إجرايه ، بالعمل بالنوع والصورة ، إذ كان من اللازم أن أتيقن بأن الاثنين وعشرين شرط المشروحة إلى الآن ، هى موافقة على التدقيق للترجمة باللغة الفرنساوية الممضى عليها من الوكلا أصحاب ولاية الوزير الأعظم والمقررة من جناب عالى الشان ، الترجمة التى لابد عن الاعتماد بإجرايها كل مرة ، إن كان لسبب أم لآخر ، يمكن حصول بعض الاختلافات ، ومن ثم فتتلد(٢) بعض المشاكل، صح وجرى بمحل المعسكر العام [ص١٩٢] بالصالحية فى ٨ شهر بلويوز سنة ٨ من المشيخة ، ممضى كلهبر عن نسخة صحيحة . الجنرال متفرقة رأس صاحب

١- يوم الجمعة ٢٨ شعبان ١٢١٤هـ الموافق ٢٤ يناير (كانون الثانى) ١٨٠٠م . ويلاحظ أن يوم الجمعة ٢٤ يناير يوافق ٢٧ شعبان فى " التوفيقات الإلهامية " ، وهذا هو التاريخ الذى اعتمده الرافعى مؤكداً أن الجبرتى أخطأ فى نقل التاريخ . ولكن الجبرتى لم يخطئ وإنما هو الاختلاف فى مطلع الشهر بين روية الهلال والحساب الفلكى .

٢- فى عجائب الآثار " فتتلد "

ختام فى الجيش الفرنساوى ، ممضى داماس " انتهى بحروفه ، وما فيه من خطأ أو تحريف فهو طبق الأصل المطبوع بالمطبعة الفرنساوية باللغة العربية . [1]

شهر رمضان المعظم ١٢١٤هـ

استهل بيوم الأحد [2] فى ثانيه حضر كبير الفرنسيس إلى جهة العادلية وصحبته أغا من رجال الدولة العلية [3] يسمى محمد أغا فأرسل كبير الفرنسيس إلى حسن أغا المحتسب يأمره بأن يتلقاه وينزله فى بيته ويكرمه إكراماً زايداً .

فلما كان بعد العشا[4] دخل ذلك الأغا إلى مصر فى موكب ، فازدحم الناس على مشاهدته ، وحصل لهم ضجة عظيمة ، وارتفعت أصواتهم ، وعلا ضجيجهم

١- تتضمن الاتفاقية المحاور الآتية : المحور الجوهرى - ترتيبات الانسحاب العسكرى ويليه فى الأهمية . تغطيه نفقات هذا الانسحاب سواء خلال تجميع القوات الفرنسية فى أماكن معينة ، أو خلال نقل هذه القوات من البر إلى السفن أو خلال مسيرة السفن من الشواطئ المصرية إلى الموانئ الفرنسية .

- المحور الثالث : يتناول الشعب المصرى بعد رحيل الفرنسيين خاصة من حيث حماية من تعاون مع الفرنسيين خلال وجود الحملة وما أكثرهم سواء كانوا من المسلمين أو من الأقباط وغيرهم . ولكن نلاحظ العبارة التالية ، فقد نصت المادة العاشرة على ألايضار أحد من سكان مصر من أى دين كان .... بسبب اتصاله بالفرنسيين . وفى الحقيقة فإن الذين اتصلوا بالفرنسيين وتعاونوا معهم كانوا من كافة الطوائف . من ثم فإن هذا التحفظ فى نص الاتفاقية كان فعلاً مطلوباً حتى لا يضار مصرى بجلاء الفرنسيين .كما ورد فى الاتفاقية حصول الفرنسيين المنقولين من مصر إلى فرنسا على "جوازات سفر "تطبيقاً لما كان مطبقاً فى أوروبا من هذا الصدد لأى مغادر إلى بلد أخرى ، وفى نفس الوقت منعاً لدخول غير الفرنسيين ضمن المنقولين من مصر إلى فرنسا .

٢-يوم الأحد غرة رمضان ١٢١٤ هـ الموافق ٢٧ يناير ١٨٠٠م هذا ويذكر محمد مختار أنه استهل بيوم الاثنين وليس الأحد .

٣- يغير الجبرتى "العلية " إلى "العثمانية " فى عجائب الآثار .

٤- عشاء يوم الاثنين ثانى رمضان ١٢١٤ هـ الموافق ٢٨ يناير ١٨٠٠م .

عند قدومه ، وزاد فرحهم وسرورهم وهنأ بعضهم بعضاً برؤية رجال الدولة العلية ، ولم يزل سايراً حتى وصل إلى بيت المحتسب بسويقة اللالا ، فنزل هناك وحضر الناس للسلام عليه فى المشاعل والفوانيس تلك الليلة .

ولما أصبح النهار ،[1] عمل ديواناً وجمع العلما والوجاقلية وأعيان المسلمين، وكبار النصارى من الأقباط والشوام ، وأبرز لهم فرماناً من حضرة الصدر الأعظم قرئ عليهم بالمجلس ، دل مضمونه على تصرف محمد أغا المذكور على أمر الدواوين والكمارك ، وجمع الذخيرة اللازمة للنفقة بالشرا ، بمعونة حسن أغا المحتسب ، وحفظ ذلك بالمخازن . وأبرز فرماناً أخر بإقامة حضرة الصدر الأعظم السيد مصطفى باشا[2] قايمقام ووكيلا عن حضرة الصدر الأعظم إلى حين حضوره ، وأن السيد أحمد [ص١٩٣] المحروقى [3] كبير التجار ملزوم ومقيد بتحصيل الثلاثة آلاف كيس السلفة المعينة لترحيل الفرنساوية ، وحضر السيد

١- نهار يوم الثلاثاء ٣ رمضان ١٢١٤هـ الموافق ٢٩ يناير ١٨٠٠م .

٢- مصطفى باشا هو الذى كان أسيراً لدى الفرنسيين فى معركة أبى قير البرية . وكان محبوساً بالجيزة .

٣- بالرغم من ورود اسم أحمد المحروقى قبل ذلك عدة مرات فقد فضلنا تأخير التعريف به لهذا المكان لبروز موقفه فيه .نشأ أحمد المحروقى فى بيئة تجارية إذ لم يكن من رجال الأزهر ، وقد عمل المحروقى تاجراً بالجملة فى القاهرة ، وخلف أبوه فى مكانته "شاهبندر التجار" وزادت شهرته فاتصل بأمراء مصر من المماليك مثل إسماعيل بك ومراد بك وإبراهيم بك ومما يدل على مكانته بين الناس أنه لما اعتزم أداء فريضة الحج ١٢١٢هـ كان يوم خروجه مشهوداً فقد اجتمع الكثير من العامة والنساء وجلسوا بالطريق لوداعه والفرجة عليه – وأثناء الحملة اختير عن التجار ضمن أعضاء الديوان العمومى ثم الخصوصى ، ولقد اصطحبه بونابرت فى رحلته للسويس ولما قامت ثورة القاهرة الثانية كان من زعمائها وهاجر مع "عمر مكرم" بعد فشلها إلى سوريا ، وصادر الفرنسيون أملاكه فى غيبته ، ولم يعد إلى مصر إلا بعد توقيع اتفاقية العريش . عبد الرحمن الرافعى – مرجع سابق جـ٢ ، ص ٢٨٢ وما بعدها .

مصطفى باشا من الجيزة ، وسكن بيت عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين ، واجتهد السيد أحمد المحروقى فى توزيع القدر المذكور على التجار[1] وجمعه فى أيام قليلة ، وقد كان كل من توجه عليه مقدار من ذلك أخرجه عن طيب قلب وانشراح خاطر لعلمهم أن ذلك معونة لترحيل الفرنسيس وخلو أرض مصر منهم ، وإذا توجه على واحد منهم الطلب أظهر الفرح والسرور ، وبادر فى تحصيل المطلوب منه وهو يقول : "هذه سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة " ، كل ذلك بمشاهدة الفرنسيس ومسمعهم ، وهم يحقدون ذلك على أهل مصر ويضمرونه فى نفوسهم . وأما الرعايا من أهل مصر فإنهم نظروا للفرنسيس بعين الذلة والاحتقار وأنزلوهم عن درجة الاعتبار وكشفوا نقاب الحيا معهم بالكلية ، وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية ، ولم يملكوا لأنفسهم صبراً حتى ينقضى أمر عدوهم ويرتحل عنهم ، على أن ذلك لم يثمر إلا الحقد والعداوة التى تأسست فى قلوب الفرنسيس وأوجبت ما حصل بعد ذلك من وقوع العذاب البئيس . وقد قيل :"قاتل بجد وإلا فدع " وقال الشعبى من جملة كلام :"وصادفنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقيا ولا فجرة أقويا" ومن أمثال العامة "اصبر على الجار السوء فإما أن يرحل أو يموت " وفى بعض الآثار "إنا لنبش فى وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم " (٢)

١- فى عجائب الآثار يبدو موقف الجبرتى مغايراً تماماً فيقول " وفرضوه على التجار وأهل الأسواق والحرف ، وشرعوا فى تحكير الأقوات فغلت أسعارها، وضاقت مون الناس ، ودهى الناس من أول أحكامهم بهاتين الداهتين ، وكان أول قادم منهم أمير المكوسات ومحكر الأقوات ، وأول مطلوبهم مصادرة الناس وأخذ المال منهم ".

٢- عند مقارنة هذه اليومية بما كتبه الجبرتى فى عجائب الآثار يتضح أن الجبرتى غير بعض رأيه فى "العجائب" وأصبح أكثر هجوماً وسخرية على الجانب العثمانى بل وعلى المصريين المؤيدين لهم الذين فرحوا بقرب نهاية الحملة ورحيلها ووضعهم من أهل مصر استولى عليهم سلطان الغفلة " لمزيد من المقارنات راجع عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص ٨٨ وما بعدها .

وأخذ الفرنسيس في أهبة الرحيل ، وشرعوا في بيع أمتعتهم وما فضل من سلاحهم ودوابهم وسلموا غالب الثغور والقلاع ؛ ما عدا قلعة مصر والأبراج التي بنوها المحيطة [ص١٩٤] بها .

وورد[١] الخبر بوصول حضرة الصدر الأعظم [٢] إلى بلبيس وصحبته الأمرا المصرية ، وأرسلوا إلى مراد بيك وأكدوا على حضوره ، فاستأذن الفرنسيس سراً ، فأذن له في المقابلة ، وسفيره المتولي نفاق الطرفين عثمان بيك البرديسي ، فحضر المذكور وقابل حضرة المشار إليه بصحبة إبراهيم بيك وأخلع عليهما ورجع مراد بيك فأقام بجهة العادلية ، وحضر حسن أغا نزلة أمين [٣] ودخل مصر ، وحضر أيضاً غالب الفارين عند حلول مصر الفرنسيس من الأعيان والوجاقلية والأفندية والكتبة ، وأخلى الفرنساوية قلاع مصر ونزلوا منها ، وأهمل شأنها ، اتكالاً على تمام أمر الصلح وعدم خيانة الفرنسيس[٤] وأرسل إبراهيم بيك إلى

١– قبل هذه اليومية مباشرة دون الجبرتي في عجائب الآثار يومية أخرى ما كان ليدونها في مظهر التقديس ونصها " وصار في كل يوم يدخل منهم جماعة بعد جماعة وأخذوا يشاركون الناس في صناعاتهم وحرفهم مثل القهوجية والحمامية والخياطين والمزينين وغيرهم ، فاجتمع العامة وأصحاب الحرف إلى مصطفى باشا قائمقام وشكوا إليه فلم يلتفت لشكواهم ، لأن ذلك من سنن عساكرهم وطرائقهم القبيحة " عجائب الآثار جـ٣ ، ص ٨٩.

٢– يلاحظ أن الجبرتي في عجائب الآثار يحذف الصدر الأعظم ويحولها إلى " الوزير " .

٣– في النسخة (ب) "نزل أمين "وما أثبتناه من بقية النسخ هو الصواب .

٤– يبرر الجبرتي عدم اهتمام العثمانيين باحتلال القلاع باتكالهم على تمام الصلح وعدم خيانةالفرنسيس ، ولكنه في عجائب الآثار له رأي آخر فيقول " ونزلوا منها ، فلم يطلع إليها أحد من العثمانيين ، ولم يلتفتوا لتحصينها ولا ربطها بالعساكر والجبخانة ، وأعرضوا عن المحاذرة وركبهم الغرور ، لأجل نفاذ المقدور .

السيد أحمد المحروقي بطلب كساوى وثياب وسراويل (١) للمماليك ولخاصة نفسه، فأرسل إليه مطلوبه وأخرجت لهم الخيام والتراتيب والنظام ، وهيآت نسا الأمرا والأجناد ترتيباتهم وعاداتهم ونظامهم ، ولازمت الفراشون الغدو والرواح إلى عرض أسيادتهم وهم راكبون البغال والرهوانات ، وفي حجورهم بقج القماش والثياب المزركشة بالذهب والفضة وكذلك الخدم يحملون طبالي الأطبخة والأطعمة المغطاة بالثياب الملونة ، وهم يغنون برفع أصواتهم ويتجاوبون بكلام وسخريات ولعن للنصارى البلدية والفرنسيس ، بمرأى منهم ومسمع ، إلى غير ذلك مما يحرك الحفيظة ويوغر صدر العدو . فلما استقر ركاب حضرة المشار إليه بمدينة بلبيس ، وقد كان أذن [ص١٩٥] للعساكر والمجاهدين والمتطوعين عند تمام عقد الصلح بالرجوع إلى بلادهم ، وهو إذ ذاك بالعريش ، وترك الأثقال والمدافع والجبخانة ، ولم يصحب معه إلا اللوازم التي لاغنا عنها ، وحضر إلى بلبيس في الثاني والعشرين من شهر رمضان (٢) واستأذن العلما والتجار والأعيان المصرية السيد مصطفى باشا في التوجه لأجل السلام فاستأذن ، ثم أذن لهم ، فذهبوا أيضاً إلى كلهبر كبير الفرنسيس واستأذنوه ، فأذن لهم أيضاً ، فذهبوا عند ذلك للسلام ، فوصلوا لنصوح باشا والي مصر وسلموا عليه ، وباتوا بوطاقة ثم استأذن لهم حضرة المشار إليه فأذن لهم ، فلما وصلوا إليه واستقر بهم الجلوس استفسر عن أسمائهم ، وكذلك التجار وأكابر النصارى ثم أخلع عليهم خلعاً سنية ، ورجعوا إلى

١-في جميع النسخ "شراويل" ولكن صححناها حتى يستقيم المعنى والسروال لباس يغطي السرة والركبتين وما بينهما ولكن سراويل المماليك كانت أكثر طولاً واتساعاً وتُضم من أسفل بتكة حتى لا تعوق الحركة .

٢- الأحد ٢٢ رمضان ١٢١٤هـ الموافق ١٦ فبراير ١٨٠٠م .

المدينة ، بعد أن سلموا على أكابر الدولة بالعرضى ، وعلى إبراهيم بيك وباقى الأمرا المصرية ودخلوا المدينة وعليهم تلك الخلع وصحبتهم قاضى عسكر ووصل نصوح باشا والأمرا إلى جهة الخانكة ثم إلى المطرية .

وفيه حضر درويش باشا والى الصعيد إلى خارج القاهرة جهة الشيخ قمر ، فمكث أياماً ثم توجه إلى قبلى ، وصحبته نحو المائة نفر، وكذلك توجهت طايفة من العساكر الإسلامية (١) للسويس ودمياط والمنصورة ، وأنبث العسكر فى البلاد ودخلت مصر شيا فشيا .

شهر شوال ١٢١٤هـ

واستهل شهر شوال (٢) فى سابعه(٣) وقعت حادثة وهو أن جماعة من العساكر العثمانية تشاجروا مع جماعة من عسكر الفرنساوية ، وقتل بينهم [ص١٩٦] شخص فرنساوى ووقع فى الناس زعجة وكرشة وأغلقوا الحوانيت وتترس العسكر العثمنلى بالمتاريس ونصبها بخط الجمالية وما والاها ، واجتمعوا هناك فوقعت المناوشة فى الحرب ، وقتل من الفرنسيس أشخاص (٤) وباتوا ليلتهم مزمعين على الحرب ثانى يوم ، فتوسطت كبرا العسكر فى الصلح وأزالوا المتاريس ، وانكف كل فريق عن صاحبه ، ثم بحث السيد مصطفى باشا عمن أثار الفتنة ، وهم ستة أنفار فقتلهم وطيب خاطر الفرنسيس ، وأمر بخروج العساكر العثمانية من مصر إلى حيث العرضى وإذا دخلوا المدينة فلا يدخلونها بسلاح مطلقاً ،

١- فى عجائب الآثار يحذف الجبرتى "العساكر الإسلامية " ويسميهم العسكر العثمنلى .

٢- استهل شهر شوال بيوم الأربعاء ٢٦ فبراير ١٨٠٠م .

٣- يوم الأربعاء ٧ شوال ١٢١٤هـ الموافق ٤ مارس ١٨٠٠م .

٤- فى عجائب الآثار يكتب الجبرتى "قتل أشخاص قليلة من الفريقين "

ووكلوا جماعة من الفرنسيس بذلك خارج البلد (١)

وفي منتصفه ، توجه جماعة من كبار الفرنسيس إلى الأسكندرية بمتاعهم وأثقالهم وفيهم دوجا قايمقام ودزه صارى عسكر الصعيد ، ويوسليك رئيس الكتاب ومدبر الحدود ، ونزل جماعة منهم إلى البحر يريدون السفر إلى بلادهم ، فيقال أنه تعرض لهم الإنكليز ومنعوهم (٢) فأرسلوا إلى كبيرهم بمصر ، وعرفوه الحال ،

١- أهمل الجبرتي هنا ذكر جزء كبير من الحقيقة فقد ذكر في عجائب الآثار ذلك الموقف بقوله "ثم بحث مصطفى باشا عمن آثار الفتنة وهم ستة أنفار فقتلهم وأرسلهم إلى صارى عسكر الفرنساوية ، فلم يطب خاطره بذلك وقال لابد من خروج عساكرهم إلى عرضيهم حتى تنقضى الأيام المشروطة ، وإذا دخل منهم أحد إلى المدينة لا يدخلون إلا بطريقة وبدون سلاح ، فعند ذلك أمر مصطفى باشا بخروج الداخلين من العساكر ، ولا يبقى منهم أحد ووقف جماعة من الفرنساوية خارج باب النصر ، فإذا أراد أحد من العسكر أو من أعيان العثمانية الدخول إلى المدينة ، فعند وصوله إليهم ينزل عندهم ، وينزع ما عليه من السلاح ويدخل وصحبته شخص أو شخصان موكلان به يمشيان أمامه حتى شغله ويرجع ، فإذا وصل إلى الفرنساوية الملازمين خارج البلد أعطوه سلاحه فيلبسه ، ويمضى إلى أصحابه ، فكان هذا شأنهم" .

٢- كانت إنجلترا تخشى أنه في حالة عودة الحملة الفرنسية إلى أوروبا فأنها سوف تنضم إلى قوات نابليون في أوروبا مما يعنى إضافة قوات جديدة متمرسة له ، لذا كان التصميم الإنجليزى على إفشال مشروع الاتفاقية ، ففى ١٠مارس ١٨٠٠م تلقى كليبر رسالة من سيدنى سميث [مرسله من قبرص في ٢٠ ، ٢١ فبراير] وفى هذه الرسالة يخبره بعدم قبول صاحب الجلالة أى اتفاق مع الجيش الفرنسى إلا في حالة إلقائه السلاح وتسليم نفسه لذا فهو لن يسمح بمرور الجنود الفرنسيين إلا كأسرى وهذا ما رفضه كليبر ، أما الصدر الأعظم فهو قد توجه بالخطاب إلى سيدنى سميث ووضح له عدم فهمه للموقف البريطانى الذى أدى إلى تأزم الأمور وخاصة عندما قام الأدميرال الإنجليزى "كيث" بضبط عدد من قادة وجنود الحملة الذين تركوا مصر وهم في طريقهم لفرنسا مثل ديزيه واحتجزوا في ميناء "ليفورن" في إيطاليا رهن الاعتقال ، حيث سمح لهم بعد ذلك بالسفر إلى فرنسا . وبذلك سقطت الاتفاقية قبل سريانها نتيجة للموقف الإنجليزى .

فأرسل بذلك إلى حضرة الوزير ، فسوفه فكان ذلك من أسباب نقض الصلح ، وانتقل عرضي همايون من بلبيس إلى جهة سطح الخانكة قريباً من مصر ، وتقدم أمامه عرضي نصوح باشا والأمرا المصرية ، وجملة من العسكر العثمانية ، فنصبوا وطاقهم بالبلد المسماة بالمطرية ، وكان ذلك آخر أيام المهلة ، وطلب الفرنسيس أجلة ثمانية أيام أخرى ؛ فأجيبوا إلى ذلك ، فجعلوها ظرفاً لجمع عساكرهم وطوايفهم من البلاد [ص١٩٧] القبلية والبحرية ، ونصبوا وطاقهم بساحل البحر متصلاً بأطراف مصر ، وردوا ذخايرهم إلى القلاع كما كانت ، واجتهدوا في ترجيج آلات الحرب بعد أن كان يسافر معظمها ، والبارود على الجمال والعربات ليلاً ونهاراً ، والناس يتعجبون من ذلك ، ومصطفى باشا قايمقام والعساكر العثمانية يشاهدون ذلك فلا يقولون شيئاً ، والبعض يقول أنهم أمروا برد ذلك إلى القلاع ، فلما قضوا أشغالهم من أمر القلاع وتحصينها وأبقوا من أبقوه وقيدوه بها من عساكرهم ، واستوثقوا من ذلك ، خرجوا بأجمعهم إلى ظاهر المدينة جهة قبة النصر ، وانتشروا في تلك النواحي ، ولم يبق بداخل المدينة منهم إلا من كان بالقلاع ، وجملة ببيت الألفي ، وبعض بيوت الأزبكية ، وغلب على ظن الناس أنهم برزوا للرحيل .

وفي العشرين (١) منه ، طلبوا مصطفى باشا وحسن أغا نزلة أمين فلما حضر إليهما أرسلوهما للجيزة .

فلما كان اليوم الثالث والعشرين من شوال (٢) ركب كبير الفرنسيس كلهبر

١- يوم الاثنين ٢٠ شوال ١٢١٤هـ الموافق ١٧ مارس ١٨٠٠ م .

٢- يوم الخميس ٢٣ شوال١٢١٢هـ الموافق ٢٠ مارس ١٨٠٠م وهو تاريخ معركة عين شمس واشتعال ثورة القاهرة الأولى .

قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبتهم المدافع وآلات الحرب وقسم عساكره طوابير ، منهم من توجه إلى عرضى همايون ومنهم من مال على من بجهة المطرية ، فدهموهم على حين غفلة من غير أن يكون للمسلمين استعداد للقتال ، لأنهم كانوا مطمئنين ، لم يخطر ببالهم خيانة الخاينين ، وغالب عساكرهم بالمدينة والقرى لتشهيل الكلف واللوازم فضربوا عليهم بالبنادق والمدافع ، فركب القوم وناوشوهم القتال ، ثم تركوا خيامهم ووطاقهم ومدافعهم ، فتركه العسكر الفرنساوى على ما هو عليه غير أنه [ص١٩٨] سد فالية [1] المدافع بالمسامير والتحق ذلك الطابور بالطوابير الزاحفة لجهة عرضى همايون [2] فلما بلغ حضرة المشار إليه ذلك ، وسمع ضرب المدافع ، وتحقق الخيانة ، أمر بالرحيل والرجوع إلى جهة الصالحية ، حرصاً على هيبة الدولة وحرمة السلطنة ، ولئلا ينسب إليه نقض الصلح والخيانة، ومقابلتهم من جنس فعلهم ، ولقلة تعبية العساكر والاستعداد للحرب ، ولكون أكثر العسكر قد كان رجع لبلاده لما تقرر أمر الصلح ، ومهمات آلات الحرب تركت بالعريش اتكالاً على ذلك ، وكثير من العساكر أيضاً كان مفرقاً فى القرى والبلاد لأغراض ولوازم ، فكان الانتقال بالعرضى من حسن السياسة والتدبير ولقد قال

١- الفالية :هى الثقب الموجود فى أعلى المدفع لإشعال البارود .

٢- معركة عين شمس : علم كليبر بموقف الإنجليز من معاهدة العريش وفى الوقت نفسه كان يوسف باشا الصدر الأعظم يتقدم بجنوده فى داخلية البلاد تنفيذاً للمعاهدة قد خلت جنوده قطية والصالحية وبلبيس والسويس والمنصورة وعزبة البرج ودمياط بدون قتال ، واستقر فى بلبيس وتقدم جزء من الجيش العثمانى بقيادة ناصف باشا والياً على الصعيد ، ولكن كليبر أدرك بعد إنذار "كيث " إليه أن الصلح منقوض لذلك فقد منع دخول العساكر العثمانية إلى القاهرة وقام بإعادة تجميع قواته وتحصين القلاع حول القاهرة ، ووقعت المعركة بينه وبين العثمانيين وانتصر فيها يوم ٢٠مارس ١٨٠٠م . عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ١٤٤ وما بعدها .

أرباب الحروب العارفون بها أن أمير الجيوش ينبغى أن يكون كالتاجر الكيس إن رأى ربحاً تقدم وحارب ، وإن رأى غير ذلك وفَر نفسه وجيشه ، ورجع لإعمَال حيلة غير الحرب ، وهذا كله مندرج تحت "الحرب خدعة " ، وأما عرضى المطرية من نصوح باشا ومن كان معه فإنهم تنحوا عن جهة الفرنسيس وانحانوا لجهة ما ، فلما لحق الطابور الذى ناوشهم القتال ببقية الطوابير كما تقدم ، قصد نصوح باشا ومن بصحبته جهة مصر وتركوا عسكر الفرنسيس وراهم ، وأما أهل مصر فإنهم لما سمعوا صوت المدافع كثر فيهم اللغط والقيل والقال ، ولم يدركوا حقيقة الحال، فهاجوا ورمحوا إلى أطارف البلد ، وقتلوا أشخاصاً من الفرنساوية صادفوهم خارجين من البلد ، ليذهبوا إلى أصحابهم ، وذهبت [ص١٩٩] شرذمة من عامة أهل مصر ، فانتهبت الخشب وبعض ما وجدوه من نحاس وغيره ، حيث كان عرضى الفرنسيس ، وخرج السيد عمر أفندى نقيب الأشراف ، والسيد أحمد المحروقى وانضم إليها غزخان الخليلى والمغاربة الذين بمصر ، وكذلك حسين أغا شنن أخو أيوب بيك الصغير ، وتبعتهم كثير من عامة أهل مصر ، وتجمعوا على التلول خارج باب النصر ، وبأيد الكثير منهم النبابيت والعصى والقليل معه السلاح، وكذلك تحزب طوايف كثيرة من العامة ، ومشوا بازقة المدينة ، وخرج كثير إلى أطراف البلد وقامت الناس كلهم على ساق وقدم .

فلما تضحى النهار (١) حضر بعض الأجناد من المصريين ، (٢) ودخلوا مصر وفيهم بعض مجاريح ، فصار الناس يسألونهم فلم يخبروهم بشئ لجهلهم أيضاً حقيقة الحال ، ثم لم يزل الحال كذلك إلى أن دخل وقت العصر ، فوصل جمع

١- ضحى يوم الخميس ٢٣ شوال الموافق ٢٠مارس ١٨٠٠م .

٢- يقصد من المماليك حيث يطلق عليهم لقب المصريين أو المصرلية .

عظيم من العامة ممن كان خارج البلد ، ولهم صياح وجلبة ، وخلفهم إبراهيم بيك ، ثم أخرى ، وخلفهم سليمان أغا ، ثم أخرى كذلك ، وخلفهم عثمان كتخدا الدولة ، ثم نصوح باشا ، ومعه عدة وافرة من العساكر السلطانية [1] وصحبتهم السيد عمر نقيب الأشراف ، والسيد أحمد المحروقي ، وحسن بيك الجداوى ، وعثمان بيك المرادى ، وعثمان بيك الأشقر ، وعثمان بيك الشرقاوى ، وعثمان أغا الخازندار ، وإبراهيم كتخدا ومراد بيك السنارى ، وصحبتهم مماليكهم وأتباعهم[2] فدخلوا من باب النصر وباب الفتوح ومروا على الجمالية ، حتى [ص٢٠٠] وصلوا إلى وكالة زين الفقار ، فقال نصوح باشا :"قاتلوا النصارى وجاهدوا فيهم "[3] فلما سمعت العامة منه هذا القول هاجوا ورفعوا أصواتهم ومروا مسرعين ، يقتلون من يصادفوه من نصارى القبط والشوام وغيرهم ، فذهبت طايفة إلى حارات النصارى، وبيوتهم التى بناحية بين الس ين وباب الشعرية وجهة الموسكى ، فصاروا يكبسون الدور ، ويقتلون من يص عوه من الرجال أو النسا أو الصبيان ،

١- فى عجائب الآثار يحذف الجبرتى "كلمة " العساكر السلطانية ويكتبها "ومعه عدة وافرة من عساكرهم ".

٢- كانت هذه القوات تقيم فى المطرية ، بينما كان جيش يوسف باشافي الخانكة ولما هاجم الفرنسيون قوات المطرية التى يقودها نصوح باشا ، استطاع الفرار بقواته ومن معه من المماليك ودخل القاهرة فى عصر ذلك اليوم ، بينما استمر الفرنسيون فى الزحف جهة الخانكة حيث معسكر الوزيرفدارت المعركة قرب ضاحية عين شمس .

٣- لا شك أن نصوح باشا لم يكن يقصد النصارى البلديين من الأقباط وغيرهم ، وإنما يقصد الفرنسيين ، ولكن بعض العامة من الراغبين فى السلب والنهب هم الذين بالغوا فى القضية لتحقيق أغراضهم ، بدليل أنهم نهبوا بيوت المسلمين أيضاً ، كما أن نصوح باشا بوصفه ممثلاً للدولة العثمانية ، ما كان ليأمر بقتل الأقباط ، والمعروف أن دولته أقامت نظاماً للملل تمتع فى ظله الأقباط وغيرهم بوضع أفضل مما عاشه غيرهم من الأقليات فى أوربا نفسها.

وينهبون ويأسرون ، حتى اتصل ذلك بالمسلمين المجاورين لهم ، فتحزبت أيضاً النصارى واحترسوا ، وجمع كل منهم ما قدر عليه من العسكر الفرنساوى والأروام ، وقد كانوا قبل ذلك محترسين وعندهم الأسلحة والبارود والمقاتلون لظنهم وقوع هذا الأمر ، فوقع الحرب بين الفريقين ، وصارت النصارى تقاتل وترمى بالبندق والقرابين من طيقان الدور على المجتمعين بالأزقة من العامة والعسكر والآخرون يرمون من أسفل ويكسبون الدور ، وبات نصوح باشا وكتخدا الدولة وإبراهيم بيك وبعض من صناجق مصر والكشاف والأتباع وطوايف من العساكر بخط الجمالية .

فلما أصبح الصباح(١) أرسلوا إلى المطرية وأحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدها مسدودة الفالية ، فعالجوها حتى فتحوها وركبوهم بالأزبكية ، وضربوا بهم على بيت الألفى وكان به جملة من عساكر الفرنساوية ، فضربوا أيضاً بالمدافع والبنادق ، واستمر الحرب بين الفريقين إلى أخر النهار فسكن الحرب .

وفى هذا اليوم ، شرع العسكر السلطانى وأهل مصر فى صنع متاريس بالأطراف كلها [ص٢٠١] وبجهة الأزبكية ، وشرعوا فى بنا بعض جهات السور ، واجتهدوا فى تحصين البلد بقدر الطاقة ، وبات الناس فى هذه الليلة خلف المتاريس . فلما أظلم الليل أطلق الفرنساوية المدافع والبنب على البلد من القلاع ، ووالوا الضرب بالخصوص على خطة الجمالية ، لكون معظم رؤسا العساكر الإسلامية بها وأكثر العسكر فيها .

وفى هذه الليلة (٢) أجمع رأى كبرا العسكر على الخروج من البلد ، لعدم

١- صباح يوم الجمعة ٢٤ شوال الموافق ٢١ مارس ١٨٠٠م .
٢- ليلة السبت ٢٥ شوال ١٢١٤هـ الموافق ٢٢ مارس ١٨٠٠م .

آلات الحرب والبارود ، وعزّة الأقوات ، وأن القلاع بيد الفرنساوية ، ومصر لا يمكن محاصرتها لاتساعها وكثرة أهلها ، وليس لها سور يحيطها (١) وغالب قوت أهلها يجلب كل يوم من قراها ، فلما أحس كبرا العساكر بأن الحال يطول في الحرب أجمعوا على الخروج بالليل ، وتسامع الناس بذلك فتجهز المعظم للخروج أيضاً ، وغصت خطة الجمالية وما والاها من الأخطاط بازدحام الناس الذين يريدون الخروج من المدينة ، ووقع للناس في هذه الليلة من الكرب والمشقة والانزعاج والخوف مالا يوصف ، وتسامع أهل خان الخليلي من الألضاشات وبعض مغاربة الفحامين والغورية ذلك ، فجاءوا للجمالية وأكثروا التشنيع على من يريد الخروج ، وعضدهم طايفة عساكر الإنكشارية ، وعمدوا إلى خيول الأمرا فحبسوها ببيت القاضي وبقية الوكايل ، وأغلقوا باب النصر ، وبات في تلك الليلة معظم الناس على مصاطب الحوانيت ، وبعض الأعيان في بيوت أصحابهم بالجمالية وفي أزقة الحارات أيضاً وكل متهيئ [ص٢٠٢] للخروج (٢)

وأصبح يوم السبت (٣) فتهيأ كبرا العساكر والعساكر ، ومعظم أهل مصر ما عدا الضعيف الذي (٤) لا قوة له على الحركة ، تهيأ كل للحرب ، وذهب معظم

١- في النسخة (ب)."محيط بها"والحقيقة أن تبريرات الجبرتي تبدو غير مفهومة فالقاهرة كان يحيط بها سور كبير به أبواب معلومة ، أما عبارة أن "مصر لا يمكن محاصرتها " فهل كان القادة يرغبون أن يحاصر الفرنسيون القاهرة وعلى أية حال فهذه التبريرات محذوفة في عجائب الآثار واكتفى الجبرتي بإرجاع هذه الرغبة في الخروج إلى شدة الضرب على الجمالية ، وعدم آلات الحرب لدى المسلمين ، ووجود القلاع بيد الفرنساوية.

٢- ربما الصواب "وكل متهيئ للحرب " بدليل ما سوف نراه في الفقرة التالية .

٣- السبت ٢٥ شوال الموافق ٢٢ مارس ١٨٠٠م .

٤- كلمة "الذي" غير موجودة في النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

الأمرا المصرية ، مع نصوح باشا والأكثر من العساكر العثمانية إلى جهة الأزبكية ، لأن معظم الفرنسيس بها ، فجلس من ذكرنا فى البيوت التى ليس فيها عسكر ، والبعض ورا المتاريس ، وأخذوا مدافع زيادة على الثلاثة المتقدمة وجدت فى بعض بيوت مصر(١) واستمر عثمان كتخدا بوكالة زين الفقار بالجمالية ، وكان كل من قبض على نصرانى أو يهودى أو فرنساوى أخذه وذهب به إلى الجمالية ، حيث عثمان كتخدا و يأخذ منه بقشيشاً ، فالبعض من المأسورين يحبس حتى يظهر أمره ، وربما قتل البعض لريبة أو شبهة ، وكذلك كل من قطع رأساً من رؤس الفرنساوية يذهب بها إما لنصوح باشا بالأزبكية ، وإما لعثمان كتخدا بالجمالية ، فيأخذ فى مقابلة ذلك جملة من الدراهم والدنانير ، ثم بعد أيام أغلق باب النصر ، وباب البرقية ، وباب القرافة ، وساير الأبواب التى فى أطراف البلد ، وزاد الناس فى اصطناع المتاريس وفى الاحتراس وجلس عثمان بيك طبل عند متاريس المحجر ، ومحمد بيك المبدول عند الشيخ ريحان ، ومحمد كاشف أيوب وجماعة أيوب بيك الكبير والصغير عند الناصرية ، ومصطفى بيك الكبير بقناطر السباع ، وسليمان كاشف الحمودى عند سوق السلاح ، وأولاد القرافة ، والعامة وزعر الحسينية والعطوف عند باب [ص٢٠٣] النصر مع طايفة من الإنكشارية ، وباب الحديد وباب القرافة ، وألضاشات خان الخليلى والجمالية عند باب البرقية ، وبالجملة كل من كان فى حارة من أطراف البلد انضم إلى العسكر الذى بجهته ، بحيث صار جميع

١- فى عجائب الآثار يذكر الجبرتى أنها كانت مدفونة فى بعض بيوت الأمراء ، كما يشرح لنا كيف استعملوا هذه المدافع فيقول "وأحضروا من حوانيت العطارين من المثقلات التى يزنون بها البضايع من حديد وأحجار ، استعملوها عوضاً عن الجلل للمدافع ، وساروا يضربون بها بيت سارى عسكر بالأزبكية" .

أهل مصر والعساكر كلها واقفة بأطراف البلد عند الأبواب والمتاريس والأسوار ، وبعض عساكر من العثمانية وما انضم إليهم من أهل مصر المتسلحين مكثت بالجمالية ، وإذا جاء صارخ من جهة من الجهات أمد بطايفة من هؤلاء وصار جميع أهل مصر إما بأزقة مصر ليلاً ونهاراً ، وهو من لا يمكنه القتال ، وإما بالأطراف وراء المتاريس وهو من عنده إقدام وتمكن من الحرب ولم ينم أحد ببيته سوى الضعيف والجبان والخايف. وأنشأ عثمان كتخدا الدولة معمل بارود ببيت قايد أغا بخط الخرنفش ، وأحضر القندقجية (١) والعربجية والحدادين والسباكين ، لإنشا مدافع وبنبات ، وتصليح بعض مدافع وجدت بمصر في بيوت بعض الأمرا وعمل عجل للمدافع وجلل وغير ذلك من المهمات الحربية ، فصار هذا كله يصنع ببيت القاضي[والخان الذي بجانبه والرحبة الواسعة التي قدام باب بيت القاضي](٢) من جهة المشهد الحسيني [واهتم في ذلك اهتماماً زائداً ، وأعطى أجراً وافراً (٣) وفرق في هذا المهم أموالاً واسعة ، وترك الملاذ والرفاهية الملائمة لجنابه واجتهد في حرب الكفار ونصرة الأبرار ، ورأت الناس منه حلماً واسعاً ، وصدراً رحباً ، ويداً بالعطا مبسوطة ، ووجهاً طلقاً يعظم الكبير والصغير ، وكل من طلب منه شيئاً أعطاه من بارود وسلاح ومال وغير ذلك ، فجزاه الله خيراً](٤) وتترس حسن بيك الجداوي بناحية الرويعي ، وربما فارق المتراس في بعض

١- في النسخة (أ) "القندقلية " وكلاهما صواب وأيضاً "البندقلية " ومعناها صناع السلاح والبنادق .

٢- ما بين القوسين غير موجود في النسخة (ب) وكذلك غير موجودة في طبعة وزارة التربية والتعليم .

٣- في النسخة (ب) "أجرة وافرة " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٤- العبارة التي بين القوسين حذفها الجبرتي من عجائب الآثار .

الليالى لوقوع زحف من العسكر الفرنساوى على بعض الجهات ، فيذهب هو ومن معـه لنصـرة [ص٢٠٤] من بتلك الجـهـة ، ورأى الناس من إقـدامـه على الحـرب وشجاعته وصبره على مجالدة العدو ليلاً ونهاراً ، ما ينبى عن فضيلة نفس ، وقوة قلب ، وسمو همة ، وقل أن وقع حدث فى جهة من الجهات إلا وهو مدير راحاتها ، ورئيس كماتها .

وحضر محمد بيك الألفى فى ثانى يوم[١] وتترس بجهة [٢] الأزبكية حيث إبراهيم بيك ونصوح باشا ، وبذل الهمة ، وظهرت منه ومن مماليكه شجاعة وإقدام،[٣] وحضر أيضاً رجل مغربى يقال أنه الذى كان يحارب الفرنسيس بجهة البحيرة سابقاً ، والتف عليه جماعة من المغاربة البلدية ، وجماعة من أهل الحرمين ، ممن كان قدم من مكة والمدينة وما والاهما ، مع الشيخ الجيلانى الذى تقدم ذكره ، وفعل ذلك الرجل المغربى أموراً تنكر عليه لكنه كان فى بعض الأوقات يجتهد فى الحرب ، إلا أنه ليس فى رتبة الجداوى ولا غيره من العساكر العثمانية ، وغالب ما وقع من النهب وقتل من لا يجوز قتله يكون صدوره عنه[٤] واتهم الشيخ البكرى

١- يوم الأحد ٢٦ شوال ١٢١٤هـ الموافق ٢٣ مارس ١٨٠٠م .

٢- فى النسخة (أ) "بجهات الأزبكية " وفى عجائب الآثار يذكر أنه " تترس بناحية السويقة التى عند درب عبد الحق وعطفة البيرق " .

٣- فى عجائب الاثار يفصل الجبرتى دور مماليك الألفى خصوصاً "إسماعيل كاشف المعروف بأبى قطية ، فإنه لم يزل يحارب ويزحف حتى ملك ناحية رصيف الخشاب وبيت مراد بيك الذى أصله بيت حسن بيك الأزبكاوى ، وبيت أحمد أغا شويكار وتترس فيهما ". عجائب الآثار جـ٣ ، ص ٩٣ - ٩٤ .

٤- يفصل الجبرتى ذلك فيقول عن ذلك المغربى "فكان يتجسس على البيوت التى بها الفرنسيس والنصارى ، فيكبس عليهم ، ومعه جمع من العوام والعسكر ، فيقتلون من يجدونه ، وينهبون الدار ، ويسحبون النساء وينهبون ما عليهن من الحلى والثياب ، ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعاً فيما على رأسها وشعرها من الذهب وتتبع الناس حظوظ أنفسهم وحقدهم وضغائنهم " . جـ٣ ، ص ٩٤ .

بأنه يوالى [1] الفرنسيس ويرسل إليهم الأطعمة ، فهجم عليه طايفة من العسكر مع بعض أوباش العامة ، ونهبوا داره وسحبوه مع أولاده وحريمه وأحضروه إلى الجمالية ، وهو ماش على أقدامه ورأسه مكشوف ، وحصلت له إهانة بالغة ، وسمع من العامة كلاماً مؤلماً وتشمتاً ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فلما رأى عثمان كتخدا ذلك ، هاله هذا الأمر واغتم له غماً شديداً ووعده بخير ، وطيب خاطره ،[إذ فى هذه الحالة لا يمكن تدارك ما فرط][2] ، وأخذه أحمد بن محمود محرم التاجر مع حريمه إلى داره ، وأكرمهم وكساهم وأقاموا عنده حتى انقضت الحادثة . وباشر [ص٢٠٥] السيد أحمد المحروقى وباقى التجار ومساتير الناس الكلف والنفقات والمآكل والمشارب ، لما فى ذلك من المعونة للمجاهدين ، وكذلك جميع أهل مصر ، كل إنسان سمح بنفسه وبجميع ما يملكه عن طيب قلب وانشراح صدر [3] وأعان الناس بعضهم بعضاً ، وفعل كل إنسان ما فى وسعه وطاقته من المعونة ، وأما الفرنسيس فإنهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالبلد وبيت الألفى وما والاه من البيوت الخاصة بهم ، وبيوت القبطة المجاورين لهم .

واستمر الناس بعد دخول العساكر الإسلامية مصر أياماً قليلة ، وهم يدخلون ويخرجون من المدينة والأبواب مفتحة ، وأهل الأرياف القريبة تأتى بالميرة [4] وما يحتاجه أهل مصر ، يبيعونه ثم يذهبون إلى بلادهم ولم يعلم أحد

١- فى النسخة (ب) "يكاتب" .

٢- ما بين القوسين غير موجود فى النسخة (ب) .

٣- فى النسخة (أ) "وانشراح خاطر" .

٤- فى النسخة (ب) "الميرى" ولكن أثبتناها من بقية النسخ ، وفصلها الجبرتى فى عجائب الآثار بأنها الاحتياجات من السمن والجبن واللبن والغلة والغنم" .

من أهل مصر ولا غيرهم حقيقة حال الفرنسيس المتوجهة مع كبيرهم للحرب ، واختلفت الروايات والأخبار . وأما عرضي همايون فإنه ارتحل كما ذكر ورجع إلى جهة الصالحية ، وترك ببلبيس جملة من العسكر السلطاني ، وأما عثمان بيك حسن ، وسليم بيك أبو دياب ومن معهما فإنهما تقاتلا مع الفرنسيس ثم رجعا إلى بلبيس لقلة ما معهم من العسكر ، وقدمت الفرنسيس على بلبيس فحاصروا من بها من العسكر المتخلف ، ولم يكن العسكر المتخلف بها كثيراً ولا مستعداً بالآلات الحربية فحارب على قدر طاقته ، ثم نزل على أمان الفرنسيس فأخذ سلاحه وتركه ذهب إلى حيث شاء (1) [ثم لما لحق عثمان بيك ومن معه بالعرضي أخذوا معهم عدة من العسكر ورجعوا يريدون ملاقاة الفرنسيس فنزلوا بوهدة](2) بالقرب من القرين على بعد من محط الفرنسيس ، وانفرد كبير الفرنسيس ، عند مقاربته القرين وصحبته نحو الأربعين من الخيالة ، [ص٢٠٦] فخرج عليهم طايفة من أهل

١- يضيف الجبرتي بعد ذلك عبارة شامته في عجائب الآثار يقول فيها "فذهبوا أشتاتاً في الأرياف ، يتكففون الناس ، ويأوون في المساجد الخربة ، ومات أكثرهم من العري والجوع ".

٢- الفقرة التي بين القوسين توضح لنا موقفاً شجاعاً لعثمان بيك ، ولكنها لا توضح لنا كيف عاد بجنود من معسكر الوزير الذي كان يتراجع منهزماً ، وتوضيح ذلك يذكره الجبرتي في عجائب الآثار، حيث كان يستحيل طبعاً أن يذكره في مظهر التقديس لأنه موقف خاص بالوزير فيقول في عجائب الآثار "ثم لما لحق عثمان بيك ومن معه بالعرضي ناحية الصالحية تكلموا مع الوزير ، وأوجعوه بالكلام ، فاعتذراليهم بأعذار منها عدم الاستعداد للحرب ، وتركه معظم الجبخانة والمدافع الكباربالعريش ، اتكالاً على أمرالصلح الواقع بين الفريقين ، وظنه غفلة الفرنساوية عماديره عليهم مع الإنكليز ، فقال له عثمان بيك أرسل معنا العساكر وانتظرنا هنا ، فخاطب العسكر وبذل لهم الرغائب فامتنعوا ولم يمتثل منهم إلا المطيع والمتطوع ، وهم نحو الألف ، وعادوا على أثرهم ، وجمعوا منهم من كان مشتتا ومنتشراً في البلاد ، ورجعوا يريدون محاربة الفرنساوية ".عجائب الآثار -جـ٣ ص٩٤ وما بعدها .

القرين بالنبابيت ، لكونهم رأوه فى قلة من عسكره وعلمهم بعسكر المسلمين فتضاربوا معه ، وأصيب كبير الفرنسيس بنبوت وقع على سرج فرسه فكسره ، ووقع ترجماته إلى الأرض ، وأحس المسلمون بذلك فاقبلوا عليه وحاربوه ، واستصرخ الفرنسيس عساكرهم فلحقوا بهم ، واستمر القتال زمناً طويلاً بين الفريقين ، ثم انكف الفريقين وجلس كل فريق بمكان .

فلما دخل الليل واشتد الظلام أحاط العسكر الفرنساوى بعساكر المسلمين ، فأصبح المسلمون وقد رأوا إحاطة العسكر بهم من كل جانب ، فركبت الخيالة وتبعتهم المشاة واخترقوا تلك الدايرة بالحرب ، وسلم من سلم ، وعطب من عطب .

وأما مراد بيك فإنه بمجرد ما عاين هجوم الفرنسيس على الباشا والأمرا بالمطرية ، وكان هو بناحية الجبل ركب من ساعته هو ومن معه ومروا سفح الجبل ، وذهب إلى ناحية دير الطين ينتظر ما يحصل ويتجدد من الأمور وأقام مطميناً آمناً على نفسه.هذا حاصل خبر الشرقيين . ولما تحقق الباشا والأمرا الذين بمصر ذلك أخفوا بينهم ، وأشاعوا خلافه لئلا تنحل عزايم الناس عن القتال ، وتضعف نفوسهم عن ملاقاة العدو ، وأرسلوا جملة من المكاتبات للعرضى فى طلب النجدة والمعونة ، وجدوا فيما هم فيه ، وتابعوا المناداة على الناس والعسكر باللسان العربى والتركى ، بالجد فى الجهاد ، والتحريض على الصبر وملاقاة العدو ، ورجع طايفة من عسكر الفرنسيس من عرضى كبيرهم نجدة للعسكر الذى بمصر ، فتقوّت بهم نفوس أصحابهم ، ووقفت منهم طايفة خارج باب النصر [ص٢٠٧] والحسينية ، ونهبوا زاوية الشيخ الدمرطاش وحواليها ، كقبة الغورى والمنيل ، وحضر جماعة من عسكر الأرناؤط نحو الثلاثماية (١) كانوا ببعض القرى لجلب

١- يذكر الجبرتى فى عجائب الآثار أنهم نحو الخمسمائة .

الذخيرة والكلف ، فعارضهم عسكر الفرنسيس الواقف على التلول الخارجة ، ووقعت محاربة يسيرة ، ودخلت الأرناؤط مصر على حمية ، ففرح الناس لقدومهم ، وضجت العامة لحضورهم ، وسئلوا فأخبروا أنهم حاضرون مدداً ، وسيأتى جماعة بعدهم .

وأما بولاق ، فإنها قامت على ساق وتهور في ذلك ، وتشدد الحاج مصطفى البشتيلى وهيج العامة ، فأخذوا الأسلحة والعصى والنبابيت ، وذهبوا إلى وطاق الفرنسيس الذى تركوه بساحل البحر ، وعنده جماعة منهم للحرس ، فقتل من أدركه أهل بولاق منهم ، وفرّ من فر ، ونهبوا ما فيه من الخيام والمتاع وغيره ، وزحفوا إلى البلد ، وفتحوا مخازن الغلال والودايع التى للفرنسيس ، وأخذوا ما أحبوا منها ، وعملوا كرانك حوالى البلد ومتاريس ، واستعدوا للحرب والجهاد ، واستطالوا على من كان ساكناً ببولاق من نصارى القبط والشوام ، فأوقعوا بهم بعض نهب وربما قتل منهم أشخاص (١)

١- يبدو أن أهل بولاق أصلوا الفرنسيين ناراً حامية لذلك عاملهم كليبر بشدة تبلغ درجة الهمجية وتفصيل ذلك " أنذر القائد العام للمرة الثالثة سكان بولاق وناشدهم تقديم فروض الطاعة ووعدهم بنسيان الماضى إلى غير رجعة ، وبحماية فعالة في مقابل طاعتهم . فأجابوا بأنهم مصممون على أن يحذو حذو القاهرة وبأنهم سيدافعون عن أنفسهم حتى آخر رمق إذا هوجموا ولما استنفذت جميع أساليب التوفيق تلقى الجنرال "فريان " أمراً بالهجوم فى اليوم التالى على رأس جزء من رجال فرقته والاستيلاء على هذه المدينة بالقوة إذا لم يذعن سكانها عند رؤية الجنود . وقد نفذ هذا الأمر يوم ٢٥ وقصفت المدينة قنابل المدافع ، ووقع اشتباك من أعنف الاشتباكات واشتعلت النيران في أجزاء من أجمل مبانيها وسالت الدماء من كل جانب وسط هذا الأتون من النار عرض عليهم أيضاً السلام والتفاهم فرفضوا كل العروض واشتد القتال بأعنف مما كان ، وانتشرت الحرائق فى كل مكان . واستمرت عمليات السلب والنهب بضع ساعات ولم تنته إلا عندما جاء أعيان المدينة ولكن بعد فوات الأوان وهم يطلبون باسم الشعب رحمة المنتصر الكريم" . كورييه دى ليجيبت – العدد ٦٥ ص ٢٤٨ .

شهر ذى القعدة ١٢١٤هـ (١)

وأما كبير الفرنسيس ، فإنه لما تحقق عود العرضى ، وبلغته الأخبار عما حصل بمصر من دخول نصوح باشا والأمرا إليهما ، وقيام الرعية ، كرّ راجعاً حتى وصل إلى داره بالأزبكية ، وأحاطت عساكره بجميع مصر وبولاق ، ومنعوا الداخل من الدخول والخارج من الخروج ، وذلك بعد ثمانية أيام من ابتدا الحركة .

وقطعوا الجالب عن البلدين ، وأحاطوا بهما إحاطة السوار بالمعصم فكانت النصارى من القبطة والشوام يهربون بحريمهم وأولادهم ، ويتسلقون من الحيطان والأسوار ، أما إلى الجيزة [ص٢٠٨] أو مصر العتيقة أو للعرضى الفرنساوى . وعند ذلك اشتد الحرب ، وعظم الكرب ، وأكثروا من الرمى المتتابع ، بالبنادق والمدافع ، وواصلوا وقع النيران والبنبات ، من أعالى التلول والقلعات (٢) خصوصاً البنبات الكبار ، على الدوام والاستمرار ، آناءالليل وأطراف النهار ، فى الغدو والبكور والأسحار ، وعدمت الأقوات ، وغلت أسعار المبيعات ، وعزت المأكولات ، وفقدت الحبوب والغلات (٣) وارتفع وجود الخبز في الأسواق ، وامتنع الطوافون به على الأطباق ، وصارت العساكر يخطفون ما يجدونه بأيدى الناس من المآكل والمشارب ، وغلا سعر الماء المأخوذ من الأسبلة أو الآبار ، وأما البحر فلا يكاد يصل إليه أحد ، وتكفل التجار ومساتير الناس والأعيان بكلف العساكر المقيمة

١- فى غمرة الأحداث نسى الجبرتى أن يعلن عن استهلال شهر ذى القعدة وقد فضلنا وضع هذا العنوان فى هذا المكان لأن ما يلى من الأحداث وقع فى شهر ذى القعدة الذى استهل بيوم الخميس ٢٧ مارس١٨٠٠م .

٢- فى النسخة (ب) "القلاع " وما أثبتناه من النسخة (أ) هو الأصوب لأنه يوافق قافية السجع وموسيقىكلمة "البنبات .

٣- فى النسخة (ب) "الغلال " وما أثبتناه من بقية النسخ أوفق للسجع الذى يسير عليه المؤلف.

بالمتاريس المجاورة لهم . وأما أكابر القبط ، مثل جرجس الجوهرى وفلتيوس وملطى ، فإنهم طلبوا الأمان من المسلمين ، لكونهم انحصروا بدورهم وهم بوسطهم ، فأرسلوا لهم الأمان ، وحضروا فقابلوا الباشا والكتخدا ، وأما يعقوب اللعين(١) فإنه كرنك فى داره بالدرب الواسع جهة الرويعى ، واستعد استعداداً كبيراً بالسلاح والعسكر المحاربين ، فكان معظم حرب الجداوى معه . هذا والمناداة فى كل وقت ، بالعربى والتركى على الناس بالجهاد والمحافظة على المتاريس ، ونقل عن مصطفى أغا مستحفظان بأن عنده فى داره جماعة من الفرنسيس [فهجمت العساكر على داره بضرب الحجر ، فوجدوا الفرنسيس](٢) فقتلوا بعضهم وهرب الباقون على حمية ، فقبضوا على ذلك الأغا الخبيث ، وأحضروه بين يدى عثمان أغا كتخدا الدولة ، ثم تسلمه الانكشارية ، وخنقوه ليلاً بالوكالة التى عند باب النصر ، [ص٢٠٩] ورموا جيفته خارج باب النصر ، وولوا مكانه شاهين كاشف الساكن بالخرنفش ، فاجتهد واهتم وشدد على الناس ، وكرر المناداة ، ومنعهم من بيتهم بدورهم ، ومن وجده داخل داره شتمه وضربه ، فكان الناس يبيتون بالأزقة والأسواق حتى الأمرا والأعيان ، وهلكت البهايم من الجوع لعدم وجود العلف من التبن والفول والشعير والدريس ، بحيث صار ينادى علي الحمار أو البغل المعدد الذى قيمته ثلاثون ريال وأكثر ، بماية نصف فضة ، ولا يوجد له مشترى .

١- بالرغم مما وصف به الجبرتى "الجنرال يعقوب " واتهامه بالخيانه وغيرها فإننا نلاحظ أن د/ لويس عوض قد حاول التحايل على هذه النصوص ولى عنقها حتى يستطيع أن يثبت أن يعقوب كان بطلاً قومياً ، وهو جزء من المشروع التغريبى الذى عاش له د/ لويس عوض ، وبدأه من الحملة الفرنسية التى كان يرى فيها بداية التحديث فى مصر، وكذلك اعتبار يعقوب أول من طالب "بالقومية المصرية "وغيرها من الإسقاطات التى تخرج عن الحيز العلمى إلى حيز الانحياز العاطفى .

٢- الفقرة التى بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ) فأثبتناها من ببقية النسخ .

وفى كل يوم يتضاعف الحال ، وتعظم الأهوال ، وزحف المسلمون على جهة رصيف الخشاب ، وترامى الفريقان بالمدافع والنيران ، حتى احترق ما بينهم من الدور ، وهدمت تلك المبانى والقصور ، التى كانت مطلة على البركة ، واحترقت جميع البيوت من عند باب المفارق بقرب جامع عثمان كتخدا ، إلى رصيف الخشاب، إلى خطة الساكت ، إلى حد بيت كبير الفرنسيس ، وصارت كلها خرايب ، وكذلك خطة الرويعى بالسيباطين الكبار ، وما فى ضمن ذلك من البيوت ، إلى حد حارة النصارى ،[1] وصارت كلها تلالاً وخرايب ، كأنها لم تكن مغنى صبابات ، ولا معاهد أنس ولذات ، وفيها يقول صديقنا العلامة المنوه بذكره ، ونظمه ونثره :" وكنت كثيراً ما أجول بالزوارق فيها ، وأسرح طرفى فى محاسن مبانيها وبنيها ، فأرى ما يدخل على النفس السرور ، ويذهل العقل حتى كأنه من النشوة مخمور ، وطالما مضت لى بها أيام وليالى ، هن فى عقد الدهر من يتيم اللآلى ، وأنا أنظر إلى انطباع صورة البدر فى وجناتها ، وفيضان لجين[2] نوره على حافاتها وساحاتها ، والنسيم [ص٢١٠] بأذيال أمواهها لعاب ، وقد سل على الجسور من اضطراب الأمواج ، قرضاب ، وقام على منابر أدواحها من الحمايم كل خطيب فصيح ، عند معترك الندامى على إراقة دم العنقود ليصطلحوا على الوجه المليح .

وقال شعراً

بالأزبكية طابت لى مسرات ولذ لى من بديع الأنس أوقات

١- حارة النصارى : توجد بشارع قنطرة سنقر الذى أوله من باب قنطرة سنقر تجاه رأس حارة الحبانية وأخره رأس شارع درب الحجر وبهذا الشارع من جهة اليسار حارة النصارى التى سكنها الكثير من الأقباط النصارى وخاصة فى العصر العثمانى ، ويتوصل من حارة النصارى لشارع سويقة اللالا وغيره .على مبارك : مرجع سابق جـ٣ ، ص ٩٣ .

٢-اللجين : هى الفضة .

حيث المياة بها والفلك سابحة ... كأنها الزهر تحويها السموات

وقد أدار بها دور مشيدة ... كواتها [1] البدور الحسن هالات

مدت عليها الراوبى خضر سندسها ... وغردت فى نواحيها حمامات

والماء حين سرى رطب النسيم به ... وحل فيه من الأدواح زهرات

كسابغات دروع فوقها نقط ... من فضة واحمرار الورد طعنات

مراتع لظبا الترك ساحتها ... وللأسود بها فيهن غيضات

وللنديم بها عيش تجدده ... أيدى الزمان ولا تخشى جنايات

يروح منها صريع العقل حين رأى ... على محاسنها دار الزجاجات

وللرفاق بها جمع ومفترق ... لما غدت وهى للندمان حانات

قلت[2] قد جنت عليها أيدى الزمان وطوارق الحدثان ، حتى تبدلت محاسنها ، وأقفرت مساكنها ، وهكذا عقبى سوء ما عملوا ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .

وأرسلوا إلى مراد بيك[3] بالحضور أو يرسل الأمرا والأجناد الذين بصحبته، ليساعدوا إخوانهم ، فلم يجب إلى ذلك ، وأعتذر أنه محافظ على الجهة

١- الكوات جمع كوة وهى الطاقة أو النافذة الصغيرة الدائرية .

٢- الكلام هنا للجبرتى .

٣- بعد أن عقد مراد اتفاقيته مع الفرنسيين كان يستشار فى الأسلوب الناجح لإخماد ثورة القاهرة ، وقد بذل جهده لتخريبها من الداخل ، عن طريق الاتصال ببعض العناصر ، ومحاولة إقناعهم بالتسليم أوالانسحاب فلما أعيته الحيل اقترح مراد على "كليبر" ولى نعمته الجديد ، إضرام النار فى القاهرة لإخماد الثورة ويذكر ريبو أنه أرسل فعلاً إلى "كليبر" عدة مراكب محملة بمواد ملتهبة لإحراق العاصمة . ولكن الفرنسيين "ابقوا عليها حتى يحصلوا منها على الغرامة الحربية "

راجع . محمد جلال كشك : مرجع سابق ، ص ٢٩٥ وما بعدها .

التى هو فيها ، وأنه أرسل هجاناً إلى جهة الشرق من مدة عشرة أيام يستكشف خبر عرضي همايون ، ومنتظر عوده ، وأظهر هذا الجواب مع البرديسي وصحبته عثمان بيك الأشقر ، ثم رجع الأشقر ولا يعلم ما دار بينهما .

واستمر الحال على ما هو عليه في اشتعال نيران الحرب وشدة البلا والكرب، [ص٢١١] ووقوع البنب على الدور والمساكن من القلاع ، والهدم والحرق وصراخ النسا من البيوت ، والصغار من الخوف والجزع والهلع ، مع القحط وفقد المأكل والمشارب ، وغلق الحوانيت والطوابين والمخابز ، ووقوف حال الناس من البيع والشرا ، وتفليس الناس ، وعدم ما ينفقونه ، إن وجدوا شيئاً ، واستمرار ضرب المدافع والقنابر والبنادق والنيران ليلاً ونهاراً ، حتى كان الناس لا يهنأ لهم نوم ولا راحة ولا جلوس لحظة لطيفة من الزمن ، يجد فيه الشخص راحة ، ومقامهم دايماً بالأزقة والأسواق ، وكأنما على رؤس الجميع الطير ، وأما النسا والصبيان ، فمقامهم بأسفل الحواصل والعقودات تحت طباق الأبنية ، وصار مؤونة غالب الناس الأرز ، ويطحنون الرز بالعسل وباللبن ، ويبيعون ذلك في طشوت وأواني بالأسواق . وطلب الكتخدا دراهم سلفة ، دفع منها الشيخ السادات عشرة أكياس ، ودفع الشيخ مصطفى الصاوي جملة ، ووزع على بعض الناس باقي المبلغ المطلوب .

وفي كل ساعة تهجم الفرنساوية على جهة من الجهات ويحاربون من بها من المقاتلين ، ويملكون منهم بعض المتاريس ، فتصيح المناداة ، وتتسامع الناس ، ويصرخون على بعضهم البعض ، ويقولون عليكم بالجهة الفلانية ، إلحقوا إخوانكم ، فينفرون إلى تلك الجهة والمتراس ، حتى تنكشف عنه الفرنساوية ، وينتقلون إلى غيرها ، فيفعلون كذلك ، هذا والأغا والوالي يكررون المناداة ، وكذلك بعض أولاد

العلما كسيدي محمد نجل الشيخ الجوهري ، وسيدي محمد نجل الشيخ الأمير ، والسيد عمر نقيب الأشراف ، وبعض شوربجية [ص٢١٢] الإنكشارية أيضاً ، ينادون بالتركي ، كل هؤلاء يمرون بجهات المدينة ، ليلاً ونهاراً ويحرضون الناس على الجهاد ، وجرى على الناس مالا يسطر في كتاب ، ولم يكن لأحد في حساب ، ولا يمكن الوقوف على كلياته ، فضلاً عن جزئياته ، منها عدم النوم ليلاً ونهاراً ، وعدم الطمأنينة ، وغلو الأقوات ، وفقد الكثير منها ، خصوصاً الأدهان ، وتوقع الهلاك كل لحظة ، والتكليف بما لا يطاق ، ومغالبة الجهلا على العقلا ، وتطاول السفها على الرؤسا ، ولغط الحرافيش وتهور العامة وغير ذلك مما لا يمكن حصره

ولم يزل الحال على هذا المنوال ، إلى نحو عشرة أيام (١) وكل هذا والرسل من قبل كبير الفرنسيس ، وهم عثمان بيك البرديسي تارة ، ومصطفى كاشف رستم تارة أخرى ، الاثنان من أتباع مراد بيك ، يترددون في شأن الصلح وخروج العساكر العثمانية من مصر ، والتهديد بحرقها وهدمها ، إذا لم يتم هذا الغرض ، ثم نصب الفرنج في وسط البركة فسطاطاً لطيفاً ، وأقاموا عليه علماً ، وأبطلوا الحرب تلك الليلة ، وأرسلوا رسولاً من قبلهم إلى الباشا والكتخدا والأمرا ، يطلبون المشايخ الذين كانوا مرتبين بالديوان ، يتكلمون معهم في شأن هذا الأمر ، فأرسلوا الشيخ الشرقاوي ، والشيخ محمد المهدي ، والشيخ سليمان الفيومي ، والشيخ موسى السرسي ، فوصلوا إلى داماس من صواري عساكر الفرنسيس ، وكان بالخيمة المنصوبة ، فجلسوا وخاطبهم على لسان الترجمان بما حاصله ، أن

١- أي تقريباً يوم السبت ٣ ذي القعدة ١٢١٤هـ الموافق ٢٩ مارس ١٨٠٠ وذلك إذا كان المقصود عشرة أيام من تاريخ بدء الثورة أما إذا كان المقصود عشرة أيام من تاريخ بدء حصار القاهرة ، وهو الأرجح فإن التاريخ المقصود يكون تقريباً هو يوم الأحد ١١ من ذي القعدة ١٢١٤هـ الموافق ٦ أبريل ١٨٠٠م .

كبير الفرنسيس قد أمن أهل مصر أماناً شافياً ، وأن الباشا والكتخدا ومن معهما من الأمرا المصرية يتوجهون بعساكرهم إلى عرضى حضرة الوزير ، وعلى الفرنساوية القيام بما [ص٢١٣] يحتاجون إليه من الذخيرة والمؤونة ، ومن أراد المقام بمصر من المماليك والأجناد الداخلة معهم ، فليقم ، ومن أراد الخروج فليخرج ، والجرحى من العثمانية يجردون من سلاحهم ويتخلفون وتعالجهم أطباء الفرنساوية حتى يشفوا ، ومن أقام منهم بعد البرء فليقم ، وإن شاء فليلحق بهم ، وعلى مصر الأمان ، فإنهم رعيتهم ، وأمثال ذلك من الكلام والشروط التى عددوها

فلما كان من الغد (١) وشاع أمر الصلح ، ورجع المشايخ بهذا الكلام ، وسمعه الناس ، قاموا عليهم وشتموهم وسبوهم ، وأسمعوهم قبيح الكلام ، وصاروا يقولون :"هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ، ومرادهم خذلان المسلمين ، وأنهم أخذوا دارهم من الفرنسيس" ، وأكثر السفلة والغوغا(٢) من أمثال هذا الفضول ، وتشدد فى ذلك الرجل المغربى الملتف عليه أخلاط العالم ، ونادى من عند نفسه ، بأن الصلح منقوض ، ووافق ذلك أغراض العامة ، لعدم إدراكهم لعواقب الأمور ، فالتفوا عليه وتعضد كل بالآخر ، لأن غرضه هو فى دوام

١- أى يوم ١٢ من ذى القعدة تقريباً ويوافق يوم الاثنين ٧ أبريل ١٨٠٠م .

٢- مرة أخرى يحتد الجبرتى وتشتد كلماته على العامة وتعنف ، والعامة هم وقود الثورة ودعائمها ، وهم قد تم شحنهم ضد الفرنسيين ورفعت روحهم المعنوية وبذلوا النفس والنفيس من أجل إنجاح ثورتهم وهم قد فسروا طلب الفرنسيين للمصالحة على أنه ضعف منهم ، كما كان الجميع يعتقدون بأن هناك قوات نجدة ستأتى للقاهرة ، كل هذا ويقوم العلماء بالتوسط فى الصلح لا شك أن ذلك العمل قد أثار العامة جداً وجعلهم يوجهون للعلماء أقذع الكلام ، أما العلماء فهم أيضاً قد تبين لهم الفارق فى التسليح بين الفرنسيين وبين قوات الثورة ، وأن الدائرة سوف تدور على الثائرين ، وأن المسألة مسألة وقت ليس إلا

- راجع د/ جاد طه : موقف الجبرتى من ثورات القاهرة ، ضمن الجبرتى دراسات وبحوث، ص ٣٣٨ .

الفتنة ، فإن بها يتوصل لما يريده من النهب والسلب ، والتصور بصورة الإمارة ، باجتماع الأوزاع عليه ، وتكفل الناس له بالمآكل والمشرب ، هو ومن انضم إليه ، واشتطاطة فى المآكل ، مع فقد الناس لأدون ما يؤكل ، حتى إنه كان إذا نزل جهة من جهات المدينة لإظهار أنه يريد المعونة والحرس ، فيقدمون له بالطعام ، فيقول : "لا آكل إلا الفراخ" ويظهر أنه صايم ، فيكلف أهل تلك الجهة أنواع المشقات والتكلفات ، بتعنته فى هذه الشدة ، بطلب أفخر المأكولات وما هو مفقود ، ثم هو مع ذلك لا يغنى شيئاً ، بل إذا دهم العدو تلك الجهة التى هو فيها ، فارقها وانتقل لغيرها [ص٢١٤] وهكذا كان ديدنه وسبحه ، ثم هو ليس ممن له فى مصر مما يخاف عليه من مسكن أو أهل أو مال أو غير ذلك ، بل كما قيل :"لا ناقتى فيها ولا جملى" ، فإذا قدر والعياذ بالله أن العدو دخل البلد عنوه ، تخلص مع حزبه من بعض الجهات والتحق بالريف ، وتخلص ، وحينئذ يكون كآحاد الناس ، ويرجع لحالته الأولى ، وتبطل الهيئة الاجتماعية التى جعلها لجلب الدنيا فخاً منصوباً ، وتحرق بها على سخاف العقول وأخفا الأحلام ، وهكذا حال الفتن تكثر فيها الدجاجله ، ولو أن نيته ممحضة لخصوص الجهاد لكانت شواهد علانيته أظهر من نار على علم ، أو اقتحم – كغيره ممن شاهدناه من المخلصين فى الجهاد وفى بيع نفوسهم فى مرضاة رب العباد – لظا(١) الهيجا(٢) ولم يتعنت على الفقرا ، ولم يجعل همته فى السلب مصروفه ، وحاله وسلوكه عند الناس ليست معروفة .

شعر

ومهما تكن عند أمرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم(٣)

١- لظا : اللظى النار و (لظى) أيضاً اسم من أسماء النار معرفة لا ينصرف (والتظاء) النار التهابها . (مختار الصحاح).

٢- الهيجاء : الحرب تمتد وتقصر . (المعجم الوجيز) .

٣- هذا البيت من معلقة زهير بن أبى سلمى .

وبالجملة فكان هذا الرجل سبباً فى تهدم أغلب منازل الأزبكية ، ومن جملة ما رميت به مصر من البلا ، وكان مما نادى به حين أشيع أمر الصلح وتكلم به الأشياخ :"الصلح منقوص وعليكم بالجهاد ، ومن تأخر ضرب عنقه ". [وهذا منه افتيات فى حق السلطنة ، وفضول ودخول فيما لا يعنى ، حيث كان فى البلد مثل نصوح باشا ، ومثل الهمام الأعظم والرئيس الأفخم عثمان كتخدا ، وغير هذين من الأمرا المصرية][1] فما قدر هذا الأهوج ، حتى ينقض صلحاً أو يبرمه ؟ وأى شئ يكون هولينادى أو يترأس بدون أن ينصبه أحد لذلك ؟ لكنها الفتن يستنسر فيها البغاث [2] [ص٢١٥] سيما عند هياج العامة ، وثوران الرعاع والغوغا إذا كان ذلك مما يوافق أغراضهم .

شعر

وذنب جره سفهاء قوم ... وحل بغير جانيه العذاب

على أن المشايخ لم يأمروا بشئ ، ولم يذكروا صلحاً ولا غيره ، إنما بلغوا صورة المجلس الذى طلبوا لأجله لحضرة الكتخدا ، فبمجرد ذلك قامت العامة هذا المقام ، وفعلوا مع المشايخ ما فعلوا ، وصاروا يقولون :"لولا أن الملاعين تبين لهم العجز والغلبة ، ما طلبوا المصالحة " . وأخذوا فى ضرب البنادق والشوران فى الأزقة والضجيج ، فأرسل الفرنسيس رسلاً يسألون عن رد الجواب الذى توجه به المشايخ ، فأرسل الباشا والكتخدا يقولان لهم أن العساكر لم يرضوا بذلك ، وليس فى قدرتنا قهرهم على الصلح ، فأرسل الفرنساوية جواب ذلك فى ورقة ، ويقولون فى ضمنها :"وقد عجبنا من قولكم أن العساكر لم يرضوا بالصلح ، وكيف يكون الأمير

١- من البديهى أن يعدل الجبرتى هذه العبارة فى عجائب الآثار فيقول "وهذا منه افتيات وفضول ودخول فيما لا يعنى حيث كان فى البلد مثل الباشا والكتخدا والأمرا المصرية ".

٢- أصل ذلك هو المثل العربى القديم "إن البغاث بأرضنا يستنسر " والبغاث طائر ضعيف ويستنسر أى يقوى ويصبح نسراً .

أميراً على جيش لا ينفذ أمره فيهم " ونحو ذلك ، وأرسلوا أيضاً "راشتوا " إلى أهل بولاق بمثل ذلك ، فلم يرضوا ، فكرروا عليهم ذلك أربع مرار ، وفى الخامسة أرسلوا رجلاً من كبار الفرنساوية خيالاً ، وبيده ورقة ، وهو يقول :"أمان أمان ، سوا سوا " ، فأنزلوه من على فرسه وقتلوه . واستمروا على كرنكتهم وتترسهم وتصميمهم على الحرب ، وحضر الألفى إلى عثمان كتخدا برأى ابتكره ، وهو أن يرفعوا على هلالات المنارات أعلاماً ، ويسرجون فى المنارات قناديل ، ليرى ذلك العسكر القادم ، فيعلمون بذلك أن البلد بيد المسلمين ، وكذلك صنع أهل بولاق .

واستمر الحرب بين الفريقين إلى يوم الخميس ثانى عشرينه ، الموافق لعاشر برمودة القبطى ، وسادس نيسان الرومى [1] [ص٢١٦] فاتفق أنه وقع غيم ورعد ومطر ، واشتد ذلك بعد المغرب ، وتوحلت السكك وحلاً كثيراً ، وسالت المياة فى الجهات ، واشتغل الناس بتجفيف الأرض وكسح الوحل والمياة ، فهجمت الفرنسيس بعد المغرب على أطراف البلد ، وجاء المعظم منهم جهة باب النصر والعطوف والحسينية ، والوقت إذ ذاك مظلم والغيم مطبق ، والمطر متكاثر ، فهرعت الناس المقاتلة لتلك الجهات ، ولبخت الأمرا والعساكر بسراويلهم ومراكيبهم فى الطين والوحل ، وانزعج الناس من هذه الكبسة مالم ينزعجوا فى غيرها ، وقد أعد الفرنسيس الحريق فتايل مغموسة بالزيت والقطران [وكعكات غليظة ملونة على أعناقهم معمولة بالنفط] [2] والأرواح المصنوعة المقطرة ، التى تشتعل ويقوى لهيبها بالماء ، وأوصلوا الضرب بالبنادق والبنبات ، وبذل المسلمون فى هذه الليلة جهدهم وطاقتهم ، وقاتلوا بشدة همة ، وقوة عزيمة ، وتحول الأغا وأكثر المقاتلة

١- الصواب أن يوم الخميس ٢٢ ذى القعدة الموافق ١٠ برمودة ١٥١٦ قبطية يوافق ١٧ أبريل / نيسان ١٨٠٠م وليس ٦ نيسان كما ذكر الجبرتى .

٢- ما بين القوسين ناقص من النسخة (أ) .

إلى الجهة التي زحف معظمهم عليها ، وهاجت العامة ، وصرخت النسا والصبيان، ولاقى الناس في تلك الليلة شدة عظيمة .

وأما بولاق ، فإنهم كبسوا عليها في وقت الفجر (١) من ناحية البحر ، ومن ناحية بوابة أبي العلا بالمدافع وآلات الحريق ، وحصروا أهل البلد ، وأشعلوا الحريق في معظم الجهات العامرة ، ووالوا ضرب المدافع المنجرة معهم في طوابيرهم ، وتحصن جمع من المسلمين وتترسوا بجامع أبي العلا (٢) وقاتلوا من داخله ، وعلى منارته ، حتى قتلوا عن آخرهم . وغاية الأمر ملكوا بولاق ، وفعلوا بأهلها ما تشيب من سماعه النواصي ، وصارت القتلى مطروحة في الطرقات والأزقة ، واحترقت الأبنية والدور ، خصوصاً البيوت المطلة على النيل والرباع ، وكذلك الأطارف [ص٢١٧] وهرب كثير من الناس عندما أيقنوا بالغلبة ، فنجوا بأنفسهم ، ثم بعد أن ملكوا البلد ؛ أحاطوا بها ومنعوا من يخرج عنها ، واستولوا على الخانات والوكايل ، وما بها من الحواصل والطباق ، وأخذوا جميع ما فيها من الودايع التي للناس والمتاجر ، وأخذوا ما في البيوت والحوانيت ، وأخذوا بعض نسا مأسورات(٣) واستولوا على جميع ما في البلد من غلال وسكر وكتان

١- فجر يوم الجمعة ٢٣ ذو القعدة ١٢١٤هـ الموافق ١٨ أبريل ١٨٠٠م .

٢- جامع أبي العلا : يوجد ببولاق عند منتهى الجسر الموصل من جنينة الأزبكية إلى بولاق ، وهو جامع عامر مقام الشعائر إلى الآن له ثلاثة أبواب ويشتمل على إيوانين وثمانية أعمدة من الرخام وبداخله ضريح أبي العلا الحسيني وعليه قبة كبيرة ومقصورة من الخشب ويذكر علي مبارك أن أبو العلا الحسيني تحريف وهو الحسين أبو علي وترجم له الشعراني في طبقاته . علي مبارك : مرجع سابق ، جـ٤ ، ص ١٠٨ .

٣- يتخذ د/ لويس عوض من أسر نساء بولاق مرحلة من مراحل تحرر المرأة المصرية . وهو قلب لحقائق التاريخ وتوظيفه لخدمة توجه أيدلوجي عن طريق لي عنق النص التاريخي وقراءته بطريقة خاطئة بعيدة تماماً عن المنهج العلمي .

وقطن وأبازير وأرز وأدهان ، وأصناف عطرية ، وما لا تسعه السطور ، وما لا يحيط به كتاب ولا منشور . والذى وجدوه منكفأ فى داره ولم يقاتل ، ولم يجدوا عنده سلاحاً ، نهبوا متاعه ، وعروه من ثيابه ، ومضوا وتركوه حياً .

وأصبح من بقى من ضعفا أهل بولاق وأعيانها الذين لم يقاتلوا فقرا لا يملكون ما يسترعوارتهم ، وذلك يوم الجمعة ثالث عشرينه (١) واختفى الحاج مصطفى البشتيلى [فدلوا عليه ، وكذلك باقى رؤسا أهل بولاق ، فحبسوا البشتيلى] (٢) بالتكية ، وباقيهم عند الفرنسيس ببيت الألفى ، وضيقوا عليهم حتى منعوهم البول .

وفى اليوم الثالث (٣) أطلقوهم ، وسلموهم البشتيلى ، وأمروا عصبة بقتله ، فطافوا به بولاق ، ثم قتلوه بالنبابيت ، ورتبوا من أهل بولاق تسعة أشخاص ممن بقى من أعيانها فى ديوان ،ألزموهم بقبض ماية ألف ريال فرانسة من أهل بولاق بعد الذى وقع لهم . وأما المدينة فلم يزل الحال بها على النسق المتقدم ذكره من الحرب والكرب ، والحرق والنهب والسلب ، إلى سادس عشرينه (٤) حتى ضاق خناق الناس من استمرار الانزعاج والحريق والسهر وعدم الراحة لحظة من ليل أو نهار ، مع ما هم فيه من عدم القوت ، حتى هلكت الناس ، وخصوصاً الفقرا والدواب ، وإيذاء العسكر للرعية ، وأخذهم [ص ٢١٨] ما يجدونه معهم ، والحال كل وقت فى ازدياد ، وأمر المسلمين فى ضعف ، لعدم الميرة والمدد ، والأعدا كل يوم يزحفون إلى قدام ، والمسلمون يتأخرون إلى وراء ، فدخل الفرنسيس من باب

١- هو يوم الجمعة ٢٣ ذو القعدة ١٢١٤هـ الموافق ١٨ أبريل ١٨٠٠م .

٢- ما بين القوسين ناقص من النسخة (أ) .

٣- يوم الاثنين ٢٦ ذو القعدة ١٢١٤هـ الموافق ٢١ أبريل ١٨٠٠م .

٤- أى فى يوم الاثنين المذكورسابقاً .

الحديد ، وناحية كوم الريش وقنطرة الحاجب ، وتلك النواحى ، وهم يحرقون بالفتايل والنيران على الشرح المتقدم ويملكون المتاريس ، إلى أن تجاوزا باب العدوى ، ومن ناحية باب الحديد ، وخطة المقس ، إلى قرب باب الشعرية ، وكان شاهين أغا متترساً بكوم الريش فأصابته جراحة ، فقام من مكانه ، ورجع القهقرى ، فعند قيامه من متاريسه ، ورجوعه إلى خلف ، وقعت الهزيمة ، وداس الناس بعضهم البعض . هذا والبرديسى والأشقر ومصطفى كاشف رستم ، يسعون فى الصلح ، إلى أن تمموه على الموادعة وترك القتال ، وأن الفرنسيس يمهلون العساكر والأمرا ثلاثة أيام ، حتى يقضوا أشغالهم ويذهبوا حيث أتوا ، وجعلوا مجرى الخليج حداً بين الفريقين ، لا يتعدى أحد من الفريقين بين ذلك الحد، وبطل الحرب وخمدت النار (١) وأخذ العسكر والأمرا فى أهبة الرحيل ،

١- أصدر كليبر البيان التالى للجنود الفرنسيين .من كليبر القائد العام إلى الجيش أيها الجنود :رغبة فى حقن الدماء ، تابعت المفاوضات ، وفى نفس الوقت كانت العمليات الحربية تأخذ مجراها الطبيعى فى ضرب العدو ، إن العقبة الكبرى التى صادفتنى خلال المفاوضات هى محاولة إقناع السكان وإشاعة الطمأنينة فى نفوسهم ضد عمليات السلب والتخريب ، إن ما رأوه مثلاً فى بولاق ، حيث سمحت لكم بأن تشفوا غليلكم بانتقامكم العادل ، كان له وقع رهيب فى نفوسهم ، وقد توصلت إلى تبديد مخاوفهم ووعدتهم بمنحهم الأمان والحماية لأشخاصهم وممتلكاتهم . وعند ذلك كفوا عن خلق العراقيل لمنع انسحاب الجنود العثمانيين أيها الجنود ،-عندما يقطع قائدكم على نفسه تعهدات باسم الجيش ، فإن عليكم أنتم القيام بتنفيذها .

وإنى أعتمد فى هذا الشأن على طاعتكم وعلى إحساسكم الذاتى بمصلحتكم الخاصة . فأى تجاوز من قبلكم ، يمكن أن يجعل من اتفاقنا المبرم بشأن الاستسلام وهما يذهب مع إدراج الرياح .إذن عليكم بالامتناع عن إحداث أى شغب ، بل عليكم أن تمنعوه أيضاً على يد هؤلاء الذين يختفون عندما تحيق بكم المخاطر ، ولا يظهرون من مخابئهم إلا بعد زوال الخطر ، للعبث والاستزادة من العار . إنى أحرم عليكم أى نوع من أنواع السلب وأحيلكم فى هذا الشأن إلى الأمر اليومى الذى أصدرته فى ٢٧ جرمينال الماضى .كليبر . كورييه دى ليجبيت ، العدد ٦٦ ، ص ٢٥١ .

وقضا أشغالهم . وكان مما شرط فى الصلح ، تزويد الفرنساوية لهم ، وأعطاهم جمالاً وغير ذلك . فوفى كبير الفرنساوية بذلك ، وكتبوا بعقد الصلح ورقة شرطوا فيها أنهم يتركون عند الفرنسيس البرديسي والأشقر ، ويرسلون ثلاثة أشخاص من أعيانهم ، يكونون بصحبة العسكر عند رحيلهم مع عثمان كتخدا رهينة ، كما أن البرديسي والأشقر رهينة عند الفرنسيس ، وأن يذهب داماس بعساكر خلف العساكر العثمانية لحد الصالحية . ومن أراد الخروج [ص٢١٩] من أهل مصر فليخرج ، خلا عثمان بيك الأشقر ، فإنه إذا رجع الثلاثة أنفار من الفرنسيس يذهب هو مع البرديسي إلى مراد بيك بالصعيد ، إلى آخر المضمون ، وأرسلوا الثلاثة المذكورة إلى خطة الجمالية ، ومعهم الألفى ماشى ، هو ومماليكه وأجناده ، وبأيديهم البندق ، والثلاثة الفرنسيس مشاة مع الألفى ، والمماليك محدقة بهم من جميع الجوانب ، مخافة من ثوران العامة عليهم ، فيقتلون واحداً منهم أو يهينوه ، فيختل أمر الصلح ، ويتسع الفساد ، وخيولهم تقاد بين أيديهم ، فلما وصلوا للجمالية ، ثارت العامة ، وصاحوا وصرخوا ، وقالوا :"الصلح منقوض ، ولا يكون إلا القتال". وأرادوا الفتك بالأنفار الثلاثة الرهاين ، فأصعدهم محمد بيك الألفى بجامع الجمالى ، وأوقف حراساً على بابه من مماليكه وبيدهم السلاح ، حتى بردت نار العامة ، وبطل صياحهم ، فذهبوا بهم لبعض البيوت بالجمالية ، واستمروا كذلك حتى سافروا مع عثمان كتخدا . وكذلك ثارت العامة فى هذا الوقت بعثمان كتخدا ، فأغلق دونهم باب خان ذى الفقار ، الذى كان جالساً به ، وزجرهم العسكر وطردوهم . وركب المغربى وذهب إلى الحسينية ، لإظهار أنه يريد محاربة الفرنسيس ، وأنه ينقض الصلح ، فحضر بعض عقلا أهل الحسينية إلى عثمان كتخدا ، يأخذون منه إذناً فى موافقة المغربى أو منعه ، فلم يأذن لهم ، وأمرهم بمنعه ، وركب المحروقى ومرّ بسوق الخشب ، وأمامه شخص ينادى بلزوم

المتاريس ، وأنه لاصلح ، فمنعة نزلة أمينى ، وفتح باب الخان وخرج منه عسكر بأيديهم العصى ، فطردوا العامة ففروا وسكن الحال .

شهر ذى الحجة ١٢١٤هـ

واستهل شهر ذى الحجة بيوم الجمعة (١) فيه ، خرج العثمانية [ص٢٢٠] وعسكرهم وإبراهيم بيك وأمراؤه والألفى ، والسيد عمر النقيب ، والسيد أحمد المحروقى ، وكثير من أهل مصر ركباناً ومشاه ، كذلك حسن بيك الجداوى ، وأما عثمان بيك حسن فإنه استمر بعرضى همايون ، فكانت مدة الحرب والمحاصرة ، بما فيها من ثلاثة أيام الهدنة ، سبعة وثلاثين يوماً(٢) وقع بها من الحروب والكروب والأنزعاج والشتات والهجاج وخراب الدور ، وعظيم الأمور ، وقتل الرجال، ونهب وسلب الأموال (٣) وتسلط الأشرار ، وهتك الأحرار ، وخصوصاً ما أوقع الفرنساوية بالناس بعد ذلك مما سيتلى عليك بعضه ، وخرب فى هذه الواقعة معظم عماير مصر ، وعدة جهات من أخطاط مصر الجليلة ، وخصوصاً بركة الأزبكية ذات المحاسن البهية ، وأما بركة الرطلى وما حولها من الدور والمتنزهات والبساتين ، فإنها صارت كلها تلالاً وخرايب وكيمان أتربة ، وقد كانت هذه البركة من أجل

١- يذكر مختار باشا أن ذى الحجة استهل بيوم السبت ٢٦ أبريل ، وأن يوم الجمعة كان ٣٠ ذو القعدة ، ولو صحت رواية الجبرتى لكان ذو القعدة ٢٩ يوماً . ولكننا سنسير على تقويم الجبرتى لأن هذه الأحداث العظيمة لا يمكن أن ينسى الجبرتى تاريخها ومن الصعب أن يخطئ فى تاريخ يوميات الشهر كله وبذلك فإن غرة ذى الحجة ١٢١٤هـ توافق يوم الجمعة ٢٥ أبريل ١٨٠٠م .

٢- بدأت الثورة فى يوم الخميس ٢٣ شوال ١٢١٤هـ الموافق ٢٠ مارس ١٨٠٠م ، وانتهت فى غرة ذى الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٢٥ أبريل ١٨٠٠م .

٣- كلمة "وسلب" غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من بقية النسخ .

متنزهات مصر قديماً وحديثاً ، وبالقرب منها المقصف المعروف بدهليز الملك ، والبربخ والجسر ، وكانت تعرف أيضاً ببركة الطوابين وببركة الحاجب ، نسبة للأمير بكتمر الحاجب من أمراء الناصر محمد بن قلاوون [1] لأنه هو الذى احتفرها وأجرى إليها الماء من الخليج الناصرى ، وبنى القنطرة المنسوبة إليه ، وعمر عليها الدور والمناظر ، وبنى على الجسر الفاصل بينها وبين الخليج دوراً بهية ، وكان هذا الجسر من أجل المتنزهات ، وقد خربت منازله فى القرن العاشر ، فى واقعة السلطان سليم خان مع الغورى ، وصار محله بستاناً عظيماً ، قطع أشجاره ونخيله الفرنسيس ، وفيه يقول بعضهم من قصيدة :

أصابت الجسر عين الدهر فانقصفا
ولاح بدر التصابى فيه منخسفا
[ص٢٢١] وأعين البحر قد فاضت معكرة
تبكى على زمن قد كان فيه صفا

ومنها

أيا رعى الله وقتاً مرّ حين حلا
بطيب عيش لنا فى الجسر قد سلفا

وكان للقاضى ابن الجيعان[2] عليها دور جليلة ، ومسجده المعروف به إلى الآن بشاطيها ، ومسجد الحريشى . وعرفت ببركة الرطلى ، لأنه كان فى شرقها زاوية

١- يلاحظ أن الجبرتى قد اعتمد فى نقل هذا الجزء اعتماداً كاملاً على المقريزى الذى أورد كل هذا الكلام .

٢- لمزيد من المعلومات عن أبناء الجيعان ومدى ما كان لهم من نفوذ وخاصة فى الإدارة المالية لمصر فى العصر المملوكى إلى أن قضى عليهم خاير بك فى بداية العصر العثمانى .
راجع – ابن اياس : مصدر سابق ، جـ٤ و جـ٥ .

بها نخل كثير وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد التى تزن بها الباعة ، يقال له الشيخ على الرطلى ، فنسبت إليه ، وفيها يقول بعضهم .

" شعر "

فى أرض طبـّالتنا بركة　　　مدهشة للعـين والعقـل
ترجح فى ميزان عقلى على　　　كـل بحـار الأرض بالرطـل

وقوله "فى أرض طبالبتنا بركة " ، يعنى أن هذه البركة من جملة أرض الطبالة ، والطبالة امرأة مغنية مشهورة فى آخر دولة الإخشيد ، فلما حضر المعز بن معد الفاطمى إلى مصر ، وكان يدعى الإمامة والخلافة دون بنى العباس ، فخرجت إليه بجوقتها ومشت أمامه تزفه بالدفوف وتقول :

يا بنـى العـباس ردوا　　　مُلْـك الأميـر معدّ
ملْكُكم ملـك معـار　　　والعـوارى تُسـترد

فأعجبه ذلك وأراد أن ينعم عليها ، فتمنت عليه أن يقطعها هذه الأرض ، فأقطعها إياها فعرفت بها . وبهذه البركة بقعة يطلع بها البشنين ، وهو اللينوفر ، يقوم على ساق ، ممتد ذلك الساق إلى أعلى على قدر عمق الماء ، بحيث تكون نوارة كل ساق مساوية لسطح الماء ، ونواره أصفر ، وهو على هيئة الورد المتفتح ، ويحيط بالورق الأصفر ورق أخضر ، وفى داخل الورق الأصفر عروق بيض ، يدور نواره مع الشمس حيث دارت . وفيه يقول [ص٢٢٢] بعضهم .

"شعر "

وبـركة تـزهو بلينـوفر　　　شبـهته طيبـة نشر الحبيب
مفتـح الأحـداق فى نومه　　　حتـى إذا الشمس دنت للمغـيب
أطبق جفـنيه على خـده　　　وغاص فى البركة خوف الرقيب (١)

١- عند مقارنة ما أورده الجبرتى هنا من معلومات عن البشنين وغيره يتضح أنه نقله عن محمد بن أبى السرور البكرى : "النزهة الزهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية "تحقيق عبد الرازق عيسى ، العربى للنشر ، القاهرة ١٩٩٨م .

ومما تخرب أيضاً حارة المقس من قبيل سوق الخشب إلى باب الحديد ، وجميع ما في ضمن ذلك من الحارات والدور ، وكذلك خطة العدوى والطنبلي والطرطوشي ، وصارت كلها خرايب متهدمة محترقة ، تسكب عند مشاهدتها العبرات ، وتتقطع النفس من الحسرات .

ودخل الفرنسيس إلى المدينة يسعون ، وإلى الناس بعين الحقد ينظرون ، واستولوا على ما كان اصطنعه وأعده العساكر العثمانية من المدافع والقنابر والبارود والجلل وآلات الحرب جميعه ، وركب المشايخ والأعيان عصر ذلك اليوم (١) وذهبوا إلى كبير الفرنسيس ، فلما وصلوا إلى داره ، وجلسوا ساعة ، أبرز إليهم ورقة مكتوب فيها : " النصرة لله الذي يريد أن المنصور يعمل بالشفقة والرحمة مع الناس ، وبناء على ذلك ، صارى عسكر العام يريد أن ينعم بالعفو العام والخاص على أهل مصر ، وعلى أهل بر مصر ، ولو كانوا يخالطون العثملى في الحروب ، وأنهم يشتغلوا بمعايشهم وصنايعهم " . ثم نبه عليهم بحضورهم إلى قبة النصر بكره تاريخه ، ثم قاموا من عنده وشقوا المدينة ، وطافوا بالأسواق ، وبين أيديهم المناداة للرعية بالأمان والاطمينان .

فلما أصبح ذلك اليوم (٢) خرجت المشايخ والوجاقلية والقلقات ، والنصارى القبط والشوام وغيرهم ، ودخل الموكب من باب النصر ، وقدامهم جماعة من القواسة ، يأمرون الناس بالقيام ، وبعض فرنساوية راكبين خيل ، بأيديهم سيوف مسلولة [ص٢٢٣] ينهرون الناس ويأمرونهم بالقيام ، ومن تباطئ في القيام أهانوه ، فاستمرت الناس وقوفاً من ابتدا سير الموكب إلى انتهايه ، ثم تلى

١- يوم الجمعة غرة ذى الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٢٥ أبريل ١٨٠٠م .

٢- السبت ٢ ذو الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٢٦ أبريل ١٨٠٠م .

الطايفة الآمرة للناس بالوقوف جمع كثير من الهجانة الفرنساوية بأيديهم سيوف مسلولة ، وكلهم لابسون جوخاً أحمر ، وعلى رؤسهم طراطير من القراوى ، على غير هيئة خيالتهم ومشاتهم ، ثم تتالى بعد هؤلاء طوايف العساكر ببوقاتهم وطبولهم وزمورهم ، واختلاف أشكالهم وأجناسهم وملابسهم ، من خيالة ورجالة ، إلى أن قدم كبير الفرنسيس وخلف ظهره عثمان بيك البرديسى ، وعثمان بيك الأشقر ، ووراهم طوايف من خيالة الفرنسيس ، ولما انقضى أمر الموكب ، نادوا بزينة البلد ثلاثة أيام أخرها الثلاثا (١) مع السهر ووقود القناديل .

ثم دعاهم فى يوم الأربعا(٢) ومد لهم سماطاً عظيماً ، فيه أصناف المأكولات على طريقة أهل مصر ، وبعد انقضا الوليمة والطعام ، خاطبهم على لسان الترجمان ، أن صارى عسكر يقول لكم أنكم تأتون إليه بعد غد يوم الجمعة ، ويعمل لكم تدبيراً ويرتب لكم الديوان ، لأجل تنظيم البلد وصلاح حالكم وحال الرعية .

ولبسوا فى ذلك اليوم ، محمد أغا الطنانى أغاة مستحفظان ، ولبّسوا البكرى فروة ، وأعطوه بيت البارودى ، عوضاً عن بيته بالأزبكية ، ثم انفض المجلس ، وقاموا من عنده مستبشرين ، مغترين بالصورة الظاهرة . وركب الأغا ونادى فى البلد بالأمن والأمان .

فلما كان يوم الخميس سابعه (٣) ذهب كبير الفرنسيس ، وعظماوهم وعسكرهم إلى جزيرة الذهب ، باستدعا مراد بيك لهم ، وموعد بينه وبينهم ، فصنع لهم أطعمة ، ومد لهم أسمطة عظيمة (٤) وانبسط معهم ، وافتخر افتخاراً زايداً ، وأهدى لهم الهدايا ، وقدم [ص٢٢٤] لهم التقادم العظيمة وأعطاهم ما كان جمعه

١- يوم الثلاثاء ٥ ذو الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٢٩ أبريل ١٨٠٠م .
٢- يوم الأربعاء ٦ ذو الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٣٠ أبريل ١٨٠٠م .
٣- يوم الخميس ٧ ذو الحجة ١٢١٤هـ الموافق ١ مايو ١٨٠٠م .
٤- فى النسخة (ب) "سماطاً عظيماً".

درويش باشا من الصعيد ، وأرسله لمن بمصر من العساكر العثمانية ، من الميرة والأغنام وغيرها ، وكان قد حجزه مراد بيك عنده ، وهو مقيم بطرا ، وكان شيا كثيراً فيه من الأغنام نحو أربعة آلاف .

وفى ذلك اليوم ، ولوه إمارة الصعيد ، من دجرجا إلى أسنا .

فلما كان فى صبحها يوم الجمعة (١) بكروا فى الذهاب إلى بيت كبير الفرنسيس ، ولما جلسوا بالديوان الخارج ، أهملوا حصة طويلة ، لم يؤذن لهم ولم يخاطبوا ، ثم طلبوا إلى المجلس الداخل ، وأهملوا كذلك حصة مثل الأولى ، ثم خرج عليهم كبير الفرنسيس ، وصحبته الترجمان وجماعة من أعيانهم فوضع له كرسى بوسط المجلس ، ووقف الترجمان وأصحابه حوله ، واصطف الوجاقلية والحكام ناحية ، وأعيان النصارى والتجار ناحية ، وحضر عثمان بيك الأشقر ، وعثمان بيك البرديسى ، فأخرج صارى عسكر ورقة من كمه ، وتكلم بما فيها ، وترجم عنه الترجمان فقال للحاضرين ، أن صارى عسكر يقول لكم أنه عفى عنكم مع استحقاقكم للعقوبة ، وإنما يطلب منكم عشرة آلاف ألف فرنج (٢) وذلك مقدار ألفى ألف فرانسه ، منها على الشيخ السادات ماية وخمسون ألفاً ، والشيخ محمد ابن الجوهرى خمسون ألفاً ، وأخوه السيد عبد الفتاح مثلها ، والشيخ مصطفى الصاوى مثلها ، والشيخ العنانى خمسة عشر ألفاً ، وماتان وخمسون ألفاً نقتطعها عنكم من المبلغ نظير نهب دور (٣) الفارين مع العثمنلى ، [ص٢٢٥] مثل السيد عمر والمحروقى وحسين أغا شنن ، وتدبروا رأيكم

١- يوم الجمعة ٨ ذو الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٢ مايو ١٨٠٠م ، وننوه إلى أن يوم الجمعة يوافق ٧ ذو الحجة فى تقويم مختار باشا .

٢- فى النسخة (ب) " عشرة آلاف ألف اريال إفرنجى " وفى عجائب الآثار "عشرة آلاف ألف ألف فرنك ".

٣- كلمة " دور " غير موجودة فى النسخة (أ) .

فى الباقى توزعوه على أهل البلد . وقام من فوره ودخل مع أصحابه إلى مكانه ، وغلق بينه وبينهم الباب ، ووقف عسكراً على الباب الذى فيه الجماعة ، يمنعون من يخرج من الجالسين ، فبهت الجماعة ، وامتقعت وجوههم ، وتحيرت أفكارهم ، ونظر بعضهم إلى بعض ، وترامو على يعقوب القبطى وأنظاره ، فدخل على كبير الفرنسيس وخرج يقول أنه قال : يبقى منكم خمسة عشر شخصاً رهينة ، حتى يتغلق المطلوب ، فقالوا : "وكيف نعمل ، ومن يقدر علي هذا المقدار العظيم ، وإذا كنا محبوسين من يسعى فى ذلك ولم يزالوا فى هذه الحيرة والتداخل على القبطة إلى قبيل العصر ، حتى بال أكثرهم على ثيابه ، وبعضهم " شر شر " من الشبابيك المطلة على البركة ، والشيخ محمد المهدى يتشاور مع يعقوب ، ومن له التكلم فى تدبير ذلك وتوزيعه وترتيبه ، وعملوا بذلك قوايم ، وشرعوا فى تحرير دفاتر ، حتى ضاق الوقت ، فاستأذنوا للجماعة ، فأذنوا لهم بالذهاب ، وركب الشيخ السادات ، فلزمه عشرة من العسكر ببنادقهم ، وذهبوا معه إلى داره ، وأما الشيخ الصاوى والسيد عبد الفتاح الجوهرى ، فحبسوهما ببيت قايمقام ، والشيخ العنانى لم يحضر تلك الجمعية ، بل هرب من قبل ، وكانت داره قد احترقت مدة الحرب بسوق الخشب ، ولما لم يجدوه ، أضافوا غرامته على باقى الغرامات ، وانفض المجلس على ذلك ، وركب كبير الفرنسيس من يومه ، وعدى إلى الجيزة ، وأقام بقصر مراد بيك ، وفوض أمر ذلك ليعقوب [ص٢٢٦] القبطى ، يفعل فى المسلمين ما يشاء . وأقام بمصر قايمقام والخازندار ، لمرجع الأمور والمشورة والتدبير وقبض الأموال ، وشرعوا فى تفريد الغرامات ، وتوزيعها وتقسيمها على عموم الناس وخاصتهم من الملتزمين والتجار والمتسببين ، وجماعة الغورية وخان الخليلى والصاغة والنحاسين والدلالين والقبانية ، حتى قضاة المحاكم ، وأهل الجمالية وساير الأخطاط ، بما

تحوى من الوكايل والعطارين والزياتين والجزارين والمزينين والحدادين وجميع الصنايع والحرف ، حتى الحواة والمزلكين والمفاخرين والقرايداتية والأمور السافلة ، كل طايفة من هذه الطوايف [1] الزمت بمال له صورة ، مثل ثلاثين ألف ريال فرانسة إلى ثلاثماية فما فوق .

وأما الشيخ السادات ، فإنه لما توجه إلى داره وصحبته العسكر ، جلس العسكر عند بابه فلما مضت حصة من الليل[2] حضر إليه مقدار عشرة من العسكر أيضاً ، فأركبوه وطلعوا به إلى القلعة وحبسوه في مكان ، فأرسل إلى عثمان بيك البرديسي فتكلم في شأنه ، فقال كبير الفرنسيس :" أما القتل فلا نقتله، وأما المال فلابد من دفعه " ثم قبضوا على مقدمه وفراشه وحبسوهما أيضاً، ثم أنزلوه إلى بيت قايمقام ، فحبس به يومين ، ثم أصعدوه إلى القلعة ثانياً ، وسجنوه في حاصل مظلم ، ينام فيه من غير فراش ، فطلب زين الفقار كتخدا ، فطلع إليه هو وبرطملين ، فتوسطا في إنزاله إلى داره ، ليقضي أشغاله ويسعى في تحصيل المطلوب ، فأنزلوه فجمع ما أمكنه من النقد ، وما وجده من المصاغ [ص٢٢٧] والفراء والملابس فقوموه بأبخس الأثمان ، فبلغ المدفوع نقدية ومقومات ، إحدى وعشرين ألف فرانسة ، كل هذا والمحافظون عليه من العسكر ملازمون له ، لا يفارقونه ولا يتركوه يدخل إلى حريمه ، وكان الحريم اختفى بمكان . فلما فرغوا

١–نظام طوائف الحرف : كان الصناع والحرفيون ينتظمون في طوائف متعددة لها نظام دقيق ، ولكل طائفة شيخ أو نقيب يشرف عليهم ويدبر شئونهم وقد استمر نظام طوائف الحرف في مصر طوال العصر العثماني والقرن التاسع عشر حتى تم الغاؤه عام ١٨٩١ م.لمزيد من المعلومات راجع :د. عبد السلام عامر : طوائف الحرف في مصر في القرن التاسع عشر .هـ . م . ع ، سلسلة تاريخ المصريين .

٢– ليلة يوم السبت ٩ من ذى الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٣ مايو ١٨٠٠م .

من تقويم الأعيان ، وقبض الدراهم جاسوا خلال الديار يفتشون ويحفرون الأرض ، حتى فتحوا الكنيفات[1] فلم يجدوا شيئاً ثم نقلوه إلى بيت قايمقام وشددوا عليه بالحبس والضرب ، وطلبوا حريمه وابنه فلم يجدوهما ، فأحضروا ابن النوبى تابعه، وقرروه وهددوه ، فعرفهم بمكانهما ، فأحضروهما وحبسوا ابنه عند أغاة الإنكشارية وحبسوا حريمه معه ، لترى وتشاهد ما هو فيه من الضيق والإهانة ، فتقر بالدراهم ، ثم إن الشيخ الشرقاوى والمهدى والفيومى وزين الفقار كتخدا تشفعوا فى نقلها إلى مكان أخر ، فنقلوها إلى بيت الفيومى ، وبقى الشيخ على حاله ، وأخذوا يقررون أتباعه على ما يعلمونه [2] فتغيب أكثر أتباعه واختفى وقد وقعت المراجعة والشفاعة فى غرامة الشيخ الصاوى والشيخ عبد الفتاح الجوهرى ، فأنقصوهما ، وتقرر على كل منهما خمسة عشر ألف فرانسة ، وردوا الباقى على الفردة العامة . وأما الشيخ محمد ابن الشيخ الجوهرى فإنه اختفى ، فلم يجدوه ، فنهبوا داره ، ودار نسيبه وصهره المعروف بالشويخ ، ثم أنه توسل سراً بالست نفيسة زوجة مراد بيك ، وهو بالقرب من الفشن ، فأرسل من طرفه كاشفاً ، وتشفع فيه ، فقبلوا شفاعته ورفعوها [ص٢٢٨] عنه ، وردوها أيضاً على الفردة العامة ، وكان هذا شأنهم كلما وقعت المرافعة فى شئ ردوه على الباقى ، ولا ينقصون مما قدروه فى الأصل

١- المراحيض .

٢- كان كليبر قد اشتبه فى أن الشيخ السادات هو المسئول عن ثورة القاهرة الثانية لذا فقد جرى إلقاء القبض عليه وسجنه فى القلعة وضربه مرتين فى اليوم لإجباره على دفع ضريبته الضخمة ، وهو يتوسل إلى كليبر بعدم إهانته ويقول له "ولم يحدث قط أن والدى ولا من ربونى قد ضربنى ، على العكس ، أن الكبراء والعلماء قد كرمونى واحترمونى دائماً، وقد أبدى الأمراء الاحترامات نفسها"هنرى لورنس :مرجع سابق ، ص ٤٩٢

شيئاً . ثم إن يعقوب "اللعين"[1] عمل ديواناً لخاصة نفسه ، ورتبه ببيت البارودى ، وأحضر المباشرين ، ومشايخ الحرف والأخطاط ، وكتبوا القوايم ، وقرر على الأماكن والعقارات والأوقاف أجرة سنة ، وألزم كل كبير فى خطة بتحصيل ما تقرر على جهته ، وأعطوهم عسكراً من الفرنسيس يستعينون بهم فى التحصيل . وعمل كل كبير فى جهة له ديواناً ، واجتمع عنده كتبة مختصة به ، قبطة ومسلمون وأعوان ، وبعض من عسكر الفرنسيس ، فطلبوا من الناس ضعف ما قرره يعقوب ، ليكتسبوه لأنفسهم ، وبثوا أعوانهم من القواسة وعسكر الفرنسيس ، فى طلب الناس وحبسهم وضربهم وعقابهم ، والمرجع فى ذلك كله إلى الديوان الكبير ، وهو ديوان يعقوب ، فدهى الناس بهذه الداهية التى لم يصابوا بمثلها ولا ما يقاربها .
ومضى عيد النحر [2] ولم يشعر به أحد، ونزل بهم من البلا والذل ما لا يوصف ، فإن الواحد من الناس غنياً كان أو فقيراً لابد و أن يكون من ذوى الصنايع أو الحرف ، فيلزمه شقص [3] ما وزع عليه فى حرفته أو حرفتيه ، وأجرة داره أيضاً وحانوته سنة معجلة ، فكان يأتى على الشخص الواحد غرامتان أو ثلاثة أو أكثر ، إذ قد يتجر الإنسان فى بضايع متعددة ، وكل نوع من أنواع المتاجر ألزم أهله بغرامة ، وفرغت من الناس الدراهم ، واحتاج كل واحد إلى الاقتراض ، فلم يجد من يدفع له على [ص٢٢٩] سبيل الاقتراض لاشتغال كل إنسان بغرامته ومصيبته، فاضطروا لبيع المتاع ، فلم يجدوا من يشتريه أيضاً ، وإذا أعطوهم ذلك

١- كلمة " اللعين " محذوفة من عجائب الآثار .
٢- عيد النحر يوافق يوم الأحد ١٠ من ذى الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٤ مايو ١٨٠٠م .
٣- الشِقْص بكسر الشين القطعة من الأرض والطائفة من الشئ [مختار الصحاح] والمقصود يدفع نصيبه من الفردة .

فلا يقبلوه ، فضاق خناق الناس وتمنوا الموت فلم يجدوه . ثم وقع الترجى فى قبول المصاغ والحلى وأوانى الذهب والفضة ، فإذا أحضر الإنسان ما عنده (١) قوم بأبخس الأثمان ، وأما آثاث البيوت من فرش ونحاس وملبس ، فلا يوجد من يأخذوه ، وأمروا بجمع البغال ، ومنعوا المسلمين من ركوبها مطلقاً ، سوى خمسة أنفار ، وهم الشرقاوى والمهدى والفيومى والأمير وأحمد بن محمود محرم ، والنصارى لا حرج عليهم فى ذلك .

وفى كل وقت وحين ، يشتد الطلب وتنبث المعينون من القواسة والعسكر فى طلب الناس ، وهجم الدور وسحب الأشخاص ، بالكره والعنف ، حتى النسا من أكابر وأصاغر فيأتون بهم على أسوأ حال ، ويهينوهم ويحبسوهم ويضربونهم ، والذى لم يجدوه لفراره أو اختفايه ، يقبضون على ابنه أو زوجته أو قريبه ، أو ينهبون داره ، فإن لم يجدوا شيئاً ردوا غرامته على أبناء جنسه وأهل حرفته إن كانت الغرامة من قبل الحرفة ، فإن كانت من قبل الحانوت أو المنزل ردوها على جيرانه ، وتطاولت النصارى البلدية على المسلمين بالسب والضرب (٢) والاستهزاء والسخرية ، ونالوا منهم أغراضهم ، وطعنوا فى دين الإسلام ، وصرحوا بانقضايه وإذا ضربوا مسلماً وتألم واستغاث ، يقولون له :"وأين محمدكم الذى تزعمون أنه يشفع لكم "، وأمثال هذا الكلام الذى يقشعر القلب من سماعه . هذا والكتبة والمهندسون والبانون [ص٢٣٠] يطوفون ويحررون أجر الأماكن والعقارات ، ويكتبون أسماء أربابها وقيمتها . وخرجت الناس من المدينة ، وهربوا إلى القرى والأرياف .

١- " ما عنده " غير موجودة فى النسخة (ب) .

٢- كلمة "بالسب " غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من بقية النسخ .

وكان ممن خرج من مصر ، صاحبنا المشار إليه [1] فتوجه لجهة الصعيد وأقام بأسيوط ، حتى لم يبق بمصر أحد من الفرنسيس رجع ، فكانت مدة غيبته نحو ثمانية عشر شهراً ، وكان كثيراً ما يراسلني بالمكاتبة ، ويبالغ في ذكر تشوقه إلى مصر . ومن جملة رسايله ، وقد أرسلت له كتاباً فأجاب بقوله :" قد وصل إلى – أعزك الله – كتابك . الذي بَرّدَ – بوروده – لهيب الحشا ، وأودع من البلاغة مانطق بأن الفضل بيد الله يوتيه من يشا ، فهو كالبُرد الموشى ، والروض الذي هو بلآلي الزهو مُفَشى ، جاء مفصحاً عن بلاغةٍ وبراعةٍ ، منبياً عن قريحةٍ لدى تحرير القول وتحبيره منقادة منطاعة .

شعر

ففي كل سطر منه شطر من المنى وفي كل لفظ منه عقد من الدر

فلله هو من كتاب ، جمع محاسن الخطاب ، حرك عندي ما كان كامناً في الفؤاد ، وأضرم في الأحشا نار الهوى كوري الزناد ، وطالما كنت متشوقاً لأخبار ، ومتشوفاً لاستعلام أحوال وآثار ، فجاء كتابك يا سيدي شافياً عليل التذكر ، مبرداً غليل التشوق والتفكر ، سرت حميا ألفاظه في فؤاد المشوق ، ووقعت عنده موقع لقا العاشق المعشوق ، فلله من كتاب أخبر عن محاسن الأحبة ، وقال له القلب [2] حين مازجه وحبه ، إيه أحاديث نعمان وساكنه ، [ص٢٢١] وهات حديث عن نجد وقاطنه ، تلك شؤون طال بها العهد ، وأنجر عليها ذيل الحوادث وامتد ، وما كنت

١– يقصد الشيخ حسن العطار .

٢– كلمة "القلب" غير موجودة في النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .

أوثر أن يمتد بى الزمان ، حتى أرى الأسفار تتلاعب بى كالكرة فى ميدان البلدان ، حصل لى القهر بخروجى من القاهرة ، واغْبَرّ أخضر أيامى الزاهرة ، ولقد الجأتنى خطوب الأغراب ، واضطرتنى شؤون السفر الذى هو قطعة من العذاب ، إلى التقلب فى قوالب الاكتساب ، والتلبس بتلبيس الانتساب ، وإخفا معالم المجى والذهاب .

شعر

فطوراً شيخ زاوية وفقر   وأخرى كاتب فى باب والى

أسلك الوفاق مع الرفاق ، ولا أركب المشاق بجلب الشقاق : [1]

طوراً إيمان إذا لاقيت ذا يمن   وإن رأيت معدياً فعد يانى[2]

وبهذا وأشباهه تم الدست ، وثبت حبل الحبالة آمناً من السبت ، بأخذى بالتخلق بأخلاق من عاصرنا من أبناء الدهر ، الذى حلبوا أشطره ، ومارسوا أخضر العيش وأغبره ، حتى انطبعت فى مرآة عقولهم حقايق الأشيا ، ولاحت لهم أكنتها بغير خفا ، وغير خاف أن الماء يمازج اللبن والراح ، وكما يكون به الحتف يكون به الارتياح .

شعر

لئن كنت فى بعض المواضع عالماً   فَلَلْجَهل فى بعض المواضع أحوج

١- هذا السطر كتب كبيت شعر فى النسخة (ب) ولكنه كتب نثراً فى بقية النسخ وفى عجائب الآثار .

٢- فى النسخة (ب) وفى عجائب الآثار ، وفى طبعة التربية والتعليم ، ولجنة البيان العربى "فعد نانى" ولكنها غير مفهومة ولا يستقيم بها المعنى ، فأثبتناها من بقية النسخ .

[فصل]

"وقد كدت من الشوق الذى اجتلبه كتابك أطير بلا جناح ، وأركب متن اليم بائياً (١) بالهلك أو النجاح ، وكان من أقوى أسباب القدوم ، مشاهدة طلعتكم المزرية بأزاهر النجوم ، ولقى أحباب ينفتح بهم باب المسرة ، ويفوح عبير الرياض التى بعدنا صارت مغبرة [ص٢٣٢] فحين عزمت على السفر وصممت وأخذت فى الاستعداد وتأهبت ، حدثت عوايق فى الطريق وموانع ، ولا وزر مما قضى الله شافع ، بسبب الكرنتينات ، التى هى من البلا والآفات ، أقيمت كالشجا فى فم البر والبحر ، بداعية أمر الطاعون الذى يتلى علينا من حديثه سورة الانشقاق والفجر ، وحلوله بالقاهرة وضواحيها ، وانتشاره فى أرجايها ونواحيها ، وكل هذا هين بالنسبة للمتوقع ، التى كادت الأفئدة من أصغره السابق تتقطع ، وبه كان فراقى للوطن ، ونبوى عن الأهل والسكن ، فحينئذ تحققت أن لا خلاص ، من هذه البلاد ولات حين مناص ، إذ لا يلدغ مسلم من جحر مرتين ، ولا يكر العاقل على نفسه بالندامة كرتين ، فراجعت نفسى عما عزمت عليه من السفر ، وأشفقت عليها من ورود موارد الخطل والخطر ، وخاطبت ما هجس فى البال ، من السفر والارتحال ، الذى قواه مطالعة كتابك ، وأيقظه من رقدته سحر خطابك .

" شعر "

طَرَقَتْكَ صايدة القلوب وليس ذا   وقت الزيارة فارجعـى بسلام "

ثم أطال فى أغراض أخرى ، وجال فى أساليب الكلام وفنونه .

ثم رجع أكثر الفارين لضيق القرى ، وعدم ما يتعيشون به فيها واختلاف

١- فى النسخة (أ) "باينا" وفى النسخة (ب) "بائياً" وفى عجائب الآثار "أبياً" وربما المقصود "أبياً" أى عائداً ، أو "باينا" أى مفارقاً .

الأرياف وانزعاجها ، بقطاع الطريق والعرب والمناسر بالليل والنهار ، والقتل فيما بينهم ، وتعدى القوى على الضعيف . واستمرت أسواق المدينة مجفرة ، والطرق معفرة ، والحوانيت مقفولة ، والعقول مخبولة ، والوكايل مغلوقة ، والنفوس [ص٢٣٣] مطبوقة ، والغرامات هاطلة ، والأرزاق عاطلة ، والمطالب عظيمة ، والمصايب عميمة ، والمكوسات مقصودة ، والشفاعات مردودة ، وإذا أراد الإنسان، أن يفر إلى أبعد مكان ، وينجو بنفسه ، ويرضى بغير أبناء جنسه ، لا يجد طريقاً للذهاب ، وخصوصاً من أشرار الأعراب ، الذين هم أقبح الأجناس ، وأعظم بلاء محيط بالناس . وبالجملة فالأمر عظيم ، والخطب جسيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، و [كذلك أخْذُ ربك إذاأخَذَ القرى وهى ظالمة ، إن أخْذَهُ أليم شديد] (١)

وفى عشرينه(٢) انتقلوا بديوان الفردة من بيت البارودى إلى بيت القيسرلى بالميدان ، ووقع التشديد فى الطلب ، والانتقام بأدنى سبب .

مجمل حوادث عام١٢١٤هـ (٣)

وانقضى هذا العام (٤) وما جرى فيه من الحوادث العظام ، بإقليم مصر

١- سورة هود الآية رقم ١٠٢ .

٢- يوم الأربعاء ٢٠ ذى الحجة ١٢١٤هـ الموافق ١٤ مايو ١٨٠٠م .

٣- العنوان من وضع المحققين .

٤- كلمة "العام" غير موجودة فى النسخة (ب) وأثبتناها من بقية النسخ وكان انقضائه يوم السبت ٣٠ من ذى الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٢٤ مايو ١٨٠٠م . وننوه إلى أن يوم السبت ٢٤ مايو ١٨٠٠م يوافق ٢٩ ذو الحجة فى تقويم مختار باشا وهو غاية الشهر عنده أيضاً .

والشام ، والروم والبيت الحرام ، فمنها وهو أعظمها ، تعطيل الثغور ، ومنع المسافرين براً وبحراً ، ووقوف الإنكليز بثغر الأسكندرية ودمياط ، يمنعون الصادر والوارد ، وتخطوا بمراكبهم أيضاً إلى بحر القلزم .

ومنها انقطاع الحج فى هذا العام أيضاً .

ومنها وقوف العرب وقطاع الطريق ، بجميع الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية والمنوفية والدقهلية ، وساير النواحى ، فمنعوا السبل ولو بالخفارة ، وقطعوا طريق السفار ، ونهبوا المارين من أبناء السبيل والتجار ، وتسلطوا على القرى والفلاحين وأهل البلاد ، بالعرى والخطف للمتاع والمواشى من البقر والغنم والجمال والحمير ، وإفساد المزارع ورعيها ، حتى كان أهل البلاد لا يمكنهم الخروج بمواشيهم [ص٢٣٤] إلى المزارع للرعى أو للسقى ، لترصد العرب لذلك ، ووثب أهل القرى على بعضهم ، وتلبسوا بأنواع الشرور ، واستعان بعضهم على بعض بالعرب ، فداخلوهم وتطاولوا عليهم وضربوا عليهم الضرايب ، وتقوى القوى على الضعيف ، وطمعت العرب فى أهل البلاد ، وطالبوهم بالثارات والعوايد القديمة الكذابة ، وأن وقت حصاد الزروع ، فاضطروا لمسالمتهم . ولما انقضت حروب الفرنسيس ، نزل عسكرهم إلى البلاد ، واحتجوا على الفلاحين بمصادقتهم للعرب ، فنهبوهم وطالبوهم بالمغارم والكلف الشاقة ، فإذا انتقلوا عنهم رجعت العرب على أثرهم ، فلا يمكن أهل البلاد منعهم ، وهكذا استمر الحال .

ومنها أن النيل قصر مَدُهُ فى هذه السنة ، فشرقت (١) البلاد ، وارتحل أهل

١- شرقت الأرض أى جفت وتشققت من قلة الماء .

البحيرة إلى المنوفية والغربية (١) فانسحبت أرجل عربان البحيرة معهم ، وبقى لهم – كما قال العامة فى المثل – بالحى نخيل .

ومنها أنه لما حضرت عساكر العثمانية ، وشاع أمر الصلح وخضوع الفرنساوية ، نزل طايفة من الفرنسيس إلى المنوفية ، وطلبوا من أهلها كلفة لرحيلهم ، فلما مروا بالمحلة الكبيرة ، تعصب أهلها ، واجتمعوا على قاضيها ، وخرجوا لحربهم ، فاكمن الفرنسيس لهم ، وضربوهم بالمدافع والبنادق ، فمات من أهل البلد نيف وستماية إنسان ، وفيهم القاضى وغيره ، ولم ينجح منهم إلا من فرّ، وكذلك أهل طندتا (٢) عند حضور الفرنسيس إليهم ، صادف أنه وصل إليهم رجل من الجرارين المنتسبين للعثمانية من جهة الشرق ، بقصد زيارة سيدى أحمد البدوى ، وهو راكب على [ص٢٣٥] فرس وحوله نحو خمسة أنفار ، وكان بعض الفرنسيس بداخل البلدة يقضون أشغالهم ، فصاحت السوقة والباعة ، عند رؤية ذلك الرجل بقولهم "نصر الله دين الإسلام" ، وهاجوا وماجوا ، وزغرطت النساء

١– كانت مديرية البحيرة أول من يتأثر بالفيضان المنخفض وذلك لارتفاع أرضها نسبياً عن وسط الدلتا .

٢– طنطا : قاعدة مديرية الغربية وهى من المدن القديمة ذكرها أميلينو فى جغرافيته فقال أن أسمها القبطى "Tantatho" طنتا سو ، وفى كتب الديوان مثل قوانين ابن مماتى وتحفة الإرشاد والتحفة : طندتا من أعمال الغربية – وزادت شهرة هذه المدينة لوجود قبر السيد أحمد البدوى بها . ومنذ عام ١٨٣٦ حولت عاصمة مديرية الغربية من المحلة الكبرى لطنطا لأنها تتمركز فى وسط البلاد .

وطنطا من أشهر المدن المصرية وأكبرها ومما زاد فى عمارتها وأهميتها وقوعها فى وسط الدلتا ووجود محطة سكة حديد كبيرة بها يتفرع منها شبكة من الطرق الحديثة .

راجع . محمد رمزى – مرجع سابق – القسم الثانى جـ٢ ص ١٠٢ .

والصبيان ، وسخروا بالفرنسيس ، وترامـوا بما على روسهم ، وضربوهم وجرجروهم وطردوهم ، فتسحبوا من عندهم فغابوا ثلاثة أيام ، ورجعوا إليهم بجمع من عسكرهم ، ومعهم آلات الحرب والمدافع ، فاحتاطوا بالبلدة ، وضربوا عليها مدفعاً ، ثم هجموا على البلد ودخلوها وبأيديهم السيوف مسلولة ، ويقدمهم طبلهم . وطلبوا خدمة الضريح الذين يقال لهم أولاد الخادم ، وهم ملتزمون البلدة وأكابرها ، ومتهمون بكثرة المال ، وكانوا قبل ذلك بنحو ثلاثة أشهر قبضوا عليهم بإغرا نصارى القبط ، وأخذوا منهم خمسة عشر ألف ريال فرانسة ، بحجة مسالمتهم للعرب ، فلما وصلوا إلى دورهم طلبوهم ، وأخذوهم خارج البلد وقيدوهم ، وأقاموا نحو خمسة أيام يأخذون كل يوم من البلد كلفة وقدرها من الدراهم ستماية ريال ، ومن الأغنام والجواميس والأقوات شئ كثير . ثم ارتحلوا وأخذوا المذكورين صحبتهم إلى منوف وحبسوهم أياماً ، ثم نقلوهم إلى الجيزة فى مدة الحرب بمصر، فلما انقضت تلك الأيام ، ومشت عساكرهم فى البلاد ، نزلت طايفة إلى طندتا [1] وبصحبتهم الجماعة المذكورين ، وقرروا عليهم أحدى وخمسين ألف ريال فرانسة ، وعلى أهل البلد ماية ألف ، وأقاموا حول البلد محافظين عليهم ، وأطلقوا بعضهم ، وحجزوا المسمى بمصطفى الخادم ، لأنه صاحب الأكثر فى الوظيفة والالتزام ، وطالبوه [ص٢٣٦] بالمال ، وفى كل وقت ينوعون عليه العقاب والعذاب والضرب ، حتى على كفوف يديه ورجليه ، ويربطونه بالشمس فى قوة الحر

١- كتبت فى النسخة (ب) "طانطة" .

والوقت مصيف ، وهو رجل جسيم كبير الكرش ، فخرجت له نفاخات ، ثم أخذوا خليفة المقام ، وذهبوا به إلى منوف ، ثم ردوه وواوه رأسة (١) جمع الدراهم المطلوبة من البلد ، فوزعت على الدور والحوانيت والمعاصر وغير ذلك ، واستمر الحال على ذلك إلى آخر العام ، حتى أخذوا الطلايع الذهب التى على المقام ، وكانت من ذهب خالص ، زنتها نحو خمسة آلاف مثقال . وأما المحلة الكبرى فإنهم رجعوا عليها ، وجعلوا عليها نيفاً وماية ألف ريال فرانسة ، وأخذوا فى تحصيلها وتوزيعها على الناس ، وهجموا عليهم الدور ، وتتبعوا الأغنيا من أهلها ، كل ذلك مع استمرار طلب الكلف الشاقة فى كل يوم ، منها ومن طندتا ، والتعنت عليهم وتسلط طوايف الكشوفية التابعين لهم ، الذين هم أقبح فى الظلم من الفرنسيس ، بل ومن العرب فإنهم معظم البلا أيضاً ، لأنهم يعرفون دسايس البلاد و خفياتها ويتتبعون أحوال أهلها ، ويتجسسون على عوراتهم ، ويغرون بهم ، واستمروا على ذلك أيضاً .

ومنها أنه لما وقع الصلح بين العثمانية والفرنساوية أرسل حضرة الوزير فرمانات إلى الثغور بإطلاق الأساقيل وحضور المراكب والتجار بالبضايع والتجارات إلى الثغور المصرية ، فحضر عدة مراكب إلى ثغر الأسكندرية ، وصحبتها ثلاثة غلايين سلطانية ، وسفن مشحونة بالذخيرة لحضرة الوزير ولوازم العسكر ، فلما قربوا من الثغر أقامت أهل المراكب البنديرات ، [ص٢٣٧] وضربوا مدافع للشنك ، فطمعهم الفرنساوية ، وأظهروا لهم المسالمة ، وأقاموا لهم البنديرات

١- هكذا فى جميع النسخ والصواب "رئاسة" .

العثمانية ، فدخلوا إلى المينة ، ورموا المراسى ، ووقعوا فى فخ الفرنسيس ، فاستولوا على الجميع وأخذوا مدافعهم وسلاحهم ، وحبسوا القباطين وأعيان التجار ، وأخذوا المراكبية والغليونجية والمتسببين وأكثرهم نصارى أروام ونجرجية، وهم عدة وافرة ، وأعطوهم سلاحاً ، وتزيا البعض بزيهم وأضافوهم إلى عساكرهم ، وأرسلوا منهم طايفة لمصر ، فكانوا أقبح حالاً من الفرنسيس فى تسلطهم بالإيذا على المسلمين . ثم أخرجوا شحنة المراكب من بضايع ويميش وحازوه بأجمعه لأنفسهم ، وكان ذلك فى وسط شهر ذى القعدة . (١)

ومنها أنه بعد نقض الصلح أرسل الفرنسيس عسكراً إلى متسلم السويس الذى كان تولاها من طرف حضرة الوزير فتعصب معه أهل البندر وحاربوهم فتغلب الفرنسيس وقتلوا جماعة ونهبوا البندر وما فيه من أنواع المتجر ، بحواصل التجار وغير ذلك .

ومنها أن مراد بيك عند توجهه للصعيد ، بعد انقضا الصلح أخذ ما جمعه درويش باشا من الصعيد ، من أغنام وخيول وميرة ، وكان شيئاً كثيراً ، فتسلم الجميع منه ، وعدى درويش باشا للجهة الشرقية متوجهاً إلى الشام ، وأرسل مراد بيك ما تسلمه لكبير الفرنسيس بمصر (٢)

١- أى تقريباً يوم الخميس ١٥ ذى القعدة ١٢١٤هـ الموافق١٠ أبريل ١٨٠٠ م فى الوقت الذى كانت فيه الثورة فى القاهرة مشتعلة .

٢- سبق أن ذكر المؤلف ذلك فى يوميته بتاريخ يوم الخميس ٧ ذو الحجة ١٢١٤هـ والمعتاد أن الجبرتى يجمل الحوادث التى لم يستطع ضبط تاريخها .

ومنها أنه بعد انقضا المحاربة ، واستيلا الفرنسيس على المخازن والغلال التى جمعها العثمانية من البلاد الشرقية وبعض البلاد الغربية وغيرها ، والشعير والتبن ، طلب [ص٢٣٨] الفرنساوية مثل ذلك ، وفردوا على البلاد غلالاً وشعيراً وفولاً وتبناً وزادوا خيلاً وجمالاً ، فوقع على كل إقليم ألف فرس وألف جمل ، سوى ما يدفع مصالحة على قبولها نحو ثمنها وأزيد ، وكذلك التعنت فى نقص الغلال وغربلتها ، وغير ذلك ، وكل ذلك بإرشاد النصارى القبطة لأنهم هم الذين تقلدوا المناصب الجليلة ، وتقاسموا الأقاليم ، والتزموا لهم بجمع الأموال ، ونزل كل كبير منهم إلى إقليم وأقام أبهة نفسه ، وتمثل فى صورة أمير كبير ، ومعه عدة من العساكر الفرنساوية ، وصحبته الكتبة والصيارف والأتباع والأجناد من الغز البطالة وغيرهم ، والخيام والخدم والفراشون والطباخون والحجّاب ، وتقاد بين يديه النجايب [1] والبغال والرهوانات والخيول المسومة ، والقواسة والمقدمون ، وبأيديهم الحراب المفضضة والمذهبة والأسلحة الكاملة ، ويرسل إلى ولايات الأقاليم من جهته المستوفيين من القبط أيضاً بمنزلة الكشاف ، ومعهم العسكر من الفرنسيس والطوايف والجاويشية والصيارف والمقدمون على الشرح المار ، فينزلون على البلاد والقرى ، ويطلبون المال والكلف الشاقة بالعسف ، ويضربون لهم أجلا بالساعات ، فإن مضت ولم يوفوهم المطلوب حل بهم ما حل من الحرق والنهب

١- المقصود "النجائب" وهى الخيول الأصيلة النجيبة .

والسلب والسبى ، وخصوصاً إذا فرّ مشايخ البلدة من خوفهم وعدم قدرتهم ، وإلا قبضوا عليهم ، وضربوهم بالمقارع والكسارات على مفاصلهم وركبهم ، وسحبوهم معهم فى الحبال ، وأذاقوهم العذاب والنكال ، وخاف الباقون [ص٢٣٩] فصانعوهم وأتباعهم بالبراطيل والرشوات ، وانضم إليهم الأسافل من القبط والأراذل من المنافقين ، وتقربوا إليهم بما يستميلون به قلوبهم ، وما يستجلبونه لهم من المنافع والمظالم ، وأجهدوا أنفسهم فى التشفى من بعضهم ، وما يوجبه الحقد والتحاسد الكامن فى قلوبهم (١)

١- بعد انقضاء سنة ١٢١٤هـ أضاف الجبرتى فى عجائب الآثار ثلاث يوميات هى تراجم لأشهر من مات فى هذه السنة وهم الشيخ عبد العليم بن محمد بن عثمان الأزهرى الضرير ، والشيخ شامل أحمد رمضان بن سعود الطرابلسى المقرئ الأزهرى ، والسيد الشريف الحسين على البدرى العوضى .

يوميات سنة ١٣١٥ هـ

شهر المحرم ١٢١٥هـ [١]

ثم دخلت سنة خمسة عشر ومايتين وألف ، وكان ابتدا المحرم في يوم الأحد، في خامسه ، أصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة ، ومنعوه الاجتماع بالناس ، وهي المرة الثالثة .

وفيه [٢] ، أشيع حضور مراكب غلايين سلطانية إلى ثغر الأسكندرية ، وسافر كبير الفرنسيس وصحبته عساكر ، فغاب أياماً ثم راجع ، ولم يظهر لهذا الخبر أثر .

وفي حادي عشرينه [٣] أعادوا الشيخ أحمد العريشي إلى القضا كما كان ، وعملوا له موكباً ، وركب معه أعيان الفرنسيس وصوارى عساكرهم ، بطبولهم وزمورهم ، وبجانبه قايمقام عبد الله منوا، الذي كان صاري عسكر برشيد ، فلم يزالوا معه حتى وصل إلى المحكمة . [٤]

وفي ذلك اليوم وقعت نادرة غريبة ، وهو أن كلهبر كبير الفرنسيس كان مع

---

١ - يوم الأحد غرة المحرم ١٢١٥ هـ الموافق ٢٥ مايو ١٨٠٠م .

٢ - أي في خامسه يوم الخميس ٥ محرم ١٢١٥هـ الموافق ٢٩ مايو ١٨٠٠م

٣ - يوم السبت ٢١ محرم ١٢١٥ هـ الموافق ١٤يونيو ١٨٠٠م .

٤ - وردت أخبار هذا التنصيب في سجلات محكة القسة العربية ونص الوثيقة هو : " لما كان في اليوم المبارك الموافق لحادي عشرين شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٢١٥ ؛ جلس بالحكم العزيز سيدنا مولانا فخر علما الإسلام ، كمال بلغا الأنام ، الناظر في الأحكام الشرعية ، وأمور القسمة العربية ، قاضي القضاة يومئذ بمصر المحمية ، الواثق بلطف ربه المعيد المبدي ، أحمد أبو الأتقيا العريشي الحنفي ، جعل الله قدومه خير ، وأجرا الخير على يده ، بجاه سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم " محكمة القسمة العربية سجل رقم ٢٣٠ ، ص ٢١٣ .

كبير المهندسين من الفرنسيس يسيران بدهليز البستان الذى فى داره ، فدخل عليه شخص وقصده، فأشار عليه بالرجوع وقال له : " مافيش " وكررها ، فلم يرجع وأوهمه أنه صاحب حاجة وهو ملهوف ، فلما دنا منه مد إليه يده اليسار ، فمد إليه الآخر يده ، فقبض عليها وضربه بخنجر كان أعده فى يده اليمنى ثلاث ضربات متوالية ، فسقط إلى الأرض صارخاً ، فصاح رفيقه فذهب إليه [ص٢٠٤] وضربه أيضا ضربات وهرب ، فسمع العسكر صرخة المهندس ، فدخلوا مسرعين ، فوجدوا كبيرهم مطروحاً وبه بعض الرمق ، فانزعجوا وضربوا طبلهم ، وجروا من كل ناحية يفتشون على القاتل ، واجتمع العساكر ورؤساوهم ، وهرعوا إلى الحصون والقلاع، وظنوا أنها من فعل أهل مصر ، فاحتاطوا بالبلد ، وعمروا المدافع والبنبات، وقالوا لابد من قتل أهل مصر عن آخرهم ، ووقعت هوجة عظيمة ، فى الناس وكرشة ، وشدة انزعاج وأكثرهم لا يدرى حقيقة الحال ، ولم يزالوا يفتشون على ذلك القاتل حتى وجدوه منزويا [1] فى البستان المجاور لبيت صارى عسكر ، المعروف بغيط مصباح ، بجانب حايط منه متهدم ، فقبضوا عليه ، فوجدوه شامياً، فأحضروه وسألوه عن اسمه وعمره وبلده ، فوجدوه حلبياً واسمه سليمان ، فسألوه عن محل مأواه ، فأخبرهم أنه ياوى ويبيت بالجامع الأزهر ، فسألوه عن معارفه ورفقايه وهل أخبر أحداً بفعله ؟ وهل شاركه أحد فى رأيه وأقره على فعله أو نهاه عن ذلك ؟ وكم له بمصر ؟ وعن صنعته وملته ؟ فأخبرهم أنه على ملة النبى صلى الله عليه وسلم ، وعمره أربعة وعشرون سنة ، وصنعته كاتب عربى ، وله فى مصر خمسة أشهر ، وأنه حضر إلى مصر سابقاً ، وسكن بها ثلاث سنوات ، فسألوه هل يعرف الوزير الأعظم ؟فأخبر أنه لا يعرفه، ولم يزالوا يسألوه عن مسائل ويدققون معه ، وهو يخلط لهم ويغالطهم ، فلما علموا منه المغالطة ضربوه وعاقبوه،

١ - فى النسخة [ب] مرميا " ولكن الصواب ما أثبتاه ن بقية النسخ .

حتى [٢٤١] أقر لهم أنه حضر من غزة من نحو ثلاثين يوماً ، وحضر على هجين في ستة أيام ، بقصد قتل صارى عسكر ، وأن الذى أرسله أغاة الإنكشارية ، وذلك بعد رجوع العثمانية من مصر إلى الشام ، فسألوه هل سارر أحدا من أهل مصر وأخبره بحقيقة حاله وكشف له سره ؟ فأخبرهم أنه أخبر السيد محمد الغزى (١) والسيد أحمد الوالى ، والشيخ عبدالله الغزى ، والسيد عبد القادر الغزى ، وأشاروا عليه أنه يرجع عن هذا الفعل ، فإنه لا يمكنه ويموت ، وأن أمس تاريخه [٢٤٣] قال لهم أن مراده يقضى غرضه فى غد ، ثم أنه ذهب إلى الجيزه ، واستخبر من نواتية القنجة التى لصارى عسكر ، حتى علم بنزوله وتعديته إلى مصر ، فلم يزل يراصده حتى وصل إلى داره بالأزبكية وقضى غرضه ، ثم أنهم تركوا ما كانوا عزموا عليه من حرب البلد حين تبينت لهم حقيقة الحال ، وأمروا بإحضار الشيخ عبدالله الشرقاوى ، والشيخ أحمد العريشى ، وأعلموهم بذلك، وعوقوهم إلى منتصف الليل ، وألزموهم بإحضار الجماعة الذين ذكرهم (٢) ، فركبوا وصحبتهم الأغا وحضروا إلى الجامع الأزهر ، وطلبوا الجماعه ، فوجدوا

١- فى النسخه [أ] كتبت " العدسى " وفى النسخه [ب] " القدسى " وفى عجائب الآثار " الغزى " وربما الأصوب هى لأن كلمة السيد محمد الغزى تكررت كثيراً فى وقائع المحاكمة التى أوردها الجبرتى بنصها الذى نشره الفرنسيون ، لذا أثبتناها " الغزى " فى المتن .

٢ - عندما قتل " الحلبى" " كليبر" كانَ يبلغ من العمر " ٢٤ عاما " ويذكر البعض أنها لم تكن حادثة فردية بأية حال من الأحوال ، بل هى من إعداد وتنظيم ذلك التشكيل الذى ترد أخباره فى شكل همسات متناثرة فى كتابات المؤرخين ، ذلك التنظيم الذى دبر ثورة القاهرة الأولي وأعدم منه بونابرت ثمانين من القادة ، هذا التنظيم استطاع أن يوجه ضربه رائعة فى هدفها وأحكامها وذلك بتنفيذ اغتيال صارى عسكر، هذه العملية أعدتها أحدى خلايا التنظي فى الأزهر ، و بالرغم من المبالغة الواضحة فى هذا الكلام إلا أننا لا نستطيع أن ننفيه كله. راجع محمد جلال كشك : ودخلت الخيل الازهر . دار المعارف ٩٧٨: ص٣٧٥ وما بعدها

ثلاثة ولم يجدوا الرابع ، فأخذهم الأغا و حبسهم ببيت قايمقام بالأزبكية ، ثم أنهم رتبوا صورة محاكمة من رؤسايهم ومدبريهم ، وعملوا صورة دعوى وشهود ، وتحاكموا فيما بينهم بعد إقامة الدعوى والتفحص ، فحكموا بقتل الثلاثة أنفار المذكورين ، لكونهم لما سمعوا منه [ص٢٤٢] وأخبرهم ليلة أمس بأنه عازم على قصده صبح تاريخه ، كان الواجب عليهم أن يخبروا الفرنسيس بذلك، وكان من جملة من أخبر عنهم ، أنه عاشره واجتمع به ، مصطفى أفندى البرصلى الخطاط ، فأحضروه أيضا وسألوه ونجاه الله منهم لكونه لم يخبره بقصده ، وأنه عاشره فى إقامته السابقه بمصر ، وكان يتعلم منه تجويد الخط ، فحكموا ببراته ، وأطلقوا سبيله وانقضت الحكومة ، وألفوا فى ذلك كتاباً فى حجم الثلاث كراريس ، ذكروا فيه صورة الواقعة وكيفيتها والفحص عن القاتل وإحضار الشهود وإقرارهم ، وترتيب المحكمة ، ومحاكمة القضاة ، وأسمايهم وتفصيل الدعوى ، ويصمموا من ذلك جملة نسخ باللغات الثلاث : العربية والفرنساوية، والتركية (١) ، ولما فرغوا من ذلك ، اشتغلوا بأمر صارى عسكرهم المقتول ، فنقلوه إلى بيت حسن كاشف جركس الذى بالناصرية ، وصنعوا له صندوق من رصاص مسنم (٢) الغطاء ،

١ – لم يدون الجبرتى نص المحاكمة فى مظهر التقديس ، ولكنه عاد ودونها بنصها العربى فى عجائب الآثار ، وهو يبرر سبب إعراضه عن تدوينها فى مظهر التقديس ثم تدوينها فى عجائب الآثار بقوله " وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها و ركاكة تركيبها ، لقصورهم فى اللغة ، ثم رأيت كثيراً من الناس تتشوق نفسه للاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين ، وكيف تجارى على كبيرهم ويعسوبهم رجل آفاقى أهوج وغدره ، وقبضوا عليه وقرروه ، ولم يعجلوا بقتله و قتل من أخبر عنهم بمجرد الإقرار ، بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل ملطخه بدم صارى عسكرهم وأميرهم " ، عجائب الآثار جـ٣ ، ص ١٠٨ .

٢– مسنم : أى مرتفع الغطاء كسنام الجمل .

وربما أخرجوا حشوته ، وطلوه بالأدهان الماسكة لأجزايه ، ووضعوه فى ذلك الصندوق ، ولحموا عليه الغطا بمذاب الرصاص ، وكانت قتلته يوم السبت حادى عشرينه [1] وقضوا أشغالهم فى يومين .

ونادوا ليلة الثالث [2] فى المدينة ، بالكنس والرش فى جهات عينها حكام الشرطة ، فلما أصبحوا وضعوا ذلك الصندوق فى عربة ووضعوا عليه برنيطته وسيفه والشيش الذى قتل به وهو مغموس بدمه ، وعملوا فى العربة أربع بيارق صغار فى أركانها معمولين بشعر ، وذهبوا بها إلى الأزبكية من طريق [ص٢٤٣] المدابغ ، واجتمع أكابرهم وعساكرهم [3] وكذلك أحضروا أكابر المسلمين من المشايخ والوجاقلية والتجار ، وخرجوا بموكب مشهده ركباناً ومشاة، ويضربون بطبولهم بغير الطريقة المعتادة ، والعسكر بأيديهم البنادق وهى منكسة إلى أسفل ، وكل شخص منهم معصب ذراعه بخرقه حرير سودا ، ولبسوا ذلك الصندوق بالقطيفة السودا وعليها قصب مخيش ، ثم انجرت جنازته ، وضربوا لها شنك مدافع وبنادق ، ومروا بها من طريق الموسكى على باب الخرق ، إلى درب الجماميز إلى جهة الناصرية ، فلما وصلوا إلى تل العقارب ، حيث القلعة التى بنوها هناك، ضربوا عدة مدافع ، وكانوا أحضروا سليمان الحلبى القاتل ، والثلاثة أنفار المظلومين [4] ، [فخوزقوا فى ذلك الوقت الشهيد سليمان الحلبى ، وضربوا رقاب الثلاثة ، وحرقوا أبدانهم ، ورفعوا رؤسهم على خوازيق بجانبه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم] [5] ، ثم ساروا بالجنازة إلى أن وصلوا باب قصر العينى

١- السبت ٢١ محرم ١٢١٥هـ الموافق ١٤يونيو ١٨٠٠م .

٢ - يوم الثلاثاء ٢٤ محرم ١٢١٥هـ ، الموافق ١٧ يونيو ١٨٠٠م .

٣ - هناك وصف تفصيلى للجنازه وما تم فى الموكب فى " كوربية دى لجيبت " العدد ٧ ص٢٧٠ وما بعدها .

٤ - فى النسخة (أ) " المطلوبين " وفى عجائب الآثار " المذكورين " فأثبتناها من بقية النسخ .

٥ - الفقرة التى بين القوسين محذوفه من عجائب " الآثار وكتب الجبرتى محلها " فأمضوافيهم ما قدر الله " وعلى أية حال فالمراجع الفرنسية تشير إلى أن أعدامهم كان بعد الدفن وليس قبله .

، فرفعوا الصندوق الرصاص ووضعوه على علوة من التراب ، بوسط تخشيبه صنعوها واعدوها لذلك ، وعملوا حولها درابزين (١) ، وفوقه كساء أبيض ، وزرعوا حوله أعواد سرو ، ووقف عند بابها شخصان من العسكر ببنادقهما ملازمان ليلاً ونهاراً ، يتناوبون الملازمة على الدوام ، وانقضى أمره [وذهب إلى لعنة الله] (٢) ، وولوا عوضه قايمقام الذى يسمى عبد الله جاك منوا وهو الذى كان متولى رشيد عند أول قدومهم ، وقد كان أظهر أنه أسلم ، [ص٢٤٤] وتسمى عبد الله ، وتزوج بامرأة مسلمة كرها من أهلها (٣) .

فلما أصبح ثانى يوم (٤) حضر قايمقام والآغا إلى الأزهر ودخل إليه ، وشق

---

١ – فى النسخه (أ) " درابزى" وفى النسخه "ب درابزون " والمقصود درابزين أى سياج خشبى ، وصححناها حتى تستقيم العبارة .

٢ – هذه العبارة محذوفه من عجائب الآثار .

٣ – كتب فى الهامش الايمن من النسخة (ب) هذه العبارة ، مطلب إظهار إسلام سرعسكر مينو و تزوجيه مسلمه وارتداده خذ الله ورحمة الله على المسلمة المخدوعة ، ويراجع وثيقة إعلان مينو لإسلامة ووثيقة زواجه من السيدة زبيدة فى سجلات محكمة رشيد الشرعية وفى : عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ٣٦٢ وما بعدها .

٤ – يوم الخميس ٢٦ محرم ١٢١٥هـ الموافق ١٩ يونيو ١٨٠٠م .

فى جهاته وأورقته بحضرة المشايخ [1]

وفى ثانى يوم أيضاً حضر كبيرهم وقايمقام والأغا ، وطافوا به أيضاً ، وأرادوا حفر أماكن للتفتيش على السلاح ونحو ذلك ، ثم ذهبوا ، فشرعت المجاورون به فى نقل أمتعتهم منه ، ونقل كتبهم وإخلا الأروقة ، ونقل الكتب الموقوفة به إلى أماكن خارجة عن الجامع ، وكتبوا أسماء المجاورين فى ورقة ، وأمروهم أن لا يبيت عندهم غريب ، ولا يأوو إليه آفاقيا [2] مطلقاً، وأخرجوا منه المجاورين من طايفة الترك ثم أن الشيخ الشرقاوى والمهدى والصاوى ، توجهوا فى عصريتها إلى عند كبير الفرنسيس منوا ، وأستأذنوه فى قفل الجامع وتسميره، فقال بعض القبطة الحاضرون للأشياخ ، هذا لا يصلح ولا يتفق ، فحنق عليه الشيخ الشرقاوى وقال : " إكفونا شر دسايسكم يا قبطة " ، وقصد المشايخ

١ - القيادة العامة بالقاهرة فى ٢٦ بريريال . سنه ٨ ، من الجنرال عبد الله . ج . مينو ، القائد العام لجيش الشرق بالنيابة إلى الجيش :-

" أيها الجنود لقد وقع اعتداء أثيم عليكم ، واغتيل من بينكم جنرال كنتم تحبونه وتحترمونه ، اقترف ذلك عدو لايستحق إلا احتقار ومقت العالم أجمع ، ولما لم يتمكن عدوكم من قهر الفرنسيس تحت قيادة كليبر الشجاع لجأ إلى حيله دنيئة وأرسل إليه خلسة احد المجرمين لأغتياله ..... وعليكم أن تتذكروا دائما أنكم جمهوريون ، وعليكم أينما وجدتم أن تكونوا قدوه للآخرين بمعنوياتكم وطاعتكم لرؤسائكم مثل ما أنتم عليه من قدوة للشجاعة والجرأة فى المعارك التى تخوضونها .

أيها الجنود أن الأقدمية فى الرتب العسكرية هى التى جعلتنى أتحمل مؤقتاً أعباء قيادة الجيش وليس لدى فى ذلك ما أقدمه سوى الأخلاص الذى لاحد له للجمهورية وحرية فرنسا وسعادتها ، سأستمد قوتى من روح كليبر وعبقرية بونابرت ، وسنعمل جميعاً فى وفاق تام لمصلحة الجمهورية .

وسوف يطلع الجيش فى القريب العاجل على تفاصيل الاغتيال الفظيع والإجراءات التى ستتبع للقبض على المجرم وعقابه هو وشركائه فى الجريمة "

إمضاء . عبد الله .ج . مينو .

٢- آفاقيا أى غريب من الآفاق البعيدة .

من ذلك منع الريبة بالكلية ، فإن الأزهر لسعته لايمكن الإحاطة بما يدخله [1] ، فربما دس العدو من يبيت به ، واحتج بذلك على إنجاز غرضه ونيل مراده من المسلمين والفقها ، ولايمكن الاحتراس من ذلك ، فأذن كبير الفرنسين بذلك [2] لما فيه من موافقة غرضه باطناً .

فلما أصبحوا [3] ، قفلوه وسمروا أبوابه من ساير الجهات .

وفى غايته [4] ، جمعوا الوجاقلية وأمروهم بإحضار ما عندهم من الأسلحة ، فأحضروا ما أحضروه [ص٢٤٥] فشددوا عليهم فى ذلك ، فقالوا لم يكن عندنا غير الذى أحضرناه ، فقالوا وأين الذى كنا نرى لمعانه عند متاريسكم ، فقالوا تلك أسلحة العساكر العثمانية والأجناد المصرية ، وقد سافروا بهم .

شهر صفر ١٢١٥هـ

استهل فى يوم الثلاثا [5] ، فى أوايله ، سافر بعض الأعيان من المشايخ وغيرهم إلى بلاد الأرياف بعيالهم وحريمهم ، وبعضهم بعث حريمه وأقام هو ، فسافر الشيخ محمد الحريرى ، وصحب معه حريم الشيخ السحيمى ، وصهره الشيخ المهدى ، فلما رآهم الناس، عزم الكثير منهم على الرحلة ، واكتروا المراكب والجمال وغير ذلك ، فلما أشيع ذلك كتب الفرنسيس أوراقاً ، ونادوا فى الأسواق ، بعدم انتقال الناس ورجوع المسافرين ، ومن لم يرجع بعد خمسة عشر يوماً ، نهبت

١- " بما يدخله" غير موجودة فى النسخة (ب) وإثبتناها من بقية النسخ .

٢- "بذلك" غير موجودة بالنسخة (أ) .

٣ - فى صباح يوم الجمعة ٢٧ محرم ١٢١٥هـ الموافق ٢٠يونيو ١٨٠٠م .

٤ - يوم الاثنين غاية المحرم الموافق ٢٤ يونيو ١٨٠٠م .

٥ - يوم الثلاثاء غرة صفر ١٢١٥هـ الموافق ٢٤ يونيو ١٨٠٠م .

داره ، فرجع أكثر الناس ممن سافر أو عزم على السفر ، إلا من أخذ له ورقة بالإذن من مشاهير الناس ، أو احتج بعذر ، كأن يكون فى خدمة لهم ، أو قبض خراج من التزامه .

وفيه ، قرروا فردة أخرى ، وقدرها أربع ملاوين [1] ، وقدر المليون ماية وسته وثمانون ألف فرانسة ، وكان الناس ما صدقوا قرب إتمام الفردة الأولى ، بعد ما قاسوا من الشدايد ما لا يوصف ، ومات أكثرهم فى الحبوس وتحت العقوبة ، وهرب الكثير منهم ، وخرجوا على وجوههم فى البلاد ، فدهوا بهذه الداهية العظيمة ، ففردوا على العقار والدور ماتى ألف فرانسة، وعلى الملتزمين ماية وستين ألفاً ، وعلى التجار ماتى ألف ، وعلى [٢٤٦] أرباب الحرف المستورين ستين ألفا ، وأسقطوا فى نظير المنهوبات مايه ألف ، وقسموا البلدة ثمانية أخطاط ، وجعلوا على كل خطة خمسة وعشرين ألفاً ، ووكلوا بقبض ذلك مشايخ الحارات ، والأمير الساكن بتلك الخطة ، مثل المحتسب بجهة الحنفى وعمرشاه وسويقة السباعين وضرب الحجر ، ومثل زين الفقار كتخدا جهة المشهد الحسينى وخان الخليلى والغورية والصناديقية والاشرفية ، وحسن كاشف جهة الصليبة والخليفة ، وما فى ضمن ذلك كل من الجهات والعطف والبيوت ، فشرعوا فى توزيع ذلك على الدور الساكنة وغير الساكنة ، وقسموها عالاً ووسطاً ودوناً ، وجعلوا العال ستين

---

١ – هذه هى المرة الأولى التى يستخدم فيها الجبرتى رقم المليون وقد جمعه على " ملاوين " جدير بالذكر أن العرب قد طوروا عن الهنود مجموعتين من الأرقام وهى الأرقام العربية التى يكتب بها الغرب اليوم ، والأرقام الهندية وهى التى نكتب بها نحن ، ثم اخترع العرب الصفر ، وحددوا القيمة الوضعية للرقم حسب خانته وسموها خانات الآحاد والعشرات والمئات والألوف ، ولكنهم لم يعرفوا خانة المليون ، ربما لعدم حاجتهم إليها ، وكانوا إذا احتاجوها يقولون ألف الألف . راجع سجريد هونكة : شمس العرب العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون كمال الدسوقى ، دار الآفاق بيروت ، ط٧ ، ١٩٨٢ .

ريالاً ، والوسط أربعين ، والدون عشرين ، ويدفع المتساجر قدر ما يدفع المالك ، والدار التى يجدوها مغلوقه وصاحبها غايب عنها ، ياخذوا ما عليها من جيرانها .

وفى سادس عشرينه (١) ، أفرجوا عن الشيخ السادات ، ونزل إلى بيته بعد أن غلق الذى قرر عيه ، واستولوا على حصه وإقطاعه ، وقطعوا مرتباته وكذلك جهات حريمه والحصص الموقوفه على زاوية أجداده ، وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس ، وأن لا يركب بدون إذن منهم ، ويقتصد فى أموره ومعاشه ، ويقلل أتباعه

شهر ربيع الأول ١٢١٥هـ

فيه (٢) ، نادوا على الناس الخارجين من مصر من خوف الفردة وغيرها ، بأن من لم يحضر بعد اثنين وثلاثين يوماً من وقت المناداة ، [ص٢٤٧] نهبت داره ، وأحيط بموجوده وكان من المذنبين ، واشتد الأمر بالناس ، وضاقت صدورهم ، وتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة ، ولا شفيع تقبل شفاعته ، أو متكلم تسع كلمته ، واحتجب كبير الفرنسيس عن الناس . وامتنع من مقابلة المسلمين وكذلك قلده عظماؤهم ، وانحرفت طباعهم عن المسلمين بزيادة عن أول ، واستوحشوا منهم ، ونزل بالرعية الذل والهوان ، وتطاولت عليهم الفرنسيس بالإهانة ، حتى صاروا يأمرونهم بالقيام إليهم عند مرورهم ، ثم شددوا فى ذلك حتى كان إذا مرّ بعض عظمايهم بالشارع ولم يقم إليه بعض الناس ، رجعت إليه الأعوان وقبضوا عليه ، وأصعدوه إلى الحبس بالقلعة ، وضربوه تاديباً وزجراً ، واستمر عدة أيام ثم يطلقوه بشفاعة بعض الأعيان .

---

١ – يوم السبت ٢٦ صفر ١٢١٥هـ الموافق ١٩ يوليو ١٨٠٠م .

٢ – استهل ربيع الأول ١٢١٥هـ بيوم الأربعاء ٢٣ يوليو ١٨٠٠م .

وفيه أنزلوا مصطفى باشا من الحبس ، وأهدوا إليه هدايا وأمتعة ، وأرسلوه إلى دمياط ، فأقام بها أياما ، وتوفى إلى رحمة الله تعالى، { ولقد كان شجاعا صارماً ، ورئيساً حازماً ، اعترف له اعداؤه باقدامه فى وقعة أبو قير ، وكاد يبيدهم لولا ما دهمه من تزايد مددهم الكثير ، ومغالبتهم له بجمعهم الكثير ، ومع ذلك فلم يقع فى حبالتهم ، حتى أفنى الكثير من أبطالهم وحماتهم ، صبر فى ذلك اليوم على المجالدة والحرب ، وأدرا راحة الهيجا بالطعن والضرب ، ولم يأل جهداً فى نكايتهم حتى أتاح له المقدور ، ما هو فى اللوح قبل أن يخلق مقدر مسطور ، فاستسلم للقضا ، وقبل المحتم بالرضا ، وتمثل بقول من قال ، فى مثل [ص٢٤٨] هذا الحال من ظن ممن يلاقى الحروب بأن لا يصاب ، فقد ظن عجزا } . (١)

شهر ربيع الثانى ١٢١٥هـ

فيه (٢) اشتد أمر المطالبة بالمال ، وعين لذلك رجل نصرانى قبطى يسمى شكر الله ، فنزل بالناس منه ما لا يوصف فكان يدخل إلى دار أى شخص كان لطلب المال ، وصحبته العسكر من الفرنسيس والفعلة ، وبأيديهم آلات الهدم ، فيأمروهم بهدم الدار إن لم يدفعوا له المقرر وقت تاريخه من غير تأخير ، وخصوصاً ما فعله ببولاق ، فإنه كان يحبس الرجال مع النساء ، ويدخن عليهم بالقطن والمشاق ، وينوع عليهم العذاب ، ثم رجع إلى مصر يفعل ذلك

فيه ، أغلقوا جميع الوكايل والخانات على حين غفلة فى يوم واحد ، وختموا

---

١ – ما بين القوسين محذوف من " عجائب الآثار " .

٢ – كلمة فيه أى فى الشهر وهذه اليومية واليوميات التالية غير محددة التاريخ ، وكذلك يوميات شهر ربيع الأول سنة ١٢١٥هـ .

على جميعهم ، ثم كانوا يفتحونهم وينهبون ما فيهم من جميع البضايع والأقمشة والعطرى والدخان والبن وغير ذلك ، خاناً بعد خان ، فإذا فتحوا حاصلاً من الحواصل ، قوموا مافيه بما أحبوا بابخس الأثمان ، وحسبوا غرامته ، فإن بقى لهم شئ أخذوه من حاصل جاره ، وإن زاد لهم شئ أحالوه على جاره كذلك ، وهكذا حتى أخلوا جميع الوكايل والخانات من ساير البضايع ، على الرجال و الجمال والحمير والبغال ، وأصحابها تنظر وقلوبهم تتقطع حسرة على نهب أموالهم، وإذا فتحوا حاصلا أو مخزنا ، دخله أمناؤهم ووكلاهم فيأخذون ما يجدونه من الودايع الخفيفة ، وحرر الدراهم والدنانير ويخفونها وصاحب المحل لا يقدر على الدنو منه [ص٢٤٩] ولايتكلم ، بل ربما هرب ، أو كان غايبا .

وفيه ، حرروا دفاتر العشور ، وأحصوا جميع الأشياء الجليلة والحقيرة ، ورتبوها بدفاتر ، وجعلوها أقلاماً مفردة ، يتقلدها من يقوم بدفع مالها المحرر ، وجعلوا جامع أزبك (١) الذى بالأزبكية سوقاً لمزاد ذلك ، بكيفية يطول شرحها ، وأقاموا على ذلك أياماً كثيرة ، يجتمعون لذلك فى كل يوم ، ويشترك الاثنان فاكثر فى القلم الواحد ، وفى أقلام متعددة .

١ – جامع أزبك : هذا الجامع بشارع بركة الفيل ، أمر بإنشائه الأشرف الكريم العالى السيفى أزبك اليوسفى فى شهر شعبان سنة تسعمائة ، وعليه باب خشب بعضه ملبس بالنحاس ، وله طرقة مفروشة بالرخام لها بابان و أرضه مفروشة بالرخام الملون ، وبدائر صحنه من أعلى – حفرا فى الحجر – آيات قرآنيه ومكتوب بحائط الصحن القبلية : أمر بإنشاء هذه المدرسة المعز الاشرف الكريم العالى المولوى السيفى أزبك اليوسفى أمير سر نواب النوبة المالكى الأشرافى ، وكان الفراغ من ذلك المكان المبارك فى شهر صفر سنه تسعمائه ، وله أماكن موقوفه عليه للإتفاق عليه .
على مبارك ، مرجع سابق ، ج٤ ص١١٦ .

وفيه ، كثر الهدم في الدور ، وخصوصاً في دور الأمرا ومن فرّ من الناس ، وكذلك كثر الاهتمام بتعمير القلاع وتحصينها ، وإنشاء قلاع في عدة جهات ، وبنوا بها المخازن والمساكن، وصهاريج الماء وحواصل الجبخانات ، واستمر الحال على النسق .

شهر جمادى الأولى ١٢١٥هـ

واستهل شهر جمادى الأولى (١) والأمور من أنواع ما ذكر تتضاعف ، والظلمات تتكاشف ، وشرعوا في هدم أخطاط الحسينية وخارج باب الفتوح وباب النصر ، من الحارات والدور والبيوت والمساكن والمساجد والحمامات والحوانيت والاضرحة ، فكانوا إذا دهموا داراً وركبوها للهدم لا يمكنون أهلها من نقل متاعهم ، ولا أخذ شئ من أنقاض دارهم ، فينهبوها ويهدموها ، وينقلون الأنقاض النافعة من الأخشاب والبلاط إلى حيث عمارتهم وأبنيتهم، وما بقى يبيعون منه ما احبوا بأبخس الأثمان ولوقود النيران ، وما بقى من كسارات الخشب يجعلونه الفعلة حزماً ، ويبيعونه على الناس بأغلى الأثمان ، لعدم حطب الوقود ، فانهدم للناس من الأملاك [ص٢٥٠] والعقار مالا يقدر قدره ، وذلك مع مطالبتهم بما تقرر على أملاكهم ودورهم من الفردة ، فيجتمع على الشخص النهب والهدم والمطالبة في آن واحد ، وبعد أن يدفع ما على داره ، وما صدق أنه غلق مّا عليه دهموه بالهدم ، فيسغيث فلا يغاث ، فترى الناس حيارى وسكارى (٢) ، ثم بعد ذلك كله يطالب بالمنكر من الفردة ، وذلك أنهم لما قسموا الأخطاط كما تقدم ، وتولى ذلك

١- يوم السبت غرة جمادى الأولى ١٢١٥هـ الموافق ٢٠ سمبتمبر ١٨٠٠م .

٢- ومع ذلك يأتى من أحفادهم من يرغب فى الاحتفال بالحملة الفرنسية و إقامة الأعياد بمناسبة مرور مئتى عام على مجيئها .

أمـيـر الخطة ، وشـيـخ الحـارة والكتـبـة والأعـوان ، وزعـوا ذلك برأيهم ومـقـتـضى أغراضـهم ، فـأول مـا يجتـمـعون بديوانهم يشـرع الكتـبـة فى كـتـابة التنابيـه ، وهى أوراق صغار باسم الشخص ، والقدر المقرر عليه ، وعلى عقاره ، بحسب اجتهادهم ورأيهم ، وفى هامشـهـا حق طريق المعين ، ويعطون لكل واحـد من أوليك القـواسـة عدة من تلك الأوراق ، فقبل أن يفتح الإنسـان عينيه ، مـا يشـعـر إلا والمعين واقف على بابه ، وبيده ذلك التنبيه، فيوعده حتى يسـعى على حاله ، فلا يجد بُداً من دفع حق الطريق ، فمـا هـو إلا أن يفارقه حتى يأتيه آخر بتنبيه مثله ، فيفعل معه مثل الأول ، وهكذا على عدد السـاعات ، فإن لم يجد المعين المطلوب ، وقف ذلك القـواس على داره ، ورفـع صـوته وتطاول على حـريمه أو خـادمـه بالسب والشـتم ، فـيـسـعى الشـخص جـهـده حتى يغلق مـا تقرر عليه الحـال بشـفـاعة ذى وجـاهة أو نصـرانى ، ويظن أنه قد خلص إلا والطلب لاحـقه أيضـاً بمعين وتنبيه ، فـيـقـول [ص٢٥١] مـا هذا ، فـقـال له أن الفـردة لم تكمل ، وبقى منهـا كـذا وكـذا ، وجـعلنا على العـشـرة خـمسة أو ثلاثة أو مـا سـولت لهم أنفسـهم ، فـيرى الشـخص أنه لابد من ذلك ، فـمـا هو إلا أن خلص أيضـاً ، إلا ويطالب بمنكسر آخر ، وهكذا كان الحـال ، ومثل ذلك ما قدر على الملتزمين ، فكانت هذه الكسورات من أعظم الدواهى المغلقة ، ونكسات الحمى المطبقة .

وفى خامسه (١) ، وكان عيد الصليب ، وهو انتـقـال الشمس لبـرج الميزان ، والاعـتـدال الخـريفى ، وهو أول سنة الفـرنسيس وهى السنة التـاسـعـة من تاريخ

---

١ – يوم الأربعاء يوافق يوم ١٥ توت ١٥١٧ قبطيه، ويبدو أن التواريخ التى ذكرها الجبرتى تقريبية لأن الاعتدال الخريفى يكون يوم ٢٣ سبتمبر والانتقال لبرج الميزان ٢٢ سبتمبر ، وعيد الصليب ١٧ توت وشهر فند يميير ٢٢ / ٢٣ سبتمبر، وعلى أية حال فإن يوم الأربعاء ٥ جمادى الأولى ١٢١٥هـ يوافق ٢٤ سبتمبر ١٨٠٠م .

قيامهم ، ويسمى عندهم فنديميير (١) ، وذلك يوم عيدهم السنوى ، فنادوا بالزينة بالنهار ، والوقدة بالليل ، وعملوا شنكات ومدافع وحراقات ووقدات بالأزبكية والقلاع ، وخرجوا صبح ذلك اليوم بمواكبهم وعساكرهم وطبولهم وزمورهم إلى خارج باب النصر ، وعملوا مصافهم وملاعب حروبهم ، وخطب خطيبهم بعد انقضاء مصافهم ، فقرأ عليهم كلاماً بلغتهم على عادتهم لا يدرى أين هو، وكأنه مواعظ حربية ، ثم راجعوا بعد الظهر (٢) .

شهر جمادى الثانية ١٢١٥هـ

واستهل شهر جمادى الثانية (٣) ، فيه ، قرروا على مشايخ البلاد مقررات يقومون بدفعها فى كل سنة ، أعلى وأدنى وأوسط ، الأعلى وهى البلدة التى مجتمع طينها ألف فدان فأكثر ، خمسماية ريال ، والأوسط وهى ما كانت خمسماية فدان فأزيد ، ثلاثماية ريال ، والأدنى ماية وخمسون ، وجعلوا الشيخ سليمان الفيومى وكيلاً فى ذلك فيكون عبارة عن " شيخ المشايخ " ، وعليه حساب [ص٢٥٢] ذلك ، وهو من تحت يد الوكيل الفرنساوى الذى يقال له " بريزون " ، فلما شاع ذلك ، ضجت المشايخ لأن منهم من لا يملك عشاه ، فاتفقوا على توزيع ذلك على الأطيان ، وزيدت فى الخراج ، واستملوا البلاد والكفور من القبطة

---

١ – شهر فنديميير : " Vendemiaire" وهو الشهر الأول من تقويم الجمهورية الفرنسية الأولى ويبدأ من ٢٢ أو ٢٣سبتمبر وينتهى فى ٢١ / ٢٢ اكتوبر .

٢– أضاف الجبرتى يومية فى عجائب الآثار إلى يوميات شهر جمادى الأولى ونصها " وفى هذه السنة زاد النيل زيادة مفرطة لم يعهد مثلها فيما رأينا حتى انقطعت الطرقات وغرقت البلدان وطف الماء من بركة الفيل وسال إلى درب الشمسى وكذلك حارة الناصرية ، وسقطت عدة دورمن المطلة على الخليج ، ومكث راقداً إلى آخر توت " .

٣ – استهل شهر جمادى الآخر بيوم الاثنين ٢٠ أكتوبر ١٨٠٠م .

فأملوهما عليهم ، حتى الكفور التى خربت من مدة سنين بل سموا أسماء من غير مسميات .

وفيه ، شرعوا فى ترتيب الديوان على نسق غير الأول من تسعة أنفار متعممين ، أى علما لا غير [1] ، وليس فيهم قبطى ولا وجاقلى ولا شامى ولا غير ذلك ، وليس فيه خصوصى ولا عمومى على ماسبق شرحه ، بل هو ديوان واحد مركب من تسعة أشخاص وكاتبين مسلمين وكاتب فرنساوى ، وترجمانين كبير وصغير والوكيل المسمى [بلسانهم " كمسارى " ومعناه لفظ الوكيل ، واسم ذلك الوكيل] [2] " فوريه " ويقال له " مدبر سياسة الأحكام الشرعية " [3] وجعلوا لمقدمة ذلك الديوان مقدماً ، وخمسة رجال قواسة .

وفى خامس عشره [4] ، شرعوا فى جلسة ذلك الديوان .

---

١ – كان عدد الأعضاء فى الديوان الجديد تسعة : الشرقاوى والفيومى والأمير والمهدى ، والبكرى والسرسى ومؤرخنا الجبرتى والسيد على الرشيدى صهر مينو وكان مينو قد أفرج عن السادات إلا أن هذا الأخير قد جرد من الجزء الأعظم من ممتلكاته وهو لا يمارس بعد تدخلاً عاماً ، ومن جديد يصبح فورييه مفوضاً فرنسياً لدى الديوان . ووجه مينو بياناً للشعب أن الفرنسيين ما جاءوا إلى مصر إلا لجلب السعادة إليها وما إلى ذلك ، ثم طلب منهم مينو أن يكتبوا رسالة لبونابرت فحررها الشيخ المهدى وأرسلها إليه فسر بونابرت من ذلك سروراً عظيماً . راجع هنرى لورنس ، مرجع سابق ، ص٥٤٤ وما بعدها .

٢ – العبارة التى بين القوسين غير موجود فى النسخة (أ) فاثبتناها من بقية النسخ ، ولفظ كمسارى هنا يقصد بها قومسير أى الوكيل Commissaire .

٣ – كان المسيو فورييه Fourier من علماء الرياضيات ، و سكرتيراً للمجمع العلمى ، وتولى رئاسة الإدارة القضائية فى أواخر عهد الحملة ، وله أبحاث هامة فى وصف مصر ، وهو الذى وضع مقدمة الكتاب ، وبعد عودته إلى فرنسا انتخب عضواً بالمجمع العلمى الفرنسى سنة ١٨١٦ ، وتوفى عام ١٨٣٠م ، وأقيم له تمثال فى بلده أوكسير Auxerre مسقط رأسه . راجع الرافعى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ١٢٦ .

٤ – يوم الاثنين ١٥ جمادى الآخرة ١٢١٥هـ الموافق ٣ نوفمبر ١٨٠٠ م .

وفى ثالث عشرينه (١) أمروا بجمع الشحاذين - أى السؤال - بمكان ، وينفق عليهم نظار الأوقاف .

وفيه أيضاً ، أمروا بضبط إيراد الأوقاف ، وجمعوا المباشرين لذلك ، وكذلك الرزق الأحباسية و الأطيان المرصدة على مصالح المساجد والزوايا ، وأرسلوا بذلك إلى حكام البلاد والأقاليم .

وفى غايته (٢) ، حضر رجل إلى الديوان يشكو ويستغيث ، بأن قلق الفرنسيس قبض على ولده وحبسه عند قايمقام ، وهو رجل زيات ، وسبب ذلك أن امرأة جاءت لتشترى منه سمناً ، فقال لها : " لم [ص٢٥٣] يكن عندى سمن " ، فكررت عليه السؤال حتى حنق منها ، فقالت له : " كأنك تدخره (٣) حتى تبيعه على عسكر العثمنلى " ، تريد بذلك السخرية ، فقال لها : " نعم رغماً عن أنفك وأنف الفرنسيس " ، فنقل مقالته غلام (٤) كان حاضراً معهما ، حتى أنهوه إلي قايمقام فأحضره وحبسه ، ويقول أبوه : " أخاف أن يقتلوه " ، فقال الوكيل : " لا يقتل بمجرد هذا القول وكن مطمئنا ، فإن الفرنسين لا يظلمون

فلما كان فى اليوم الثانى (٥) ، قتل ذلك الرجل ، ومعه أربعة لا يدرى ذنبهم ، [وذهبوا إلى رحمة الله تعالى] (٦)

---

١ - الثلاثاء ٢٣ جمادى الآخر الموافق ١١ نوفمبر ١٨٠٠ م .

٢ - يوما الاثنين ٢٩ جمادى الآخر ١٢١٥هـ الموافق ١٧ نوفمبر ١٨٠٠م .

٣ - فى النسخة (ب) تخزنه " والصواب ما أثبتناها من بقية النسخ

٤ - فى النسخة (ب)"فنقل ذلك عن "غلاما" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٥ - أى فى غرة رجب ١٢١٥هـ الموافق يوم الثلاثاء ١٨ نوفمبر ١٨٠٠م .

٦- هذه العبارة محذوفة من عجائب الآثار وكتب بدلها "وذهبوا كيوم مضى " وهذا هو العدل الفرنسى الذى زعموه عند محاكمة قاتل كليبر التى كانت ذراً للرماد ، فهم لا يحاكمون إلا من ثبتت عليه التهمة ، وأما البرئ فيقتل بغير محاكمة " .

شـــهـــر رجـــب ١٢١٥هـ

واستهل شهر رجب (١) ، والطلب والهدم والنهب والسلب مستمر ومتزايد ، وأبرزوا أوامر أيضاً بتقرير مليون على الصنايع والحرف ، يقومون بدفعه كل سنة ، وهو ماية ألف ريال فرانسة وستة وثمانون ألف فرانسة ، ويكون الدفع على ثلاث مرات ، كل أربع أشهر يدفع من المقرر الثلث ، وهو اثنان وستون ألفاً . فتحيرت أفكار الناس بما دهاهم ، واختلطت أذهانهم ، وزاد وسواسهم ، وأشيع أن يعقوب القبطى هو الذى تكفل بقبض ذلك من المسلمين، ويقلد أمر ذلك إلى شكر الله وأضرابه (٢) ، من شياطين أقباط النصارى ، واختلفت الروايات فقيل أن قصده توزيعها ، وأن يجعلها على العقارات والدور ، وقيل بل قصده توزيعها بحسب الفردة السابقة ، وذلك عشرها لأن الفردة السابقة كانت عشرة ملايين ، فالذى دفع عشرة فى الفردة السابقة ، يدفع واحد فى فردة المليون ، وذلك على الدوام والاستمرار . ثم قيدوا [ص٢٥٤] لذلك شخصاً فرنساوياً يقال له " دناويل " ، وسموه " مدبر الحرف " فجمع العرفا وفرد عليهم كل عشرة أربعة ، فمن دفع عشرة فى الفردة يدفع أربعة الآن ، فعورض فى ذلك، وقيل له إن هذا غير المنقول ، فقال هذا باعتبار من خرج من البلد ومن لم يدخل فى هذه الفردة ، كالمشايخ والفقها والفارين ، فإن الذى جعل عليهم أضيف على من بقى ، فاجتمع التجار وتشاوروا بما بينهم فى شأن ذلك ، فرأوا أن هذا شئ لا طاقة للناس به من وجوه الأول وقف الحال ، وكساد الصنايع ، وانقطاع الأسفار ، وقلة ذات اليد ، وذهاب البقية التى كانت فى أيدى الناس فى النوازل والفرد والدواهى المتتابعة ، الثانى

١- استهل شهر رجب ١٢١٥هـ بيوم الثلاثاء ١٨ نوفمبر ١٨٠٠م

٢ - فى النسخة (ب) "وأقرانه"

أن الموكلين بالفرد السابقة وزعوا على التجار والمتسببين ، وكل من كان له اسم فى الدفتر من مدة سنين ، ثم ذهب ما فى يده ، وافتقر حاله ، وخلى حانوته وكيسه ، فألزموه بشقص من ذلك ، وكلف به وكتب أسمه فى دفتر الدافعين ، ويلزمه ما يلزمهم ، وليس ذلك فى الإمكان ، الثالث أن الحرفة التى دفعت مثلاً ثلاثون (١) ألفاً يلزمها ثلاثة آلاف فى السنة على الرأى الأول ، وعلى الثانى اثنى عشر الفاً ، وقد قل عددهم ، وأغلقت أكثر حوانيتهم لفقرهم وهجاجهم ، وخصوصاً إذا ألزموا بذلك المليون يفر الباقون ، ويبقى من لا يمكنه الفرار ، ولا قدرة للبعض بما يلزم الكل .

وفيه ، أمر وكيل الديوان بتحرير قايمة تتضمن أسما الذين تقلدوا قضا البلدان من طرف القاضى ، والذين لم يتقلدوا ، وأخبر أن [ص٢٥٥] السر فى ذلك أن مناصب الحكام الشرعية، استقر النظر فيها له ، وأنه لابد من استيناف ولايات القضا – حتى قاضى مصر – بالقرعة ، من ابتدا سنة الفرنساوية ، ويكتب لمن تطلع له القرعة تقليداً من صارى عسكر الكبير، فكتب له القايمة كما أشار (٢) .

وفى رابعه (٣) ، قتلوا جماعة من المسلمين بالرملية وغيرها ، ونودى عليهم : " هذا جزا من يذكر الفرنسيس والعثملى " .

وفى سادسه (٤) ، عملت قرعه قاضى مصر ، على شرطها لقاضى مصر ،

١– هكذا فى الأصل والصواب " ثلاثين " .
٢ – راجع : الشيخ أحمد العريشى : بيان طريق القضاه وأسماؤهم بمصر مخطوط بدار الكتب المصرية .
٣– يوم الجمعة ٤ رجب ١٢١٥ هـ الموافق ٢١ نوفمبر ١٨٠٠م .
٤– يوم الأحد ٦ رجب ١٢١٥هـ ، الموافق ٢٣ نوفمبر ١٨٠٠م .

وكررت ثلاث مرات ، فاستقرت للشيخ أحمد العريشى على ما هو عليه ، وكتب له التقليد بعد مدة طويلة .

وفى ثامنه (١) ، قتل غلام وجارية بباب الشعرية ، ونودى عليهما:"هذا جزا من خان وغش وسعى بالإفساد" فيقال : أنهما كانا يخدمان فرنساوياً فدسا له سماً وقتلاه .

وفى تاسعه (٢) ، حضر جماعة من الوجاقلية إلى الديوان ، وذكروا أنهم كانوا تعهدوا بباقى الفردة المطلوبة ، من الملتزمين ، وقدر ذلك الباقى خمسة وعشرون ألف ريالاً فرانسة ، وقد استدانوا لذلك قدراً من البن بمبلغ خمسة وثلاثون ألف فرانسة ، ليوفوا ما عليهم من الديون ، وأنهم أرسلوا إلى حصصهم يطالبون الفلاحين بما عليهم من الخراج ، فامتنعوا من الدفع لهم ، وأخبروا أن الفرنسيس أمروهم بعدم دفع المال للملتزمين ، فكتب لهم عرض حال فى شأن ذلك ، وأرسل إلى كبير الفرنسيس ولم يرجع جوابه .

وفى رابع عشره (٣) ، صنع الجنرال "بليار" المعروف بقايمقام ، وشيخ البلد ، طعاماً وليمة، ودعا مشايخ الديوان والوجاقلية وأعيان [ص٢٥٦] التجار وأكابر نصارى القبط والشوام، ومدا أسمطة حافلة ، وتعشوا عنده ثم ذهبوا إلى بيوتهم .

وفى خامس عشرينه (٤) ، طيف بامرأتين فى شوارع مصر بين يدى الحاكم، ينادى عليهما هذا جزا من يبيع الأحرار . وذلك أنهما باعتا امرأة لبعض نصارى الأروام بتسعة ريال .

---

١ - يوم الثلاثاء ٨ رجب ١٢١٥هـ ، الموافق ٢٥ نوفمبر ١٨٠٠م .

٢ - يوم الأربعاء ٩ رجب ١٢١٥هـ ، الموافق٢٦ نوفمبر ١٨٠٠م .

٣- يوم الاثنين ١٤ رجب ١٢١٥هـ الموافق ١ ديسمبر ١٨٠٠م .

٤ - يوم الجمعة ٢٥ رجب ١٢١٥هـ الموافق ١٢ ديسمبر ١٨٠٠م ، جدير بالذكر أن هذه اليومية قد وردت فى عجائب الاثار بتاريخ يوم الأربعاء ٢٢ رجب ١٢١٥هـ .

وفيه [١] ، طلب الخواجا الفرنساوي المعروف بموسى كافوا من الوجاقلية بقية الفردة المتقدم ذكرها ، فاجابوا ، بأن سبب عجزهم عن غلاقها توقف الفلاحين بأمر الفرنساوية ، وعدم تحصيل المال من بلادهم ، ثم أحيلوا بعد كلام طويل على " استوف " الخازندار ، لأن ذلك من وظايفه ، من وظايف الديوان .

وفي سابع عشرينه [٢] ، حضر الوجاقلية وصحبتهم بعض الأعيان ، وبعض النسا الملتزمات يستغيثون بأرباب الديوان ، ويقولون أنه بلغنا أن جمهور الفرنساوية يريدون وضع أيديهم على جميع الالتزام المفروج عنه ، الذى دفعوا حلوانه ومغارمه ، ويرفعوا أيدى الملتزمين عن التصرف في الالتزام جملة كافية ، وقد كان قبل ذلك أنهى الملتزمون الذين هم يفرجوا لهم عن حصصهم ، إما لفرارهم وعودهم بالأمان ، وإما لقصر أيديهم عن الحلوان ، وإما لشراقى بلادهم ، وإما لانتظارهم الفرج وعود الدولة العثمانية ، فيتكرر عليهم الحلوان ، ومغارم لشراقى البلاد ، فلما طال المطال ، وضاق حال الناس ، أعرضوا أمرهم وطلبوا من الفرنسين الإفراج عن بعض ما كان بأيديهم ، ليتعيشوا به ، ووقع في ذلك بحث [ص٢٥٧] طويل [٣] ، ومناقشات يطول شرحها ، ثم ما كفى حتى بلغهم أن القصد نزع المفروج عنه أيضا ، ورفع أيدى المسلمين بالكلية ، وأنهم يستغيثون [٤]

١- أي يوم الجمعة ٢٥ رجب .

٢- يوم الاحد ٢٧ رجب ١٢١٥ الموافق ١٤ ديسمبر ١٨٠٠م .

٣ - كلمة " طويل " غير موجودة في النسخة (ب) فاثبتناها من بقية النسخ .

٤ - كلمة " يستغيثون " غير موجودة في النسخة (أ) فاثبتناها من بقية النسخ .

ويتشفعون به ، ويقضون ديونهم التي استدانوها في الحلوان (١) ومغارم الفردة ، فقال "فوريه" الوكيل هل بلغكم ذلك من طريق صحيح ؟ "

فقالوا " نعم بلغنا من بعض الفرنساوية " ، وقال الشيخ البكري : " وأنا سمعته من الخازندار " وقال الشيخ المهدي مثل ذلك ، وأنهم يريدون تعويضهم من أطيان الجمهور ، فقال الملتزمون : " إن بيدنا التمكينات والتمسكات من سلفكم بونابارته ، ومن السلاطين السابقين ونوابهم ، وقائمون بدفع الخراج ، كما كان أسلافنا و أسيادنا ، ونحو ذلك من الكلام ، ثم ذكروا أنهم إذا رفعت أيديهم عن معايشهم ، أصبحوا فقرا وصعاليك ، ولا تأتمنهم الناس ، واضطروا إلى الخروج من البلد ، ، وارتحلوا عنها وخربت ديارهم ، وطال البحث والكلام في ذلك [والوكيل مع هذا ينكر وقوع ذلك بالمرة ، ويناقش أخرى ، إلى أن انتهى الكلام] (٢) بقوله : " إن الكلام في هذا وأمثاله ليس من وظيفتي ، فإني حاكم سياسة الشريعة ، ولست مدبر أمر البلاد ، نعم وظيفتي المعاونه والنصح فقط ."

---

١ – الحلوان : هو الثمن الذي يدفع عن طريق المزاد أو المصالحة لشراء حق حيازة المقاطعات الزراعية أو الجمركية التي تخلو لموت أصحابها أو فراغهم عنها وكانت إيرادات الحلوان من هذا النوع تدفع لخزينة مصر ، وكان للسلطان الحق التقليدي لكل حاكم مسلم والذي كان يبيح له ضم ممتلكات من يتوفون دون ورثة أو يكونون مدينين للخزينة ، وقد ترك السلطان إيرادات الحلوان وإيرادات ممتلكات المدنيين الذين يتوفون دون ورثة لكل من باشا مصر وخزنتها في القرن السابع عشر ، واحتفظ السلطان لنفسه بالحلوان وإيرادت بيت المال التي تؤخذ من مقاطعات الأشخاص الذي يقتلون بأمر الباشا أو ينفون من مصر بسبب تمردهم ضد السلطان فيها ، وهنا أصبحت الإيرادات التي يحصل عليها السلطان من هذه المصدر أهم إيرادات يحصل عليها من مصر ، وخاصة في أواخر القرن الثامن عشر .

د/ ليلى عبد اللطيف : مرجع سابق ص٣٧٢ .

٢ – ما بين القوسين مفقود من النسخة (أ) .

وفى ثامن عشرينه (١) ، اتفق أن جماعة من أولاد البلد خرجوا إلى جهة الشيخ قمر بقصد النزهة (٢) ، ومعهم جماعة من أرباب الملاهى ، يغنون ويضحكون ، فنزل إليهم جماعة من العسكر الفرنساوية المقيمين بجامع الظاهر بيبرس الذى اتخذوه قلعة خارج الحسينية ، فقبضوا عليهم وحبسوهم وأرسلوا شخصاً منهم إلى قايمقام بليار ، وأخبروه بمكانهم ليستفسر عن شأنهم ، فلقيه ثم رده إلى القلعة الظاهرية ثانياً ، فبات عند أصحابه ثم طلبهم فى ثانى يوم ، فذهبوا وصحبتهم جماعة من العسكر يحملون البنادق ، فقابلوه وعرف شأنهم ، وخلى سبيلهم فذهبوا إلى منازلهم .

شهر شعبان ١٢١٥هـ (٣)

فيه ، أجيب الملتزمون بإبقا التزامهم عليهم ، وأنكروا ما قيل فى رفع أيديهم ، وعوتب من صدق هذه الأكذوبة ، وإن كانت صدرت من الخازندار ، فإنما هى كانت على سبيل الهزل ، أو يكون التحريف من الترجمان أو الناقل .

وفيه ، حضر التجار إلى الديوان ، وذكروا أمر المليون ، وأن قصدهم يجعلوه موزعاً على الروس ، ولا يمكن غير ذلك ، وطال الكلام والبحث فى خصوص ذلك ، ثم انحط الأمر على تفويض ذلك لرأى العقلا من المسلمين ، وأنهم يجتمعون ويدبرون رأيهم فى ذلك بشرط أن لا يتداخل معهم فى هذا الأمر نصرانى قبطى ،

١- يوم الاثنين ٢٨رجب ١٢١٥هـ الموافق ١٥ ديسمبر ١٨٠٠م ، وقد وردت هذه اليومية فى عجائب الآثار بتاريخ ٢٥ رجب ، وهى بذلك فى غير تسلسلها التاريخى الذى درج عليه المؤلف ولذلك فتاريخ ٢٨ رجب هو الأصوب.

٢ - فى جميع النسخ كتبت " النزاهة " والصواب كما صححناها " النزهة "

٣ - استهل شهر شعبان بيوم الخميس ١٨ ديسمبر ١٨٠٠م ، واليوميات المذكورة فيما يلى غير محددة التاريخ ولا يمكن ضبط يوم حدوثها لأن " الهاء " فى كلمة " فيه " عائدة على شهر شعبان وليس على يوم معين .

وهم الضامنون لتحصيله بشرط عدم وقوع الهرج فى الناس والجور ، وأن لا يجعلوا شيئا على النسا ولا على الصبيان ولا الفقها ولا الخدم ، ولا فقرا الرعية ، ويراعى فى ذلك حال الناس وقدرتهم وصناعتهم ومكاسبهم ، ثم ترجوا عندهم فى أن يضيفوا إلى المدينة بولاق ومصر القديمة ، فلم يجابوا لذلك وجعلوهما مستقلين وقدروا عليهما قدراً أخر غير ما قرروه على مصر .

وفيه [1] ، لخصوا عرضاً خطاباً لكبير الفرنسيس ، ولطفوا فيه العبارة ، فأجيبوا[ص٢٥٩] إلى طلبهم ماعدا بولاق ومصر القديمة ، وأخرجوا من أرباب الحرف : الصيارف والكيالين والقبانية ، وقدروا عليهم بمفردهم ستين ألف فرانسة، خلاف ما يجئ عليهم من المليون أيضاً ، يقومون بدفعها كل سنة ، ووجه تخصيص الثلاث حرف دون غيرها ؛ أن صناعتهم من غير رأس مال .

وفيه ، أفردا ديواناً لذلك ببيت داود كاشف ، خلف جامع الغورية ، وتقيد لذلك السيد أحمد الزرو ، وإبراهيم أفندى كاتب البهار ، وأحمد بن محمود محرم ، وطايفة من الكتبة ، وشرعوا فى تحرير دفاتر بأسماء الناس وصناعاتهم ، وجعلوهم طبقات ، فيقولون فلان من نمرة عشرة أو نمرة خمسة أو ثلاثة أو اثنين أو واحد ، ومشوا على هذا الاصطلاح .

وفيه ، أبطلوا عشور الحرير الذى يتورد من دمياط إلى المحلة الكبرى .

وفيه ، أرسل كبير الفرنسيس يسأل المشايخ عن الذين يدورون بالأسوق ، ويكشفون عوراتهم ويصحيون ويصرخون ويدعون الولاية ، وتعتقدهم العامة ، ولا يصلون صلاة المسلمين، ولا يصومون ، هذا جايز فى الأسلام أو حرام فى

---

١ – أى فى شهر شعبان ١٢١٥هـ ، حيث يلاحظ أن معظم يوميات هذا الشهر مجملة بدون ذكر تاريخ اليوم .

الشريعة ؟ فأجابوه بأن ذلك حرام ومخالف لديننا وشرعنا وسنتنا ، فشكرهم على ذلك ، وأمر الحكام بمنعهم والقبض على من يروه بهذا الوصف ، فإن كان مجنونا ربط فى المارستان ، أو غير مجنوناً ، فأما أن يرجع عن حالته أو يخرج من البلد .

وفيه ، أرسل رئيس الأطبا الفرنساوى (١) ، نسخاً من رسالة ألفها فى علاج الجدرى لأرباب الديوان ، لكل [ص٢٦٠] واحد نسخة على سبيل المحبة – بزعمه – (٢) والهداية ، ليتناقلها الناس ويستعملون ما أشار إليه فيها من العلاجات لهذا الداء العضال ، فقبلوا منه ذلك وأرسلوا له جواباً يشكرون همته فى ذلك .

وفى حادى عشره(٣) ، وجدت امرأة مقتولة ببستان عمر كاشف ، بالقرب من قناطر السباع ، فتوجه بسبب الكشف عليها رسول القاضى والأغا ، وأخذوا الغيطانية وحبسوهم ، وكان بصحبتهم القبطان الحاكم بالخط ، ولم يعلم القاتل ، ثم أطلقوا الغيطانية بعد أيام .

وفيه ، كمل المكان الذى أنشأوه بالإزكية عند المكان المعروف بباب الهوا ، وذلك المكان الذى أنشأوه يسمى عندهم "بالكُمِدِى" (٤) ، وهو عبارة عن محل

---

١ – هو الدكتور ديجنت Desgenettes كبير أطباء الحملة الفرنيسة في إيطاليا ومصر ، ألف أبحاث طبية عن مصر ، وله إحصاءات دورية عن وفيات القاهرة زمن الحملة نشرت فى " وصف مصر " ، وله كتاب " التاريخ الطبى لجيش الشرق " ذكر فيه أنه أرسل للديوان ٢٥٠ من رسالته فى الجدرى ، و ٥٠ نسخة للسيدة نفيسة المرادية ، وقد توفى عام ١٨٣٧ ، راجع الرافعى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ١٣٤ – ١٣٥ .

٢ – كلمة " بزعمه " محذوفة من عجائب الآثار ، ويضيف الجبرتى فى آخر هذه اليومية تعليقاً فيه " وهى رسالة لا بأس بها فى بابها " .

٣ – يوم الأحد ١١ شعبان ١٢١٥ هـ الموافق ٢٨ ديسمبر ١٨٠٠ م .

٤ – فى النسخة (ب) " يسمى فى لغتهم بالكمدى " والصواب ما أثبتناها من بقية النسخ.و " الكُمِدى " تعنى الملهى أو المسرح ، ومنها كلمة الكوميديا بمعنى الملهاة .

يجتمعون به كل عشرة ليالى ليلة ، يتفرجون به على ملاعيب يعملونها مقدار أربع ساعات من الليل ، وذلك بلغتهم ولا يدخل أحد إليه إلا بورقه معلومة وهيئة مخصوصة .

وفى سادس عشره (١) ، ذكروا فى الديوان ، أن صارى عسكر أمر وكيل الديوان ، أنه يذكر لمشايخ الديوان أن قصده ضبط وإحصاء من يموت ويولد من المسلمين ، وأخبرهم أن بونابارته كان فى عزمه ذلك ، وأن يقيد له من يتصدى لذلك ويدبره ويرتبه ويعمل له جامكية (٢) وافرة ، فلم يتم مراده ، والآن يريد تتميم ذلك ، ويطلب منهم تدبير ذلك كيف يكون ؟ وذكر لهم أن فى ذلك حكماً وفوايد : منها ضبط الأساب ، ومعرفة الأعمار ، فقال بعض العارفين (٣) و الحاضرين ويعلم من ذلك انقضاء عدة الأزواج أيضاً ، ثم اتفق [ص٢٦١] الرأى على أن يعلموا بذلك القلقات الحاضرين (٤) المقيدين بالحارات والأخطاط ، وهم يقيدون على مشايخ الحارات بالاستقصا عن ذلك من خدمة الموتى والمغسلين والنسا القوابل (٥) ، وما

---

١ – الجمعة ١٦ شعبان ١٢١٤هـ الموافق ٢ يناير ١٨٠١ م .

٢ – أى مرتبات ومخصصات .

٣ – كلمة " العارفين " غير موجودة فى النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .

٤ – كلمة " الحاضرين " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

٥– أخذ مينو على عاتقه القيام باصلاح أحوال الإدارة المصرية ونظام البلاد الضريبى ، وذلك خلال فترة السلام التى تمتع بها (حوالى تسعة أشهر) فقد حاول فى خلالها أن يضع القواعد الراسخة للاحتلال الفرنسى الدائم لمصر ، ووطن الجنود الفرنسيون أنفسهم على هذه الحياة الطويلة ، رغم تشوقهم للرجوع إلى فرنسا وأخذوا فى الاهتمام بالسكان المحليين والبلاد ، وكان ذلك راجعاً فى الأساس إلى فكرة مينو القائمه على وجوب الاهتمام بالبلاد ، والاعتماد على إيراداتها المحلية المعيشه فيها وتوطين النفس على ذلك.

هيلين آن ريفيلين " الاقتصاد والإداره فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر " ترجمة د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف ، ١٩٦٧م ، ص٣٠ .

فى معنى ذلك ، ثم ذكر الوكيل أن صارى عسكر ولد له مولود ، فينبغى ويلزم أن تكتبوا له تهنيه بذلك المولود ، الذى ولد له من المرأة المسلمة الرشيدية (١) ، وجواباً عن الرأى ، فكتبوا ذلك فى ورقة كبيرة وأوصلها إليه الوكيل " فوريه " .

وفى خامس عشرينه (٢) ، أرسل كبير الفرنسيس إلى مشايخ الديوان كتاباً وقراه الترجمان الكبير " رفاييل " (٣) وصورته ونصه بالحرف الواحد :

"بسم الله الرحمن الرحيم "

" لا اله إلا الله محمد رسول الله ، من عبد الله جاك منوا صارى عسكر ، أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً ، إلى حضرة المشايخ والعلما أهالى الديوان المنيف بمصر القاهرة حالاً ، أدام الله تعالى فضايلهم وزينهم بلميع النور ، لإ كمال وظايفهم ، ونجاز فرايضهم، أمين يا معين ، والآن نخبركم أن الكتاب الذى حررتموه لنا ملأ أنفسنا سروراً ، وقلبنا حبوراً ، فثبت عندنا وتحقق وفور ما عندكم من المحبة التى شهدتم بها ، وما فيكم من البقية (٤) والنظام والعدل ، فحقاً إنكم لمستحقين لأن تكونوا فى مثل هذا

١- تزوج مينو من سيدة رشيدية تدعى " زبيدة " وذلك بعد أن أسلم ، وعند عودته لفرنسا أخذها معه ، ويقال أنه إهملها أهمالاً شديداً وقام بتعميد ابنهما على الديانة المسيحية بل أنها أصبحت هى الأخرى كذلك . رفاعة الطهطاوى : تخليص الإبريز فى تلخيص باريز ، مطبعة البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٥٨ .

٢ - يوم الأحد ٢٥ شعبان ١٢١٥هـ الموافق ١١ يناير ١٨٠٠م .

٣ - هو القسيس الشرقى " روفائيل " الذى عين ترجماناً أول للديوان ، وبعد عودة الحملة إلى فرنسا عين مدرساً للعربية الدارجة فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس . راجع الرافعى : مرجع سابق جـ١ ، ص ١٣٧

٤- هكذا فى جميع النسخ ، وفى النسخة (ب) " البقية والعدل والنظام " ، وفى عجائب الآثار " النعمة والنظام والعدل " ، وربما المقصود " اليقين والنظام والعدل " .

المحل الذى اخترتم عليه ، فنحن نعلم أن القرآن العظيم الشان ، ذلك المصحف الأكمل ، والكتاب المفضل ، ويشتمل على مبادى الحكمة السنية، والحقوق اليقينية، وهذه المبادى المذكورة لا يصح [ص٢٦٢] بناؤها المتين ، على الحكم والحق اليقين، إلا إذا عرضت على أحسن الآداب ، وتعليم العلوم بغير ارتياب ، وبهذين تنتج أعظم الفوايد ، وذلك بمساعى أناس متحدين معاً برياضات الحظ والسعد ، وبمثل ذلك عرفت أنه لمن المستحيل أن القرآن الشريف يفصح إلا على ما هو من باب النظام ، لأنه من دون ذلك فكل ما هو فى هذا العالم الفانى ليس إلا معاثر وخراب، ولا يسهى عنا أن كل ما هو من الموجودات الكاينات ، كقولك تلك المتحركة بطريقة ونظام ، من قبل من جعلها للمسير ، سبحانه مبدع الأنام كالنجوم السايرة فى الأعالى ، وبها نهتدى للسير الخالى ، ثم وعلى الخصوص ، تلك الفصول الأربع المتوالى انتقالها ، باستمرار جولانها ، ثم واتصال الليل بالنهار ، والنهار بالليل على حد واحد من المقدار ، ثم ووجود المتباينات ، وتميز النور من الظلمات ، وإذ ذاك وما أدراك ، فماذا عسى كان يحل بنا ومجال العالم بأسره أيضاً ، لو عدم هذا النظام ولو برهة ، فالآن نرجو جناب حضرة المشايخ والعلما ، تفيدونا كيف ترى كان يصير حال القطر المصرى ، لولم يمتنع عن جريانه كعادته نهره هذا المبارك المشتهر ، لا يسمح الله تعالى سبحانه بذلك ، فبلا شك أن البلاد قاطبة [(١)] لا يمكن أن تسكن حين ذاك إلا ببحر سنة واحدة فقط ، وذلك من عدم الماء ، وروى أراضى هذه المملكة التى أنتم قاطنون بها ، وفى ذلك الحين كانت تصعد الرمال على الأطيان والمزارع والحيطا ن ، والناس تهلك جوعاً ، وتعدم السكان ، فتتشحن [ص٢٦٣] الأرض من الأموات ، فنعوذ بالله الحفيظ لساير المخلوقات .

---

١ – كلمة " قاطبة" غيرموجودة فى النسخة (ب) فاثبتناها من بقية النسخ .

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أبدع كل الأشياء بمعرفته القادرة ، وحكمته الباهرة ، وجعل هذا النظام العجيب ، ورتب هذه الدنيا وما فيها ترتيب معجز غريب ، قد أعرف أنها بدون ذلك تعدم سريعاً ، وحالها يغدوا مريعاً ، فالآن إنما نكون نحن من أشر المذنبين ، اذا سرنا سيرة كالضالين ، وعلى أوامره عصاة غير منخضعين ، ومع ذلك فنسأله جل شأنه أن يقوينا على السلوك فى ديننا ودنيانا ، وهذا القدر كفانا . فيا أيها المشايخ المكرمين والعلما المحققين ، ومن هم بالعلم معطرون ، لا يخفاكم أن أجمل (١)ما فى النظام ، فى تدبير هذه الدنيا بأسرها (٢) حسن تام ، هو الاحتفال والميل إلى النظام ، الذى هو صادر ترتيبه عن حكمة الله تعالى بوجه تام ، ثم إن البلاد وتلك النواحى التى يطلق على كونها فى حال النجاح، والحظ والفلاح ، لا تعتد هكذا إلا إذا كان سكانها يهتدون إلى قواعد الشريعة ، والفرايض الصادرة عن أصحاب الفطنة والإدراك ، ويستعدون للسلوك بالعدل والإنصاف ، خلافاً لغيرها من البلاد التعيسة الحال ، تلك التى سكانها خاضعون على الدوام ، لما فيهم من العجرفة والاعتداد ، ولا ينعطفون إلا إلى أهوا أنفسهم المنحرفة ، فجناب حضرة بونابارتة الشهير النبيل ، الصنديد الشجاع الجليل ، قد تقدم فأمر بأن يحرر دفتراً يكتب فيه أسماء كامل الميتين ، والآن حضرتكم قد طلبتم منى دفتراً آخر خلافه ، فيه يتحرر أسما المولودين أيضاً ، ومن حيث ذلك فلابد أن أعتنى منذ الآن [ص٢٦٤] مع جزيل الاهتمام لهذين الأمرين ، وهكذا أيضا بتحرير دفتر الزواج ، اذا كان ذلك أشد المهمات والحوادث الواجبات ، ثم ويتبع ذلك بتحديد نظام غير قابل للتغيير فى ضبط الأملاك والتمييز الكامل عمن ولد ومات من سكان ، وهذا يعرف من أهالى كل بيت ، فعلى هذا الحال

١- كلمة " اجمل " غير موجود فى النسخة (أ) .

٢ - فى جميع النسخ " بأسر حسن تام " وما أثبتناه فى المتن من عجائب الآثار هو الأصواب .

يتيسر للحاكم الشرعى الحكم بالعدل والإنصاف ، وينقطع الخلف والخصام ما بين الورثة ، وتقرر الولودة ومعرفة السلالة التى هى النشئ(١) الأجل والأوفر استحقاقا فى الإرث ، وهكذا إن شاء الله ، لابد عن الفحص والتفتيش بالحرص والتدقيق وبذل الهمة ، للحصول بأقرب نوال إلى ما يلزم لإكمال ما قصدناه ، ثم إن أراد الله ، لابد أن أعتنى بالمطالعة على وجه تام كل وقت يقتضى لنا أن ندبر أشيا ، تستفيد بها هذه المملكة التى قد تسلمنا سياستها ، وبهذا نوقف ونتحقق كوننا امتثلنا لأوامر (٢) دولة جمهورية الفرنساوية ، وحضرة قنصلها الأول بونابارتة ، فيا حضرة المشايخ والعلما الكرام ، إننا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا ، تهنية بولادة ولدى السيد سليمان (٣) مراد جاك مينو ، فنطلب من الله سبحانه وتعالى ، وأسالوه كذلك بجاه رسوله سيد المرسلين ، أن يجود به علىّ زماناً مديداً ، وأن يكون للعدل محباً وللاستقامة والحق مكرماً ، وبوفا وعده صادقاً ، وأن لا يكون من أهل الطمع ، فهذا هو أوفر الغنى الذى أرغبه لولدى ، لأن الرجل [ص٢٦٥] الذى لا يهتدى إلا بالخير ، فلا يصرف اعتناه إلا فى خير الأدب ، لا فى قنية الفضة والذهب ، فنسأله تعالى أن يطيل بقاكم والسلام".

وفى غايته (٤) ، سقطت منارة جامع قوصون ، سقط نصفها الأعلى فهدم جانباً من بوايك الجامع ، ونصفها الأسفل مال على الأماكن القابلة له بعطفة

١ – كلمة " النشئ " غير موجودة فى النسخة (أ) .

٢ – فى النسخة (أ) " امتثلنا الاوامر دوله " وفى النسخة (ب) " كوننا امتثلناه أوامر دوله " والصواب ما أثبتناه .

٣ – يقال أن مينو أطلق على ولده هذا الاسم لعداء قديم كان بينه وبين كليبر ، فسماه على اسم قاتله " سلميان الحلبى ".

٤ – غايته يوم الخميس ٢٩ شعبان ١٢١٥هـ الموافق ١٥ يناير ١٨٠١م .

الدرب النافذ لدرب الآغوات، وبقى مسنود كذلك قطعة واحدة ، وأظن أن سقوطها من فعل الفرنسيس بالبارود .

شـــهـــر رمـــضـــان ١٢١٥هـ

ثبت هلاله ليلة الجـمـعـة (١) ، وعـملت الرؤية ، وركب المحـتـسـب ومـشـايخ الحرف، بالطبول والزمور على العادة ، وأطلقوا له خمسين ألف درهم لذلك ، نظير عوايده التى كان يصرفها فى لوازم الركبة .

وفى خـامسـه (٢) ، وقع السـؤال والفـحص عن كسـوة الكعـبـة التى كـانت صنعت على يد مصطفى أغا كتخدا الباشا ، وكملت بمباشرة حضرة صاحبنا العـمـدة الفـاضل، الأريب الأديب، الشـاعر الناثر ، السـيـد إسمـاعـيل الشـهـير بالخشاب (٣) ، ووضـعت فى مكانها المعتاد بالمسجد الحسيني ، وأهمل أمرها إلى حد تاريخه ، وربما تلف بعضـهـا من رطوبة المكان وخرير السقف من المطر ، فقال الوكيل : " إن صارى عسكر قصده التوجه بصحبتكم يوم الخميس ، قبل الظهر بنصف ساعة إلى المسجد الحسيني ، ويكشف عنها فإن وجد بها خللاً أصلحه ، ثم يعيدها كما كانت ، وبعد ذلك يشرع فى إرسالها إلى مكانها بمكة ، وتكسى بها الكعبة على اسم [ص٢٦٦] المشيخة الفرنساوية " ، فقالوا له شأنكم وما تريدون ، وقرأوا ورقة بمضمون ذلك .

وفى ذلك اليوم ، قروا ورقة مـضـمـونـها : أنه وردت مكاتبات من فرانسا ، بوقوع الصلح بينهم وبين أهل الجزاير وتونس ، بشروط ممضية مرضية ، وقد

١ – يوم الجمعة غرة رمضان ١٢١٥هـ الموافق ١٦ يناير ١٨٠١م .
٢ – يوم الثلاثاء ٥ رمضان ١٢١٥هـ الموافق ٢٠ يناير ١٨٠١م .
٣ – عمل السيد إسماعيل الخشاب أميناً لمحفوظات الديوان العام وكاتباً لتواريخ الديوان .

أطلقوا الإذن للتجار من أهل الجهتين بالسفر للتجارة ، فمن سافر له الحماية والصيانة ، فى ذهابه وإيابه وإقامته ، باسم دولة الجمهور الفرنساوية ، إلى آخره ، ولم يظهر لذلك أثر .

وفيه (١) ، قرئ تقليد الشيخ أحمد العريشى بقضا مصر على ما هو عليه ، حكم اتفاق الآجلة من المسلمين ، بموجب القرعة السابقة من مدة شهرين أو أكثر

فلما كان صبح ذلك اليوم ، أرسل شيخ البلد " بليار " ، إلى العريشى ومشايخ الديوان والوجاقلية ، فلما تكاملوا أخلع على القاضى العريشى فروة سمور بولايته القضا ، وركب بصحبة الجميع ، ومشوا من وسط المدينة إلى أن وصلوا إلى المحكمة (٢) بين القصرين فجلسوا ساعة من النهار ، وقرى تقليده بحضرة الجميع ، ووكيل الديوان " فوريه " ، ثم رجعوا إلى منازلهم .

وفى يوم الخميس الموعود بذكره (٣) توجه الوكيل ومشايخ الديوان ، إلى المشهد الحسينى لانتظار حضور كبير الفرنسيس بسبب الكشف على الكسوة (٤)

---

١ – يوم الثلاثاء ٥ رمضان ١٢١٥هـ الموافق ٢٠ يناير ١٨٠١ م .

٢ – المحكمة : كان مقر قاضى العسكر فى مقعد ماماى أزبك السيفى وهو الذي يعرف ببيت القاضى – ويعتبر مقعد بيت القاضى أجمل مثال للمقعد فى العمارة الأسلامية وهو فى الأصل جزء من قصر أنشاه الأمير ماماى السيفى سنة (٩٠هـ / ١٤٩٥م) كما هو منقوش على العضلدة اليسرى لمدخل وذلك فى عهد السلطان الناصر قايتباى ، وكلمة المقعد تطلق عادة على المكان المخصص لاستقبال الرجال فى البيوت فى مصر منذ العصور الوسطى ، وأطلق على الميدان الذى أمامه ميدان بيت القاضى بالنحاسين .
راجع د / سعاد ماهر : القاهرة القديمة وأحياؤها / القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص٩٣ وما بعدها

٣ – يوم الخميس ٧ رمضان ١٢١٥هـ الموافق ٢٢ يناير ١٨٠١م .

٤ – الكسوة والمشهد الحسينى : يفهم من كلام القلقشندى أن كسوة الكعبة الشريفة فى الربع الأول من القرن التاسع الهجرى كانت تصنع فى المشهد الحسينى ، ثم بعد ذلك يخبرنا الجبرتى أنها كانت تصنع فى القلعة ، وفى عام ١٢١٥هـ عهد بتلك الكسوة إلى السيد إسماعيل الخشاب أحد العدول بالمحكمة الكبرى للاتهامها فنقلها إلى بيت ليوب جاويش بجوار السيدة زينب فأتموها هناك ، وخزنت بعد ذلك فى المشهد الحسينى ويبدو من حديث الجبرتى هنا أنه تم إصلاحها أيضا فى المشهد الحسينى لمزيد من المعلومات راجع . د/ السيد محمد الدقن ، مرجع سابق، ص١٢٤ وما بعدها .

وازدحم الناس بزيادة على عادتهم فى الازدحام فى رمضان ، فلما حضر ونزل عن فرسه عند [ص٢٦٧] الباب ، وأراد العبور للمسجد رأى ذلك الازدحام ؛ فهاب العبور وخاف الدخول ، وسأل ممن معه عن سبب هذا الازدحام ، فقالوا له هذه عادة الناس فى رمضان ، يزدحمون دائما على هذه الصورة فى المسجد ، ولو حصل منكم تنبيه كنا أخرجناهم قبل حضوركم ، فركب فرسه ثانياً وكرّ راجعاً وقال نأتى فى يوم آخر ، وانصرف حيث جاء وانصرفوا .

وفى ليلة السبت تاسعه (١) ، حصلت كاينه سيدى محمود ، وأخيه سيدى محمد المعروف بأبى دفِّيَّة ، وذلك أن سيدى محمود المذكور كان بينه وبين على باشا الطرابلسى صداقة ومحبة أيام إقامته بالجيزة ، وحج صحبته فى سنة ، فلما وقعت حادثة الفرنساوية ، وخرج على باشا [المذكور مع من خرج إلى الشام ، ووردت العساكر الإسلامية صحبة حضرة] (٢) مولانا الوزير الأعظم (٣)، وصحبته على باشا المذكور ، وله به مزيد الوصلة والعناية والمرجع ، لخبرته بالأقطار المصرية، ومعرفته أهالى البلاد ، و استشاره فى شخص يعرفه يكون عيناً بمصر ليراسله ويطالعه بالأخبار ، فأشار عليه بمحمود جلبى المذكور ، فكانوا يراسلونه ويطالعهم بالأخبار ، فلما قدموا إلى مصر فى السنة الماضية ، وجرى ما جرى من نقض الصلح ، ورجوع عرضى همايون ، لم يزل محمود جلبى تأتيه الأخبار (٤) المرسلات بوساطة السيد أحمد المحروقى أيضاً ، ولأن على باشا ارتحل إلى الديار

---

١ - السبت ٩ رمضان ١٢١٥هـ الموافق ٢٤ يناير ١٨٠١م .

٢ - العبارة التى بين القوسين ساقطة من النسخة (أ) فأثبتناها من النسخة (ب) ،(ج) ، وهى غير موجودة فى طبعة التربية والتعليم كذلك حيث اعتمد المحققون على النسخة (ب) .

٣ - فى عجائب الآثار يضنى الجبرتى على يوسف باشا بلقبه ويذكر " صحبه يوسف باشا الوزير " .

٤ - كلمة " الأخبار " غير موجودة فى النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .

الرومية ، فيطالعهم كذلك بالأخبار مع شده [ص٢٦٨] الحذر خوفاً من سطوة الفرنساوية ، وتجسس عيونهم المقيدة لذلك ، فكان يذهب إلى قليوب ويتلقى ورود القاصد ويرد له الجواب ، فلما كان في التاريخ (١)، ورد عليه رسول ومعه جواب وأربعة أوراق مكتوبة باللغة الفرنساوية ، وفيه الأمر بتوزيعها ووضعها في أماكن معينة حيث سكن الفرنساوية ، فوزع اثنين وقصد وضع الثالثة في موضع جمعيتهم ، فلم يمكنه ذلك إلا ليلاً ، فأعطاها خادمه وأمره أن يشكها بمسمار بحايط ذلك المكان ، وهو بالقرب من الحمام المعروفة بحمام الكلاب ، ففعل وتلكأ في الذهاب ، فاطلع عليه بعض الفرنسيس من أعلا الدار ، فنزلوا إليه وأخذوا الورقة ، وقبضوا على ذلك الخادم، وصادف ذلك مرور حسن القلق ، وهو يتوقع نكته تكون له بها الوجاهة عند الفرنسيس ، فاغتنم هذه الفرصة وقبض على الخادم مع الفرنساوية ، وسيده ينظر إليه من بعيد ، وعلم أنه وقع في خطب لا ينجيه منه إلا الفرار ، فرجع إلى داره وتحدث مع أخيه واستشاره فيما وقع ، فأشار عليه بالاختفا ، ويقيم أخوه بالمنزل مستهدفاً للقضا ، وليكون وقاية على منزله وعرضه ، وليس هو المقصود بالذات ، فكان كذلك ، وتغيب سيدى محمود وأصبح الطلب قاصده ، فلما لم يجدوه قبضوا على أخيه محمد أفندى ومن معه بالبيت، وهو الشيخ خليل المنير وقرابته إسماعيل جلبى ونسيبه [ص٢٦٩] البرنوسي والسقا شيخ حارتهم ، وحبسوهم ببيت قايمقام ، وهم سبعة أنفار والخادم المقبوض عليه أولاً ، وأوقفوا حرسا بدارهم ، واجتهدوا في الفحص عن سيدى محمود، وتكرار السؤال عليه من أخيه ورفقايه أياماً ، فلما لم يقفوا له على خبر أحاطوا بالدار ونهبوا ما فيها ، وصحبتهم الخادم يدلهم على المتاع ،المخبات ، ثم أصعدوهم إلى

---

١ - أي يوم السبت ٩ رمضان ١٢١٥هـ الموافق ٢٤ يناير ١٨٠١م .

القلعة ، وضيقوا عليهم وأرسلوا خلف أبى الشوارب شيخ قليوب ، ومن كان ينتقل عندهم ، وألزموهم بإحضاره ، فأنكروه وجحدوه ، ثم أطلقوا خادمه بعد أن أعطوه خمسين ريالاً فرانسة ، وجعلوا له ألفاً إن دلهم عليه ، وقيدوا به عيناً يتبعه أينما توجه ، فاستمر أياماً يغدو ويروح فى مظناته ، فلم يقع له على خبر فردوه إلى السجن ثانياً عند أصحابه ، وأما سيدى محمود فوقع له مزيد من المشقة فى مدة اختفايه ، وتبرأ منه غالب أصحابه ومعارفه من العربان وأهل مصر ، وكل من التجأ إليه وأحب أن يتوارى عنده ، زيفه وتنكر منه ، حتى أنه ذهب إلى أتريب(١) عند أولاد درب الشمسى ، فتلقاه حسن جلبى وأكرمه، بخلاف ابن عمه محمد جوربجى ، فإنه تكدر من مجيئه عندهم ، وخاصم ابن عمه من أجله ، وأرسل إليه المرار العديدة يأمره بالذهاب ، لئلا يلحقه الضر بسبب حلوله عندهم ، وذهب إلى دجوة (٢)، عند أولاد ابن حبيب ، فزيفوه أيضاً ولم يقبلوه ، ثم إنه ذهب إلى مييه (٣) عند أولاد حلاوه ، فاكرموه وواسوه ، وأخفوا أمره ، ولم يزل مقيماً

---

١ – أتريب : مدينة مصرية قديمة ذكرها جوتييه فى قاموسه فقال " أن اسمها المصرى المدنى "Har hutab" ومعناها العصر الذى فى الوسط ، واسمها الدينى Kaken أى مدينة الثور الأسود وهو معبود أهلها ، وكانت أتريب قاعدة أبرشية فى القرن الثامن الميلادى ، وبدأ الخراب فيها منذ القرن السابع ولكن عرف محلها باسم أتريب" محمد رمزى : القسم الثانى جـ١ ، ص ١٨ . "

٢ – دجوة : من القرى من القديمة وردت فى نزهة المشتاق باسم جدوده ، وفى نسخة أخرى منها – ذكرت فى تاج العروس – الدجوة من القليوبية – وفى الانتصار وتأريع ١٢٢٨ دجوى بألف معصورة فى آخرها وهو اسمها الحالى ، وهى تقع على الشاطئ الشرقى لفرع النيل . راجع محمد رمزى – القسم الثانى ج١ ص٤٤ .

٣ – المقصود بمييه هنا قريه إمبياى : وهى من النواحى القديمة اسمها الأصلى " إمبيه " وردت فى الانتصار و فى قوانين الدواوين وتاج العروس من أعمال الشرقية ، ووردت فى التحفة إمبيه من الأعمال القليوبية ، وهو خطأ فى النقل صوابه إمبيه وقد حرف اسمها فى العهد العثمانى ، ووردت باسمها الحالى فى تاريع ١٢٢٨هـ ، محمد رمزى القسم الثانى جـ١ ، ص٤٤

عندهم فى غاية الإكرام حتى ورد العرضى [ص٢٧٠] المنصور [١] إلى ناحية بنها وفرج الله عنه .

ولما كان يوم الخميس رابع عشره [٢] ، تقيد للحضور بسبب الكشف على الكسوة ، استوف خازندار الجمهور، وفوريه وكيل الديوان ، فحضرا مشايخ الديوان والقاضى والآغا والوالى والمحتسب ، بعدما أخلى المسجد من الناس ، وأحضرو خدامين الكسوة الأقدمين وحلوها وكشفوا عليها ، فوجدوا بها بعض خلل ، فأمروا باصلاحها ، ورسموا لذلك ثلاثة الآف نصف فضة ، ولخدمة الضريح بألف نصف فضة ، ولخدمتها الذين يخدمونها مثلها ، ثم طويت ووضعت فى مكانها بعد ترتيبها وإصلاحها .

وفى رابع عشرينه [٣]، ضربت مدافع كثيرة بسبب ورود مركبين من فرانسة، فيهما عساكر والات حرب و أخبار بأن بونابارتة أغار على بلاد النمساوية وحاربهم وحاصرهم وضايقهم ، وأنهم نزلوا على حكمه ، وبقى هذه الآلات والعساكر ، وقصد إرسالها إلى مصر وسيأتى فى أثرهم مركبان آخران فيهما أخبار تمام الصلح ، ويستدل بذلك على أن مملكة مصر صارت فى حكم الفرنسيس لا يشركهم

١- " العرضى المنصور " حذفها الجبرتى من عجائب الآثار .

٢ - يوم الخميس ١٤ رمضان ١٢١٥هـ الموافق ٨ فبراير ١٨٠١ م .

٣ - يوم الأحد ٢٤ رمضان ١٢١٥هـ الموافق ١٨ فبراير ١٨٠١م .

غيرهم فيها ، هكذا قالوا هذا الكلام وقرأوه فى ورقة بالديوان (١)

شهر شوال ١٢١٥هـ

فيه،(٢) بدا أمر الطاعون ، فانزعج الفرنساوية من ذلك وجردوا مجالسهم من الفرش وكنسوها وغسلوها ، وشرعوا فى عمل كرنتينات ومحافظات .

وفى ثامنه (٣) ، قال وكيل الديوان للمشايخ : " إن حضرة صارى عسكر بعث إلىّ كتاباً معناه إيضاح ما يتعلق [ص٢٧١] بأمر الكرنتينة ، ويرى رأيكم فى ذلك وهل توافقون على رأى الفرنساوية أم تخالفون ؟ . " فقالوا : "حتى ننظر ما هو المقصود . " فقال : "حضرة أرباب الديوان يجب عليهم أن يعلموا الطريق الذى يكون سبباً لانقطاع هذه العلة ، فإننا نبغى لهم ولغيرهم الخير ، فإن أجابوا فذاك

١ – بعد أن عاد نابليون إلى فرنسا انشغل عن الحملة بأعماله فى أوربا التى بدأها بإسقاط حكومة الديركتوار، وتنصيب نفسه قنصلاً أول ، ثم العمل على إعادة السلم إلى أوربا ، ولكن رفض انجلترا والنمسا لدعوته أدى إلى تجدد الحرب فى أوربا ، وزحف نابليون على ايطاليا واستردها بعد أن ألحق بجيوش النمسا هزيمة مدوية فى معركة مارنجو (يونيو ١٨٠٠) . وبعد ذلك أخذ يفكر فى إمداد الحملة فى مصر ، ولكن نجاح انجلترا فى احتلال مالطة كان عقبة فى طريقه ، ولكن رغم رقابة البوارج الإنجليزية الصارمة ، أخذت السفن الفرنسية تغامر بالسفر إلى مصر ، فتضبط السفن الإنجليزية بعضها ، ويصل البعض الآخر سالماً إلى مصر، وكان نابليون يقصد-من ذلك رفع الروح المعنوية للجنود ، وإعلامهم بأنه لا ينساهم . وكان لوصول هاتان السفينتان إلى الأسكندرية يوم ٣ فبراير أثر كبير على رفع الروح المعنوية للجنود . ولكن ما جاء فى منشورهم من أن الصلح مع النمسا نص على بقاء مصر فى حكم الفرنسيين كان من تمويهاتهم التى أرادوا بها التأثير على المصريين ، لأن المعاهدة التى وقعت مع النمسا لم تتعرض لمصر ، وصدق الجبرتى فى ارتيابه الذى يفهم من قوله " هكذا قالوا ".الرافعى: مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ٢١٢ – ٢١٤

٢ – استهل شهر شوال ١٢١٥هـ بيوم الأحد ٢٢ فبراير ١٨٠١ م .

٣ – الأحد ٨ شوال ١٢١٥ هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٨٠١ م

وإلا فيلزمون ولو قهروا ، وربما استعملنا القصاص ولو بالموت عند المخالفة ، ومن الذى يتغافل عما يكون سبباً لقطع هذا الداء ، فإن رأينا قد انعقد على ذلك ، ويجب أن يتفق معنا أرباب الديوان ، لأن حفظ الصحة واجب ، ولذا نرى كثيراً من الناس – ولا سيما المتشرعون – يستعمل الطبيب عند المرض ، رعاية لحفظ الصحة وما نحن فيه من ذلك ، ونذكر لكم أن بلاد الغرب قد أعتمدوا فعل الكرنتيلة الآن ، فعلما القاهرة أولى بأن لا يتأخروا عن أستعمال الوسايط ، إذ قد ربطت الأسباب بالمسببات . " فقيل : له وما الذى تأمرون به أن يفعل : . فقال : " هو الحذر لاغير ، وهو الغاية والنتيجة ، وهو أنه اذا دخل الطاعون بيتاً ، لايدخل فيه أحد ولا يخرج منه أحد ، مع ما يترتب على ذلك من القوانين المختصة به ، وخدمة المريض وعلاجه ، وسيوضح لكم ذلك فيما بعد ، يعنى بعد أن تذعنوا للطاعة وعدم المخالفة " وطال البحث والمناقشة فى ذلك بين أرباب الديوان والوكيل ، وأنفض المجلس على أن الوكيل سيفاوض صارى عسكر فى ذلك ، ثم يدبرون أمراً وطريقة يكون فيها الراحة للمسلمين والفرنسيس ، فإن هذا فيه مشقة على المسلمين لعدم ألفتهم لهذه الأمور .

فى ثالث عشره (1)[ص٢٧٢] ضربت عدة مدافع من القلاع لايدرى ماسببها .

وفى رابع عشره (2) ، قريت ورقة حضرت من صارى عسكر بالديوان ، ولصقت منها نسخ فى مفارق الطرق والأسواق ، ونصها بعد البسملة والجلالة :

" من عبد الله جاك منوا سرعسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً ، إلى كامل الأهالى كبير وصغير ،

١ – يوم الجمعة ١٣ شوال ١٢١٥هـ الموافق ٢٧ فبراير ١٨٠١م .

٢ – يوم السبت ١٤ شوال ١٢١٥هـ الموافق فبراير ١٨٠١م .

غنى وفقير ، المقيمين حالاً بمحروسة مصر ، وبمملكة مصر ، الناس الذين هم من الأشقياء والمفسدين ، ولا يفتشوا إلا إلى الإضرار بالناس وإضراركم ، شهر فى وسط المدينة بينكم أخبار ردية تزوير ، لتخويفكم وتخويف المملكة ، وكل ذلك كذب وافترى ، فانما نحن نخبركم جميعاً أن كلاً من الأهالي المذكورة من أى طايفة وملة كان ، بالذى يثبت عليه الأشهار أو النشر من نفسه بينكم ذلك الأخبار الردية المكذوبة ، تخويفاً لكم وإضلالاً بالناس ، ففى الحال ذلك ، الرجل يمسك وترمى رقبته بوسط واحدة طرق مصر . ويا أهالي مصر انتبهوا وتذكروا هذه الكلمات ، وكونوا مستريحين البال ، ومترفهين الحال ، إنما دولة الجمهور الفرنساوى حاضر لحمايتكم وصيانتكم، ولكن ناظر كذلك إلى تعذيب العصاة ، والسلام على من اتبع الهدى والصدق والاستقامة . تحريراً فى ستة شهر وانتور [1] سنة تسع ، الموافق لحادى عشر شهر شوال[2] فعلم الناس من فحوى ذلك ورود شئ ، أو حصول شئ ، على حد قول المثل المشهور " كاد [ص٢٧٣] المرتاب أن يقول خذنى " لأن الناس إذ ذاك ليس لهم فكر ولا ذكر إلا بواقى الفردة ، ومالزمهم فى المليون ، ولاشغل لكل فرد إلا بتحصيل ما فرض عليه ، والسبب فيما ذكر أنه وردت عليهم أخبار بوصول مراكب جهة أبو قير .

وفى ذلك المجلس ، سيل الوكيل عن ضرب المدافع لأى شئ ، فقال لابد وأن أحيط علمكم ببعض ذلك فى هذا المجلس ، وهى أن الفرنساوية كانت تحارب القرانات [3]، والآن وقع صلح بينهم وبين القرانات ماعدا الإنكليز ، فإنه الآن

١- فانتور "Vantor" هو الشهر السادس من تقويم الجمهورية الفرنسية الأولى ويبدأ من ١٩ أو ٢٠ فبراير وينتهى ٢٠ مارس .

٢ - ورد هذا المنشور ضمن وثائق الحملة الفرنسية فى دار الوثائق القومية - مجلدات الحملة الفرنسية ، مجلد .مينو ، وثيقة رقم ٧٨ - باللغتين الفرنسية والعربية .ص١٨ .

٣ - يقصد بالقرانات : دول الشمال (روسيا - الدنمرك - السويد) .

مضيق عليه ، وربما كان ذلك سبباً لرضاه بالدخول فى الصلح ، وقد خرج من فرانسا عمارة ، ربما توجهت على الهند ، وربما أنهم يقدومون إلى مصر ، وقد وصل لصارى عسكر أمر من المشيخة بوصول مراكب الموسقوا التى تحمل الذخاير إلى الفرنساوية ، وأن يمكنهم من دخول سكندرية ، وقد خرج ستة غلايين من فرانسا إلى بحر الهند ، فربما قدموا بعد ذلك إلى جهة السويس ، وبورود هذه الأخبار تعين خلو مصر إلى جمهور الفرنساوية ، وفى سالف الزمان كانت جميع القرانات التى بالجهة الشمالية ضد الفرانساوية ، وقد زالت الآن هذه الضدية ، ومتى انقضى أمر الحرب عمت الراحة والرأفة والنظر بالملاطفة للرعية ، والذى أوجب الاغتصاب والعنف إنما هو الحرب ، ولو دامت المسالمة لما وقع شئ من هذا ، فقال بعض أهل الديوان : " سنة الملوك العفو والصفح ، وما مضى لايعاد ، فارحمونا اعفوا عما سلف " . فقال الوكيل : " قد وقع الامتحان [ص٢٧٤] ولم يبق إلا السلم والمسامحة " ، يقول جامعه (١) وهذا كله تمويه على العقول وكذب بحت يرده المنقول والمعقول .

وفيه (٢) ، قبضوا على عمر القلق أغاة المغاربة المرتبة عندهم عسكراً ، وعلى شخصين آخرين يدعى أحدهما على جلبى والآخر مصطفى جلبى ، وسجنوا بالقلعة (٣). وسبب ذلك أنه حضر إلى مصطفى جلبى مكتوب من نسيبه بجهة الشام (٤) ، يطلب منه بعض حوايج ، فقرئ ذلك المكتوب بحضرة عمر القلق ورفيقه

---

١ – هذا التعليق للجبرتى ، وهو محذوف من عجائب الآثار ، وفى النسخة (أ) " يقول جميعهم " وهو خطأ من الناسخ .
٢– يوم السبت ١٤ شوال ١٢١٤هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٨٠١م .
٣ – فى النسخة (أ) "بالعلقة " وهى خطأ من الناسخ .
٤ – فى النسخة (أ) " مكتوب سيبه بجهة الشام " .

الآخر ، فوشى بهم رجل قواس ، فقبضوا على الجميع ، وكان مصطفى جلبى المذكور يسكن ببيت محمد أفندى ثانى قلقة (١) ، فدخلوا يفتشون عليه فى الدار فلم يجدوه ، فألزموا به محمد أفندى المذكور ، وأزعجوه وأحاط به عدة من العسكر ولم يمكنوه من القيام من مجلسه ولا من اجتماعه بأحد ، وبعد أن وجدوا ذلك الإنسان لم يفرجوا عن محمد أفندى بل استمر معهم فى الترسيم ، ووجدوا مكاناً بالدار به أسلحة وأمتعة فنبهوه، واتهمت الدار والحارة ، وحصل عندهم غاية الكرب، حتى أن بعض جيران ذلك المحل كبر عنده الخوف ، وغلب عليه الوهم ، فمات فجأة"رحمه الله". ثم فرج الله عن محمد أفندى بعد ثلاثة أيام ، وأطلق عمر القلق لظهور براءته ، ولم يكن له جرم غير العلم والسكوت ، وانتقل محمد أفندى من تلك الدار ، وما صدق بخلاصه منها ، وبقى مصطفى جلبى وعلى جلبى فى الحبس

وفى سابع عشره (٢) ، استيفيضت الأخبار بوصول [ص٢٧٥] مراكب إلى أبو قير كما تقدم (٣) .

---

١ - ثانى قلفه : كان للروزنامجي مجموعة من المساعدين من أهمهم أربعة مساعدين عرفوا بالمباشرين أو الخلفاء أو " القلفا " وكان أهمهم ، " الباش مباشر " أو " الباش خليفة " أو الباش قلفه " وكان هو الوكيل الأول للروزنامجي أو كقائمقام بدل الروزنامجى ، ويأتى بعده الباش خليفة : ثانى خليفة – ثم ثالث خليفة . ثم رابع خليفة ، أو ثانى قلفه وهكذا وهؤلاء يشرفون على كل الأعمال الحسابية التى يقوم بها الأفندية وعلى كل السجلات التى تحت أيديهم وقد أطراهم المؤرخون المعاصرون ووسموهم باللباقة ورقة الحاشية ودماثة الخلق

د/ ليلى عبد اللطيف : مرجع سابق ، ص٣٠٦ .

٢- يوم الثلاثاء ١٧ شوال ١٢١٥هـ الموافق ٣ مارس ١٨٠١م .

٣- بعد خروج روسيا من الائتلاف مع الدولة العثمانية وانجلترا المعد لإخراج الحملة الفرنسية من مصر ، كانت كل الدلائل تشير إلى وجود بوادر لتسوية الأزمه فى أوربا ككل ، لذا فكانت انجلترا ترى وجوب إخراج الفرنسيين من مصر قبل عام ١٨٠١م وحتى لا تضطر إما إلى الاعتراف ببقاء الجيش الفرنسى وبالتالى التهديد الدائم الذى يشكله ذلك بالنسبه لمواصلاتهم إلى الهند ، ومن هنا كان القرار الإنجليزى فى اكتوبر ١٨٠٠م بإرسال جيش إلى مصر ليعاون الجيش العثمانى إضافة لإرسال حملة الهند لأخراج الفرنسيين من مصر – وهذا ما حدث بالفعل وأدى فى النهاية لإجبار الحملة على الخروج من مصر .

وفى ثامن عشره [1] ، خرج جملة من العساكر الفرنساوية ، وسافروا إلى الجهة البحرية ، برا وبحراً [2] .

وفى عشرينه [3] ، اجتمع أهل الديوان به على العادة ، فبدأ الوكيل يقول أنه كان يظن أنه يكون حرب ، ولكن وردت أخبار أن المراكب التى حضرت إلى سكندرية وهم نحو ماية وعشرون مركبا قد رجعوا ، فقيل له وما هذه المراكب ، فقال مراكب فيها طايفة من الإنكليز ، وصحبتهم جماعة من الأروام ، وليس فيهم مراكب كبار إلا قليل جداً ، وباقيهم صغار تحمل الذخيرة ، ثم قال أن حضرة صارى عسكر قد كان وجه إليكم فرماناً فى شأن ذلك قبل أن يتبين الأمر ، وهو إن كان قد فات موضعه ، من حيث أنه كان يظن أن هناك حرب ، ولكن من حيث كونه قد برز إلى الوجود ، فينبغى أن يتلى على مسامعكم ، ثم أمر " رفاييل " الترجمان بقراءته وصورته : " من عبد الله جاك منوا سر عسكر ، أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً ، إلى جميع الكبير والصغير ، والأغنياء، والفقرا ، والمشايخ والعلما ، وجميعهم الذين [4] يتبعون الدين الحق ، والحاصل لجميع أهالى بر مصر سلمهم الله بمقام السر عسكر الكبير بمصر ، فى أربعة عشر شهر " ونتوز" سنة تسعة من قيام الجمهور الفرنساوية واحد ولا ينقسم ، ثم كتب تحت ذلك البسملة ولفظ الجلالة ، وتحته إن الله هو هادى الجنود ومعطى النصرة لمن يشاء ، والسيف الصقيل فى يد

١- يوم الأربعاء ١٨ شوال ١٢١٥هـ الموافق ٤ مارس ١٨٠١م .

٢ - كانت هذه القوات متجهة إلى دمياط بقيادة الجنرال موران Morand لاحتمال وصول قوات تركية إلى دمياط .

٣ - يوم الجمعه ٢٠ شوال ١٢١٥هـ الموافق ٦ مارس ١٨٠١م .

٤ - كلمة " الذين غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ

[ص٢٧٦] ملاكه ، يسابق دايماً الفرنساوية ويضمحل أعداهم ، إن الإنكليز الذين يظلمون كل جنس ، للشر في كل المواضع ، فهم ظهروا في السواحل ، وإن كان يستجروا يوضعوا أرجلهم في البر ، فيرتدوا في الحال إلى أعقابهم في البحر ، والعثمنليين (١) متحركين كهؤلاء الإنكليزية يعملوا أيضاً بعض حركات ، فإن كان يقدموا ، ففي الحال يرتدوا وينقلعوا في غبار وعفار البادية ، فأنتم يا أهالي مملكة ومحروسة مصر أني أنا أخبركم إن كان تسلكوا في طريق الخايفين الله ، وتبقوا مستريحين في بيوتكم ومقيمين كما كنتم في أشغالكم وأغراضكم ، فحينئذ لا خوف عليكم ، ولكن إن كان واحد منكم يسلك الفساد وإضلالاً لكم بالعدواة ضد دولة الجمهور الفرنساوي ، فأقسمت الله بالعظيم ، وبرسوله الكريم أن رأس ذي المفسد ترمي في تلك الساعة ، فتذكروا في كل المواقع حين محاصرة مصر الأخيرة ، وجرى دماء آبائكم ونسائكم وأولادكم في كل مملكة مصر ، وخصوصا بمحروسة مصر ، وخواصكم انتهبوا تحت الغارات ، وطرحوا عليهم فردة قوية غير المعتاد ، فدخّلوا في عقولكم وأذهانكم كلما قلت لكم الآن ، والسلام على كل من هو في طريق الخير ، فالويل ثم الويل على كل من يبعد من طريق الخير ، ممضي خالص الفؤاد، عبد الله جاك منوا " .

وفي ذلك اليوم (٢) عملوا شنكاً ، وضربوا عدة مدافع من القلاع ، فارتاع الناس لذلك ، واضطربوا اضطراباً شديداً ، فسئل من الفرنسيس فأخبروا أن ذلك سرور [ص٢٧٧] بقدوم مركبين من فرانسة إلى سكندرية ،

---

١ – في النسخة (أ) كتبت "العثمنلي" .

٢ – يوم الجمعة ٢٠ شوال ١٢١٥هـ الموافق ٦ مارس ١٨٠١م .

و ذلك كذب لا أصل له (١) .

وفى ذلك اليوم أيضا ، وقع بمجلس الديوان بين الوكيل والمشايخ ، مفاوضة ومناقشة ، وذلك أنه لما أشيع خبر ورود المراكب إلى أبو قير قلت الغلال من الرقع ، وارتفعت أثمانها ، فتاوضوا فى شأن ذلك ، وأنه لابد من اعتنا الحكام بزجر الباعة ، وطواف المحتسب على الرقع والسواحل ، فلما قرئ المكتوب المذكور ، قال بعض الحاضرين : العقلا لا يسعون فى الفساد، وإذا تحركت فتنة لزموا بيوتهم ، فقال الوكيل : ينبغى للعقلا ولأ مثالكم نصحية المفسدين ، فإن البلا يعم المفسد وغيره ، فقال بعضهم : هذا ليس بجيد ، بل العقاب لايكون إلا على المذنب ، قال تعالى [كل نفس بما كَسَبَتْ رَهِيْنِةَ] (٢) وقال آخر من أهل المجلس : [ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وزر أُخرى] (٣) ، فقال الوكيل : المفسدون فيما تقدم أهاجوا الفتنة ، فعمت العقوبة ، والمدافع والبنبات لا عقل لها ، حتى تميز بين المفسد والمصلح ، فإنها لا تقرأ القرآن . وقال آخر : المصلح نيته تخلصه ، فقال الوكيل : إن المصلح من شمل صلاحة الرعية ، فإن صلاحه فى حد ذاته يخصه فقط ، والثانى أكثر نفعاً . وطال البحث و المناقشة فى نحو ذلك .

١ – أعد نابليون فى ميناء برست على المحيط الاطلنطى عمارة حربية يقودها " جانتوم " تقل أربعة آلاف إلى خمسة آلاف جندى ، وتمكنت هذه العمارة من عبور جبل طارق وسارت نحو الأسكندرية ، ولكن الأميرال جانتوم لمح فى طريقه بعض السفن الانجليزية فاستولى عليه الذعر ، وعاد إلى ميناء طولون الفرنسى على البحر المتوسط ، بينما انفصلت عنه سفينة ، استطاعت الوصول إلى الأسكندرية يوم ١ مارس ١٨٠١م . وربما تلك المركب هى التى يشير الجبرتى إليها والتى أخبر عنها الفرنسيون أنهما مركبان . أما جانتوم فقد حاول الإقلاع إلى مصر مرة ثانية وثالثة ولكنه أخفق فى محاولاته . راجع الرافعى : مرجع سابق، جـ٢ ، ص ٢١٤ .

٢ – سورة المدثر الآية ٣٨ .

٣ – سورة الأنعام الآية ١٦٤ .

فلما كان عصر ذلك اليوم (١) ، بعثوا أوراقاً من كبير الفرنسيس إلى وكيل الديوان ، فأرسلها إلى المشايخ ، وهي عبارة عن جواب المناقشة المذكورة ، وصورته بعد البسملة والجلالة : " من عبد الله جاك منوا سر عسكر أمير عام جيوش [ص٢٧٨] دولة جمهور (٢) الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً ، إلى كافة المشايخ والعلما الكرام ، المقيمين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله تعالى فضايلهم وفرايضهم ، وألهمهم الحكمة الواجبة لإجرا فضايلهم (٣) وفرايضهم . نرسل لحضراتكم يا مشايخ ويا علما الكرام نداء جديداً خطاباً إلى جميع أهالي مملكة مصر ، وخصوصاً أهل محروسة مصر ، ولا شبهة لي في تقييدكم لتنبيههم بكل ما هو محرر فيها وغير ذلك ، تذكرو أن هذا التنبيه هو فرضكم ، إنما حضراتكم ها هنا رجال دولة الجمهور الفرنساوية ، فيبقى في عقولكم وأذهانكم كلما وقع حين قصاص مصر الأخيرة ، تفهموا بنا على ذلك كيف هو واجب إلى أمنيتكم وراحتكم ضبط الخلايق ، لأنه إن كان يصير أصغر الحركات ، فلابد أثقالها يتبع على رؤسكم ، وغير ذلك . ورد لنا في الحال أخبار من فرانسا ، أنه كملت المصالحة مع إيمبراطور النيمسا ، وأن قيصر الروسية بين وأقام المحاربة ضد دولة العثملية والسلام " .

ولما أصبح ثاني يوم (٤) ، اجتمع المشايخ ببيت الشيخ عبد الله الشرقاوي ، وحضر الأغا والوالي والمحتسب ، وأحضروا مشايخ الحارات وكبرا الأخطاط ،

١- أي في يوم الجمعة ٢٠ شوال ١٢١٥هـ الموافق ٦ مارس ١٨٠١م .

٢ – في النسخة (أ) "دولة رجال الجمهور الفرنساوي" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٣ – كلمة " فضايلهم " غير موجودة في النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .

٤ – أي يوم السبت ٢١ شوال ١٢١٥هـ الموافق ٧ مارس ١٨٠١م .

وأمروهم بضبط ما هو دونهم، وأن لا يغفلوا أمر عامتهم ، وخوفوهم العاقبة ، وأن يشتغلوا بما يعينهم . " على أنه لم يبق فى الناس إلا رسوم هافتة " (١) ، وانفصلوا على ذلك . هذا وديوان المليون يعملون فيه بالجد والاجتهاد ، وبث المعينين من القواسه [ص٢٧٩] والفرنساوية فى المطالبة بالثلث والمنكسر الباقى من الفردة ، والتشديد فى أمر الكرنتيلة ، وإزعاج الناس فى ذلك ، وخوفهم من حصول الطاعون ، وأشاعوا فيما بينهم أن من أصابه هذا الداء فى مكان كشفوا عليه ، فإن كان مريضاً بذلك الداء أخذوا ذلك المصاب إلى الكرنتيلة عندهم وانقطع خبره عن أهله ، إلا إن كان له أجل باقى فيشفى من ذلك ويعود إليهم صحيحاً ، وإلا فلا يروه أهله بعد ذلك أصلاً ولا يدرى خبره ، لأنه اذا مات ، أخذه الموكلون بالكرنتيلة ودفنوه بثيابه فى حفره ، وردموا عليه التراب ، وأما داره فلا يدخلها أحد ولا يخرج منها أحد (٢) مدة أربعة أيام ، ويحرقون ثيابه التى تختص به ، ويبقى على بابه حرس ، فإن مرّ أحد ولمس الباب أو الحد المحدود ، قبضوا عليه وأدخلوه الدار (٣) وكرتنوه ، وإن مات الشخص فى بيته ، وظهر أنه مطعون ؛ جمعوا ثيابه وفرشه وأحرقوه ، وغسله الغاسل وحمله الحمالون لا غير ، وخرجوا به من غير مشهد ، وأمامه ناس تمنع المارين من التقرب منه ، فإن قرب منه أحد كرتنوه فى الحال ، وبعد دفنه يكرتنون كل من باشره بغسل أو حمل أو دفن ، فهال الناس

---

١ - لعل هذا أبلغ تفسير لعدم قيام ثورة ثالثة فى القاهرة ، فبالإضافة إلى احتراس الفرنسين وتحوطهم للأمر، فإن ما نال الناس من المغارم والفرد ، وما عاينوه أثناء الثورات من القتل والنهب والهدم والسلب والأسر لم يبق فيهم إلا جلوداً على عظامها . وهذا هو مانالنا من المحتل الذى يرغب بعضنا فى الاحتفال بالذكرى المئتين لتدنسيه أرضنا وتخريبه آثارنا .

٢- " منها أحد " غير موجودة فى النسخة (ب) و أثبتناها من بقية النسخ .

٣ - " وادخلوه الدار " غير موجودة فى النسخة (ب) و أثبتناها من بقية النسخ .

ذلك الفعل واستبشعوه ، وأخذوا فى الهرب والخروج من مصر إلى الأرياف لذلك ، ولِتَوَهُّم وقـوع الفـتنة بورود أخـبـار المراكب إلى أبو قـيـر ، وتحـذر الفـرنسـاوية واستعدادهم ، وتأهبهم ونقل أمتعتهم إلى القلعة .

وفى تاسع عشره [1] ، خرجت عساكر كثيرة بحمولهم وفرشهم ، وذهبوا إلى جـهـة [ص٢٨٠] الشـرق ، وأشـيع حـضـور عـرضـى همـايون ووصـوله إلى العريش [2] .

وفيه ، أصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة وحبسوه .

وفى يوم الثلاثاء ، رابع عشرينه [3] قبضوا أيضا على حسن أغا المحتسب ، وأصعدوه إلى القلعة وحبسوه بالبرج الكبير . ولما أصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة سأل الموكل به عن ذنبه وجرمه الموجب لحسبه ، فقال له لم يكن إلا الحذر من إثارتك الفتن فى البلد وإهاجة العامة ، لبغضك الفرنسيس لما سبق لك منهم من الإيذاء . وأما المحتسب فإن الشيخ البكرى والسيد أحمد الزرو ، ذهبا إلى قايمقام وإلى كبير الفرنسيس وتكلما فى شأنه ، فأجاباهما بأن هذا لم يكن من شغلكما ، وقيل للسيد أحمد إنك رجل تاجر ، وليس المحتسب من جنسك حتى تشفع فيه ، فقال : إنا محتاجون إليه لأجل مساعدته معنا فى قبض المليون ، ولانعرف له ذنباً يوجب حبسه ، لأنه ناصح فى خدمة الفرنسيس . فقالا - على لسان الترجمان -

---

١ - يوم الخميس ١٩ شوال ١٢١٥هـ الموافق ٥ مارس ١٨٠١م ويلاحظ أن هذه اليومية جاءت فى غير موضعها بالنسبة للتسلسل التاريخى وقد لوحظ ذلك فى عجائب الآثار أيضا . ولعل الناسخ قد أخطأ فى كتابة التاريخ، وربما أن تاريخها ٢٢ أو ٢٣ شوال .

٢ - كانت هذه القوات بقيادة الجنرال رينيه Reynier وقد وصلت إلى الصالحية ولم تجد أحداً فعادت كما سنرى بعد قليل .

٣ - يوم الثلاثاء ٢٤ شوال ١٢١٥هـ الموافق ١٠ مارس ١٨٠١م .

الله يعلم ذنبه وصارى عسكر ، وهو أيضاً يعلم ذلك من نفسه ولما سجنوه لم يقلدوا مكانه غيره ، فكان كتخداه يركب مع الأغا ، وأمامهم الميزان ونوبة الحسبة .

وفيه ، نادوا فى الأسواق بالأمان وعدم الانزعاج من أمر الكرنتيلة ، وأن من مات لاتحرق إلا ثيابه التى على بدنه لا غير . وكان أشيع فى الناس أن من مات بدار أحرقوا تلك الدار ، وقصدهم عمل كرنتيلة على البلد (١) بتمامها ، فحصل من هذا المشاع فى الناس كرب عظيم [ص٢٨١] ووهم جسيم ، فنودى بذلك ليسكن روع الناس .

وفى يوم الخميس سادس عشرينه (٢) أرسل كبير الفرنسيس وطلب رؤسا الديوان والتجار إلى منزله ، فأعلمهم أنه مسافر إلى بحرى (٣) ، وتارك بمصر قايمقام "بليار" وجملة من العسكر والكتبة والمهندسين ، وأوصاهم بأن يكون نظرهم على البلد ، وكان القصد حبسهم رهينة ، فاستشاروا فى ذلك فاقتضى رأيهم تأخير ذلك ، وركب من فوره مسافراً من غير عود ولارجعة، وحضر الجماعة إلى الديوان واجتمعوا بالوكيل "فوريه" فأخبرهم أنه حضر إلى ناحية أبو قير طايفة

---

١ – كلمة " البلد " غير موجودة فى النسخة (ب) فاثبتناها من بقية النسخ .

٢ – ٢٦ شوال ١٢١٥هـ الموافق ١٢ مارس ١٨٠١م .

٣ – لما علم مينو بنزول القوات الانجليزية فى خليج أبى قير ؛ أسقط فى يده ، لانه لم يكن مستعداً لمقاومتها ، ومع ذلك فلم يتبع خطة نابليون والإسراع بحشد جنوده والانتقال بهم إلى الشاطئ لمهاجمة الجنود النازلين، بل إنه ارتبك فى أمره وطفق يصور الأوامر والنداءات العقيمة ، وأخذ يوزع جنوده شرقاً وغرباً ، فانفذ الجنرال موران إلى دمياط ، والجنرال رينيه إلى بلبيس لتوقعه مجئ الجيش التركى من الشرق ، وأنفذ الجنرال لانوس إلى الاسكندرية ثم تحرك هو آخراً إلى الاسكندرية ومعه نصف الجيش ، فوصلها بعد هزيمة الفرنسيين وانسحابهم إلى داخل المدينة .
راجع الرافعى : رجع سابق ، جـ٢ ، ص ٢١٧ – ٢١٩ .

من الإنكليز ، وصحبتهم طايفة من المالطية (١) ، وأخرى نابلطية ، وطلعوا إلى قطعة أرض رخوة بين سلسولين من الماء ، وأن الفرنساوية محيطون بهم من كل جهة .

وفى سابع عشرينه (٢) ، رجعت العساكر التى كانت توجهت إلى جهة الشرق بحمولهم وأثقالهم ، وصحبتهم صارى عسكر الشرقية " رنيه " ، فسافروا من يومهم ولحقوا بكبيرهم براً وبحراً ، وأخبروا عنهم أنهم لم يزالوا سايرين حتى وصلوا إلى الصالحية ، وأرسلوا هجانة إلى العريش ، فلم يجدوا أحداً ، فكروا راجعين ، وأشاعوا أن الجهة الشرقية لم يأت إليها أحد مطلقاً .

شهر ذى القعدة ١٢١٥هـ (٣)

فى ثالثه (٤) ، أمر وكيل الديوان أرباب الديوان بأن يكتبوا لصارى عسكر مكتوبا بالسلام ، ففعلوا ما أمر به

وفى سادسه ، توفى محمد أغا مستحفظان مطعوناً ، فمرض يوم السبت ، ومات ليلة الأحد (٥) ، فوضعوه فى نعش وخرج به الحمالون لاغير ، من [ص٢٨٢] غير مشهد ولا جماعة، وأمامه جماعة منهم يطردون الناس عن التقرب إلى نعشه ،

١- كما فعل بونابرت من قبل حين استولى على مالطة وأخذ بعض أهلها جندا له ، فعل الإنجليز نفس الشئ تقريباً ، فقد استولوا على مالطة فى أول عام ١٨٠٠م واتخذوها قاعدة لتنظيم قواتهم المتجهة لمصر ، كما انضم إليهم منها ٥٠٠ جندى مالطى .

٢ – يوم الجمعة ٢٧ شوال ١٢١٥هـ الموافق ١٣ مارس ١٨٠١م .

٣ – استهل شهر ذى القعدة ١٢١٥هـ بيوم الاثنين ١٦ مارس ١٨٠١م .

٤ – يوم الأربعاء ٣ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ١٨ مارس ١٨٠١م .

٥- يفهم من رواية الجبرتى أن وفاته كانت ليلة الأحد سابعه وليس السبت سادسه ، ويوم السبت ٦ ذو القعدة ١٢١٥هـ يوافق ١٩ مارس ١٨٠١م .

وكرتنوا داره وأغلقوها على من فيها ، ولم يقلدوا عوضه أحداً ، بل أذنوا لعبد العال أن يركب عوضاً عنه ، وذلك بمعونة نصر الله النصرانى ترجمان قايمقام مصر [1] فاستقر عبد العال المذكور أغاة مستحفظان ومحتسباً ، فكان ذلك من جملة النوادر والعبر ، فإن عبد العال هذا كان من أسافل الناس [2] العامة وأراذلهم ، وكان أجيراً لبعض نصارى الشوام بخان الحمزاوى يخدمه ، ثم توسط لمصطفى أغا السابق ، بسبب معرفته للنصارى التراجمين ، حتى تقدم بوساطته وقلدوه الأغاوية، فعمله كتخداه ومشيره ، فلما تولى محمد أغا تقيد معه كما كان مع مصطفى أغا ، ولكن دون الحالة التى كان عليها مع ذلك لصلاحية محمد أغا ذلك المقتول . فلما توفى فى هذا الوقت ، ترك لعبد العال الأمر ، لا شتغال الوقت بما هو الأهم من انفتاح الحروب والطاعون وغير ذلك .

وفى يوم الثلاثاء تاسعه [3] ، أشيع فى الناس أن حضرة الصدر الأعظم تحرك للقدوم إلى الديار المصرية ، وأن بعض العساكر الإسلامية وصلوا إلى العريش ، ووصلت الأخبار إلى الفرنسيس ، فداخلهم الوهم والخوف ، ووقع بهم الإرهاب والانزعاج .

ولما كان عشا تلك الليلة ، أرسلوا خلف مشايخ الديوان ، فلما تكامل حضورهم ، حضر "فوريه" وكيل الديوان ، وصحبته آخر من الفرنسيس من طرف قايمقام ، فتكلم "فوريه" كلاماً كثيراً ليزيل عنهم الوهم ، ويواسيهم ، بزخرف القول ، كقوله أنه يحب المسلمين ، ويميل [ص٢٨٣] بطبعة إليهم ، وخصوصا العلما

---

١ - " مصر " غير موجود فى النسخة (أ) وأثبتناها من بقية النسخ .
٢- كلمة " الناس" غير موجودة فى النسخة (أ) وتم إثباتها من بقية النسخ .
٣- يوم الثلاثاء ٩ ذى القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٢٤ مارس ١٨٠١م .

وأهل الفضايل ، ويفرح لفرحهم ، ويغتم لغمهم ، ولا يحب لهم إلا الخير ، وسياسة الأحكام تقتضى بعض الأمور المخالفة للمزاج ، وأن صارى عسكر قبل ذهابه رسم لهم رسوما ، وأمرهم بإجرائها والمشى عليها فى أوقاتها ، وأنه عند سفره قصد أن يعوق المشايخ وأعيان الناس ، ويتركهم فى الترسيم رهينة عن المسلمين ، فلما ظهر له وتحقق أن الذين وردوا إلى أبو قير ليسوا من المسلمين ، وإنما هم إنكليزية ونابلطية ، وأعداء للفرنساوية والمسلمين أيضاً ، وليسوا من ملتهم حتى يخشى من ميلهم إليهم ، أو يتعصبون من أجلهم . والآن بلغنا أن عرضى من المسلمين تحرك إلى هذا الطرف ، فلزم الأمر لتعويق بعض الأعيان ، وذلك من قوانين الحروب عندنا ، ولا يكون تكدر ولا وهم بسبب ذلك ، فليس إلا الإعزاز والإكرام أينما كنتم ، والوكيل يكون دايماً نظره معهم ، ولا يغفل عن تقليل مزاجه فى كل وقت ويوم (١) ، ثم انتهى الكلام وانقضى المجلس على تعويق أربعة أشخاص من المشايخ ، وهم الشرقاوى والشيخ المهدى والشيخ الصاوى والشيخ الفيومى ، فأصعدوهم إلى القلعة فى الرابعة من الليل (٢) وأجلسوهم بمسجد سيدى سارية (٣) ، ونقلوا إلى مكانهم الشيخ السادات ، فاستمر معهم بالمسجد ، وأطلقوا لكل شيخ خادماً ، يطلع إليه وينزل ليقضى أشغاله ، وما يحتاج إليه من منزله ، والذى يريد من أحبابهم وأصحابهم زيارتهم أخذ له ورقة بالإذن من قايمقام ، ويطلع بها فلا يمنع

---

١ – كلمة " يوم" غير موجودة فى النسخة (ب) فتم أثبتاها من النسخ الأخرى .

٢– أى فى الساعة العاشرة من مساء يوم الثلاثاء ليلة يوم الأربعاء .

٣ – جامع سيدى سارية فى قلعة الجبل وينسب إلى سيدى سارية صاحب رسول الله عليه صلى اله عليه وسلم وله منبر خشب ودكة وله مناره ، وعليه أوقاف عديدة ينفق من دخلها عليه ، وقد عده "ابن جبير" من ضمن مشاهد الصحابه التى بمصر . انظر علي مبارك – مصدر سابق : جـ٥ ص٣٦ .

، وكذلك أصعدوا إبراهيم أفندى كاتب البهار ، وأحمد بن محمود محرم ، وحسين قرا إبراهيم ، ويوسف باش جاويش [ص٢٨٤] تفكشيان ، وعلى كتخدا يحيى أغاة الجراكسة ، ومصطفى أغا بطال ، وعلى كتخدا النجدلى ، ومحمد أفندى سليم ، ومصطفى أفندى جمليان ، ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم ، وأمروا المشايخ والذين لم يحبسوا بتقيدهم ونظرهم إلى البلد والعامة ، وإنهم يترددون على "بليار" قايمقام ويعلموه بالأمور التى ينشأ عنها الشرور والفتن ، وأهمل ديوان المليون ، والمطالبة بثلثه ، وكذلك كسرة الفردة ، ونَفَّسَ الله عن الناس ، وكذلك تُسوهل فى أمر الكرنتيلة ، وإجازه الأموات ، وعدم الكشف عليهم وتصديق الناس بما يخبرون به فى مرض من يموت ، وذلك لكثرة أشغالهم وحركاتهم وتحصنهم ، ونقل متاعهم وصناديقيهم وفرشهم وذخايرهم إلى القلعة الكبيرة على الجمال والحمير ليلاً ونهاراً ، والطاعون متعلق فيهم ، ويموت منهم العدة فى كل يوم .

وفى حادى عشره [1] أفرجو عن الشيخ سليمان الفيومى ، وأنزلوه من القلعة ليكون مع من لم يحبس ، وأمرهم الوكيل بالتقيد والحضور إلى الد يوان على عادتهم ولايهملونه ، فكانوا يحضرون ويجلسون حصة يتحدثون مع بعضهم ، ثم ينصرفون إلى منازلهم ، وكذلك أمروا القاضى بأن يحضر ويجلس من غير سابقة له بذلك ، وذلك حفظاً للناموس لا غير .

وفى ثالث عشره [2] ، نقل "فوريه" الوكيل متاعه إلى القلعة ، وصعد إليها فلم ينزل ، وأرسل إلى الشيخ سليمان الفيومى فى تذكرة يأمره فيها بأن ينقل فراش المجلس ، ويودعه فى مكان بداره [ص٢٨٥] ففعل ما أمر به ، ولم يتركوا به

١ - يوم الخميس ١١ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٢٦ مارس ١٨٠١م .
٢ - يوم السبت ١٣ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٢٨ مارس ١٨٠١م .

إلا العصر ، وأمر بحضور أرباب الديوان على عادتهم ، فكانوا يفرشون [سجاجيدهم ويجلسون عليها حصة الجلوس ، ثم ينصرفون] (١)

وفى رابع عشره (٢) ، نقلوا حسن أغا المحتسب من البرج إلى جامع سارية صحبة المشايخ ، وكذلك "فوريه" الوكيل جعل سكنه الجامع المذكور ، وأظهر أن قصده موانستهم ، وليس إلا لضيق مساكن القلعة ، وازدحام الفرنسيس بها ، وكثرة مانقلوه إليها من الأمتعة والذخاير والغلال والأحطاب ، مع ما هدموه وعطلوه من أماكنها ، حتى أنهم سدوا أبواب الميدان ، وجعلوه من جملة حقوقها ، فكانوا ينزلون إليه ويصعدون منه من باب السبع حدرات .

وفى تاسع عشره (٣) ، ورد مكتوب من كبير الفرنسيس من ناحية سكندرية ، مؤرخ بثالث عشر القعدة ، وهو جواب عن المكتوب المرسل إليه السابق ذكره ونصه الصدر المعتاد "من عبدالله جاك منوا سر عسكر أمير عام جيوش الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً ، إلى كامل المشايخ والعلما الكرام المقيمين بالديوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله فضايلهم ، ورد لنا مكتوبكم العزيز ورأينا بكامل السرور كلما فصلتوا لنا به (٤) وثبت من مفهومنا صِدْق ودادكم لنا ولعسكر الدولة الفرنساوية ، ودمتم حضراتكم وكافة أهالى مصر بالحمية ، والاستقامة الموعودة ، ومعلوم على فضايلكم أن الله يهدى كلاً ، فما النصرة إلا منه، ووضعت عليه اعتمادى ، وما توفيقى إلا بالله وبرسوله الكريم عليه

١- مابين القوسين غير موجود فى النسخة (أ) فأثبتناه من بقية النسخ .

٢ - يوم الأحد ١٤ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٢٩ مارس ١٨٠١م .

٣ - يوم الجمعة ١٩ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٣ أبريل ١٨٠١م .

٤ - فى النسخة (ب) " فضلتوا لنابه " وما أثبتناه من باقى النسخ ومن عجائب الآثار هو الأصوب .

السلام [ص٢٨٦] الدايم ، إن ابتغيت النصرة ، فما هو إلا لسهوله خيراتى إلى بر مصر وسكان ولايتها ، وخير أمور أهلها ، والله تعالى يكون دايماً معكم ، ولكرم وجوهكم بسلامة "

وفيه (١) ، سمع ونقل عن بعض الفرنسيس أنه وقع الحرب بين الفرنساوية والانكليزية ، وكانت الهزيمة على الفرنسيس ، وقتل نحو الألفين وسبعماية ، وانحازوا إلى داخل الأسكندرية، وتحصنوا بها ، ووقع فيما بين الفرنسيس الاختلاف ، واتهم "منوا" صارى عسكر "رنيه" و "داماس" ورأى منهما ما رابه (٢) وكان سببا لخذلانه ، فيما يظن و يعتقد ، فقبض عليهما وعزلهما من إمارتهما ، وأن الإنكليز أطلقوا حبوس المياة المالحة حتى أغرقت طرق الإسكندرية ، وصارت

---

١ – أى فى تاسع عشره يوم الجمعه ٣ ابريل . وهو نفس تاريخ اليومية التالية أيضاً .

٢ – وصل مينوإلى الأسكندرية يوم ١٩ مارس ، فاعتزم الهجوم على الانجليز قبل أن يضربوا الحصار حول الأسكندرية ، ولكن قواد جيشه نصحوه بالتريث حتى يستعد ولكنه لم يستمع لهم ، فكانت معركة كانوب يوم ٢١ مارس التى دارت رحاها فى المنطقة المعروفة بالنزهة ، وسميت باسم كانوب نسبة إلى أحد الأبواب القديمة للأسكندرية ، وكان عدد الجيش الإنجليزى ١٦,٠٠٠ من المشاه و ٢٠٠ من الفرنسان و أما الجيش الفرنسى فتكون من ٨٣٥٠ من المشاه و ١٣٨٠ من الفرنسان ، وبدأ الهجوم الفرنسى فى الثالثة صباحا ، ومع حلول الساعة الحادية عشر صباحا كانت كل الهجمات الفرنيسية قد تحطمت على صخرة الدفاع البريطانى المدعمة بالمدافع من البر والبحر ، وخسر الفرنسيون ١٥٠٠ قتيل ونحو ألف من الجرحى وأصدر مينو أوامره بالانسحاب إلى داخل المدينة ، ومع انتصار الإنجليز فإن خسائرهم كانت كبيرة حيث فقدوا نحو ١٥٠٠ قتيل على رأسهم قائد الجيش نفسه الجنرال أبركرومبى Abercromby الذى أقام له الإنجليز تمثالاً من المرمر فى موقع المعركة وذلك فى عام ١٩٠١م أما مينو فقد أخذ يستعد للدفاع عن الاسكندرية وأمر بالقبض على الجنرالات الذين عارضوه فى الهجوم على الإنجليز ، وهم رينيه وداماس وبوبه ونفاهم إلى فرنسا على ظهر سفينتين رحلتا بهم عن مصر قبل أن يطبق الإنجليز حصارهم على المدينة . راجع الرافعى : مرجع سابق ، ص ٢٢٥ – ٢٣٤.

جميعها لجة ماء ، ولم يبق لهم طريق مسلوك إلا من جهة العجمى إلى البرية ، وأن الإنكليز تترسوا قبالهم من جهة الباب الغربى ، وأن حسين باشا القبطان ورد بعساكره جهة أبو قير ، وطلع عسكره من المراكب إلى البر ، وقويت القراين الدالة على صحة هذه الأخبار ، وظهرت لوايح الخذلان فى وجوه الفرنسيس ، مع شدة تجلدهم وكتمان أمرهم ، وتنميق أكاذيبهم.

وفيه ، سدوا باب البرقية المعروف بباب الغريب وبنوه ، فضاق خناق الناس بسبب الخروج إلى القرافة بالأموات ، فكان الذى مدفنه ببستان المجاورين ، يخرج بجنازته من باب النصر ، ويمرون [ص٢٧٨] بها من خلف السور ، حتي ينتهوا إلى مدفنهم ، فحصل للناس مشقة شديدة ، وخصوصاً مع كثرة الأموات ، فكلم بعض المشايخ قايمقام فى شأن ذلك ، فأرسل إلى قبطان الخطة ، ففتح باباً صغيراً من حايط السور ، على قدر النعش والحمالين والمشاة .

وفى يوم الأحد حادى عشرينه (١) ، توفى الشيخ الإمام محمد بن الشيخ الإمام العلامة الجوهرى الخالدى الشافعى ، ودفن عند والده بدرب شمس الدولة ، وتوفى أخوه أيضاً بشبين الكوم ، وهو السيد عبد الفتاح ، وذلك بعده بأربعة أيام

وفى ثانى عشرينه (٢) ، سافر جماعة من أعيان الفرنساوية إلى جهة بحرى، وهم "استوف" الخازندار العام ومدبر الحدود ، "وفوريه" وكيل الديوان ، و "شنانيلوا" مدبر أملاك الجمهور ، و "برنار" وكيل دار الضرب ، و"ريج" خازندار دار الضرب ، و "لابرت" رئيس مكتبهم وحافظ سجلاتهم وكتبهم ، وأخذوا معهم طايفة من رؤساء القبط وفيهم جرجس الجوهرى .

---

١ - يوم الأحد ٢١ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٥ أبريل ١٨٠١م .
٢ - يوم الاثنين ٢٢ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٦ أبريل ١٨٠١م .

وفى ثالث عشرينه (١) ، تـوكـل بحـضـور الديـوان [كلب منهم] (٢) ، يقـال له "جـرار" (٣) ، ولما حضر فى أول جلسة أخبر أنه ورد كتاب من كبيرهم جاك منوا باللغة الفرنساوية ، ومضمونه أنه مقيم بسكندرية ، وهو مورخ بعشرينه القعدة (٤) ، وذلك كذب على حد قولهم "بوش مصاحبة " .

وفيه (٥) ، قدم ثلاثه أنفار من العرب صحبة جماعة من الفرنسيس ، وذهبوا إلى بيت قايمقام ، فاستفسروا منهم ، فاختل كلامهم ، وتبين كذبهم ، فأمر بحبسهم .

وفيه ، حضر جماعة من الفرنسيس من جهة الشرق ، ومعهم دواب [ص٢٨٨] كثيرة وآلات حرب ، ومروا فى شارع المدينة ، ومنعوا الناس من شرب الدخان خوفاً على البارود من النار ، فتبين أنهم الذين كانوا محافظين بالصالحية .

وبعد أيام ، حضر أيضا الذين كانوا بالقرين ، وكذلك الذين كانوا ببلبيس وناحية الشرق شيئاً بعد شئ .

وفى غايته (٦) ، مات على كتخدا النجدلى ، بعد أن مرض بالحبس ، وأنزل من القلعة ، ومات بداره .

---

١ – يوم الثلاثاء ٢٣ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٧ أبريل ١٨٠١م .
٢ – مابين القوسين حذف من عجائب الآثار و كتب بدلها " كمثارى " .
٣ – المسيو جيرار Girard أحد مهندسى الحملة ، والمشرف على إدارة أعمال الرى ، درس ترع القطر المصرى ، وله بحث عن الأحوال الزارعية والصناعية والتجارية لمصر نشر فى كتاب وصف مصر ، وكان عضواً بالمجمع العلمى الفرنسى ، توفى عام ١٨٣٦م .
٤ – يوم السبت ٢٠ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٤ أبريل ١٨٠١م .
٥ – يوم الثلاثاء ٢٣ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٤ ابريل ١٨٠١م .
٦ – كانت غايته يوم الثلاثاء ٣٠ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ١٤ أبريل ١٨٠١م .

شهر ذى الحجة الحرام ١٢١٥هـ (١)

فيه (٢) ، حصل الاجتماع بالديوان ، وأخبر الوكيل أن كبيرهم قد بعث أخباراً بالأمس ، منها أنه قد مات جماعة من كبرا الإنكليز ، وأن أكثر عساكرهم ممروضون بمرض الزحير والرمد ، وربما حصل الصلح عن قريب ، ويرجعون إلى بلادهم ، وأن العطش مُضَارِزُهُم ، وبعثوا عدة مراكب لتأتيهم بالماء فتعذر عليهم ذلك ، ثم سأل عن أحوال البلد وسكون الرعية والغلال والأقوات ، فأجيب بإن البلد مطمينة ، والرعية ساكنة ، والغلال موجودة ، فقال لابد من اعتنايكم بجمع هذه الأمور الموجبة للراحة .

وفيه ، أشيع أن العساكر العثمانية والإنكليز ملكوا ثغر رشيد وأبراجها ، وحاربوا من كان من الفرنسيس حتى قتل من قتل وأسر من أسر ، وهرب الباقون ولله الحمد (٣) .

وفى ذلك اليوم (٤) ، قبضوا على نيف وستين من مغاربة الفحامين وطولون والغورية ونفوهم ، وذلك من فعل عبد العال الأغا .

وفيه ، أمر "بليار" قايمقام بركوب أحد [ص٢٨٩] المشايخ صحبة عبد العال ، ويمرون بشوارع المدينة ، فكان يركب معه مرة الشيخ محمد الأمير ، ومرة الشيخ سليمان الفيومى ، وذلك لتطمين الرعية .

١- استهل شهر ذو الحجة الحرام ١٢١٥هـ الموافق يوم الاربعاء ١٥ أبريل ١٨٠١م .
٢ - لم يحدد الجبرتى تاريخ حدوث هذا الاجتماع والمرجح أنه تم أول الشهر يوم الأربعاء ، وعلى ذلك فهو تاريخ اليوميتين التاليتين أيضاً .
٣ - " ولله الحمد " حذفها الجبرتى عند كتابة هذه اليومية فى عجائب الآثار .
٤ - لم يذكر الجبرتى يوماً معيناً فى اليومتين السابقتين وعلى ذلك فربما يقصد يوم الأربعاء غرة شهر ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق أبريل ١٨٠١ .

وفى سادسه (١) ، قرئ مكتوب زعموا أنه حضر من صارى عسكر منو من جهة سكندرية ونصه ، بعد البسملة والجلالة والصدر المعتاد :

" إلى حضرات كافة المشايخ والعلما الكرام المستشيرين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله تعالى فضايلهم ، إنما النصرة إلا من الله وبشفاعة رسوله الكريم عليه السلام الدايم ، العساكر الفرنساوية (٢) والإنكليزية هما إلى هذه الآن حضيران قتلهما ، فحصنَّا أطرافنا بمتراس وخنادق لا تـ ولا تهجن ، وغير ذلك يلزم نخبر حضراتكم لتهدية تمشياتكم ، ولأجل انتظام أن سلطان الروسية المحمية أعلن بواسطة مرسلينه إلى حضرة السلطان سليم أذعن الأمر إلى عساكره ، لأجل ما يتجانبوا ويتراوا (٣) ويخلوا من بر مصر جميعاً ، وإلا لابد من السلطات الروسيات الجمعية الإقامة بالمحاربة بمعية ماية ألف عسكرية ضد العثملية ، وضد قسطنطونية ، فبناء على ذلك أرسل السلطان سليم أوامره بفرمانه خطاباً إلى عساكره لتخلية بر مصر ، ولكامل من البر المذكور لكى وثم ، ولكن ذهب الإنكليزية كفا للارتشا (٤) بعض من مقدار العسكر العثملية ، وبتقديم امتثالهم إلى أوامر سلطانهم ، فأعلنوا وأخبروا كل ذلك إلى أهالى مصر ، فانتظموا كما كنتم دايماً بالخير ، فاعتمدوا وتعتنوا بحماية [ص٢٩٠] وصيانة دولة الجمهور الفرنساوية ، والله تعالى يديم فضايلكم عن الإلهام بالخير

---

١ – يوم الاثنين ٦ ذى ١٢١٥ هـ الموافق ٢٠ أبريل ١٨٠١م .

٢ – كلمة " الفرنساوية " لا تتفق مع السياق فربما كتبت خطأ ويقصد بها العثمانية أو المالطية و ولكنها وردت هكذا فى جميع النسخ بما فى ذلك عجائب الآثار أيضا .

٣ – هكذا فى جميع النسخ والصواب " يترووا " .

٤ – العبارة غير منتظمة ولكن المعنى أن الذهب الانكليزى كان كافياً لرشوة بعض العساكر العثمانية .

والسلامات ، حرر في ٢٥ جرمينال سنة تسعة ، الموافق لثلاثة ذى الحجة سنة ألف ومايتين وخمسة عشر . وكتب بألفاظه وحروفه من خط منشيه " لوماكا " الترجمان [لعنه الله وقطع لسانه الذى نطق بهذه الألفاظ السخيفة والتراكيب الكثيفة التى لا يفهم لها معنى ، ولا يتبين لها مبنى] (١) ، ثم قال الترجمان أن الفرنساوى الذى حمل هذا الكتاب نقل لى عن سر عسكر ، أنه ناشر لكم ألوية الشكر على قيامكم بوظايفكم ، فدوموا على ذلك ، ثم إن بعض الحاضرين من المشايخ أخبر بأن رجلاً من المنوفية يقال له موسى خالد ، كان الفرنساوية أحسنوا إليه ، وقدموه على أقرانه ، فلما خرجوا من المنوفية أفسد فى البلاد ، وقطع الطريق ، ولا يتمكن أحد من أهل هذه الجهة ، أن يخرج من بلده لتحصيل معاشه ، وأنه صادر كثيراً من أغنيا منوف وغيرها ، فقال الوكيل ستسكن الفتنة ، ويعاقب المفسدون ، ثم أمر بكتابة مكاتيب ممضاه من مشايخ الديوان ، خطاباً للتجار والمتسببين ولمشايخ البلاد ، يأمروهم بأرسال الغلال والاقوات إلى مصر ، فكتبوا للمحلة الكبرى ومنوف والمنصورة والفشن وبنى سويف .

وفيه (٢) ، كتبوا جواباً من مشايخ الديوان ، لكبير الفرنسيس ، جواباً عن مكتوبه المذكور آنفا .

وفيه ، ذكر قايمقام [ص٢٩١] ، "بليار" لبعض الروسا ، أنه إذا رجع صارى عسكر منصوراً ودامت أهل البلد على سكونهم ، رفع عنهم نصف المليون والظلم

وفى عاشره (٣) ، أفرجوا عن أحمد بن محرم التاجر ، بتوسل والدته

---

١ – ما بين القوسين حذف من عجائب الآثار .

٢ – أى فى سادس الحجة ١٢١٥ هـ الموافق يوم الاثنين ٢٠ أبريل ١٨٠١م .

٣ – يوم الجمعة ١٠من ذى الحجة ١٢١٥ هـ الموافق ٢٤ أبريل ١٨٠١م .

لقايمقام "بليار" على مصلحة ألفين ريال فرانسة .

وفيه ، خرج عبد العال إلى ناحية أبو زعبل ، ورجع ومعه ثلاثة أشخاص من الفلاحين ، وضرب عنق أحدهم .

وفى ثانى عشره (١) ، ورد الخبر بموت مراد بيك بالوجه القبلى بالطاعون ، وكان موته رابع الشهر ، ودفن بسوهاج ، عند الشيخ العارف ، وإقيم عزاؤة عند زوجته الست نفسية ، وبنت له قبراً بمدفن الامام الشافعى رضى الله عنه ، وأشيع نقله إليه ، ثم ترك ذلك .

وفيه (٢) ، قبض عبد العال على أناس من الغورية و الصاغة ومرجوش وغيرهم ، وألزمهم بمال ، وسئل عن ذلك فقال لم أفعله من قبل نفسى ، وإنما هو عن أمر من الفرنسيس .

وفيه ، حفروا خندقاً عند تلال البرقية ، فكان الذين يخرجون بالأموات يصعدون بهم من فوق التل ثم ينزلون ويمرون على سقالة من الخشب على الخندق المحفور ، فحصل للناس غاية المشقة ، واتفق أن ميتاً سقط من على أرقاب(٣) الحمالين ، وتدحرج إلى أسفل التل .

وفيه ، أرسلوا جوابات إلى الأمرا المرادية ، وتقريراً إلى عثمان بك الجوخدار المعروف بالطنبرجى ، بأن يكون أميراً ورئيساً على خشداشينه ، وعوضاً [ص٢٩٢] عن مراد بك ، ويستمرون على أمريتهم وتحت طاعة الفرنسيس .

١- يوم الأحد ١٢ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ٢٦ ابريل ١٨٠١م .

٢ - أى فى يوم الأحد ١٢ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ٢٦ من أبريل ١٨٠١م وهو تاريخ اليوميات الأربع التالية .

٣- هكذا فى كل النسخ ولكن المقصود منها " رقاب " .

وفيه حضرت جوابات المرسلات والتى أرسلت إلى البلاد ، بسبب إرسال الغلال والأقوات ، بأن المتسببين والتجار أجابوا بالسمع والطاعة ، غير أن المانع لهم قطاع الطريق ، وتعدى العرب ومنعهم السبيل ، وأن أبواب البلدان مغلوقة ، بحيث لا يمكن الخروج منها ، فإذا أمنت الطرق حضر المطلوب ، وكلام هذا معنا وأما الساعى المرسل إلى المنصورة ، فإنه رجع من أثناء الطريق ، ولم يمكنه الوصول إليها ، لأن العساكر القادمة قد دخلوها وصارت فى حكمهم .

وفيه ، أى فى غرة الحجة (١) ، طعن مصطفى أغا بطال ، فلما ظهر فيه ذلك ، رفعوه بطريقة مهانة ، وأنزلوه إلى الكرنتيلة بباب العزب ، وألقوه بها ، ثم تكلم فى شأنه أرباب الديوان وتشفعوا ، فأنزلوه إلى داره ، فمات بها ، وكذلك وقع لحسين قرا إبراهيم التاجر فى ثانى يوم .

وفى كل يوم ، يموت من الفرنسيس الثلاثون والأربعون ، وينزلون بهم من كرنتيلة القلعة ، على أخشاب مثل الأبواب ، كل ثلاثة أو أربعة "سوا" ، يحملونهم الحمالون وأمامهم اثنين من الفرنسيس ، يمنعون الناس و ويباعدونهم عن القرب منهم ، إلى أن يخرجوا بهم من باب القرافة ، فيلقونهم فى حفر عميقة قد أعدها الحفارون ، ويهيلون عليهم التراب حتى يعلوهم ، ثم يلقون صفاً آخر ويغطونهم بالتراب ، حتى تمتلئ الحفرة ويبقى بينها وبين الأرض نحو الذراع ، فيكبسونها بالتراب والأحجار ، ويحفرون أخرى غيرها كذلك ، فيكون فى الحفرة الواحدة ، اثنى عشر وستة عشر فوق [ص٢٩٣] بعضهم البعض وبينهم التراب ، ويرمونهم

---

١ – اذا كان المقصود غرة الحجة فعلا ، فإن هذه اليومية ليست فى موضعها من حيث التسلسل التاريخى الذى عودنا عليه مؤرخنا ، وفى عجائب الآثار ذكر ما وقع لمصطفى أغا وحسين قرا فى أوائل الشهر ولم يحدد يوماً وربما أن مرضهما كان فى غرة الشهر أما وفاتهما فى يومى ١٢ ، ١٣ من ذى الحجة .

بثيابهم وأغطيتهم ، وذلك المكان الذى يدفنون به ، فى العلوة خارج القادرية ، بين الطريقين الموصلين إلى جهة مقام الإمام الشافعى رضى الله عنه .

وفيه ، أنهى مشايخ الديوان تعرض عبد العال الخبيث لمصادرة الناس وطلب المال ، بعد تأمينهم وتبشيرهم برفع نصف المليون عنهم ، فأجيبوا بأن ذلك على سبيل القرض ، لتعطل المال الميرى ، واحتياج العسكر إلى النفقة ، وقيل لهم أيضا إن كان يمكنكم أن تكتبوا إلى البلاد بدفع الميرى رفعنا الطلب عن الناس ، فقالوا هذا غير ممكن لحصول البلاد فى حيازة القادمين ، وقطع الطرق من وقوف العرب بها ، وعدم الانتظام ، وإنما القصد الملاطفة والرفق، فإن وظيفتنا النصح والوساطة فى الخير .

وفى الخميس سادس الحجة (1) ، حضر استوف الخازندار ، وجرجس الجوهرى ومن معهم من القبطة وغيرهم ، ماعدا الفرنسيس الذين ذهبوا معهم ، فأرسلت أوراق بحضور مشايخ الديوان والتجار والأعيان من الغد.

فلما كان فى صبحها ، حصلت الجمعية ، وحضر الخازندار والوكيل وعبد العال ، والحاج عبد اله التاودى ، شيخ الغورية ، والحاج عمر الملطيلى ، " وكليمان " الترجمان ، فتكلم " ستوف " ، وترجم عنه الترجمان بقوله : " إن صارى عسكر الكبير منوا يقربكم السلام ويثنى عليكم كثيراً ، وسينحل هذا الحادث إن شا اله تعالى ، ويقدم فى خير ، ويروا أهل مصر ما يسرهم ، وقد هلك من الإنكليز خلق كثير ، وانضموا إليهم من جوعهم وعطشهم ،

---

١ – إن يوم ٦ ذو الحجة لا يوافق يوم خميس ، وإنما يوافق يوم اثنين ، هذا إذا كان المقصود ٦ الحجة ، ولكن الواضح أن يوم الخميس المذكور هو سادس عشر ذو الحجة ١٢١٥هـ الموافق ٣٠ أبريل ١٨٠١م .

ولتعلموا أن الفرنساوية لم يسلموا فى رشيد قهراً عنهم (١) ، وكذلك أخلينا دمياط ، بل لأجل أن يطمعوا ويدخلوا إلى البلاد وتتفرق عساكرهم ، فنتمكن عند ذلك من استيصالهم ، ونخبركم أنه قد وردت إلى سكندرية مركب من فرانسة ، وأخبرت أن الصلح قد تم مع كامل القرانات ، ما عدا الإنكليز ، فإنهم لم يدخلوا فى الصلح ، وقصدهم عدم سكون الحروب والفتن ، ليستولوا على أموال الناس ، واعلموا أن المشايخ المحبوسين وغيرهم بالقلعة لا بأس عليهم ، وإنما القصد من تعويقهم وحبسهم دفع الفتن والخوف عليهم ، وشريعة الفرنساوية اقتضت ذلك ولا يمكن مخالفتها ، ومخالفتها كمخالفة القرآن العظيم عندكم ، وقد بلغنا أن السلطان العثمنلى أرسل إلى عسكره بالكف عن الفرنساوية ، والرجوع عن قتالهم ، فخالف عليه فخالف عليه بعض السفها منهم ، فأجابه بعض الحاضرين من المنافقين بقوله : " إن القصد حصول الراحة والصلح ، والفرنساوية عندى أحسن حالاً من الإنكليز، لأننا قد عرفنا أخلاقهم " ، ثم قال الخازندار : " إن الفرنساوية لا يحبون الكذب ، ولم يعهد عليهم ، فلازم أن تصدقوا كلما أخبروكم به " ، فقال بعض الحاضرين : " إنما يكذب المشاشون والفرنساوية لا يأكلون الحشيش " ، ثم قال الخازندار : " إن وقع من أهل مصر فشل أو فساد عوقبوا أكثر من عام أول ، وأعلموا أن الفرنساوية لا يتركون الديار المصرية ولا يخرجون منها ابداً ، لانها صارت بلادهم وداخلة فى حكمهم ، وعلى الفرض والتقدير [ص ٢٩٥] ، إذا غلبوا على مصر ، فإنهم يخرجون منها إلى الصعيد ، ثم يرجعون إليها ثانياً (٢) ، ولا

---

١ - يتضح سذاجه التبريرات التى يقدمها الفرنسيون للمصريين حول موقفهم وحروبهم مع الإنجليز والعثمانيين وهى أيضا نفس التبريرات التى كان مينو يرسلها إلى " بليار " فى القاهرة ، ولكن هذه التبريرات لم تكن لتقنع أى من الطرفين ، بل أدرك الجبرتى زيفها وسخر منها فى كتابة ووصفها بأنها " تمويهات وأكاذيب وخرافات ".

٢ - لعلها خطة تعلموها من المماليك حيث كان الصعيد ملجائهم فى وقت الأزمات ، وقد طبقها مراد بيك أحسن التطبيق .

يخطر فى بالكم قلة عساكرهم ، فإنهم على قلب رجل واحد ، واذا اجتمعوا كانوا كثيراً " . وطال الكلام فى مثل هذه التمويهات والأكاذيب والخرافات و أجوبة الحاضرين بحسب المقتضيات ، ثم قال الخازندار: " القصد منكم معاونة الفرنساوية ومساعدتهم وغلاقة نصف المليون ، ونشفع بعد ذلك عند صارى عسكر فى فوات النصف الثانى ، حكم ما عرفكم قايمقام بليار ، فاجتهدوا فى غلاقه من الاغنيا ، واتركوا الفقراء ، ولكن ينبغى التعجيل ، فإن الأمر لأجل نفقة العسكر " ، ثم قال لهم : " ينبغى أن تكتتبوا جواباً لصارى عسكر تعرفوه فيه عن راحة أهل البلد ، وسكون الحال، وقيامكم بوظايفكم ، وهو ان شا الله يحضر إليكم عن قريب " ، وانفض المجلس وكتب الجواب المأمور به وأرسل .

وفيه (١) ، وصل الخبر بوصول طاهر باشا (٢) ، بجملة من العساكر إلى أبو زعبل .

وفيه ، خرج عدة من العساكر الفرنساوية ، وضربوا أربع قرى من الريف بعلّة موالاة العرب ، وقطاع الطرق ، فنهبوهم وحضروا إلى مصر بمتاعهم ومواشيهم .

وفيه أرسل "بليار" قايمقام يطلب من الوجاقلية بقية ما عليهم من المال المتأخر من فردة الماتزمين ، وقدره اثنى عشر ألف ريال ، وإن تأخروا عن الدفع ، أحاط العسكر ببيوتهم ، ونقلهم إلى أضيق الحبوس ، بل واستعملهم فى شيل الأحجار ، فاعتذروا بضيق ذات يدهم ، وحبسهم فتصدر إليهم السيد أحمد الزرو ،

---

١ - يوم الجمعة ١٧ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ١ مايو ١٨٠١م .
٢ - طاهر باشا : ورد عنه فى عجائب الآثار " حضر طاهر باشا الأرنؤود وعساكر أرنؤود ، وقد تولى على مصر بعد خسروا باشا ولكن قتله الإنكشارية عام ١٨٠٣م " .

وتشفع عند قايمقام بأن يقوموا بدفع أربعة [ص٢٩٦] آلاف ريال ، ويؤجلون (١) الباقي وينزلون من القلعة ، لتحصيل ذلك ، فأجابهم وأنزل على يحيى أغاة الجراكسة ، ويوسف باش جاويش ، إلى بيت عبد العال ، وحبسهم بمكان (٢) بداره ، وحبس معهم مصطفى كتخدا الرزاز ، فكان يتهددهم ويرسل إليهم أعوانه ، يقولون لهم : " شهلوا ما عليكم وإلا ضربكم الأغا بالكرابيج " ، وسبحان الفعال لما يريد ، فأن عبد العال هذا الذي يتهددهم ، ربما لا يقدر على الوصول إلى الوقوف بين يدى أتباعهم ، فضلا عنهم .

وفيه ، حضر رسل من طرف حضرة عرضي همايون "بليار" ، فاجتمعوا به ، وخلا بهم وجههم من ليلتهم ، فلما حصلت الجمعية بالديوان سئل الوكيل عن ذلك ، فقال : إنهم أرسلوا يطلبون الصلح .

وفي ثامن عشره (٣) ، أفرجوا عن إبراهيم أفندى كاتب البهار ، ليساعد في قبض نصف المليون .

وفي رابع عشراينه (٤) ، قبضوا على أبو القاسم المغربي الذي كان تولى مشيخة رواق المغاربة بالأزهر (٥) ، بعد موت الشيخ الذي قبله بالشام ، وهو

---

١ – في النسخة (أ) " ويرحلون بالباقي " ، ولكن الصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٢ – كلمة " بمكان " غير موجودة في النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .

٣– يوم السبت ١٨ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ٢ مايو ١٨٠١م .

٤ – يوم الجمعة ٢٤ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ٨ مايو ١٨٠١م .

٥ – رواق المغاربة : خصص هذا الرواق للطلبة الوافدين من برقة طرابلس وتونس والجزائر ومراكش وهو يقع في الجانب الغربي من صحن الجامع إلى يمين الداخل من باب المغاربة ، وجد به مكتبة كبيرة تضم ٢٣٨٦ مجلداً ، وفي الرواق مطبخ وبئر ، وله باب وكاتب وبواب ، وكان مقدار الجراية التي تقدم لطلبته كل يومين ثمانمائه واثنين وستين رغيفاً ، وكانت تصرف لهم مرتبات نقدية شهرية ، ومن شروط المحبوسة على هذا الرواق أنه لا يستحق مرتباته وجريات إلا من كان مالكي المذهب ، راجع د / عبد العزيز الشناوى : الأزهر جامعاً و جامعة ، الأنجلو١٩٨٣، جـ١ ، ص ٢٦٢ .

الشيخ سالم بن مسعد الطرابلسي ، خرج من مصر ليلة الهزيمة الأولى من الحرب ، الذى وقع بانبابة ، فاستمر مقيماً بالشام إلى أن مات ودفن هناك ، وكان رجلاً خيراً صالحاً سمح النفس ، دمث الطباع والأخلاق ، وفيه تودد للناس وحسن عشرة ، ولما [ص ٢٩٧] تولى مشيخة الرواق ، امتدحه صاحبنا (١) المشار إليه بقصيدة أشار فى مطلعها إشارة خفية ، لحالته مع الشيخ سالم المتولى مشيخة الرواق المذكور ، والسيد عبد الرحمن المعزول ، فإن بينه وبين المتولى صداقة ومحبة بخلاف المعزول ، ولأن المتولى تحمد سيرته بخلاف الذى عزل ، وأول القصيدة :-

انهض فقد ولت جيوش الظلام	وأقبل الصبح سفير اللثام
وعنت الوُرقُ على أيكها	تنبه الشرب لشرب المدام
والزهر أضحى فى الربا باسماً	لما بكت بالطل عين الغمام
والغصن قد ماس بأزهاره	لما غدت كالدر فى الانتظام
وعطر الروض مرور الصبا	على الرياحين فأبرى السقام
كأنما الورد على غصنه	تيجان إبريز على حسن هام
كأن منظوم الزراجين يا	قوت غدا من نظمه فى انسجام
كأنما الآس عذار على	وجنة خشف قد علاها ضرام
كأنما الورقاء لما شدت تتلو	. علينا فضل هذا الإمام

ثم استمر فى مدحه ، وهى طويلة مسطرة بديوان المذكور يقول فى آخرها :-

بشراك إقبال به دائماً	كان له فيك مزيد الهيام
فقد رأينا فيك ما نرتجى	لا زلت فينا سالماً والسلام

١- كل ما ورد فى هذه اليومية من أشعار الشيخ حسن العطار محذوف فى عجائب الآثار .

ولما قبضوا على السيد أبو القاسم المذكور (١) حبسوه بالقلعة وكذلك محمد أفندى يوسف ثانى قلفة ، وآخر له عبيد السكرى .

وفى خامس عشرينه (٢) ، أظهروا مكتوباً وزعموا أنه حضر من صارى عسكرهم ، وقرئ بالديوان ، وهو فى معنى التمويه والخرافات السابقة ، وفى ضمنه تقرير الفرنساوى المسمى[ص٢٨٩] " بجيرار" بالديوان عوضاً عن " فوريه " وتاريخه ثامن عشر الحجة (٣)

وفى سادس عشرينه (٤) ، أعادوا فرش الديوان بأمر الوكيل " جيرار " ، وذلك على حد قول القائل :

وتجلدى للشامتين أريهم   أنى لريب الدهر لا أتضعضع (٥)

وفيه (٦) ، أفرجوا عن أحمد الكاشف سليم الشعرواى ، بشفاعة حسين كاشف اليهودى، وسافر إلى جهة الصعيد .

وفى ثامن عشرينه (٧) ، وصلت البشائر (٨) بوصول حضرة الصدر الأعظم ،

١- لم يذكر سبب حبسه فى مظهر التقديس ، ولكنه فى عجائب الآثار يقول : " بسبب أنه كان يتكلم فى بعض المجالس ويقول " أنا شيخ المغاربة وأحكم عليهم ، ويتباهى بمثل هذا القول ، فنقل عنه ذلك إلى عبد العال والفرنسيس ، وظنوا من صحة قوله ، وأنه ربما آثار فتنة فقبضوا عليه ... ".

٢- يوم السبت ٢٥ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ٩ مايو ١٨٠م.

٣ - يقصد يوم السب ١٨ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ٢ مايو ١٨٠١م .

٤ - يوم الأحد ٢٦ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ١٠ مايو ١٨٠١م .

٥ - هذا البيت ورد فى النسخة (ب) نثرا أى فى جملة واحدة وغير مقطع إلى شطرين .

٦ - أى يوم ٢٦ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ١٠ مايو ١٨٠١م .

٧ - يوم الثلاثاء ٢٨ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ١٢ مايو ١٨٠١ .

٨ - فى عجائب الآثار لا يعتبر الجبرتى هذه الأخبار " بشائر " ويكتب اليوميه هكذا " وردت الأخبار بوصول ركاب الوزير يوسف باشا إلى بلبيس" .

والملاذ الأفخم ، وحلول ركابه ببلبيس وذلك يوم الجمعة رابع عشرينه [1] ، فاقبل السرور ، وانشرحت الصدور .

مجمل يوميات سنة ١٢١٥هـ [2]

وانقضت هذه السنة بحوادثها التى لا يمكن ضبط كلياتها ، فضلاً عن جزئياتها فمنها توالى الهدم والخراب ، وتغيير المعالم ، وتنويع المظالم . وعم الخراب خطة الحسينية خارج باب الفتوح والخروبى ، فهدموا تلك الجهات والأخطاط والحارات والدروب ضمن ذلك من الخانات والوكايل والرباع والدور والحمامات والمساجد والمزارات ، والزوايا والتكايا ، وبركة جناق وما بها من الدور والقصور المزخرفة ، وجامع الجنبلاطية [3] العظيم بباب النصر ، وما به من القباب العظام ، المعقودة من الحجر المنحوت المربعة الأركان ، الشبيهة بالأهرام ، والمنارة ذات الهلالين ، واتصل هدم خارج باب النصر بخارج باب الفتوح ، وباب القوس إلى باب الحديد ، حتى بقى ذلك كله خراباً متصلاً واحداً ، وبقى سور المدينة الأصلى ظاهراً مكشوفاً ، فغمروه ورموا ما تشعث منه ، وأوصلوا بعضه ببعض

١- يوم الجمعة ٢٤ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ٨ مايو ١٨٠١م .

٢ - استهلت هذه السنة بيوم الأحد ٢٥ مايو ١٨٠٠م ، ، إنقضت بيوم الأربعاء ١٨٠١م .

٣ - جامع الجنبلاطيه : بشارع درب الحجر من ثمن درب الجماميز بجوار منزل الأمير راغب باشا ، بناؤه بالحجر الآلة على هيئة شكل مستطيل ، وله بابان عن يمين القبلة وشمالها ، وبه أربعة أعمدة من الرخام عليها بوائك معقودة من الحجر تحمل سقفاً من الخشب النقى، وفى قبلته ترابيع من القيشانى وله منبر من الخشب الخرط ، ودكه للتبليغ ومنارة ، وميضاً ، وبجواره سبيل يعلوه مكتب ويملأ من الخليج الحاكمى زمن فيضان النيل بواسطة مجراه . على مبارك : مراجع سابق ، جـ٤ ، ص ١٥٤ .

بالبنا ، ورفعوا بنيانه ، [ص ٢٩٩] وعملوا عند كل باب كرانك وبدنات عظاماً و وأبواباً داخلة وخارجة ، وأخشاباً مفروسة بالأرض ، مشبكة بكيفية مخصوصة ، وكذلك باب البرقية وباب المحروق (١) ، وأنشاوا عدة قلاع فوق تلال البرقية (٢) ، ورتبوا فيها العساكر وآلات الحرب والذخيرة ، وصهاريج الماء ، وجعلا لها مزالق وانحدارات لسهولة الصعود والهبوط ، بقياسات هندسية ، على زوايا قايمة ومنفرجة ، وبنوا تلك القلاع بمقادير بين أبعادها ، وهدموا أبنية رأس الصوة ، حيث الحطابة وباب الوزير ، وتحت القلعة الكبيرة ، وما بذلك من المدارس القديمة المشيدة القديمة المشيدة ، والقباب (٣) المرتفعة ،وهدموا أعالى المدرسة النظامية ومنارتها ، وكانت فى غاية الحسن ، وجعلوها قلعة ، ونبشوا ما بها من القبور ، فوجدوا الموتى فى توابيت من الخشب ، فظنوا داخلها دارهم ، فكسروا بعضها ، فوجدوا بها عظام الموتى ، فألقوها إلى خارج ، فاجتمع أهل تلك الجهة وحملوها ، وعملوا لها مشهداً بجمع من الناس ، ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب المدرج (٤) ، وهدموا مدرسة القانبية ، والجامع المعروف بالسبع سلاطين ،

١- باب المحروق : أحد أبواب القاهرة فى سورها الشرقى المشرف على الصحراء أنشاه السلطان صلاح الدين الأيوبى فى سنة ٥٦٩ هـ الموافق ١١٧٤م ، وكان يعرف بباب القراطين ، اكتشفه الأستاذ كريسويل بعد أن بطل استعماله وسد بالبناء . راجع د : عبد الرحمن زكى - مرجع سابق ، ص ٢٤ .

٢ - كلمة " البرقية " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

٣- كلمة " القباب " تكتب فى النسخة (ب) دائما " قبب " والأصوب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٤ - باب المدرج : أقدم أبواب قلعة الجبل ، أنشاه السلطان صلاح الدين الأيوبى فى سنة ٥٧٩هـ الموافق ١١٨٣م ، و لا يزال باقياً عند يسار الداخل إلى القلعة من الباب الجديد ، نقش عليه ما نقرأه إلى يومنا هذا وهو " بسم الله الرحمن الرحيم " أمر بإنشاء هذه القلعة الباهرة المجاورة لمحروسة القاهرة التى جمعت نفعاً وتحسيناً وسعه على من التجأ إلى ظل ملكه وتحصينا ، مولانا الملك صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أيوب محى الدولة أمير المؤمنين على يد أمير مملكته قراقوش عبد الله المالكى الناصرى فى سنة تسعة وسبعين وخمسمائة . د / عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ، ص ٢٤ .

والجامع الجركسى ، وجامع خوند ببركة الناصرية خارج باب البرقية ، وكذلك أبنية باب القرافة ، ومدارسها ومساجدها ، وسدوا الباب ، وعملوا الجامع الناصرى [ص ٣٠٠] الملاصق له قلعة، بعد أن هدموا منارته وقبابه ، وأوصلوا سور باب القرافة بجامع الزمر ، وجعلوا ذلك الجامع قلعة ، وكذلك عدة قلاع متصلة بالمجراة التى كانت تنقل الماء إلى القلعة الكبيرة ، وسدوا عيونها ، وجعلوها سوراً بذاتها ، ولم يبقوا منها إلا قوصرة واحدة من ناحية الطيبى جهة مصر القديمة وجعلوها باباً ومسلكاً ، وعليها الكرانك والغفر والعسكر الملازمين الإقامة بها ، وسدوا الجهة المسلوكة من ناحية قنطرة السد ، وحفروا خلف ذلك خندقاً .

ومنها ، تخريب دور الأزبكية وردمها بالأتربة و- تبديل أوضاعها ، وهدم خطة قنطرة الموسكى ، وما جاورها من أول القنطرة المجاورة للحمام ، إلى البوابة المعروفة بالعتبة الزرقا ، حيث جامع أزبك ، وما فى ضمن ذلك من الدور والحوانيت والوكايل ، وكوم الشيخ سلامة ، فيسلك المار من على القنطرة فى رحبة متسعة حتى ينتهى إلى رحبة الجامع الأزبكى ، وهدموا بيت الصابونجى ، ووصلوه بجسر عريض ممتد ممهد ، ينته إلى قنطرة الدكة (١) ، وفى متوسط ذلك قنطرة المغربى ، ومنها يمتد إلى بولاق على خط مستقيم إلى ساحل البحر ، حيث موردة التين و الشون ، وزرعوا بحافتيه السيسبان ، وهدموا المسجد المجاور لقنطرة الدكة و مع ما جاوره من الأبنية والغيطان ، وعملوا هناك بوابه وكرنكاً وعسكراً ملازمين [ص ٣٠١] الإقامة والوقوف ليلاً ونهاراً ، وذلك عند مسكن " بليار " قايمقام ، وهى دار جرجس الجوهرى.

---

١ – فى النسخة (ب) تكتب " النكة " والصواب ا أثبتناه من بقية النسخ .

وقنطرة الدكه : يذكر المقريزى أنها كانت تقع على خليج الذكر ، وعرفت بقنطرة الأمير بدر الدين التركمانى الذى عمرها . المقريزى – مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١٢٥ .

ومنها توالى خراب بركة الفيل ، بأسرها ودورها وقصورها ، وبيوت الأمرا التى كانت بها ، حتى صارت كلها تلالاً وخرايب ، بحيث لا يتصور الرائى إعادتها إلا أن شاء الله ، وأخذوا أخشابها لعمارة القلاع ، ووقود النيران والبيع ، وكذلك ما كان بها من الرصاص والحديد والرخام . وهذه البركة يقول فيهاابن سعيد الأندلسى ، وقد ذكر القاهرة : " وأعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل ، لأنها دائرة كالبدر ، والمناظر فوقها كالنجوم ، وعادة السلطان يركب فيها بالليل ، ويسرح أصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم ، فيكون بذلك لها منظر عجيب، وفيها أقول :-

أنظر إلى بركة الفيل التى اكتنفت   بها المناظر كالأهداب للبصر
كأنما هى والأبصار ترمقها   كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت إليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت :

" شعر "

أنظر إلى بركة الفيل التى نحرت   لها الغزالة نحراً من مطالعها
وخل طرفك مجنوناً ببهجتها   يهيم وجداً وحباً فى بدايعها

وقال صاحبنا المشار إليه (١) : " وأما بركة الفيل ، فقد رميت بكل خطب جليل ، وأورثت العين بوحشتها بكاء وعويل ، والقلب يتذكر ما سلف من مباهجها حزناً طويل . تبدلت مفردات أطيارها بنواعب الغربان ، ومحاسن غزلانها بكل علج تقذى به العينان ، ومشيد قصورها بخرايب وتلال ، وأكابر أمرايهما بصعاليك [ص٣٠٢] وأراذل . ولقد تذكرت ماضى عيش بها سلف ، ومعهد أنس كان للكآبه

---

١ – المقصود هنا هو الشيخ حسن العطار وكل ما ورد على لسانه فى هذه اليومية من نثر وشعر محذوف فى عجائب الآثار . وجدير بالذكر أن الجبرتى قد حرص على أن يكون عجائب الآثار كتاباً خالصاً له فحذف معظم كتاب العطار ولم يبق منها إلا النذر اليسير

بعده خلف ، فقلت متذكراً أولئك الأيام ، التى مرت كأضغاث أحلام :-

علّلا نى بذكر خشف رخيم | واسقيانى فى الروض بنت الكروم
وصفا لى زمان أنس صفا لى | بحبيب غض ، وراح قديم
حيثما الدهر طوعنا والأمانى | فى تدان والوهم فى تهويم
والربا فى نضارة وزهو | حل فيه من الغمام السجيم
خافضات به الغصون رؤساً | مثقلات من در نظيم
ولصفو الغدير فيها ولوع | يرقب الوصل من مرور النسيم
وترى الورد كالمليك لديه | كل غصن يهوى بقدٍ قويم
بسط الروض نحوه وشى بسط | حاكها الطل فى ابتداع وسيم
للجين النهور فيها طراز | ولدر الزهور رقش الرسوم
وبكا الحمام هيج عندى | فرط شوق إلى الزمان القديم
زمن بالسرور لم يكن إلا | حلماً مر أو تراضى حليم
فيه كانت تجلى بدور جمال | أشرقت عن نجوم ليلٍ بهيم
من بنى الترك ذى الجمال المندى | أيضا هى فى الحسن ريم الروم (١)
كل ظبى تراه يرنو ويلهو (٢) | بقوام القنا نار الجحيم
يا زماناً ببركة الفيل ولى | فيه قد كنت ثاوياً فى نعيم
لاعد مناك من زمان تقضى | بين شاد وشادن ونديم

---

١ – فى النسخة (ب) " روم الروم " والمقصود هنا بالريم الغزالى التركى ، وإن كان المعنى النساء القوقازيات .

٢ – فى النسخة (ب) " يكهو ويرنو " ولكن الصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

ثم قال : " وهكذا الدنيا طبعت على الشان ، من سره زمن ساءته أزان ، والعاقل فى تقلبات الأيام عبر ، ما شوهد منها وما غبر " .وأخربوا أيضا جامع أزبك العظيم، وجعلوه سوقاً لبيع أقلام المكوس . وأخربوا أيضا جامع [ص ٣٠٢] الرويعى (١) ، وجعلوه خمارة ، وجامع عثمان كتخدا القزدغلى ، الذى بالقرب من رصيف الخشاب ، وجامع خير بك حديد ، الذى بضرب الحمام ، بقرب من بركة الفيل ، وجامع الفيل وجامع البنهاوى والطرطوشى والعدوى ، وجامع عبد الرحمن كتخدا ، المقابل لباب الفتوح ، هدموه حتى لم يبق له أثر البته .

ومنها ، أنهم غيروا معالم المقياس ، وبدلوا أوضاعه وهدموا قبته العالية ، والقصر البديع الشاهق ، وهدموا القاعة التى بها عمود المقياس ، وبنوها على شكل آخر ، ورفعوا قاعدة العمود العليا ذراعاً ، من قطعة رخام مربعة ، رسموا عليها من جهاتها الأربع قراريط الذراع .

ومنها ، أنهم هدموا مصاطب الحوانيت التى بالشوارع ، ورفعوا أحجارها مظهرين أن القصد من ذلك توسع الأزقة ، لمرور العربات الكبيرة ، التى ينقلون عليها المتاع والجبس والجير وغيره ، والمعنى الخفى الثانى ، خوفاً من إقامة المتاريس بها عند حدوث الحروب كما تقدم . وكانوا وصلوا فى الهدم إلى باب زويلة ، ومن الجهة الأخرى إلى سوق مرجوش ، فهدموا مصاطب خط قناطر السباع والصليبة ودرب الجماميز وباب سعادة ، وباق الخرق ، إلى آخر باب الشعرية ، ولو طال الحال لهدموا مصاطب خط العقادين والغورية والصاغة والنحاسين ، إلى آخر باب النصر وباب الفتوح . فحصل لأرباب الحوانيت غاية الضيق لذلك ، وصاروا فى

١- جامع الرويعى : بشارع الأزبكية بالقرب من شارع الشرايبى المعروف بجامع البكرى أنشأه السيد أحمد الرويعى رئيس التجار بمصر فى القرن الثامن عشر وشعائره مقامة . راجع على مبارك مصدر سابق جـ ٤ ص ٢٤٨ .

داخل فجوات الحوانيت مثل الفيران فى الشقوق ، وبعض الزوايا والجوامع والرباع التى درجها خارج عن سمت حائط البنا [ص ٣٠٤] لما هدموا درجه وبسطه ، بقى باب مدخله معلقاً ، فكانوا يتوصلون إليه بدرج من الخشب مصنوع، يضعونه وقت الحاجة ، ويرفعونه بعدها ، فكانوا إليه بدرج من الخشب مصنوع ، يضعونه وقت الحاجة ، ويرفعونه بعدها ، وذلك عمل كثير .

ومنها ، تبرج النساء ، وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء ، وهو أنه لما حضر الفرنسيس إلى مصر ، ومع البعض منهم نساؤهم ، كانوا فى الشوارع مع نسائهم ، وهن حاسرات الوجوه ، لابسات الفستانات ، ويركبن الخيول والحمير ، ويسوقونها سوقاً عنيفاً ، مع الضحك والقهقهة ، ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامة ، فمالت إليهم نفوس أهل الأهواء، من النساء الأسافل والفواحش ، فتداخلن مع الفرنسيس ؛ لخضوعهم للنسا ، وبذل الأموال لهن . وكان ذلك التداخل أولاً مع بعض احتشام وخشية العار ، ومبالغة فى إخفائه ، فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر ، وحاربت الفرنسيس بولاق ، وفتكوا فى أهلها ، وغنموا أموالها ، وأخذوا ما استحسنوه من النسا والبنات ، صرن ماسورات عندهم فزيوهن بزى نسائهم ، وأجروهن على طريقتهن فى كامل الأحوال ، فخلع أكثرهن نقاب الحيا بالكلية ، وتداخل مع أولئك الماسورات غيرهن من النساء الفواجر ، حتى كثرت الفواحش من النسا ، لما حل بالمسلمين من الذل والهوان ، وسلب الأموال ، واجتماع خيرات الدنيا فى حوز الفرنسيس ، وشدة رغبتهم فى النساء [ص ٣٠٥] ، وخضوعهم لهن ، وموافقة مرادهن ، وعدم مخالفة هواهن ، ولو شتمته أو ضربته بتاموسها على قفاه ، ولو كانت هى فى غاية القبح ، فطرحن الحشمة والوقار ، والمبالات والاعتبار ، واستملن نظرائهن و اختلسن عقولهن ، لميل النفوس إلى الشهوات ، وخصوصاً عقول القاصرات ، وخطب منهم بنات الأعيان ،

وتزوجوهم رغبة فى سلطانهم ونوالهم ، فيظهر حالة العقد الإسلام ، وينطق بالشهادتين ، لأنه ليس له عقيدة يخشى فسادها ، وصارمع حكام الأخطاط منهم النساء المسلمات ، متزييات بزيهم ، ومشوا معهم فى الأخطاط للنظر فى أمور الرعية ، والأحكام العادية ، والأمر والنهى والمناداة ، وتمشى المراة بنفسها ، أو معها بعض أترابها وأضيافها ، على شكلها ، وأمامها القواسة والخدم وبأيديهم العصى ، يفرجون لهن الناس ، ويوسعون من أجل مرورهن الطرقات ، مثل ما يمر الحاكم ، ويأمرن وينهين فى الأحكام . ولما وفى النيل ودخل الخليج ، وجرت فيه السفن، وقع عند ذلك تبرج النساء واختلاطهم بالفرنسيس ، ومصاحبتهم لهن فى المراكب ، والرقص والغنا والشراب ، فى النهار والليل والشموع الموقدة ، وعليهن الملابس الفاخرة ، والحلى والجواهر المرصعة ، وصحبتهم آلات الطرب وخدمة السفن ، يكثرون من الهزل والمجون ، ويتجاوبون الصوت فى تحريك المقاذيف بسخايف موضوعاتهم ، كثايف [ص ٣٠٦] مطبوعاتهم، وخصوصاً إذا دبت الحشيشة فى رؤسهم ، وتحكمت فى عقولهم ، فيصرخون ويطبلون ويرقصون ويزمرون ، ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنساوية فى غنائهم ، وتقليد كلامهم شئ كثير . وأما الجوار السود فإنهم لما علموا رغبة القوم فى مطلق الأنثى ، ذهبوا إليهم أفواجاً ، فرادى وأزواجاً ، فنطوا الحيطان ، وتسلقوا (١) من الطيقان ، ودلوهم على مخبآت أسيادهم ، وخبايا أموالهم ومتاعهم ، وغير ذلك .

ومنها ، أن يعقوب القبطى اللعين (٢) ، لما تظاهر مع الفرنساوية ، وقلدوه

---

١ – هكذا فى الأصل والصواب : فإنهن ... ذهبن ... فنططن ... وتسلقن .

٢ – كلمة " اللعين " محذوفة من عجائب الآثار ، وهذا لا يعنى أن الجبرتى غير موقفه من يعقوب ، ولكنه فقط توقف عن استخدام اسلوب مبتذل .

صارى عسكر القبطة ؛ جمع شبان القبط ، وحلق لهم لحاهم ، وزياهم بزى مشابه لعسكر الفرنساوية ، مميز عنهم بقبع يلبسونه على رؤوسهم ، مشابه لشكل البرنيطة ، وعليها قطعة فروة سودا من جلد الغنم فى غاية البشاعة ، مع ما يضاف إليها من قبح صورهم ، وسواد أجسامهم ، وزفارة أبدانهم ، وجعلهم عسكره وعزوته ، وجمعهم من أقصى الصعيد ، وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى ، التى هو ساكن بها ، خلف الجامع الأحمر ، وبنى له قلعة ، وسورها بسور عظيم ، وأبراج باب كبير ، ويحيط به بدنات عظام ، وكذلك بنى أبراجاً فى ظاهر الحارة ، جهة بركة الأزبكية ، وفى جميع السور المحيط ، وفى الأبراج طيقان للمدافع ، وبنادق الرصاص ، على هيئة سور مصر الذى رمه الفرنساو ، ورتب على باب القلعة الخارج والداخل [ص ٣٠٧] عدة من العسكر الملازمين ، للوقوف ليلاً ونهاراً ، وبأيديهم البنادق على طريقة الفرنساوية .

ومنها ، قطعهم الأشجار والنخيل من جميع البساتين والجناين الكاينة بمصر وبولاق ، ومصر القديمة والروضة ، وجهة قصر العينى ، وخارج الحسينية ، مثل غيط قزخزان ، وغيط الملة ، وغيط أبو خودة ، وبساتين بركة الرطلى وأرض الطبالة ، وبساتين الخليج ، بل وجميع القطر المصرى ، كالشرقية والغربية والمنوفية ، وبساتين رشيد ودمياط ، كل ذلك لعمل القلاع ، وتحصين الاسوار فى جميع الجهات ، وعمل العجل والعربات والمتاريس ، ووقود النار .

ومنها ، تكسير المراكب والسفن ، وأخذ أخشابها أيضاً مع شدة الاحتياج إليها ، وعدم إنشاء سفن جديدة ، لافتقار الناس ورؤسا المراكب ، وعدم الخشب والقار والحديد ، وبقية الآلات ، وعدم الأمن عليها لو فرض إنشاؤها (١) ، حتى

١ – كلمة " إنشاؤها " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

أنهم حال حلولهم الديار المصرية ، وسكنهم بالأزبكية ، كسروا جميع القنج والأغربة التي كانت مركوزة تحت بيوت الأعيان بقصد التنزهة ، وكذلك ما كان ببركة الفيل ، وقس على ذلك ، حتى أن القطر المصرى الآن في شدة الاحتياج لذلك ، وشحت البضايع ، وغلت الأسعار ، وتعطلت الأسباب ، وضاقت المعايش ،وتضاعفت أجَر التجارات في السفن لقلتها ، وبطلت المتاجر .

ومنها هدم القباب والمدافن الكاينة بالقرافة تحت القلعة [ص ٢٠٨]خوفاً من تترس المحاربين بها ، فكانوا يهدمون ذلك بالبارود ، على طريقة اللغم ، فيسقط المكان بجميع أجزائه، من شدة البارود وانحباسه في الأرض ، فيسمع له صوت عظيم فهدموا شيئاً كثيراً على هذه الصورة ، وكذلك أزالوا جانباً كبيراً من الجبل المقطم بالبارود ، من الجهة المحاذية للقلعة .

ومنها ، زيادة النيل الزيادة المفرضة ، التي لم يعهد مثلها في هذه السنين ، حتى غرقت الأراضي [وحوصرت البلاد ، وتعطلت الطرق فصارت الأرض] (١) ، كلها لجة ماء ، وغرقت غالب القرى التي السواحل ، فتهدموا من دورها شئ كثير ، وأما المدينة ، فإن الماء جرى جهة الناصرية إلى المسلوكة ، وطفح من بركة الفيل إلى الشمسي ، وطريق قنطرة عمر شاه (٢) .

ومنها ، استمرار انقطاع الطرق وأسباب المتاجر ، وغلو البضايع المجلوبة من البلاد الرومية والشامية والهندية والحجازية والمغرب ، حتى غلت أسعار جميع الأصناف (٣) ، وانتهى سعر كل شئ إلى عشرة أمثاله ، وزيادة على ذلك ، فبلغ

---

١ – مابين القوسين غير موجود في النسخة (ب) فاثبتناه من بقية النسخ .

٢ – قنطرة عمر شاه : كانت على الخليج الكبير يتوصل منها إلى برج الخليج الغربي ، أنشأها الأمير ركن الدين عمر شاه حوال عام ٧٤٥هـ الموافق ١٣٤٤م ، وموضعها عمر شاه بحي السيدة زينب راجع د / عبدالرحمن زكي ، مرجع سابق ، ص ٢٢٠ .

٣ – في النسخة (ب) " جميع البضايع " .

الرطل الصابون (١) إلى ثمانين نصفاً ، واللوزة الواحدة بنصفين ، وقس على ذلك .

ومنها ، وقوع الطاعون بمصر والشام ، وكان معظم ببلاد الصعيد ، أخبرني صاحبنا المشار إليه ، العمدة الفاضل الشيخ حسن العطار المصرى ، نزيل أسيوط ، مكاتبه ونصه :-

" ونعرفكم أنه [ص ٣٠٩] قد وقع فى قطر الصعيد طاعون لم يعهد ، ولم نسمع بمثله ، وخصوصاً ما منه بأسيوط (٢) ، وقد انتشرت هذا البلاء فى جميع البلاد ، وشاهدنا منه العجايب ، وذلك أنه أباد معظم أهل البلاد ، وكان الكثوجة فى الرجال ، سيما الشبان والعظما ، وكل ذى وفضيلة ، وأغلقت الأسواق ، وعزت الأكفان ، وصار المعظم من الناس بين ميت ومشيع ومريض وعائد ، حتى أن الانسان لا يدرى بموت صاحبه أو قريبه إلا بعد أيام ، ويتعطل الميت في بيته ، من أجل تجهيزه ، فلا يوجد النعش والمغسل ، ولا من يحمل الميت إلا بعد المشقة الشديدة وإن أكبر كبير إذا مات لا يكاد يمشى معه ما زاد على عشرة أنفار وماتت العلما والقراء والملتزمون والرؤسا ، وأرباب الحرف ، ولقد مكثت شهراً بدون حلق رأسى لعدم الحلاق ، وكان هذا الأمر من شعبان ، وأخذ فى الزيادة فى شهر ذى القعدة والحجة ، حتى بلغ النهاية ، فكان كل يوم من أسيوط خاصة ، زيادة على الستماية ، وصار الإنسان إذا خرج من بيته ، لا يرى إلا جنازة مريضاً و أو

١ - كلمة " الصابون " غير موجودة فى النسخة (ب) .

٢ - أسيوط : من الأقسام الإدراية القديمة العهد وكانت موجودة فى زمن الفراعنة باسم " بوتف خنت " وقاعدته مدينة " سباودت " أسيوط ، وفى عهد البطالسه والرومان كانت باسم " ليكوبوليس " وعاصمته " ليكوبوليس" أى مدينة الذئب وفى عهد العرب عرفت باسم " الأسيوطية " ، ولم تكن ضمن الولايات التى كانت يتكون منها القطر المصرى فى العهد العثمانى ، ، منذ ١٢٤١هـ ، جعلت أسيوط مأمورية قائمة بذاتها ، ثم قسمت لثلاثة أقسام ، محمد رمزى ، القسم الثانى جـ٤ ، ص ٧ .

مشتغلاً بتجهيز ميت ، ولا يسمع إلا نايحة أو باكية (١) وتعطلت المساجد من الأذان والامامة ، لموت أرباب الوظايف ، واشتغال من بقى منهم بالمشى أمام الجنايز والسبح والسهر ، وتعطل الزرع من الحصاد ، ونشف على وجه الأرض ، أبادته الرياح ، لعدم وجدان من يحصده ، وعلى التخمين أنه مات الثلثان من الناس [ص ٣١٠] هذا مع سعى العرب فى البلاد بالفساد والتخويف ، بسبب خلو البلاد من الناس والحكام ، وإلى أن قال " ولو شئت أن أشرح لك يا سيدى ما حصل من أمر الطاعون ، لملأت الصحف مع عدم الايفاء "، وتاريخه ثامن عشرين الحجة سنة ١٢١٥ (٢)

تراجم لوفيات سنة ١٢١٥هـ (٣)

وأما من مات (٤) فى السنة من الأعيان ، فالأمير مراد بيك محمد مات بسهاج (٥) ، قادماً إلى مصر باستدعا الفرنسيس ، ودفن بها ، وكان موته رابع شهر الحجة كما تقدم ، وهو من مماليك محمد بيك أبو الذهب ، ومحمد بيك مملوك

١- هكذا فى النسخة (أ) وفى عجائب الآثار ، أما فى النسخة (ب) " ولا تسمع إلا النواح والبكا " .

٢- يوم الثلاثاء ٢٨ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ١٢ مايو ١٨٠١م .

٣ – العنوان من وضع المحققين .

٤ – فى النسخة (ب) " وأما الذين ماتوا " .

٥ – سوهاج : وردت فى معجم البلدان سوهاى قرية بمصر من قرى أخميم ، وكذلك وردت باسم سوهاج فى قوانين ابن مماتى ، وفى تحفة الإرشاد وردت محرفة باسم سوماى ، وقد استمرت باسم سوهاى ، فى الروزنامة القديمة ، وتاريخ سنة ١٢١٣هـ ، ثم حرف إلى سوهاج فوردت به لأول مرة فى قائمة مساحة سنة ١٢٧٢هـ ، ولا يزال هذا اسمها للآن ، وهى الآن مقر محافظة سوهاج .

محمد رمزى : مرجع سابق ، القسم الثانى ، الجزء الرابع ، ص ١٢٨ .

على بيك وعلى بيك مملوك إبراهيم بيك كتخدا القازدغلى اشترى محمد بيك مراد بيك المذكور في سنة اثنين وثمانين ومائة وألف (١) وذلك اليوم الذى قتل فيه صالح بيك الكبير ، فأقام في الرق أياما قليلة ، ثم أعتقه وأمَّره وأنعم عليه بالإقطاعات الجليلة ، وقدمه على أقرانه ، وتزوج بالست فاطمة زوجة الأمير صالح بيك ، وسكن داره العظيمة بخطة قلعة الكبش ، ولما مات على بيك ، تزوج بسريته أيضاً ، وهى الست نفيسة ، الشهيرة الذكر بالخير ، ولما انفراد محمد بيك بإمارة مصر ، كان هو وإبراهيم بيك أكبر أمرايه، و المشار إليهما دون غيرهما ، فلما سافر محمد بيك إلى الديار الشامية ، ومحارباً للظاهر عمر ، أقام ضه في إمارة مصر إبراهيم بيك وأخذ صحبته مراد بيك وباقى أمرايه ، فلما مات محد بيك بعكا ، اجتمع رأى مماليكه [ص ٣١١] وأمرايه على رآسه مراد بيك ، وتقدمه عليهم ، وحملوا جثة سيدهم وحضروا بأجمعهم إلى مصر ، فاتفق رأى الجميع على إمارة من استخلفه سيدهم، وقدمه دون غيره و وهو إبراهيم بيك ، ورضى الجميع بتقدمه ورياسته ، لوفور عقله وسكون جاشه ، فاستقر بمشيخة مصر ورياستها ، ونايب نوابها ووزرايها و وعكف مراد بيك على لذاته وشهواته ، وقضى أكثر زمانه خارج المدينة ، مرة بقصره الذى أنشاه بالروضة ، وأخرى بجزيرة الذهب ، وأخرى بقصر قايمان (٢) جهة العادلية ، كل ذلك مع مشاركته لإبراهيم بيك في الأحكام ، والنقض والإبرام ، والإيراد والإصدار ، ومقاسمة الأموال والدواوين ، وتقليد مماليكه وأتباعه الولايات والمناصب ، وأخذ في بذل الأموال وإنفاقها على أمرايه وأتباعه ، فانضم إليه بعض أمرا على بيك ، وغيرهم ممن مات أسيادهم ، كعلى

١-١١٨٢هـ توافق ١٧٦٨ م .

٢- في النسخة (ب) "قصر قيماز".

بيك المعروف بالملط ، وسليمان بيك الشابورى ، وعبد الرحمن بيك عثمان ، فاكرمهم وواساهم ، ورخص لمالكيه فى هفواتهم ، وسامحهم فى زلاتهم ، وحظى عنده كل جرئ غشوم ، وعسوف دميم ظلوم ، فانقلبت أوضاعهم ، وتبدلت طباعهم وشرهت نفوسهم ، وعلت رؤوسهم، فتناظروا وتفاخروا ، وطمعوا فى أستاذهم ، وشمخت آنافهم عليه ، وأغاروا حتى على ما فى يديه ، واشتهر بالكرم والعطا ، فقصده الراغبون ، وامتدحه الشعرا والغاوون ، وأخذ الشئ من غير حقه [ص ٣١٢] وأعطاه لغير مستحقه كما قال القائل :

" شعر "

وإنها خطرات من وساوسه — يعطى ويمنع لا بخلاً ولا كرماً

ثم ضاق عليه المسلك ، ورأى أن رضى العالم غاية لا تدرك ، أخذ يتحجب عن الناس ، فعظم فيه الهاجس والوسواس ، وكان يغلب على طبعه الخوف والجبن ، والتهور والطيش ، والتورط فى الإقدام مع عدم الشجاعة ، ولم يعهد عليه أنه انتصر فى حرب باشره أبداً ، على ما فيه من الادعا والغرور والكبر والخيلاء والصلف والظلم والجور ، كما قال القائل

" شعر "

أسد علىّ وفى الحروب نعامة — فتخاء تنفر من صفير الصافر

ولما قدم حسن باشا إلى مصر ، وخرج المترجم مع خشدا شينه وعشيرته ، هاربين إلى الصعيد ، حتى انقضت أيام حسن باشا و إسماعيل بيك ، ومن كان معه ، ورجعوا ثانياً بعد أربع سنين وشئ من الشهور ، من غير عقد ولا عهد ولا حرب ، تعاظم فى نفسه جداً ، واختص بمساكن إسماعيل بيك ، وجعل إقامته بقصر الجيزه ، وزاد فى بنايه وتنميقه ، وبنى تحته رصيفاً محكماً ، وأنشا بداخله

بستاناً عظيماً ، ونقل إليه أصناف النخل والأشجار والكروم ، واستخلص إقليم الجيزة لنفسه ، شراءً ومعارضةً وغصباً ، وكذلك قصر جزيرة الذهب ، وجعل بها بستاناً عظيماً ، وكذلك قصر ترسا وبستان المجنون ، وصار يتنقل فى تلك القصور والبساتين ، ويركب للصيد فى غالب أوقاته ، واقتنى الماشية من الأبقار والجواميس الحلابة والأغنام [ص ٣١٣] المختلفة الأجناس ، فكان عنده بالجيزة من ذلك شئ كثير جداً وعمل له ترسخانة [1] عظيمة ، وطلب صناع آلات الحرب من المدافع والمهاريز والبنب والجلل والمكاحل ، اتخذ بها أيضاً معامل البارود ، وأخذ جميع الحدادين والسباكين والنجارين ، فجمع الحديد المجلوب والرصاص والفحم والحطب ، حتى شحت جميع هذه الأدوات ، لكونه كان يأخذ كل ما وجده منها ، وكذلك حطب القرطم والترمس والذره ، لحرق قمن الجير والجبس للعماره ، وأوقف الأعوان فى كل جهة ، يحجزون المراكب التى تأتى من البلاد بالأحطاب ، ويأخذونها ويجمعونها للطلب ، ويبيعون لأنفسهم ما أحبوا ويأخذون الجعالات على ما يسمحون به ، أو يطلقونه لأربابه بالوسايط والشفاعات ، وأحضر أناساً من الغليونجية ونصارى الأروام وصناع المراكب ، فأنشأوا له عدة مراكب حربية وغلايين ، وجعلوا بها مدافع وآلات حرب على هيئة مراكب الروم ، أصرف عليها أموالاً عظيمة ، ورتب بها عساكر وبحرية ، وأدار عليهم [2] الجماكى والأرزاق الكثيرة ،

---

١ – ترسخانة : ذات أصول عربية بمعنى دار الصناعة ثم دخلت هذه الكلمة اللغات الأوربية ، وكانت فى اللغة السلطانية " Daysena " ثم دخلت من الإيطالية إلى اللغة التركية فى صيغة " ترسانة " وحرفت على لسان العامة فى تركيا صارت " ترسخانة "
راجع د / حسين جيب المصرى ، ص ٥٤ .

٢ – فى النسخة (ب) " وادر عليهم " .

وجعل عليهم رئيساً كبيراً رجلاً نصرانياً ، وهو الذى يقال له " نقولا " ، بنى له داراً عظيمة بالجيزة ومصر ، وله عزوة من نصارى الأروام المرتبين عسكراً ، وكان نقولا المذكور يركب الخيل ، ويلبس الملابس الفاخرة ، ويمشى فى شوارع مصر راكباً ، وأمامه وخلفه قواسة ، يوسعون له الطريق ، على هيئة ركوب الأمرا ، كل ذلك خطرات من وساوسه [ص٣١٤] لا يدرى لأى شئ هذا الاهتمام ، ولأى حاجة إنفاق هذا المال فى الخشب والحديد ، وإعطائه لنصارى الأروام ، وترددت الناس ، فقائل يقول : إن ذلك خوف من خشداشينه ، وقائل يقول : مخافة من السلطنة ، كما تقدم فى قضية حسن باشا (١) ، والبعض يظن خلاف ذلك ، وليس غير الوهم والتخيل الفاسد ، والخوف من كل شئ (٢) ، وبقيت آلات الحرب جميعها والبارود بحواصله ، والجلل والبنبات حتى أخذ جميعه الفرنسيس ، فيقال أنه كان بحواصل الترسخانة من جنس الجلل إحدى عشر ألف جلة ، كذا نقل عن معلم الترسخانة ، أخذ جميع ذلك الفرنسيس يوم استيلائهم على الجيزة ، ومما اتفق أنه وقعت مشاجرة فى بعض الأيام ، بين بعض نصارى الأروام والفليونجية ، وبعض السوقة بمصر القديمة ، فتعصب النصارى على أهل البلد وحاربوهم ، وقتلوا منهم نيفاً وعشرين رجلاً ، وانتهت الشكوى إلى الأمير ، فطلب كبيرهم فعصى عليه ، وامتنع من مقابلته ، وعمر مدافع المراكب ووجهها جهة قصره ، فلم يسعه إلا التغافل ،

١- لمزيد من المعلومات عن هذه الفترة راجع

- دانيال كريسيلوس : جذور مصر الحديثة ، ترجمة د: عبد الوهاب بكر ، القاهرة .
- د: عبد الوهاب بكر : الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر دار المعارف القاهرة ١٩٨٢ .

٢ – فى جميع النسخ وفى عجائب الآثار وردت " الخوف شئ " ولكننا أضفنا " من كل شئ " حتى يستقيم المعنى .

وراحت على من راح ، واستوزر له رجلاً بربرياً ، وهو المسمى بإبراهيم كتخدا السنارى ، وجعله كتخداه (١) ومشيره ، وبلغ من العظمة ونفوذ الكلمة ، بإقليم مصر ، مالم يبلغه أعظم أمير بها ، وبنى له داراً عظيماً بالناصرية ، واقتنى المماليك الحسان ، والسرارى البيض والحبوش والخدم ، وتعلم اللغة التركية ، والأوضاع الشيطانية ، واختص [ص ٣١٥] ذلك البربرى برجل فراش من رعاع الناس ، وجعله كتخداه ، يأتمره بأمره ، ويتوسلون به أعاظم الناس ، فى قضا أشغالهم، ولما حسن لمراد بيك الإقامة بالجيزة ، واختار السكن بها ، وزين له شيطانه العزله عن خشداشينه وأقرانه ، ترك لإبراهيم بيك أمر الأحكام والدواوين ومقتضيات نواب السلطنه ، مع كونه لا ينفذ أمراً دون رأيه ومشورته ، واحتجب هو عن الاجتماع بالناس بالكلية ، حتى عن الأمرا الكبار من أقرانه وكان السفير (٢) بينه وبينهم إبراهيم كتخدا المذكور ، فكان هو عبارة عنه وربما نقض القضايا التى انبرم أمرها عند إبراهيم بيك أو غيره بنفسه ، أو عن لسان مخدومه ، وأقام المترجم على عزلته بالبر الغربى ، نحو ست سنوات متوالية ، لا يعدى إلى البر الشرقى أبداً ، فلا يحضر الديوان ، ولا يتردد إلى الأقران ، وإذا حضر الباشا المولى على مصر ، ووصل إلى بر انبابة، ركب وسلم عليه مع الأمرا ، ورجع إلى قصره ، فلا يراه بعد ذلك أبداً ، وتعاظم فى نفسه ، وتكبر على أقرانه وأبناء جنسه ، فتزاحمت على سدته الطلاب ، وتكالبت على جيفته الكلاب ، [فانزوى من

١ – كتخدا : مستمدة من (كدخدا) فى الفارسية وتطلق فى التركية على الوكيل والنائب ، وهى تطورت التركية إلى كلمة " كخية " وهذا الاسم عند العثمانين يطلق على عدة مهام ووظائف ، فكان كبار الدولة العثمانية ممن لهم المناصب العالية فى القصر والجيش لهم من ينوب عنهم فى أعمالهم ويعاونهم ويطلق عليهم "كتخدا" .
د/ حسين مجيب المصرى – مرجع سابق ص١٦٤ .

٢ – كلمة " السفير " غير موجودة فى النسخة (ب) فاثبتناها من بقية النسخ .

نبشهم ، وتوارى من نهشهم] (١) ، فإذا بلغه قدوم من يختشيه ، أو وصول من يرتجيه ، وكان يستحي من رده ، أو يخشى عاقبه صده ؛ ركب في الحال ، وصعد إلى الجبال وربما وصله الغريم على غفلة ، فيجده قد شمع الفتلة ، فإن صادفه واجتمع عليه ؛ أعطاه ما في يديه، وأوعده بالخير ، أو وهبه ملك [ص ٣١٦] الغير ، فما يشعر الميسور ، إلا ولقمته اختطفها النسور . ثم أخذ يعبث بدواوين الأعشار ، والمكوسات والبهار ، فيحول عليهم الحوالات ، ويتابع لمماليكه ختم الوصولات ، فتجاذب هو وإبراهيم بيك ذلك الايراد ، وتعارضت أوراقهما ، وضافا في المعتاد . ثم اصطلحا على أن تكون له الدواوين ، وما انضاف إلى قلم البهار ، وحسب في دفاتر التجار ، فانفرد كل منهما بوظيفته ، وفعل بها من الإجحاف ما سطر في صحيفته ، فأحدث المترجم ديواناً خاصاً بثغر رشيد ، على الغلال التي تحمل إلى بلاد الإفرنج ، وسموه "ديوان البدعة " ، وأذن ببيع الغلال لمن يحملها إلى بلاد (٢) الإفرنج وغيرها ، وجعل على كل أردب دينار ، خلاف البراني ، والتزم بذلك رجل سراج (٣) من أعوانه الموصوفين بالجور ، وسكن برشيد ، وبقيت له بها وجاهة

---

١ – العبارة التي بين القوسين غير موجودة في النسخة (أ) ، فأثبتناها من النسخ الأخرى

٢ – النسخة (ب) " ممن يبيعها إلى بلاد

٣ – السراجين : من كلمة" جراغ " الفارسية التي دخلت التركية بلفظها الفارسي ومعناها ، فهي في اللغتين بمعنى المصباح وقد عرب قديما أصل هذه الكلمة الفهلوى وهو سراغ Ciragh بالسين المهملة فصارت في العربية " سراج " ووردت في القرآن الكريم " وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا " الاحزاب ٤٦ ، تصرف الترك في الكلمة ، فاستعملوها بالإضافة إلى معانيها الفارسية اسماً للشخص يتفضل عليه بوظيفة أو راتب، وأطلقوها على الصبي يسلم لصانع ، ليأخذ عنه الصنعة ، ونطقوها نطقين "أجراغ" بالغين على الاصل الفارسي ، " وجراق " بالقاف ، وقد عرب هذان اللفظان حديثا : فأما جراق بالقاف وبالجيم المشربة فتحول إلى إشراق وأما جراغ فتحول إلى سراج ، والسراج خادم ولد حرا غير مملوك يحرس بدن سيده .

راجع د/ أحمد السعيد سليمان : مراجع سابق ، ص ١٢٥ .

وكلمة نافذة ، فجمع من ذلك أموالاً وإيراداً عظيماً ، وكانت هذه البدعة السيئة من أعظم أسباب قوة الفرنسيس ، وطمعهم فى الإقليم المصرى ، مع ما أضيف لذلك من أخذ أموالهم ، ونهب تجاراتهم وبضاعاتهم من غير ثمن ، واقتدى به أمراؤه ، وتناظروا فى ذلك وفعل كل ما وصلت إليه همته ، واستخرجته فطنته ، واختص بالسيد محمد كريم السكندرى ، ورفع شأنه بين أقرانه ، فمهد له الأمور بالثغر ، وأجرى أحكامه به وفتح له باب المصادرات والغرامات ، ودله على مجبات الأمور ، وأخذ أموال التجار [ص ٣١٧] من المسلمين وأجناس الافرنج ، حتى تجسمت العداوة بين المصريين والفرنسيس، وكان هو من أعظم الأسباب فى تملك الفرنسيس للثغر ، كما ذكر ذلك فى قتلته ، ومما سولت له به نفس المترجم ، بإرشاد بعض الفقها ، عمارة جامع عمرو بن العاص (١) ، وهو الجامع العتيق ، وذلك أن هذا الجامع لما خرب بخراب مدينة الفسطاط ، وبقيت البلد تلالاً وكيماناً وخصوصاً ما قرب من ذلك الجامع ، لم يزل فى اضمحلال حتى مال شقة وسقفه وأعمدته فعزم على تجديده وعمارته ، ليرفع به دينه الخلق ، كما قال شاعرهم من قصيدته :

ومسجد فى فضا ما عمارته ... فوق الصيانة إلا لَهْوٌ مختلق

كأن عمراً دعا يا عاص هم به ... ورُمَّه رقعة فى دينك الخلق

---

١ - جامع عمرو بن العاص : هو أول جامع أنشئ بديار مصر ، أنشأه عمرو بن العاص سنة ٢١هـ ٦٤٢م بعد فراغه من فتح الأسكندرية وعودته منه ، ويعرف بتاج الجوامع والجامع العتيق ، وكان وقتئذ مشرفاً على النيل ، وقد وقف على تحرير قبلته جمع من الصحابة رضى الله عنهم ، ومساحته وقت إنشائه ٥٠ ذراعاً فى ٣٠ ذراعا يحيط به الطريق من كل جهة ولا صحن له ، تسوده البساطة ، فليس له محراب مجوف ولا منارة ولا فرش ، وجدرانه عارية من البياض والزخرف ، لكن بعد ذلك زيد فى مساحته وعمارته ، حتى لم يعد هناك شئ من عمارته القديمة ، وعمارة مراد بك هذه هى آخر عمارة له فى العصر العثمانى . راجع حسن عبد الوهاب : مرجع سابق ، ص٢٤ وما بعدها

فاهتم لذلك ، وقيد به نديمه قاسم المعروف بالمصلى ، وأصرف عليه أموالاً عظيمة ، أخذها من غير حلها ، ووضعها فى غير محلها ، فاقام أركانه وشيد بنيانه ، ونصب أعمدته ، وكمل زخرفته ، وبنى به منارتين وجدد جميع سقفه بالخشب النقى ، وبيضه جميعه ، فتم على أحسن ما يكون ، وفرشه بالحصر الفيومى ، وعلق به القناديل . وحصلت به الجمعية آخر جمعه برمضان سنة اثنى عشر (١) ، فحضر الأمرا والأعيان ، وكان يوماً مشهوداً ، فلما حضرت الفرنسيس فى العام القابل بعد تاريخه ، جرى عليه ما جرى على غيره ، من الهدم والتخريب ، حتى أصبح بلقعاً أشوه مما كان

يبنى جامعاً لله من غير حِلّهِ ... فجاء بحمد الله غير موفق

[ص٣١٨] كمطعمة الأيتام من كد فَرْجها ... فياليت لاتزنى ولا تتصدق

وبالجملة فمناقب المترجم لا تحصى ، وأوصافه لا تستقصى ، وهو كان من أعظم أسباب(٢) خراب الإقليم المصرى ، فلعل الهم يزول بزواله . وكان صفته أشقر كث اللحية ، قصير القامة ، غليظ الجسم والصوت ، بوجهه أثر ضربة سيف، ظالماً غشوماً متهوراً ، مختالاً معجباً متكبراً ، ولم يخلف ولداً ولا بنتاً (٣) ، وصناجقه الذين هلك عنهم ، محمد بيك المعروف بالألفى ، وعثمان بيك المعروف بالبرديسى ، ومحمد بيك المنفوخ ، وسليم بيك أبو دياب مملوك مصطفى بيك الاسكندرانى (٤)

---

١ - يوم الجمعة ٢٧ رمضان ١٢١٢هـ الموافق ١٦ فبراير ١٧٩٨ م .

٢ - كلمة "أسباب" غير موجودة فى النسخة (أ) فاثبتناها من بقية النسخ .

٣ - فى النسخة (ب) " ولم يخلف ولا بنتا "

٤ - لمزيد من المعلومات عن سيرة مراد بك .

راجع إسماعيل الخشاب : غاية ما يراد من سيرة الأمير مراد ، تحقيق د: دانيال كريسيلوس : د : حمزة بدر ، العربى للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٥ م .

ومات الأمير حسن بيك الجداوى ، مملوك على بيك ، وهو من خشداشين محمد بيك أبو الذهب ، مات بغزة بالطاعون ، وكان من الشجعان الموصوفين ، والابطال المعروفين ، ولما انفرد على بيك بمملكة مصر ، ولاه إمارة جدة ، فلذلك لقب بالجداوى ، وذلك سنة أربع وثمانين ومساية وألف (١) ، وابتلى فيها بأمور ظهرت بها شجاعته ، وعرفت فروسيته ، ولما حصلت الوحشة بين إسماعيل بيك والمحمديين ، كان ممن نافق معه وعضده ، هو وخشداشينه رضوان بيك وعبد الرحمن بيك ، وكانت لهم الغلبة ، ونما أمره عند ذلك ، وظهرت شانه بعد أن كان خمل ذكره ، وهو الذى تجاسر على قتل يوسف بيك فى بيته ، بين مماليكه وعزوته ، ثم خامر على إسماعيل بيك ، وانقلب مع المحمديين عندما خرج لمحاربتهم بالصعيد، فخادعوه وراسلوه ، وانضم إليهم بمن معه ، ورجعوا إلى مصر ، وفرّ [ص ٣١٩] إسماعيل بيك بمن معه إلى الشام ، واستقر هو وخشداشينه (٢) فى مملكه مصر ، مشاركين لهم ، متوقعين بهم الفرصة، مع التهور الموجب لتحذر الآخرين منهم ، إلى أن استعجلوا إشعال نار الحرب. فجرى ما جرى بينهم من الحروب والمحاصرة بالمدينة ، وانجلت عن خذلانهم وهزيمتهم ، وظهور المحمديين عليهم ، وقتل بها عدة من أعيانهم ومواليهم ومن انضم إليهم ، وربما عوقب من لا جنى كما سطر ذلك فى محله ، وفرّ المترجم مع بعض مَن بقى من عشيرته إلى القليوبية ، فقبض عليه وأتى به إلى مصر ، ففرّ إلى بولاق بمفرده ، والتجأ إلى بيت الشيخ الدمنهورى ، فأحاطوا به ، فنطّ من سطح الدار ، وخلص إلى الزقاق وسيفه مشهور فى يده ، فصادف جندياً فقتله وأخذ فرسه فركبه وفر ، والعساكر خلفه

١ – سنة ١١٨٤هـ توافق سنة ١٧٧٠م .

٢ – كتبت فى النسخة (ب) " ختاسينه " وهى خطأ من الناسخ .

تريد أخذه ، وتتلاحق به من كل جهة ، وهو يراوغهم ويقاتلهم ، حتى خلص إلى بيت إبراهيم بيك فأمنه ، واتفقوا على إرساله إلى جده، فلما أقلع به فى القلزم، أمر رئيس المركب أن يذهب به إلى القصير [وخوفه القتل إن لم يفعل ، فذهب به إلى القصير] (١) ، فتوجه منها إلى إسنا (٢) ، وعلمت به عشيرته وخشداشينه ومماليكه ، فتلاحقوا به ، واستقر أمرهم بها بعد وقايع يطول شرحها ، فأقام نيفاً وعشر سنين ، حتى رجع إليهم إسماعيل بيك بعد غيبته الطويلة وانضم إليهم ، واصطلح معهم ، إلى أن كان ما كان ، من وصول حسن باشا إلى الديار المصرية، وإخراجه للمحمديين ، وإدخاله [ص ٣٢٠] للمذكور مع إسماعيل بيك ورضوان بيك وأتباعهم ، وتأميرهم بمصر ، واستقرارهم بها بعد رجوع حسن باشا إلى بلاده ، ووقوع الطاعون الذى مات به إسماعيل بيك ورضوان بيك وغيرهم من الأمرا ، فاستقل بمن بقى من الأمرا ، وفعل معهم من التهور والحمق والشره ، ما أوجب لهم بغض النعيم والحياة معه ، وخامر عليه من كان يأمن إليه ، فلم يسعه ومن معه إلا الفرار ، ورضى ذاك لنفسه بالذل والعار ، ودخلت المحمديون إلى مصر المحمية ، واستقر هو كما كان بالجهة القبلية ، فأقام على ذلك سبع سنين وبعض أشهر ، إلى أن وقعت حادثه الفرنسيس واستولوا على الإقليم المصرى ، وحضرت العساكر بصحبة حضرة (٣) الصدر الأعظم ، ووقع ما وقع من الصلح ونقضه ، وانحصر

---

١ – مابين القوسين مفقود من النسخة (أ) وأثبتناه من بقية النسخ .

٢ – إسنا : قاعدة مركز ، وهى من المدن القدية ذكرها جوتيه فى قاموسه ، وقال أميلينو فى جغرافيته أنها وردت فى كشف الأسقفيات ، وهى مدينة فى أقصى صعيد مصر على شاطئ النيل من الجانب الغربى وهى مدينة عامرة كثيرة النخيل والبساتين والتجارة .
ولما أنشئ قسم أسنا فى سنة ١٨٢٦م جعلت أسنا قاعدة له وسمى مركز إسنا فى سنة ١٨٩٠م : محمد رمزى : القسم الثانى فـ٢ ، ص١٥١ .

٣ – كلمة " حضرة " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

المشار إليه مع من انحصر بالمدينة من المصرلية والعثمانية ، فقاتل وجاهد ، وأبلى بلاءً حسناً ، شهد له بالشجاعة والإقدام ، كل من العثمانية والفرنساوية والمصرلية، فلما انفصل الأمر ، وخرجوا إلى الجهة الشامية ، فلم يزل محرصاً ومرابطاً ومجتهداً ، حتى مات بالطاعون في هذه السنة ، وفاز بالشهادتين ، وقدم على كريم يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم

ومات الأمير عثمان بيك المعروف بطبل ، وهو من مماليك إسماعيل بيك ، أمَّره في سنة اثنين وتسعين (١) ، ثم خرج مع سيده وتغرب معه في غيبته الطويلة، فلما رجع إلى مصر في أيام حسن باشا ، وتولى إمارة الحاج (٢) ، [ص ٣٢١] في سنة خمس ومائتين وألف (٣) ، وكان سيده يقدمه على أقرانه ، ويظن به

---

١ – سنة ١١٩٢هـ توافق سنة ١٧٧٧– ١٧٧٨م .

٢ – إمارة الحاج : كان لقافلة الحج المصرى مكانة كبيرة ، وهى نابعة من مكانة مصر وعلاقتها بالحجاز ، ومنذ بداية العصر العثمانى كان لإمارة الحاج أهميتها الكبيرة ، فأسندت في العامين الأولين لاثنين من أرباب الوظائف الدينية " المتعممين " ثم استحوذ عليه البكوات لمماليك في العام التالى بإسنادها لأتباعهم من الكشاف وإن شاركهم شيوخ العربان الأقوياء في تولى هذا المنصب مثل شيوخ بنى عونه البحيرة ، ولكن خطورة وأهمية منصب أمير الحاج جعلت الدولة العثمانية تعهد بهذا المنصب في النهاية إلى البكوات المماليك القادرين على القيام بما يتطلبه المنصب من قدرة ومهارة ، لمزيد من التفاصيل راجع : الشيخ أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج تحقيق د/ ليلى عبد اللطيف ، الخانجى ١٩٨٠، ص ٨٣ .

٣ – في النسخة (أ) " سنة خمسين ومائتين وألف " وهو خطأ من النسخ لأنه سنة ١٢٥٠هـ توافق عام ١٨٣٤م وهو تاريخ لاحق لوفاة عثمان بيك ، والصواب ما أثبتناه في المتن من النسخة (ب) وواضح أن محققى طبعة وزارة التربية والتعليم لم يقارنوا هذا التاريخ مع النسخة (ب) لذلك كتبوها بالمتن سنة ١٢٥٠هـ وصححوها بالهامش على أنها سنة ١١٥٠هـ على اعتبار أن سنة ١٢٥٠هـ في عصر محمد على ولكن سنة ١١٥٠هـ لم يكن عثمان بك قد ولد بعد ، أما سنة ١٢٠٥هـ فهى الصواب وتوافق سنة ١٧٩٠–١٧٩١م .

النجاح، ولما طُعن (١) وعلم أنه مفارق الدنيا ، أحضره وأوصاه وحذره من أعدايه ، وقال له :" إنى حصنت لك مصراً وسورتها، وصيرتها بحيث تملكها بنت عمياء" (٢) ، فلما مات سيده تشوف للآمارة حسن بيك الجداوى ، و على بيك كتخدا الجاويشية ، فلم يرضى كل منهما با لآخر . وتخوفا من بعضهما ، فاتفق رأيهما على تأمير عثمان بيك المذكور ، كبيراً عوضاً عن سيده ، وسكن داره ، وعقدوا الدواوين عنده ، فنزل عن إمارة الحاج لحسن بيك تابع حسن بيك قصبة رضوان ، واستقل هو بأمور الدولة ومشيخة مصر ، فلم يفلح ، وخامر مع أخصامه وأخصام سيده ، والتف عليهم سراً وصدق تمويهاتهم ، وخذل نفسه ودولته ، وذلك غيظاً من حسن بيك الجداوى ، لما رأى من تحقيره إياه ، والنظر له بعين العداوة والغدر ، وكل من حسن بيك الجداوى ، وعلى بيك كتخدا الجاويشية ، يتخوف نفاق صاحبه ، لتكرر ذلك منهما فى الوقايع السابقة ، وانحراف طبع كل عن صداقة الآخر ، ولم يخطر ببالهما ولا ببال أحد من المجانين - ، فضلا عن العقلا - ركون المشار إليه إلى أعدايه وأعدا سيده العداوة الموروثة ، فكانا كلما شرعا فى شئ من مكايد الحرب ثبطهما واقعدهما ، وهما يظنان نصحه ، ويعتقدان خلوصه ومعرفته ، ولكونه تعلم سياسة الحروب من سيده ، لكثرة تجاربه وسياحته ، ولم يعلما أنه يمهد لنفسه [ص ٣٢٢] طريقاً مع الأعداء ، إلى أن كان ما كان من مساعدته لهم بالتغافل والتقاعد ، حتى تحولوا إلى الجهة الشرقية ، وخلص إليهم بمن انضم إليه من عشيرته ، فلم يَسَع الباقون إلا الهرب ، وأسلم هو نفسه لأعدايه ، فأظهروا له المحبة ، وولوه إمارة الحاج حكم عهدهم له بذلك ، وأن تكون له مادام

---

١ - أى أصيب بالطاعون .

٢ - فى النسخة (أ) كتبت " بحيث تملكها بنت أعمى " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

حياً ، فخرج فى تلك السنة ، أعنى سنة ست وماتين ، وكذلك سنة سبع (١) ، ونهب الحج فى تلك السنة ، وفرّ هو إلى غزة ، فصودرت زوجاته ، واقتسمت إقاعطه ، ورجع بعد حين إلى مصر ، وأهمل أمره واستمر كآحاد الطايفة من الأجناد ، ويغدو ويروح إليهم ، ويرجو رفدهم ، إلى أن حدثت حادثة الفرنسيس ، فخرج مع من خرج إلى الشام ، ولم يزل هناك حتى مات فى السنة المذكورة ، وكان دايماً يقول عند تذكره الدولة والنعيم : " ذلك تقدير العزيز العليم "(٢)

ومات الأمير عثمان بيك المعروف بالشرقاوى ، وهو من مماليك محمد بيك أبو الذهب أيضاً الكبار ، وتأمّر فى أيامه ، وعرف بالشرقاوى لكونه تولى الشرقية ، ووقع منه ظلم وجبروت ، بعد أستاذه (٣) ، وصادر كثيراً من الناس فى أموالهم ، ثم انكف عن ذلك وزعم أن ذلك كان بإغرا مقدمه ، فشهره وقتله ، ولم يزل فى امارته حتى مات الشام بالطاعون .

ومات الأمير أيوب بيك الكبير ، وهو أيضا من مماليك محمد بيك ، وكان من خيارهم ، يغلب عليه حب الخير والسكون ، ويدفع الحق لأربابه ، وتأمّر على الحج ، وشكرت سيرته .

ومات الأمير مصطفى [ص ٣٢٣] بيك الكبير ، وهو أيضا من مماليك محمد بيك ، تولى الصعيد ، وإمارة الحج عدة مرار ، وكان فظاً غليظاً متمولاً بخيلاً شحيحاً ، وفى إمارته على الحاج ترك زيارة المدينة لخوفه من العرب ، وشحّه بعوا-
-يدهم ، وقلة اعتناه بشعار الدين ، فانتقد ذلك على المصريين من الدولة وغيرها ، وكان ذلك من أعظم ما اجترموه من القبايح .

---

١ - ١٢٠٦هـ توافق ١٧٩١ -١٧٩٢ وسنه ١٢٠٧هـ توافق ١٧٩٢ -١٧٩٣م .
٢ - سورة الأنعام الآية ٩٦ .
٣ - فى النسخة (ب) " مع أستاذه " ولكن ما أثبتناه هو الصواب .

ومات الأمير سليمان بيك المعروف [بالأغا ، توفى بأسيوط بالطاعون ، وهو أيضاً من مماليك محمد بيك ، وهو أخو إبراهيم بيك المعروف] [١] بالوالى ، صهر إبراهيم بيك الكبير ، الذى مات فى واقعة الفرنسيس الأولى فى انبابة ، مدبراً فاراً، وسقط فى البحر وغرق ، وكان هو وأخوه قبل تقلدهما الصنجقية أحدهما والى الشرطة ، والآخر أغاة مستحفظان ، فلم يزالا يلقبان بذلك حتى ماتا . وكان المترجم محباً لجمع المال ، وله إقطاع واسعة ، وخصوصاً بجهة قبلى ، وفى آخر أمره أستوطن أسيوط ، لأنها كانت فى إقطاعه ، وبنى بها قصراً عظيماً ، وأنشا بعض بساتين وسواقى ، واقتنى أبقاراً وأغناماً كثيرة . ومما اتفق أنه جزَّ صوف الأغنام، وكانت أكثر من عشرة آلاف [ثم وزعه على الفلاحين ، وسخرهم فى غزله] [٢] ، ثم وزعه على القزازين فنسجوه ، ثم جمع التجار وباعه عليهم بزيادة عن السعر الحاضر ، فبلغ ذلك مبلغاً عظيماً .

ومات الأمير قايد [٣] أغا ، وهو من مماليك محمد بيك أيضاً ، وكان يلقب أيام كشوفيته "بقايد نار " لظلمه وتجبره ، وولى أغاة مستحفظان فى سنة ثمان وتسعين وماية وألف [٤] ، فأخاف العامة ، وكان يتنكر ويتزيا بأشكال مختلفة ، ويتجسس على الناس ، وذلك أيام خروج إبراهيم بيك إلى قبلى ، ووحشته من مراد بيك ، وانفراد مراد بيك [ص ٣٢٤] بإمارة مصر ، فلما تصالحا ورجع إبراهيم بيك ، رد الأغاوية لعلى أغا ، فحنق المترجم لذلك ، وقلق قلقاً عظيماً، وترامى على الأمرا

---

١ – ما بين القوسين مفقود من النسخة (أ) فاثبتناه من بقية النسخ .
٢ – مابين القوسين مفقود أيضاً من النسخة (أ) .
٣ – فى النسخة (ب) " عابد " .
٤ – سنة ١١٩٨هـ توافق سنة ١٧٨٣–١٧٨٤م .

وصـار يقـول : إن لم يردوا إلى منصبى قـتلت على أغـا ، و قـتلت نفـسـى ، فلمـا حصل منه ذلك عزلوا على أغا ، وقلدوا سليم أغا أمين البحرين أغاوية مستحفظان ، ولم يبلغ غـرضــه ، ولم ترضـى نفـسـه بالخـمـول ، وأكـثـر من الأعـوان والأتبـاع ، فـيحضـرون بين يديه الشكاوى والدعاوى ، ويضـرب الناس ويحـبسـهم ويصـادرهـم فى أموالهم ، ويركب وبين يديه العدة الوافرة من القواسة والخدم ، يحملون الحراب والقرابين والبنادق ، وخلفه الكثير من الأجناد والمماليك ، واتخذ له جلسا وندما (١) يبـاسطونه ويضـاحكونه ، ولم يزل كذلك حتى خرج مع عشـيرته إلى الصـعيد عند حضور حسن باشا ، فاستولى على كثير من حصص الإقطاع ، فلما رجعوا فى أواخر سنة خمس (٢) ، سكن دار جـوهر أغا دار السـعـادة سـابقـاً بالخـرنفش ، وتزوج سريته قهراً ، واستكثر من المماليك والجند ، وتاقت نفسه للإمارة ، وتشوف إلى الصنجـقـيـة ، وسـخـط على زمـانه والأمـرا الذين لم يلبـوا دعـوته ، ولم يبلغـوه أمنيته، وصـار لا يخاطبه جالساؤه إلا بقولهم يابيك ، ويكره من يخاطبه بدون ذلك ، وكـان له من الأولاد الذكـور اثنى عـشـر ولداً لصـلبـه يركـبـون الخـيـول ، مـاتوا فى حياته (٣) وكان له أخ من أقبح خلق الله فى الظلم ، اتخذ له أعواناً وأتباعاً ، وليس عنده مـا يكفـيـهم ، وكـان يـخطف كلمـا مـر بخطتـه بيـاب الشـعـرية ، مـن قـمح [ص ٣٢٥] وتبن وشـعـيـر وغـيـر ذلك ، ولا يدفع له ثمـناً و هلك قـبله بنحـو ست سـنين ،

---

١ – فى النسخة (أ) " وندا من " ولكن الصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٢ – أى فى أواخر عام ١٢٠٥هـ الذى يوافق النصف الثانى من عام ١٧٩١م .

٣ – من غرائب أحوال المماليك فى مصر أن أولادهم كانوا يموتون فى سن مبكرة ولم نسمع طوال العصر العثمانى عن مملوك ورثه أولاده ، وقد ناقش الدكتور كلوت بك هذه القضية وأرجعها إلى عدم ملائمة جو مصر إلى هؤلاء الصبية وإلى أسباب أخرى لمزيد من التفاصيل راجع : كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر ، مطبعة أبى الهول ، د.ت ، جـ١ .

وأتوا بجيفته إلى مصر مقر فصاً ، ودفن بمدفن أخيه بتربه المجاورين ، ومن جملة أفاعيله القبيحة ؛ أنه كان يجرد سيفه ويضرب رقاب الحمير ، ويزعم أنه يقطعها فى ضربة واحدة ، ولم يزل أخوه المترجم على حالته حتى خرج من مصر عند مجى الفرنسيس وعاد بصحبة العرضى ، ومات مع من مات من الأمرا بالشام ، فقلده حضرة الصدر الأعظم الصنجقية فيمن تقلد ، وأدرك أمنيته ، فأقام قليلاً وهلك فيمن هلك ، فكان كما قال القايل :

فكان كالمتمنى أن يرى فلقاً　　　من الصباح فلما أن رآه عمى

ومات أيضاً حسن كاشف المعروف بجركس ، وهو أيضاً من مماليك محمد بيك ، وإشراق (١) ، عثمان بيك الشرقاوى ، وكان من الفراعنة ، وهو الذى عمّر الدار العظيمة بالناصرية، ، وصرف عليها أموالاً عظيمة ، فما هو إلا أن تم بناها ، ولم يكمل بياضها حتى وصلت الفرنسيس ، فسكنها الفلكيون والمدبرون وأهل الحكمة والمهندسون ، فلذلك صينت (٢) من الخراب ، كما وقع بغيرها من الدور ، لكون عسكرهم لم يسكنوا بها ، وتقلد المذكور الصنجقية بالشام ، ثم هلك بالطاعون

ومات الأمير حسن كتخدا المعروف بالجربان ، بالشام أيضاً

ومات الأمير قاسم بيك المعروف بالموسقوا ، وهو من مماليك إبراهيم بيك ، وكان لين الجانب، قليل الأذى (٣) ، إلا أنه كان شحيحاً ، لايدفع حقاً توجه عليه ،

١ – إشراق : من التركية " جراغ " أو " جراق " بالجيم المشرية فيهما : الصبى يسلم للصانع ليأخذ عنه الصنعة، والاشراق الخادم المملوك وهى عكس السراج . راجع ما ذكرناه عنه سابقا عند حديثنا عن السراجين ، فى ترجمة مراد بك .

٢ – فى النسجة (ب) " سلمت " .

٣ – فى النسخة (ب) " كثير الأذى " ولكنى الجبرتى فى عجائب الآثار يؤكد أنه كان قليل الأذى كما أن سياق الكلام هنا يؤكد ذلك .

ولما مات خشداشه حسن بيك الطحطاوى ، تزوج بزوجته ، وشرع فى بنا السبيل المجاور [ص ٣٢٦] لبيته بحارة قيسون ، فما هو إلا أن قرب إتمامه ، إلا وقدمت الفرنسيس لمصر ، فخربوه وشعثوا بنيانه ، وهدموا حيطانه ، وبقى على حالته ، كمثل ما فعلوه بدور تلك الخطة وغيرها .

ومات على أغا كتخدا جاوجان (١) ، وهو من مماليك الدمياطى ، ونسب إلى محمد بيك ، وأحبه إبراهيم بيك ورقاه ، واختص به وولاه أغاة مستحفظان فى سنة اثنين وتسعين وماية وألف (٢) ، فلم يزل إلى سنة ثمان وتسعين (٣) ، فخرج مع إبراهيم بيك إلى المنية ، عندما تغاضب مع مراد بيك ، فلما تصالحا قلدوه كما كان، فحنق قايد أغا ، وكان ما كان من عزله وولاية سليم أغا كما سبق الإلماع بذلك عند ذكر قايد أغا . ثم قلد كتخدا الجاويشية فى سنة ست وماتين وألف (٤) ، ولم يزل متقلداً ذلك حتى خرج مع من خرج فى حادثة الفرنسيس، وكان ذا مال وثروة ، مع مزيد شح وبخل ، واشترى دار عبد الرحمن كتخدا القازدغلى العظيمة ، التى بحارة عابدين ، وسكنها وليس له من المآثر إلا السبيل والكتاب الذى(٥) ،

---

١ – يقصد فرقة جاويشان : كان هذا الأوجاق مختص بخدمة الباشا والديوان العالى ، لذا عرفوا فى الوثائق بلقب " جاوشان ديوان مصر " ، وبدأ تكوين هذا الأوجاق بعد إعلان قانون نامة مصر ١٥٢٤م من المماليك الذين كانوا فى الخدمة الشخصية للباشا المتخلفين عن الجيش المملوكى والذين أثبتوا إخلاصهم للسلطان العثمانى وكان عددهم عند تكوينها لا يزيد عن ثمانين رجلاً ، وكان للباشا الحق فى ملء المناصب الخالية فى الجاوشان برجال من الفرق الأخرى فيها عدا فرقتى الانكشارية والعزبان .د: عراقى يوسف : مرجع سابق .

٢– سنة ١١٩٢هـ توافق ١٧٧٧ – ١٧٧٨م .

٣ – سنة ١١٩٨هـ توافق ١٧٨٣ – ١٧٨٤م .

٤ – سنة ١٢٠٦هـ توافق سنة ١٧٩١ – ١٧٩٢م .

٥ – فى النسخة (أ) " التى " ولكن الصواب ما أثبتناه هنا من بقية النسخ .

أنشأه بجوار داره الأخرى بدرب الحجر ، وهو من أحسن المبانى ، وقد حماه الله من تخريب الفرنسيس ، وهو باق إلى يومنا هذا ببهجته ورونقه .

ومات الأمير يحيى كاشف الكبير ، وهو من مماليك إبراهيم بيك الأقدمين ، وكان لطيف الطباع ، حسن الأوضاع ، وفيه ذوق وتودد عطاردى (١) [ص ٣٢٧] يحب الرسومات والنفوس والتصاوير والأشكال ، ودقايق الصناعات ، والكتب المشتملة على ذلك ، مثل كليلة ودمنة ، والنوادر والأمثال ، واهتم فى بنا السبيل المجاور لداره بخطة عابدين ، فرسم شكله قبل الشروع فيه فى قرطاس بمعونة الأسطى حسن الخياط ، ثم سافر إلى الأسكندرية ، وأحضر ما يحتاجه من الرخام والأعمدة المرمر الكبيرة والصغيرة ، وأنواع الأخشاب ، وحفر أساسه وأحكم وضعه ، واستدعى الصناع والمرخمين فتأنقوا فى صناعته ، ونقش رخامه على الرسم الذى رسمه لهم ، كل ذلك بالحفر بالآلات فى الرخام ، وموهوه بالذهب ، فما هو إلا أن ارتفع بنياته ، وتشيدت أركانه ، وظهر للعيان حسن قالبه ، وكاد يتم ما قصده من حسن مأربه؛ حتى وقعت حادثة الفرنسيس ، فخرج مع من خرج قبل إتمامه ، وبقى على حالته إلى الآن ، ولما خرج سكن داره برطلمين ، واستخرج مخبأة بين داره والسبيل فيها ذخايره ومتاعه ، فأوصلها للفرنسيس .

ومات الأمير رشوان كاشف ، وهو من مماليك مراد بيك ، وكان له إقطاع بالفيوم ، فكان معظم إقامته بها ، فاحتكر الورد ، وما يستخرج من مائه ، والخل المتخذ من العنب ، والخيش ، وأتجر فى هذه البضايع بمراده واختياره ، وتحكم فى الإقليم تحكم الملاك (٢) فى أملاكهم وعبيدهم ، وذلك قوة واقتداراً .

---

١ – يهتم المؤلف بقرانات الكواكب والأبراج . ويذكر الفلكيون أن كوكب عطارد له تأثير طيب على مزاج بعض الناس الوديدين .

٢ – فى النسخة (ب) " الملوك " ولكن الصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

ومات الأمير سليم كاشف بأسيوط مطعوناً (١) ، وهو من مماليك [ص ٣٢٨] عثمان بيك الجرجاوى ، من البيوت القديمة ، وخشداش عبد الرحيم بيك عثمان ، المتوفى سنة خمس ومايتين وألف (٢) بالطاعون الذى مات به إسماعيل بيك وخلافه ، وتزوج ابنته بعد موته ، وكان ملتزماً بحصة من أسيوط ، وشرق الناصرى ، واستوطن بأسيوط ، وبنى بها دارا عظيمة ، وعدة دور صغار ، وأنشأ عدة بساتين ، وغرس بها وبشرق الناصرى أشجاراً كثيرة ، وعمر عدة قناطر ، وحفر ترعا ، وصنع جسوراً ، وأسبلة فى مفاوز الطرق ، وأنشأ داراً بمصر بالمناخلية ، بسوق الملطيين ، واشترى داراً جليلة كانت لسليمان بيك المعروف بأبو نبوت بحارة عابدين ، وعمَّرها وزخرفها ، وأنشأ بأسيوط جامعاً عظيماً ومكتباً ، فما هو إلا أن أكمل بنيانه حتى قدمت الفرنسيس ، فاتخذوه سجناً يسجنون به ، ثم لما قابل المذكور الفرنسيس وأمنوه ، أخذ فى إصلاح ما تشعث من البنا ، وتتميم العمارة ، ولم يساعده الوقت إذ ذاك ، لقلة الخشب وآلات البنا ، فاشتغل بذلك على قدر طاقته ، فلما فرغ البنا وقارب التمام ، ولم يبق إلا اليسير وقع الطاعون بأسيوط ، فمات والمسجد باق على ما هو عليه الآن ، وهو من المبانى العظيمة المزخرفة على هيئة مساجد مصر . وكان المذكور ذا بأس وشدة وإقدام وشجاعة وتهور ، مشابه لحسن [ص ٣٢٩] بيك الجداوى فى هذه الخصال ، ويده مبسوطة ، وطعامه مبذول ، وداره بأسيوط مقصد للوارد والصادر من الأمرا

١- أى مات بالطاعون .

٢ - سنة ١٢٠٥هـ توافق ١٧٩٠ - ١٧٩١ .

وغيرهم ، وله إغداقات وصدقات ، وأنوا ع من البر ، ومحبة فى العمارة ، وغراس الأشجار ، واقتناء الأنعام ، وله صوله وظلم وتجارى على سفك الدما ، فبذلك خافته عرب الناحية ، وأهل القرى ، وقاتل العرب مراراً ، وقتل منهم الكثير ، وبسكناه بأسيوط كثرت عمارتها من الناس لحمايتها ، وعدم صولة أحد على أهلها ، وله مهاداة مع الأمرا المصرية ، وأرباب الحل والعقد بها ، والمتكلمين عندهم ، فيرسل الغلال والعبيد والجوار السود و الطواشية (1) وغير ذلك ، وله عدة مماليك بيض

١- الطواشية : هم الخصيان ، والخصاء عادة شرقية كانت شائعة قديماً بين الآشوريين والبابليين والمصريين القدماء ، وأخذها عنهم اليونانيون ثم الرومان فالإفرنج ، ومع أن الشريعة الإسلامية تحرم الخصى " الجب" إلا أن المسلمين قد عكفوا على اقتناء الخصيان حتى أصبحت هذه العادة الوحشية ملازمة لنظام التسرى ملازمة لا مفر منها حيث يستخدم الخصيان لخدمة وحراسة حريم الذوت والأعيان . وفى الدولة العثمانية لا يفوز بامتياز الحصول على الخصيان واقتنائهم غير العظماء ، أما فى مصر فإنهم أكثر انتشاراً لسهولة الحصول عليهم ، حيث كانت عملية الخصاء تتم فى قرية " دير الجنادلة القريبة من أسيوط على يد جماعة من أقباط القرية " ، ويتميز الطواشى بعلامات مميزه فهو أمرد سليب اللحية والشاربين بجسمه ميل للسمنة وفى صوته خنونة ، وفيما عدا ذلك فإنه تبدو عليه علامات التجبر، وتشاهد فيه نزعة للأذى ، سريع الخوف والغضب نتيجة لما يشعر به من انحطاط شأنه نتيجة لزوال صفة الرجوله عنه ، لذلك يميل دائماً إلى التقوى والصلاح والقيام بفروض الدين وفى مصر العثمانية كان العمل الأو ل للخصيان هو حراسة وخدمة الحريم حيث لا يجوز لغيرهم الدخول للحريم . وكان الخصيان الأحباش هم الأعلى سعراً والأندر وجو داً ، وقد بلغت مكانة الخصيان درجة عظمى فى مصر فى القرن التاسع عشر حتى فاق بعضهم الوزراء وكبار رجال الدولة ، ومنهم مثلاً الماس أغا كبير أغوات والدة عباس باشاً و خليل أغا كبير أغوات والدة الخديو إسماعيل .

راجع عماد أحمد هلال شمس الدين : مرجع سابق ، ص٢٤١ ومابعدها .

وسود ، أعتق كثيراً منهم ، من جملتهم عزيزنا الأمير أحمد كاشف المعروف بالشعراوى ، رقيق حواشى الطبع ، مهذب الأخلاق ، ذا فروسية فى ركوب الخيل ، ومحبة فى العلما واللطفا وهو من جملة محاسن سيده .

ومات الأمير باكير بيك أيضاً ، والأمير محمد بيك كشكش ، كلاهما بالشام ومات غير هؤلاء كلهم (١) بالشام ، ولا يحضرنى أسماؤهم .

---

١ – كلمة " كلهم " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

يوميات سنة ١٢١٦هـ

شهر المحرم (١)

واستهلت سنة ستة عشر ومايتين وألف بيوم الخميس (٢) وباستهلالها خف الطاعون

وفى ليلة الجمعة تلك ، أرسل عبد العال وأحضر الشيخ محمد الأمير ليلاً إلى منزله ، فبيته عنده . ولما أصبح النهار ، طلع به إلى القلعة ، وحبسه عند المشايخ بجامع سيدى [ص٣٣٠] سارية ، والسبب فى ذلك أن ولد الشيخ المذكور ، كان من جملة من يستحث الناس على قتال الفرنسيس فى الواقعة السابقة بمصر ، فلما انقضت هرب إلى جهة بحرى ، ثم حضر بعد مدة إلى مصر ، فأقام بها أياماً ثم رجع إلى فوه بإذن من الفرنسيس ، فلما حصلت هذه الحركة ، وتحذروا شدة التحذر ، وأخذوا الناس بأدنى شبهة ، وتقرب إليهم المنافقون بالتجسس والإغرا ، ذكر بعضهم ذلك لقايمقام ، وأدخل فى مسامعه أن ابن الشيخ المذكور ذهب إلى عرضى همايون ، فأرسل قايمقام إلى الشيخ محمد الأمير (٣) قبل تاريخه ، فلما حضر سأله عن ولده المذكور ، فأخبره أنه مقيم بفوه ، فقال له :"لم يكن هناك ، وإنما هو عند القادمين ، " قال له :" أرسل إليه وأحضره " ، فقام من عنده على ذلك وأمهله ثمانية أيام مسافة الذهاب والمجى ، ثم خاطبه على لسان وكيل الديوان أيضاً ، فوعد بحضوره أو حضور الجواب بعد يومين ، واعتذر بعدم أمن الطريق ، فلما انقضت اليومان أمروا عبد العال بطلبه وإصعاده إلى القلعة ففعل .

١- العنوان من وضع المحققين .

٢- يوم الخميس غرة المحرم ١٢١٦هـ الموافق ١٤ مايو ١٨٠١م .

٣- اسم الشيخ غير مذكور فى النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .

وفيه [١] حضر جملة من عساكر الفرنساوية من جهة بحرى ، وتواترت الأخبار بتملك القادمين قلعة الرحمانية ، وما بالقرب منها من الحصون الكاينة بالعطف وغيره ، وذلك يوم السبت خامس عشرين الحجة [٢] [ص٣٣١]

وفيه ، حضرت زوجة كبير الفرنسيس بصحبة أخيها السيد على الرشيدى ، وكان خرج بها من رشيد عندما ملكها القادمون ، ونزل بها فى مركب ، وأرسى بها قبالة الرحمانية [فلما وقعت واقعة الرحمانية] [٣] وأخذت قلعتها ، حضر بها إلى مصر بعد تعب شديد ، وخوف من العربان وقطاع الطريق وغير ذلك ، فأقامت هى وأخوها ببيت الألفى بالأزبكية ثلاثة أيام ، ثم صعدا إلى القلعة .

وفيه ، قربت العساكر القادمة من الجهة الشرقية ، وحضرت طوالعهم إلى القليوبية والمنير والخانكة لأخذ الكُلف ، فتأهب قايمقام "بليار" للقائهم ، وأمر العساكر بالخروج من أول الليل ، ثم خرج هو فى آخر الليل [٤]

فلما كان يوم الأحد رابعه ، [٥] رجع قايمقام بليار ومن معه منهزمين ،

١- أى يوم الجمعة ٢ المحرم ١٢١٦هـ الموافق ١٥ مايو ١٨٠١م وهو نفس تاريخ اليوميتين التاليتين.

٢- أى أن احتلال تلك الحصون كان يوم السبت ٢٥ من ذى الحجة ١١١٥هـ الموافق ٩ مايو ١٨٠١م أما ورود الأخبار إلى القاهرة وتواترها فكان فى يوم الجمعة ثانى المحرم ١٢١٦هـ الموافق ١٥ مايو .

٣- ما بين القوسين غير موجود فى النسخة (أ) فاثبتناها من بقية النسخ الأخرى .

٤- ليلة يوم السبت ٣ المحرم ١٢١٦هـ الموافق ١٦ مايو ١٨٠١ م .

٥- يوم الأحد ٤ محرم ١٢١٦هـ الموافق ١٧ مايو ١٨٠١م .

وكتموا أمرهم ، ولم يذكروا شيئاً (١)

وفى خامسه (٢) ، رفعوا الطلب عن الناس بباقى نصف المليون ، وأظهروا الرفق بالناس ، والسرور بهم ، لعدم قيامهم عند خروجهم للحرب ، وكانوا يظنون منهم ذلك .

وفيه ،(٣) أخذت جملة من عدد الطواحين ، وأصعدت إلى القلعة ، وأكثروا من نقل الماء والدقيق والأقوات إليها ، وكذلك البارود والكبريت والجلل والبنب ، ونقلوا ما فى الأسوار والبيوت من الأمتعة والفرش والأسرة ، وحملوه إليها ، ولم يبقوا بالقلاع الصغار إلامهمات الحرب .

وفيه ، طلبوا الزياتين وألزموهم بمائتى قنطار سيرج ، وسمروا جملة من حوانيتهم [ص٣٣٢] وخرج جماعة من الجزارين لشرا الغنم من القرى القريبة ، فقبض عليهم العساكر القادمة ، ومنعوهم من العود بالغنم والبقر ، وكذلك منعوا الفلاحين الذين يجلبون الميرة والأقوات إلى المدينة ، فانقطع الوارد من الجهة

١- وجد بليار نفسه مهدداً فى آن واحد بحشد القوات الإنجليزية التى تجتاز المسار المحاذى للنيل عن طريق الرحمانية ، وبالقوات العثمانية التى تصل من شرق الدلتا ، فإنه يطلب إلى مينو التحرك مع قواته إلى القاهرة لكى يواجه جيوش الأعداء فى الأرض المنبسطة المكشوفة إلا أن الوقت كان قد تأخر كثيراً ، فأمام الضغط الأنجلو عثمانى ، يترك لاجرانج الرحمانية وينسحب إلى القاهرة فى ١٠ مايو ١٨٠١م ، وخرج بليار فى ١٥ مايو وقابل العثمانيين فى اليوم التالى ، ولكن دون عمل حاسم ، فقد قرر "بليار" الاحتفاظ بقواته والعودة بها إلى القاهرة للعمل على سد طريق النيل أمام القوات الإنجليزية الزاحفة ووضع بطارية قوية قادرة على وقف الأسطول النهرى الإنجليزى . وكان موقف غريب من بليار ، ولكن فى الواقع لم يكن عند الضباط ولا الجنود الفرنسيين رغبة للقتال . هنرى لورنس : مرجع سابق ، ص ٥٨٠ .

٢- يوم الاثنين ٥ المحرم ١٢١٦هـ الموافق ١٨ مايو ١٨٠١ م .

٣- أى فى خامس المحرم ، وهو تاريخ اليومية التالية أيضاً .

البحرية والقليوبية ، وعَزَّت الأقوات ، وشح اللحم والسمن جداً ، وأغلقت حوانيت الجزارين ، واجتهد الفرنسيس فى وضع متاريس خارج البلد من الجهة الشرقية والبحرية ، وحفروا خنادق ، وطلبوا الناس للعمل ، فكانوا يقبضون على كل من وجدوه ، ويسوقونه للعمل ، وكذلك فعلوا بجهة القرافة ، وألقوا الأحجار العظيمة والمراكب ببحر انبابة (١) لتمنع المراكب من العبور . وابتدؤا المتاريس البحرية من باب الحديد ممدودة إلى قنطرة الليمون إلى قصر أفرنج أحمد (٢) إلى السبتية إلى مجرى البحر .

وفى ثامنه (٣) بعث قايمقام بليار فأحضر التجار وعظما الناس ، وسألهم عن سبب غلق الناس الحوانيت فقالوا : له من وقف الحال والكساد والجلا والموت ، فقال لهم : من كان موجوداً حاضراً فألزموه بفتح حانوته ، وإلا فأخبرونى عنه ، ونزلت الحكام فنادت بفتح الحوانيت والبيع والشرا .

١- المقصود نهر النيل أمام أنبابه لمنع مرور السفن الإنجليزية نحو الجنوب .

٢- أفرنج أحمد : فى القرن السابع عشر بدأ يظهر فى مصر شكل جديد من أشكال الحزبية، وكان وجود روابط التئام بين كل من البكوات الصناجق وكبار العسكريين ، والدور الهام الذى لعبه السادة المتحكمون فى مراكز قيادة الإنكشارية أمثال "أفرنج أحمد " ففى عام ١٧١١م قامت فتنه بين الأوجاقات العسكرية بسبب "أفرنج أحمد " وانضم إليها الباشا وقاضى عسكر وانقسم فيها العلماء بل والعربان أيضاً وانتهت بمقتل أفرنج أحمد وخمدت الفتنة وهدأت الأمور . ولكن كان لها آثار كبيرة فيما بعد .
لمزيد من التفاصيل راجع .

- على بن محمد الشاذلى الفراء :ذكرما وقع بين عسكر مصر المحروسة :١١٢٣هـ الموافق ١٧١١م تحقيق د/ عبد القادر طليمات - المجلة التاريخية العدد ١٤ عام ١٩٨٦م .

P.M.Holt , the career of Kucuk Muhammad 1671.1711- B.S.o.A.s .XXvL.1963.

٣- يوم الخميس ٨ محرم ١٢١٦هـ الموافق ٢١ مايو ١٨٠١ م .

وفى عاشره (١) شرعوا فى هدم جانب من الجيزة من الجهة البحرية ، وقربت العساكر القادمة من البر الغربى إلى البلد المسماة بنادر .

وفيه ، (٢) تواترت الأخبار بأن العساكر الشرقية وصلت أوايلها إلى بنها وطحلا بساحل النيل .

وفى [ص٣٣٣] ثانى عشره ، (٣) نزلت أمرأة من القلعة بمتاعها واختفت بمصر ، فأحضر الفرنسيس حكام الشرطة وألزموهم بإحضارها ، وهذه المرأة اسمها "هوى" كانت زوجة لبعض الأمرا الكشاف ، ثم أنها خرجت عن طورها وتزوجت "نقولا " وأقامت معه مدة ، فلما حدثت هذه الحوادث جمعت ثيابها واحتالت حتى نزلت من القلعة ، وهى على حمار ، ومتاعها محمول على حمار آخر ، فنزلت عند بعض العطف ، وأعطت المكارية الأجرة وصرفتهم من خارج واختفت . فلما وقع عليها التفتيش وأحضروا المكارية ، قالوا لانعلم غير المكان الذى أنزلناها به (٤) وأعطتنا الأجرة عنده ، فشددوا على المكارية ومنعوهم من السراح، وقبضوا على أهل الحارة وحبسوهم ، ثم أحضروا مشايخ الحارات وشددوا عليهم، وعلى سكان الدور ، وأعلموهم أنه إن وجدت المرأة فى حارة من الحارات ، ولم يخبروا عنها ، نهبوا جميع دور الحارة ، وعاقبوا سكانها ، فحصل للناس غاية الضجر والقلق بسبب اختفايها ، وتفتيش أصحاب الشرطة ، وخصوصاً عبد العال، فإنه كان يتنكر ويلبس زى النسا ، ويدخل البيوت بحجة التفتيش عليها ،

١- يوم السبت ١٠ محرم ١٢١٦هـ الموافق ٢٣ مايو ١٨٠١ م .
٢- أى فى عاشر المحرم .
٣- يوم الاثنين ١٢ محرم ١٢١٦هـ الموافق ٢٥ مايو ١٨٠١م .
٤- فى النسخة (ب) "الذى نزلناها به " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

فيزعج أرباب البيوت والنساء ، ويأخذ منهن مصالح ومصاغاً ، ويفعل ما لا خير فيه ، ولا يخشى خالقاً ولا مخلوقاً .

وفى خامس عشره (١) قبضوا على "ألطون أبو طاقية " النصرانى القبطى ، وحبسوه بالقلعة ، وألزموه بمبلغ دراهم تبقت عليه من حساب البلاد .

وفى سادس [ص٣٣٤] عشره ، (٢) أفرجوا عن محمد أفندى يوسف ، ونزل إلى بيته ، وكذلك الشيخ مصطفى الصاوى لمرضه .

وفيه ، انقضت دعوة تهمة الشيخ البكرى ، ومحصلها أن خادمَ مملوكِه ، ذهب عن لسان المملوك إلى بليار قايمقام ، وأخبره أن الشيخ وصل إليه فرمان من العرضى بالأمان ، وكان هذا بإغرا عبد العال ، ليوقعه فى الوبال ، ويحرك عليه حقد الفرنسيس ، فيوقعونه في العذاب البئيس ، لحزازة بينه وبين الشيخ البكرى [وميل للمملوك ، وكان وسيماً عزيزاً على سيده جداً ، مبتلى بحبه] (٣) فلما حضر الشيخ على عادته عند قايمقام ساله عن ذلك ، فجحده ، فأحضر الخادم الذى بلغ ذلك ، فصدق على ذلك ، وأسند إلى المملوك سيده ، فأحضروا المملوك وسالوه ، فقال نعم ، فقالوا له وأين الفرمان ، فقال : قراه وقطعه ، فقال الفرنسيس ؛ وكيف يقطعه هذا دليل الكذب ، لأنه لا يصح أن يتلقاه بالقبول ثم يقطعه ، فقيل له :ومن أتى به ، قال فلان ، فألزموا الشيخ بإحضار ذلك (٤) الرجل ، وحبس المملوك عند

١- يوم الخميس ١٥ محرم ١٢١٦ الموافق ٢٨ مايو ١٨٠١ م .

٢- يوم الجمعة ١٦ محرم ١٢١٦هـ الموافق ٢٩ مايو ١٨٠١م ، وهو تاريخ اليومية التالية أيضاً

٣- الفقرة التى بين القوسين محذوفة من النسخة (أ) وكذلك من عجائب الاثار ، وقد ألمح البعض إلى أن العلاقة التى بين المملوك وسيده كانت علاقة جنسية . وكان ذلك شائعاً فى ذلك الوقت ، وأن افتتان الشيخ بمملوكه الوسيم كان سبباً فى اهتمامه بإنقاذه من أيدى الفرنسيين رغم جريمته التى ارتكبها فى حقه .
لمزيد من المعلومات راجع : كريستوفر هيرولد : مرجع سابق .

٤- فى النسخة (ب) "هذا " ولكن الصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

عبد العال يومين ، ونال غرضه منه (١) وحضر الرجل فسألوه ، فجحد ذلك ولم يثبت عليه و ظهر كذب الغلام والخادم ، فعند ذلك طلب الشيخ غلامه ، فقال قايمقام : إن قصاصه فى شريعتنا أن يقطع لسانه ، فشفع فيه سيده وأخذه ، بعد أمور وكلام قبيح قاله الغلام فى حق سيده .

وفيه (٢) حضر حسين كاشف اليهودى إلى قايمقام ، [ص٣٣٥] وأخبره أن الأمرا الذين بالصعيد خرجوا عن طاعة الفرنساوية ، وردوا مكاتبتهم التى أرسلوها لهم بعد موت مراد بيك ، وأنهم مروا وتوجهوا إلى بحرى ، من البر الغربى ، وعثمان بيك الأشقر ذهب من خلف الجبل إلى جهة الشرق ، فلما حصل ذلك ركب قايمقام ، وذهب للست نفيسة وأمنها وطيب خاطرها ، وأخبرها أنها فى أمان ، هى وجميع نساء الأمرا والكشاف والأجناد ، ولا مؤاخذة عليهن بما فعله رجالهن .

وفى محرم عشرينه (٣) توكل رجل قبطى يقال له "عبد الله" من طرف يعقوب، بجمع طايفة من الناس لعمل المتاريس فتعدى حتى على بعض الأعيان ، وأنزلهم من على دوابهم ، وعسف وضرب بعض الناس على وجهه حتى أسال دمه ، فتشكى الناس من ذلك القبطى ، وأنهوا شكواهم إلى بليار قايمقام ، فأمر بالقبض على ذلك القبطى ، وحبسه بالقلعة . ثم فردوا على كل حارة رجلين يأتى بهما شيخ الحارة ، وتدفع لهما أجرة من سكان الحارة .

١- عبارة "ونال غرضه منه " غير موجودة فى النسخة (أ) وكذلك فى عجائب الآثار ويفهم منها أن عبد العال بسبب ميله للمملوك ، قد انتهز فرصة حبس الغلام فى بيته وأقام معه علاقة جنسية ، والحق أن الشذوذ الجنسى كان مرضاً اجتماعياً منتشراً فى تلك الفترة حتى بين بعض الأعيان ، الذين افتتنوا بالغلمان والمردان ، ورغم أن ذلك لا يبدو واضحاً فى مظهر التقديس ، إلا أنه يظهر بوضوح فى عجائب الآثار ، خاصة الأجزاء ١ ،٢، ٤ .

٢- أى فى يوم الجمعة ١٦ محرم .

٣- ٢٠ محرم الثلاثاء ١٢١٦هـ الموافق ٢ يونيو ١٨٠١ م .

وفيه ، وردت الأخبار بأن حضرة (١) الصدر الأعظم وصل ركابه إلى دجوه .

وفي يوم الاثنين (٢) سمعت عدة مدافع على بعد وقت الضحوة .

وفي ذلك اليوم ، قبل العصر ، طلبوا مشايخ الديوان ، فاجتمعوا بالديوان ، وحضر الوكيل والترجمان ، وطلبهم للحضور إلى قايمقام ، فلما حصلوا عنده قال لهم [ص٣٣٦] على لسان الترجمان : نخبركم أن العدو قد قرب منا ، ونرجوكم أن تكونوا على عهدكم مع الفرنساوية وأن تنصحوا أهل البلد والرعية بأن يكونوا مستمرين على سكونهم وهدوهم ، ولا يتداخلوا في الشغب ، فإن الرعية بمنزلة الولد ، وأنتم بمنزلة الوالد ، والواجب على الوالد نصح ولده ، وتأديبه وتدريبه على الطريق المستقيم التي يكون فيها الخير والصلاح ، فإنهم إن داموا على الهدو حصل لهم الخير ، ونجوا من كل شر ، وإن حصل منهم خلاف ذلك (٣) نزلت عليهم النار ، وأحرقت دورهم ، ونهبت

١- كلمة "حضرة" غير موجودة في النسخة (ب) فاثبتناها من بقية النسخ ، ولكن لم ترد أيضاً في عجائب الآثار فكتب الجبرتي هذه اليومية كالآتي "وردت الأخبار بأن الوزير وصل دجوه" فالجبرتي الحريص على استخدام كافة ألقاب التفخيم وأسباغها على الصدر الأعظم هو نفسه الذي يحذفها في عجائب الآثار .

٢- يوم الاثنين ٢٦ محرم ١٢١٦هـ الموافق ٨ يونيو ١٨٠١ م .

٣- أصدر مينو وهو في الأسكندرية بياناً أرسله ليوزع على سكان القاهرة جاء فيه "بسم الله الرحمن الرحيم - لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . من عبد الله جاك مينو . القائد العام لجيش الشرق وممثل حكومة الجمهورية الفرنسية في مصر ، إلى جميع سكان مدينة القاهرة ومصر ، كبيرهم وصغيرهم ، أغنيائهم وفقرائهم . يقوم بعض الرجال من دعاة الشر والخداع والذين لا يفكرون إلا في إلحاق الأذى بالشعب ، بالعمل على ترويج شائعات مزعجة في مدينة القاهرة . وأحذركم أنه إذا ثبت على أي شخص من أية أمة أو دين كان أنه يروج أو ينشر هذه الشائعات المزعجة أو يحرض على ترويجها ، فسيلقى عليه القبض فوراً ويضرب عنقه في وسط أحد ميادين القاهرة . فياسكان القاهرة ومصر ، لتبقوا هادئين في منازلكم ، وقوموا بأعمالكم كالمعتاد ، وتذكروا ما أقوله لكم : إن الحكومة الفرنسية تسهر على أمنكم فاعتمدوا حمايتها لكم ولكن عيونها يقظة دائماً على كمل الذين يحاولون التمرد أو الثورة وخير سلام على من اتبع الهدى ١١ شوال سنة ١٢١٥ هـ / مينو . كوريبه دي ليجبيت العدد ١٠٥ ، ص ٢٨٣ .

أموالهم ومتاعهم ، وتيتمت أولادهم ، وسبيت نساؤهم ، وألزموا بالأموال والفرد التي لا طاقة لهم بها ، فقد رأيتم ما حصل في الوقايع السابقة ، فاحذروا من ذلك ، فإنكم لا تدرون العاقبة ، ولا نكلفكم المساعدة لنا ، ولا المعاونة لحرب عدونا ، وإنما نطلب منكم السكون والهدو لا غير . فأجابوه بالسمع وقولهم كذلك ، وقرى عليهم ورقة بمعنى ذلك ، وأمروا الأغا وأصحاب الشرطة بالمناداة على الناس بذلك، وأنهم ربما سمعوا ضرب مدافع جهة الجيزة ، فلا ينزعجوا من ذلك ، فإنه شنك وعيد لبعض أكابرهم ، وأن يجتمع من الغد بالديوان الأعيان والتجار وكبار الأخطاط ومشايخ الحارات ، ويتلى عليهم ذلك .

فلما كان ضحوة يوم الثلاثا (١) اجتمعوا كما ذكر وحصلت الوصية والتحذير [ص٢٣٧] وانتهى المجلس وذهبوا إلى محلاتهم .

وفي ذلك اليوم ، أشيع حضور حضرة الصدر الأعظم إلى شلقان (٢) وكذلك العساكر الغربية (٣) حضرت إلى أول الوراريق .

وفي يوم الجمعة غايته (٤) اجتمع المشايخ والوكيل بالديوان على العادة ،

١- يوم الثلاثاء ٢٧ محرم ١٢١٦هـ الموافق ٩ يونيو ١٨٠١م .

٢- شلقان : من القرى القديمة وردت في نزهة المشتاق بين الخرقانية وزفيتة (زفيتة شلقان وهي المنيرة الان) وفي التحفة شلقان من أعمال القليوبية ووردت في مباهج الفكر شلقام في القليوبية . قال ولها نظير في البهنساوية والصواب أن لا صلة بين هذه التي تنتهي بنون في آخرها وبين شلقام التي بالهنساوية وتنتهي بميم في آخرها .
محمد رمزي – مرجع سابق ، القسم الثاني ، جـ١ ، ص ٥٦ .

٣- يستخدم الجبرتي اسم العساكر الشرقية للدلالة على الجنود العثمانيين القادمين إلى مصر من ناحية الشام برئاسة الصدر الأعظم والعساكر الغربية للدلالة على الإنجليز والعثمانية بقيادة القبطان حسن باشا .

٤- يوم الجمعة ٣٠ المحرم ١٢١٦هـ الموافق١٢ يونيو ١٨٠١م .

وحضر "استوف" الخازندار ، وصحبته "أبو ديف" ، فتكلم الخازندار ، وترجم عنه "رفاييل" بقوله : أنه يثنى على كل من القاضى والشيخ إسماعيل الزرقانى باعتنايهما فيما يتعلق بأمر المواريث وبيت المال ، والمصالح على التّرَك المختومة ، لأن الفرنساوية ، لم يبق لهم من الإيراد إلا ما يتحصل من ذلك . والقصد الاعتنا أيضاً بأمر البلاد والحصص التى انحلت بموت أربابها ، فلازم أيضاً من المصالحة والحلوان والمهلة فى ذلك ثمانية أيام ، فمن لم يصالح على الالتزام الذى له فيه شبهة فى تلك المدة ضبطت حصته ، ولا يقبل له عذر بعد ذلك . واعلموا أن أرض مصر استقر ملكها للفرنسيس ، فلازم من اعتقادكم لذلك ، وركوزه فى أذهانكم ، كما تعتقدوا وحدانية الله تعالى ، ولا يغرنكم هؤلاء القادمون وقربهم ، فانهم لا يخرج من بين أيديهم شئ أبداً ، وهؤلاء الإنكليزية ناس خوارج حرامية ، وصناعتهم إلقا العداوة والفتن ، والعثمنلى مغتر بهم ، فإن الفرنساوية كانت من الأحباب الخلّص[1] للعثمنلى ، فلم يزالوا حتى أوقعوا بينه وبينهم العداوة والشرور ، وأن بلادهم ضيقة ، وجزيرتهم صغيرة ، ولو كان [2] بينهم وبين الفرنساوية [ص٢٣٨] طريق مسلوكة من البر ، لا نمحى أثرهم ، ونسى ذكرهم من زمان مديد، وتأملوا فى شأنهم ، وأى شئ خرج من أيديهم ، فإن لهم ثلاثة أشهر من حين طلوعهم إلى البر وإلى الآن لم يصلوا إلينا ، والفرنسيس عند قدومهم ، وصلوا فى ثمانية عشر يوماً ، فلو كان فيهم همة أو شجاعة أو إقدام لوصلوا مثل وصولنا ، وكلام كثير من الهَوَس والغفلة [3]

١- فى النسخة (ب) "لخاص" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .
٢- فى النسخة (أ) "ولولا كان" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .
٣- عمل الفرنسيون على إصدار العديد من المنشورات التى تهدف إلى تحذير المصريين من الثورة وأن النصر لابد حليف الفرنسيين والتقليل من قيمة القوة المهاجمة لهم سواء من العثمانيين أو الأنجليز ولكن الجبرتى بعقله الواعى يعلق على مثل هذا الكلام بقوله "وكلام كثير من الهوس والغفلة" .

شهر صفر الخير

استهل بيوم السبت (١) وفى ذلك اليوم قبل المغرب (٢) مشى عبد العال الأغا فى شوارع المدينة ، وقدامه منادى يقول :"الأمن والأمان على جميع الرعايا ، وفى غد يعمل شنك بمدافع من القلاع فى الساعة الرابعة ، فلا تخافوا ولا تنزعجوا ، فإنه حضرت بشارة بوصول بونابرته بعمارة عظيمة إلى الأسكندرية ، وأن الإنكليز رجعوا القهقرى " .

فلما أصبح يوم الأحد ، فى الساعة الرابعة من الشروق (٣) ضربت المدافع ، وتابعوا ضربها من جميع القلاع . وطلع أناس قبل ذلك إلى المنارات ، ونظروا بالنضارات ، فشاهدوا العساكر الغربية انجرّت ووصلت إلى آخر الوراريق ، وأول انبابة . فنصبوا خيامهم أسفل انبابة . وعند وصولهم إلى مضاربهم ، ضربوا عدة مدافع ، فلما سمعها الفرنساوية ، ضرب الآخرون تلك المدافع التي ذكروها أنها شنك . وأما العساكر الشرقية فوصلت أوايلهم إلى منية الأمرا ، المعروفة بمنية السيرج (٤) [ص٣٣٩] والمراكب فيما بينهما من البرّين كثيرة ، فعند ذلك عزّت

١- يوم السبت غرة صفر ١٢١٦هـ الموافق ١٣ يونيو ١٨٠١م .

٢- كلمة " المغرب " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

٣- أى فى حوالى الساعة العاشرة من صباح يوم الأحد ، ٢ صفر ١٢١٦هـ الموافق ١٤ يونيو ١٨٠١م .

٤- منية السرج : من القرى القديمة وردت فى كتاب "أحسن التقاسيم " للمقدسى فى اسم المنيتين وهما منية الشيرج هذه ومنية الأصبغ . كانت منية الشيرج واقعة على شاطئ النيل لغاية سنة ٦٨٠هـ وفى تلك السنة طمى الخور الذى كان فاصلاً بينها وبين جزيرة الفيل التى تشمل اليوم قسمى شبرا وروض الفرج ، وذكر أميلينو فى جغرافيته أن "تمونى بسيسلمون " هو أسمها القبطى والصواب أنه ترجمة اسمها العربى باللغة الرومية . محمد رمزى . مرجع سابق ، القسم الثانى . جـ١ ص ١٥ .

الأقوات وشحت ، وخصوصاً السمن والجبن (١) والأشيا المجلوبة من الريف ، ولم يبق طريق مسلوكة إلى المدينة إلا من جهة باب القرافة ، وما يجلب من جهة البساتين ، من القمح والتبن ، فياتى ذلك إلى عرصة الغلة بالرميلة ، وتزدحم عليه النسا والرجال بالمقاطف ، فيسمع لهم ضجة عظيمة ، وشح اللحم أيضاً وغلا سعره ، لقلة المواشى والأغنام .

وفى يوم الاثنين ثالثه (٢) حصلت الجمعية بالديوان ، وحضر التجار ومشايخ الحارات والأغا ، وحضر مكتوب من "بليار" قايمقام خطاباً للحاضرين يذكر فيه أنه حضر إليه مكتوب من كبيرهم "منوا " بالأسكندرية ، صحبة هجانة فرنسيس وصلوا إليهم من طريق البر (٣) مضمونه أنه طيب بخير ، والأقوات كثيرة عندهم ، ياتى بها العربان إليهم ، وبلغهم خبر وصول عمارة إلى بخر الخزر (٤) وأنها عن قريب تصل إلى الأسكندرية ، وأن العمارة حاربت بلاد الإنكليز ، واستولت على شقة كبيرة منها ، فكونوا مطمينين الخاطر من طرفنا ، ودوموا على هدوّكم (٥) وسكونكم ، إلى آخر ما فيه من الكذب والخرافات وكان وصول هذا المكتوب ، بعد نيف وأربعين يوماً من انقطاع أخبار من فى سكندرية ولا أصل لذلك .

وفى ذلك اليوم (٦) قتل عبد العال رجلاً ، ذكروا أنه وجد معه مكتوب من

١- فى النسخة (ب) "السمن والخبز " ولكن الصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .
٢- يوم الاثنين ٣ صفر ١٢١٦هـ الموافق ١٥ يونيو ١٨٠١ م .
٣- فى النسخة (أ) "من طريق البرية " ولكن الصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .
٤- فى جميع النسخ "أبحر الجرد " وفى عجائب الآثار "بحر الخزر " "وبحر الخزر " بحر قزوين وهو بحر مغلق لا يعقل أن تصل سفن منه إلى الأسكندرية لذا فالمقصود هنا غير واضح .
٥- يؤكد الناسخ على النطق العامى للكلمة بحذف الهمزة ، وتشديد الواو .
٦- يوم الاثنين ١٣ صفر الموافق ١٥ يونيو ١٨٠١م .

بعض النسا ، مرسل إلى بعض أزواجهن بالعرضى (١) قتل [ص٣٤٠] ذلك الرجل بباب زويلة ، ونودى عليه :"هذا جزا من ينقل الأخبار إلى العثمنلى والإنكليز"(٢)

وفيه (٣) وصلت العساكر الشرقية إلى العادلية ، وامتد عرضى همايون منها إلى قبلى منية السيرج ، وكذلك الغربية إلى انبابة ، ونصبوا خيامهم بالبرين ، والمراكب بينهم فى النيل ، وضربوا عدة مدافع ، وخرج عدة من الفرنساوية خياله ، فترامحوا معهم وأطلقوا البنادق ثم انفصلوا بعد حصة من النهار ، ورجع كل إلى مكانه ، واستمر هذا الحال على هذا المنوال ، يقع بينهم فى كل يوم .

وفى سادسه (٤) زحفت العساكر الشرقية حتى قربوا من قبة النصر ، وسكن إبراهيم بيك زاوية الشيخ دمرطاش ، وحضر جماعة من العسكر وأشرفوا علي الجزارين [من حايط المدبح ، وطلبوا شيخ الجزارين] (٥) ووجدوا ثلاثة أنفار من الفرنسيس ، فضربوا عليهم بنادق ، فأصيب أحدهم فى رجله ، فأخذوه وهرب اثنان ، وأصيب جزار يهودى ، ووقع بين الفريقين مضاربة ، على بعد وقتل بعض

١- أى إلى معسكر العثمانيين القادمين من الناحية الشرقية .

٢- زادت حالات الأعدام التى أمر بها الفرنسيون وذلك لحرج موقفهم ولمحاولة قمع الأهالى . ولقد أعدم مينو عدة أفراد فى الأسكندرية كذلك - نفذ حكم الأعدام رمياً بالرصاص بساحة الأسكندرية فى المدعوين : سليمان ، قبطان المركب أوليانو ، وأحمد بابوجى وحيل موسم من الأسكندرية لأنهم يرددون أحاديث من شأنها إثارة الفوضى والحث على الثورة - وسوف يكون هذا مصير كل من سيسلك هذا الطريق .
الأمضاء مينو . كورييه دى ليجيبت - العدد ١١١ - ص ٤١٠ .

٣- يوم الاثنين ١٣ صفر ١٢١٥هـ الموافق ١٥ يونيو ١٨٠١م .

٤- يوم الخميس ٦ صفر الموافق ١٨ يونيو ١٨٠١ م .

٥- العبارة التى بين القوسين كتبت مرتين فى النسخة (أ) وربما ذلك سهو من الناسخ .

قتلى ، وأسر بعض أسرى ، ولم يزل الضرب بينهم إلى قريب العصر ، والفرنسيس يرمون من القلعة الظاهرية ، وقلعة نجم الدين والتل ، ولا يتباعدون عن حصونهم (١)

وفي سابعه (٢) وقعت مضاربة بين الفريقين ببنادق ومدافع من [ص٣٤١] الصباح إلى العصر أيضاً ، وامتنع الوارد من الجهة البحرية بالكلية .

وفيه ، (٣) قبضوا على رجل شبه خدام ظنوه جاسوساً فأحضروه إلى عند قايمقام ، فسألوه فلم يقر بشئ ، فضربوه عدة مرات حتى ذهل عقله ، وصار كالمختل ، وكرروا عليه الضرب والعقاب ، وضربوه بالكرابيج على كفوفه ووجهه ورأسه ، حتى قيل أنهم ضربوه نحو ستة آلاف كرباج ، وهو على حاله ، ثم أودعوه الحبس .

وفيه ، أطلقوا محبوساً يقال له الشيخ سليمان حمزة الكاتب ، وكان محبوساً بالقلعة من مدة ستة أشهر ، فأطلق على مصلحة ألفين ريال .

وفي ثامنه (٤) وقعت مضاربة أيضاً بطول النهار ، ودخل نحو خمسة وعشرين نفراً من العثمانية إلى الحسينية ، وجلسوا علي مصاطب القهوة ، وأكلوا كعكاً وخبزاً وفولاً مسلوقاً (٥) وشربوا قهوة ثم انصرفوا إلى مضربهم ، وأخذ

١- في هذه الفترة بعث الإنجليز والعثمانيين "بليار " يعرضون عليه الصلح . ولكنه حتى ذلك الوقت رفض أملاً في وصول الإمدادات وتحسن الأحوال . وهذا الموقف سيتغير بعد قليل

٢- يوم الجمعة ٧ صفر ١٢١٦هـ الموافق ١٩ يونيو ١٨٠١م .

٣- أي في سابع صفر ، وهو تاريخ اليومية التالية أيضاً .

٤- يوم السبت ٨ صفر الموافق ٢٠ يونيو ١٨٠١م .

٥- وردت في جميع النسخ "مصلوقاً" والصواب ما أثبتناه بالمتن "مسلوقاً" لاستقامة المعنى .

الفرنساوية عسكرياً من أتباع محمد باشا والى غزة والقدس ومصر ، فحبسوه ببيت قايمقام . وأغلقوا فى ذلك اليوم باب النصر وباب العدوى .

وفيه ، زحفت عساكر البر الغربي إلى تحت الجيزة ، فحضر في صبحها "يني" وأخبر قايمقام ، فركب من ساعته وعدى إلى بر الجيزة ، فسمع الضرب أيضاً من ناحية الجيزة ، وسمعت طبول الأمرا ، ونقاقيرهم .

واستمر الأمر إلى يوم الثلاثا حادى عشره (١) فبطل الضرب من وقت الزوال، ولما وصلوا جهة الجيزة انتشروا إلى قبلى [ص٣٤٢] منها ، ومنعوا المعادى (٢) من تعدية البر الشرقى ، فانقطع الجالب (٣) من الناحية القبلية أيضاً وامتنع وصول الغلال والأقوات والبطيخ والعجوز والخضروات والخيار والسمن والجبن والنُعم ، (٤) فعزَّت الأقوات ، وغلا سعر الموجود منها جداً . واجتمع الناس بعرصة الغلة بالرميلة ، يريدون شراء الغلة ، فلم يجدوها ، فكثر ضجيجهم ، وخرج الأكثر منهم بمقاطفهم إلى جهة البساتين ، ورجع الباقون من غير شئ ، وأحضر عبد العال القبانية ، وألزمهم بإحضار السمن ، وضرب البعض منهم ، فأحضروا له فى يومين أربعة عشر رطلاً بعد الجهد فى تحصيلهم ، وبيعت الدجاجة بأربعين نصفاً ، وامتنع وجود اللحم من الأسواق .

١- يوم الثلاثاء ١١ صفر ١٢١٦ هـ الموافق ٢٣ يونيو ١٨٠١م .

٢- أى المراكب التى تعمل على نقل الناس بين البرين بالأجر ، وفى طبعة وزارة التربية والتعليم عرفوا المعادى بأنها "كل من أراد اجتياز الشاطئ" وهو خطأ لأن المقصود المراكب وليس الأشخاص .

٣- فى النسخة (ب) "الجلب" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٤- هكذا فى مظهر التقديس ، وفى عجائب الآثار " والمواشى " وفى طبعة التربية والتعليم " والغنم " .

واستمر الأمر على ذلك الأربعا والخميس (١) والمضاربة بين الفريقين ساكنة ، وأشيع وقوع المسالمة والمراسلة بينهما ، فانسرّ الناس ، وسكن جاشهم .

وفى ذلك اليوم (٢) أغلقوا باب القرافة ، وباب المجرات ، ولم يعلم سبب ذلك ، ثم فتحوها عند الصباح من يوم الجمعة ، ورفعوا عشور الغلة .

وفى يوم الاثنين سابع عشره (٣) أطلقوا المحبوسين بالقلعة من أسرى العثمانية ، وأعطوا كل شخص مقطع قماش وخمسة عشر قرشاً ، وأرسلوهم إلى عرضى همايون ، وكانوا بلغ بهم الجهد من الخدمة وشيل التراب والأحجار ، وضيق الحبس والجوع ، ومات الكثير منهم ، وكذلك أفرجوا عن جملة من العربان والفلاحين .

وفى ليلة الاثنين المذكور ، [ص٣٤٣] سمع صوت مدفع بعد الغروب ، عند قلعة جامع الظاهر خارج الحسينية ، ثم سمع منها أذان العشا والفجر ، فلما أضاء النهار ، نظر الناس ، فإذا البيرق العثمانى بأعلاها ، والمسلمون على أسوارها ، فعلم الناس بتسليمها ، وكان ذلك المدفع إشارة إلى ذلك ، ففرح الناس ، وتحققوا أمر المسالمة ، وأشيع الإفراج عن الرهاين من المشايخ وغيرهم ، وباقى المحبوسين فى الصباح ، وأكثر الفرنساوية من النقل والبيع فى أمتعتهم وخيولهم ونحاسهم وجواريهم وعبيدهم ، وقضا أشغالهم (٤)

١- يومى الأربعاء والخميس ١٢ ، ١٣ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٢٤ ، ٢٥ يونيو ١٨٠١م .

٢- أى فى يوم الخميس ١٣ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٢٥ يونيو ١٨٠١م .

٣- يوم الاثنين ١٧ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٢٩ يونيو ١٨٠١م .

٤- كان بليار مستعد للتفاوض والاستسلام فى مقابل شروط مشرفة وكان الدافع وراء ذلك أدراكه بحالة الضعف المادى والمعنوى الذى يعانى منه جيشه وعدم تزويد الحكومة الفرنسية لهم لا بالمؤن ولا العتاد ، كذلك فهو يدرك كذب تصريحات مينو فى الأسكندرية و أنها تصريحات للاستهلاك المحلى . لكل ذلك كان يدرك استحالة الوقوف فى وجه القوات المهاجمة له . فقبل التفاوض وتسليم القاهرة .

وفى ذلك اليوم ، أنزلوا عدة مدافع من القلعة ، وكذلك من قلعة باب البرقية ، أمتعة وفرشاً وباروداً .

وفى يوم الثـلاثا (١) عمل ديوان ، وحضر الوكيل وأعلن بوقوع الصلح المسالمة ، وأوعد أن فى الجلسة الآتية يأتى إليهم بفرمان الصلح وما اشتمل عليه ن الشروط ، ويسمعونه جهاراً .

وفى ذلك اليوم ، كثر اهتمام الفرنساوية بنقل الأمتعة من القلعة الكبيرة ، باقى القلاع بقوة السعى (٢)

وفيه ، (٣) أفرجوا عن محمد أفندى أبو دفيّة ، واسماعيل القلق ، ومحمد شيخ الحارة بباب اللوق ، والبرنوسى نسيب أبو دفيّة ، والشيخ خليل المنير ، آخرين تكملة ثمانية أنفار ، ونزلوا إلى بيوتهم .

وفيه ، سافر عثمان بيك البرديسى إلى الصعيد ، وعلى يده فرمانات للبلاد بالأمن والأمان ، وسوق المراكب بالغلال والأقوات إلى مصر ، ويلاقى ستة آلاف من عسكر الإنكليز (٤) حضروا من [ص٣٤٤] القلزم إلى القصير (٥)

١- يوم الثلاثاء ١٨ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٣٠ يونيو ١٨٠١م .

٢- فى النسخة (ب) "بقوة السفن" وهو خطأ والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٣- أى فى يوم الثلاثاء ١٨ صفر .

٤- هذه هى الحملة الأنجلو هندية التى وصلت من الهند ورغم أنها لم تشترك فى القتال إلا أن لها دوراً كبيراً فى إجبار بليار على التسليم .

٥- القصير : تقع القصير على خط ٢٦.٦ ْ شمالاً وخط ١٧ / ٣٤ ْ شرقاً وهى تقع على الساحل الغربى للبحر الأحمر قبالة قوص على النيل إلى الشمال من عيذاب واكتسبت أهميتها لقربها من قوص حيث كانت تجارة الكارم تمر عبرها إلى قوص ثم تحمل فى النيل إلى مركز تجارة الكارم فى مصر القديمة . وقد اكتسبت قوص أهمية تجارية فى العصر المملوكى وذلك لكونها مركزاً يرد إليه التجار الواصلون إلى القصير ببضائع الجزيرة العربية والهند غير أن أهميتها تدهورت بعد كشف رأس الرجاء الصالح . ولكن عادت إليها أهميتها فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر . راجع د/ عبد الحميد سليمان – مرجع سابق . ص ٢٦

وفيه ، شنقوا شخصاً فرنساوياً على شجرة بالأزبكية ، قيل أنه سرق .

وفيه ، أرسل الفرنساوية إلى حضرة الصدر الأعظم ، وطلبوا جمالاً ينقلون عليها متاعهم ، فأمر لهم بمايتى جمل ، وقيل أربعماية إليهم مُسَعَّرة .

وفى يوم الخميس عشرينه [1] أفرجوا عن بقية المسجونين والمشايخ ، وهم الشيخ السادات والشرقاوى والشيخ الأمير والشيخ محمد المهدى ، وحسن أغا المحتسب ، ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم . فنزلوا إلى بيت قايمقام وقابلوه ، فقال للمشايخ : إن شئتم اذهبوا فسلموا على الوزير ، فإنى كلمته ووصيته عليكم .

وفيه [2] حضر الوزير الأعظم والعساكر إلى ناحية شبرا ، وكذلك قبطان باشا والانكليز والعساكر الغربية قبالهم ، ونصبوا الجسر فيما بينهم على البحر ، وهو من مراكب مرصوصة ، مثل جسر الجيزة ، بل يزيد عنه فى الإتقان بكونه من ألواح فى غاية الثخن ، وله درابزى من الجهتين أيضاً .

وفيه ، لصقوا أوراقاً بالطرق مكتوبة بالعربى والفرنساوى ، وفيها شرطان من شروط الصلح التى تتعلق بالعامة ، ونصه :" ثم أنه أراد الله تعالى بالصلح ما بين عساكر الفرنساوية وعساكر الانكليز وعساكر العثمانية ، ولكن مع هذا الصلح ، أنفسكم وأديانكم ومتاعكم لم أحداً يقارشهم ، ورؤس [ص ٣٤٥] عساكر الثلاثة جيوش قد اشرطوا بهذا كما تروه .

الشرط الثانى عشر

كل [3] واحد من أهالى مصر المحروسة من كل ملة كانت الذى يريد يسافر

١- يوم الخميس ٢٠ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٢ يوليو ١٨٠١ م .
٢- أى فى يوم الخميس ، وهو تاريخ اليومية التالية أيضاً .
٣- كلمة "كل" غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

مع الفرنساوية يكون مطلوق الإرادة ، وبعد سفره كامل ما يبقى عياله ومصالحة لم أحد يعارضهم .

الشرط الثالث عشر

لا أحداً من أهالي مصر المحروسة من كل ملة كانت ، لا يكون قلقاً من قبل نفسه ولا من ولا من قبل متاعه ، جميع الذى كانوا بخدمة الجمهور الفرنساوية ، بمدة إقامة الجمهور بمصر ، ولكن الواجب يطيعون الشريعة . ثم يا أهالي مصر وأقاليمها ، جميع الملل ، أنتم ناظرين لحد آخر درجة الجمهور الفرنساوى ناظر لكم ولراحتكم ، فليزم أنتم أيضاً تسلكوا الطريق المستقيمة ، وتفتكروا أن الله تعالى جل جلاله هو الذى يفعل كل شئ " وعليه إمضا "بليار قايمقام " (١)

وفى يوم الجمعة (٢) عملوا الديوان ، وحضر المشايخ والوكيل ، فقال الوكيل هل بلغكم بقية الشروط الثلاثة عشر(٣) فقالوا لا ، فأبرز ورقة من كمه بالقلم الفرنساوى ، فشرع يقروها والترجمان يفسرها ، وهى تتضمن الإحدى عشر

١- لا تختلف شروط اتفاقية الجلاء عن القاهرة مع اتفاقية عين شمس إلا فى تحديد المدة الزمنية التى يجلو الفرنسيون بعدها ، وهذه الاتفاقية تدور حول المحاور الآتية .
المحور الأول . المدة الزمنية القصيرة وهى عدة أيام .
المحور الثانى . تحرر العثمانيون من الالتزامات المادية التى فرضوها على أنفسهم فى اتفاقية عين شمس .
المحور الثالث . وهو يتعلق بالمصريين الذين تعاملوا مع الفرنسيين فى فترة تواجدهم فى مصر وهم فى الحقيقة من كافة الأديان والأجناس فقضت الاتفاقية على أعطاءهم الأمان وعدم التعرض لهم وحريتهم أما فى السفر مع الفرنسيين أو فى بقاءهم وأصدار عفواً عاماً عنهم وكان ذلك ضرورياً حتى لا يضار مصرى من الذين تعاونوا مع الحملة .

٢- يوم الجمعة ٢١ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٣ يوليو ١٨٠١م .

٣- تكونت الاتفاقية من ٢١ شرطاً وليست ١٣ كما يذكر الجبرتى .

شرطاً الباقية ، فقال إن الجيش الفرنساوى يلزم أن يخلو القلاع ومصر، ويتجهون على البر بمتاعهم إلى رشيد ، وينزلون فى مراكب ، ويتوجهون إلى بلادهم ، وهذا الرحيل ينبغى أن يسرع به ، وأقل ما يكون في خمسين يوماً ، وأن يساق الجيش [ص٣٤٦] من طريق مختصر ، وسر عسكر الإنكليز والمساعد يلزم أن يقوم لهم بجميع ما يحتاجوه من نفقة ومؤونة وجمال ومراكب والمحل الذى يبدأ منه السعى يكون بالتراضى بين الجمهور والإنكليز والمساعد ، وكامل الأمتعة . والأثقال تتوجه من البحر ، ومعهم جيش من الفرنساوية لأجل الحراسة ، ولابد من كون المؤنة التى ترتب لهم المونة التى كانوا يعطوها هم لجيش الإنكليز ، ورؤساييهم ، وعلى روسا عساكر الإنكليز وحضرة العثمنلى ، القيام بنفقة الجميع ، والحكام المتقيدون بذلك . يحضروا لهم المراكب ليستاقوهم إلى فرانسة من جهة البحر المحيط ، وأن يقدم كلا من حضرة العثمنلى(١) والإنكليز أربع مراكب للعليق والعلف للخيل الذين يأخذونهم فى المراكب (٢) وأن يسيروا معهم مراكب للمحافظة عليهم إلى أن يصلوا إلى فرانسة ، وأن الفرنساوية لا يدخلون مينة إلا مينة فرانسا ، والأمنا والوكلا يقدمون لهم ما يحتاجون إليه ، نظراً لكفاية عساكرهم ، والمدبرون والأمنا والوكلا والمهندسون الفرنساوية يستصحبون معهم ما يحتاجون من أوراقهم وكتبهم ، ولو الذى شروها من مصر ، وكل من أهل الإقليم المصرى ، إذا أراد التوجه معهم فهو مطلق السراح مع الأمن على متاعه وعياله ، وكذلك من داخل [ص٣٤٧] الفرنساوية من أى ملة كان فلا معارض له إلا أنه يجرى على خواليه السابقة.

١- كلمة "العثمنلى" غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .
٢- كلمة " المراكب " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

وجرحا (١) الفرنساوية يتخلفون بمصر ، ويعالجهم الحكما ، وينفق عليهم العثمنلى ، وإذا عوفوا توجهوا إلى فرانسة بالشروط المتقدم ذكرها ، وحكام العثمنلى يتعهدون من بمصر منهم . ولابد من حاكمين من طرف الجيشين يتوجهون بمركبين إلى طولو (٢) فيرسلوا خبراً إلى فرانسة ، ليطلعوا حكامها على الصلح وساير الرسوم . وكل جدال أو خصام صدر بين شخصين [من الفرنساوى وغيره ، فلابد أن يقوم شخصين] (٣) حاكمين من الطايفتين ليتكلموا فى الصلح ، ولا يقع فى ذلك نقض عهد الصلح . وعلى كل طايفة معين من العثمنلى والفرنساوى أن تسلم ما عندها من الأسرى ، ولابد من رهاين من كل طايفة ، واحد كبير يكون عند الطايفة الأخرى ، حتى يتوصلوا إلى فرانسة . ثم قال الوكيل : وقد عملنا بالشروط ، وما ندرى ماذا يكون ، فقيل له : هذه شروط عليها علامة القبول ، وهذا الصلح رحمة للجميع وسيكون الصلح العام ، فقال الوكيل : إنى أرجو أن يكون هذا الصلح الخصوصى مبدأ للصلح العمومى .

وفيه (٤) كثر خروج الناس ودخولهم ، من الأتباع والباعة والمتنكرين من نقب البرقية المعروف بالغريب . فسار الحرس من الفرنساوية ، يأخذون من الداخل والخارج دراهم ولا يمنعونهم ، فلما علم الناس بذلك ، كثر ازدحامهم ، فلما أصبحوا [ص٣٤٨] منعوهم ، فدخلوا وخرجوا من باب القرافة ، فلم يمنعهم

١- هكذا فى جميع النسخ والصواب "جرحى" بالياء .

٢- هكذا فى جميع النسخ وعجائب الآثار أيضاً والمقصود ميناء طولون على سواحل فرنسا الجنوبية المطلة على البحر المتوسط .

٣- ما بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .

٤- أى فى الجمعة ٢١ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٣ يوليو ١٨٠١م .

الواقفون به من الفرنسيس ، بل كانوا يفتشون البعض ، ويمنعون البعض ، وقد دخل بعض أكابر الإنكليز ، وصحبتهم فرنساوية ، يفرجونهم على البلدة والأسواق . وكذلك دخل بعض أكابر العثمانية ، فزاروا قبر الإمام الشافعي ، وسيدنا الحسين ، والشيخ عبد الوهاب الشعراني ، والفرنساوية ينتظرونهم بالباب .

وفي ليلة الاثنين رابع عشرينه [1] نادوا في الأسواق برمي مدافع في صبحه ، وذلك لنقل رمة "كلهبر"، فلا يرتاع الناس من ذلك .

فلما كان صبح ذلك اليوم ، أطلقوا مدافع كثيرة ، ساعة نيش قبر اللعين [2] بالقرب من قصر العيني ، وأخرجوا الصندوق الرصاص الموضوع فيه رمته ، لينقلوهم إلى بلادهم .

وفيه [3] أرسلوا أوراقاً ورسلاً للاجتماع بالديوان ، وهو آخر دواوينهم ، فاجتمع المشايخ والتجار وبعض الوجاقلية ، و"ستوف" الخازندار ، والوكيل والتراجمون ، فلما استقر بهم الجلوس ، أخرج الوكيل كتاباً مختوماً ، وأخبر أن ذلك الكتاب من صاري عسكر "منوا" ، بعث به إلى مشايخ الديوان ثم ناوله لرئيس الديوان ، ففضه وناوله للترجمان ، فقراه والحاضرون يسمعون ، وصورته بعد البسملة والجلالة والصدر : " نخبركم أن علمنا بكثرة [ص٣٤٩] الانبساط أنكم تهدوا بكثرة الحكمة والإنصاف في الموضع الذى أنتم مستمرين فيه ، وإن لم تقدروا لتنظيم أهالي البلد بالهدى والطاعة الموجبة منه لحكومة الفرنساوى ، فالله تعالى وبسعادة رسوله عليه السلام الدايم ، ينعم عليكم في الدارين عوض خيراتك

١- يوم الاثنين ٢٤ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٦ يوليو ١٨٠١م .
٢- كلمة "اللعين" محذوفة من عجائب الآثار .
٣- أى في يوم الاثنين ٢٤ صفر .

. وأخبرنا المقدام الجسور "بونابارتة" المشهور ، عن كلما فعلتم حكماً ونافعاً بوصايا لأجلكم سارة رضاة ، واستراح لتلك الفعال الحميدة ، وعرفني أيضاً أنه عن قريب يرسل لكم بذاته جواب مكاتيبكم إليه ، فدمتم إلى الآن بخير الهدى ، وبقوته تعالى نرى فضايلكم عن قريب ، ونواجه سكان محروسة [1] مصر ، كما هو مأمولنا ، لكن يسركم أن جمهور المنصور غلب في أقاليم الروم ، جميع أعداه ، وبعون الله تعالى [2] هادي كل شئ سيغلب كذلك العدا في مصر ، واعتمدوا بأكثر الاعتماد على " الستويان جيرار " هذا الذي وضعناه قربكم ، لأنه هو رجل مشهور بالعدل والاستقامة . ونواصي آلاء هممكم النعيمة ، بزوجتنا الكريمة السيدة "زبيدة " وولدها العزيز سليمان مراد ، أن كليهما حالاً كاينان في حصننا مصر ، وتأسفنا جداً برحلة المرحوم مراد بيك في انتقاله إلى البقا . ومعلوم فضايلكم أننا أرضينا بأنعام علوفة يوجه على عمدة العفايف حضرة الست نفيسة خاتون [3] لما جرى الحكومة الفرنساوية إلى أصدقايه ، وقولوا للقوم إنما منيتي ومرامي [ص٣٥٠] وإبرامي ألا تعتدى بيمنه وخيره ، واعتمدوا أيضاً إلى كل ما سيقوله لكم الستويان "ستيوا " [4] المأمور بتدبير الأمور وكمال العوايد ، والله تعالى ينعم عليكم وعلى عيالكم في الأيام بالبشرى والإقبال ، وحرر في إحدى عشر مسيدور سنة تسعة من قيام دولة جمهور الفرنساوية ، الموافق لثامن عشر صفر " [5]

١- كلمة "محروسة " غير موجودة في النسخة (ب) فاثبتناها من بقية النسخ .
٢- كلمة "تعالى "غير موجودة في النسخة (أ) فاثبتناها من بقية النسخ .
٣- أمر القائد العام مينو أن يصرف لأرملته الست نفيسة وأرملة على بك معاش سنوى قدره ٦٠,٠٠٠ جنيه وكذلك تأمينها هي ونساء الأمراء والكشاف الذين كانوا مع مراد بك ونقضوا الصلح مع الفرنساوية .راجع كورييه دى ليجيبت . العدد ١١٢ ، ص ٤١٤ .
٤- ربما يقصد "استيف " .
٥- يوم الثلاثاء ١٨ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٣٠ يونيو ١٨٠١م .

ممضى "عبد الله جاك منوا " ونقل بألفاظه وحروفه ، وهو من تراكيب "لوماكا" الترجمان . ثم أخذ الوكيل يقول :" أن الجنرال "منوا" انسر بسلوككم حتى الآن ، وراحة البلد حظ الفقرا ، وأن الحكام القادمين لابد وأن يسلكوا معكم هذا الموضوع، ولابد من وصول مكاتيب بونابارته بعد أربعة أيام أو خمسة ، وأنه لا ينسى أحبابه ، كما لا ينسى أعدايه ، ولو لم يكن له من الحسن ألا جعلكم وسايط لإعانة الناس ، لكان كافياً . وإنكم تعلموا أنه كان كان نظر إلى أحوال المارستان ومصالح المرضى وكان قصده أن يبنى جامع ، ولكن عاقه توجهه إلى الشام" ، وذكر كثيراً من مثل هذه الخرافات والتمويهات . ثم أخرج ورقة بالفرنساوى ، وقراها بنفسه حتى فرغ منها ثم قرا ترجمتها بالعربى الترجمان " رفاييل " ومضمونها حصول الصلح ، وتمويهات وخرافات ليس فى ذكرها فايدة . ولما انتهى من قرايتها ، أبرز أيضاً "استوف" الخازندار ورقة وقرأها بالفرنساوى [ص ٣٥١] ثم قرأ ترجمتها بالعربى الترجمان ، وهى فى مكنى الأولى ، وصورتها :

" خطاب محبة من حضرة ستوف مدبر الحدود العام ، فى مجلس الديوان . يا مشايخ ويا علما وغيرهم ، أعلمكم أن لم علىَّ أنى أكلمكم فى أسباب خروجنا من الديار المصرية ، بل وظيفتى تدبير أمور السياسة فقط ، ومجى عندكم لأجل أعرفكم قدر ما هو حاصل من الصعوبة ، كل واحد منكم رأى المحبة والأخوة التى كانت موجودة ما بين الفرنساوية ، وما بين أهل الديار المصرية ، قد كان الجيش والأهل المذكورين مثل الرعية الواحدة ، واسم حضرة بونابارتة القنصل الأول من جمهور الفرنساوية ، فى أعز الكفاية عندكم وعندنا . كم مرة (١) يا مشايخ ويا علما

١- "كم مرة " غير موجودة فى النسخة (أ) فاثبتناها من بقية النسخ .

فقدتم صحبتنا لأجل سيرة هذا الشجاع الأعظم المعان بقوة الله ، الذى عقله لم له مثيل ، كان يستحق أنه يكون حاكم عليكم دايماً ، عرفتمونى عن المحبة والشفقة الذى مضت منه لكم ، ومن وقت ما التزم بسبب التعب الذى حصل له فى بلده أنه يتوجه إليه ، لم ضاع منكم العشم أن يترتب فى الديار المصرية التدبير العدل والمنافقة الذى كان أوعدكم بها فى وقت ما كان عندكم ، وصحيح يا مشايخ ويا علما أن حكم الفرنساوية كان يتم ما عاهدكم به الذى هو كبيرهم ، وبونابارتة دايماً رأى لكم فى الخير والمحبة إلى رعاية الديار المصرية ، لم لها نظير ، كم مرة كرر إلى حضرة سر [ص٣٥٢] عسكر "منوا " أنه ينظر إليكم فى كامل الأمور بالخير ، وكام نوبة حضرة منوا المذكور أثبت أن الحكام والجيوش لما أمنوه أعطوه الأمانة فى أحسن محل . وفى حكم سر عسكر "منوا" صار أن كثرة الظلم والجور الذى كان مستثقلينه الرعية قد أبطله ، والعدل الذى كان ممنوع عنكم فى الأحكام السابقة ، قد وصل إليكم بواسطته ، وأيضاً فى مادة حكمه رأيتم أن نقص تحصيل الأموال [والشفقة إلى الرعايا ، ولما كان التزم بسبب الحرب أنه يستبعد عنكم السفر ، كان نادى أنه يترتب تدبير فى تحصيل الأموال] (١) وهذا التدبير يكون فى حد العدل والخير لأهل الديار المصرية ، وكنا نحن صحبته فى تدبير هذا الشغل العمومى ، وأنتم تعرفوا أن خير أو خراب الرعايا من تدبير مثل هذا . وكذلك حضرة سر عسكر "منوا" قبل ما يتوجه إلى السفر بمدة ، كان أمر بمسيح الديار المصرية ، وكان توكل لذلك مدبرين ، ونحن من جملتهم ، والمدبرين المذكورين ، كانوا بدأوا فى تمام هذا الأمر ، الذى هو كنز لكامل الناس ، لكن كل ذلك لم كان يكفى له ، وكان صعبان عليه من أمور الفلت الذى يقع من العربان الذى حواليكم

١- ما بين القوسين غير موجود فى النسخة (أ) وأثبتناه من بقية النسخ .

وأيضاً من الخوف الذى عندكم بسببهم ، وكان في عقله أن يزيلهم من على الأرض لأجل راحة الفلاحين ، ولأجل تمام الخير والصلاح . وكذلك مراده يا مشايخ ويا علما أن مراده يسفر فى هذه السنة الحج الشريف ، ويفتح زيارة طنطة ، لأجل حفظ مقام السيد أحمد البدوى . ويظهر جميع ما تشهدوه ، وكامل ما تمشوا فيه ، من اللازم أنكم تعرفوا [ص٣٥٣] جميع ما صدر لكم من الخيرات بواسطة حكم الفرنساوية ، هذا ورعاية الديار المصرية جربوه بعض منه ، وفى عشمى أنهم لن ينسوه أبداً ، صحيح أن حكم الفرنساوية حقق الكل ، والذى يعجب الأكثر إلى الرعاية بسبب ذلك ذات الفرنساوية قبلوا فيه لأجل منع الظلم والتعب الذى كانوا فيه ، والقرانات فى بلاد الغرب خافوا أن رعايتهم يقبلوا الحكم المذكور ، وبسبب ذلك ارتبطوا مع بعضهم لأجل ما يمنعوه منا ، لكن كل جهاتهم صارت بطاله ، وقد حاربونا حراباً شديدة مدة عشر سنين متوالية وفى جميع المطارح وقعت لهم الهزيمة ، وحكمنا قد بقى محله ، كذلك هو الباقى أبداً دايماً ، فلم يحتاج أننا نعرفكم فى الذى تعرفوه ، ويكفينا الآن أننا نحقق لكم من عند حضرة القنصل الأول فى الجمهور الفرنساوى بونابارتة ، ومن عند حضرة سر عسكر منوا المحبة والشفقة الصادقة الذى واقعة من الفرنساوية إلى الرعايا المصرية ، وهذه المحبة والعشم لم ينقطع أبداً بسبب سفر جانب من الجيش ، وهلبت (١) أن يصادف يوم أننا نرجع إلى عندكم لأجل تمام الخير الذى يصدر من الفرنساوى ، والذى لم أمكننا تتميمه ، فلم تتوهوا يا مشايخ ويا علما ، لأن فراقنا لم يقع إلا عن مدة ، وذلك محقق عندى . ولابد أن دولتنا يربطوا ثانياً فى مدة قريبة المحبة القديمة التى كانت بينهم . وهلبت أن دولة [ص ٣٥٤] العثملية لما تسير على الحرف الخالى

١- كلمة "هلبت " هى كلمة عامية تعنى لابد .

الذى عمل لهم الإنكليز ، يروا أن الفرنساوية فى طلبة الديار المصرية لم له إلا يربط بزيادة المحبة صحبتهم ، لأجل كسر نفس وطيش الإنكليز ، الذى مراده نهب جميع البحور ومتاجر الدنيا " انتهى ، وهو من تعريب " أبو ديف " وإنشا "استوف" بالفرنساوى . ولما فرغ من قرايته ، قيل له : إن الأمر لله والملك له ، وهو الذى يمكن منه من يشاء . وانفض الديوان ، وركب المشايخ للسلام على حضرة الصدر الأعظم والقادمين ، فخرجوا من طريق بولاق ، فسلموا وباتوا تلك الليلة بعرضى همايون .

وفى ثانى يوم [(١)] عدوا إلى البر الغربى ، وسلموا على حضرة حسين [(٢)] قبطان باشا ، ورجعوا إلى منازلهم .

وفيه ، أرسل إبراهيم بيك أماناً لأكابر القبط ، فخرجوا أيضاً ، وسلموا ورجعوا إلى دورهم . وأما يعقوب اللعين فإنه خرج بمتاعه وعازقه [(٣)] وعدى إلى الروضة ، وكذلك جمع إليه عسكر القبط ، وهرب الكثير منهم واختفى ، واجتمعت نسائهم وأهلهم ، وذهبوا إلى قايمقام ، وبكوا وولولوا وترجوه فى إبقايهم عند عيالهم وأولادهم ، فإنهم فقرا وأصحاب صنايع ، ما بين صناع [(٤)] ونجار وبنا وغير ذلك ، فوعدهم أنه يرسل إلى يعقوب أنه لا يقهر منهم من لا يريد الذهاب والسفر معه .

وفيه [ذهب بليار قايمقام وصحبته ثلاثة أنفار من عظما الفرنسيس إلى

١- يوم الثلاثاء ٢٥ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٧ يوليو ١٨٠١ م وهو تاريخ اليومية التالية أيضاً
٢- " حسين " غير موجودة فى (أ) فاثبتناها من بقية النسخ .
٣- كلمة "اللعين " حذفها الجبرتى من عجائب الآثار . وكلمة "عازقة " تعنى متاعه وفراشه .
٤- كلمة " صناع " غير موجودة فى النسخة (ب) فاثبتناها من بقية النسخ .

عرضى همايون] (١) [ص ٣٥٥] وقابلوا حضرة الصدر الأعظم ، فأخلع عليهم وكساهم ، ورجعوا .

وفى يوم الأربعا تاسع عشره (٢) خرج المسافرون مع الفرنساوية إلى الروضة والجيزة بمتاعهم وحريمهم ، وهم جماعة كثيرة من القبط وتجار الإفرنج والتراجمين ، وبعض مسلمين ممن تداخل معهم في المظالم ، وخشى على نفسه ، ومن ترأس في أيامهم من نصارى الشوام والأروام ، مثل يوسف الحموى وينى وبرطملين ، وعبد العال الأغا أيضاً طلق زوجته ، وصنع له برنيطة وطرزها بالمخيش، وخرج إلى الروضة ، بعدما باع متاعه وفراشه ، وما ثقل عليه حمله من طقم وسلاح وغيره ، فكان يرسل خلف الذى باعه شيئاً من ذلك ، ويلزمه بإحضار ثمنه قهراً ، ولم يصحب معه إلا ما خف حمله ، وغلا ثمنه .

وفيه (٣) حضر وكيل الديوان إلى الديوان (٤) وأحضر جماعة من التجار ، وباع لهم فرش المجلس بستة وثلاثين ألف نصف فضة ، على ذمة السيد أحمد الزرو .

وفى ذلك اليوم أيضاً ، فتحوا باب الجامع الأزهر ، وشرعوا فى كنسه وتنظيفه .

١- ما بين القوسين غير موجود فى النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .

٢- تبدو هذه اليومية فى غير موضعها إذا صح التاريخ ، ولكن يبدو أن التاريخ قد دون خطأ فى مظهر التقديس ، وكذلك عجائب الآثار ، والصواب يوم الأربعاء سادس عشرين صفر الموافق ٨ يوليو ١٨٠١م ويؤكد ذلك قراءة اليوميات التالية التى شهدت فى هذا اليوم رحيل الفرنسيين وبيع فرش الديوان وكذلك فتح الجامع الأزهر وغير ذلك .

٣- أى فى يوم الأربعاء سادس عشرين صفر ، وهو تاريخ اليوميتين التاليتين أيضاً .

٤- كلمة " الديوان " غير موجودة فى النسخة (ب) لذلك أثبتناها من بقية النسخ .

وأشيع فى ذلك اليوم ، ارتحال الفرنساوية ونزولهم من القلاع ، وتسليمهم الحصون من الغد وقت الزوال .

فلما أصبح الخميس (١) ومضى وقت الزوال ، لم يحصل ذلك ، فاختلفت الروايات ، فمن الناس من يقول ينزلون يوم الجمعة ، ومنهم من يقول أنهم أخذوا مهلة ليوم الاثنين ، وبات الناس على ذلك .

فلما كان آخر الليل ، [ص ٣٥٦] وإذا الناس يسمعون لغط العساكر العثمانية وكلامهم ، ووطئ نعالاتهم ، فنظروا فإذا الفرنساوية قد خرجوا ليلاً بأجمعهم ، وأخلوا القلعة الكبيرة ، وباقى القلاع والحصون والمتاريس ، وذهبوا إلى الروضة والجيزة وقصر العينى ، ولم يبق منهم شبح يلوح بالمدينة وبولاق ومصر العتيقة والأزبكية ، ففرح الناس وهنى بعضهم بعضاً ، وأظهروا الفرح والسرور بدخول المسلمين وخروج الكافرين ، وصاروا يتلقونهم (٢) ويسلمون عليهم ويباركون لقدومهم ، والنساء يلقلقن بألسنتهن عند رؤيتهم في الأسواق ، ومن الطيقان . وقام فى الناس جلبة وصياح ، وتجمع الصغار والأطفال كعادتهم ، ورفعوا أصواتهم بقولهم : " نصر الله السلطان " ونحو ذلك ، وهؤلاء الداخلون دخلوا من نقب الغريب المنقوب فى السور ، وتسلقوا أيضاً من ناحية العطوف والقرافة . وأما باب النصر والعدوى فهى على حالها مغلوقة ، لم يأذنوا بفتحها

١- يوم الخميس ٢٧ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٩ يوليو ١٨٠١م .

٢- يصف الجبرتى موقف الناس من دخول العثمانيين فى عجائب الآثار فيقول "ففرح الناس كعادتهم بالقادمين ، وظنوا فيهم الخير ، وصاروا يتلقونهم " وعلى هذا فإن الناس والجبرتى معهم كانوا مخدوعين بمجئ العثمانيين وظنوا فيهم الخير ، فلما عاين ما فعلوه بعد الفتح غير رأيه فى عجائب الآثار .

خوفاً من تزاحم دخول العساكر المدينة دفعة واحدة ، فيقع فيهم ومنهم الفشل والضرر بالناس . وباب الفتوح مسدود بالبنا .

فلما تضحى النهار (١) حضر "قبى قول" وفتح باب النصر والعدوى ، وأجلس بهما جماعة من الإنكشارية ، ودخل الكثير من العساكر مشاة وركباناً ، أجناساً مختلفة ، ودخلت بلوكات (٢) الإنكشارية ، وطافوا بالأسواق ، ووضعوا نشاناتهم ورنكهم على القهاوى [ص٣٥٧] والحوانيت ، وعند ذلك كثر الخبز واللحم والسمن والسيرج بالأسواق ، وكذلك الغلال ، وانحلت الأسعار ، وكثرت الفاكهة مثل العنب والخوخ والبرقوق والبطيخ ، وتعاطى بيع غالبها الأتراك والأرناؤط ، وكذلك كثر وجود اليميش من البندق واللوز والجوز والزبيب والتين والزيتون الرومى .

فلما كان قبيل صلاة الجمعة ، وإذا بجاويشية وعساكر وأغوات ، وتلى ذلك حضرة الصدر الأعظم ، فشق من وسط المدينة ، وتوجه إلى المسجد الحسينى ، فصلى به الجمعة ، وزار المشهد . ودعاه حضرة الشيخ السادات إلى داره المجاورة للمشهد ، فأجابه ودخل معه وجلس ساعة ، ثم توجه إلى الجامع الأزهر ، فطاف بمقصورته وأروقته ، وجلس ساعة لطيفة ، وأنعم على الكناسين والخدمة بدراهم ، وكذلك خدمة المسجد الحسينى . ثم ركب إلى وطاقة بناحية الحلى بشاطئ النيل ، وعملوا فى ذلك الوقت شنك ، وضربوا مدافع كثيرة من العرضى والقلعة ، ودخل قلقات الانكشارية ، وجلسوا بروؤس العطف والحارات ، وكل طايفة

١- دخل العثمانيون القاهرة فى ليلة الجمعة ودخل بعضهم فى ضحى يوم الجمعة ٢٨ صفر ١٢١٦هـ الموافق ١٠ يوليو ١٨٠١م .

٢- كلمة " بلوكات " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

عندها بيرق ، ونادوا بالأمان والبيع والشرا ، وكان ذلك اليوم يوم تهنية وسرور ، وزوال هم وشرور [1] وانحاز الفرنساوية إلى جهة قصر العينى والروضة والجيزة ، إلى حد قلعة الناصرية وفم الخليج ، وعليها بنديراتهم .

وفى يوم السبت [2] دخل القبى قول ، وهو المسمى عند المصريين كتخدا [ص٣٥٨] الإنكشارية ، وشق المدينة .

شهر ربيع الأول ١٢١٦هـ

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الأحد [3] فيه ركب أغاة الإنكشارية الكبير العثمانى ، وشق المدينة ، وخلفه سليم أغا المصرى ، ودخل الكثير من العساكر والأجناد المصرية ، بمتاعهم وعازقهم وأحمالهم ، وطلبوا البيوت وسكنوها . ودخل محمد باشا ، المرشح لولاية مصر ، وسكن ببيت الهياتم ، بالقرب من مشهد الحنفى ، وأرسل إلى المشايخ وكبار الحارات ، وطلب منهم التعريف عن البيوت الخالية بالأخطاط .

وفى يوم الثلاثا ثالثه [4] حضر جناب حسين باشا القبطان من الجيزة ،

١- غير الجبرتى رأيه فى عجائب الآثار حيث يرى أن العثمانيين لا يقلوا شراً عن الفرنسيين فيقول " وفى مدة إقامة المشار إليه [يقصد الصدر الأعظم] بساحل الحلى ببولاق خرب عساكره ما قرب منهم من الأبنية والسواقى والمتريز الذى صنعه الفرنساوية من باب الحديد إلى البحر ، وأخذوا ما بذلك من الأفلاق الكثيرة المتهدمة والأخشاب المنجرة المرصوصة فوق المتريز وتحته وفى الخندق فخربوا ذلك فى هذه المدة القليلة ، وذلك لأجل وقود النار والمطابخ .

٢- يوم السبت ٢٩ صفر ١٢١٦هـ الموافق ١١ يوليو ١٨٠١م .

٣- يوم الأحد غرة ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ١٢ يوليو ١٨٠١ م .

٤- يوم الثلاثاء ٣ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ١٤ يوليو ١٨٠١م .

ودخل المدينة وتوجه إلى المشهد الحسيني ، فزاره وذبح به خمس جواميس وسبع كباش ، واقتسمها خدمة الضريح ، وحلّق تاج المقام بأربع شالات كشميرى ، وفرق عليهم وعلى الفقرا نحو ألفين محبوب ذهب إسلامبولى . وامتدحه صاحبنا العلامة، أحد أدباء مصر وفضلايها في العلوم الأدبية ، الشيخ على الشرنقاشى بقصيدة مطلعها :

بـدر المسـرة بالمعـالى آمنـاً   والوقت من بعد المخـاوف آمنـاً

وهى طويلة يقول فى بيت التاريخ (١) منها :

والصحب ما نادى السرور مؤرخاً   "صدر الكمال حسين شرف الهنا"

وقدمها إليه وهو جالس للزيارة ، فأخذ نصيباً من الذهب الذى أعطى للخدمة وقاسمهم . ثم عاد المذكور إلى مخيمه بالجيزة .

وفى [ص ٣٥٩] يوم الأربعا رابعه (٢) ارتحل الفرنساوية وأخلوا قصر العينى والروضة والجيزة ، وانحدروا إلى بحرى الوراريق ، وارتحل معهم قبطان باشا ومعظم الإنكليز ، ونحو الخمسة آلاف من عسكر الأرناؤط ، ومن الأمرا المصرلية : عثمان بيك الأشقر ، ومراد بيك الصغير ، وأحمد بيك الكيلارجى (٣) وأحمد بيك حسن . فكانت مدة الفرنساوية وتحكمهم بالديار المصرية ثلاث سنوات وإحدى وعشرين يوماً . فإنهم ملكوا بر انبابة والجيزة وكسروا الأمرا المصرية يوم

١- بيت التاريخ هو البيت الذى يحدد تاريخ كتابة القصيدة ويكون ذلك بحساب الجمل وعادة يكون آخر بيت فى القصيدة .

٢- يوم الأربعاء ٤ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ١٥ يوليو ١٨٠١م .

٣- الكيلارجى : بمعنى رئيس الكيلار ، والكيلار فى التركية بمعنى مخزن المؤونة ، ويطلق على من يتولى مخزن المؤونة فى الأندرون السلطانى .راجع د/ حسين مجيب المصرى ، مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

السبت سابع شهر صفر من سنة ثلاث عشرة وماتين وألف ، وكان انتقالهم ونزولهم من القلاع ، وخلو المدينة منهم ، وانخلاعهم عن التصرف والتحكم . ليلة الجمعة الحادى والعشرين من شهر صفر سنة ستة عشر وماتين وألف (١) فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتحول سلطانه .

وفى ذلك اليوم حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف ، وصحبته الخواجا السيد أحمد المحروقى شاه بندر التجار بمصر ، وعليهما خلعتان سمور ، وتوجها إلى دورهما .

وفيه (٢) نبهوا على موكب حضرة الصدر الأعظم من الغد .

فلما أصبح يوم الخميس خامسه (٣) اجتمع الناس من جميع الطوايف وساير الأجناس وهرع الناس للفرجة ، وخرجت البنت من خدرها ، واكتروا الدور المطلة على الشارع بأعلى الأثمان ، وجلس الناس على السقايف والحوانيت صفوفاً ، وانجر الموكب من أول [ص ٣٦٠] النهار إلى قريب الظهر ، ودخل من باب النصر ، وشق من وسط المدينة ، وأمامه العساكر[المختلفة من الأرناؤط،

١- المؤلف يتحدث عن مدة تحكم الفرنسيين فى القاهرة فقط ، وتبدأ من يوم السبت ٧ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢١ يوليو ١٧٩٨م ، وتنتهى بيوم الجمعة ٢١ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٣ يوليو ١٨٠١م ، وهذه المدة هى ٣ سنوات و١٤ يوماً وليس ٢١ يوماً كما يذكر الجبرتى وذلك بحساب السنة الهجرية ، أما بحساب السنة الميلادية فهذه المدة هى ٣سنوات إلا ١٨ يوماً وأما مدة بقاءهم في مصر من يوم نزولهم الأسكندرية فى يوم الثلاثاء ١٩ المحرم ١٢١٣هـ الموافق ٣ يوليو ١٧٩٨م وحتى استسلام مينو فى يوم السبت ٢٠ ربيع الأخر ١٢١٦هـ الموافق ٣١ أغسطس ١٨٠١م فهى ٣ سنوات هجرية و٣ شهور ويوماً واحداً ، أو ثلاث سنوات ميلادية وشهر واحداً و٢٨ يوماً .

٢- أى فى يوم الأربعاء ربيع الأول ١٢١٦هـ .

٣- يوم الخميس ٥ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ١٦ يوليو ١٨٠١م .

وأُرْط الإنكشارية ، والعساكر] (١) الشامية ، والأمرا المصرلية ، والمغاربة والفليونجية ،، والباشاوات الأجطخلية ، والكتبة ورؤسا الكتاب ، وأرباب الدولة (٢) والأغوات الكبار ، بالطبول والنقرزانات (٣) وكذلك قاضي العساكر المنصورة ، والعلما المصرية ، ومشايخ التكايا والداروويش . وأقبل حضرة الصدر الأعظم ، وأمامه الملازمون بالبراقع ، والجاويشية والسعاة والجوخدارية ، ويبدرون الدراهم عن اليمين والشمال ، على المتفرجين من الرجال والنساء . وخلفه أيضاً العدة الوافرة من أكابر أتباعه ، وبعدهم الكثير من عسكر الأرناؤط ، وموكب الخازندار ، وخلفه النوبة التركية المختصة به ، ثم المدافع وعربات الجبخانة . وعملوا وقت الموكب شنك ضربوا فيه مدافع كثيرة .

وكان ذلك اليوم يوماً عظيماً (٤) مشهوداً ، وموسماً وبهجة وعيداً ، عمَّت المسلمين فيه المسرات ، ونزلت في قلوب الكافرين الحسرات ، وزفت البشاير ، وقرَّت النواظر ، وأوقدت المنارات ، سبع ليل متواليات ، فلله الحمد والمنة ، على هذه النعمة ، ونرجو من فضله أن يصلح منا فساد القلوب ، ويوفق أولى الأمر للخير والعدل المرغوب والمطلوب ، ويلهمهم سلوك سواء السبيل القويم ، ويهديهم [ص ٣٦١] الصراط المستقيم .

١- ما بين القوسين غير موجود في النسخة (ب) فأثبتناه من النسخة (أ) ، (جـ) .
٢- في النسخة (ب) " أرباب الديوان " .
٣- النقرزان : نوع كبير من الطبول ، وفي النسخة (ب) " بالطبول والزمور " ولكن الصواب ما أثبتناه .
٤- كلمة "عظيما " غير موجودة في النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .

قال صاحبنا المشار إليه : (١) وقدم بصحبة عرضى همايون ، شموس الدولة عثمانية الطالعة أنوارها فى سماء الأفاق ، ورؤس رجالها الذين هم خلاصة عالم في العقل والتدبير والسياسة باتفاق .

"شعر "

كل صدر إذا تصدر يوماً شهدت كل أمة بعلاه

فأولهم واسطة عقدهم ، وسما مجدهم ، ومرجع نواهيهم وأوامرهم ، وقطب مواردهم ومصادرهم ، غرة الزمان ، بهجة الأوان ، المتزينة بوجوده حلل الأيام ، لمغترفة من بحر جوده جميع الأنام ، مولانا الصدر الأعظم ، والملاذ الأفخم ، وزير الكبير ، والبدر المنير ، والروض النضير ، والعلم الشهير ، المحلاة باسمه ديباجة الكتاب ، جعله حيثما توجه مظفراً غلاب . ثم لسدته أهدى هذه القصيدة ، شكراً لمواهبه وفضايله العتيدة (٢)

– هذه اليومية كاملة محذوفة من عجائب الآثار حيث احتوت نثراً وشعر للمؤلف وصاحبه الشيخ حسن العطار فى مدح الوزير ورجالات الدولة العثمانية ، وقد اكتفى الجبرتى فى عجائب الآثار بذكر اسمائهم مجردة ، وحذف بذلك ٤ صفحات من المدح دونها هنا .

٢– الكلام هنا للمؤلف وليس للشيخ حسن العطار الذى انتهى كلامه ببيت الشعر السابق ، والقصيدة التالية لمؤرخنا الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ، وقد وعدنا بها عندما علق على قصيدة السيد على الصيرفى التى مدح فيها أحمد باشا الجزار بعد فشل بونابرت فى فتح عكا . وهذه القصيدة من بحر الخفيف وعلى وزن قصيدة الصيرفى رغبة من الجبرتى فى إظهار " الفرق بين أرباب الألباب " والحق أن الفارق بين القصيدتين شاسع ، فلا نجد فى قصيدة الجبرتى تلك الأخطاء التى أخذها على الصيرفى والتى علقنا عليها فيما سبق كما أن قصيدة الجبرتى تبدو متسقة متزنة جيدة البناء مضبوطة القافية سليمة اللغة باستثناء قليل من الكلمات التى غلب عليها الأسلوب العامى .

إنما العز فى متون الجياد مع بيض الظبا وسمر الصعادِ (١)

واصطدام النوى بصارم عزم واقتحام الهيجا وقت اشتدادِ

وعلى قدر همة المرء يرقى فى المعالى وينثنى بالمرادِ

خلق الله للحروب رجالاً (٢) ورجالاً لمكتب ومدادِ

وإذا ما هما أضيفا لشخص (٣) فهو ذاك الفريد فى الأمجادِ

وصعاب الأمور إن حلها العضـ ـل وجاشت منها نفوس العبادِ

فلها من سما العزايم بدر يمح عن وجهها شنيع السوادِ

وصياصى الحصون يشتاقها السيف (٤) لهذا يئن فى الأغمادِ

والليالى على الحوادث تطوى ثم تبدو منها على التعدادِ

وإذا أدرك اللبيب قصارى كل خطب يهون باستعدادِ [ص٣٦٢]

أين للمرء لو أراد مفر وسهام الخطوب بالمرصادِ

وقصارى أمر الأنام ممات بعد عيش يشاب بالأنكادِ

لا رعى الله ما مضى من زمان فيه سادت أسافل الأوغادِ

واستبدت بملك مصر الفرنسيـ ـس وعاشوا فيها بكل فسادِ

حل فيها منهم شياطين أنس هم بقايا الهلاك من قوم عادِ

١- متون الجياد أى ظهور الخيل ، والظبا جمع ظبة وهى السيف ، والصعاد جمع صعيدة وهى الرمح .

٢- فى النسخة (ب) "خلق الله للرجال حروباً " وما أثبتناه من النسخ الأخرى هو الصواب ، ولكن محققى وزارة التربية والتعليم وقعوا فى هذا الخطأ لأنهم لم يقارنوا النص ببقية النسخ .

٣- المقصود بهما الصفة العسكرية والصفة الأدبية التى أشار إليها فى البيت السابق

٤- كلمة "السيف " فى النسخة (أ) جاء فى الشطر الأول من البيت ، وفى النسخة (ب) فى الشطر الثانى ، والصواب أنهما فى الشطر الأول ما عدا حرف "الفاء" فى الشطر الثانى وذلك لاستقامة تفعيلة البحر الذى يسير عليه المؤلف وهو بحر الخفيف

شوهوا حسنها بأسود كفر ... حين جاءوا بجيش كالجرادِ

واستباحوا الأموال والدم والعرض[1] ... وجاءوا بالخسر والإلحادِ

ثم زالوا عنها سريعاً وبادوا ... وعليهم خزى المخاوف بادى

بقدوم الوزير دام علاه ... مقدم الغيث حل محل البلادِ

فاكتست مصر بهجة وسناء[2] ... وأماطت عنها ثياب الحدادِ

وأعيدت لها معالم أنس ... هى فى الدهر مطلب المرتادِ

أيد الله نصره وحباه ... كل ما يبتغيه بالإسعادِ

فهو غيث فيه نعيم وبؤس ... ينتحى فيها سبيل الرشادِ

وملاذ فى كل خطب مريع ... وعماد للدين أى عمادِ !

أرهب الكفر جيشه فلهذا ... جنحوا للوفاق خوف العنادِ

وتراضوا بما قضاه عليهم ... من شنيع الإصدار والإيرادِ

وتجلى عن مصر منهم سحاب ... ممطر للعذاب فى كل وادِ

أصبحوا بين هالك وجريح ... وأسير وشارد ومفادى

نعمة للإله حلت علينا ... فتورح يعزى لهذا الجوادِ[3]

قاد جيشاً هم الأسود ولكن ... فضلوا بالعقول عن آسادِ

وسرى والنصر المبين إمام ... يسبق الرعب فى قلوب الأعادى

مخلص للإله فى بيع نفس ... يبتغى الأجر فى نفيس الجهادِ

فوقاه الإله كل خوف ... وحباه بلوغ كل مرادِ

١- كلمة "العرض" جاءت فى الشطر الثانى من البيت ، والصواب أن الألف واللام منها توضع فى الشطر الأول وباقى الكلمة فى الشطر الثانى .

٢- فى النسخة (ب) "ونساء" وهو خطأ من الناسخ .

٣- الصواب " بفتورح تعزى " أى تنسب ، وهو هنا ينسب نعمة الفتح للوزير .

ومنهم المولى المخدوم بعزايم الدهر ، المقترنة طلعته الغرا بسواطع الظفر والنصر ، المحفوف بالعنايات الربانية ، الملاحظ بالرعايات الصمدانية ، الوزير المعظم ، والكبير المفخم ، [ص ٣٦٣] إبراهيم باشا والى حلب ، حباه الله من الأماني ما طلب وأحب .

ومنهم البدر الراقى فى سما الرياسة ، والنجم الذى يُهتدى به لمعالم السياسة ، نتيجة قياس المعالى ، دوحة المجد التى تفتخر به الأيام والليالى ، حضرة إبراهيم باشا شيخ أوغلى ، لازال ثغر الزمان باسماً بوجوده ، وسواجع الشكر مطوقة (١) بإحسانه وجوده .

ومنهم الليث المقدام ، والشجاع الصمصام (٢) الطالعة سيوفه فى ديجور الحروب مطالع النجوم ، هازم جيوش شياطين الكفر حين جُعلت لها شهب نجوم بنادقة رجوم (٣) حضرة طاهر باشا أعلى الله مقامه سرمداً ، وأكمد به نفوس العدا .

ومنهم قطب راحات الحروب إذا دارت ، ومفرج كروب الهيجا إذا أبطالها دهشت وحارت ، صاحب السيف والقلم ، معدن الفضل والحكم ، حضرة السيد محمد باشا والى القدس الشريف وغزة بل ومصر المحروسة (٤) لا زالت مراتب السيادة بطلعته مأنوسة ، وبلغه الله أمانيه ، وشكر فى الدارين مساعيه .

١- فى النسخة (ب) "مطلوقة " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .
٢- قيل أن النعمان بن المنذر كان له سيفاً يدعى "الصمصام" ، ثم أصبحت الكلمة بعد ذلك اسماً من أسماء السيف كالمهند والحسام ، وغير ذلك .
٣- يقصد أن نيران البنادق كانت رجوماً لشياطين الكفر أى الفرنسيين .
٤- فى عجائب الآثار يدعوه الجبرتى "محمد باشا أبو مرق " .

ومنهم الجليل المهاب ، النبيل الذى هو فى جميع أفعاله مثاب ، جامع محاسن الكتاب ، قطب رؤسا الحساب ، وهو الملاذ الأفخم ، والسابق فى حلبة الفضل المقدم ، حضرة خليل أفندى الرجائى دفتردار الدولة ، أدام الله له الوجاهة والصولة ، وحقق رجاه ، وبلغه مناه .

ومنهم تاج أرباب الفضايل ، عماد مجد الأكابر والأماثل ، فريد [ص ٣٦٤] العلا ، مؤمل الملا ، الصدر الرئيس ، واسطة عقد الفخار النفيس ، محمود افندى رئيس الكتاب ، أفاض الله عليه الحكمة وفصل الخطاب ، ولا زال مصدراً لكل فضيلة ، حاوياً من الشرف قليلة وجليله .

ومنهم رب السيادة والسعادة ، صاحب الآراء والأفهام المستجادة ، حضرة شريف أغا نزلة أمينى أحسن الله أفعاله ، وسدد بالصواب أقواله .

ومنهم بهجة الصدور ، الآخذ من العلوم والمعارف بحظ موفور ، المنفرد بالأخلاق الجميلة والسعى المشكور ، حضرة محمد أغا جبجى باشا الشهير بتوسون ، وقاه الله ريب المنون . وغير هؤلاء الكثير من الأكابر والأعيان ، ورؤسا الديوان ، وحكام الوجاقات ، وأمرا ألوف البلوكات (١) مثل أغاة الإنكشارية ، وقبى قول وأكابر الأرناؤطية ، وأمرا التفكجية والدلاتية والجوربجية ، وباقى أرباب المناصب والعساكر الإسلامية . ووقع الاختيار بأن يكون الباب الأكرم ، وسكن الصدر الأعظم بحارة عابدين ، وكذلك أفردت أماكن لسكن الوزرا(٢) والأعيان تليق بهم ، ومساكن لأمرايهم وأتباعهم بالقرب منهم ، فى جهات مختلفة .

١- فى النسخة (ب) " البلكان " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ ، والبلوك لفظ تركى أصله " بولوك " ومعناه القطعة والقسم ومن الناس طائفة والزمرة ، ثم خص فى الجيش بعدد معروف فهو من الرجالة ١٠٠جند ويرأسه يوزباشى وبلوك الفرسان أقل عدداً ، راجع أحمد تيمور : الرتب والألقاب ، مرجع سابق ص ٤٨ .

٢- فى النسخة (ب) " الوزارى " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

وفى يوم الأحد (١) سافر هجان إلى جهة الحجاز ، وصحبته فرمان بخبر الفتح والنصر ، وارتحال الفرنسيس وجلاهم من أرض مصر ، ومكاتبات من التجار لشركايهم بإرسال البن والبضايع والمتاجر إلى مصر . [ص ٣٦٥]

وفيه ، نودى بعدم التعرض بالإيذاء لنصرانى أو يهودى ، سوا كان قبطياً أو رومياً أو شامياً ، فإنهم رعايا السلطان ، والماضى لا يعاد . والعجب أن بعض نصارى الأروام الذين كانوا بعسكر الفرنسيس ، تزيوا بزى العثمانية ، وتسلحوا بالأسلحة واليطقانات (٢) ودخلوا فيهم ، وشمخوا بأنافهم ، وتعرضوا بالإيذاء للمسلمين فى الطرقات ، بالضرب والسب باللغة التركية ، ويقولون فى ضمن سبهم المسلم :" فرنسيس كافر " ولا يميزهم إلا الفطن الحاذق ، أو يكون له بهم معرفة سابقة .

وفى يوم الاثنين (٣) قتل شخصان بالرميلة ، وهما حجاج وأخوه ، كانا متوليين الأحكام ببولاق أيام الفرنسيس ، ووقع منهما جور وظلم وعسف ، وكثر التشكى منهما فقتلا .

وفيه ، ركب حضرة الصدر الأعظم (٤) ، بثياب التخفيف ، وشق المدينة ،

١- يوم الأحد ٨ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ١٩ يوليو ١٨٠١م . وقبل هذه اليومية هناك يومية محذوفة من مظهر التقديس ، دونها الجبرتى فى عجائب الآثار بتاريخ يوم الثلاثاء ٣ ربيع الأول و الجمعة ٦ ربيع الأول ، وهى تدين العسكر بسوء معاملة الأهالى بالإضافة إلى يوميات أخرى متنوعة .

٢- الياطقان : من أنواع السيوف التى استخدمت فى تركيا العثمانية وفى البلدان الأوربية التى خضعت للعثمانيين فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، كما استخدم فى الهند فى تاريخ معاصر تقريباً . د/ حسين عليوه : الأسلحة الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٦ - ٨

٣- الاثنين ٩ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ٢٠ يوليو ١٨٠١م .

٤- كلمة " الأعظم " غير موجودة فى النسخة (ب) فاثبتناها من بقية النسخ .

يتأمل فى الأسواق ، وأمر بمنع العسكر من الجلوس على حوانيت الباعة وأرباب الصنايع ، ومشاركتهم فى أرزاقهم . ثم توجه إلى المشهد الحسينى ، فزارة ، ثم عبر إلى دار [1] السيد أحمد المحروقى التاجر ، فزاره وشرفه ثم كرّ راجعاً لبيته [2]

وفى يوم الثلاثا [3] حضر قاصد من الباب الأعلى ، وعلى يده شالات شريفة لحضرة الصدر الأعظم ، وهدية وجواب عن حلول ركابه بلبيس .

وفيه ، نودى بتزيين الأسواق من الغد تعظيماً ليوم المولد النبوى الشريف .

فلما أصبح يوم الأربعا [4] كررت المناداة والأمر بالكنس والرش ، فحصل الاعتنا ، وبذل الناس جهدهم ، وزينوا [ص ٣٦٦] حوانيتهم بالشقق الحرير والزردخانات [5] والتفاصيل الهندية . وركب حضرة المشار إليه عصر ذلك اليوم وشق المدينة ، وشاهد الشوارع .

وعند المسا ، أوقدوا المصابيح والشموع ومنارات المساجد ، وحصل الجمع بتكية الكلشنى [6] على العادة ، وتردد الناس ليلاً للفرجة ، وعملوا مغانى ومزامير

١- فى النسخة (ب) "ثم دخل لدار " والأصوب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٢- فى عجائب الآثار يضيف الجبرتى على هذه اليومية ما نصه " وشرفه بدخوله إليه فجلس ساعة ثم ركب وأعطى أتباعه عشرين ديناراً ، وذكر له أنه إنما قصد بحضوره إليه تشريفة وتشريف أقرانه ، وتكون له منقبة وذلك على ممر الأزمان . وأما العسكر فلم يمتثلوا ذلك الأمر إلا أياماً قليلة ، ووقع بسبب ذلك شكاوى ومشاكلات ومرافعات عند العظماء " .

٣- يوم الثلاثاء ١٠ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ٢١ يوليو ١٨٠١م .

٤- يوم الأربعاء ١١ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ٢٢ يوليو ١٨٠١م .

٥- فى النسخة (ب) "الزرخان " وهو قماش ذو ألوان متداخلة ومتموجة .

٦- فى النسخة (ب) " الشكلنى" والصواب "الكلشنى" أو الجلشنى ، وهى تكية بجوار جامع المؤيد بباب الخلق أنشأها الشيخ إبراهيم الجلشنى سنة ١٤٨٥م . راجع على مبارك . مصدر سابق .

وقراءة قرآن ، وضجت الصغار فى الأسواق ، وعم ذلك ساير أخطاط المدينة العامرة ، ومصر وبولاق ، وكان من المعتاد القديم أن لا يعتنى بذلك إلا بجهة الأزبكية - حيث سكن الشيخ البكرى ، لأن عمل المولد من وظايفه - وبولاق فقط .

وفى يوم الخميس ثانى عشره (١) سافر سليمان أغا تابع صالح بيك ، وصحبته عدة هجانة ، إلى ناحية الشام ، لإحضار المحمل الشريف وحريمات الأمرا إلى مصر (٢)

وفى يوم الجمعة (٣) ركب المشار إليه ، وحضر إلى الجامع الأزهر ، فصلى به الجمعة ، وأخلع على الخطيب فراجية .

وفى سادس عشرينه (٤) حضر عثمان بيك البرديسى ، وصحبته عدة من عسكر الإنكليز الذين حضروا من ناحية القلزم على القصير ، فانحازوا مع أصحابهم بالجيزة ، وهم على أشكال مختلفة ، وفيهم كثير من الحبوش والهنود المختلفة الأديان والملابس والصور والأوضاع ، حتى أن فيهم فرقة تركب الثيران .

وفيه ، أخلع على محمد أغا تابع قاسم بيك موسقوا ، وتقلد والى [ص٣٦٧] مصر عوضاً عن على أغا الشعراوى .

١- يوم الخميس ١٢ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ٢٣ يوليو ١٨٠١ م .
٢- فى عجائب الآثار توجد ثلاث يوميات خاصة بيوم الخميس ١٢ ربيع الأول لم يدون منها الجبرتى سوى هذه اليومية فى مظهر التقديس ، وحذف اثنتان إحداهما خاصة بمزاد المكوس والاعشار والأخرى خاصة بقضية مملوك الشيخ البكرى .
٣- يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ٢٤ يوليو ١٨٠١م .
٤- يوم الخميس ٢٦ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ٦ أغسطس ١٨٠١م وهذه اليومية غير موجودة فى عجائب الآثار ، بينما هناك ثلاث يوميات دونها الجبرتى فى عجائب الآثار وهى غير موجودة فى مظهر التقديس ، وهى خاصة بمظالم العثمانيين ونهبهم الأموال والمتاع ، وإحداهن خاصة باحتراق جامع قايتباى .

وفى يوم السبت ثامن عشرينه (١) الموافق لثالث مسرى القبطى ، كان وفا النيل المبارك ، وركب محمد باشا والى القدس وغزة ، فى صبيح يوم الأحد إلى قنطرة السد ، وفتح الخليج بحضرته ، وفرق العوايد وأخلع الخلع ، ونثر الذهب والفضة ، وذلك من قراين ولايته مصر (٢)

شهر ربيع الثانى ١٢١٦هـ

واستهل شهر ربيع الثانى (٣) فى يوم الجمعة حادى عشره (٤) لبس الوجاقلية المصرلية زيّهم من القواويق المختلفة الأشكال على عادتهم القديمة ، حسب الأمر لهم بذلك ، وحضروا بالديوان العالى .

وفى يوم الاثنين (٥) وصل سليمان أغا إلى بركة الحاج ، وصحبته المحمل ونسا الأمرا القادمين من الشام ، فنودى فى عصر ذلك اليوم بعمل موكب المحمل من الغد . وطاف آلاى جاويش بزيه المعتاد وخلفه القايقجية ، وهم ينادون بقولهم " يارن آلاى" .

١- يوم السبت ٢٨ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ٨ أغسطس ١٨٠١م والموافق ٣ مسرى ١٥١٧ قبطية ، ويذكر مختار باشا فى التوفيقات الإلهامية أن وفاء النيل فى هذا العام كان يوم ١٣ مسرى .

٢- إلى هنا انتهت يوميات شهر ربيع الأول ١٢١٦هـ ، ولكن فى عجائب الآثار أضاف الجبرتى ٩ يوميات كلها خاصة بمشاغبات الجنود العثمانيين ونهبهم الأموال وتسلطهم على الناس وغير ذلك .

٣- استهل شهر ربيع الآخر ١٢١٦هـ بيوم الثلاثاء ١١ أغسطس ١٨٠١م .

٤- يوم الجمعة ١١ ربيع الآخر ١٢١٦هـ الموافق ٢١ أغسطس ١٨٠١م .

٥- يوم الاثنين ١٤ ربيع الآخر ١٢١٦هـ الموافق ٢٤ أغسطس ١٨٠١م .

وقبل هذه اليومياتوجد ١٩ يومية ذكرت فى عجائب الآثار وغير موجودة فى مظهر التقديس ومعظمها خاص بالعثمانيين ووزيرهم وجنودهم وما أشاعوه من سلب ونهب .

وانجر الموكب فى صبح ثانى يوم (١) ودخل المحمل من باب النصر ، وشقوا به شوارع المدينة حكم عادته . وصادف ذلك اليوم مولد الحسين والأسواق مزينة . فصعدوا به إلى القلعة ، وتسلمه محمد باشا ، وعملت الوقدة والشنك تلك الليلة .

وفى سادس عشرينه (٢) قدم نادرة الدهر ، وغرة وجه العصر ، شمس الدولة وبدرها ، ومن يدور عليه نهيها وأمرها ، دفتر كمال الأوايل والأواخر ، ناظم ما انتثر من الفضايل والمآثر ، صاحب [ص ٣٦٨] الطلعة البهية ، والهمة العلية ، رحيب النادى عند وفور الحاجات ، مجيب المنادى فى المهمات ، خلاصة السلالة الهاشمية ، وطراز حلة الفخار النبوية ، فرع دوحة الشرف الزكية النما ، التى أصلها ثابت وفرعها فى السما ، عظيم قدر لا يضاهى ، وسباق غاية مجد لا يباهى .

شعر

وكيف تضاهى أهل بيت قد انتموا	لسبط رسول الله أشرف مرسل

ذو الحسب السنى ، والنسب العلى ، المتحف برعاية المولى المعيد المبدى ، مولانا محمد شريف أفندى شرف الله قدره ، وأشاع بطيب الثنا ذكره ، ولا زالت أيامه أعياداً ومواسم ، وثغور الأقطار بتدبير أقلامه بواسم ، وهو من حسنات الدولة العلية ، التى خصت بها مصر المحمية ، فكان كالطبيب الذى تم به العلاج ، وقام به سوق الفضايل فيها وراج ، ومن التفاؤل بيمن قدومه ، وانطوا الخيرات فى منشور مرسومه ، أن قدم فى شهر ربيع ، فكان الزمان كله ربيعاً ، وكأن الغيث صار به القطر خصباً مريعاً ، كما قيل :

١- الثلاثاء ١٥ ربيع الآخر ١٢١٦هـ الموافق ٢٥ أغسطس ١٨٠١م .

٢ - يوم السبت ٢٦ ربيع الآخر ١٢١٦هـ الموافق ٥ سبتمبر ١٨٠١م وهذه اليومية الطويلة اختصرها الجبرتى فى عجائب الآثار إلى ثلاث سطور يخبر فيها بوصول محمد أفندى شريف وعثمان كتخدا ومحل سكنهما .

الجوهر الفرد من معنا منتثر والمندل الرطب فى رباه منتشر
كل الشهور ربيع عند مقدمه وكل شهر سـوى أيامه صفر

ولما أن أجرى الله على يديه الخير الجم ، وفاض معروفه على كل قاصد وعم ، اجتمعت القلوب على محبته ، واتفقت الألسن على حسن سيرته .

" شعر " [ص ٣٦٩]

وإذا أحـب الله يوماً عبده ألقى عليـه محـبة الناس

وقدم بصحبته أيضاً رب البلاغة والبراعة ، ومعدن العلوم التى هى لثاقب فكره منقادة مطواعة ، المضيئة آراؤه عند كل معضلة إضاءة البدور ، الصدر الذى تتزين به المحافل والصدور ، حضرة عثمان كتخداى حرس الله مجده ، وأدام عزه وسعده . وسكن حضرة الدفتردار بدرب الجماميز ، وسكن حضرة الكتخداى بسويقة اللالا ، بمنزل حسن أغا محرم متولى الحسبة فى مدة الفرنسيس .

وفى غايته [1] عمل شنك مدافع كثيرة ، وذلك لوصول خبر إنقضا الحرب ، وتسليم الأسكندرية صلحاً .

شهر جمادى الأولى ١٢١٦هـ

استهل بيوم الخميس [2] فيه قريت فرمانات حضرت بصحبة المشار إليهما .

١–يوم الأربعاء ٣٠ ربيع الآخر ١٢١٦هـ الموافق ٩ سبتمبر ١٨٠١م وفى طبعة وزارة التربية والتعليم ذكر المحققون أن غايته توافق يوم السبت ، وهو خطأ بين وفى" التوفيقات الإلهامية " أن غايته يوم الثلاثاء .

٢– يذكر مختار باشا فى التوفيقات الإلهامية أن شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٦هـ قد استهل بيوم الأربعاء ٩ سبتمبر ١٨٠١م وقد سبق أن نوهنا إلى أننا سنسير على حساب الجبرتى على أساس أنه ربما تكون رؤيا الهلال لم تثبت فى ذلك اليوم فأتموا ربيع الآخر إلى ثلاثين يوماً وبذلك فإنه طبقاً للجبرتى ، فإن يوم الخميس غرة جمادى الأولى ١٢١٦هـ الموافق ١٠ سبتمبر ١٨٠١م

وفيه ، انفصل مولانا السيد محمد الشهير بقدسي أفندى عن القضا ، وسافر ذلك اليوم ، وتقلد القضا عوضاً عنه حضرة عبد الله افندى كاتب الميرى ، وحضر فى ذلك اليوم إلى المحكمة . (١)

وفى يوم الاثنين (٢) نودى بالزينة ثلاثة أيام أولها الأربعا ، وأخرها الجمعة تاسعه (٣) فزينت المدينة وعملت الوقدات بالأسواق ، والمغانى والآلات ، والسهر بالليل فى الحوانيت ، وتردد الناس للفرجة ليلاً ونهاراً ، وكل ليلة يعمل شنك نفوط وسواريخ بارود ، ببركة الفرايين المطل عليها بيت المشار إليه ، [ص ٣٧٠] جهة باب اللوق .

وفى ثانى عشره (٤) وقع من العساكر عربدة بالأسواق ، وانزعجت الناس ، ورفعوا متاعهم من الحوانيت ، وأغلق بعض الجهات ، فحضر أكابر العسكر فكفوهم ، وراق الحال من غير حصول ضرر كثير .

وفيه ورد الخبر بتولية محمد باشا خسرو باشوية مصر ، وهو كتخدا قبطان باشا ، فألبس حضرة المشار إليه وكيله خلعة عوضاً عنه ، وأشيع عزل محمد باشا الغزى وسفره .

١- الحقيقة أن يوم حضوره إلى المحكمة كان يوم السبت ٣ جمادى الأولى ١٢١٦هـ الموافق ١٢ سبتمبر ١٨٠١م . ونص وثيقة تقليده هو " لما كان فى اليوم المبارك الموافق لثالث شهر جماد أول سنة ستة عشر ومائتين وألف ، حل فيه ركاب سيدنا ومولانا فخر قضاة الإسلام، كمال بلغا الأنام ، سلالة آل بنى عبد مناف الفخام ، الواثق بلطف ربه المعيد المبدى ، مولانا السيد الشريف عبد الله رامز أفندى ، المولى شأن مصر المحروسة ممن له ولاية الأمر زاده الله عزاً وإجلالاً آمين آمين آمين " . سجل ١٣٠ بمحكمة القسمة العربية ، ص ٣٢٥ ، وثيقة ٤٤٠ .

٢- يوم الاثنين ٥ جمادى الأولى ١٢١٦هـ الموافق ١٤ سبتمبر ١٨٠١م .

٣- يوم الجمعة ٩ جمادى الأولى ١٢١٦هـ الموافق ١٨ سبتمبر ١٨٠١م .

٤- يوم الاثنين ١٢ جمادى الأولى ١٢١٦هـ الموافق ٢١ سبتمبر ١٨٠١م .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه (١) وردت مكاتبة من حضرة قبطان باشا بطلب عثمان بيك المرادى ، وعثمان بيك البرديسى وإبراهيم السنارى وآخرون . فسافروا في يوم السبت رابع عشرينه .

وفى ذلك اليوم ، قتل رجل يسمى مصطفى الصيرفى بخط الصاغة ، وسبب ذلك أنه كان يتداخل فى النصارى ، وتولى أمر فردة الصاغة والجواهرجية وسوق السلاح . وتجاهر بأمور نقمت عليه ، فكثرت فيه الشكاوى ، فحبس أياماً ، ثم قتل صبرا (٢) بأمر حضرة المشار إليه عند حانوته ، وبقى مرمياً ثلاثة ليالى ، وكان أصله إسرائلياً وأسلم .

وفى غايته (٣) قتل شخص بسوق السلاح من ناحية المنصورة (٤)

مجمل يوميات شهر جمادى الأولى

وانقضى هذا الشهر وحوادثه : ومنها زيادة النيل زيادة مفرطة عن عام أول، حتى غطى الذراع [ص ٣٧١] الذى زاده الفرنسيس ، على عامود المقياس ، ودخل الماء بيوت الجيزة ومصر القديمة ، وغرقت الروضة ، ولم يقع فى هذا النيل

١- يوم الخميس ٢٢ جمادى الأولى١٢١٦هـ الموافق أول أكتوبر ١٨٠١م .

٢- فى عجائب الآثار يذكر الجبرتى أنهم قطعوا رأسه تحت داره بخط الصاغة .

٣- حسب التقويم الذى يسير عليه الجبرتى فإن غاية جمادى الأولى ثلاثينه توافق يوم الجمعة ٩ أكتوبر ١٨٠١م وإن كان مختار باشا يذكر أن يوم الخميس هو الذى يوافق ٣٠ جمادى الأولى ١٢١٦هـ / وهو يوافق ٨ أكتوبر .

٤- أورد الجبرتى ٩ يوميات لهذا الشهر ، لكنه أورد ١٥ يومية لنفس الشهر فى عجائب الآثار، كما عدل كثيراً فى صياغة اليوميات النهائية بحيث أصبحت جميعها هجوماً على العثمانيين وأفعالهم .

للناس حظوظ، ولا نزاهة كعادتهم فى البرك والخلجان والمراكب ، وذلك لاشتغال الناس وخوفهم من العسكر وعدم المراكب ، وتخريب الفرنسيس محلات النزهة ، مثل الأزبكية وبركة الرطلى وخلافها ، وتقطيع أشجار المقاصف التى كانت تجلس عندها أهل الخلاعة والمجون والقهاوى ، مثل دهليز الملك ، والجسر والرصيف والكازرونى والمغربى ، وناحية قنطرة السد ، وقصر العينى وغير ذلك .

ومنها أن الجسر الكبير المنصوب من الروضة إلى الجيزة تفكك من شدة الماء وقوته ، فتحللت رباطاته ، وانتزعت مراسيه ، وانتشرت أخشابه ، وتفرقت سفنه ، وانحدرت إلى بحرى (١)

شهر جمادى الآخرة ١٢١٦هـ (٢)

واستهل ، شهر جمادى الثانى بيوم السبت (٣) وفى ليلة الأحد ثانيه ، حصلت زلزلة فى ثالث ساعة من الليل (٤)

وفيه قطعوا رأس مصطفى المقدم المعروف بالطاراتى ، بباب الشعرية ، وذلك بعد حبسه أياماً عديدة ، وضربه وعقابه . وكان أولاً مقدماً عند قايد أغا ، فلما تملكت الفرنسيس خدم عند بونابارتة ، ثم من بعده عند كلهبر ، ثم خدم يعقوب حين تولى أمر الفردة ، ووقع منه ما وقع فى ذلك الوقت ، كما تقدم شرحه .

١- هنا يورد الجبرتى يوميتين مجملتين فقط لهذا الشهر ، بينما يورد فى عجائب الآثار ٦ يوميات مجملة ، والأربعة الزيادة موضوعها ارتباك حصص الالتزام ، والنزاع بين المماليك والعثمانيين ، وظلم وجور الألفى فى الصعيد ، وكثرة تعدى العسكر بالأذية للعامة ، واشتغال العسكر فى بيع أصناف المأكولات .

٢- العنوان من وضع المحققين .

٣- يوم السبت غرة جمادى الآخرة ١٢١٦هـ الموافق ١٠ اكتوبر ١٨٠١م .

٤- أى فى الساعة التاسعة مساء يوم السبت وليلة الأحد ٢ جمادى الآخرة ١٢١٦هـ الموافق ١١ أكتوبر ١٨٠١م

وفى يوم الثلاثا رابعه (١) وصل [ص ٣٧٢] شمس الدين بيك أمير آخور كبير ، وحضرة مرجان أغا ، فأرسلت التنابية ، وعمل الديوان بالباب العالى ، وحضر الوزرا والأمرا والعلما ، والوجاقلية والأعيان ، وحضر المذكوران ، ولاقاهما حضرة المشار إليه من المجلس الخارج ، وسلماه الخطوط الشريفة والخلع المختصة بجنابه ، والسيف والشلنج المجوهر ، وعمل فى ذلك اليوم شنك ومدافع من القلعة ، وأخلع على الوزرا والأمرا خلعاً وشلنجات .

وفيه أحضرت أطواخ وولاية جدة لمحمد باشا توسون ، الذى كان جبجى باشى .

وفيه ، حضر القاضى الجديد ، وهو المولى مصطفى افندى دباغ زادة ، من فضلا المحققين ، ونبلا المدققين ، وحضر إلى المحكمة فى يوم السبت ثامنه ، بأهله وعياله ، سدد الله أحكامه ، ورفع على منار الشريعة أعلامه .

وفى يوم الثلاثا (٢) حادى عشره ، عمل حضرة المشار إليه ديواناً ، وحضر الأمرا المصرليه ، فقبض عليهم وعوقهم عنده ، وكان سليم بيك أبو دياب بالبلدة المسماه بالمنيل ، فسمع الخبر ، ففر إلى الإنكليز بالجيزة ، وأدركه الطلب فلم يجدوه ، فأحضروا متاعه وجماله .

ونودى فى ذلك اليوم ، بالأمن والأمان على الوجاقلية والرعية ، واختفى بقية الأجناد المصرية والمماليك ، وباتوا بليلة سودا ، وخاب أملهم [ص ٣٧٣] وضاع تعبهم وطمعهم . وكان فى ظنهم أن العثمنلى يرجع إلى بلاده ، ويترك لهم مصر وإقليمها ، ويعودون إلى حالتهم الأولي ، يتصرفون كيف شاءوا . وألبس حضرة

١- يوم الثلاثاء ٤ جمادى الآخرة ١٢١٦هـ الموافق ١٣ أكتوبر ١٨٠١م .
٢- يوم الثلاثاء ١١ جمادى الآخرة ١٢١٦هـ الموافق ٢٠ أكتوبر ١٨٠١م .

المشار إليه ، سليمان أغا صالح ، زى العثمانليين وجعله "سلخورا " (١) وأن يكون فى خدمة الدولة .

وفى يوم الاثنين سابع عشره (٢) سافر إسماعيل افندى شقبون كاتب حوالة إلى رشيد ، باستدعا محمد باشا والى مصر .

وفيه ، ورد الخبر بوصول كسوة الكعبة من الباب الأعلى .

فلما كان يوم الخميس عشرينه (٣) ركب الأعيان والمشايخ ، وأرباب الأشاير، ونقيب السادة الأشراف ، وعثمان كتخدا المرشح لإمارة الحج . واجتمع الناس للفرجة ، وحضروا بالكسوة من بولاق ، وشقوا بها من وسط المدينة ، حتى وصلوا بها إلى المشهد الحسينى ، فوضعت هناك على العادة ، وكان يوماً مشهوداً .

وفيه (٤) وردت أخبار بأن حضرة حسين باشا القبطان أراد أن يقبض على الأمرا المصرلية ، فحصل منهم عناد ومخالفة ، فقتل منهم عثمان بيك المرادى الكبير ، وعثمان بيك الأشقر الإبراهيمى ، ومراد بيك الصغير ، ومحمد بيك المنفوخ، وإبراهيم السنارى ، وآخرون ، وفرّ الباقون إلى الإنكليز بجهة أسكندرية ، فلما ورد الخبر بذلك حصل بعض قلقله وإرجاف ، وأخذ الإنكليز المقيمون بالجيزة (٥) حذرهم [ص ٣٧٤]

١- السلخور : من الفارسية بمعنى الرأس ، وأخور بمعنى المعلف أو المذود وربما أن وجود " سلاخور " باللام يقوى احتمال أن يكون المقطع الأول من الكلمة منحوتاً من الكلمة الفارسية " سالار " وهذه الكلمة هى فيما يظن كلمة "سردار " قلبت راؤها لاماً وحذفت دالها ، وقد عربت بصيغتى سلار وسالار .
د/ احمد السعيد سليمان . مرجع سابق ، ص ١٣١ .

٢- يوم الاثنين ١٧ جمادى الآخرة ١٢١٦هـ الموافق ٢٦ أكتوبر ١٨٠١م .

٣- يوم الخميس ٢٠ جمادى الآخرة ١٢١٦هـ الموافق ٢٩ أكتوبر ١٨٠١م .

٤- أى فى يوم الخميس .

٥- فى النسخة (ب) " بالقلعة " وهو خطأ لأن الإنكليز لم يقيموا بالقلعة والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

وفى ذلك اليوم ، طلع محمد باشا توسون إلى القلعة ، وصعد معه جملة من العسكر ، ونقلوا إليها ذخيرة وقومانية ومدافع وبارود .

وفى يوم الاثنين رابع عشرينه (١) حضر كبير الإنكليز الذى بالجيزة ، فقابل حضرة المشار إليه ، فألبسه خلعة.

وفى ذلك اليوم أخلع أيضاً على عثمان كتخدا ، وتقلد إمارة الحاج .

شهر رجب ١٢١٦هـ (٢)

واستهل شهر رجب ١٢١٦هـ (٣) بيوم الأحد (٤) فى ثانيه ، سافر سليمان أغا صالح إلى إسلامبول ، بإرساليه من جهة دمياط .

وفى تاسعه (٥) أرسل الإنكليز إلى حضرة المشار إليه ، يستدعون منه الأمرا يتفسحون عندهم يومين أو ثلاثة ، ثم يعودون . فأمرهم بالذهاب والتعدية إلى بر الجيزة ، فأظهروا التمنع عن الذهاب إلى مخالفين الدين . ثم ذهبوا وما صدقوا بالخلاص ، فلما تسامعت جماعتهم وأجنادهم ومماليكهم وأطرافهم المختفون ،

١– يوم الاثنين ٢٤ جمادى الآخر ١٢١٦هـ الموافق ٢ نوفمبر ١٨٠١م .

٢– عدد يوميات هذا الشهر فى مظهر التقديس ١٤ يومية ، ولكنها فى عجائب الآثار ١٦ يومية محددة التاريخ وأربع يوميات مجملة بالإضافة إلى تغيير أسلوب ومحتوى الكثير من اليوميات .

٣– رقم السنة غير موجود فى النسخة (أ) فأثبتناه من بقية النسخ وليس من عادة المؤلف أن يذكر رقم السنة عند كل شهر وإن كنا قد حرصنا على ذكر رقم السنة بعناوين الشهورلمزيد من الدقة .

٤– لا زالت بدايات الشهور عند الجبرتى غير متسقة مع "التوفيقات الإلهامية "، فبينما يذكر مختار باشا فى "التوفيقات" أن غاية جمادى الآخرة كانت يوم الجمعة ٢٩ منه الموافق ٦ نوفمبر وأن غرة رجب كانت يوم السبت الموافق ٧ نوفمبر ١٨٠١م فإن الجبرتى يؤكد أن شهر رجب استهل بيوم الأحد ، وهو يوافق ٨ نوفمبر ١٨٠١م .

٥– يوم الاثنين ٩ رجب ١٢١٦هـ الموافق ١٦ نوفمبر ١٨٠١م .

ظهروا بعد اختفايهم وتلاحقوا بهم ، ونقلت إليهم خيولهم وجمالهم وخيامهم ، وأقاموا بالجيزة ولم يعودوا .

وفي يوم الجمعة سابع عشرينه (١) وصل حضرة عابدي بيك ، صهر حضرة الصدر الأعظم ، فخرج غالب أعيان الدولة لملاقاته ، ودخل بحمولة في موكب جليل

وفيه ورد الخبر بسفر حضرة قبطان باشا من ساحل أبو قير إلى الديار الرومية باستدعا ، في منتصف [ص ٣٧٥] الشهر .

شهر شعبان ١٢١٦هـ

استهل بيوم الثلاثا (٢) فيه قدم يوسف افندي وبيده فرمان بولايته على نقابة السادة الأشراف . ويوسف افندي هذا كان من المستوطنين (٣) بمصر ، فترقى لمشيخة رواق الأتراك بالجامع الأزهر ، ثم عزل وسافر إلى إسلامبول قبل حادثة الفرنسيس ، وأقام بها نحو الأربع سنوات ، ثم قدم بذلك فأهمل أمره ، ولم يلبه أحد ، وذلك لإجماع الخاص والعام على حسن سيرة السيد عمر أفندي ، وقيامه بواجب هذا المنصب ، وخلوص نيته في كل مذهب ، وقد جاهد في الله حق جهادة، وبذل نفسه وماله للغزاة والمجاهدين من عباده ، وسافر إلى الشام مرتين ، وباشر الحادثتين ، وله بأرباب الحاجات عناية ، ومنزله للمجتدى (٤)

١- يوم الجمعة ٢٧ رجب ١٢١٦هـ الموافق ٤ ديسمبر ١٨٠١م .

٢- لا زال فرق اليوم في بداية الشهور العربية قائماً بين الجبرتي و "التوفيقات الإلهامية " ، وطبقاً للجبرتي فإن يوم الثلاثاء هو غرة شهر شعبان ١٢١٦هـ الموافق ٨ ديسمبر ١٨٠١م

٣- في النسخة (ب) من "المتوسطين " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٤- المجتدى هو السائل .

نعـــمـة ، وللمخـايف وقـاية (١) فـلا أخـلى اللــه الوقــــت مــن وجــود أمثـاله ، وأفـاض علـيه ســوابغ أنعـامــه وأفضاله (٢).

وفـيـه من الحـوادث ، أنه تقـيد بأبواب القـاهرة بعض من نصـارى القـبط ، ومعهم بعض من العسكر ، فصاروا يأخذون دراهم من كل من وجدوا معه شيئاً سوا كان داخلاً أو خارجاً بحسب اجتهادهم ، وعلى ما يجلب لمصر من الأرياف ، وزاد تعديهم ، فعم الضرر ، وعظم الخطب ، وغلت الأسعار ، وكل من ورد بشئ ليبيعه يشتط فى ثمنه ، ويحتج بأنه دفع عليه كذا وكذا من دراهم المكس ، فلا يسع المشترى إلا التسليم لقوله ، والتصديق له . والسبب فى ذلك أن [ص ٣٧٦] الذين تقيدوا بديوان العشور بساحل بولاق دسّ عليهم بعض المقيدين معهم من أقباط النصارى ، بأن كثيراً من المتاجر التى يؤخذ عليها العشور ، يذهب بها أربابها من طريق البر ، ويدخلون بها فى أوقات الغفلة ، تحاشياً عن دفع ما عليها ، وبذلك لا يجتمع المال المقرر بالديوان ، فيلزم أن تقيد بكل باب من يترقب لذلك ، ويأخذ ما يخص الديوان من ذلك ، فأذن كبير الديوان بذلك ، فانفتح لهم بذلك الباب (٣) فولجوه ، ولم يحسبوا للعاقبة حساب ، وزادوا فى الجور والفضايح ، وأظهروا ما

١- كلمة " وقاية " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

٢- فى عجائب الآثار يضيف الجبرتى مدحاً للوزير يوسف باشا الذى أهمل أمر هذا الرجل المدعى حيث يقول " وظهر حاله لأكابر الدولة وحضرة الصدرالأعظم ، فلم يصغوا إليه ، ولم يسعفوه ، وأهمل أمره ، وهكذا شأن رؤساء الدولة أدام الله بقاءهم إذا تبين لهم الصواب فى قضية لا يعدلون إلى خلافة " وهذه هى المرة الوحيدة التى مدح الجبرتى فيها الوزير فى عجائب الآثار .

٣- كلمة " الباب " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

فى نفوسهم من القبايح . فساءت الظنون ، واستغاثت المستغيثون ، وأكثر سخاف الأحلام مما لا طائل تحته من الكلام ، كما قيل فى المعنى .

وكنا نستـــطب إذا مرضنا　　　فصار الداء من قبل الطبيب

فلما أنهى هذا الأمر لحضرة الصدر ، بادر فى إنكاره ، وسرعة إزالته ومحو آثاره، وأرسل لمن تولى كبر ذلك من أرباب الدواوين فسجنه ، وأحرمه بترقب المكروه أن يذوق وسنه [1] وانجلت ولله الحمد بمولانا هذه الغمة ، وابتهلت بالدعا له بالبقا والنصر ساير الأمه .

" شعر "

للخـــير أقوام لا تـــزا　　　ل وجـــوههـــم تدعو إليه

طـــوبى لمـــن جـرت الأ مـــ　　　ـور الصـــالحات علـــى يديه

وأبطل أيضـاً مـا كـان وضع على طايفـة القـبـانيـة من الكمـرك السنوى ، واكتسب بهذه الهمة [ص٣٧٧] رضا الله وثناء العالم الأبدى .

وفى خامسه [2] نزل محمد باشا توسون والى جدة من القلعة . فى موكب ، وتوجه إلى العادلية ، قاصد السفر إلى جدة من بحر القلزم .

وفى يوم الأربعا تاسعه [3] قبضوا على ثلاثة أشخاص من نصارى الأروام ، تزيوا بزى العساكر الإنكشارية ، وحصل منهم القبايح فى الرعية ، فرموا رقابهم فى جهات مختلفة ، ليعتبر بذلك غيرهم ، وكذلك الرجل المفسد الذى يقال له " راضى النجار " كان من أعظم المفسدين بإقليم المنوفية ، قبضوا عليه العسكر

١- فى النسخة (ب) " فسبحانه تعالى أحرمه وسجنه بترقب المكروه أن يذوق وسنه " وفى طبعة التربية والتعليم " فحرمه وسجنه يترقب المكروه لا يذوق وسنة " وبهما لا يستقيم المعنى ، والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٢- يوم السبت ٥ شعبان ١٢١٦هـ الموافق ١٢ ديسمبر ١٨٠١م .

٣- يوم الأربعاء ٩ شعبان الموافق ١٥ ديسمبر ١٨٠١م .

وأحضروه إلى مصر ، وقتل بالرميلة ، فانسر الناس بترادف مثل هذه الأمور ، وما يترتب على ذلك من استيصال أصحاب الشرور .

وفيه [1] كتب فرمان إلى ناحية البحيرة ، وصورته :

"صدر الفرمان العالى السلطانى ، وأمرنا الجليل الخاقانى ، إلى قدوة النواب المتشرعين نائب البحيرة زيد علمه ، وإلى كامل المشايخ من عربان الهنادى، والأفراد والجمعيات [2] والبهجة وبنى عونة عموماً ، زيد فى عشيرتهم . بعد وصول التوقيع الرفيع الهمايونى الحكمى ، تحيطون علماً ، أنهيتهم إلى ديواننا الهمايونى ، أنكم من قديم الزمان منازلكم – آباً عن جد – فيافى البحيرة وفدافدها [3] وإنكم تحت قدم الطاعة والمحافظة للرعايا والطرقات الواقعة بناحية البحيرة ، والتمستم من عواطف مراحم سلطنتنا السنية ، ودولتنا الخاقانية ، استقراركم فى منازلكم القديمة كما كنتم حكم [ص٣٧٨] السنين الخوالى ، فحيث أنه جرت العادة أن قبايل العربان فى الديار المصرية ، كل قبيلة لها منزله مخصوصة بهم ، لا ينازعهم فيها غيرهم ، ومنزلة البحيرة من قديم الزمان تنزلوها ، فبحسب التماسكم مراحم دولتنا العلية ، أقررناكم فى منازلكم المذبورة ، كما كنتم قديماً نازلين بها من غير

١– أى فى ٩ شعبان ، ولكن وفى عجائب الآثار وردت هذه اليومية بتاريخ غرة شعبان ، ولكن التاريخ المذكور فى الفرمان يؤكد أنه كتب فى أواخر الشهر ، والحجة التى بضمن الفرمان تشير إلى يوم ٢٢ شعبان وعلى ذلك فإن التاريخ الواجب لهذه اليومية هو ٢٢ شعبان الموافق ٢٩ ديسمبر ١٨٠١م .

٢– هكذا فى جميع النسخ وفى عجائب الآثار ، وربما الصواب " قبائل الجمعيات " .

٣– كان معظم مديرية البحيرة أرض صحراوية ، ولكن هذا الوضع تغير تماماً فى عصر محمد على وخلفائه ، حيث حفرت ترعة المحمودية والرياح البحيرى وغيرها من الترع التى ضاعفت مساحة الأرض الزراعية بالمديرية . كما حفرت بها حديثاً العديد من الترع التى ضاعفت الأرض مرة ثانية مثل ترعة النوبارية والعامرية وغيرها .

منازع لكم بالشروط التى تعهدتموا بها وقبلتموها فى حضور صدرنا الأعظم ، وكتبتم بها سنداً عليكم . وهى : أن توفوا عدم التعدى ، وإيصال الرزيه والمضرة ، إتلاف شيءٍلو مقدار ذرة ، إلى الرعايا وديعة خالق البرايا ، والمحافظة على الطرقات ، وعدم من مزروعات أهل البلاد ، وإضاعة مواشيهم ، وأنه لا تسكنوا عندكم شقياً من اللصوص وقطاع الطريق ، ونهب أموال الناس ، وقتل النفوس بغير حق شرعى ، وقد نذرتموا على أنفسكم أنه متى اختل شرط من هذه الشروط المذكورة ، تقومون بدفع مايتى ألف قرش إلى خزينة مصر ، فبناء على ذلك أصدرنا فرماننا الشريف ، وأمرنا العالى المنيف ليكون معلومكم أنه من قاعدة الديار المصرية ، كل قبيلة من العربان لها منزلة تنزلها مخصوصة بها ، وقد أقررناكم فى منازلكم القديمة فى فيافى البحيرة وفدافدها بالشروط السالفة الذكر التى التزمتموها ، والنذور التى قبلتوها ، وتعهدتموا وكتبتم على أنفسكم سنداً أنه متى اختل شرط من الشروط [ص٣٧٩] المذكورة بعد دفعكم المايتى ألف قرش ، يكون إخراجكم من البحيرة وبلادها وفيافيها ، والطلوع من حقكم ، فتعاملوا بموجب مضمون أمرنا الشريف كما هو مشروح ، وتجنبوا خلاف ما هو مسطور وموضوح ، أعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد ، والحذر ثم الحذر من الخلاف ."وتحريراً فى أواخر شهر شعبان المعظم سنة ستة عشر ومايتين وألف " وكتب بمضمونه حجة ، وعليه إمضا حضرة (١) قاضى عسكر ، وقيدت بالسجل المحفوظ . وهى من إنشاء صاحبنا الحسيب النسيب ، اللبيب الأديب ، أوحد أذكيا مصر ونبلائها ، وتاج أدبائها ، الناظم الناثر ، جامع فضايل المآثر ، السيد إسماعيل الشهير بالخشاب ، أبقى الله

١- فى النسخة (ب) وأمضى عليها "حضرة " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

حياته محروس الجناب ، ونصه :

" لما ورد الفرمان الشريف ، الواجب القبول والإجلال والإعظام والتشريف ، اليانعة أزاهر رياض فصاحته ، المحلاة بعقود البلاغة أجياد معانى عبارته ، المشتمل على فصول من الترغيب والترهيب ، التى يعجز كل بليغ لبيب ، عن سلوك أسلوبها العجيب ، حضرة مولانا الصدر الأعظم ، والمشير المفخم ، عضد الدولة العلية ولسانها ، وحسامها الماضى وسنانها ، من أشرقت سما الوزارة بشمس طلعته البهية ، وانجلى عنا ظلام الشرك بصباح غرته السنية ، وإشراق ضيا حسن سيرته المرضية ، مولانا الوزير يوسف باشا ، بلغه الله من المرادات ماشا ، خطاباً إلى سائر الحكام والمتشرعين والنواب ، وسكان إقليم البحيرة من قبايل الأعراب ، ومن التحق بهم من الأبنا والذرارى ، والعشاير المخيمين معهم فى تلك [ص٣٨٠] الفدافد والبرارى ، وما تضمنه من تأمينهم فى منازلهم وأوطانهم ، وعشيرتهم وجيرانهم ، والنظر إليهم بعين الإحسان والرعاية ، وإدخالهم سرادق الحفظ والوقاية ، بشرط أن يكونوا على قدم الطاعة ، وأن يسلكوا سبيل السنة والجماعة ، وأن يجتنبوا الخلاف ، ويعاملوا من يمر بهم بالإكرام والإعزاز والإنصاف . واردين مشرب الوفاق بالاتفاق ، غير مثيرين للفتن والنزاع والشقاق ، وأن لا يجتمعوا على الضلال ويتحزبوا ، ولا يقطعوا الطريق على من يمر بهم ويتعصبوا ، [إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا] (١) وأقطع حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار إليه ، خلد الله جزيل نعمه وفضله عليه ، كل قبيلة منهم منازلها المخصوصة بها المعهودة ، وأظلهم بظلال أمانه الظليلة الممدودة ، حين التمسوا ذلك من مراحم دولته ، ومعارف عواطف رأفته ، بعد إلزامهم بما سلف من الشروط ، على الوجه المشروح المحرر المضبوط ، وعلى أنهم إن عصوا مرة وخالفوه ، ونسوا ما تلى عليهم أو نسخوه ، أو قطعوا الطريق

١- سورة المائدة الآية ٣٣ .

ونهبوا الأموال ، أو آووا شقياً ممن يفعل ذلك بحال من الأحوال ، أخذتهم صاعقة العذاب الهون ، وحل بهم من البلا مالا يطيقون ، ووقعوا من غضب هذه الدولة العلية عليهم فى العذاب الشديد ، [ذلك بما قدمت أيديكم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد] (١) بعد أن تُسلب أموالهم ، ويتلاشى حالهم ، حتى يصيرون لاعين ولا أثر، ولا مخبر ولا خبر ، ولا معالم ولا معاهد ، ولا مشارع ولا موارد ، جزاء [ص ٣٨١] بما أسلفوا ، وعقاباً على ما اقترفوا ، إذا خالفوا . وعاهد رؤساهم حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار إليه ، عز نصره ، على ما تقدم ذكره . وكتب لهم بذلك التوقيع السلطانى ، والأمر الخاقانى ، المتضمن لما تقدم من المعانى ، المتوج بالعلامة الشريفة ، والطرة السلطانية المنيفة ، المبدأ بذكره ، المؤرخ بأواخر شعبان المعظم ، سنة ستة عشر وماتين وألف ، وحضر به حضرة مولانا شيخ الإسلام الموميء إليه أعلاه ، كل من فلان وفلان وفلان وفلان ، وهم مشايخ عربان البحيرة المرقومون . ولما تأمل فيه ، وأحاط علمه الكريم ببديع معانيه ، وتنزه طرفه في رياض فصوله ، ورآه جارياً على قواعد الشرع وأصوله ، والتمس منه الجماعة المذكورون كتابة حجة متضمنة لفحواه ، مؤكدة له مقوية لمعناه ، أمر بكتابة هذا المرسوم على الوجه المشروح المرقوم ، وقيد ذلك بالسجل المحفوظ ، ليراجع عند الاحتياج إليه ، والاحتجاج به . جرى ذلك وحرر ورقم وسطر ، فى اليوم المبارك الموافق لثانى وعشرين شعبان سنة تاريخه (٢) والله أعلم ".

١- فى الأصل " قدمت أيديهم " وهو خطأ وهى فى سورة آل عمران الآية ١٨٢ ، وسورة الأنفال الآية ٥١ ، وقد وردت هذه الآية بالنص الخطأ فى طبعة التربية والتعليم وأشاروا إلى أنها فى سورة فصلت وهذا خطأ أيضاً.

٢- يوم الأربعاء ٢٢ شعبان ١٢١٦هـ الموافق ٢٩ ديسمبر ١٨٠١ م .

خـــاتـــمـــة

لما كانت حوادث الأيام لا تقف على حد ، واستقصاؤها لا يدخل تحت قدرة أحد ، ناسب أن يجعل ختام هذا التاريخ شهر رمضان المعظم ، وأن يكون عقد شهوره بواسطته متمم ، تفاؤلاً بحصول الغفران ، وترادف سوابغ الإحسان . فإنه شهر عظيم البركات ، كثير المبرات ، وافر الخيرات ، فيه تضاعف الحسنات ، وتحط السيئات ، ويتوالى من الرحمن على عبيده رحماته ، وتتعاقب عليهم نعمه وهباته . ثم في الختم به إيماء إلى أن من أُلف الكتاب باسمه ، وحليت ديباجته برسمه [ص ٣٨٢] وهو مولانا الوزير دام علاه ، وتحلت الأيام بوجودها فيه وبقاه . و جوده في سائر الأنام ، كجود شهر الصيام في الأعوام ، به يزول الفساد ، وتكثر العبّاد ، وتنجبر القلوب ، وتخلص النيات في كل مرغوب . وأيضاً ففيه ليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر ، يُترقب حصولها في جميع لياليه ، ويبوء مترقبها بنجح مقاصده وشكر مساعيه . فكذلك المشار إليه أبقاه الله ، ترقبت الأمة المحمدية من مدد متطاولة حلول ركابه السعيد بمصر ، ليزول عنهم بيمن قدومه وإشراق طلعته مالحقهم من عظائم النوائب والإصر ، ويؤول الفساد للصلاح ، واليأس للنجاح ، ويحمد سعى كل وافد لسدته ، ورافع لدى مراحمه أسباب بغيته . وأيضاً أن شهر الصيام مقدمة شهر العيد ، الذي هو موسم العيد (١) والسرور المديد ، مفتاح أبواب المسرات التي طال انغلاقها ، ومعيد بهجة مصر التي كسف بظلام الكفرة إشراقها ، ثم لسدته التي هي ملثم شفاة الأقبال ، ومحط رحال فاضل الرجال ، أهدى كاسد هذا التصنيف ، وخامل هذا الترصيف ، فإن لاحظه

١- كلمة " العيد " غير موجودة في النسخة (أ) فاثبتناها من بقية النسخ .

بعين القبول .. وذاك هو المبتغى والمأمول راج فى معالم الأدب سوقه ، وبطالع السعود لاح شروقه .

" شعر "

فأضحت الأيام مجلوية — لدىّ والأيام منقادة
حملنى من جم أفضاله — مالو حواه جبل آده
يبدع شيئاً ولكن جرى — على الفضل الذى اعتاده
وليس من يأتى العلا كلفة — كمثل من يأتى العلا عادة
لا زال فى عز ودولة — ونال من دنياه ما ارتاده

مهنياً له بنعم الله العظام ، المترادفة عليه بشهر الصيام ، وتقبل أعماله الرفيعة ، ومبراته الباهرة البديعة ، واقتبال شهر العيد ، بتسامى رفيع طالعه السعيد .

" شعر "

جزى الله عن صومك الراحل — وبارك فى عيدك النازل
وأولاك فيها السعود التى — كفتك السعود إلى قابل
ولقاك آخر أعياده — وأنت على عزك الدابل
ولو لم تكن طوق جيد الزمان — لأصبح ذا عنق عاطل

اللهم يا سامع الدعا ، ويا مجيب الندا ، أحل حلة الأيام بوجوده ، وأدمه محتفاً ببهجة عزه وإشراق سعوده ، مطاع النواهى والأوامر ، مجدد ما بقى من آثار المآثر، ناظم شمل المسلمين ، ولجميع الأعداء ناثر ، يأتى من المعالى ما لا يسبقه إليه أول ولا يلحقه فيه آخر ، ما طلع النيِّران ، وتوالى الملوان .(١)

" تأريخ "

سعد تاريخنا بإقبال صدر ... بمعالى ثنائه مسطور

فلهذا يقول بشرى أرخ ... باجتناء السرور جاء الوزير (٢)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب

١- النيران : الشمس والقمر ، والملوان : الليل والنهار .

٢- تشير هذه الفقرة إلى تاريخ الانتهاء من الكتاب ١٢١٦هـ وذلك بحساب الجمل .

العالمين . ووافق التمام سلخ شهر شعبان سنة ١٢١٦ من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . (١)

١- ثم كُتب بعد ذلك في كل نسخة تاريخ الانتهاء منها ونصه كالآتي : في النسخة (أ) " ووافق الفراغ من هذه النسخة يوم الأربع ١٧ رجب سنة ١٢٩٣ على يد كاتبه الفقير أحمد رزق غفر له ولوالديه آمين " . وفي النسخة (ب) " وأيضاً حررت هذه النسخة المباركة وكان الفراغ منها سنة ١٢٢٤ في غرة محرم الحرام سنة أربعة وعشرين ومائتين وألف ، تم بعون الله وحسن توفيقه آمين ". وفي النسخة (جـ) " ووافق التمام سلخ جمادى الأول سنة ١٢٤٠، كتبه الفقير محمد بن عيد البهيدى الأتميدى الشافعي غفر الله له آمين " .

الملاحق (1)

ملحق رقم ١ :

أسباب فشل نابليون فى فتح عكا (2)

" ولما عجز الفرنساوية عن أخذ عكا ، وعزموا على الرجوع إلى مصر ، أرسل بونابارته مكاتبة إلى الفرنساوية المقيمين بمصر يقول فيها :

إن الأمر الموجب للانتقال عن محاصرة عكا خمسة عشر سببا :

الأول : الإقامة تجاه البلد وعدم الحرب ستة أيام إلى أن جاءت الإنكليز وحصنوا عكا باصطلاح الإفرنج

الثانى : الستة مدافع التى توجهت من الاسكندرية وفيها المدافع الكبار ، أخذها الانكليز قدام يافا .

الثالث : الطاعون الذى وقع فى العسكر ، ويموت كل يوم خمسون وستون عسكريا

الرابع : عدم الميرة لخراب البلاد قريب عكا .

الخامس : وقعة مراد بك مع الفرنساوية فى الصعيد مات فيها مقدار ثلثمائة فرنساوى .

السادس : بلغنا توجة أهل الحجاز صحبة الجيلانى لناحية الصعيد .

السابع : المغربى محمد الذى صار له جيش كبير وادعي أنه من سلاطين المغرب

الثامن : ورود الإنكليز تجاه الأسكندرية ودمياط .

التاسع : ورود عمارة الموسقو قدام رودس .

١- الملاحق من وضع المحققين .

٢- المصدر : عجائب الآثار جـ٣ ، ص ٦٨ .

العاشر: ورود خبر نقض الصلح بين الفرنساوية والنيمساء .

الحادى عشر : ورود جواب مكتوب منا "لتيبو" أحد ملوك الهند ، كنا أرسلناه قبل توجهنا لعكا - و"تيبو" هذا و الذى كان حضر إلى اسلامبول بالهدية التى من جملتها طائران يتكلمان بالهندية ، والسرير والمنبر من خشب العود وطلب منه الإمداد والمعاونة على الإنكليز المحاربين له فى بلاده ، فوعدوه ومنوه ، وكتبوا له أوراقاً وأوامر وحضر إلى مصر ، وذلك سنة اثنين ومائتين وألف أيام السلطان عبد الحميد .. وهو رجل كان مقعداً تحمله أتباعه فى تخت لطيف بديع الصنعة على اعناقهم ، ثم أنه توجه إلى بلاد فرانسا واجتمع بسلطانها وذلك قبل حضوره إلى مصر واتفق معه على أمر فى السر ، لم يطلع عليه أحد غيرهما ، ورجع إلى بلاده على طريق القلزم فلما قدم الفرنساوية لمصر كاتبه كبيرهم بذلك السر ، لأنه اطلع عليه عند قيام الجمهور وتملكه خزانة كتب السلطان . ثم إن تيبو المذكور بقى فى حرب الإنكليز إلى أن ظفروا به فى هذه السنة وقتلوه وثلاثة من أولاده - فهذا ملخص معنى السبب .

الثانى عشر : موت كفرللى الذى عملت المتاريس بمقتضى رأيه ، وإذا تولى أمرها غيره يلزم نقضها ويطول الأمر ، وكفرللى هذا هو المعروف بأبى خشبة المهندس .

الثالث عشر : سماع أن رجلاً يقال له مصطفى باشا أخذه الإنكليز من إسلامبول ومرادهم أن يرموه على بر مصر .

ملحق رقم ٢ :

احتمالات شهرى ربيع الآخر وجمادى الأولى ١٢١٤هـ وفقاً لمظهر التقديس وعجائب الآثار والتوفيقات الإلهامية

أيام الاسبوع	التقويم الميلادى	مظهر التقديس	عجائب الآثار	التوفيقات الالهامية
السبت	٣١ أغسطس	٢٩ ربيع الأول	٢٩ ربيع الأول	٢٩ ربيع الأول
الأحد	١ سبتمبر	١ ربيع الآخر	١ ربيع الآخر	٣٠ ربيع الأول
الاثنين	٢ سبتمبر	٢ ربيع الآخر	٢ ربيع الآخر	١ ربيع الآخر
الثلاثاء	٣ سبتمبر	٣ ربيع الآخر	٣ ربيع الآخر	٢ ربيع الآخر
الاربعاء	٤ سبتمبر	٤ ربيع الآخر	٤ ربيع الآخر	٣ ربيع الآخر
الخميس	٥ سبتمبر	٥ ربيع الآخر	٥ ربيع الآخر	٤ ربيع الآخر
الجمعة	٦ سبتمبر	٦ ربيع الآخر	٦ ربيع الآخر	٥ ربيع الآخر
السبت	٧ سبتمبر	٧ ربيع الآخر	٧ ربيع الآخر	٦ ربيع الآخر
الأحد	٨ سبتمبر	٨ ربيع الآخر	٨ ربيع الآخر	٧ ربيع الآخر
الاثنين	٩ سبتمبر	٩ ربيع الآخر	٩ ربيع الآخر	٨ ربيع الآخر
الثلاثاء	١٠ سبتمبر	١٠ ربيع الآخر	١٠ ربيع الآخر	٩ ربيع الآخر
الاربعاء	١١ سبتمبر	١١ ربيع الآخر	١١ ربيع الآخر	١٠ ربيع الآخر
الخميس	١٢ سبتمبر	١٢ ربيع الآخر	١٢ ربيع الآخر	١١ ربيع الآخر
الجمعة	١٣ سبتمبر	١٣ ربيع الآخر	١٣ ربيع الآخر	١٢ ربيع الآخر
السبت	١٤ سبتمبر	١٤ ربيع الآخر	١٤ ربيع الآخر	١٣ ربيع الآخر
الأحد	١٥ سبتمبر	١٥ ربيع الآخر	١٥ ربيع الآخر	١٤ ربيع الآخر
الاثنين	١٦ سبتمبر	١٦ ربيع الآخر	١٦ ربيع الآخر	١٥ ربيع الآخر
الثلاثاء	١٧ سبتمبر	١٧ ربيع الآخر	١٧ ربيع الآخر	١٦ ربيع الآخر
الاربعاء	١٨ سبتمبر	١٨ ربيع الآخر	١٨ ربيع الآخر	١٧ ربيع الآخر
الخميس	١٩ سبتمبر	١٩ ربيع الآخر	١٩ ربيع الآخر	١٨ ربيع الآخر
الجمعة	٢٠ سبتمبر	٢٠ ربيع الآخر	٢٠ ربيع الآخر	١٩ ربيع الآخر
السبت	٢١ سبتمبر	٢١ ربيع الآخر	٢١ ربيع الآخر	٢٠ ربيع الآخر
الأحد	٢٢ سبتمبر	٢٢ ربيع الآخر	٢٢ ربيع الآخر	٢١ ربيع الآخر
الاثنين	٢٣ سبتمبر	٢٣ ربيع الآخر	٢٣ ربيع الآخر	٢٢ ربيع الآخر
الثلاثاء	٢٤ سبتمبر	٢٤ ربيع الآخر	٢٤ ربيع الآخر	٢٣ ربيع الآخر

ايام الاسبوع	التقويم الميلادى	مظهر التقديس	عجائب الآثار	التوفيقات الالهامية
الاربعاء	٢٥ سبتمبر	٢٥ ربيع الآخر	٢٥ ربيع الآخر	٢٤ ربيع الآخر
الخميس	٢٦ سبتمبر	٢٦ ربيع الآخر	٢٦ ربيع الآخر	٢٥ ربيع الآخر
الجمعة	٢٧ سبتمبر	٢٧ ربيع الآخر	١ جمادى الأولى	٢٦ ربيع الآخر
السبت	٢٨ سبتمبر	١ جمادى الأولى	٢ جمادى الأولى	٢٧ ربيع الآخر
الأحد	٢٩ سبتمبر	٢ جمادى الأولى	٣ جمادى الأولى	٢٨ ربيع الآخر
الاثنين	٣٠ سبتمبر	٣ جمادى الأولى	٤ جمادى الأولى	٢٩ ربيع الآخر
الثلاثاء	١ اكتوبر	٤ جمادى الأولى	٥ جمادى الأولى	١ جمادى الأولى

ملحق رقم ٣ :

معاهدة صلح بين كلبير ومراد بيك
مؤرخة فى ١٥ جرمينال العام الثامن الجمهورى
(٥ أبريل سنة ١٨٠٠م) (١)

باسم الله القادر

الأمير الفائق الاحترام ، المبجل بين الأمراء ، مراد بك محمد ، بناء على رغبته التى أبداها بالعيش بسلام ووئام مع الجيش الفرنسى ومع القائد كليبر واعطائهما دليلا على التقدير الذى ناله منهما تبعاً لشجاعته وحسن تصرفه تم الاتفاق على الآتى :

البند الأول : يعترف القائد العام للجيش الفرنسى بالنيابة عن الحكومة بمراد بك محمد أميراً وحاكماً للوجه القبلى ويخوله بهذه الصفة سلطة الحكم والانتفاع

---

١ – نبيل الطوخى : مرجع سابق ص ٤٠٤ – ٤٠٦ .

فى البلاد الكائنة بالبر الشرقى والبر الغربى للنيل إبتداء من ناحية " بلصفورة " بمديرية جرجا إلى أسوان فى مقابل أن يؤدى للجمهورية الفرنسية الخراج الواجب دفعة عن تلك الجهات لصاحب الولاية على مصر .

البند الثانى : يحدد هذا الخراج السنوى بمبلغ ٢٥٠ كيس بواقع الكيس ٢٠,٠٠٠ بارة علاوة على ١٥,٠٠٠ أردب قمح و ٢٠,٠٠٠ أردب شعير وغلال أخرى .

البند الثالث : الخراج الذى يدفع نقداً يؤدى على أربعة أقساط متساوية كل ثلاثة أشهر قسط ، وتبدأ السنة بحساب التقويم الفرنسى ، أما الخراج الذى يؤدى نوعا فيورد فى شون القاهرة من أول فلوريال إلى ٣٠ فركتيدور ويحاسب مراد بك على مصاريف نقل الغلال بواقع الأردب أربعين بارة تخصم من الخراج الذى يدفع نقدا

البند الرابع : يكون لمراد بك دخل جمرك القصير وجمرك إسنا وتحتل ميناء القصير حامية فرنسية لا تقل عن مائتى جندى ، وعلى مراد بك أن يؤدى نفقات هذه الحامية ويصرف لها ما يدفع عادة للجند ، وعليه أن يخصص كتيبة من المماليك ترابط فى القصير لمساعدة الحامية الفرنسية ، وما يدفعه لنفقات لحامية يخصم له من الخراج المذكور فى المادة الثانية .

البند الخامس : بما أن أمير الوجه القبلى ليس له إلا الدخل الناتج من الضرائب فليس له أن يتصرف فى ملكية أى بلد إلى حاشيته المتصلين به ، ولكن له إدارة هذه البلاد بالطريقة التى يراها مرضية ، والحكومة الفرنسية تضمن للأهالى ملكية الأراضى التى يملكونها

بالطرق المشروعة وتمنع وقوع أى اعتداء عليها .

البند السادس : على كل طرف أن يرد إلى الطرف الاخر الجنود الاجئين إليه من جيش الطرف الآخر ، وليس لمزارعي القرى التابعة لأى من الفريقين أن يلجأوا إلى البلاد التابعة للفريق الآخر بقصد التخلص من أداء الضرائب أو لأى سبب آخر من هذا النوع .

البند السابع : يجعل الأمير حاكم الصعيد (جرجا) مقرا له وعليه أن يرسل للقائد العام حرسا من خمسة وعشرين مملوكا ، وعليه أن يوفد أحد البكوات من أتباعه مندوبا مفوضا عنه يقيم باستمرار فى القاهرة .

البند الثامن : يضمن قائد الجيش الفرنسي لمراد بك الانتفاع بدخل حكومته ويتعهد بحمايته فى حالة مهاجمته ، وإذا استهدفت الجهات التى تحتلها الجنود الفرنسية لهجوم عدائى أيا كان نوعه فعلى مراد بك أن ينفذ عددا من جنوده يبلغ على الأكثر نصف قواته لمعاونة القوات الفرنسية وعليه أن يقدم بالثمن المعتاد أدوات النقل المطلوبة ومؤونة الجنود التى ينفذها تكون على نفقة الحكومة الفرنسية .

البند التاسع : يعد القائد العام كليبر بأن لا يوافق على أى اقتراح أو اتفاق يحرم مراد بك من المزايا المبينة أعلاه وعليه أن يبلغ المعاهدة الحالية إلى الحكومة الفرنسية لترعى مصالح مراد بك فى المعاهدات التى قد تبرم بشأن مصر .

البند العاشر : أن الشروط الواردة فى المعاهدة الحالية والتى تقررت بمعرفة كل من الجنرال داماس قائد فرقة ورئيس أركان الحرب العام والمواطن جلوتييه قوميسير الحكومة (لدى الديوان) ومدير الشئون المالية

المفوض عن القائد العام كليبر ، وعثمان بك البرديسى المفوض عن مراد بك يصير التوقيع عليها من القائد العام كليبر ومن الأمير المعظم والملاذ الأفخم مراد بك محمد .

القاهرة فى ١٥ جرمينال العام الثامن بتقويم الجمهورية الفرنسية الموافق ١٠ ذو القعدة عام ١٢١٤هـ .

تعليق رسمى من القائد العام كليبر متعلق بالتصرفات الواجب اتباعها من جانب مراد بك تبعا لاتفاق ١٥ جرمينال العام الثامن الجمهورى .

١- يعسكر مراد بك بقواته على الضفة الغربية للنيل على مسافة ٤ فراسخ من الجيزة ، يمكث هناك لمدة عشرة أيام حتى يمكن تجميع البكوات والماليك الموجودين حاليا فى القاهرة ، واستعمال تأثيره فى فصل الجانب العثمانى من القيادة الرئيسية للمدينة ، بعد هذه الأيام العشر ينسحب مراد بك إلى الجيزة حيث مقره مع اتباعه .

٢ - لا يستطيع مراد بك جمع جباية عينية أو نقدية من أقاليم الجيزة - بنى سويف - المنيا - أسيوط ، طوال المدة المفروضة لإقامته .

٣ - يعمل مراد بك على الإسراع فى توصيل الحبوب القادمة فى النيل والتى أرسلها درويش باشا لإعاشة الجيش الفرنسى والجيش العثمانى ، واتخاذ الخطوات السريعة لتوصيل الحبوب التى سيقوم القبطى المعلم يعقوب بكتابة قائمة بها مع تحديد مكان تخزينها .

٤ - يرسل إلى القائد العام بالقاهرة كل العثمانيين الموجودين فى معسكره ، كل من يستطيع التسليم منهم ، كل اتباع درويش باشا والذين قبض عليهم مراد

بك في الصعيد دون أي استثناء ولا حتى الباشا نفسه .

٥ - على مراد بك الإعلان بالقاهرة ببولاق على اتفاق السلام الذى أبرم بينه وبين القائد العام مع وعد من هذا الأخير بالعفو العام والخاص لكل من ينفصل عن العثمانيين وينضم لصفوف مراد بك أو الفرنسيين .

٦ - يرسل مراد بك أحد بكوات حاشيته ليظل بجانب القائد العام مندوبا مفوضا من طرفه مخول بسلطاته لبحث الأمور المتعلقة بالمصلحة المشتركة .

ملحق رقم ٤ :

منشور نابليون إلى الجنود قبل رسو الأسطول الفرنسى فى الاسكندرية

[المعسكر العام على ظهر البارجة " أوريان" في ٤ ميسدور من السنة السادسة / ٢٢ يونيو سنة ١٧٩٨م] (١)

" أيها الجنود :

إنكم ستخوضون غمار حملة لها آثار لا تحصى فى حضارة العالم وتجارته ، وستنالون من إنجلترا بضربة هى أشد ما يصيبها فى الصميم إلى أن تتمكنوا من ضربها الضربة القاتلة ، سنجتاز فى هذه البلاد رحلات متعبة ، وسنخوض فيها معارك عده ، على أن النصر سيكون حليفنا فى كل خطواتنا لأن العناية تلحظنا ، ولا تنقضى أيام معدودات على نزولنا إلى البر حتى نمحق المماليك الذين يناصرون التجارة الإنجليزية ويخصونها بالمساعدة ويرهقون تجارنا بمختلف الإتاوات والإهانات ويسومون سكان وادى النيل الظلم الاضطهاد . إن الشعب الذى

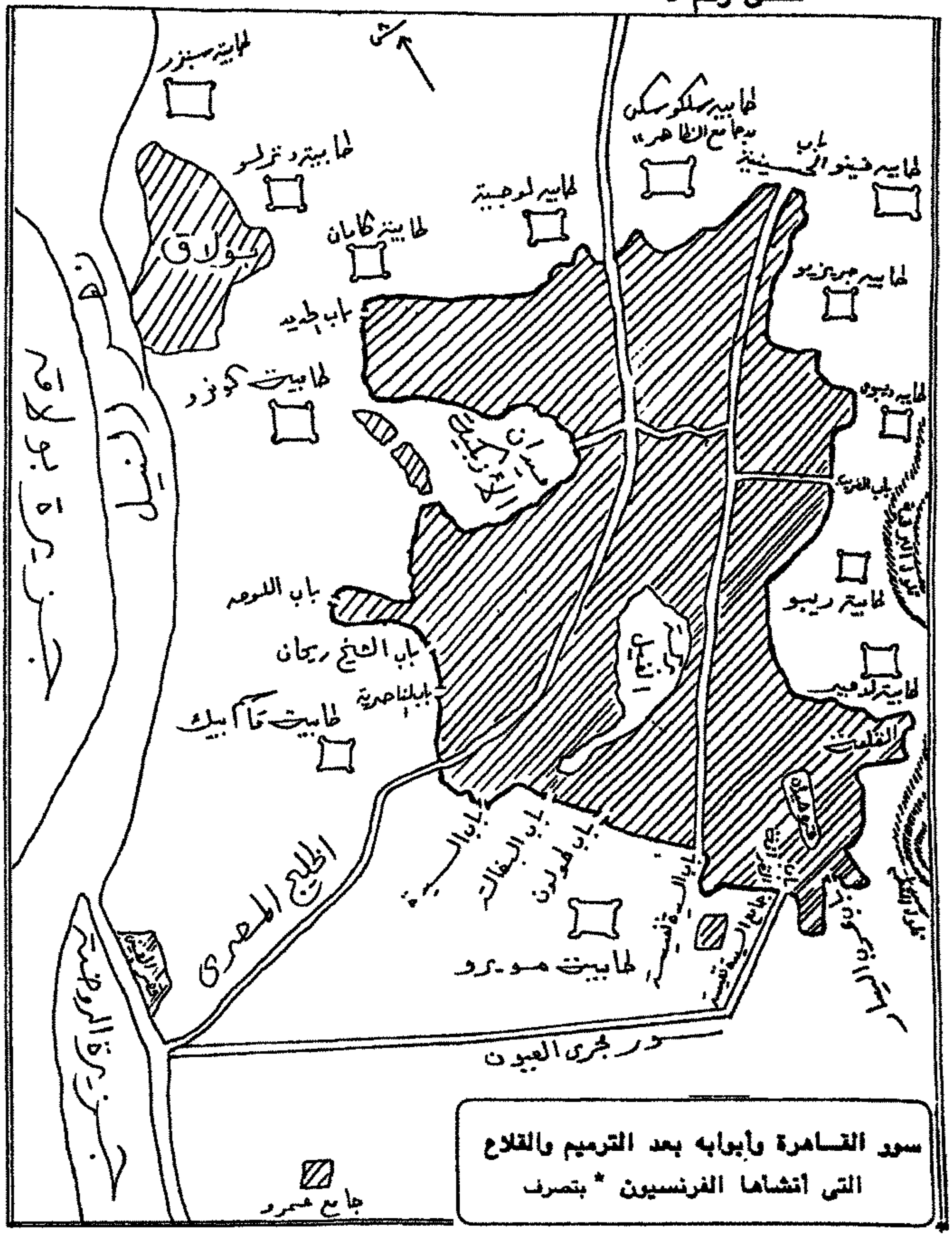
---

١ عبد الرحمن الرافعي : مرجع سابق جـ ١ ، ص ٤٠٩ .

ستتصل به يدين الإسلام وأول أركانه شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمد رسول الله ، فلا تعارضوهم فى دينهم وعاملوهم كما عاملتم اليهود وكما عاملتم الإيطاليين ، واحترموا مشايخهم ومفتييهم وأئمتهم كما احترمتم الربانيين والأحبار والقساوسة ، وليكن شعاركم فى معاملة المساجد والشعائر الدينية التى يأمر بها القرآن ذلك التسامح الذى كان رائدكم حيال الكنائس والصوامع والبيع والتعاليم الموسوية والمسيحية فإن الجيوش الرومانية كانت تحمى الأديان كلها على السواء ، وستجدون هنا عادات تختلف عن عادات أوروبا ، فعليكم أن تألفوها ، وإن الشعب الذى سنقيم بينه يعامل النساء على غير عاداتنا ولكن الاعتداء على أعراض النساء فى كل بلد جريمة لا يقدم عليها إلا الوحوش ، واعلموا أن النهب لا يعود بالنفع إلا على طائفة قليلة من الناس ولكنه يدنس شرفنا ويقضى على مواردنا ويجلب علينا كراهية الشعوب التى تقضى مصلحتنا بأن نكسب ودها . وإن أول بلدة ننزل بها قد بناها الإسكندر ، وسنجد عند كل خطوة نخطوها بها آثارا مجيدة ، جديرة بأن تثير إعجاب تثير الفرنسيين وغيرتهم "

" بونابارت "

ملحق رقم ٥



سور القاهرة وأبوابه بعد الترميم والقلاع التي أنشأها الفرنسيون * بتصرف

كشاف الشخصيات والأماكن

حرف الألف

حرف الباء

حــــرف الـتـــاء

حــــرف الـجـيـــم

حرف الحاء

حرف الخاء

حـرف الـدال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حـــرف الشـــين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حـــرف الــنـــون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

الفهرس

مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس

رقم الايداع ٥٧٠٧/٩٨
I.S.B.N.
977-5040-86-8

العربى للنشر والتوزيع
٦٠ شارع القصر العينى – أمام
روزاليوسف (١١٤٥١) القاهرة
ت: ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦